



اهداءات ٢٠٠٤
جامعة عين شمس
القاهرة

فهرس

الجزء العاشر

من كتاب صبح الأعشى للعلامة شندى

صفحة

- الوجه الخامس — فيما يكتب في ألقاب الملوك عن الخلفاء ،
 وهو نمطان ٥
- النمط الأول — ما كان يكتب في قديم الزمن ٥
- » الثاني — ما يكتب به للملوك الزمان ٦
- الوجه السادس — فيما يكتب في متن اليهود ، وفيه ثلاثة (خمسة)
 مذاهب ٨
- المذهب الأول — أن يفتح العهد بلفظ « هذا » ، وللكتاب فيه طريقتان
 الطريقة الأولى — أن لا يأتي بتحميد في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها أتخ ٨
- » الثانية — أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميد ٤٦
- المذهب الثاني — أن يفتح العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة
 وكنيته ولقب الخلافة « إلى فلان » بأسم السلطان
 وكنيته ولقب السلطنة ٧٥
- » الثالث — أن يفتح العهد بخطبة ٩٨
- » الرابع — « » « بقوله « أما بعد فالحمد لله » أو
 « أما بعد فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ١٣٥
- » الخامس — أن يفتح العهد بـ « إن أولى ما كان كذا » ونحوه ... ١٤٥
- الوجه السابع — فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ،
 وما يكتب الخليفة في بيت السلامة ، وما يكتب
 في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها ... ١٥٢
- الثامن — في قطع الورق الذي تكتب فيه عهود الملوك عن
 الخلفاء ، والقلم الذي يكتب به ، وكيفية كتابتها ،
 وصورة وضعها في الورق ١٥٣

صفحة

- النوع الثالث - من العهد - عهد الملوك لولاء العهد بالملك ، وفيه
 سبعة أوجه ١٥٨
- الوجه الأول - في بيان صحة ذلك ١٥٨
- » الثاني - فيما يكتب في الطرّة ١٥٩
- » الثالث - في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد ١٥٩
- » الرابع - ما يكتب في المستند ١٦٠
- » الخامس - ما يكتب في متن العهد ١٦٠
- » السادس - فيما يكتب في مستند عهد وليّ العهد بالسلطنة ،
 وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ، وما يكتب
 في ذيل العهد ١٧٧
- » السابع - في قطع ورق هذا العهد ، وقلمه الذي يكتب به ،
 وكيفية كتابته ، وصورة وضعه في الورق ، .. ١٧٨
- النوع الرابع - من العهد - عهد الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين
 بصغار البلدان ، وفيه أربعة أوجه ١٨١
- الوجه الأول - في بيان أصل ذلك وأوّل حدوثه في هذه المملكة
 إلى حين زواله عنها ١٨١
- » الثاني - في بيان ما يكتب في العهد ، وهو على ضربين ... ١٨٣
- الضرب الأول - ما يكتب في الطرّة ، وهو تلخيص ما يشتمل عليه
 العهد (ولم يذكر الضرب الثاني) ١٨٣
- الوجه الثالث - فيما يكتب في المستند عن السلطان في هذا العهد ،
 وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ١٨٨

- صفحة
- الوجه الرابع - في قطع ورق هذا العهد، وقلمه الذى يكتب به،
وكيفية الكتابة، وصورة وضعها فى الورق ... ١٨٨
- الباب الرابع - من المقالة الخامسة فى الولايات الصادرة عن الخلفاء
لأرباب المناصب من أصحاب السيوف والأقلام،
وفيه ثلاثة فصول... ١٩٢
- الفصل الأول - فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة
أطراف ... ١٩٢
- الطرف الأول - فيما كان يكتب عن الخلفاء الراشدين ... ١٩٢
- » الثانى - » » عن خلفاء بنى أمية ... ١٩٥
- » الثالث - » » بنى العباس ينفذاد إلى
حين أقراض الخلافة العباسية من بغداد،
وهو على أربعة أنواع... ٢٣٣
- النوع الأول - ما كان يكتب لوزراء الخلافة... ٢٣٣
- » الثانى - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
من أصحاب السيوف، وهو على ضربين ... ٢٤٢
- الضرب الأول - المهود ... ٢٤٢
- » الثانى - مما يكتب من ديوان الخلافة لأرباب
السيوف - التقاليد... ٢٦٢
- النوع الثالث - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
ببغداد من أصحاب الأقلام، وهى على ضربين ... ٢٦٣

صفحة

الضرب الأول — اليهود ٢٦٤

» الثاني — مما كان يكتب بديوان الخلافة ببغداد لأرباب

الوظائف من أصحاب الأقلام — التواريخ ... ٢٩٢

النوع الرابع — مما كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد —

ما كان يكتب لزعماء أهل النمة ٢٩٤

الطرف الرابع — فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب

والأندلس، ولذلك حالتان ٢٩٩

الحالة الأولى — ما كان الأمر عليه في الزمن القديم (ولم يذكر

الحالة الثانية) ٢٩٩

الطرف الخامس — فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار

المصرية، وهو على نوعين ٣٠٨

النوع الأول — ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه، ولم فيها

أربعة مذاهب ٣٠٨

المنهـب الأول — أن يفتح ما يكتب في الولاية بالتصدير، وهو على

ثلاث مراتب ٣٠٩

المرتبة الأولى — أن يقال بعد التصدير المقدم « أما بعد فالحمد لله »

وهي على ضربين ٣٠٩

الضرب الأول — سجلات أرباب السيوف (ولم يترجم لضرب

الثاني) ٣١٠

المرتبة الثانية — أن يفتح السجل بالتصدير إلى آخر التصلية ثم يؤتى

بالتحميد مرة واحدة ٣٣٨

- صفحة
- المرتبة الثالثة — أن يفتح بالتصدير أيضا إلى آخر التصلية ثم يؤتى
 بالعبدية من غير تمجيد ٣٦٠
- المنهـب الثاني — أن يفتح ما يكتب في الولاية بلفظ «هذا ما عهد
 عبد الله ووليه الخ» ٣٨٤
- » الثالث — أن يفتح ما يكتب في الولايات بخطبة مبتدأة
 بـ«الحمد لله» ٣٨٩
- » الرابع — مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأقلام ... ٤٣٩
- التسـوع الثاني — ما كان يكتب عن الوزير... .. ٤٤٦

(تم فهرس الجزء العاشر من كتاب صبح الأعشى)



الجزء العاشر

دار الكتب السلطانية

كتاب

صنح الأسيك

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القافسند

الجزء العاشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
م ١٩١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الوجه الخامس

(فيما يُكْتَبُ في أَلْقَابِ الْمُلُوكِ عن الخلفاء ، وهو عَمَلَان)

الفصل الأول

(ما كان يُكْتَبُ في قديم الزمان)

وهو أن يُقْتَصَرَ على ما يُقَبُّ به الْمَلِكُ أو يُكْتَبُ به من ديوان الخلافة ، ثم يقال :
« مَوْلَى أمير المؤمنين » ولا يُزَادُ على ذلك .

كما كتب أبو إسحاق الصابئ في عهد تَغْر الدولة بن بُوَيْه عن الطائع لله :
« هذا ما عهدَ عبدُ الله عبدُ الكريم الطائعُ لله أميرُ المؤمنين ، إلى تَغْر الدولة
أبي علي مَوْلَى أمير المؤمنين » .

والى هذا أشار في " التمرif " بقوله : عليّ أن لهذا ضابطاً كان في قديم
الزمان وهو أنه لا يُكْتَبُ للرجل إلّا ما كان يُقَبُّ به من ديوان الخلافة [بالنص]
من غير زيادة ولا نقص .

(١) في " التمرif " ص ٨٧ ملك .

(٢) الزيادة من التمرif .

الخط الثاني

(مَا يُكْتَبُ بِهِ لُؤْلُوكُ الزَّمَانِ)

وقد حكى في "التعريف" في ذلك مذهبين :

الأول — أن يُكْتَبَ فيها : السُّلْطَانُ، السَّيِّدُ، الْأَجَلُ، الْمَلِكُ الْفُلَانِي، مع بَيِّنَةٍ
مُنَاسِبَةٍ مِنَ الْأَقْبَابِ الْمَقْرُونَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ : كَمَا كَتَبَ الْفَاضِلُ فِي عَهْدِ أَسَدِ الدِّينِ
شِيرَكُوهُ الْإِنِّي ذَكَرَهُ مِنَ الْعَاظِدِ الْفَاطِمِيِّ :

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْعَاظِدِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ،
الْأَجَلِ، الْمَلِكِ، الْمَنْصُورِ؛ سُلْطَانِ الْجُيُوشِ، وَلِيِّ الْأُمَّةِ، نَافِذِ الدَّوْلَةِ، أَسَدِ الدِّينِ،
كَافِلِ قَضَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَبِي الْحَرِثِ شِيرَكُوهُ الْعَاظِدِي» .

وعلى هذه الطريقة بزيادة ألقاب كَتَبَ أَبُو الْقَاسِمِ فِي الْعَهْدِ لِلْمَلِكِ الْبَاصِرِ
مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ : قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ . قَالَ فِي "التعريف" : وَأَنَا إِلَى
ذَلِكَ أَجْتَنِعُ، وَعَلَيْهِ أَعْمَلُ .

الثاني — أن يُكْتَبَ : الْمَقَامُ الشَّرِيفُ، أَوِ الْكَرِيمُ، أَوِ الْعَالِيُ مَجْرُداً هُنَا .
وَيُقْتَصَرُ عَلَى الْمَقْرُونَةِ [دُونَ الْمُرَكَّبَةِ] ^(١) .

كَمَا كَتَبَ بِهِ الصَّاحِبُ نَفَرُ الدِّينِ بْنِ لُقْمَانَ، فِي عَهْدِ الظَّاهِرِ بَيْرُوسَ بِمَعْنَى
أَوْصَافِهِ وَمَتَابِقِهِ : وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمُنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ غَنَصَةً بِالْمَقَامِ الْعَالِيِ الْمَوْلَوِيِّ،
السُّلْطَانِيِّ، الْمَلِكِيِّ، الظَّاهِرِيِّ، الرَّكْنِيِّ، شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَاهُ .

(١) الزيادة من "التعريف" .

قلت : وربما أبدل المتعشرون « المقام » في هذه الحالة بـ « الملق » وأتى بالألقاب من نحو ما تقدم .

وكما كتب به القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في عهد المنصور قلاوون بعد استيفاء مناقبه وأوصافه ، وذكر أعمال الفكر والروية في اختياره : « وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله أن يكون لقّر العالي ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، أجله الله ونصره ، وأظفره وأقدره ، وأيده وأيده ، كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين » ونحو ذلك .

وبقي مذهب ثالث - وهو أن يأتى بنظير ألقاب المذهب الأول ، مقتصرًا على الألقاب المقررة دون المركبة . وعلى ذلك جرى الوزير ضياء الدين بن الأثير في العهد الذى كتب به معارضة العهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآت ذكره - فقال بعد ذكر مناقبه : « وتلك مناقبك أيها الملك ، الناصر ، الأجل ، السيد ، الكبير ، العالم ، العادل ، صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب » . ولم يتعرض لحكايته في « التبريف » . على أن ابن الأثير إمام هذا الفن ، وحائز قصب السبق فيه ، ومقاتله مما يحتج بها ويقول عليها .

فإن قيل : لعله في « التبريف » أراد مذاهب كُتاب زمانه ، فالجواب أن حكاية المذهب الثانى عن المتأخرين تؤيد بأن المراد متقدمو الكتاب ومتأخروهم .

الوجه السادس

(فيما يُكتب في متن اليهود، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(وعليه عامة الكتاب من المتقدمين وأكثَر المتأخرين)

أن يُفتح العهد بلفظ « هذا » مثل : « هذا ما عهد به فلان لفلان » أو « هذا ما أمر به فلان فلانا » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا كتاب أكتبه فلان لفلان » وما أشبه ذلك .

والكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتي بتصديق في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها، ولا يتعرض إلى ذكر أوصاف المهود إليه والثناء عليه أصلاً، أو يتعرض إلى ذلك باختصار ثم يقول : « قلَّده كذا وكذا » ويذكر ما فوض إليه، ثم يقول : « وأمره بكذا » حتى يأتي على آخر الوصايا، ثم يقول في آخره : « هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك » ويأتي بما يناسب ذلك، ويختتمه بقوله : « والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » أو « والسلام عليك » أو بغير ذلك من اللفاظ المناسبة على اختلاف طرقهم في ذلك، وتباين مقاصدهم . وعلى هذا التبع وما قاربه كانت جهود السلف فمن بعدهم، تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما كتب به لعمرو بن حزم حين وجهه إلى اليمن، كما هتفه - الإشارة إليه في الاستشهاد لأصل جهود الملوك عن الخلفاء .

وهذه نسخته بعد البسملة فيما ذكره ابن هشام وغيره :

« هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) »
 « عَهْدٌ مِنْ [مُحَمَّدٌ] النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ [حِينَ بَعَثَهُ] »
 « إِلَى الْيَمَنِ [أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا] »
 « وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُبَشِّرَ »
 « النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِيهِ ، »
 « وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ، وَيُخْبِرُ »
 « النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلِينُ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ وَيَسْتَدَّ عَلَيْهِمْ »
 « فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ فَقَالَ : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى »
 « الظَّالِمِينَ) وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنذِرُ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلِهَا ، »
 « وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ »
 « وَسُنَّتَهُ وَقَرِيبَتَهُ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرُ الْحَجَّ الْأَكْبَرُ ، »
 « وَالْحَجَّ الْأَصْغَرُ هُوَ الْعُمْرَةُ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي تَوْبٍ »
 « وَاحِدٍ صَغِيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَوْبًا يَلْتَمِسُ طَرَفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَيَنْهَى »

« [الناس^(١)] أن يَحْتَجِيَ أَحَدٌ فِي قَوْبٍ وَاحِدٍ يُقْضَى بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، »
 « وَيَنْهَى أَنْ لَا يَعْقِصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهُ ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ
 « النَّاسِ هَيْجٌ^(٢) عَنِ الدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَلِيَكُنَّ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ
 « [عز وجل] وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ [فَنَ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ دَعَا إِلَى
 « الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيَقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ
 « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ] وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ : وَجُوهِهِمْ ، »
 « وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَأَرْجُلِهِمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ
 « كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ لَوْقِيهَا ، وَإِثْمَامِ الرُّكُوعِ [وَالسُّجُودِ]^(٣) »
 « وَالْخُشُوعِ ، وَيُقَلِّسُ بِالصُّبْحِ ، وَيُهْجِرُ بِالظُّهْرِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ ، »
 « وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَالشَّمْسِ فِي الْأَرْضِ مُدْبِرَةً ، وَالْمَغْرِبِ حِينَ يُغْبِلُ^(٤)
 « اللَّيْلُ ، لَا تُؤَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ ، وَالْعِشَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ . »
 « وَأَمَرَ بِالسَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا ، وَالْعُسَلِ عِنْدَ الرِّوَاكِ إِلَيْهَا . »
 « وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَامِرِ نَحْمَسَ اللَّهُ ، وَمَا كُنْتُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٢ .

(٢) القى في السيرة « بالهجرة حين تميل » .

« فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرُ مِائَةِ عَيْنٍ وَسَقَاتِ السَّمَاءِ ، وَعَلَى »
 « مِائَةِ الْغَرْبِ نِصْفُ الْعَشْرِ . وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، »
 « وَفِي كُلِّ عَشْرِينَ أَرْبَعُ شِئَاءٍ . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، »
 « وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ^(١) أَوْ جَذَعَةٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ »
 « مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَقْرَضَ »
 « عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ . وَأَنَّهُ مَنْ »
 « أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ وَدَانَ بِيَدَيْنِ »
 « الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ ، »
 « وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ أَوْ يَهُودِيَّتِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَنْهَا وَعَلَى كُلِّ حَالٍ : »
 « ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ دِينَارٌ وَإِف ، أَوْ عِوَضُهُ ثِيَابًا ، فَمَنْ أَدَّى »
 « ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ »
 « وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا » .

« صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

(١) كذا في البصرة أيضا بالعين والقاف وفي كتب اللغة العقار [أي كتراب] خيار الكلأ والعقار [أي

كلام] النخل . تأمل .

(٢) في السان ج ٩ ص ٣٩٣ "إذا طلع قرن السبل وقبض عليه فهو غضب ثم هو بد ذلك جذع"

وعلی نحو ذلك كتب أمير المؤمنين علی بن أبی طالب کرم الله وجهه عهداً
 مالک بن الأشتر النخعی حین ولّاه مصر . وهو من اليهود البلیغة جمع فيه بین معالِم
 التقوی وسیاسة الملک .

وهذه نسخته فيما ذكره ابن حمّون فی تذکرته :

هذا ما أمر [به عبد الله ^(١)] علی أمير المؤمنين مالک بن الحرث الأشتر ، فی عهده
 إليه ، حین ولّاه مصر : جباية حراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة
 بلادها . أمره بتقوى الله وإسار طاعته ، وأتباع ما أمر به فی كتابه من فرائضه ؛
 وسنته التي لا یسعد أحد إلا باتباعها ، ولا یسق إلا مع مجودها وإضاعتها ؛ وأن
 یتصر الله تعالى بیده وقلبه ولسانه ، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره ،
 وإعزاز من أعزّه . وأمره أن یکسر من قسبه عند الشهوات ، ویزعها عند
 الجمعات ؛ فإن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحّم الله .

ثم أعلم بامالک أنّی قد وجهتک إلى بلاد قد جرت علیها دُولٌ قبلك : من عدل
 وجور ، وأنّ الناس ینظرون من أمورك [فی مثل ^(٢)] ما کنت تتظر فیهم من أمر
 الولاء قبلك ، ویقولون فیک كما کنت تقول فیهم . وإنما یستدلّ علی الصالحین
 بما یجری الله لهم علی الأئین عبادته ، فلیکن أحبّ الذخائر لیک ذخيرة العمل الصالح .
 فأمّا هَواک ، ومُحّ ینفیک عما لا یصلّ لک ؛ فإنّ الشحّ بالنفس الإیتصافُ منها
 فیما أحببت وکرهت . وأشیر قلبک بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ؛
 ولا تكوننّ علیهم سبعا ضاریاً ، تغنمُ أکلهم ؛ فإنهم صنفان : إمّا أخٌ لک فی الدین ،

(١) الزیادة من "فتح الأکدار" (ص ١٠٥) .

(٢) الزیادة من شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید .

وَأَمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ : يَهْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَالُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَالُ ، وَيُؤْنِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي السَّيِّئِ وَالْخَطَا : فَأَعْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ : فَإِنَّكَ تَفُوقُهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ . وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ ، وَأَبْتَلَاكَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَتَّصِبَنَّ نَفْسُكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدِي لَكَ بِقِيَمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَلَا تَسْتَدِمَنَّ عَلَى عَفْوِهِ ، وَلَا تَجْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ ، وَلَا تُثِيرِعَنَّ إِلَى بَادِيَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَتَدَوِّعَةً ؛ وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي أَمْرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعَ : فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَهْلَكَةٌ فِي الدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَيْهَةً أَوْ حِيلَةً ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَايِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِلَاحِكَ وَيُكْثِفُ عَنْكَ مِنْ غَيْرِكَ ، وَيُضِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَرَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ . وَإِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشَبُّهِ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْذِلُ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُجِيبُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِبِ اللَّهُ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ : فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَعْمَلْ تَقْظِيمَ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمِنْ خَاصِمِهِ اللَّهُ ، أَدْحَضَ مُحِبُّهُ وَكَانَ لَهُ حَرْبًا حَتَّى يَتَرَعَ وَيَتَوَبَّ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَنْبِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ [فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ وَهُوَ اللَّطَّالِمِينَ بِالْمَرْصَادِ] .

وَلْيُكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ؛ فَإِنَّ تَخْطُطَ الْعَامَّةَ يُخِيفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ تَخْطُطَ الْخَاصَّةُ يُتَقَرَّرَ بِرِضَا

(١) في "مفتاح الافكار، وفتح نبع البلاءة" «مؤمر» .

(٢) الزيادة من "مفتاح الافكار" وفتح "نبع البلاءة" .

العامة ؛ ولس أحد من الرعة أقفل على الوالى مئونة فى الرءاء ، وأقل مئونة له فى البلاء ؛ وأكزه لالانصاف ، وأسأل بالالءاف ؛ وأقل شكرا عند الإءطاء ، وأطأ عذرا عند المنع ، وأضعف صبرا عند ملأءء النهر ، من أهل الءلاصة ؛ وإنما عمود الدفن ، وجماع المسالمن ، والعدة للأعداء العامة من الأمة . فلكن صفوك لهم ، ومالك مءهم ؛ ولكن أبعد رعيتك منك ، وأشوءم عندك ؛ أطلبهم لمعاب الناس : فإن فى الناس عيوبأ الوالى أحق بسترها ؛ فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهر مظهر [لك] ^(١) والله يحكم على ما غاب عنك منها . فاستر العورة ما استطعت يستر الله ما يحب ستره من عيتك .

أطلقى عن الناس عفة كل حقد ، وأقطع عنهم سب كل وتر ، وتاب عن كل مالا يضع لك ؛ ولا تجعل إلى تصديق ساع : فارت الساعى غاش وإن تشبه بالناسحين . ولا تدخل فى مشورك بئلا يعدل بك عن الفضل ويعذك الفقر ، ولا جبأنا بضعفك عن الأمور ، ولا حريصا بزى لك الشره بالهور ؛ فإن البخل والخبث والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ومن شاركهم فى الآثام ، فلا يكون لك عطانة ؛ فإنهم أعوان الأئمة ، وإخوان الظلمة ؛ وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم وقادهم ، ولس عليه مثل أصارهم وأوزارهم : ممن لم يعاون ظلما على ظلمه ، ولا آتما على إثمه ؛ أولئك أخف عليك مئونه ، وأحسن لك مئونه ؛ وأخى عليك حطفا ، وأقل لتبرك إلفا ؛ فائجد أولئك خاصة لخلاؤاك [وحفلائك] ^(١) . ثم لكن آثرهم عندك أقولهم [لك] ^(١) بمر الحق ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما

(١) الزيادة من "مفتاح الأفكار" ونهج البلاة" .

كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَقَامَ ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَأَلْصَقَ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّنَقِ،
ثُمَّ رَضَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَطْرُوكَ وَلَا يُجْحَوِكَ ^(١) بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ : فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُخَدِّثُ
الزُّهْمَ وَتُغْنِي مِنَ الْغَرَةِ . وَلَا يَكُونَنَّ الْحَسَنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ
تَرْهِيماً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ [فِي الْإِحْسَانِ] وَتَعْدِيراً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ [عَلَى الْإِسَاءَةِ] ^(٢) :

وَأَنَّكَ لَا تَعْدِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ . أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ !
عَلَى سَائِلٍ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ . مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ !
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنْ الْجَهْلِ زَائِرٌ ، وَلِقَلِّمْ أَتَى لِلرَّجُلِ وَأَعْوَدُ !



وعلى ذلك كتب أبو إسحاق الصابى عن الخليفة ^(٣) « الطائع لله » إلى نضر الدولة بن
رُكن الدولة بن بُويه، فى جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة .

وهذه نسخته :

هذا ماعهدَ عبدُ الله عبدُ الكريم [الإمام] ^(٤) الطائع لله أمير المؤمنين [إلى نضر الدولة
أبى الحسن بن رُكن الدولة أبى على مولى أمير المؤمنين] حين عَرَفَ عَنَاءَهُ وَبَلَاءَهُ ،

(١) أى لا يفرحوك يقال بجمته تبيحها ضجيج أى فرحه ففرح أظفر السان ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) الزيادة عن " مفتاح الأفكار، ونهج البلاغة " .

(٣) انحصر فى الأصل على هذا القدر وله بقية طريفة مذكورة فى " نهج البلاغة "، ومفتاح الأفكار " طريبع
إليها من شاء .

(٤) أى كتب العهد عن الخ .

(٥) الزيادة من " رسائل الصابى " والمثل السائر .

وَأَسْتَصَحَّ دِينَهُ وَيَقِينَهُ ، وَرَعَى قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وَأَسْتَجَبَ حُودَهُ وَنَجَارَهُ . وَأَتَى
عِزَّ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورُ بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [أَيُّهُ اللَّهُ] عَلَيْهِ ،
وَأَشَارَ بِالْمَزِيدِ فِي الصَّنِيعَةِ إِلَيْهِ ، وَأَعْلَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْدَامَهُ بِهِ فِي كُلِّ مَنْهَبٍ ذَهَبَ فِيهِ
مِنْ الْخِدْمَةِ ، وَغَرَضَ رَمَى إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ ، دُخُولًا فِي زُمْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ [الْمَنْصُورَةِ] ،
وَنُحُوجًا عَنْ جَمَاعَةِ الْأَعْدَاءِ الْمَذْخُورَةِ^(١) ، وَتَصَرُّفًا عَلَى مُوجِبَاتِ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ عِزُّ الدَّوْلَةِ
أَبِي مَنْصُورٍ مَنُوطُهُ ، وَعَلَى سَائِرٍ مِنْ يَتْلُوهُ وَيَقْبَعُهُ مَأْخُودَةٌ مَشْرُوطُهُ ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ
وَأَعْمَالَ الْحَرْبِ ، وَالْمَعَاوِينَ ، وَالْأَحْدَاثَ ، وَالْخَرَاجَ ، وَالْأَعْيَارَ ، وَالضَّيَاعَ ،
وَالْجَهَنَّمَ ، وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْجَوَائِي ، وَسَائِرَ وَجُوهِ الْحَيَاثِ [وَالْعَرْضِ] وَالْمَعَاءِ^(٢) ،
وَالنَّفَقَةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ [وَالْمَقَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّقَاقِ] وَالْبَيَارِ فِي دُورِ الضَّرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحَسْبَةِ
يَكُونُ هَذَا ، وَأَسْتَرَابَادَ ، وَالنِّينُورَ ، وَقَرْمِيسِينَ ، وَالْإِفَارِينَ ، وَ [أَعْمَالَ]^(٣)
أَذَرَبَيْجَانَ ، وَأَرَانَ ، وَالسَّعَانِينَ ، وَمُوقَانَ . وَأَتَمَّا مِنْهُ بِاسْتِيفَاءِ النِّعْمَةِ وَأَسْتِدَامَتِهَا ،
وَالِإِسْتِرَادَةِ بِالشُّكْرِ مِنْهَا ، وَالتَّجَنُّبِ لِمَعْطَاهَا وَمُجُودِهَا ، وَالتَّنَكُّبِ لِإِيحَاشِهَا وَتَقْيِيرِهَا ،
وَالْتَعَمُّدِ لِمَا مَكَّنَ لَهُ الْحُظُوفَةُ وَالزُّلْفَى ، وَحَرَسَ عَلَيْهِ الْأَثَرَةَ وَالْقَرْبَى ؛ بِمَا يُظَاهِرُهُ
وَيُضْمَرُهُ مِنَ الْوَفَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالْوَلَاءِ الصَّرِيحِ ، وَالْقَيْبِ الْأَمِينِ ، وَالْبَصْرِ السَّلِيمِ ،
وَالْمَقَاعِطِ لِكُلِّ مَنْ قَاطَعَ الْمُعْصِيَةَ ، وَفَارَقَ الْجُمْلَةَ ، وَالْمَوَاصِلَةَ لِكُلِّ مَنْ حَمَى الْبَيْعَةَ
وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ - وَالْكُونِ تَحْتَ ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفِئَتِهِ ، وَمَعَ عِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ
وَفِي حَوْرَتِهِ - وَاقَهُ جَلَّ أَسْمُهُ يَعْرِفُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حُسْنَ الْعُقْبَى فِيمَا أُبْرِمَ وَتَقَضَّى ،
وَسَدَادَ الرَّأْيِ فِيمَا رَفَعَ وَخَفَضَ ، وَيَحْمِلُ عِزَّائِهِ مَقْرُونَةً بِالسَّلَامَةِ ، مَحْجُوبَةً عَنْ
مَوَارِدِ التَّدَامَةِ ؛ وَحَسَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

(٢) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْعِصْمَةُ لِلْمَيْتِنَةِ، وَالْجُنَّةُ الْحَصِينَةُ؛ وَالْعَوْدُ الْأَرْفَعُ،
وَالْمَعَادُ الْأَمْنُ؛ وَالْجَانِبُ الْأَعَزُّ، وَالْمَلْجَأُ الْأَحْزَرُ؛ وَأَنْ يَسْتَشِيرَهَا سِرًّا وَجَهْرًا،
وَيَسْتَعِينَهَا قَوْلًا وَفِعْلًا، وَيَتَّقِيَهَا رَدْمًا دَائِمًا لِنَوَائِبِ الْقَدَرِ، وَكَهْفًا حَامِيًا مِنْ حَوَادِثِ
النِّسْرِ؛ فَإِنَّهَا أَوْجَبُ الْوَسَائِلِ، وَأَقْرَبُ الْقَرَارِ، وَأَعُوذُهَا عَلَى الْعَبْدِ بِمَصَالِحِهِ،
وَأَذْنَاهَا إِلَى سُبُلِ مَنَاجِحِهِ؛ وَأَوَّلَاهَا بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى هِدَايَتِهِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ غَوَايِهِ؛
وَالسَّلَامَةِ فِي دُنْيَاهُ حِينَ تُؤَيِّقُ مُوَيْقَاتُهَا، وَتُرِيدِي مُرْدِيَاتُهَا؛ وَفِي آخِرَتِهِ حِينَ تَرْوِّعُ
رَائِعَاتُهَا وَتُخَفِّفُ مُخَفِّفَاتُهَا. وَأَنْ يَتَأَذَّبَ بِآدَابِ اللَّهِ فِي التَّوَاضُّعِ وَالْإِخْلَاصِ،
وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ إِذَا نَطَقَ، وَغَضِّ الطَّرْفِ إِذَا رَمَقَ؛ وَكَلَمِ الْفِيْظِ
إِذَا أَحْفِظَ، وَضَبْطِ اللِّسَانِ إِذَا أُغْضِبَ؛ وَكَفِّ الْيَدِ عَنِ الْمَأْثِمِ، وَصَوْنِ النَّفْسِ
عَنِ الْخِتَارِ. وَإِنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِهِ، وَالْمَوْقِفَ الَّذِي هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ،
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْئِلٌ عَمَّا أَكْتَسَبَ، مَجْزِيٌّ بِمَا تَرَكَ^(١) وَأَحْتَقِبَ؛ وَيَتَّقُوهُ مِنْ هَذَا الْمَقَرِّ،
لِذَاكَ الْمَقَرِّ؛ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ لِنَفْعِهِ، وَمِنْ مَسَاعِيِ الرِّئَاسَةِ لِنَفْعِهِ؛ وَيَتَمَرَّعُ
بِالصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ بِهَا، وَيَتَدَرَّجُ عَنِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْجُرَ عَنْهَا؛ وَيَبْتَدِئُ
بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ قَبْلَ إِصْلَاحِ رِعْيَتِهِ: فَلَا يَسْعَهُمْ عَلَى مَا يَأْتِي ضِدَّهُ، وَلَا يَنْهَاهُمْ عَمَّا
يَقْتَرِفُ مِثْلَهُ؛ وَيَجْعَلُ رَبَّهُ رَقِيًّا عَلَيْهِ فِي خَلَوَاتِهِ، وَمُرُوءَتَهُ مَانِعَةً لَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ؛
فَإِنَّ أَحَقَّ مِنْ غَلَبِ سُلْطَانِ الشَّهْوَةِ، وَأَوَّلَى مِنْ صَرَخِ أَعْدَاءِ الْحَيَاةِ؛ مَنْ مَلَكَ أِزْمَةَ
الْأُمُورِ، وَاقْتَدَرَ عَلَى سِيَاسَةِ الْجُمْهُورِ؛ وَكَانَ مُطْعَمًا فِيمَا يَرَى، مَتَّبِعًا فِيمَا يَسْأَلُ، عَلَى
النَّاسِ وَلَا يَلُونُ عَلَيْهِ، وَيَقْتَصُّ مِنْهُمْ وَلَا يَقْتَصُّونَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أَطْلَعَ اللَّهُ مِنْهُ عَلَى
نَقَاءِ جَبِينِهِ، وَطَهَارَةِ ذَنْبِهِ؛ وَصِحَّةِ سِرِّرِيَّتِهِ، وَأَسْتِقَامَةِ سِيرَتِهِ، أَعَانَهُ عَلَى حِفْظِ

(١) في "الرسائل"، والمثل السائر: "تَرِكَل".

(٢) كَذَا فِي الرِّسَالِ أَيْضًا. وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ ١٣٢ "مَنْ ضَرَعَ لِنَفْسِهِ أَهْلِيَّةً".

مَا اسْتَحْفَظَهُ، وَأَنْهَضَهُ بِحُلِّ مَاحِلِهِ؛ وَجَعَلَ لَهُ تَخْلَصًا مِنَ الشُّبْهَةِ وَخَرَجًا مِنَ الْحَيْرَةِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .
وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . وَقَالَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إِلَى آتِي كَثِيرَةٍ حَضَّنَا بِهَا عَلَى أَكْرَمِ الْخَلْقِ، وَأَسْلَمَ الطَّرُقَ، فَالْسَعِيدُ مَنْ نَصَبَهَا إِزَاءَ نَاطِرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ نَبَذَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَشْقَى مِنْهُ مَنْ بَعَثَ عَلَيْهَا وَهُوَ صَادِفٌ عَنْهَا، وَأَهَابَ إِلَيْهَا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْهَا؛ وَلَهُ وَلَإِمْنَالِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا مَتَّبِعًا، وَطَرِيقًا مُوقِعًا^(١)؛ وَيُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَتِهِ إِذَا خَلَا بِفِكَرِهِ، وَيَعْلَمُ بِتَأَمُّلِهِ أَرْجَاءَ صَدْرِهِ، فَيَذْهَبَ مَعَهُ فِيَا أَبَاحٍ وَحَظَرٍ، وَيَقْتَدِرَ بِهِ إِذَا نَهَى وَأَمَرَ؛ وَيَسْتَبَيِّنُ بَيَانَهُ إِذَا اسْتَفْلَقَتْ دُونَهُ الْمُعْضِلَاتُ، وَيَسْتَضِيءُ بِمَصَابِيحِهِ إِذَا غَمَّ عَلَيْهِ فِي الْمَشْكَلَاتِ؛ فَإِنَّهُ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ الْوُثْقَى، وَحُجَّةُ الْوَسْطَى، وَدَلِيلُهُ الْمُقْنِعُ، وَبُرْهَانُهُ الْمُرْشِدُ^(٢)؛ وَالْكَاشِفُ لظُلُمِ الْخُطُوبِ، وَالشَافِي مِنْ مَرَضِ الْقُلُوبِ، وَالْهَادِي لِمَنْ ضَلَّ، وَالْمُتَلَفِّي لِمَنْ زَلَّ؛ فَمَنْ لَحِجَ بِهِ فَقَدْ فَازَ وَسَلِمَ، وَمَنْ لَمِيَ عَنْهُ فَقَدْ خَابَ وَتَعَدِمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَكَبُورٌ عِزٌّ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتَرَبَّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَيَدْخُلَ فِيهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ؛ قَائِمًا عَلَى حُدُودِهَا، مَتَّبِعًا لِرُسُومِهَا، جَامِعًا فِيَا بَيْنَ نَيْتِهِ وَقَفْظِهِ، مُتَوَقِّيًا لِمَطَالَعِ سَهْوِهِ وَلِحَظِهِ؛

(١) فِي الْأَسْوَالِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ مُتَوَقِّيًا بِزِيَادَةِ الْخَاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ، فَهُوَ السَّائِرُ ج ١ ص ٢٨٢

يُقَالُ طَرِيقٌ مَوْقِعٌ مِثْلُ -

(٢) فِي "الرَّسَائِلِ" الْأَسْطَعُ .

مقطعاً إليها عن كل قاطع لها، مشغولاً بها عن كل شاغلٍ عنها، متبّاً في ركوعها وتُجودها، مستوفياً عند مفروضها ومستونياً، موقراً عليها ذنّه، صارقاً إليها همّه، عالماً بأنه واقفٌ بين يدي خالقه ورازقه، ومُحمّيه ومُحمّيته، ومُثبّيه ومُعاقبه، لانسْتِزْ دُونَهُ خائِئُ الأعْيُنِ وما تُخَيِّ الصدور. فإذا قضاها على هذه السبيل منذ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ إِلَى خَاتَمَةِ التَّسْلِيمِ، أَتْبَعَهَا بِدُعَاءٍ يَرْتَفِعُ بِارْتِفَاعِهَا، [وَيُسْتَمَعُ بِاسْتِمَاعِهَا]، وَلَا يَتَعَدَّى فِيهِ مَسَائِلُ الْأَبْرَارِ، وَرَغَائِبُ الْأَخْيَارِ: مَنْ أَسْتَصْفَاجَ وَأَسْتَغْفَرَ، وَأَسْتَغَالَةَ وَأَسْتَرَحَامَ، وَأَبْتَدَعَاءَ لِمَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَعَوَائِدِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ فَقَدْ قَالَ تَالِي: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾، وَقَالَ تَالِي: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

وَأَمَرَهُ النَّسِيُّ فِي أَيَّامِ الْجَمْعِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ، وَفِي الْأَعْيَادِ إِلَى الْمُصَلَّاتِ الضَّاحِيَةِ، بَعْدَ التَّقَدُّمِ فِي قَرَشِهَا وَكُسُوتِهَا؛ وَجَمَعَ الْقَوَامَ وَالْمُؤَذِّنَ وَالْمَكْبَرِينَ فِيهَا، وَأَسْتَسْمَاءَ النَّاسِ إِلَيْهَا، وَحَضَّضَهُمْ عَلَيْهَا؛ أَخَذِينَ الْأَهْبَةَ، مَتَنَظِّفِينَ فِي الزَّهْرِ، مُؤَذِّنِينَ لِفَرَاغِ الطَّهَارَةِ، بِالْغَيْنِ فِي ذَلِكَ أَقْعَى الْإِسْطَاعَةِ؛ مَعْتَقِدِينَ خَشْيَةَ اللَّهِ وَخِيفَتَهُ، مُدْرِعِينَ قَنَاقَهُ وَمُرَاقِبَتَهُ؛ مُكْثِرِينَ مِنْ دُعَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَسُؤَالِهِ، مُصَلِّينَ عَلَى عَمَدِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ؛ قُلُوبَ عَلَى الْيَقِينِ مَوْقُوفَةً، وَهَيْمَ إِلَى الدِّينِ مَضْرُوفَةً، وَالنَّسْ بِالتَّسْيِيعِ وَالتَّقْدِيسِ فَصِيحَةً، وَأَمَالٍ فِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فَصِيحَةً؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْمُصَلَّاتِ وَالْمَتَعَبَّدَاتِ بَيُوتُ اللَّهِ الَّتِي قَضَلَهَا، وَمَنَاسِكُهُ الَّتِي شَرَفَهَا؛ وَفِيهَا يُتْلَى الْقُرْآنُ [وَمِنْهَا تَرْتَفِعُ الْأَعْمَالُ؛ وَبِهَا يُلَوِّدُ اللَّائِكُونَ] وَيُؤَدُّ الْعَائِدُونَ؛

(١) كَذَا فِي "الْمَثَلِ السَّائِرِ" أَيْضًا - وَفِي "رِسَالَتِ الصَّابِي" « وَمَنْ لَا يَسْتَرِدُّهُ دُونَهُ خَائِئُ عَيْنِهِ وَخَافِيَةُ

حُدُودِهِ ».

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ "رِسَالَتِ الصَّابِي" الْمَطْبُوعَةِ .

وَيَتَّبِعُ الْمُتَّبِعُونَ ، وَيَتَّبِعُ الْمُتَّبِعُونَ ، وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ : مَنْ وَاَلِ
وَمَوْلَى عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَهَا وَيُسْمُرَهَا ، وَيُوَصِّلُهَا وَلَا يَهْجُرَهَا . وَأَنْ يُعِمْ الدَّعْوَةَ عَلَى
مَنَابِرِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لِنَفْسِهِ عَلَى الرَّسْمِ الْجَارِي فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ
الصَّلَاةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
وَذَرُوا الْبَيْعَ) . وَقَالَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ : ﴿ إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا
مِنَ الْمُهْتَدِينَ) .

وأمره بأن يُرَاعَى أحوال مَنْ يَلِيهِ ، مِنْ طَبَقَاتِ جُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ ،
وَيُطْلَقَ لَهُمُ الْأَرْزَاقُ ، فِي وَقْتِ الْوُجُوبِ وَالِاسْتِحْقَاقِ ، وَأَنْ يُحَسِّنَ فِي مَعَامِلَتِهِمْ ،
وَيُجِيلَ فِي اسْتِخْدَامِهِمْ ، وَيَتَصَرَّفَ فِي سِيَاسَتِهِمْ : بَيْنَ رِفْقٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَخَشُونَةٍ
مِنْ غَيْرِ غُفٍّ ، مُتَّبِعِينَ لِمَحْسَنِهِمْ مَا زَادَ بِالْإِبَانَةِ فِي حُسْنِ الْأَثَرِ ، وَسَلِّمَ مَعَهَا مِنْ دَوَائِي
الْأَثَرِ ، وَتَعَمَّدًا لِمُسِيئَتِهِمْ مَا كَانَ التَّعَمَّدُ لَهُ نَافِعًا ، وَفِيهِ نَاجِيًا ، فَإِنْ تَكَرَّرَتْ زَلَّاتُهُ ،
وَتَنَابَعَتْ عَثَرَاتُهُ ، سَاوَلَهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِمَا يَكُونُ لَهُ مُصْلِحًا ، وَلَغْيَرُهُ وَإِعْظَا . وَأَنْ
يَخْتَصَّ أَكَابِرَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ وَأَهْلَ الرَّأْيِ وَالْخَطَرِ مِنْهُمْ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي الْمَلِمِ ، وَالْإِطْلَاعِ
عَلَى بَعْضِ أُمُومِهِمْ ، مُسْتَخْلِصًا تَحَاتُّلَ قُلُوبِهِمْ بِالْإِسْطِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَمُسْتَشْهِدًا بِصَابِرِهِمْ
بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْقَاقِ : فَإِنَّ فِي مُشَاوَرَةِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ اسْتِدْلَالَ عَلَى مَوَاقِعِ الصَّوَابِ ،
وَتَحَرُّزًا مِنْ غَلَطِ الْإِسْتِبْدَادِ ، وَأَخَذًا بِمَجَامِعِ الْحَزَامَةِ ، وَأَمْنًا مِنْ مُقَارَفَةِ الْإِسْتِغْنَامِ ،
وَقَدْ حَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الشُّورَى حَيْثُ قَالَ (رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَشَاوِرُوهُمْ
فِي الْأُمْرِ فَإِنَّا عَزَمَتِ قَوَّكُلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَمُتَّ لَهَا يَتَصَلَّ بِنَوَاحِيهِ مِنْ تُقُورِ الْمَسْلَمِينَ، وَرِبَاطَاتِ الْمُرَاطِلِينَ،
وَيَقِيمُ لَهَا قِسْمًا وَإِفْرَاقًا مِنْ عَنَائِهِ، وَيَصْرِفُ إِلَيْهَا طَرَفًا بَلْ شَطْرًا مِنْ رِعَائِهِ،
وَيَخْتَارُ لَهَا أَهْلَ الْجَلَدِ وَالشَّسَةِ، وَذَوِي الْيَاسِ وَالنَّجْدِ : مِنْ عَجْمَتِهِ الْخَطُوبِ،
وَعَرَكَتِهِ الْحُرُوبِ، وَكَتَسَبِ دُرَّةِ مُجَدِّعِ الْمُتَنَوِّينِ، وَتَجَرِبَةِ بَمَكَايِدِ الْمُتَقَارِعِينَ،
وَأَنْ يَسْتَظْهَرُ بِتَكْثِيفِ مَدَدِهِمْ، وَآخْتِيَارِ عَدَدِهِمْ، وَأَتَشَابِابِ خَيْلِهِمْ، وَأَسْتِجَادَةِ
أَسْلِحَتِهِمْ، غَيْرَ مُجَرَّبَةً إِذَا بَتَّتْ، وَلَا مُسْتَكْرَهَةً إِذَا وَجَّهَتْ، بَلْ يُنَاوِبُ بَيْنَ رِجَالِهِ
مُنَاقِبَةً تُرِيحُهُمْ وَلَا تُعِيلُهُمْ، وَتَرْفُهُمْ وَلَا تُثَوِّنُهُمْ : فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةِ الْإِجَامِ،
وَالْعَدْلِ فِي الْإِسْتِخْدَامِ، وَتَنَاقُصِ رِجَالِ الثُّوبِ فِيمَا عَادَ عَلَيْهِمْ بِمِزْ الطُّفْرِ وَالنَّصْرِ، وَمُتَدِّ
الصَّبْرِ وَالذِّكْرِ، وَإِحْزَارِ الصَّغَرِ وَالْأَجْرِ، مَا يَحِقُّ عَلَى الْوَلَاةِ أَنْ يَكُونُوا بِهِ عَامِلِينَ،
وَالنَّاسِ عَلَيْهِ حَامِلِينَ . وَأَنْ يَكْرَّرَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وَيَنْتَبِثَ فِي قُلُوبِهِمْ، مَوَاعِيدُ اللَّهِ
لِمَنْ صَابِرٌ وَرَاطِبٌ، وَتَمَحُّجٌ بِالنَّفْسِ وَجَاهِدٌ، مِنْ حَيْثُ لَا يُقْدِمُونَ عَلَى تَوْرِيطِ غِرَّةٍ،
وَلَا يُجَحِّمُونَ عَنْ أَتِهَازِ فُرْصَةٍ، وَلَا يَنْكُصُونَ عَنْ تَوَرُّدِ مَعْرَكَةٍ، وَلَا يَلْقَوْنَ بِأَيْدِيهِمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ، وَالْمُرَامِينَ عَنْ دِينِهِ، وَأَنْ يُزِيحَ
الْعِلَّةَ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ رَاتِبِ حَقَّاتِ هَذِهِ الثُّغُورِ وَحَادِثِهَا، وَبِنَاءِ حُصُونِهَا وَمَعَارِقِهَا،
وَأَسْطَرِاقِ طَرَفِهَا وَمَسَالِكِهَا، وَإِفَاضَةِ الْأَقْوَاتِ وَالْمُلُوفَاتِ لِلتَّرْتِينَ فِيهَا وَالْمُتَرَدِّدِينَ
إِلَيْهَا وَالْحَامِيِينَ لَهَا . وَأَنْ يَبْدُلَ أَمَانَتَهُ لِمَنْ طَلَبَهُ، وَيَعْرِضَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ . وَيَحْيَ
بِالْعَهْدِ إِذَا عَاهَدَ، وَبِالْعَقْدِ إِذَا عَاقَدَ، غَيْرَ مُخَفِّرٍ ذِمَّةً، وَلَا جَارِحٍ أَمَانَةً، فَقَدْ أَمَرَ

(١) فِي "رَسَائِلِ الصَّابِي" بِأَنْ يَضُمَّ مَا يَتَصَلَّ إِلَيْهِ .

(٢) فِي السَّانِ ج ٥ ص ٢١٧ «تَحْيِيرُ الْمُنْهَدِ أَنْ يَجْبِسَهُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَا يَقْلَعَهُمْ مِنَ الثَّرَى» وَهُوَ

الْمُرَادُ هَا . تَامِلْ .

الله تعالى بالوفاء فقال جلّ من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) .
ونهى عن النكث فقال عزّ من قائل : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وأمره أن يعرض مَنْ في حُبُوس عمله على جرّيرهم [وإنعام النظر في جناياتهم
وجرائمهم] فمن كان إقراره واجباً أقرّه ومن كان إطلاقه سائناً أطلقه . وإن ينظر
في الشّرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ؛ ويختار [لها من الولاة ^(١)] مَنْ يخاف
الله تعالى ويتقيه ، ولا ينجي ولا يراقب فيه ؛ ويتقدّم إليهم بقمع الجهال ،
وردع الضّلال ؛ ويتبع الأشرار ، وطلب الدّعار ؛ مستدلين على أماكِنهم ،
متولين إلى مكائِنهم ؛ متوجّين عليهم في مظلّمهم ، متوقّين من يحدونه منهم ،
منغذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذي يبين من أمرهم ، ويتّضح من فعلهم ؛
في كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة أحقّبوها ، ومُهجة أفاظوها وأسّهلّوها ، وحرمة
أباحوها وآتّكروها ؛ فمن استحقّ حداً من حدود الله المعلومّة أقاموه عليه غير مخفّفين
منه ، وأحلّوه به غير مقصّرين عنه ، بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتون به حُجّة ،
ولا يعترّضهم في وجوبه شبهة ؛ فإنّ الواجب في الحدود أن تُقام بالبيّنات ، وأن تُدرا
بالشّهات ؛ فالولى ما نوحاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدّموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقّفوا
عنها مع قيام دليل وبرهان . ومن وجب عليه القتل أحتاط عليه بما يُختاط به على
مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ؛ وكتب إلى أمير المؤمنين بحجّه ،
وشرح جناحيه ؛ وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو شهادة قمع عليه ، وليتطرّ من جوابه
ما يكون عمله بحجّه ، فإنّ أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط
به علماً ، وأتقنه فهماً ، وكان ما يفضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ،

(١) الزيادة من "رسائل الصاب" المطبوعة .

ولا يُسَوِّبُهَا رَبِّبٌ . ومن أَلَمَ بصغيرة من الصغائر ، ويسيرة من الجوائر ، من حُبِّثْ لم يُعْرِفْ له مِثْلُهَا ، ولم يَتَقَدَّمْ منه أُخْتُهَا ، وَعَظَلَهُ وَزَجَرَهُ ، ونَهَاهُ وَعَدَّرَهُ ، وَأَسْتَاثَبَهُ وَأَقَالَهُ ، مالم يكن عليه خَصَمٌ في ذلك يطالبُ بِقِصَاصٍ منه ، وجزاء له ؛ فَإِنْ عَادَ تَنَاولَهُ [من] التَّقْوِيمِ وَالتَّهْدِيدِ ، والتَّعْزِيرِ وَالتَّأْدِيبِ ؛ بما يرى أَنْ قد كُنِيَ فيما أَجْتَرَمَ ، ووفى بما قَدَّمَ ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

وأمره أَنْ يَعْطَلَ مافي أعماله من الحائِثِ وَالْمَوَاقِيرِ ، وَيُطَهَّرَهَا مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْمَنَاسِكِرِ ؛ وَيَمْنَحَ من يَجْمَعُ أَهْلَ الْخِلَافِ فيها وَأَتْلَفَ شَمْلَهُمْ بها : فإنه شَمَلٌ يُصْلِحُهُ التَّشْيِيتُ ، وَيَجْمَعُ يَحْفَظُهُ التَّفْرِيقُ ؛ وما زالت هذه المَوَاطِنُ الذِّمِّيةُ وَالْمَطَارِحُ الذِّنِّيةُ ، دَاعِيَةً لمن يَأْوِي إِلَيْهَا ، وَيَعْتَكِفُ عَلَيْهَا ؛ إِلَى تَرْكِ الصَّلَوَاتِ ، [وإِهْمَالِ الْمُقَرَّرَاتِ] ^(١) وَرُكُوبِ الْمُتَكْرَرَاتِ ، وَأَقْرَافِ الْمُحْظُورَاتِ ؛ وهى بُيُوتُ الشَّيْطَانِ الَّتِي فِي عِمَارَتِهَا اللَّهُ تَعَالَى مَغْضَبٌ ، وَفِي إِخْرَاجِهَا لُحَيْرٌ مُجَلِّبٌ ؛ والله تعالى يقول لنا معشرَ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ويقول عز من قائل لنسرينا من المذمومين : ﴿ نَخْلَفُ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَهُودُونَ غِيًّا ﴾ .

وأمره أَنْ يُوَلِّيَ الْحِمَاةَ فِي هذه الْأَعْمَالِ ، أَهْلَ الْكِفَايَةِ وَالْفَنَاءِ من الرجال ؛ وَأَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِمْ كُلٌّ مِّنْ خَفِّ رِكَابِهِ ، وَأُسْرَعَ عِنْدَ الصَّرِيحِ جَوَابُهُ ؛ مَرْتَبًا لَمْ فِي الْمَسَاحِ ، وَسَادًّا بِهِمْ نَفَرَ الْمَسَالِكِ ؛ وَأَنْفَ يُوصِيهِمُ بِالْتِّقَظِ ، وَيَأْخُذَهُمُ بِالتَّحْفَظِ ، وَيُزِيحُ عَنْهُمْ فِي عُلُوفَةِ خِيَلِهِمْ ؛ وَالْمَقَرَّرَ من أَرْوَادِهِمْ وَمِيزَمِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَنْقَلِبَ لَهُمْ عَلَى الْبِلَادِ وَطَنَاهُ ، وَلَا تَدْعُوهُمْ إِلَى تَحْقِيقِهِمْ وَتَلْبِهِمْ حَاجُهُ ؛ وَأَنْ يَحْطُوا السَّابِلَةَ بِأَدْنَى وَعَائِدِهِ ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة و"المثل السائر" .

وَيَتَذَكَّرُوا أَلْفَوْا قُلَّ صَادِرَةً وَوَارِدَةً؛ وَيَحْمَسُوا الطَّرِيقَ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَيَغْضُوبُهَا رَوَاحاً
وَأَبْكَاراً؛ وَيَتَصَبَّوْا لِأَهْلِ الْقَيْثِ الْأَرْصَادِ، وَيَتَكَنَّنُوا لَهُمْ بِكُلِّ وَادٍ؛ وَيَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِمْ
حَيْثُ يَكُونُ التَّفَرُّقُ مَضِيّاً لِقَضَائِهِمْ، وَمَوْذِيّاً إِلَى أَنْفِضَائِهِمْ؛ وَيَتَعَمِّمُوا حَيْثُ
يَكُونُ الْاجْتِمَاعُ مُطْفِئاً لِحَرَّتِهِمْ، وَصَاحِباً لِمَرْوَتِهِمْ؛ وَأَنْ لَا يُخْلَوْا هَذِهِ السُّبُلَ مِنْ حُمَاةٍ
لَهَا وَسِيَارَةٌ فِيهَا: يَتَرَدَّدُونَ فِي جَوَادِيهَا، وَيَتَمَسَّكُونَ فِي عَوَادِيهَا؛ حَتَّى تَكُونَ الدَّمَاءُ
مَحْمُونَةً، وَالْأَمْوَالُ مَصُونَةً؛ وَالْفَتَنُ مُحْصُومَةً وَالْفَارَاتُ مَأْمُونَةً؛ وَمَنْ حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ
مِنْ لَيْسَ خَائِلٍ، وَمُصْلُوكٍ خَارِبٍ، وَخَيْفٍ لَسِيلٍ، وَمُنْتَهَكٍ لِحَرِيمٍ؛ أَمْتِلَ فِيهِ أَمْرُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وَأَمْرُهُ بِوَضْعِ الرِّصَدِ عَلَى مَنْ يَحْتَازُ فِي أَعْمَالِهِ مِنْ أَبَاقِ الْعَبِيدِ، وَالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهِمْ
وَعَلَى مَا يَكُونُ مِنْهُمْ، وَالْبَحْثِ عَنِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي فَارَقُوهَا، وَالطَّرِيقِ الَّتِي اسْتَطَرَقُوهَا؛
وَمَوَالِيهِمُ الَّذِينَ أَقْبَوْا مِنْهُمْ، وَفَشَرُوا عَنْهُمْ؛ وَأَنْ يَرُدُّوهُمْ عَلَيْهِمْ قَهْرًا، وَيُعِيدُوهُمْ إِلَيْهِمْ
صَفْرًا؛ وَأَنْ يُنْشِدُوا الضَّالَّةَ بِمَا أَمَكَّنَ أَنْ تُنْشَدَ، وَيَحْفَظُوهَا عَلَى رِبِّهَا بِمَا جَازَ أَنْ
تُحْفَظَ؛ وَيَتَجَنَّبُوا الْإِسْتِغْلَالَ لظُهُورِهَا وَالْإِسْتِفَاعَ بِأَوْبَارِهَا وَالْبَيَاهَا بِمَا يُحَرِّمُ وَيُحَلِّبُ؛
وَأَنْ يُرَفِّقُوا اللَّفْظَةَ وَيَذْمُوا أَثَرَهَا، وَيُسَيِّمُوا خَبَرَهَا؛ فَإِذَا حَضَرَ صَاحِبُهَا وَعِلِمُ أَنَّهُ
مُسْتَوْجِبُهَا سَلَّمَتْ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَرْضَ فِيهَا عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنْ اللَّهُ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾. وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ».

(١) في "الرسائل" والمثل السائر "ويذوقوا" والذرة الخسارة.

(٢) في "الرسائل" "في جوادها ... في عوادها" .

وأمره أن يوصى عماله بالشدة على أيدي الحكماء ، وتنفيد ما يصدر عنهم من الأحكام ؛ وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لما ، الذين عنها القيمين لرؤوم الهبة وحُدود الطاعة فيها ؛ ومن نرج عن ذلك من ذى عقل يخيف ، وحلم ضعيف ، نالوه بما يردعه ، وأحلوا به ما يزعجه ؛ ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع خصم يستدعيه ، وأمرى بوجه الحاكم إليه فيه ؛ أو اتوى ملتوي بحق يحصل عليه ، ودن يستقر في ذمته ، قأدوه إلى ذلك بأزمة الصغار ، وتزائم الإضطراب ؛ وأن يحبسوا ويطلقوا بأقوالهم ، ويثبتوا الأيدي في الأملاك والفروج ويترعوها بقضابهم ؛ فإنهم أمتاء الله في فصل ما يفصلون وبت ما يتون ، وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون [ويصدرون ^(١)] وقد قال تعالى : ﴿ يَادَاؤُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ . وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه ، واستئناف بقاياهم فيه ، والرياضة لمن تسوء طاعته من معاملهم ، وإحضارهم طامعين أو كارهين بين أيديهم ؛ فن آداب الله تعالى للعبد التي يحق عليه أن يتخذها [آداباً] ويعملها إلى الرضا عنه سبباً ، قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره أن يجالس الرعية جلوساً عاماً ، وينظر في مطالبها نظراً تاماً ؛ ويساوى في الحق بين خاصها وعامها ، ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها ؛ وينصف المظلوم من ظالمه ، والمقصوب من غاصبه ؛ بعد الفحص والتأمل والبحث والتبين ،

(١) الزيادة عن "رسائل العباد المطبوعة ، والمثل السائر" وهي من سقط النسخ .

حَتَّى لَا يَنْحَكُمُ إِلَّا بَدَلٌ ، وَلَا يَنْطَلِقَ إِلَّا بِفَضْلٍ ، وَلَا يُنْبِتَ بَدَأُ إِلَّا فِيهَا وَجِبَ [تَنْبِئُهَا فِيهِ ، وَلَا يَقْبِضُهَا إِلَّا عَمَّا وَجِبَ] ^(١) قَبْضُهَا عَنْهُ ، وَأَنْ يُسَهِّلَ الْإِذْنَ لِمَجَاعَتِهِمْ ، وَيَرْفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَيُوَلِّهِمْ مِنْ حَصَانَةِ الْكَتْفِ ، وَلِيْنِ الْمُتَعَطِّفِ ، وَالْإِسْتِمَالِ وَالنِّسَايَةِ ، وَالصُّوْنِ وَالرَّعَايَةِ ، مَا تَعَادَلُ فِيهِ أَقْسَامُهُمْ ، وَتَتَوَازَنُ مِنْهُ أَقْسَامُهُمْ ، وَلَا يَصِلُ الْمَكِينُ مِنْهُمْ إِلَى اسْتِضَامَةٍ مِّنْ تَأْخَرَعِهِ ، وَلَا ذُو السُّلْطَانِ إِلَى هِزِيمَةٍ مِّنْ حَلِّ دُونِهِ . وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَحْسَنِ الْعَادَاتِ [وَالْخِلَاقِ] ^(٢) وَيُحْضِمْهُمْ عَلَى أَجْمَلِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرَائِقِ ، وَيَجْعَلَ عَنْهُمْ كَلَةً ، وَيَمْنَعَهُ عَلَيْهِمْ ظِلَّهُ ، وَلَا يُسَوِّمُهُمْ خَسْفًا ، وَلَا يُلْحِقَ بِهِمْ حَيْفًا ، وَلَا يَكْلِفُهُمْ شَطَطًا ، وَلَا يُحْشِشُهُمْ مُضْغِيلًا ، وَلَا يَسْلِمَ لَهُمْ مَعِيشَةً ، وَلَا يَدَاخِلُهُمْ فِي جَرِيمَةٍ ، وَلَا يَأْخُذَ بَرِيئًا مِنْهُمْ بِسَقِيمٍ ، وَلَا حَاضِرًا بِبَعِيدٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ نَهَى أَنْ تَزُولَ وَازِدَةٌ وَتَزُولَ أُخْرَى ، وَجَعَلَ كُلَّ نَفْسٍ رَهْنَةً بِمَكْسِبِهَا بِرِيْثَةٍ مِنْ مَكْسِبِ غَيْرِهَا . وَيَرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الرَّعِيَّةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ سُنُّ عَلَيْهَا مِنْ سُنَّةِ طَائِلَةٍ ، وَسَلِّكُهَا مِنْ مَحَبَّةٍ جَائِزَةٍ ، وَيَسْتَقْرِئَ آثَارَ الْوَلَاةِ قَبْلَهُ عَلَيْهَا ، فَمَا أَزْجُوهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَيْهَا : فَيُقَيِّزُ مِنْ ذَلِكَ مَا طَابَ وَحَسُنَ ، وَيُزِيلُ مَا خَبِثَ وَقَبِحَ : فَإِنَّ مِنْ يَفْرِسُ الْخَيْرَ يَحْطِيْ بِمَحْصُولِ ثَمَرِهِ ، وَمَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَصِلُ بِمَحْزُورِ رَيْعِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَنْصُرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُسْكُرُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَصُونَ أَمْوَالَ الْخَرَاجِ وَأَتِمَّانَ النَّفَلَاتِ ، وَوُجُوهَ الْحَيَايَاتِ ، مُؤَفَّرًا ، وَيَزِيدَ ذَلِكَ مُتَمَرًّا ، بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْإِنْصَافِ لِأَهْلِهَا ، وَإِحْرَاسِهِمْ عَلَى صَحِيحِ الرُّسُومِ فِيهَا : فَإِنَّهُ مَالُ اللَّهِ الَّذِي بِهِ قُوَّةُ عِبَادِهِ ، وَحَايَةُ بِلَادِهِ ، وَدُرُورُ حَلَبِهِ ، وَاتِّصَالُ

(١) الزيادة عن "رسائل الصائغ" المطبوعة و"المثل السائر" وهي من سقط النسخ .

(٢) كذلك في "المثل السائر" أيضا وفي "الرسائل" «في حرفه» .

مَدَدَه ؛ وَبِهِ يُحَاطُ الْحَرِيمُ ، وَيُدْفَعُ الْعَظِيمُ ؛ وَيُجْنَى النَّمَارُ ، وَتُقَادُّ الْأَشْرَارُ . وَأَنْ يَحْصَلَ
 آفَتَاكَ لِمَا هُيَئَلُكَ بِحَسَبِ [إِدْرَاكِ^(١)] أَصْنَافِهِ ، وَعِنْدَ حُضُورِ مَوَاقِفِهِ وَأَحْيَانِهِ ، غَيْرِ
 مُسْتَكِلِفٍ شَيْئًا قَبْلُهَا ، وَلَا مُؤَخَّرَ لَهَا عَنْهَا ؛ وَأَنْ يُحْصَى أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالسَّلَامَةِ بِالتَّرَفِّهِ
 لَهُمْ ، وَأَهْلُ الْإِسْتِصْمَابِ وَالْإِمْتِنَاعِ بِالتَّشَدُّدِ عَلَيْهِمْ : لِثَلَاثِ قَعٍ لِرَهَائِكُ الْمُنْعِنِ ، أَوْ إِهْمَالِ
 لَطَامِعٍ . وَعَلَى الْمُتَوَلَّى لَذَلِكَ أَنْ يَضَعَ كُلًّا مِنَ الْأَمْرِينِ مَوْضِعَهُ ، وَيُوقِعَهُ مَوْقِعَهُ ؛
 مُتَجَنِّبًا إِحْلَالَ الْغِلْظَةِ بِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ، وَإِعْطَاءَ الْقُسْعَةِ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ؛
 وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ
 الْجِزَاءَ الْأَوْفَى) .

وَأَمْرُهُ بَأَنْ يَتَغَيَّرَ عَمَلُهُ عَلَى الْأَعْشَارِ ، وَالْخَرَاجِ ، وَالضِّيَاعِ ، وَالْجَهْدَةِ ،
 وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْجَوَالِي ، مِنْ أَهْلِ الظُّلْفِ وَالزَّاهَةِ ، وَالضُّبُطِ وَالصِّيَانَةِ ، وَالْجِزَالَةِ
 وَالشَّهَامَةِ ؛ وَأَنْ يَسْتَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِوَصِيَّةِ يُوعِيهَا أَسْمَاعُهُمْ ، وَعُهُودِ يَقْلَعُهَا
 أَعْنَاقُهُمْ ؛ بَأَنْ لَا يُضَيِّعُوا حَقًّا ، وَلَا يَأْكُلُوا مِمَّا نَحْتًا ؛ وَلَا يَسْتَعْمِلُوا ظُلْمًا ، وَلَا يُهَارِقُوا
 غَشْمًا . وَأَنْ يُقِيمُوا الْيَمَارَاتِ ، وَيَحْتَاطُوا [عَلَى الثَّلَاثِ^(٢)] وَيَحْزَرُوا مِنْ تَرْكِ حَقٍّ لَا يَزِمُ
 أَوْ تَعْطِيلِ رَسْمٍ عَادِلٍ ؛ مُؤَدِّينَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْأَمَانَةِ ، بِحَتَيْنِ لِحَيَاتِهِ . وَأَنْ يَأْخُذُوا
 جِهَاتِهِمْ بِاسْتِيفَاءِ وَزَنِ الْمَالِ عَلَى تَمَامِهِ ، وَاسْتِعْجَادَةِ قَدِّهِ عَلَى عِيَارِهِ ؛ وَاسْتِعْمَالِ الصَّحَّةِ
 فِي قَبْضِ مَا يَقْبِضُونَ ، وَإِطْلَاقِ مَا يُطْلِقُونَ . وَأَنْ يُوعِزُوا إِلَى سَعَةِ الصَّدَقَاتِ بِأَخْذِ
 الْفَرَائِضِ مِنْ سَائِمَةِ مَوَاشِي الْمُسْلِمِينَ دُونَ عَامِلَتِهَا ، وَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ فِيهَا ؛ وَأَنْ لَا يَجْعَلُوا
 فِيهَا مَتَرَفًا وَلَا يَفْرُقُوا جَمْعَهَا ، وَلَا يَدْخُلُوا فِيهَا خَارِجًا عَنْهَا ، وَلَا يُضَيِّقُوا إِلَيْهَا مَا لَيْسَ

(١) مِنْ "الرِّسَالَةِ" ، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ "رِسَالَةِ الْعَابِي" الْمَطْبُوعَةِ .

منها : من قُلِّلَ إِبِلٍ أَوْ أَكُولَةٍ^(١) رَاع ، أَوْ عَقِيلَةٍ مَالٍ ، فَإِذَا أَجْتَبَوْهَا عَلَىٰ حَقِّهَا ، وَأَسْتَوْفَوْهَا عَلَىٰ رِسْمِهَا ، أَنْزَجُوهَا فِي سَبِيلِهَا ، وَقَسَمُوهَا عَلَىٰ أَهْلِهَا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ ، إِلَّا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمُ الَّذِينَ سَقَطَ عَنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَارِبِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . وَإِلَىٰ جِهَةِ [جَمَاجِمِ] أَهْلِ الذِّمَّةِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ فِي الْحَرَمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ [بِحَسَبِ] مَنَازِلِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ ، وَذَاتِ أَيْدِيهِمْ فِي الْأَمْوَالِ ، وَعَلَى الطَّبَقَاتِ الْمُطَبَّقَةِ فِيهَا ، وَالْحُسُودِ [الْمَحْدُودَةِ] الْمَهْمُودَةِ لَهَا ، وَأَنْ لَا يَأْخُذُوهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَا مِنْ لَمْ يَتَلَعَّ الْحُسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَلَا مِنْ ذِي سِنَّ عَالِيَةٍ ، وَلَا ذِي عِلَّةٍ بِأَدْبِهِ ، وَلَا فَعِيرٍ مُّعْدِمٍ ، وَلَا مَرْتَهَبٍ مُّتَبَلٍّ ، وَأَنْ يُرَاعَى جَمَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْعَمَلِ مِرَاعَاةً يُسَرِّهَا وَيُظَاهِرُهَا ، وَيُلَاحِظُهُمْ مَّلَاحِظَةً يُخَفِّفُهَا وَيُثَبِّلُهَا : لئَلَّا يَزُولُوا عَنِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، أَوْ يَدُلُّوا عَنِ السَّنَنِ الْأَحَبِّ ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَنْتَبِهُ لِمَرْضِ الرِّجَالِ وَإِعْطَانِهِمْ ، وَحِفْظِ جَرَائِئِهِمْ وَأَوْقَاتِ إِعْطَائِهِمْ ، مَنْ يَعْرِفُهُ بِالثَّقَةِ فِي مَتَصَرَّفِهِ ، وَالْأَمَانَةِ فَيَا يَجْرَىٰ عَلَىٰ يَدِهِ ، وَالْبَعْدَ مِنَ الْإِسْقَافِ إِلَى الدَّنْيَةِ ، وَالِاتِّبَاعَ لِلدَّعَاةِ ، وَأَنْ يَسَعَتْهُ عَلَى ضَبْطِ [حِلِّ] الرِّجَالِ وَشِيَاثِ الْخَلِيلِ ، وَتَجَنُّيدِ الْعَرَضِ بَعْدَ الْإِسْتِخْقَاقِ ، وَإِقَاعِ الْإِحْتِيَاطِ فِي الْإِفْخَاقِ ، فَمَنْ صَحَّ عَرَضُهُ وَلَمْ يَتَّقِ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْهُ : مِنْ شَكٍّ يَفْرِضُ لَهُ ، أَوْ رِيَّةٍ يَتَوَهَّمُهَا ، أَوْ أَمَالٍ مُّؤَفَّورَةٍ ، وَجَعَلَهَا فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرَ مَمْلُومَةٍ ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَىٰ بَيْتِ الْمَالِ أَرْزَاقًا مِنْ

(١) أَكُولَةٌ الرَّاغِي مَا يَسْنَأُ لِلاَّكْلِ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ "رَسَائِلِ الصَّالِحِينَ" الْمُطْبُوعَةِ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ "رَسَائِلِ الصَّالِحِينَ" .

سَقَطَ بِالْوَقَاةِ وَالْإِخْلَالِ ، نَاسِبًا ذَلِكَ إِلَى جِهَتِهِ ، وَمُورِدًا لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَأَنْ يَطْلُبَ
الرَّجَالُ بِإِحْضَارِ الْخَبْلِ الْمُخْتَارِ ، وَالْآلَاتِ الْمُسْتَكْمَلَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ مَبَالِغُ
أَرْزَاقِهِمْ ، وَحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ ؛ فَإِنْ أَثَرُ أَحَدِهِمْ شَيْطَانٌ مِنْ ذَلِكَ قَاصِدٌ بِهِ مِنْ
رِزْقِهِ ، وَأَغْرَمَهُ مِثْلَ قِيَمَتِهِ ؛ فَإِنَّ الْمُقْصَرِفِ حَاشَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَالَفَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ؛ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وأمره أن يستمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة والطُّرُز ، على من
تجتمع فيه آلات هذه الولايات : من نفة ودرابه ، وعلم وكفايه ، ومعرفة ودرابه ؛
وتجربة وحُكْمِهِ ، وَحَصَافَةِ وَسْكَه ؛ فَلِذَا أحوالُ تُضَارِعُ الْحُكْمَ وَتُنَاسِبُهُ ، وَتُنَازِلُهُ
وَتُقَارِبُهُ . وَإِنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى وِلَاةِ أسواق الرقيق بالحفظ فيمن يُطْلَقُونَ بَيْعَهُ ،
وَيُحْضَنُونَ أَمْرَهُ ، وَالتَّحَرُّزُ مِنْ وَقُوعِ تَجَوُّزِ فِيهِ ، وَإِهْمَالُ لَهُ ؛ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَائِدًا
بِخَصْمِ الْفُرُوجِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَنْسَابِ . وَأَنْ يَسْعِدُوا عَنْهُ أَهْلَ الرَّسِّ ، وَيُقَرِّبُوا أَهْلَ
الْعِفَّةِ ؛ وَلَا يُحْضُوا بَيْعًا عَلَى شُبْهِهِ ، وَلَا عَقْدًا عَلَى تُهْمِهِ . وَإِلَى وِلَاةِ الْعِيَارِ ، بِتَخْلِصِ
عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالْبِنَارِ : لِيَكُونَ مَضْرُوبِينَ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْفِشِّ ، وَالتَّرَاهَةِ مِنَ الْمَشِّ ؛
وَبِحَسَبِ الْإِمَامِ ، الْمُقَرَّرِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَحِرَاسَةِ السَّكِّكَ مِنْ أَنْ تَسْدَوْهَا الْأَيْدِي
الْمُدْغِلَةُ ، وَتُنَاقِلَهَا الْجَهَاتُ الظَّنِّيَّةُ ؛ وَإِثْبَاتِ أَسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا يُضْرَبُ مِنْهَا
ذَهَبًا وَفِضَّةً ، وَإِجْرَاءِ ذَلِكَ عَلَى الرَّسْمِ وَالسَّنَةِ . وَإِلَى وِلَاةِ الطُّرُزِ بَأَنْ يُجْرُوا الْإِسْتِمَالُ
فِي جَمِيعِ الْمَتَاعِ عَلَى أَمِّ النَّقِيعِ ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَأَحْكَمِ الصَّنْعَةِ ، وَأَفْضَلَ الصَّحَةِ ؛

(١) المش الخلط حتى يذوب . انظر القاموس

(٢) له من الماده في اللسان ج ١٧ ص ١٤٥ الفتن المادى لسوء ظنه وسوء الظن به .

وفي الأصل «التيه» وفي الأصل المنيه والصحيح من رسائل الصافي .

(٣) التيه الاسم من تنوق في الامر يلخا تأتي فيه .

وَأَنْ يُثَبِّتُوا أَسْمَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طَرُزِ الْكُتَا، وَالْفُرَشِ وَالْأَعْلَامِ وَالْبُنُودِ .
وَالْإِىَ وَلَاةِ الْحِسْبَةِ بِتَصَفِّحِ أَحْوَالِ الْعَوَالِ الْعَوَامِّ فِي حِرْمَتِهِمْ وَمَتَابِرِهِمْ ، وَجَمْعِ أَسْوَاقِهِمْ
وَمَعَامِلَاتِهِمْ ؛ وَأَنْ يُبَايَرُوا الْمَوَازِينَ وَالْمَكَايِيلَ ، وَفِرْزُوهَا عَلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّكْيِيلِ ؛
وَمَنْ أَطْلَعُوا مِنْهُ عَلَى حِيلَةٍ أَوْ تَلَيْسَ ، أَوْ غِيْلَةٍ أَوْ عَدْلَيْسَ ؛ أَوْ تَحَسَّسَ فِيهَا يَوْفِيهِ ،
أَوْ اسْتَغْضَالَ فِيهَا يَسْتَوْفِيهِ ، نَالُوهُ بِغِلْظِ الْعَقُوبَةِ وَعَظِيمِهَا ، وَخَصَّوهُ بِوَجْهِهَا
وَأَيْمِهَا ؛ وَاقْفَيْنَ بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي يَرُونَهُ لِنَبِيهِمْ مُجَازِيَا ، وَفِي تَأْيِيدِهِ كَافِيَا
فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلْأُطْلُفَيْنِ الَّذِينَ إِذَا أَتَاكَ النَّاسُ يَسْتَوْفُونَ
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

هَذَا عَهْدُ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ وَفَّقَكَ بِهِ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ،
وَأَرْشَدَكَ فِيهِ إِلَى وَاضِحِ الدَّلِيلِ ؛ وَأَوْسَعَكَ تَعْلِيمَا وَتَحْكِيمَا ، وَأَقْتَمَكَ تَعْرِيفَا ^(١) [وَتَقْهِمَا]
وَلَمْ يَأَلِكْ جُهِدَا فِيهَا عَصَمَكَ وَعَصَمَ عَلَى يَدِكَ ، وَلَمْ يَذْخَرْكَ مُمَكِّنَا فِيهَا أَصْلَحَ بِكَ
وَأَصْلَحَكَ ؛ وَلَا تَرَكَ لَكَ عُدْرًا فِي غِلْظِ تَغْلُظِهِ ، وَلَا طَرِيقًا إِلَى مُتَوَرِّطٍ تَتَوَرَّطُهُ ؛ بِالْفَأْ
بِكَ فِي الْأَوَامِرِ وَالزَّوَاجِرِ إِلَى حَيْثُ يُلْزَمُ الْأَمَّةُ أَنْ يَنْدُبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيُخَوِّمُوا عَلَيْهِ ،
مَقِيًّا لَكَ عَلَى مُنْجِيَّاتِ الْمَسَالِكِ ، صَارِقًا بِكَ عَنْ مُرِيدَاتِ الْمَهَالِكِ ؛ مُرِيدًا فِيكَ
مَا يُسَلِّمُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَيُؤَدُّ بِالْحَفَظِ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ وَأَوَّلَاكَ ؛ فَإِنْ أَعْدَلْتَ
وَعَدَلْتَ فَقَدْ قُرُبْتَ وَغَشِمْتَ ، وَإِنْ تَجَانَفْتَ وَأَعْوَجَجْتَ فَقَدْ خَسِرْتَ وَنَدِمْتَ ؛
وَالْأَوَّلَى بِكَ عِنْدَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ مَقَرِّسِكَ الزَّاكِي ، وَمَتْنَيْكَ النَّاسِي ، وَعُودِكَ الْأَنْجَبِ ،
وَعُصْمَتِكَ الْأَطِيبِ ، أَنْ تَكُونَ لَفْظُهُ بِكَ مُحَقَّقًا ، وَلَيْغَلِيثُهُ فِيكَ مُصَدَّقًا ؛ وَأَنْ تَسْتَرِيدَ
بِالْأَثَرِ الْجَمِيلِ قُرْبًا [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ^(١) وَثَوَابًا يَوْمَ الدِّينِ ؛ وَزُلْفَى عِنْدَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

وشاء حسناً من المسلمين ؛ فخذ ما نبتد إليك أمير المؤمنين من معاذيره ، وأمسك بيدك على ما أعطى من موافيقه ؛ وأجعل عهده [هذا] ^(١) مثلاً تحتديه ، وإماماً تقتفيه ؛ وأستعين بالله يمينك ، وأستهديه يديك ، وأخلص إليه في طاعته ، يخلص لك الحظ من معونته ؛ ومهما أشكل عليك من خطب ، أو أعضل عليك من صعب ؛ أو بهرك من باهر ، أو بهظك من باهظ ؛ فاكُتِبْ إلى أمير المؤمنين به منها ، وكن إلى ما يرد [من جوابه] ^(١) عليك مُتَّهياً ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم الأحد ثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة ^(١)] .



وعلى هذا الأسلوب كتب أمين الدين أبو سعيد ، العلاء بن وهب بن موصلاً عن القائم بأمر الله عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، بسُلطنة الأندلس وبلاد المغرب ، بعد العشرين والأربعمائة ، فيما رأيته في ترسل ابن موصلاً المذكور .

وهذه نسخته بعد البسملة الشريفة :

هذا ما عهد عبد الله ووليه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان حين أتته إلى ما هو عليه من أذراع جلايب الرقاد ، في الإصدار والإيراد ؛ وأتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد ؛ والتخصيص من حميد الأنحاء والمذاهب ، بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب ؛ والصلى من السداد

الكامل ، بما ناز فيه بامتطاء الغارب من الجمال والكاهل ؛ وأنفصح ماهو منشئت به من محبة الدين واليقين ، والمواظبة من اكتساب رضا الله تعالى على ماهو أقوى الظهير والمدين ؛ في ضمن ماطوى عليه صلوة ، وأدام لهجه به وولوعه : من مראה لأمير المؤمنين يدن الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحكام سعيها ؛ ومشايعة لدولته ساوى فيها بين مألظهر وأسر ، وأمل في آجاء ثمرها كل ما أتهج وسر ، فولاة الصلاة بأعمال المغرب ، والمعاون ، والأحداث ، والخراج ، والضياغ ، والأشعار ، والجهنفة ، والصدقات ، والبحرالى ، وسائر وجوه الحبايات ، والعرض ، والعزاء ، والنفقة في الأولياء ، والمظالم ، وأسواق الرقيق ، والعيارى في دور الضرب ، والطرز ، والحسبة ، ببلاد كذا وكذا : سكونا إلى استئلاله بأفهام ما استكفاه إياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب رياه ، وثقة بكونه للصنيعة أهلا ، وبأفهام الطاعة الإمامية مستظلا ؛ وتوفيرة على ما يزيد بحضرة أمير المؤمنين خطوة ترد باع الخطوب عنه قصيرا ، وتمد مقاصده من التوفيق بما يصحى له في كل حالة نصيرا ، وعلمنا بما في أصطناعه من مصلحة تستدبر أهلها ، وتستدبر من شبه النتي شواهدنا وأدلتها ؛ والله تعالى يصل مرامى أمير المؤمنين بالإصابة ، ويعينه على ما يهر كل أمرئ في حقته ويحلله نصابه ؛ ويحسن له الخطرة في كل ما يفسد له منضيا ، ولطفا بالإجتهاد في فعله منضيا ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه يُنسب .

وأمره بأعتماد تقوى الله تعالى في الإعلان والإسرار ، واعتقاد الواجب من الإذعان بفضلها والإقرار ، وأن يأوى منها إلى أمتع المعاقل وأحصنها ، ويأوى عنان

الهدى فيها إلى أجل المقاصد وأحسنها ؛ ويعملها عمدته يوم تعدم الأنصار ،
وتشخص الأبطال ؛ ليحتج من تمرها ما يقيه مصارع التجل ، ويعتلي من مطالعها
ما يؤمنه من طوارق الوجل ؛ ويرد بها من رضا الله تعالى أصفى المشارب ، ويبد
فيها من ضوال المني أنفس المواهب : فلها أنى الزاد ، وأدعى فى كل أمر إلى ورى
الزاد ؛ وقد خص الله بها المؤمنين من عباده ، وحض منها على ما هو أفضل علة المراء
وعتاده ؛ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره أن ياتم بكتاب الله تعالى مستضيئاً بمصباحه ، مستضيئاً لسُلطان النور
بالوقوف عند محطوره ومباحه ؛ ويقصد الاستبصار بمواعظه وحكمه ، والاستندار
لصوب التوفيق فى الرجوع إلى متقنه ومحكمه ؛ ويعمله أميراً على هواه مطاعاً ، وسعيماً
لا يرى أن يكشف عنه قناعاً ؛ ودليلاً إلى النجاة من كل ما يخاف أمانه ، وسبيلاً
إلى الفوز فى اليوم الذى يسفر عن فصل الحساب لئانه ؛ ويحقق موقع الحفظ
فى إدامة درسه ، وصلته يومه فى التأمل بأمره ؛ فإنه يبدى طريق الرشد لكل مبدئ
فى العمل به مبيد : ﴿ وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يحافظ على الصلوات قائماً بشروطها وحدودها ، وشاملاً بروق التوفيق
فى أداء فروضها وحقوقها ؛ ومسارعاً إليها فى أوقاتها بنية عاتية متاهل الكد والرقى ،
عارية بما فى إخلاصها من نصرة الهدى وطاعة الحق ؛ وموقفاً عليها من ذهنه ،
مالحظ كامن فى طيه وضممه ؛ وموقفاً لها من الركون والسجود ، مالم رشاد فيه صادق
الدلائل والشهود ؛ متجنباً أن يلغيه عنها من هواجس الأمكار ، ووسلوس القلب

الْمُؤْنِ مِنْهَا وَالْأَبْكَارُ، مَا قَفَّ فِيهِ مَوْقِفُ الْمُقَصِّرِ الْغَالِطِ، وَيَنْزِلُ فِيهِ مَثَرَةٌ لِلْوَاحِدِ لِلتَّعْمِ الْغَالِطِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا وَقَرَضَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْجَبَهَا وَحَثَّ مِنْ إِقَامَتِهَا، عَلَى مَا يَفِضُ إِلَى صَلَاحِ الْمَقَاصِدِ وَأَسْقَمَتِهَا، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾.

وأمره بالسَّعْيِ فِي أَيَّامِ الْجَمْعِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ، وَفِي الْأَعْيَادِ إِلَى الْمُصَلَّاتِ الضَّاحِيَةِ، بَعْدَ أَنْ يَتَقَدَّمَ فِي عِمَارَتِهَا، وَإِعْدَادِ الْكِسْوَةِ لَهَا، بِمَا يُؤَدِّي إِلَى كَمَالِ حِلَّاهَا، وَيُحْطَى مِنْ حُسْنِ الذِّكْرِ بِاعْتِبَارِ الْمَوَارِدِ وَأَحْلَاهَا، وَيُوعِزُّ بِالْاِسْتِكْثَارِ مِنَ الْمَكْرَبِينَ فِيهَا وَالْقَوَامِ، وَتَرْتِيبِ الْمَصَابِيحِ الْعَائِدَةِ عَلَى شَتَلِ بَحَالِهَا بِالْاِسْتِثْقَاءِ وَالْاِتِّخَافِ: فَإِنَّهَا يُبَوِّتُ اللَّهُ تَعَالَى الَّتِي تُتْلَى بِهَا آيَاتُهُ، وَتُتْلَى فِيهَا أَعْلَامُ الشَّرْعِ وَرَايَاتُهُ. وَأَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى مَنَابِرِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْلَى عَهْدُهُ الْعُنَّةَ لِلدِّينِ، أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَآبِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْإِمْتَاعَ، وَأَحْسَنَ عَنْ سَاحَةِ الدَّفَاعِ، ثُمَّ لَنَفْسِهِ جَارِيًا فِي ذَلِكَ عَلَى مَا أُلْفَ مِنْ مَثَلِهِ، وَسَلَكَ مِنْهُ أَقْوَمَ مَسَالِكِ الْإِهْتِدَاءِ وَسُبُلِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي عِمَارَتِهَا مِنْ دَلَائِلِ الْإِيمَانِ، وَالْفَوْزِ بِمَا يُعْطَى مِنْ مَحْنَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْتَقَ الْأَمَانَ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَسَيُؤْتِكُ اللَّهُ أَجْرَهُ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. وَقَالَ فِي الْحَثِّ عَلَى السَّعْيِ إِلَى الْجَوَامِعِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ، وَيُظْهِرُ عَلَيْهَا مَنَارَ الْإِسْلَامِ وَرَثَمُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

وأمره أَنْ يَعْتَمِدَ فِي إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَهَدَى مِنْهُ إِلَى أَرْشَادٍ فَصِيلٍ وَأَصُولٍ، وَيَقْوَمُ بِذَلِكَ الْقِيَامَ الَّذِي يُحْظِيهِ بِجَمِيلِ الذِّكْرِ، وَجَرِيلِ الْأَجْرِ،

ويشهد له بزكاء المغرس وطيب التجر؛ ويقصد في أداء الواجب منه ما يصل أمسه في التوفيق بيومه، ويطلق الألسنة بجمده ويكفها عن لومه؛ متجنباً من إخلال بما نص عليه في هذا الباب، أو إهمال فيه لما يليق بذي الديانة وأولى الألباب؛ ومتوخياً في المسارعة إليه ما يظهريه من الأذناس، ويتوقره حسن الأخذوة عنه بين الناس؛ فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لا سبيل إلى التحيد عنها، ولا دليل في الفوز أوفى منها؛ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها من أمته، وإبان عن كونها مما يختص كل مرغوب فيه من تمرته؛ ووصل الأمر له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله؛ لما فيه من الحظ الكامل في استدارة غمره ومجوله، في قوله سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وأمره أن يهذب من الدنس خلالة، ويصل بأقواله في الخير أفعاله؛ ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل، ويتبع سنن المتقي بالهدى المستظل؛ ويقبض يده عن كل محرّم توثق أشراكه وتوثق غوائله، وتؤذنب بسوء المنقلب شواهدُه ودلائله؛ ويعمل له من تهاره رقيياً على نفسه يصونها عن مرائع التي ومطاريحه، وأميناً يصد عن مسارب الإنم ومسارحه؛ فإنها لا تزال أمانة بالسوء إن لم تعد إلى جدد الرشد، وتقم لها سوق من الوعظ يبلغ فيها أقصى الغاية والأمد؛ فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وازعا، وأضحى عليها بلوم يتدوم معه عن كل ما يخطئ الله تعالى نازعا، وأن يتتره عن التي عما هو له مرتكب، والأمر بما هو له محتجب؛ إذ كان ذلك بالهجنة حالياً، وبين المرء وبين مقاصد هديه حاللاً، قال الله تعالى: ﴿ اتَّامِرُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسْؤُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثَلَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره أن يُضَيَّعَ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُنُودِهِ، أَصْنَفَ جَلَابِيبِ
 الإحسان وَبُرُودِهِ ؛ وَيُخَصِّمُ مِنْ جَزِيلِ جِبَائِهِ بِمَا يَصْلُحُونَ مِنْهُ إِلَى أَعْيَدِ الْمَدَى ،
 وَيُمْلِكُونَ بِهِ نَوَاصِيَ الْأَمَالِ وَيَذَرُوكُنْ قَوَاصِيَ الْمُنَى ؛ وَيُمَيِّزُ مَنْ أَدَّى وَاجِبَهُ فِي الطَّاعَةِ
 وَفَرَضَهُ وَأَبْدَى صَفْحَتَهُ فِي الْفَنَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِسْتِمَالِ يُهَيِّفُ بِصَبْرَةٍ كُلَّ مِنْهُمْ
 فِي التَّوَفُّرِ عَلَى مَا وَاقَعَهُ ، وَوَصَلَ بَأَنَّهُ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سَائِقَهُ ، وَيَدْعُو الْمُقَصِّرَ إِلَى
 الْإِسْتِبْصَارِ فِي اعْتِمَادِ مَا يُلْحَقُ فِيهِ رَتْبُهُ مِنْ فَازَتِ فِي الْحَقْلَةِ قِدَاحُهُ ، وَفَاتَتْ الْوَصْفَ
 غُرْرُهُ فِي الزُّلْفَةِ وَأَوْضَاحُهُ : لِيَمْرَحَ بِهِ فِي الْإِغْتِزَاءِ بِلَبَانِ النِّعَمِ ، كَمَا أَتَهَجَّ جَدَدُهُ
 فِي إِحْسَانِ الْخِدْمَةِ . وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى آرَاءِ ذَوِي الْحَنَكَةِ مِنْهُمْ مُسْتَضِيئًا بِهَا مُسْتَشْرِدًا ،
 وَطَالِبًا ضَوَالَّ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ وَمُنْشِدًا ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَ الْمَشُورَةِ الَّتِي جَعَلَهَا لِلْأَبَابِ
 لِقَاحًا ، وَفِي حَدَادِسِ الشُّكُوكِ مِصْبَاحًا ؛ حَيْثُ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا .
 وَبَعَثَهُ مِنْهَا عَلَى أَسَدِّ الْأَفْعَالِ وَأَصَوْبِهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
 عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وأمره أن يَبْدَلَ فِي الرِّعَايَا قِبْلَهُ ، وَيُجِلِّمُ مِنَ الْأَمْنِ هَضْبَهُ وَقُلْلَهُ ؛ وَيَمَحُضُهُمْ مِنْ
 الْإِسْتِمَالِ ، مَا يَجْعِي بِهِ أُمُورُهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَالِ ، وَيَحْوِي بِهِ مِنْ طَيْبِ الذِّكْرِ بِحَسَبِ
 مَا آكْتَسَبَ مِنْ رِضَى الْأَنْهَاءِ وَالْخِلَالِ ؛ وَيُضَيِّعُ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْهُمْ وَالْمُعَاهِدِ مِنْ ظِلِّ
 رِعَايَتِهِ مَا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الْقَوَى وَالضَّعِيفِ ، وَيُلْحِقُ التَّلِيدَ مِنْهُمْ بِالطَّرِيفِ : لِيَكُونَ
 الْكُلُّ وَادِعِينَ فِي كَنْفِ الصُّونِ ، رَاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِمْدَادِهِمُ بِالْتَوْفِيقِ وَحُسْنِ
 الطَّاعَةِ وَالْعَوْنِ . وَأَنْ يَنْظُرَ فِي مَقَالِمِهِمْ نَظْرًا يَنْصُرُ الْحَقَّ فِيهِ ، وَيَنْشُرَ عِلْمَ الْعَدْلِ
 فِي مَقَالِمِهِ ؛ وَيُنِصِّفَ مَعَهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيُنِصِّبُ بِهِ لِمَنْ مِنْ أَهْلِيائِهِ أَسْنَى^(١)
 قِسْمٍ وَحَقًّا ؛ مُلَيِّنًا لِمَنْ فِي ذَلِكَ جَانِبَهُ ، وَمُيَسِّنًا مَا يَظَلُّ بِهِ كَلِيبُ الْأَجْرِ وَجَالِبِهِ ؛

(١) يُقَالُ أَضْبَعُ جَعَلَ لَهُ نَصِيبًا . انظر اللسان والقاموس .

ويزيل عنهم مآثره ظلمة الغلمان بتلك الأعمال، ويدل من تلك الحال باستئناف ما يؤطتهم كواهل الآمال؛ جامعاً لهم بين العدل والإحسان، وجاعلاً أمر الله تعالى في ذلك ملتقى بالطاعة الواضحة الدليل والبرهان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنِ اتَّخَذَ اللَّهُ مِثْرًا لِّلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وأمره بأن يكون بالمعروف أمراً، وعن المنكر زاجراً، وفيه تعالى في إحياء الحق وإماتة الباطل مثلاً. وأن يشد من الساعين في ذلك والداعين إليه، وبعد القيام بهذه الحال من أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى يوم العرض عليه. ويتقدم بتعطيل ما في أعماله من المواخير ودخضها، وإزالة آثارها ونحوها؛ فلها مواطن بالمخازي آسلة، ومن مشارب المعاصي ناهلة؛ قد أسست على غير التقوى مبانيها؛ وأُخليت من كل ما يرضى الله تعالى مغانيها؛ وقد أبان الله تعالى عن فضل الطائفة التي ظلت بالمعروف أمرة وعن المنكر ناهية، وضمت بما ترى فيه عن مقاصد الخير ذاهلة لاهية، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .

وأمره أن يرتب لحماية الطرقات من يجمع إلى الصرامة والشهامة، سلوك حجاج الرشاد والإستقامة؛ ويعمل التعفف عن دميم المراتع شاهداً بتوفيق الله لماءه، وعائداً عليه بما تُحمد مغبته وعُقباه؛ ويأمر بحفظ السابلة، وأختصاصهم بالحراسة السائنة الشاملة؛ وحماية القوافل واردةً وصادرةً، وأعتادها بما تشدو به إلى السلامة مفضية صائره: لتُحرس الدماء مما يُبيحها ويريقها، والأموال مما يُقصد فيه سبيل الإصاعة وطريقها. وأن يحذوهم نتائج التقصير، ويعرفهم نتائج التبصير؛ وأن عليهم

رُقْبَاءَ يَلْحَظُونَ أُمُورَهُمْ وَيُوصَحُّونَهَا : لِيَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى التَّحَوُّطِ وَالتَّحَرُّزِ ،
وَأَعْتَادِ الْمِيلَ إِلَى جَانِبِ الصَّحَّةِ وَالتَّحِيُّزِ ؛ وَيُوجِبَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا يَكُنِي أَمْتَالُهُمْ مِثْلُهُ ،
وَيَكْفُفَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْاِمْتِدَادِ إِلَى مَا تَدْمُ مِثْلَهُ ؛ فَإِنْ أَخْلَ أَحَدُهُمْ بِمَا حُدَّ لَهُ ،
أَوْ مَزَجَ بِالشَّوْءِ عَمَلَهُ ، جَزَاهُ بِحَسَبِ ذَلِكَ وَمُوجِبِهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا يَجْزِهِ ﴾ .

وأمره أن يتقدم إلى تَوَابِهِ فِي الْأَعْمَالِ بَوَاضِعِ الرَّصْدِ عَلَى مَنْ يَخْتَارُهَا مِنَ الْعَبِيدِ
الْأَبَاقِ ، وَالْاِسْتَظْهَارِ عَلَيْهِمْ بِحَسَبِ الْعَدْلِ وَالْاِسْتِحْقَاقِ ؛ وَأَسْتِعْلَامِ أَمَاكِينِهِمُ الَّتِي
فَصَّلَوْا عَنْهَا ، وَمَوَاطِنِهِمُ الَّتِي بَعُدُوا مِنْهَا ؛ فَإِذَا وَصَحَتْ أَحْوَالُهُمْ وَبَانَتْ ، وَانْحَسَمَتْ
الشُّكُوكُ فِي بَابِهِمْ وَزَالَتْ ، أَعَادُوهُمْ إِلَى مَوَالِيهِمْ أَوْ أَمْ شَاءُوا ، وَأَصْفَوْا نِيَّاتِهِمْ
فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ أَمْ شَاءُوا . وَإِنْ يَقْصِدُوا إِشَادَ الضُّوَالِ ، وَيَحْتَدُّوا مِنْ إظهارِ أَمْرٍهَا
بِمَا يَنْتَبِهُ جَمَالُ الذِّكْرِ فِي الظَّلَالِ ؛ وَيَتَجَنَّبُوا أَنْ يَمْتَنُوا ظُهُورَهَا بِجَالِ ، أَوْ يَمْدُوا
أَيْدِيَهُمْ إِلَى مَنَافِعِهَا فِي إِسْرَارٍ وَإِعْلَانٍ ؛ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَرْبَابُهَا سَلِمَتْ إِلَيْهِمُ النَّعَوَاتُ
وَالْأَوْصَافُ ، وَأُجْرِيَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا بَضَحِي بِهِ عِلْمُ الْعَدْلِ تَعَالَى الْمَنَاسِرَ حَالِي
الْأَعْطَافِ ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِإِدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَهَدَى مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَوْضَحِ
حَاجِّ الصَّحَّةِ وَسُبُلِهَا ، فَقَالَ : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ بِأَمْرٍ كُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ .

وأمره أن يختار للنظر في المعاون والأجلاب من يرجع إلى دين يحميه من مَهَاوِي
الرَّوَالِ وَصَلَفٍ عَنِ مَدِّ الْيَدِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَطَامِعِ ، وَكَلَفٍ بِمَا يُوَدُّ عَلَى مَا كَلَّفَ إِيَّاهُ
بِصَلَاحٍ مُشْرِقٍ الْمَطَالِعِ ، وَمَعْرِفَةٍ بِمَا وَكَّلَ إِلَيْهِ كَافِيَةٍ وَإِفِيَةٍ ، وَلِذَا يُوجِبُ الْاِسْتِرَادَةَ لَهُ

(١) لعله بالظا. المشالة بمعنى الكف . تأمل .

(٢) لعله الاستزاء أى الزاية طيه والتهاون به .

ماحية نأفيه ؛ ويوعز إليهم بالتشمير في طلب الدمار ، من جميع الأماكن والأقطار ،
وحسب مواد العار في بايهم والمضار . وأن يعضوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم
في الضلال ، وتجرى أمورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام ، ممنعين
أن يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في عمله ، ويحانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن
شهدت آثاره بذيهم سبله ؛ وإذا وقع الظفر بيجاب قد كشف في التقي قناعه ،
وأظهرت مساعيه إياه من إجابة داعي الرشد وأمتناعه ؛ أقيم حد الله تعالى فيه
من غير تمدد للواجب ، ولا تفر من ملابس السالكين للجدد اللائح ، (ومن يتعد
حدود الله فأولئك هم الظالمون) .

وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون بأن يسدوا من القضاة والحكام ، ويحددوا
في إجراء أمورهم على أوقاف شروط الضبط والإقدام ؛ ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ
أحكامهم وإمضاها ، والمسارة إلى حث مطايا التشمير في ذلك وإنضائها ؛
والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخصوم إذا ما امتنعوا ، وسوقهم إلى الواجب
إذا زاغوا عنه وأخرفوا . وأن يتقدم بإمداد ثمال الخراج بما يؤدي إلى قوة أيديهم
في استيفاء مال التقي وأجنبائه ، وأعتاد ما ينصر الحقوق في مطاويه وأثنائه ؛ إذ كان
في ذلك من الصلاح الجامع ، وكف المضار وحسب المطامع ، ما للمؤنة عليه واجبه ،
وللتوفيق مقارنته مصاحبه ، قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان وأتقوا الله إن الله شديد العقاب) .

وأمره برض من نضمه الجبوس من أهل الجرائم والجرائز ، وتأمل أحوالهم
في الموارد والمصادر ؛ والرؤجوع إلى متولى الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب
في حسبه ، والتميين من ذلك على ما يعرف به صحة الأمر من لئسه ؛ فمن ألغى منهم

للدُّنُوبِ أَلْفَا، وَمَنْ سَنَّ الصَّوَابَ مُنْجِرِفًا، تَرِكَ بِجَاهِهِ، وَكُفَّ بِإِطَالَةِ أَعْيَالِهِ،
 عَنْ جَمَالِهِ فِي مَيَادِينِ ضَلَالِهِ؛ وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، أَقِمَّ فِيهِ بِحَسَبِ
 مَا يَحْتَضِيهِ الْحَقُّ؛ وَمَنْ أَعْتَرَضَتْ فِي بَابِهِ شُبْهَةٌ تُجَوِّزُ إِسْقَاطَ الْحَدِّ عَنْهُ وَدَرَاهُ، أَعْتَمَدَ
 إلَاحَاقَهُ فِي ذَلِكَ بِمَنْ آتَمَلَ إِلَيْهِ صَوْبَ الْإِحْسَانِ وَدَرَهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُرمٌ وَتَقْلَهُرُ
 حِجَّةٌ شَاهِدُهُ وَدَلِيلُهُ، قَدَّمَ الْأَمْرَ فِي إِطْلَاقِهِ وَتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ؛ وَإِنْ عَدَا لِأَحَدِهِمْ سَمِيٌّ
 فِي الْفَسَادِ وَاصْخَرَّ وَبَانَ، وَغَوَى بِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْحَقِّ وَخَانَ، قُوبِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
 فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
 فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
 ذَلِكَ لِمَنْ خَرَضَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاخْتِيَارِ الْمَرْتَبِ لِلْعَرَضِ وَالْعَطَاءِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْأَوَّلِيَاءِ؛ مِنْ دَوَى الْمَعْرِفَةِ
 وَالْبَصِيرَةِ، وَالْمَشْهُورِينَ فِي الْعَقَّةِ بِسَاوِي الْعِلَاقَةِ وَالسَّرِيرَةِ؛ وَمَنْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
 جَبْدَهُ، وَأَعْتَصَدَ بِطَرِيقِهِ فِي الرُّشَادِ تَلِيدَهُ؛ وَكَانَ بِمَا يُسْنَدُ إِلَيْهِ قَبِيًّا، وَفِي مَقَرِّ
 الْكَفَايَةِ ثَلَاثًا مُخَيًّا . وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِضَبْطِ حِلِّ الرِّجَالِ وَشِيَابِ الْخُيُولِ، وَأَنْ يَقْصِدَ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَرَضِ مَا يَشْهَدُ بِالْإِحْتِيَاطِ السَّائِغِ الْأَهْدَابِ وَالذُّيُولِ؛ فَإِذَا
 وَضَعَ وَجْهَ الْإِطْلَاقِ، وَسَلَّمَ مَالَهُ الْإِسْتِحْقَاقَ؛ كَانَتْ التَّفَرُّقَةُ عَلَى قَدْرِ الْمَنَازِلِ فِي التَّقْدِيمِ
 وَالتَّأخِيرِ، وَبِحَسَبِ الْجَرَائِدِ الَّتِي تُتَلَّى عَلَى الصَّفِيرِ مِنْ ذَلِكَ وَالْكَثِيرِ؛ وَمَتَى طَرَقَ
 أَحَدُهُمْ مَا هُوَ مُحْتَوَمٌ عَلَى حَقِّهِ، أَعَادَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ رِزْقِهِ بِقَدْرِ قِسْطِهِ وَحَقِّهِ .
 وَأَنْ يُلْزِمَهُمْ إِحْضَارُ جِيَادِ الْخُيُولِ وَخِيَارِ الشُّكُوكِ، وَيَأْخُذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْضَعِ مَتَاجِجِ
 الْمَرْءِ الطَّرِيقِ فِيهِ وَسَلَكِ؛ فَإِنْ أَخْلَ أَحَدُهُمْ بِمَا يُلْزِمُهُ الْبُرُوزُ فِيهِ يَوْمَ الْعَرَضِ،
 أَوْ قَصَرَ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ الْفَرَضُ؛ حَاسَبَهُ بِذَلِكَ مِنَ الثَّابِتِ بِاسْمِهِ، وَالْمُطْلَاقِ

برسمه ؛ تنبها له على تلافي الفارط ، وتبصيرا لغيره في البعد عن مقام الخطيئ الغالط ؛
إذ كان في قوتهم وكال عدتهم إرهاب للأعداء والأضداد ، وإرهاب للبصائر فيا يؤدى
إلى المصالح الوافية الأعداد والأمداد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرِيدُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وأمره باختيار عمال الخراج ، والضباع ، والأعشار ، والجهدة ، والصدقات ،
والجوالى ؛ وأن يكونوا محتضنين من الأمانة والكفاية بما يقع الاشتراك في علمه ،
ومتقصبين من ملابس العفة والدرابة مأمحمد العواقب في ضفته ، ومتميزين بما
يُفنيهم عن الأفكار بتأنيج الأتماظ والإعتبار ؛ ويفريهم بالاستمرار على السنن المنجى
لهم من مواقف التنصل والإعتذار . وأن يأمر عمال الخراج ببجاية الأموال ، على
أجل الوجوه والأحوال ؛ سالكين في ذلك جددا وسطا ، يتجى من مقام من صُف
في الاستخراج أوسطا . و [أن يتقدم] إلى الناظرين في الضباع بتوفية العارة حقها
والزراعة حنّها ، والتوفير من حفظ الغلات الحاصلة على ما يقتضى فيه أرشد المذاهب
وأستها ؛ متحزين من أمر ينسبون فيه إلى العجز وإلحانة ، فكل من الحالين مجز
في وضوح أدلة الفساد ومجز . وإلى الجهابذة بقصد الصحة في القبض والتفويض ،
وحفظ النقد من التدليس والتليس ؛ أداء للأمانة في ذلك ، وأهتداء فيه إلى أقوم
المسالك . وإلى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من مواشى المسلمين السائمة دون
العامله ، والبحرى في ذلك على السنة الكاسية للخدمة الوافية الكلمة ؛ متجنيين
من أخذ حقل الإبل وأكولة الراعى ، وعقائل الأموال المحظورة على سائر الأسباب
والدواعى ؛ فإذا استوفيت على المخلود من حقها ، أخرجت في المنصوص عليه من
وجوهها وسبلها . وإلى جبّة بجامح أهل الذمة بأخذ الجزية منهم في كل سنة ، على
قدر ذات أيديهم في الضيق والسعة ، وبحسب العادة المألوفة التبعه ؛ متبعين من

مُطَالِبَةُ النِّسْوَانِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ مِنَ الرِّجَالِ وَمَنْ عَلَتْ سِنُهُ عَنِ الْإِكْتِسَابِ وَتَبَيَّلَ مِنَ الرُّهْبَانِ، وَمَنْ غَدَا قَفْرَهُ وَاجْتَمَعَ الدَّبْلِيلُ وَالْبُرْهَانُ، وَفَاءً بِالْمَهْدِ الْمُسْتَوْلِ، وَتَقَبُّلاً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَبُولِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَ الْمَظَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّقِيِّ وَدُورِ الضَّرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحِسْبَةِ إِلَى مَنْ عَصَدَ بِالْغُلْفِ الْوَرَعِ، وَأَنْتَظِمَ لَهُ شَمْلُ الْهَدْيِ وَاجْتَمَعَ : فَكَانَ ذَا مَعْرِفَةٍ بِمَا يَحْرُمُ وَيَحِلُّ ، وَبَصِيرَةٍ بِتَقْيَا بِهَا مِنْ عَوَارِضِ الشُّبْهِ وَيَسْتَظِلُّ ، وَأَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي ذَلِكَ مُضَاهِيًا لِحُكْمِ مَلَائِكَا، وَلَنْ يَقُومَ بِهِ إِلَّا مَنْ لَا يَرَى عَاذِلًا لَهُ فِي فِعْلِهِ لَا يَمَّا، وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ عَلَى الْمَظَالِمِ بِسَمِيلِ الْإِذْنِ لِلْفُضُومِ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ ، وَتَمَكِّنَ كُلَّ مِنْهُمْ مِنْ اسْتِيفَاءِ الْحِجَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى قَصْرِ مَا يَنْتَهَمُ بِحَسَبِ مَا يُؤَوِّدُ أَلْقَى إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَحْصِدَ فِيهَا وَقَعَ الْخُلُفُ مَعَهُمْ فِيهِ، الْكَشَفَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ وَيَسْتَوْفِيهِ ؛ فَإِنْ وَصَحَ لَهُ الْحَقُّ أَنْفُسَهُ وَقَطَعَ بِهِ ، وَإِلَّا رَدَّهُمْ إِلَى مَجَالِسِ الْقَضَاءِ لِإِمضاءِ ذَلِكَ عَلَى مَقْتَضَى الشَّرْعِ وَمُوجِبِهِ . وَإِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ فِي أَسْوَاقِ الرِّقِيِّ بِالتَّحْقُظِ فِيهَا يُتَابَعُ وَيُسَاعَدُ ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ فِي ذَلِكَ الْاِقْتِفَاءَ لِلْسَّنَنِ الْجَمِيلِ وَالِإِتِّبَاعَ : لِيُؤْمِنَ أَخْتِلَاطُ الْحَزْ بِالْعَبْدِ، وَتُحَرِّسَ الْأَنْسَابُ مِنَ الْقَدَحِ وَالْفُرُوجِ مِنَ الْفَضْبِ ؛ فِي ضَمْنِ حِفْظِ الْأَمْوَالِ، وَالْمَنْعِ مِنْ مَرْجِ الْحَرَامِ بِالْحَلَالِ . وَإِلَى وَلَاءِ الْعِيَارِ بِتَضْفِيفَةِ مِيزِ الدَّرْهِمِ وَالذَّنَّارِ مِنَ النَّشْرِ وَالْإِدْغَالِ ؛ وَصَوْنِ السَّكِّ مِنْ تَدَاوُلِ الْأَيْدِي الْغَرِيبَةِ لَهَا بِمَجَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ مُحَذَّرِينَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِمَا رُبَّمَا وَصَحَّ الْفُسَادُ فِيهِ عِنْدَ الْاِئْتِبَارِ ، وَمَا نَعِينَ التَّجَارِ الْمُخْصُوصِينَ بِالْإِيرَادِ ، مِنْ كُلِّ قَوِيٍّ مَخَالِفٍ لِلْإِيشَارِ فِي الصَّحَّةِ وَالْمُرَادِ ؛ وَمُعْتَمِدِينَ لِإِحْرَاءِ الْأَمْرِ فِيهَا بِطَبْعِ عَلَى الْقَانُونِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ لِمُسْتَقَرِّ الْقَاعَادَةِ فِي ذَلِكَ وَمُنْتَسِقِ النِّظَامِ ؛ وَأَنْ يَتَبَيَّنَ ذِكْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلِيِّ عَهْدِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ ؛

(١) فِي الْلسَانِ "فَاءُ الْفَاءِ نَحْوَلٍ وَتَعْنِي فِيهِ تَطَالٌ" .

على ما يضرب من الصّفين معا ، والمُسارعة في ذلك إلى أفضل ما يبادر إليه المرء وسعى . وإلى المستخدين في الطُّرُز بملاحظة أحوال المتابع والإشراف عليها ، وأخذ الصَّنَاع بالتجويد على العادة التي يجب الإتياء إليها ؛ وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يُتَّسَع من الكُسا والقُروش والأعلام والبُود ، جريا في ذلك على السّن المرصّي والمِنهَاج المَحمود . وإلى من يرعى الحسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ، والإتهاء في ذلك إلى ما ينتهي به شمل الصّلاح إلى الانتظام والإتساق ؛ وأن يتقدم إليهم بما يجب من تعبير ما يختص بهم من المكاييل والموازين ، وحيلها على قانون الصّحة الواضحة الدلائل والبراهين ؛ وأن يقصد تبصيرهم مواضع الخطّ في الاستقامة ، ويحذرهم مواقع الانتقام الذي لا يُفيد فيه أسباب الاستصفاح والاستقالة ؛ فإن عرّف من أحد منهم إقداما على إدغال فيما يزن أو يكيل ، فويل من التأديب بما هو الطريق إلى ارتداعه والسبيل ، قال الله تعالى : (وَبِئْسَ لِلْطَّافِئِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّوهُمْ يُخْسِرُونَ) .

وأمره أن يعرف قدر النعمة التي ضفت عليه بروّدها ، وحلت جيده عُقودها ؛ وزُفّت منه إلى أوقاف أكفائها ، وحُفّت بجزيل القسَم من جمع أكتافها وأرجائها ؛ وأن يُقال لها بإخلاص في الطاعة يساوي فيه بين ما يئدى ويسر ، وسعى في الخدمة يؤنى على كل مجاز ومير ؛ ويبدأ أمام ما يتوخاه بأخذ البيعة لأمر المؤمنين وولى عهده على نفسه وولده ، وكافة الأجناد والرعايا ببلده ؛ عن نية صفت من الكدر والقذى ، ووقت للتوفيق بما صمّنت من خذلان البنى ونصرة الهدى ؛ ويُتبع ذلك بالحقوق في كل خدمة تُرضى ، والوقوف عند الأوامر الإمامية في كل ما يؤدى إلى الوفاق ويُفنى ؛ وأن يحمل إلى حضرة أمير المؤمنين من الفنى والغنائم ما أوجبه

الله تعالى وقرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضى التلاقي والإستدراك : ليامر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار إليها ، ووجوبه المنصوص عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ نِصْفَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

ثم إن أمير المؤمنين آثر أن يضاعف له من الإحسان ، ما يقتضيه مقامه لديه من وجبة الزينة والمكان ، وشرفه بما يقل من حلاه في حلل الجلال ، وتكفل له علاه ببلوغ منتهى الآمال ، وبوأه بما أولاه عملاً تقصّر عن الوصول إليه الأقدام ، وتعيّز عن حلّ عمره الأيام ، ولقبه بكذا ، وأذنب له في تكذيبه عن حضرته ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر أمنيته ، إنافه به على من هو في مساجله من الأقران طالع ، وإضافة للنعمة في ذاك إلى ما أقرن بها فيما هو لشمل الفخر عنده جامع ، وأهدّ لولاء يلوى به إلى الطاعة أي الاعتراف ، ويمحى به من العز ما أنواره وأيقه الإشراف .

فتلقّ يافلات هذه الصنيعة القراء ، والمنحة التي أكتبت زائدك الإبراء ، بالإستبشار التام ، والإعتراف فيها بسايع الطول والإنعام ، وأشيع ذكر ذلك عند كل أحد ، وأنته في الإيانة عنه إلى أبعد أمد ، وأعتمد مكتبة حضرة أمير المؤمنين متمسكاً ، ومن عداه متلقباً متكئاً ، وتوقّر على شكر تستدّر به صوب المريد ، وتستحقّ به إلحاق الطريف من الإحسان بالثريد ، والله تعالى يقول : ﴿ لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، والجهة لك وعليك ، قد أوضح لك [فيه] الصواب ، وأدّلك به الجوائح الصعاب ، وحبّاك منه بمهجة كفيّة بخيري البدن والمعاد ، وفيه فيها

المُتَى بِسَابِقِ الضَّمانِ والِإِيعادِ ؛ وَصَمَّتْهُ مِنْ مَواعِظِهِ ما هَدَيْ بِهِ إِلَى كُلِّ ما لَئِيٌّ ثَمَرُهُ ،
وَعَدًا مُحْفِلًا بِما تَرُوقُ أَوْضاحُهُ فِي المَجْدِ وَغُرُرُهُ ؛ وَلَمْ يَأْلُكَ فِيهِ تَهْمَلُ يُكْسِبُكَ الفَخْرُ
النَّامِي ، وَيَجْعَلُ ذِكْرَكَ زِينَةَ المَحْفِلِ والنَّادِي ؛ وَتَقْدِيمًا يُبْنِي عَمَّا خُصِمْتَ بِهِ مِنْ
الْمِنَحِ المُشْرِقةِ اللَّالِي ، وإِكرامًا يَنْقُصُ صِبْغَهُ عَلَى تَقْصِي الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ؛ وَنَبِيصًا يَبْقَى
مِنْ فَلَاتِ القَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيَرْتَقِي الْمُسْتَضَى بِأنوارِهِ إِلَى نُورِ الأَمْنِ مِنْ دَواعِي
الْعِتَارِ وَالزَّلَلِ ؛ فَأَصْبَحَ إِلَى ما حَوَاهُ ، إِصْفاءً الْفائِزَ بِأَوْقِ الحِظِّ ، وَتَدَبَّرَ خَوَاهُ ، النَّاظِقِ
بِفَضْلِ الحِثِّ عَلَى المَدَى وَالْحَضِّ ؛ وَكَانَ لِأَوامِرِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ مَحْتَدِيًا ، وَمِنْ
تَجَاوُزِ مَحْدُودِهِ فِي مَطالِبِهِ مُحْتَمِيًا ؛ وَبِمَواعِظِهِ الصَّادِقَةِ مَعْتَرِيًا ، وَفِي الْعَمَلِ بِما قارَنَ
الحَقِّ مُسْتَبْصِرًا ، فَهَزَّ بِالنِّمِّ الْأَكْبَرِ ، وَبِالسَّلامَةِ فِي المَوْرِدِ وَالْمَصْدَرِ ؛ وَإِيَّاكَ وَأَعْتادَ
ما تُدْمُ فِيهِ مَكاسِبُكَ ، فَإِنَّ لَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى مَوْقِفًا يَنافِسُكَ فِيهِ وَيَحاسِبُكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَلَّدَكَ جَسِيًا ، وَخَوَّلَكَ جَزِيلًا عَظِيمًا ، فَلَا تَنْسَ نَصِيحَتَكَ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى غَدًا ، وَلَا تَجْعَلْ لِسُلْطانِ الهَوَى الْمُضِلِّ عَلَيْكَ يَدًا ؛ وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ
الصَّوابُ فِي بَعْضِ ما أَنْتَ بِصَدَدِهِ ، أَوْ أَعْتَرَضَ فِيهِ مِنَ الشُّبُهَةِ ما يَحْوِلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
طَرِيقِ الرِّشادِ وَجَدَدِهِ ؛ فَطالِعْ حَضْرَةَ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَأَسْتَنْجِدِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ
بِأَسَدِّ رَأْيٍ وَأَوْصَوْهُ ؛ يُبَيِّنُكَ مِنَ الشَّكِّ يَقِينًا ، وَيُؤَيِّدُكَ لَكَ ما يَنْقُلُ لِكُلِّ خَيْرٍ صَمِيمًا ؛
إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية

(طريقة محقق المتأخرين ممن جرى على هذا المذهب : كالشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، والمقرئ الشهابي بن فضل الله ، ومن والاهم)

وهي أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تمجيد على عادة المكاتبات ، وأن يذكر بعد صدر العهد حميداً أو صاف المعهود إليه ، ويُطَنَّب فيها ويُنثَى عليه بما يليق بمقامه . قال في " التعريف " : على نحو ما تقدم في عهود الخلفاء عن الخلفاء . قال في " التتيف " : وصورته أن يكتب :

« هذا ما عهد به عبدُ الله وولِيُّه أميرُ المؤمنين التوكلُ على الله (مثلاً) أبو فلان فلان بن فلان ، إلى السيد الأجلِّ الملكِ العالمِ العادلِ المؤيدِ المظفرِ المنصورِ المجاهدِ » و يذكر اللقب هنا ، مثل الناصر أو الكامل أو غيره « فلان الدين والدين ، فلان ، آبن السلطان السعيد الشهيد الملك الفلاني خلد الله تعالى ملكه .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويصلّي على آبن عمّه سيدنا محمّدٍ صلّى الله عليه وسلم » ويكمل الخطبة بما أمكنه . ثم يقال : « عهد إليه وقّله جميع ما هو مقلّده من مصالح الأئمة وصلاّح الخلق ، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك ، ومكث مدة يتدبّر هذا الأمر ويرقّى فكره فيه واطّره ، ويستشير أهل الرأي والنظر ، فلم يرَ أوفق منه لأموار الأئمة ومصالح الدنيا والدين » . ومن هذا وشبهه . ثم يقال : « وإن المعهود له قيل ذلك منه » ويأتي فيه بما يليق من محاسن العبارة وأجتناس الكلام .

قلت : وقد يؤتى بعد «أما بعد» بخطبة ، مثل أن يقال : «أما بعد فالحمد لله ونحو ذلك ، ويكمل الخطبة بما يليق بالمقام . ثم قد يقتصر على تمجيد واحدة ،

وقد يكرره إلى ثلاث ، وإن شاء بلغ به سبعا . فقد قال في "التعريف" في الكلام على عهود الملوك للولك : إنه كُتِبَ كَثْرُ التَّحْمِيدِ ، كان أدلَّ على عِظَمِ النِّعْمَةِ . وقد يقال في آخره : « والاعتقادُ على الخطِّ الفلاني (بقلب الخلافة) أعلاه حُجَّةٌ بَمُقْتَضَاهُ أو « والخطُّ الفلاني أعلاه حُجَّةٌ فيه » ونحو ذلك .

وعلى هذه الطريقة كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهدَ الملك العادل « كتبنا » عن الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، ابن الإمام الذي استحضره الملك الظاهر بيبرس من بغداد وبايعه ، وهذه نسخته :

هذا عهدٌ شريفٌ في كتابٍ مرقومٍ يشهدهُ المُقَرَّبُونَ ، ويُفَوِّضُهُ آلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأئمةُ الأَقْرَبُونَ . من عبدِ الله وولَّيه الإمامِ الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، رضوانُ الله عليهم أجمعين ، إلى السلطان الملك العادل زين الدنيا والدين « كتبنا المنصوري » أعزَّ الله سلطانه .

أما بعدُ ، فإنَّ أمير المؤمنين يحدُّ إليك الله الذي جعل له منك سُلطاناً نصيراً ، وأقام له بملكك على ما وُلَّاه من أمور خَلَقَهُ عَصَداً وظهيراً ؛ وأتاك بما نهَضْتَ به من طاعته نِعْماً وملكاً كبيراً ، وخَوَّلَكَ بإقامته ما وراء سِيره من مَصَالِحِ الإسلامِ بكلِّ أَرْضٍ مِنْبَرٍ وَسِرٍّ ، وجاء بك لإِيعَاتِهِ على ما اسْتَخْلَفَهُ اللهُ فيه من أمور عبادِهِ على قَدَرٍ وكان رَبُّكَ قَدِيراً ؛ وَجَمَعَ بك الأئمة بعد أن كادَ يَزِينُ قُلُوبُ فِرْقٍ مِنْهُمْ ،

(١) لم يذكر نسبه في الأصل . وفي ابن أبياس هو أحمد بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد ابن الخليفة المستظهر ابن الخليفة المتقي ابن محمد الفخيرة الباسي . وكذلك هو في خطط القرظي إلا أنه قال أحمد بن أبي علي الحسن بن الخ . وأقام في الخلافة نيفاً وأربعين سنةً ووقوف سنةً إحدى وسبعاً وهو أزل خلفاء بني العباس بمصر . وبمراجعة تاريخ كتبنا ولاجين على أنها كانت في زمنه بالضرورة يكون هو العادل منها .

وَعَصَدَكَ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ نَازِعُونَ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى الَّذِينَ أَبْتَقُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ؛ وَأَصْطَفَاكَ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الْأَهْوَاءُ فِي تِلْكَ الْمُسْتَدَى، وَلَمْ يَكْ شَعَتِ الْأُمَّةُ بَعْدَ الْإِضْطِرَابِ فَكَانَ مَوْقِفُكَ تَمَّ مَوْقِفَ الصَّادِقِ يَوْمَ الرَّدِّ .

وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ حَاكِمٍ بِأَمْرِهِ، مُسْتَزِلِّ لِكَ بِالْإِخْلَاصِ مَلَائِكَةَ تَأْيِيدِهِ وَأَعْوَانَ نَصْرِهِ؛ مُسْتَرِيفٍ بِهَا سَيْفِ عَزَمِكَ عَلَى مَنْ جَاهَرَ بِشِرْكِهِ وَحَارَبَهُ بِكُفْرِهِ، مُعْتَصِمٍ بِتَوْفِيقِهِ فِي تَقْوِيضِهِ إِلَيْكَ أَمْرَ سِرِّهِ الَّذِي أَسْتَوْدَعَهُ فِي الْأُمَّةِ وَجْهَهُ؛ وَيَصِلُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي أَسْتَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ عُسْرِهِ وَدَوِيهِ، وَشَرَفَ بِهِ قَدَرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ: «عَمَّ الرَّجُلُ صَوْنُ أَبِيهِ» وَأَسْرَأَ إِلَيْهِ بِأَنْ هَذَا الْأَمْرُ قُضِيَ بِهِ وَنُجِّمَتْ بَيْنِيهِ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَّيهِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَسْتَدِلُّونَ، وَجَاهَدُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ سِرِّ النَّبَوَةِ، وَأَسْتَوْدَعَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْإِمَامَةِ الْمُرُوءَةَ عَنْ شَرَفِ الْأَبُوَّةِ؛ وَأَخْتَصَّهُ مِنَ الطَّاعَةِ الْمَقْرُوضَةِ عَلَى الْأُئُمِّ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الْأَخْصِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَعْمِ؛ وَعَصَمَ آرَاءَهُ بِبِرْكَةِ آبَائِهِ مِنْ انْخِلَالٍ، وَجَعَلَ سَهْمَ اجْتِهَادِهِ هُوَ الْمَصِيبُ أَبَدًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَكَانَ السَّالِطَانُ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ كَادَتْ، وَتَبَّتْ بِهِ الْأَرْضُ وَقَدْ اضْطَرَبَتْ بِالْأَهْوَاءِ وَمَادَتْ؛ وَرَفَعَ بِهِ مَنَارَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ الْكُفْرَ بِأَنْفِهِ، وَأَلَّفَ بِهِ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ طَمَحَ الْعُنُوفُ إِلَى انْفِرَاقِهِ وَطَمِعَ فِي خُلْفَتِهِ، وَحَفِظَ بِهِ فِي الْجِهَادِ حُكْمَ

الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وحى به المصالح الإسلامية فما شام الكفر منها برق نفير الأرمي من وباله وبابل ، ولا أطلق عنان طرفة إلى الأطراف إلا وقع من سطوات جنوده في كفة حائل ؛ ولا أطمأنوا في بلادهم إلا اتهم سراياه من حيث لم يتقربوا ، ولا ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله إلا وأتاهم بجنوده من حيث لم يحسبوا ؛ وألف جيوش الإسلام فأصيحت على الأعداء يمينه يدا واحدة ، وقام بأمر الأمة فأمنت عيون الرعايا باستيقاظ سيوفه في مياد الأمن راقده ، وأقام منار الشريعة المطهرة فهي حاككة له وعليه ، نافذ أمرها على أمره فيما وضع الله مقاليد في يديه ؛ ونصره الله في مواطن كثيرة ، وأعانته على من أضمر له الشقاق والصلاة وإنها لكثيره ؛ وأظهره بمن بغى عليه في يومه بعد حمله عنه في أمسه ، وأيده على الذين خانوا عهده ويده الله فوق أيديهم فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ، وتعين للملك الإسلام فلم يك يصلح إلا له ، وأخاره الله لذلك فبلغ به الدين أماله ؛ وضعضع بملكه عمود الشرك وأماله ، وأعاد بسلطانه على التماك بهجتها وعلى الملك روثه وجلاله ؛ وأخدمه النصر فأضمر له أحد سوءا إلا وزلزل أقدامه وتجبل وباله ، وردته إليه وقد جعل من الرعب قيوده ومن الذعر أغلاله ، وأوطأ جواده هام أعدائه وإن أنف أن تكون نعاله .

عهد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين في كل ما وراء خلافه المقدسه ، وجميع ما آتختته أحكام إمامته التي هي على التقوى مؤسسه : من إقامة شعار الملك الذي جمع الله الإسلام عليه ، وظهور أبهة السلطنة التي ألبى الله وأمر المؤمنين مقاليدها إليه ؛ ومن الحكم الخاص والعام ، في سائر ممالك الإسلام ، وفي كل ما تقتضيه أحكام شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ وفي تحزين الأموال وإنفاقها ، وملك الرقاب وإعتاقها ، وأعتقال الجنسة وإطلاقها ؛ وفي كل

ما هو في يد الملة الإسلامية أو يفتح الله بيده عليها ، وفي جميع ما هو من صَوَالِ
 الممالك الإسلامية التي سَرَّجَهَا الله بجهادِهِ إليها ؛ وفي هُلْدِ المُلُوكِ وَالْوَزَرَاءِ ، وَتَقْدِمة
 الجيُوشِ وتأمير الأُمَرَاءِ ؛ وفي الأَمْصَارِ يُقَرَّبُهَا مَنْ شَاءَ مِنَ الجُنُودِ ، وَيَعِثُّ إِلَيْهَا
 وَمِنْهَا مَا شَاءَ مِنَ البُعُوثِ وَالْحَشُودِ ؛ وَيَحْكُمُ فِي أَمْرِهَا بِمَا أَمَرَ اللهُ مِنَ اللَّبِّ عَنْ
 حَرَمِهَا ، وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ الَّذِي رَسَمَ اللهُ بِهِ لِفَلَاحِهَا وَمُقِيمِهَا ؛ وَفِي تَقْدِيمِ حَدِيثِهَا
 وَأَسْتِخْدَاتِ قَدِيمِهَا ، وَتَشْيِيدِ ثُنُورِهَا ، وَإِمْضَاءِ مَا عَرَفَهُ اللهُ بِهِ وَجَهْلَهُ سِوَاهُ مِنْ
 أُمُورِهَا ؛ وَإِقْرَارِ مَنْ شَاءَ مِنْ حُكَّامِهَا ، وَإِمْضَاءِ مَا شَاءَ مِنْ إِتْقَانِ التَّوَاعِدِ بِالْعَدْلِ
 وَإِحْكَامِهَا ؛ وَفِي إِقْطَاعِ خَوَاصِّهَا ، وَأَقْتِلَاجِ مَا أَقْتَضَتْهُ الْمَصْلَحَةُ مِنْ عِمَارِهَا وَعِمَارَةِ
 مَا شَاءَ مِنْ قِلَاعِهَا ؛ وَفِي إِقَامَةِ الْجِهَادِ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَكَلْبِهِ ، وَلِقَاءِ الْأَعْدَاءِ كَيْفَ شَاءَ
 مِنْ [تَسِيرِ] سَرَايَاهُ وَيَعِثُّ مَوَاقِبَهُ ؛ وَفِي مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ وَحِصَارِهِ ، وَمَصَابِرِهِ وَإِنْفَارِهِ ،
 وَغَزْوِهِ كَيْفَ أَرَادَ اللهُ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ وَفِي عُقْرِ دَارِهِ ؛ وَفِي الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ وَالْإِرْقَاقِ ،
 وَضَرْبِ الْمُعْذِنِ الَّتِي تَسْأَلُهَا الْعِدَا وَهِيَ خَاضِعَةٌ الْأَعْنَاقِ ؛ وَأَخِذِ مُجَاوِرِي الْعَدُوِّ
 الْمَخْذُولِ بِمَا أَرَادَ اللهُ مِنَ النَّكَالَةِ إِذَا أَمَكَّنَ مِنْ نَوَاصِيهِمْ ، وَحُكْمِ عَفْوِهِ فِي طَائِفِهِمْ
 وَبَأْسِهِ فِي عَاصِيهِمْ ، وَإِنْزَالِ الَّذِينَ ظَاهَرُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ .
 وَفِي الْجِيُوشِ الَّتِي أَلْفَ الْأَعْدَاءُ فَكَالَتِ الْوُفَا ، وَعَرَفُوا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ وَدَانِعُ سَيُوفِهَا ؛
 وَصَبَّحَتْهُمْ سَرَايَا رُغْبَا الْمَبْثُوثَةِ إِلَيْهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ خَوْفُهَا كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يُحْبِسُونَ
 كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ ضَاقَتْ بِمَوَاقِبِهِمْ إِلَى الْعِدَا سَعَةُ الْفَجَاجِ ، وَقَاسَمَتْ
 رِمَاحُهُمُ الْأَعْدَاءَ شَرِّ قِسْمَةٍ فِي أَيْدِيهِمْ كُتُوبُهَا وَفِي صُدُورِ أَوْلَئِكَ الرَّجَاجِ ، وَأَذْهَبَتْ
 عَنِ الثُّغُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ رَجَسُ الْكُفْرِ وَطَهَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاوَرَ الْعَدْلَ الْفَرَاتِ
 وَالْمَلَحَ الْأَبْيَاجِ ؛ وَغِيرُوا فِي الْحُرُوبِ بِتَسْرُعِ الْإِقْدَامِ ، وَثَبَاتِ الْأَقْدَامِ ، وَأَذْهَبَتْ

لأنامه الشريفة أن تردّها لهم دار السلام إلى ملك الإسلام : فيُدرّ عليهم ماشاء من
 إنعامه الذي يؤكّد طاعتهم، ويحدّد أسطاعتهم ؛ وبضائع أعنادهم، ويعمل
 بصفاء النيات ملائكة الله أمدادهم، ويعملهم على الثبات إذا لقوا الذين ككفروا
 زحفا، ويعملهم في التماسيد على اللقاء كالبنان المروص فإن الله يحب الذين يقاتلون
 في سبيله صفا. وفي أمر الشرع وتولية قضاته وحكامه، وإمضاء ماقرض الله عليه
 وعلى الأمة من الوقوف عند حدوده وا^(١) مع أحكامه ؛ فإنه لواء الله الممدود
 في أرضه، وحبله المتين الذي لا تقص لإبرامه ولا إبرام لتقصه، وسنن نبيه الذي
 لاحظ عند الله في الإسلام لنبرمتك بسنته وفرضه ؛ وهو - أعز الله سلطانه -
 سيف الله المشهور على الذين غدوا وهم من أحكام الله مارقون، ويده المبسوطة
 في إمضاء الحكم بما أنزل الله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .
 وفي مصالح الحرمين الشريفين وثاليجها الذي تُشد أيضا إليه الرجال . وإقامة سبيل
 الحجيج الذين يفدون على الله بما منحهم من برّه وعنايته في الإقامة والأرغال .
 وفي عمارة البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغنوة
 والآصال رجال ؛ وفي إقامة الخطب على المنابر، وأقتران اسمه الشريف مع اسمه بين
 كل باد وحاضر، والاقتصار على هذه التنبيه في أقطار الأرض فإن القائل بالثلاث
 كافر؛ وفي سائر ماتسمله الممالك الإسلامية ومن تشتمل عليه شرقا وغربا، وبعدا
 وقربا ؛ وبرأ وبحرا، وشاماً ومصرأ، وحجازاً ويمنا، ومن يستقر بذلك إقامة وعظما .
 وفوض إليه ذلك جميعه وكل ما هو من لوازم خلافة الله في أرضه، ماذكر وما لم يذكر

(١) النهب من معانيه العارة أى ترد غاراتهم دار الخ وفي الأصل يردفها هم . تأمل .

(٢) يياض بالأصل ولعلها «والمشي» مع الخ .

(٣) في الأصل أروصهم . تأمل .

تفويضاً لازماً ، وإمضاءً جازماً ، وعهداً مُحْكَمًا ، وعقدًا في مصالح مُلْك الإسلام مُحْكَمًا ، وتقليدًا مؤبداً ، وتحريراً على كَرِّ الجليدين مُجَدِّداً ، وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما عليه من استحقاقه والحاكم بعلمه ، وأشهد الله وملائكته على نُفُوز حكمه بذلك : (وَاللَّهُ بِحُكْمِ لَامِعَقَّبٍ لُحْكِهِ) . وذلك لما صحَّ عنده من نهوض مُلْكه بأعباء ماحله الله من الخلافه ، وأدائه الأمانة عنه فيما كَتَبَ الله عليه من الرحمة اللازمة والرافة ؛ واستقلاله بأمر الجهاد الذي أقام الله به الدين ، واختصاصه وجنوده بعموم ما أمر الله به الأمة في قوله تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرُكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ سُلُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) . وأنه في الجهاد سَهْمُ المُصِيب وله به أجزاؤ الرأى المسدّد ، وسيفه الذي جرّده على أعداء الدين وله من فتكاته حظُّ المُرْهَفِ المُجَرَّد ؛ وظلُّ الله في الأرض الذي مدّه يمينه ، وآية نصره الذي اختاره الله لمصالح دُنياءه وصَلاح دينه ؛ الناهض بفرض الجهاد وهو في مستقرّ خلافيه وإدع ، والراكض عنه بتجمله وخياله إلى العدو الذي ليس لفتكتك سُيوفه رادع ، والمؤدّي عنه فرضُ التّغير في سبيل الله كُلِّما تَعَيَّن ، والمتقمّم له من أهل الشّقاق الذين يُحَادِلُون في الحقِّ بعد ما تَبَيَّن والقائم بأمر الفُتُوح التي تَرْدُ بَيْعَ الكُفْرِ مساجدَ يَدُ كَرِّ فيها أَسْمُ الله وَأَسْمُهُ ، ويُرفع على منابرها شعاره الشريف ورسمه ؛ وتمثّل له بإقامة دَعْوته صورةُ الفتح كأنه ينظر إليها ، والناظرُ عنه في عموم مصالح الإسلام وخصوصها تعظيماً لقدّره ، وترقياً لِسِرِّه ، وتَفْخِيماً لشرّفه ، وتكريماً لجلالة بيته النبويّ وسلفه ؛ وقياماً له بما عَهد إليه ، ووفاءً من أمور الدّين والدنيا بما وَضَعَ مقاليدَه في يَدَيْهِ .

وليدلّ على عِظَم سِيرته المقدّسة بِكَرَم سِيره ، وَيُبَيِّنَ على كِمال سعادته إذ قد كُنِيَ به في أُمُور خَلَقَ الله تعالى والسَّعيدُ من كُنِيَ بِقَبْرِهِ ، لم يجعل أمير المؤمنين على يَدِهِ دِيّاً

في ذلك ، ولا فسح لأحد غيره في أنظار الأرض أن يدعى بملك ولا مالك ، بل بسط حكمه وتحكمه في شرق الأرض وغربها وما بين ذلك ؛ وقد فرض طاعته على سائر الأمم ، وحكم بوجوبها على الخالص والعام ومن ينقض حكم الحاكم إذا حكم ؛ وهو يعلم أن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سراً يستضاء بانواره ، ويمتدئ في مصالح الملك والممالك بمتاره ، فجعل له أن يفعل في ذلك كل ما هدئ الله قلبه إليه ، وبعثه بالتأييد الإلهي عليه ؛ وأكفى عن الوصايا بأن الله تعالى تكفل له بالتأييد ، وخصه من كل خير بالزيد ؛ وجعل خلقه التقوى وكل خير فرع عليها ، ونور بصيرته بالهدى فما يدل على حسنة من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها ؛ والله تعالى يعمل أيامه مؤرخة بالفتوح ، ويؤيده بالملائكة والروح ، على من يدعى الأب والإبن والروح ؛ ويجعل أسباب النصر معقودة بسببه ، والملك كلمة باقية في عقبه .

ويشهد بهذا العهد الشريف مع من شهده من الملائكة المقربين ، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أجمعين : لتكون حجة الله على خلقه أسبق ، وعهد أمير المؤمنين بثبوته أوثق ؛ وطاعة سلطان الأرض قد زادها الله على خلقه بذلك تأكيداً ، وشهد [الله] وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيداً . والاعتماد على الخط الحاكم أعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .



وعلى نحو ذلك كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك المنصور « حسام الدين لاجين » عن الخليفة الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المنتقم ذكره . وهذه نسخته :

(١) الذي في التواريخ أن الحاكم بأمر الله الذي بايع له الظاهر بيبرس طالت مدته إلى أيام حسام الدين لاجين وأما الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع فهو ابن ابنه تأمل .

هذا عهدٌ شريفٌ تشهده الأملأكُ لِأشرف الملوك ، وتسلك فيه من قواعد اليهود
المقتسة أحسن السُّلوك ؛ من عبد الله وولَّه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ،
للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين ؛ أبي الفتح لاجين المنصورى ، أعز
الله سلطانه .

أما بعد ، فالحمد لله مؤتي الملك من يشاء من عباده ، ومُعطي النصر من يُجاهد
فيه حقَّ جهاده ؛ ومُرهِف حُسام انتقامه على من جاهر بعباده ، ومفوض أمر هذا
الخلق إلى من أودعه سرِّ رافتة في محبته ومُرَادِ نِقْمته في مُرادِه ؛ وجامع كلمة الإيمان
بمن أجابه لإقامة دينه وأرتضاه لرفع عَمَّاده ، ومُقِرَّ الحقِّ في يد من منع سيفه المجزَّء
في سبيل الله أن يقرَّ في أعْماده ؛ وناصر من لم تزل كلمة الفُتوح مستكنة في صدور
سيوفه جارية على ألسنة صغَّاده ، وجاعل ملك الإسلام من حقوق من إذا عدَّ أهل
الأرض على أجناعهم كان هو المتعين على أنْفِراده ؛ الذي شرف أسرة ملك الإسلام
بإستيلاء حُسام دينه عليها ، وزلزل ممالك أعدائه بما بعث من سراًيا رعيه إليها ؛
وثبت به أركان الأرض التي ستحتوي ملكه في طرفيها ، وضعف بسلطانه قواعد
مُلوك الكُفر فودعت ما كان مودعاً لأيامه من ممالك الإسلام في يديها ؛ وأقامه وليه
بأمره فلم يَخْتَلِف عليه اثنين من خلقه ، وقلَّده أمر برِّيته لما أقدَّره عليه من النهوض
بحقهم وحقه ، وأظهره على من نصب له الفَوَائِل والله غَالِبٌ على أمرِه ، ونصره
في مواطن كثيرة لما قدَّره في القِدم من رِفْعة شأنه وأَعْتَلَّ قدره ؛ وجعل عدوه
وإن أعرَضَ عن طلبه يَجُوش الرعب محصوراً ، وكفاه بنصره على الأعداء التوغُّل
في سَفْكِ الدماء فلم يُسِرَف في القتل إنَّه كان منصوراً ؛ وقفل إليه الملك بسيفه
والدماء مصونة ، وحكَّه فيما كان بيد غيره من الأرض والبلاد آمنةً والفتن مأمونه ؛
فكان أمر من ذهب بحبابة صيف ، أو جلَّسة صيف ؛ لم تحل له رَوْعة في القلوب ،

ولم يُلْعِزْهَا - وقد ألبسه الله ما تَزَعُ عن سِوَاه - سَالِبٌ ولا سَلُوبٌ، إجراءً لِمُنْذِهِ
الْأُمةَ عَلَى عَوَائِدِ فَضْلِهِ الْمَعِيمِ ، واختصاصاً بما آتاه من مُلْكِهِ (والله يُؤْتِي مُلْكَهُ
مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

يَحْمَدُهُ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا مَنَحَ فِي أَيَّامِهِ الدِّينَ مِنْ اعْتِصَادِهِ بِحُكْمِهِ ، وَالْإِعْتِدَادِ
فِي مُلْكِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ يَحْجُلُ جِبَاهَهُ مَلُوكُ الشَّرْكَ تَحْتَ أَقْدَامِهِ ، وَالْإِعْتِدَادِ بِمَسَاعِي
مَنْ حُصُونُهُ فِي الْجِهَادِ ظُهُورُ جَيَادِهِ وَقُصُورُهُ أَطْرَافُ حُسَامِهِ .

وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً حَاكِمٌ بِمَا أَرَاهُ ، حَامِدٌ لَهُ
فِي مُلْكِ الْإِسْلَامِ عَلَى تَيْسُرِ مَا وَطَّدَهُ وَرَفَعَ مَا عَرَّاهُ ، مُعْتَصِمٌ بِهِ فِي كُلِّ مَا أَنْبَتَهُ بِالْحَقِّ
مَنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ الدِّينِ عَنْ سَبِيلِهِ فِي ذَلِكَ وَسُورَاهُ ؛ وَأَنْ عَمَلًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي جَعَلَهُ مِنْ عَصَبَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَعُصْبَتِهِ ، وَشَرَفَهُ بِوَرَاثَةِ خَلْقَتِهِ فِي أُمَّتِهِ
[وَرَفَعَ] قَدْرَ رُتْبَتِهِ ، وَقَصَرَ عَلَى إِقَامَةِ مَنْ يُرِيبُ الْعِدَا بِنَشْرِ دَعْوَتِهِ فِي الْأَفَاقِ مَعَ
مَوَاقِعِ رَغْبَتِهِ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَى عَلَيْهِ صَلَاةٌ تَفْتَحُ لَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْعِصْمَةِ طَرِيقًا ،
وَتَجْعَلُهُ فِي الْأُخْرَى مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ
أَوَّلِكَ رَفِيقًا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وإنَّ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَخْتَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْبِرِّ الْمُوَدَّعِ فِي قَلْبِهِ ، وَالنُّورِ الَّذِي أَصْبَحَ
فِيهِ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ ؛ وَالتَّأْيِيدِ الْمُنْتَقِلِ إِلَيْهِ عَنْ شَرَفِ بَقَرِهِ ، وَالنَّصِّ الَّذِي أَسْرَهُ
رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَدِّهِ الْعَبَّاسِ مِنْ بَقَاءِ هَذَا الْأَمْرِ فِي وَرَثَتِهِ دُونَ
أَقَارِبِهِ وَنَحْبِهِ ؛ لَمْ يَزَلْ يَرْغَبُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَيَسْتَخِيرُهُ فِي إِقَامَةِ مَنْ يَنْهَضُ فِي مُلْكِ
الْإِسْلَامِ حَقَّ النُّهوضِ ، وَيَفُوضُ إِلَيْهِ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ يَرَى الْأَمَانَةَ فِيهِمْ مِنْ

(١) أى جعل الله الخليفة من عصبه النبي الخ فصبه .

(٢) فله من يرى - تأمل

أَكَّدَ التُّرُوسُ، وَمَنْ إِذَا قَالَ النُّصَيْرُ يَخْبَلُ اللَّهُ أَرْكَبِي سَابِقَتْ خَيْلَهُ خَيْالَهُ، وَجَارَتْ عِزَاتُهُ نِصَالَهُ، وَآخَذَ عَدُوَّ الدِّينِ مِنْ مَأْمَنِهِ، وَغَالَبَ سَيْفُهُ الْأَجَلَ عَلَى اتِّزَاعِ رُوحِهِ مِنْ بَدَنِهِ، وَقَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَجَاهِدَ لِإِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ لَا لِلتَّعَرُّضِ إِلَى عَرَضِ الدُّنْيَا، وَقَدَّمَتْ لَهُ مَلُوكُ الدُّنْيَا حُصُونَهَا، وَبَذَلَتْ لَهُ مَعَ الطَّاعَةِ مَصُونَهَا، وَأَقِيمَ لَهُ بِكُلِّ قُطْرٍ مِنْبَرٌ وَسِرِيرٌ، وَجَمَعَ مَلُوكُ الْعِدَا فِي رِقِّ طَاعَتِهِ وَهُوَ عَلَى تَجْمِعِهِمْ إِذَا بَنَى قَدِيرٌ، وَمَنْ يُقِيمِ الْعَدْلَ عَلَى مَا شَرَعَ، وَالشَّرَعَ عَلَى مَا أَخَذَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعَ، وَتُبِيتِ الْبِدْعُ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِحَقِّهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَهْدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنًا وَلَا يَبْدِلُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ السُّنَنِ.

وَلَمَّا كَانَتِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حُسَامُ الدِّينِ وَالَّذِينَ أَبُو الْفَتْحِ «لَا حِينَ الْمَنْصُورِي» - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - هُوَ الَّذِي جَعَلَ [اللَّهُ] صَلَاحَ الْأُمَّةِ عَلَى يَدَيْهِ، وَآخْتَارَهُ لِإِقَامَةِ دِينِهِ فَسَاقَ مُلْكُ الْإِسْلَامِ عَتَوَةً إِلَيْهِ، وَأَنْهَضَهُ بِذَلِكَ وَقَدْ أَمَدَهُ بِجُنُودِ نَصْرِهِ، وَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَجَمَعَ قُلُوبَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى حُبِّهِ، وَفُزِقَ أَعْدَاءُ الدِّينِ خَوْفَ حَرْبِهِ، وَجَعَلَ النَّصْرَ حَيْثُ تَوَجَّهَ مِنْ أَشْيَاخِهِ وَحِزْبِهِ، وَعَضَّدَهُ لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِمَلَائِكَةِ سَمَائِهِ، وَأَقَامَ بِهِ عُيُودَ الدِّينِ الَّذِي بِالسَّيْفِ قَامَ وَلَا غَرَوُ فَإِنَّ الْحُسَامَ مِنْ أَسْمَاءِهِ، وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ طَوَائِفُ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ مُدْعِينَ، وَأَدَّى فِي كَرَامَتِهِمْ حُقُوقَ طَاعَةِ اللَّهِ الَّذِي أَيْدَهُ بَنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَتَقَامُ بِسِيرُ كَرَامَتِهِ وَنِعْمَتِهِ وَقَالَ: ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ، فَطَارَتْ مُحَلَقَاتُ الْبِشَارِ بِمُلْكِهِ فِي الْآفَاقِ، وَأَغْصَى الْعِدَا سُلْطَانَهُ فَمَا تَوَهَّمُوا فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ الْإِخْتِلَافَ حَتَّى تَحَقَّقُوا بِمَجْدِ اللَّهِ وَتُبْنَ أَيَّامَهُ الْوَفَاقَ، وَآخْتَالَتِ الْمَنَابِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِكْرِهِ، وَأَعْلَنَتِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ بِمَجْدِ اللَّهِ الَّذِي أَقْرَبَهُ الْحَقُّ فِي مَرْكَزِهِ وَرَدَّ بِهِ شَارِدَ

المُلك إلى وَكْرِهِ، وتحقق أمير المؤمنين أنه المكنون في طويته والمستكن في صدره؛
والقائم في عمارة بيته النبوي وسلامته مقام سلمانِه وعُمارة، فعهد إليه حينئذ في كلِّ
ما تقتضيه أحكام إمامته في أمة نبيّه، وجعله في التصرف المطلق عنه قائماً مقام
وصيّه في الملة ووليّه؛ وقلّده أمر ملك الإسلام تقليداً عاماً، وفوض إليه حكم
السلطنة الشريفة تفويضاً تاماً؛ وألبسه من ذلك ما خلفه عن سواه، ونشر عليه
لواء الملك الذي رزى ظلّه عن غيره وطوّاه؛ وحكّه في كل ما تقتضيه خلافته
المقدسة، وتخصيه إمامته التي هي على التقوى مؤسّسه : من إقامة منار الإسلام،
والحكم العام في أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ وفي تقليد الملوك والوزراء،
وتقدمة الجيوش وتأمير الأُمراء؛ وفي تجهيز العساكر والسرايا، وإرسال الطلائع
والرّايّا، وتجريد الجنود الذين ما تدبّهم إلى الأعداء إلا أبوا بالثّهاب والسّبايا؛
وفي غزو العدو كيف أراه الله إن شاء بنفسه أو جُنده، وفي استرسال النصر بالثبات
والصبر فإن الله يميّز الصابرين وما النصر إلا من عنده؛ وفي محاصرة العدو ومصابرته،
وإنظاره ومناظرته، وإنزاهم على ما شرّع الله فيهم من الأحكام، والتونّخ في ذلك
ما حكم به سعد بن معاذ في زمن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؛ وفي ضرب
المدن وإمضاها، والوفاء بالعقود المشروعة إلى انتهاء مدّدها وأقبضاها، وفي إرضاء
السيف من نكت ولم يمتّ عهده إلى مدته فإن انحطاط الكُفر في إرضائها؛ وفي الأمصار
يُقرّبها من شاء من الجنود، ويبعث إليها من شاء من البعوث والحشود؛ وفي سداد
الثغور بالرجال الذين تقترّبهم عن شتّب النصر، وتأمّن بهم أعدائهم من غوائل
الحضر، وتوفير سهايمها من سهام القوة التي ترمي بشرر كالفصر؛ وإمداد بجرها
بالشواني المحرّبة المجنّدة، والسفن التي كأنها القصور الممهّدة على الصّروح الممرّدة؛
فلا تزال تدب إليهم من دوات الأرجل عقاريها، وتخطّف غريبانهم الطائرة بأجنحة

الْقُلُوعِ مَخَالِبُهَا ، وَفِي تَهْدِيَةِ وَتَفْهِيمِ السَّرَايَا الَّتِي لَا تَزَالُ أَسْتَنْهَا إِلَى نُحُورِ الْأَعْدَاءِ مُقَوِّمَةً ،
وِاتِّفَاقِ مَا يَرَاهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْفَنَائِطِ الْمُقَطَّرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّخِيلِ
الْمُسَوِّمَةِ ؛ وَفِي إِعْلَاءِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَالْإِهْيَادِ إِلَيْهِ ، وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى تَفْوُذِ حُكْمِهِ
فِيهَا لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَتَقْوِيَةِ يَدِ حُكْمِهِ عَلَى كُلِّ أَمِيرٍ وَمَأْمُورٍ أَقَرَّ الشَّرْعُ فِي يَدِهِ شَيْئًا
أَوْ أَوْتَرَعَهُ مِنْ يَدَيْهِ ، وَتَفْوِضِ الْحُكْمِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَتَعَيَّنُ لَذَلِكَ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَمِ ،
وَإِقَامَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَلَى قَوَاعِيدِهِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ حُجَّةً وَاخْتَلَفُوا فِيمَ
رَحْمِهِ ، وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَثَانِيهِمَا الَّذِي تُسَدُّ الرِّجَالُ أَيْضًا إِلَيْهِ ،
وَفِي إِقَامَةِ سُبُلِ الْحَجَّاجِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ اللَّهُ فَلَبَّوْهُ وَاسْتَدْعَاهُمْ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، وَفَوْضَ إِلَيْهِ
كُلِّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ فِي أَرْضِهِ : مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يَذَكَرْ ، تَفْوِضًا لِأَزْمَا ، وَتَقْلِيدًا
جَازِمًا ، وَعَقْدًا مُحْكَمًا ، وَعَهْدًا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مُحْكَمًا ، وَأَكْتَفَى عَنْ
الْوَصَايَا بِمَا يُجِبُّ عَلَيْهِ خُلُقُهُ الشَّرِيفُ مِنَ التَّقْوَى ، وَهَدَى نَفْسَهُ التَّغْيِثَ إِلَيْهِ مِنَ
التَّمَسُّكِ بِالسَّنَدِ الْأَقْوَمِ وَالسَّبَبِ الْأَقْوَى ؛ فَمَا يُبْنَى عَلَى حُسْنَةٍ إِلَّا وَهُوَ أَسْبَقُ إِلَيْهَا ،
وَلَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافَةٍ إِلَّا وَفِكْرُهُ الشَّرِيفُ أَسْرَعُ مِنْ فِكْرِ الدَّالِّ عَلَيْهَا ؛ وَقَدْ وَثَّقَ بِبِرَاءَةِ
الذِّمَّةِ مِنْ حَقِّ قَوْمٍ أَصْحَحُوا لِفَضْلِ مِثْلِهِ رَاجِعِينَ ، وَتَحَقَّقَ حُلُولُ النِّعْمَةِ عَلَى أُمَّةٍ
أَمَسُوا إِلَى « لَاحِجِينَ » لَاحِجِينَ ؛ وَقَدْ اسْتَخَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَبَلَغَا
إِلَى اللَّهِ فِي تَوْفِيقِهِ وَتَوْفِيقِهِ عَلَى الصَّوَابِ مِمَّا يَجِبُهُ فِي الْحُكْمِ بِذَلِكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ؛
وَسَارَعَ إِلَى التَّسْلِيمِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا فَوْضَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
خَيْرًا بِصِيرًا . وَأَشْهَدُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْ
هَذَا الْعَهْدَ الْكَرِيمَ ، وَحُكْمَ عَلَى الْأُمَّةِ بِمُقْتَضَاهُ فَنَزَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَمَّا أُمَّةٌ عَلَى
الَّذِينَ يُدْعَوْنَ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى يَمِيعُ عَلَيْهِمْ . وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ الْإِمَامِيُّ الْحَاكِمِيُّ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ
بِمُقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى قريب منه كتب القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسرائى عهد
الملك الناصر «محمد بن قلاوون» عن الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الريح سليمان .
وهذه نسخته :

هذا عهد بعمر بك للإسلام المعاهد ، وينصركم الاعترام فتحنى عن الموالى
والمعاضد ؛ وبقي إليك مقاليد الأمور : لتجتهد في مرضى الله ومجاهد ، وبيعتك على
العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك عند الله في أعظم المشاهد ؛ فخذ كتاب
أمير المؤمنين بقوة تبركا بأخذ يحيى عليه السلام للكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة
تجدد نفقها يوم يقوم الحساب ، وأعمل صالحا فالذين آمنوا وعملوا الصالحات كلوا
لهم وحسن ما رب .

من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين :
إلى السلطان الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، الم رابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ،
ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ؛
فاتح الأمصار ، سيد الأرضين والسموات والتنازع ؛ وارث الملك ، سلطان العرب والعجم
والترك ؛ خادم الحرمين ، صاحب القبلتين ؛ أبى الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين
أعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس
الله روحه .

أما بعد ، فالحمد لله الذى أقام ناصر الإسلام وأهله بخير ناصر ، وأحل فى السلطنة
العظيمة من استحقها بذاته الشريفة وشرف العنصر ؛ ووضع الإصرين كثرت منه

وَمِنْ سَلَفِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الرَّعَايَا الْأَوَّاصِرِ، وَعَقْدَ لَوَاءِ الْمُلْكِ لِمَنْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْجُودِ أَلْفٌ فِي الْوُغَى فَحَى حَالِهِ تُقَدُّ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ ؛ وَجَمْعُ كَلِمَةِ الْأُمَّةِ بِمَنْفَرْدٍ فِي الْمَعَالَى مُتَوَحِّدٌ فِي الْمَقَائِرِ، مُتَصِفٌ بِمَنَاقِبِ أَرْبَى بِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَانِرِ؛ وَأَقَرُّ النَّوَاطِرِ وَالْخَوَاطِرِ بَيْنَ أَشْرَقِ طَلْعِهَا نُورُهُ الْبَاهِرِ ، وَظَهَرَتْ أَتَارُ وَجُودِهِ وَجُودِهِ عَلَى الْبَوَاطِنِ وَالْقَوَاطِرِ ؛ وَأَعَادَ شَيْبَةَ الْأَيَّامِ فِي أَقْبَالِ سَرِّ السَّرَائِرِ ، وَسَارَتْ بِشَائِرُ مَقْدَمِهِ فِي الْأَفَاقِ سَيْرَ الْمَثَلِ وَمَا ظَنَنْتُكَ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ؛ وَفَعَلْتَ مَهَابَتُهُ فِي التَّمْهِيدِ وَالتَّشْيِيدِ فَلَ قَلْنَا الْمَتَشَائِرَ، وَشَفَّتِ الصُّدُورُ بِوُجُودِ الْأَتِّفَاقِ وَعَدِمِ الشَّفَاقِ بَعْدَ أَنْ بَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْخَنَاصِرَ ؛ وَأَوْرَثَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ صَفْوَةَ ذُرِّيَةِ وَرَثُوا السِّيَادَةَ كَارِبًا عَنْ كَارِبٍ، وَمَسَرَى سِرِّهِ إِذَا وَلِدَ الْمَوْلُودُ مِنْهُمْ تَهَلَّلَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَأَهْتَرَتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجْتَنِي سَيِّدًا عَمِدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وَقِيلَهُ ، وَمَنْحَ الْأُمَّةِ بَرَائِلَهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْوَسِيلَةَ ، وَأَوْجَبَ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لَهُ أَعْلَى دَرَجَةٍ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَهِيَ الْوَسِيلَةُ ؛ وَجَعَلَ تَمَلُّهُمُ بِمِثْلِهِ وَمُتَابَعَتُهُ فِي الْمَهْدَايَةِ تَطْلِيًا، وَحِصًّا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ يَأْتِيُكَ إِيمًا يَأْتِيُوكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُومُهُ إِجْرًا عَطِيًّا ﴾ . وَبَلَّغَهُمْ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ غَايَةَ مَطْلُوبِهِمْ ، وَأَيْدَهُ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ؛ وَزَانَ شَرِيعَتَهُ الْمُطَهَّرَةَ بِحَاسِنِ أَسْبَى مُنْظَرَا وَخَيْرًا مِنَ الْمُقُودِ، وَفَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْفُوا بِالْمُؤَدِّ وَبِالْعُقُودِ ؛ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى حَمْلِ الْأَمَانَةِ الَّتِي أَشْفَقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْ حَمْلِهَا ، وَأَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين من سُلالة عم نبيه العباس ، وأصطفى بيته المبارك من خير أئمة أخرجت للناس ؛ وقوى به جاش المسلمين وجيوش الموحدين على الملّحين ، وآتاه بسيادة جده وسعادة جده مالم يؤت أحداً من العالمين ؛ وحفظ به للمؤمنين ذمّاماً ، وجعله للتّقين إماماً ؛ وخصّه بمزيد الشرفين : نسبه ومنصبه ، وجعل مزيه الرّتين كلمة باقية في عقبه ؛ وصان به حوزة الدين صيانته العرين بالأسود ، وصبر الأيدي البيض مشكورة لحاملي رايته السود .

يمجّده أمير المؤمنين حمد من اختاره من السماء فاستخلفه في الأرض ، وجعل أمرته على المؤمنين قرصاً تُقام به السنّة والقرض ؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ ويشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كشف بجمته عن القلوب حجب النّبي ، وأشرقت أنوار نبوته فأضاء لها يوم دخوله المدينة كل شئ ؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أقامه في الإمامة مقامه وأشار إلى الاقتداء به من بعده ، ومنهم من أعزّ الله به الإسلام في كل قطر مع قربه وبعده ؛ ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية في بيعة الرضوان خيراً له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنّفوس فباهل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم به وبزوجه وولده ؛ وعلى بقية العشرة الذين غنت بهم دعوة الحق مشيرة منقّشهم ؛ وعلى عمّه أسد الله وأسد رسوله عليه السلام ، وجد الأئمة المهديّين أمراء المؤمنين وخلفاء الإسلام ، وسلم تسليماً كثيراً .

وإن الله تعالى جعل تحيية الأيام الشريفة الإمامية الحاكية أدام الله إشرافها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأرزاقها ؛ ردّ الحقوق إلى فصائها ، وإعادتها

إلى مستحقها ولو تآدت الأيام على اغتصابها ، وإقرارها عند من هو دون الوري
أولى بها : ليحقق أن نسبه الشريف أظهر على أواصره دلائل الإنجاز ، وحلى كلماتها
بالإنجاز وهباتها بالإنجاز ؛ وإن الله جعل الإسم الشريف الحاكمي في الحكم بأمره
على خير مسعى ، وقوى منه في تأييد كلمة الحق جنانا وعزما ، ولم يخرج من
أحكامه عن اتباع أمر الله قضية ولا حكا ؛ وكنت أيتها السيد ، العالم ، العادل ،
السلطان ، الملك ، الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، أبو الفتح محمد ابن السلطان الشهيد
الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون - قدس الله روحه - أولى الأولياء بالملك
الشريف : لما سلفك من الحقوق ، وما أسلفوه من فضل لا يحسن له التماسي
ولا العقوق ؛ ولما أوجب لك على العساكر الإسلامية سابق الإيمان ، وصادق
الإيمان ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طاريف وتالد ، وفقت بزكى نفس وأخ ووالد ؛
وجلالة ماوريتها عن كلاله ؛ وخلال ، ملها بالسيادة إخلال ؛ ومفانير ، تكثر البحر
الزائر ؛ وماثر ، أعجز وصفها الناظم والذير ؛ وكان ركابك العالي قد سار إلى الكرك
المحروس ، وقعدت عنك الأجسام وسافرت معك النفوس ؛ ووثقت الخواطر بأنك
إلى السلطنة تعود ، وأن الله تعالى يمدد لك صعودا إلى مراتب السعود ؛ وأقت بها
وذكرك في الآفاق سائر ، والآمال مبشرة بأنك إلى كؤسى تملكيتك صائر . فلما أحتاج
الملك الشريف في هذه المدة إلى ملك يترسريه ، وسلطان تغدو باستقراره عيون
الأنام والأيام قريه : لما للمسلمين في ذلك من تبسير أوطار وتعمير أوطان ،
ولأنهم لا يتقدمون في المصالح الإسلامية إلا بسُلطان ؛ لم يدبر في الأذهان ، ولا خطر
لتايس ولا دان ؛ إلا أنك أحق الناس بالسلطنة الشريفة ، وأولاهم برؤيتها المنيفة ؛
ولا ذكر أحد إلا حقوق بينك وفضلها ، ولا قال عنكم إلا بقول الله : ﴿ وكأولئك أحق
بها وأهلها ﴾ : لأن البلاد فتوحات سيوفكم ، ورعاياها فيا هم فيه من الأمن والخير

بمَنْزِلَةِ ضِيُوفِكُمْ ؛ وَلَئِنْ الْعَسَاكِرَ الْإِسْلَامِيَّةَ اسْتَرْفَقَهُمْ وَلَاؤُكَ ، وَوَالَوْكَ لَانْهَمَ أَرْقَاؤُكَ ؛
فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : أَيْنَ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ؟ بَلْ أَتَوْا كُلُّ مَنْهُمْ لَكَ بِالْيَدِ وَقَرَّ بِوِلَايَتِكَ عَيْنًا ؛
وَأَخْلَصُوا فِي مُوَالَاةِكَ الْعَقَائِدَ ، وَاسْتَبَشَرُوا مِنْكَ بِمُبَارَكِ الْوَجْهِ مَا جَدَّ جَانِدٌ ؛ وَلَمْ يَغِبْ
غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدَ ؛ وَرَفَعَتِ الْمَمَالِكُ يَدَ الصَّرَاعَةِ سَائِلَةً وَرَاغِبَةً ،
وَخَطَبَتِكَ لِعَقَائِلِهَا وَمَعَاقِلِهَا وَالْخُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ خَاطِبَةٌ وَبِدَعَائِكَ مُحَاطِبَةٌ ؛
وَقَصَدَتْ لَذَلِكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا تَزَالُ تُقَصَّدُ ، وَدُعِيَتْ لِلْعَوْدِ الْمُبَارَكِ وَعَوْدُ مُحَمَّدٍ لِلْأُمَّةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ أَحَدٌ ؛ وَقَعَلَتْ الْجَيُوشُ الْمَنْصُورَةُ مِنْ طَاعَتِكَ كُلِّ مَاسَرٍّ ، وَارْتَبَتْ فِي صِدْقِ
النِّيَّاتِ وَرَبِّهَا عَلَى كُلِّ مَنْ بَرَّ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقَاتًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا * فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ !

فَا ضَرَّ بِحَمْدِ اللَّهِ بَعْدَ الدَّارِ وَالْأَمَالِ بِسَاكِينِهَا مُعْطِيفُهُ ، بَلْ كَانَ لَكَ الذِّكْرُ فِي قَلْبِ
الْخَلِيفَةِ نِعَمَ الْخَلِيفَةِ ؛ وَكَانَتْ لَدَيْهِ - وَإِنْ غَبَتْ - حَاضِرًا بِجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَنَائِتٌ دَارًا
فَقَرَّبَكَ إِلَيْهِ حُسْنُ التَّصْوِيرِ فِي الْفِكْرِ . وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَاهَدَكَ يَاقِمًا ، وَشَهِدَ
خَاطِرُهُ أَنْ سَتَصِيرُ لِلْمُسْلِمِينَ نَافِعًا ؛ وَتَأَمَّلَ مِنْكَ أَمَانَةُ أَمْنِي لَهَا لَتَرْقُبَكَ أَمَلًا ، وَهَلَاكًا
دَلَّتْهُ كِرَامَتُهُ حَوْلًا تَتَرَكُّ الْكَرَامَةُ عَلَى أَنْ سَيَكُونُ بِدَرَاكِمِهَا ؛ وَبَلَقَهُ عَنْكَ مِنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ، مَا عَجَزَ وَضْفُهُ بِلَاغَتِي الْقَلَمِ وَاللِّسَانِ ؛ فَنَادَاكَ نِدَاءَهُ عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ ،
وَلَمْ يَجِدْ لَكَ نَظِيرًا فَاطَالَ وَأَطْلَبَ لِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ الْإِنْتِظَارِ ؛ إِلَى أَنْتِ أَقْدَمْتِ
إِقْدَامَ اللَّيْلِ ، وَقَدِمْتَ إِلَى الْبِلَادِ الْمَتَعَطِّشَةِ إِلَى نَظَرِكَ الشَّرِيفِ قُدُومَ الْغَيْثِ ؛
فَلَاخَ بِكَ عَلَى الْوُجُودِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ ، وَحَمْدُ الرِّعَايَا سُرَاكُ عِنْدَ الصُّبْحِ وَالْإِسْتِصْبَاحِ ؛
وَشَاهَدُوا مِنْكَ أَمْدًا فَاقَ بَوَائِيَهُ وَنَبَاتِيَهُ الْأَوَّلَ ، وَخُصَصَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِإِدَالَةِ دَوْلٍ
وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِنُشْلِ الدُّوَلِ ؛ وَقَامَتْ بِاخْتِيَارِكَ عَلَى اخْتِيَارِكَ الدَّلَائِلُ ، وَعَرَفَكَ

سريرُ الملك وعرفَ فيك من أيبك شمائل ؛ ورأى أمير المؤمنين من نجابتك فوق ما أخبرت به سؤالةُ الرُكبان ، ومن مهابتك مادل على خفض الشاني ورَقع الشان ؛ ومن محامدك كل ما صغر الخبر عنها الخبر ، وأعلنت السنة الأقدار بأنه لم يبق عن تقليدك الممالك الإسلامية بحمد الله تعالى عُدْر ؛ فاختارك على علم على العالمين ، وأجبتك للذنب عن الإسلام والمسلمين ؛ وأستخار الله تعالى في ذلك فخار ، وأفاض عليك من بيعته المباركة مع نورك المشتبر حلل الفخار ، وعهد إليك في كل ما آشتلت عليه دعوة إمامته المعظمة ، وأحكام خلافته التي لم تزل بها عقود الممالك في الطاعة مُنظمة ؛ وفوض إليك سلطنة الممالك الإسلامية برًا وبحرا ، شامًا ومصرًا ؛ قُربًا وبُعدًا ، غُورًا وتَجُددًا ؛ وما سيفتحمه الله عليك من البلاد ، وتستقنه من أيدي ذوى الإلحاد ؛ وتقليد الملوك والوزراء ، وقضاة الحكم العزيز وأمير الأُمراء ؛ وتجهيز العساكر والبُعوث للجهاد في سبيل الله ومحاربة مَنْ ترى عمارته من الأعداء ، ومهادنة مَنْ ترى مُهادنته منهم ؛ وجعل إليك في ذلك كله العقد والحل ، والإبرام والنقض والولاية والعزل ؛ وقلدك ذلك كله تقليدًا يقوم في تسليم الممالك إليك مقام الإقلید ، ويقضى لقربها وبُعديها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشديد : تعلم أنَّ الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكية - أدامها الله تعالى - فلَكَ أبدى سالما من البيت الشريف المنصوري أثمارا ، وأطلع منهم أتقا بدرا ملأ الخافقين أنوارا ؛ فكلما ظهرت لسلفه ما تُرِبت ما تُرِخلفه أظهر ، ومن شاهدتهم وشاهد شمس سعادته المتزعة عن الأقول قال هذا أكبر ؛ وكلما ذكر لأحدهم فضل علم أنه في أيامه مترّد ، وأنه إن مضى منهم سيّد في سيّله ، فقد قام بأطراف الأُسنة منهم سيّد ؛ وصير الدولة الشريفة الخليفة غابا إن غاب منهم أُسود ، خَلَفهم شبل بشرت بحاياله أنه عليها يسود .

فَلْيَقْلِدِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرَ مَا قَلَّدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلْيَكُنْ لِدَعْوَتِهِ الْهَادِيَةِ مِنَ الْمُلْكَيْنِ وَعَلَيْهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلْيَتَرَقَّ إِلَى هَذِهِ الرُّتَبَةِ الَّتِي اسْتَحَقَّهَا بِحَسَبِهِ ، وَاسْتَرْقَهَا بِنَسَبِهِ ، وَلْيَبَاشِرْهَا مُسْتَبَشِرًا ، وَيُظْهِرْ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا مَا يَبْدُو بِهِ مُسْتَظْهِرًا ، فَقَدْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِيَامَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ فَأَقَامَكَ أَنْتَ مُقَامَهُ ، وَصَرَفَ بَكَ بَيْنَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْمُعْصِيَاتِ إِكْرَامَهُ وَأَنْتِقَامَهُ ، وَرَعِيًّا لِمَهْدِ سُلُوكِ الْكَرِيمِ ، وَلِمَا اسْتَوْجَبَتْهُ نَفْسُكَ الْغَيْبَةُ مِنْ وَفُورِ التَّعْظِيمِ وَالْكَرِيمِ ، وَعِنَايَةٍ بِالْعَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الَّذِينَ وَجَّهُوا وَجُوهَ آهْلِهِمْ إِلَيْكَ ، وَأَبَتْ كَلْبُهُمْ الَّتِي صَانَهَا اللَّهُ عَنْ التَّفَرُّقِ أَنْ تَجْتَمِعَ فِي الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَدَيْكَ ، وَمِنَّةً عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانِ مَا رَجَّحُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَطْلُبُونَهُ ، وَمَلِكٍ نَسَبُوا بِأَبْوَابِهِ الْعَالِيَةِ فَلِهَذَا يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ .

فَاخْتِمْ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكَ فِي إِعَادَةِ الْمُلْكِ أَسْوَةً لِسُلْطَانٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّهُ إِلَيْكَ رَدًّا لَا أَنْفِصَالَ لِعُرْوَتِهِ وَلَا أَنْفِصَامَ ، فَاضْهِتَ لِأُمُورِ عِبَادِهِ سَدَادًا ، وَلِثُقُورِ بِلَادِهِ سِدَادًا ، وَلِخَلِيفَةِ عَضُدٍ فِي الْخَلِيقَةِ ، وَفِي الدَّهْرِ سَائِمِي الْحَقِيقَةِ حَامِي الْحَقِيقَةِ ، وَلِلْمُلْكِ وَارثًا ، وَرَفَاقًا رُفِيًّا أَصْبَحَتْ بِهِ فِي السُّلْطَنَةِ وَاحِدًا وَخِلَافَةً الْمَعْظَمَةِ نَائِبًا وَلِلْقَمَرَيْنِ ثَالِثًا .

وَبُشْرَاكَ ! أَنَّ اللَّهَ أَرَمَ سَبَبَ تَأْيِيدِكَ إِبْرَامًا لَا تَصِلُ الْأَيْدِي إِلَى تَقْضِهِ ، وَأَنَّكَ سُلِّتَ عَنْ أَمْرِ طَالِكَ أَتَمَّ غَيْرَكَ سُؤْلُهُ فِي بَعْضِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يُخَيِّنُ لَكَ الْعَوْنَ وَبِكَ الصُّونَ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” يَاعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ! لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنِ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكُلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا “ .

وبشراك ! أن أمير المؤمنين خَصَّكَ بمزيد الاعتناء ، وأقامك مُقامه في حُسن
التناء ، وحقَّق أنَّ السعادة في أيامه موصولةٌ منكم بالآباء والأبناء ؛ وبلغك بهذا
التقليد الشريف الأمانى ، وتَوَجَّهَ بِمِيزان قربة عهد باسلام الركن اليماني ؛
وأصطفاك بقلب أظهر له الكُشوف إشراف تلك السُور ، وغداً مغموراً بالهداية
ببركة البيت المعمور ، ونظير زادته مشاهدة الحرم الشريف النبوى نُورا على نُور ؛
فقابل ذلك بالقيام في مُهمات الإسلام ، وتدقيق النظر في مصالح الخِلاص والعام ؛
وأجتهِد في صيانة الممالك اجتهداً يحرس منها الأوساط والأطراف ، وتنظِّم به
أحوالها أجل انتظام وتأليف أجل اختلاف .

والوصايا كثيرةٌ وأولها تقوى الله : فليجعلها حليّة لأوقاته ، ويحافظ عليها
محافظَةً من يتقيه حق ثباته ؛ ويحذرها تحيى فكره وأنيس قلبه ، ويعظم حرّمات الله :
(ومن يعظم حرّمات الله فهو خير له عند ربه) .

والشرع الشريف فهو لعقد الإسلام نظام ، وللدّين القيم قوام ؛ فتجنّب
في آتفاء سنّته ، والعمل بمفروضه وسنّته ؛ وتكريم أهله وقضاياه ، والتوسّل بذلك
إلى الله في آتفاء مرّضاته .

وأمرأء دولتك فهم أنصار سَلَك الصالح ، وذوو النِصاح فيما آثروه من المصالح ؛
وخلصاء طاعتهم في السرّ والتجوى ، وأعاونهم على البرّ والتقوى ؛ وهم الذين أحلّهم
والدّك من العناية المحلّ الأسمى ، والذين سبقت لهم بحسن الطاعة من الله الحُسنى ؛
ولو لم يكن لهم إلا حُسن الوفاء ، لكفّاهم عندك في مزيد الاعتدال والإستيفاء ؛ فإنهم
جادلوا في إقامة دولتك وجالّدوا ، وأوفوا بالعهد فهم الموفون بهدم إذا عاهدوا ؛
وهم اللوصايا بخدمة وأعون ، وفيما آتمنتهم عليه لأماناتهم وعهدهم بأعون ؛ قدأصقوا

لك النِّبَاتِ بظُهرِ الغَيْبِ ، وأَخْلَصُوا الطُّيُوتِ إخْلَاصاً لَاشِكَّ مَعَهُ ولا رَيْبَ ؛
وَنَابُوا عَنكَ أَحْسَنَ مَنَابٍ ، وَكَفُّوا كَفَّ المدْفُوفِ طَالُ لَهُ لاَ قَرَارَ ولا أَخْيَاسَ
طُفُرٍ ولا نَابٍ ؛ وَاتَّخَذُوا لَهْمَ بَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَكَ يَدَا ، وَأَتَلُوا لَهْمَ بِهِ مَجْدَا يَبْقَى
حَدِيثُهُ الحَسَنُ الصَّحِيحُ عَنْهُمْ مُسْتَدَا .

فَاسْتَوْصَ بِهِمْ وَبَسَائِرِ عَسَاكِرِ المَنْصُورَةِ خَيْرَا ، وَأَجِلَ لَهْمَ سِرِّةٍ وَفِيهِمْ سِرَا ؛
وَأَخِيذْهُمْ عُقْبَى هَذِهِ الخِدْمَةِ ، وَأُورِدْهُمْ مَنَهِلَ إِحْسَانٍ يُضَاعِفُ لَهْمَ النِّعْمَةِ وَالنِّعْمَةِ :
لَتُؤَكِّدَ طَاعَتَكَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَتَّقُوا بِحُسْنِ المَكَاافَةِ : (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ
إِلَّا الإِحْسَانُ) . وَلِتَرْدَادِ أَوَامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ آمِنَتَالَا ، ولا يَجُودُوا عَنْ حُبِّهِ أَبَاكَ
الشَّرِيفَةِ آتِنَقَالَا ، وَلِنَقَالَ فِي حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَإِحْسَانِكَ : هَكَذَا هُكْنَا وَإِلَّا فَلَا لَا .

وَأَمَّا الغَزْوُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ، وَمَا أَوْجَبَهُ فِيهِمَا قَوْلُهُ : (أَتَقْرَأُوا خِفَاتَا
وَنِقَالَ) ، فَأَقُلْ مَا يُجْزِي فَرَضَ الكِفَايَةِ مِنْهُ مَرَّةً فِي كُلِّ عَامٍ ، وَأَمَّا فَرَضُ العَيْنِ
فَوُجُوبُهُ عَلَى دَوَى الإِسْطَاعَةِ مِنَ المَسْلُومِينَ عَامً ؛ وَقَدْ عَرَفْتَ سَنَنَ السُّلْطَانِينَ
الشَّهِيدِينَ : وَالدِّيكِ وَإِخِيكَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُمَا - فِي الإِعْتِنَاءِ بِجِهَادِ الكُفَّارِ ، وَغَزْوِهِمْ
فِي عُقْرِ الدَّارِ ؛ وَمَوْقِفَ أَحَدِهِمَا فِي مَوْطِنِ زَلَّتْ فِيهِ الأَقْدَامُ عَنِ الإِقْدَامِ ، وَاجْتَمَعَ
فِيهِ الكُفْرُ عَلَى الإِسْلَامِ ؛ وَشَابَ مِنْ هَوْلِهِ الْوَلِيدُ ، وَمُضَابَرَتُهُ نَجْمَا سَيْفٍ مِنْ سُيُوفِ
اللهِ تَعَالَى الْإِمَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ؛ وَاسْتِنْفَادُ لَأَخِرِ البِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي أَهْنَدَهَا اللهُ
مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ عَلَى يَدِ الصَّلَاحِينَ ، وَفَتَحَ لَهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ بِرِكَاتِ الْإِفْتِتَاحِينَ ؛
وَأَنْ وَالِدَكَ وَأَخَاكَ سَدَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْقَبَاجِ ، وَطَهَّرَا مِنْ أَرْجَاسِهِمُ الْعَذْبَ الْقُرَاتِ
وَالْمِلْحَ الْأَبْجَاجِ ؛ فَالْكَتَابُ الْمَنْصُورِي ، أَبَادَتِ التَّنَارَ بِالسُّيُوفِ الْمَشْرِيقِيَّةِ . وَالْمَلِكُ

الإسلامية، زَهَتْ نِظَامًا بِالْفُتُوحَاتِ الْأَشْرَفِيَّةِ؛ فَاجْتَهَدَ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ أُمَّ
أَجْتَهَدَ، وَعَزَّزَهُمَا بِثَالِثٍ فِي الْقَزْوِ وَالْجِهَادِ .

وَأَمَّا الرَّعَايَا بِعِيْدِهِمْ وَقَرِيبِهِمْ ، وَمَسْتَوْطِنُهُمْ وَغَيْرِهِمْ ، فَيُوقِّهِمْ مِنَ الرَّعَايَةِ
حَظُّهُمْ ، وَيُنْزِلُ صِيَابَتَهُمْ وَحِفْظَهُمْ ؛ وَكَأَيْرَى الْحَقُّ لَهُ فَلَيْزَ الْحَقُّ عَلَيْهِ ، وَيُحْسِنُ إِلَى
رَبَّايَاهُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْعَدْلُ فَهُوَ لِلْبِلَادِ عِمَّارُهُ ، وَلِلْأَسْعَادَةِ أَمَّارُهُ ، وَلِلْآخِرَةِ مَنَاجِدُهُ مِنَ النَّفْسِ
الْأَمَّارَةِ ؛ فَلْيَكُنْ لَهُ شِعَارًا وَدِتَارًا ، وَلْيُؤَكِّدْ مَرَامِيَّهُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْمَحَافَظَةِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا يُذَكِّرُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَيُشْكِرُ .

وَالْحُدُودُ الشَّرْعِيَّةُ فَلْيُحَلِّ بِإِقَامَتِهَا لِسَانَهُ وَطَرَسَهُ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا بِتَقْصِصِ
وَلَا زِيَادَةٍ (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) . وَاللَّهُ يَخْلُدُ لَهُ رُتْبَةُ الْمَلِكِ
الَّتِي أَعْلَى بِهَا مَقَامُهُ ، وَيُدِيمُهُ نَاصِرًا لِلدِّينِ الْخَنِيفِ فَانْصَارُهُ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَيَجْعَلُ سَبَبَ هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ مَدَى الْأَيَّامِ مَتِينًا ، وَيَجْتَدُّ لَهُ
فِي كُلِّ وَقْتٍ نَصْرًا قَرِيبًا وَقَعْمًا مُبِينًا . وَالْخَطُّ الْحَاكِي أَعْلَاهُ ، حِجَّةُ بَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



وعلى نحو من ذلك كتب القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر عن المستنفي بالله،
أبي الربيع سليمان، عهد الملك المظفر ركن الدين "بيروس المنصوري" الجاشنكير.
وهذه نسخته :

هذا عهد شريف أنتظمت به عقود مصالح الملك والملك، وأبست ثغور الثغور بيعة التي شهدت بصحتها الكرام الملائك؛ وتمسكت النفوس بحكم عقده النضيد ومريم عقده النظيم، ووجعت بميثاقه فتركت الأئسن مستفحة بقول الله الكريم: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) .

الحمد لله الذى جعل الملة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركن شديد، وتحوى من متاجرة مقلتها كل ما كانت ترومه من تأييد التأيد، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من نصرة الدين الحنيفي وإن مل الحديد من الحديد؛ وموتى ملكه من يشاء من عباده، وملقى مقاليد الولي الملى بقمع أهل عتاده؛ وما نحه من لم يزل بزعامة ومكارمه مرهوبا مرغوبا، ومولي ومولي من غدا محبوا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا، ومفوض أمره ونهيه إلى من طالما صرف خطيه عن حى الدين أخطارا وخطوبا .

والحمد لله مجرى الأقدار، ومظهر سر الملك فيمن أضحى عند الإمامة العباسية بحسن الاختيار من المصطفين الأخيار؛ جامع أشنات الفخار، ورافع لواء الاستظهار؛ ودافع لأواء الأضرار، يميل الإلتجاء إلى ركن أسمى بقوة الله تعالى على المنار، وإفى المبار، بادى الآثار الجميلة والإيثار .

والحمد لله على أن قلد أمور السلطنة الشريفة لكافها وكافها، وأسند عقدها وحلها لمن يترك بكرم فطنته وسليم فطوره عواقب الأمور من مباديها، وأبد الكائب الإيمانية بمن لم تزل عواليه تبلغها من درى الأمانى معاليها .

يمجد أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز نصرها بأركان تشييدها وتشديد أركانها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

لا يبرح الألبسة تروىها والقلوب تتويها، والمواهب تُجزل لقائلها تتويها؛
ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أكل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مؤزرت لأجل
موروث؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنمي بركاتها وتتم^(١) وتخص حسناتها
وتتم؛ ورضي الله عن عمه العباس جد أمير المؤمنين، وعن آباءه الأئمة المهديين؛
الذين ورثوا الخلافة كابرا عن كابر، وسمت وسمت باسمائهم ونعتهم ذرى المنابر.

أما بعد، فإن الله عز وجل لما علق بولانا أمير المؤمنين مصالحي الجمهور، وعقد
له البيعة في أعناق أهل الإيمان فزادهم نورا على نور؛ وأورثه عن أسلافه الطاهرين
إمامة خير أئمة، وكشف بمصابريته من بأس العدا ظلام كل عمة؛ وأنزل عليه
السكينة في مواطن النصر والفتح المدين، وثبتته عند تزلزل الأقدام وثبت به قلوب
المؤمنين؛ وأفاض عليه من مهابة الخلافة وموآدبها ماهو من أهله؛ وأنتم نعمته عليه
كما أمتها على أبويه من قبله - بايع الله تعالى على أن يختار للتخليك على البرايا،
والتحكيم في الممالك والرعايا؛ من أسس بنيانه على التقوى، وتمسك من خشية الله
تعالى بالسبب الأقوى؛ ووقف عند أوامر الشرع الشريف في قضاءه وحكمه،
وتنفض لأداء فرض الجهاد بمعالى عزمه وحزمه؛ وكان المقام الأشرف العالی،
المولوی، السلطانی، المملکی، المظفری، الركنی؛ سلطان الإسلام والمسلمين،
سيد الملوك والسلطين؛ ناصر الملة المحمدية، منجي الدولة العباسية؛ أبو الفتح
«بيبرس» قسيم أمير المؤمنين: أعز الله تعالى ببقائه حي الخلافة وقد قل، وبلغ
في بقاء دولته الأمل - هو الملك الذي آتت الإجماع على تفضيله، وشهدت مناقبه
الظاهرة باستحقاقه لتحويل الملك إليه وتحويله؛ وحكم التوفيق والأمناء بترقيته

إلى كرمى السلطنة وصعوده ، وقضيت الأقدار بأن يلقى إليه أمير المؤمنين أزيمة
 عهوده ؛ والذي كم خففت قلوب الأعدى عند رؤية آيات نصره ، ونظفت السنة
 الأقدار بأن سيكون ملك عصره وعزيز مضره ؛ وأهتزت أعطاف المنابر شوقاً لافتحار
 باسمه ، وأعتريت الممالك بمن زاده الله بسطة في علمه وجسمه ؛ وهو الذى مابرح
 مدّ نساً يجهاد فى الله حق جهاده ، ويساعد فى كل معركة بمهفات سيوفه ومثقات
 صماده ؛ ويئدى فى الميحاء صفحته للصفاح فيقه الله ويقيه : ليجعله ظله على
 عباده وبلاده ، فيردى الأعداء فى مواقف تأييده فكّم عفر من خد الملوك الكفر
 تحت سناك جياده ، ويشفى بصدور سيوفه صدور قوم مؤمنين ، ويسقي ظله
 أسنّه فيرويا من مورد وريد المشركين ؛ ويطلع فى سماء الملك من غرر آرائه
 نيرات لا تأفل ولا تغور ، ويظهر من مواهبه ومهابة ما تحسن به الممالك وتحصن
 الثغور ؛ فما من حصن استغلقه الكفر إلا وسيفه مفتاحه ، ولا ليل خطب دجا
 إلا وغرته الميمونة صباحه ؛ ولا عز أمل لأهل الإسلام إلا وكان فى رأيه المسدّد
 نجاحه ، ولا حصل خلل فى طرف من المالك إلا وكان بمشية الله تعالى وبسداد
 تديره صلاحه ؛ ولا أنفق مشهد عدو إلا والملائكة الكرام بمظافرتة فيه أعدل
 شهوده ، ولا تجند فتوح للإسلام إلا جاد فيه بنفسه وأجاد ؛ (والجود بالنفس
 أقصى غاية الجود) .

كم أسلف فى غزو أعداء الدين من يوم أغر محجل ، وأنفق ماله ابتغاء مرضاة
 الله سبحانه فغاز الفخر المجمل والأجر المؤجل ؛ وأحيا من معالم العلوم ودوآرس
 المدارس كل دائرة ، وحثه إيمانه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعة لكل تال

وذاكر : (إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) . وهو الذى مازالت الأواباءُ تَتَخَيَّلُ تَجَاوِلَ السُّلْطَنَةِ فى إعطائه مَعْنَى وَصُورِهِ ، والأعداءُ يَرُمُونُ إطفاءَ ماأفاضه الله عليه من أشعة أنواره : (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ) . طَلَبًا تَطَاوَلَتْ إليه أَعْنَاقُ الْمَمَالِكِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا جَانِبًا ، وَتَطَلَّعَتْ عَلَى قُرْبِهِ فَكَانَ لَهَا - رِعايَةً لِدَيَمَةِ الْوَفَاءِ - مُجَانِبًا ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكَلِمَةِ سُلْطَانِهِ أَنْ تُرْفَعَ ، وَحُكِّمَ لَهُ بِالصُّعُودِ فى دَرَجَةِ الْمُلْكِ إِلَى الْحَمَلِ الْأَعْلَى وَالْمَكَانِ الْأَرْفَعِ ، وَأَدْنَى لَهُ مِنَ الْمَوَاهِبِ مَا هُوَ عَلَى اسْمِهِ فى ذَخَائِرِ الْغُيُوبِ مُسْتَوْدَعٌ .

فصند ذلك استأخَّرَ اللهُ تعالى سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا الإمامَ المُسْتَكْفِي بالله أميرَ المؤمنين أبو الربيع سُلَيْمَانَ ، أَبْنَ الإمامِ الْحَاكِمِ (وذكر نسبه على العادة) جعل الله الخلافةَ كلمةً باقيةً فى عَقِبِهِ ، وَأَمَعَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِشَرْقِ حَسْبِهِ وَنَسَبِهِ ، وَعَهَّدَ إِلَى الْمَقَامِ الْعَالِى السُّلْطَانِى بِكُلِّ مَاوَرَاءَ سِرِّ خِلَافَتِهِ ، وَقَلَّدهُ جَمِيعَ مَا هُوَ مُقَلَّدُهُ مِنْ أَحْكَامِ إِمَامَتِهِ ؛ وَبَسَطَ يَدَهُ فى السُّلْطَنَةِ الْمُعْظَمَةِ ، وَجَعَلَ أَوَامِرَهُ هِىَ النَّاظِدَةُ وَأَحْكَامَهُ هِىَ الْمُحْكَمَةُ ؛ وَذَلِكَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ ، وَالْفَرَاتِيَّةِ ، وَالْجَبَلِيَّةِ ، وَالسَّاحِلِيَّةِ ، وَالْقِلَاعِ وَالْثُغُورِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَالْبِلَادِ الْإِحْجَازِيَّةِ ، وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَكُلِّ مَا هُوَ إِلَى خِلَافَةِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ مُنْسُوبٌ ، وَفى أَقْطَارِ إِمَامَتِهِ مُحْسُوبٌ ؛ وَأَلْقَى إِلَى أَوَامِرِهِ أَرْزَمَةَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، وَالرِّقِّ وَالْحَقْضِ ؛ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ فى يَدِهِ مِنْ حُكْمِ الْأَرْضِ ، وَمِنْ إِقَامَةِ سُنَّةٍ وَفَرْضِ ؛ وَفى كُلِّ هِيَةِ وَتَمْلِكِ ، وَتَصَرُّفِ فى وَلايَةِ أُمُورِ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكَ ؛ وَفى تَوَلِيَةِ الْقَضَاةِ وَالْحُكَّامِ ، وَقَضْلِ الْقَضَايَا وَالْأَحْكَامِ ؛ وَفى سَائِرِ التَّحْكُمِ فى الْوُجُودِ ، وَعَقْدِ الْأَلْوِيَّةِ وَالْبُنُودِ ، وَتَجْنِيسِ الْكُتُبِ وَالْجُنُودِ ،

وتجهيز الجيوش الإسلامية من التأييد إلى كلِّ مقام محمود ؛ وفي قهر الأعداء الذين
نرجو بقوة الله تعالى أنْ يَكُنَّه من تَوَاصِيهِمْ ، ويُحَكِّم قَوَاصِيَه في أَسْتِزَالَم من
صَبَاصِيهِمْ ، وَأَسْتِئْصَال شَافَةِ عَاصِيهِمْ ؛ حَتَّى يَجُوزَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِمَصَابِيح سُيُوفِهِ
سَوَادَ خُطُوب الشَّرْكَ الْمُذْهِمَةِ ، وَتَقْدُوسَ رِيَاةِ فِي أَقْتِلَاعِ قِلَاعِ الْكُفْرِ مُسْتَهْمَةٍ ؛
وَتُرْهِيم خَيْلِ بُعُوته وَخَيَالِهَا فِي الْيَقَظَةِ وَالنَّامِ ، وَيَدْخُلُ فِي أَيَّامِهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ
«مَدِينَةَ السَّلَامِ» بِسَلَامٍ - تَقْوِيضًا نَامًا عَامًا ، مَنْصُودًا مُنْظَلًا مُحْكَمًا مُحْكَمًا ؛ أَقَامَهُ مَوْلَانَا
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ مَقَامٍ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ ، وَأَسْتَشْهَدُ الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ فِي ثُبُوتِ هَذِهِ
الْبَيْعَةِ الْمُتَيْفَةِ .

فَلْيَتَقَلَّدِ الْمَقَامَ الشَّرِيفَ الْعَالِي السُّلْطَانِي - أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ - عَقْدَ هَذَا الْعَهْدِ الَّذِي
لَا تَطْلُعُ لِمُتْلَهُ الْأَمَالُ ، وَلَيْسَتْ سِيَكُ مِنْهُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَلَا أَنْفِصَالُ ،
فَقَدْ عَوَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى يَمْنِ أَرَأَيْكَ الَّتِي مَابَرَحْتَ الْأُمَمُ بِهَا فِي الْمُعْصِلَاتِ تَسْتَشْفِي ،
وَأَسْتَكْفِي بِكَفَايَتِكَ وَكَفَالَتِكَ فِي حِبَاطَةِ الْمُلْكِ فَاضْحَى ؛ وَهُوَ بِذَلِكَ الْمُسْتَكْفِي ؛
وَهُوَ يَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْوَصَايَا أَحْسَنَ الْقَصَصِ ، وَيَنْصُ لَدَيْكَ مَا أَنْتَ آخِذٌ مِنْهُ
بِالْعَزَائِمِ إِذَا أَخَذَ غَيْرُكَ فِيهِ بِالرُّخْصِ ؛ فَإِنْ نُبِّهْتَ عَلَى التَّقْوَى فَطَالَمَا تَمَسَّكَتَ مِنْهَا
بِأَوْثَقِ عُرْوَةٍ ، وَإِنْ هُدَيْتَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ فَمَا زِلْتَ تَرَقُّ مِنْهُ أَشْرَفَ ذِرْوَةٍ ؛
وَإِنْ أَسْتَرْهَقْنَا عَزَمَكَ الْمَاضِيَ الْفِرَارِ ، وَأَسْتَدْعَيْنَا حَزَمَكَ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ دَهْرُكَ
وَاسْتَنَارَ ، فِي إِقَامَةِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَالْوَقُوفِ عِنْدَ نَبِيِّهِ وَأَمْرِهِ فِي كُلِّ حَكْمٍ
وَتَضَرِيفٍ ، فَمَا زِلْتَ - خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَكَ - قَائِمًا بِسُنَّتِهِ وَقَرَضِهِ ، دَائِبًا فِي رِضَا
اللهِ تَعَالَى بِإِصْلَاحِ عَقَائِدِ عِبَادِهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَمَا يَرِجُ سَيْفُكَ الْمُظْفَرُ لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ
خَادِمًا ، وَلِمَوَادِّ الْبَاطِلِ حَاسِمًا ، وَلَا تُؤَوِّفُ دَوَى الْبِدْعِ رَاغِمًا ؛ فَكُلُّ مَا تُوصِيكَ بِهِ

من خير قد جِئْتُ عليه طِبَاعُكَ ، ولم يَزَلْ مُشْتَدًّا فِيهِ سَاعِدُكَ مُتَدًّا إِلَيْهِ بَالُكَ ؛ غير
أَنَا تُورِدُ لِمَعْنَى اقْتِضَائِهَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِقْتِدَاءِ بِالتَّذَكُّرَةِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ ، وَأَوْجِبُهَا
نَصُّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وَيُسَدِّدُ نَحْتَ أَصُولِهَا
فِرْوَعُ يَسْتَنْبِي بِدَقِيقِ ذِهْنِهِ الشَّرِيفِ عَنْ نَصِّهَا ، وَبِحِكْمِ التَّاقِبِ عَنْ قَصِّهَا ، فَأَعْظَمُهَا
لِللَّهِ نَفْعًا ، وَأَكْثَرُهَا لِلْبَاطِلِ دَفْعًا ، الشَّرْعُ الشَّرِيفُ : فَلْيَكُنْ - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ -
عَامِلًا عَلَى تَشْيِيدِ قَوَاعِدِ إِحْكَامِهِ ، وَتَنْفِيزِ أَوَامِرِ أَحْكَامِهِ ؛ فَالْسَّعِيدُ مِنْ قَرَنِ أَمْرِهِ
بِأَمْرِهِ ، وَرِضَى فِيهِ بِمُحَلُّو الْحَقِّ وَمُؤْرِهِ . وَالْعَدْلُ فَلْيَنْشُرْ لَوَاهِهِ حَتَّى يَأْوِيَ إِلَيْهِ الْخَائِفُ ،
وَيَنْتَكِفِفَ بِرَدْعِهِ حَيْفُ كُلِّ حَائِفٍ ؛ وَيَتَسَاوَى فِي ظِلِّهِ النَّبِيُّ وَالْفَقِيرُ ، وَالْمَأْمُورُ وَالْأَمِيرُ ؛
وَيُنْسِي الظُّلْمُ فِي أَيَّامِكَ وَقَدْ تَحَدَّثَ نَارُهُ ، وَعَفَّتْ آثَارُهُ .

وَأَمَّا مَا أَحْتَفَلْتُ بِهِ الْعَزَائِمِ ، وَأَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ هِمَمِ الْمُلُوكِ الْعِظَامِ ، وَأَثَرِ عِزِّهِ
الْأَيْسَةِ وَأَرْهَفْتُ مِنْ أَجْلِهِ الصَّوَارِمَ ؛ أَمْرُ الْجِهَادِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِصْنًا
لِلْإِسْلَامِ وَجُنَّةً ، وَأَشْتَرَى فِيهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَمْ يَجْنُ لَهُ الْجَنَّةُ ؛ بَعْدَ لَهُ الْجَنَّةُ وَأَجْمَعُ
لَهُ الْكَاتِبَ ، وَأَقْضِي فِي مَوَاقِفِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ - بِأَسْكَ بِالْقَوَاضِي الْقَوَاضِبِ ؛
وَأَغْرُزُهُمْ فِي غُرِّ الدَّارِ ، وَأَرْهِفُ سَيْفَكَ الْبَيَّارَ : لِتَأْخُذَ مِنْهُمْ لِلْسَّامِينَ بِالنَّارِ . وَالتَّغْوَرُ
وَالْحَصُونِ ، فَهِيَ سِرُّ الْمُلْكِ الْمُصُونِ ، وَهِيَ مَعَاقِلُ النَّفُوسِ إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ
الزُّبُونِ ؛ فَلْيَقْلُدْ أَمْرَهَا لِكِفَاتِهَا ، وَيُحْصِ حِمَايَتَهَا بِمُجَاهَتِهَا ، وَيَضَاعِفْ لِمَنْ بِهَا أَسْبَابَ
قُوَّتِهَا وَمَادَّةَ أَقْوَاتِهَا . وَأَمْرَاءُ الْإِسْلَامِ وَجُنُودُ الْإِيمَانِ فَهُمْ أَوْلِيَاءُ نَصْرِكَ ، وَحَفَظَةُ
شَامِكَ وَنَصْرِكَ ؛ وَحِزْبُكَ الْغَالِبُ ، وَفَرِيقُكَ الَّذِينَ تَفَرَّقَ مِنْهُمْ قُلُوبُ الْعِدَا فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ ؛ فَلْيَكُنْ الْمَقَامُ الْعَالِي السُّلْطَانِي - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - لِأَحْوَالِهِمْ مُتَقَدِّدًا ،
وَبَسْطَ وَجْهِهِ لَمْ تَمُوتْ دَا ؛ حَتَّى تَتَأَكَّدَ لِمَقَامِهِ الْعَالِي طَاعَتُهُمْ ، وَتَتَجَدَّدَ لِسُلْطَانِهِ الْعَزِيزِ

صَرَّاعَتُهُمْ . وأما غير ذلك من المصالح ، فما بَرَحَ تَدِيرُهُ الْجَمِيلُ لَهَا يَتَّقَدُ وَرَأْيُهُ الْأَصِيلُ بِهَا يُبِيرُ ، فَلَا يَحْتَاجُ مَعَ عِلْمِهِ بَقَوَامِضِهَا إِلَى لِضَاحِهَا (وَلَا يُبْنِتُكَ مِثْلَ خَيْرٍ) .
وَاللَّهُ تَعَالَى يَخْصُ دَوْلَتَهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ ، وَيَمْنَحُ سُلْطَانَهُ مَا يَرْجُوهُ
مِنَ النَّصْرِ الْمَجْبُولِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المذهب الثاني

(أَنْ يَفْتَحَ الْعَهْدَ بِلَفْظِ « مِنْ فُلَانٍ » بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ الْخِلَافَةِ ،
« إِلَى فُلَانٍ » بِاسْمِ السُّلْطَانِ وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ السُّلْطَنَةِ كَمَا فِي الْمَكْتَابَاتِ ،
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ بِلَفْظِ « أَمَّا بَعْدُ »)

ثُمَّ تَارَةً يَأْتِي بَعْدَ الْبَعْدِيَةِ بِتَحْمِيدٍ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : « أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ » وَيَتَخَلَّصُ
إِلَى ذِكْرِ أَمْرِ الْوَلَايَةِ وَمَا يَتَّخِذُ فِي سِلْكِهَا ؛ وَتَارَةً يَأْتِي بَعْدَ الْبَعْدِيَةِ بِخُطَابِ الْمَوْلَى
وَالدِّعَاءِ لَهُ ، وَيَتَخَلَّصُ إِلَى مَقَاصِدِ الْعَهْدِ : مِنَ الْوَصَايَا وَغَيْرِهَا ، عَلَى اخْتِلَافِ مَقَاصِدِ
الْكُتُبِ ، وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ الْمَهُودُ فِي دَوْلَةِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ .

قُلْتُ : وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ هَذَا الْمَنْهَبُ فِيمَا إِذَا كَانَ الْمَعْهُودُ إِلَيْهِ غَائِبًا عَنْ حَضْرَةِ
الْخَلِيفَةِ : لِأَنَّ الْعَهْدَ بِصِيرِ حِينَئِذٍ كَالرَّسَالَةِ الصَّرِيحَةِ إِلَيْهِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ بِحَضْرَتِهِ
فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي مَعْنَى الرَّسَالَةِ الصَّرِيحَةِ .

وَعَلَى هَذَا الْمَنْهَبِ كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الطَّائِعِ قَدْ عَهْدَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ
شِيرْزِيكَ بْنُ عَصْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

مِنْ عِيْدِ اللَّهِ « عِيْدِ الْكَرِيمِ الْإِمَامِ الطَّائِعِ قَدْ » أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى شِيرْزِيكَ بْنِ
عَصْدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمَلَّةِ أَبِي تَجَّاجٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على عبيده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك وطمعتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموعدة فيك وعندك - فإن أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كل وليٍّ أحمدَ مذهبِهِ ، وأرضى ضرائبه ، وأنصرفَ عن الدنيا متمسكاً بطاعته ، متديناً بمشايسته ، حقوقه الموحدة ، وحُرُماته المتمهدة ؛ فيمن يخلفه بعده من ولدٍ أُمْل أن يرث عنه عمله ، ويقومَ فيه مقامه ، وفاءً لأهل الولاية ، وتصرفاً على أحكام الرعايه ؛ وسياقةً للصليحة من سالفٍ إلى خالف ، وإمضائها من تالٍ إلى طارف . هذا على الأمرِ الجامع ، والعمومِ الشامل ؛ فإذا اتفق أن مُتْنى وراثته القُرب إليه ، والمنازلَ لديه ، إلى التَّجْباء الأفاضل ، والحُصَفاء الأماثل ؛ الذين يَسْتَحِبُّونَ اسْتِنَافَ الإِصْطِنَاعِ لهم ، واستقبالَ التفويضِ إليهم بالمتأقبات الموجودة فيهم ؛ لو انفردت عما حازوه عن آبائهم وأوليائهم ، أُجرى أمير المؤمنين ما يُقْبَضُ عليهم من الأيادي ، ويُرْقَمُ إليه من هَضابِ المعالي ، مُجرى الأمرِ الواجب الذي كثرت الدواعي إليه ، واتفق الرأي والهوئى عليه ؛ وتطابق الإيتار والأخبار فيه ، وأقترن الصواب والسداد به ؛ وأشترك المسلمون في استئثار فائدته وعائده ، والاستفاد بتأديته وطبقته ؛ والله يَجِيرُ لأمر المؤمنين فيما يُمضيه من العزائم ، ويُنِيهِ من الدعائم ؛ ويعتمده من المصالح ، ويتوخاه من المناسج ؛ إنه على ذلك قدير ، وبه جدير ؛ وهو حسبُ أمير المؤمنين ونعم الوكيل .

وقد علمت - أدام الله عزك وأمتع أمير المؤمنين بك - أن شجرة بيتك [هي] التي تمكنت في الخدمة أصولها ، والفضيلة منوطها ، وأسباب التمام والدوام مجمعة فيها ؛

فذلك سبغت النعمة عليكم، وأمتد ظلها إليكم، وثقلت فيها أقداحكم، وتوقرت منها
حُقُولُكُمْ؛ فنداوتُمُوهَا بينكم كَارَأً عن كابر بمساعيدكم الصالحة، ومنايحيكم الواضحة؛
وتعاضدكم على ما لم تسمعَت الدولة الجامعة، وطرف عنها الأعين الحاسدة؛ وكان
شيخك عضد الدولة، وتاج الملة؛ أبو شجاع رضوان الله عليه، صاحب الرتبة الزعمى
عند أمير المؤمنين ومُهاجِرِهَا، والمنطلى غارِبِهَا وَسَنَامِهَا؛ فعاش ماعاش مشكوراً مجوداً؛
ثم أَقْلَبَ إلى لقاء ربه سعيداً رشيداً؛ وأوجب أمير المؤمنين لك وله منك الحُلُولَ
بمكانه، وحِجَازَ خَطَرِهِ وشأنه؛ إذ كنت أَظْفَرُ وَلَدَهُ، وأَوَّلُ المستحقين لوراثته؛
وكانت فيك مع ذلك الأدواتُ المقتضيات لأنَّ يَفُوضَ الأمورَ إليك، ويعتمدَ فيها
عليك : من كفاية وغناء، وأَسْتَقْلَالٍ ووفاء؛ وسياسة وتديرة، وشهادة وتسمير؛
وتصرف على طاعة أمير المؤمنين، وإشبال^(١) على إخوانك أجمعين، وحسن أثر فيما
أُفِيدَ أمرك فيه، وإفاضة آمن فيمن أُمِضِتْ ولايتك عليه؛ وإحاطة بدلائل
الحواله، وتحايل الأصاله؛ بمثلها تُنال الغاياتُ الأفاضى، وتُفترق النواشبُ والنواصي؛
فتوَلَّى أمير المؤمنين تلك المأثرة، وخَوَّلَكَ تلك المَفْخَرَةَ، وجعل أخاك صَحمَـمَ
الدولة، وشمس الملة؛ أبا كَالِيجَار - أمتع الله [بك] أمير المؤمنين - بك تأييده،
والمُتَقَدِّمَ بِدُكْ عَلَى وَلَدِ أَبِيكَ؛ وأجرا كما في التطبيق بينكما والتقرير لمنازلكما على مثل
ما جرى الأمر عليه بين ركن الدولة أبى على ومير الدولة أبى الحسين سالفاً، ثم بين
عضد الدولة وتاج الملة أبى شجاع ومؤيد الدولة أبى منصور آخفاً؛ تولاهم الله بالرحمة،
ونقصهم بما قبضهم عليه من وثاق العصمة؛ وخَصَّكَ أمير المؤمنين بعد ذلك
بما يُحْصَى به ذو القدر الشاوخ والقَدَمُ السابِقة، والمَحَلَّةُ السامية؛ فذكرَكَ بالكنية،
ورفعَكَ عن التسمية؛ ولقبَكَ لَقَبَيْنِ : أحدهما «شرف الدولة» لتشريفه بك أوليائه

الذين أوطاهم عَقَبُكَ ، وأَعْلَقَهُمْ حَبْلُكَ ، والآخِرُ «زَيْنُ الْمَلَّةِ» لَزِينَةُ أَبِيهِ بِمَالِكٍ ،
وتَضَاعُفَ بِحَالِهَا بِسَاعِيكَ ؛ وَعَقْدُكَ يَدَيْهِ لَوَاتِنَ يَلَوَانِ إِلَيْكَ الْأَعْنَاقُ بِالطَّوْعِ
مِنْ سَرَاهِ وَأَنْهَبَاهُ ، وَالْكَرْهُ مِنْ رَاعَاهُ وَأَزْجَاهُ ؛ وَأَمْرٌ بِأَنْ تُقَامَ لَكَ الدَّعْوَةُ عَلَى مَنَابِرِ
مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَا يَجْرِي مَعَهَا مِنْ الْأَعْمَالِ بَيْنَ الدَّعْوَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ
الدَّعْوَةِ لِصَمْعَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمَلَّةِ ؛ أَمْتَعُ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَأَحْسِنِ الدَّفَاعَ
لَهُ عِنْدَكَ : الْخَالِقُ لَكَ وَلَهُ بِمَلِكٍ بِأَيْبِكَ فِيمَا كَانَ شُرْفُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي لَمْ يُلْقِهَا
غَيْرُهُ ، وَلَا أَهْلُهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَأَنْ يُثَبِّتَ ذِكْرُكَ بِاللَّقَبِ وَالْكُنْيَةِ فِيمَا يُنْقَشُ مِنْ
سِكِّكَ الصِّينِ وَالْوَرِقِ فِي دُورِ الضَرْبِ بِإِدْيَا ، وَذِكْرُ صَمْعَامِ الدَّوْلَةِ - كَلَامًا كَمَا اللَّهُ -
تَالِيًا . وَحَبَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ ذَلِكَ بِخَلْعٍ تَامَةٍ تُفَاضُ عَلَيْكَ ، وَفَرَسَيْنِ مِنْ جِيَادِ خَيْلِهِ
يُقَادَانِ إِلَيْكَ ؛ بِمَرْكَبِيْ ذَهَبٍ مِنْ خَاصٍّ مَرَاكِبِهِ ، وَسَيْفٍ مَاضٍ مِنْ خِيَارِ أَسْيَافِهِ ؛
يُزِيْرُ اللَّهُ مَتَكِبِكَ بِخِيَادِيْهِ ، وَيُذِلُّ مَتَاكِبَ أَعْدَاكَ بِفِرَارِيْهِ ، وَطُوقَ وَسَوَارِيْهِ .
وَأَنْ تُجْرَى فِي الْمَكْتَبَةِ عَنْهُ إِلَى النَّايَةِ الَّتِي أُجْرَى أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَهَذَا التَّكَلُّبُ
نَاطِقٌ بِهَا وَدَلَالٌ عَلَيْهَا . وَتَدْبُ لِإِصْلَاحِ الْجَمِيعِ إِلَيْكَ عَلَى بَنِ الْحُسَيْنِ الْهَاشِمِيِّ الزَّيْنِيِّ ،
وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ حَاجِبِهِ وَوَحْيِ خَادِمِهِ ؛ فَتَلَقَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ الْمَلَّةِ
وَأَبَا الْفَوَارِسِ [ذَلِكَ] - أَدَامَ اللَّهُ عَزْلَكَ - بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ،
وَمِرَاقَبَتِهِ فِي قَوْلِكَ وَعَمَلِكَ ، وَابْتِفَاءِ رِضَاهُ فِي غَتْلَجِ خَطَرَاتِكَ وَفِرْكَكَ ، وَاتِّبَاعِ
طَاعَتِهِ فِي مَخَارِجِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ؛ وَقَابِلُ مَا أَنْتَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنُ فِيهِ إِلَيْكَ ، بِالشُّكْرِ
الَّذِي مَوْقِفُهُ مِنَ النِّعْمَةِ مَوْقِعُ الْقَرِيْ مِنَ الضَّيْفِ ، فَإِنْ وَجَدَهُ لَمْ يَدُمْ ، وَإِنْ قَدَّه
لَمْ يَقُمْ ؛ وَأَمْدُ عَلَى مَنْ وُلِّيتَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ظِلِّكَ ، وَوَعْدِيْ لَمْ كَتَفِكَ
وَأَعْمَرْتُمْ بِطَوْلِكَ ؛ وَهُمْ سِيَّاسَةُ يَكُونُ بِهَا صَلَاحُهُمْ مَضْمُونًا ، وَحَرِيْمُهُمْ مَضْمُونًا ؛
وَبِلَادُهُمْ مَعْمُورَةٌ ، وَمَنَاصِلُهُمْ مَوْفُورَةٌ . وَحَلِيْمُهُمْ دَائِرَةٌ ، وَوَعِيْشُهُمْ رَغْدًا ، وَتَنُورُهُمْ

مُسْتُوْدُهُ ، وَأَعَادِيَهُمْ مُدُوْدُهُ ؛ وَمَسَالِكُهُمْ حِجِّيَّةٌ ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَرَجِيَّةٌ ؛ وَهُمْ بِالمَعْرُوفِ ، وَأَنْتَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ وَأَبْنَتْهُمْ عَلَى الْحَسَنَاتِ ، وَأَكْفَفَهُمْ عَنِ السَّيِّئَاتِ ؛ وَسَاوَى فِي الْحَقِّ بَيْنَ شَرَفِهِمْ وَمَشْرِوْفِهِمْ ، وَقَوِيَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ ؛ وَقَرِيْبِهِمْ وَغَرِيْبِهِمْ ؛ وَمِلِّيَّتِهِمْ وَذَمِّيَّتِهِمْ ؛ وَقَوَّمَ سَفَهَاءَهُمْ وَجُهَالَهُمْ ، وَأَنْفَ دُعَارِهِمْ وَتُرَابِهِمْ ؛ وَآكَرَّمَ صَلَاحَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ ، وَشَاوَرَ قُضَلَاءَهُمْ وَعُقَلَاءَهُمْ ؛ وَجَالَسَ أَذْيَانَهُمْ وَأَعْلِيَاءَهُمْ ؛ وَأَنْهَمَ مَرَاتِبَهُمْ ، وَزَكَّمَ مَنَازِلَهُمْ ؛ وَأَوْرَمَ تَمَسُّكَكَ بِالْدِّينِ لِيَقْتَدُوا بِكَ فِيهِ ، وَرَغَّبَكَ فِي الْخَيْرِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْكَ بِهِ ؛ وَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَاهُ ، وَأَبْسَطَ الْعَدْلَ وَقُلَّ بِهِ ؛ وَأَدْرَأَ الْخُدُوْدَ بِالشُّبُهَاتِ ، وَأَهْمَاهُ وَأَمْضَاهُ بِالْيَقِيْنَاتِ ؛ لَتَكُوْنَ الرُّغْبَةُ إِلَيْكَ فِي رَغَبٍ ، وَالرُّهْبَةُ مِنْكَ فِي رَهَبٍ ؛ وَبِالْجَلَّةِ فَاحِلُ النَّاسِ عَلَى كَلَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - وَآدَايِهِ ، وَسَنَةِ الرُّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَعَلَ كِتَابَهُ هَذَا عَهْدًا إِلَيْكَ ، وَحِجَّةً لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ وَأَنَّ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاحِيَ فِي الْعَهْدِ تَكُونُ كَثِيرَةً ؛ وَإِنَّمَا قَصَّرَ فِيهِ عَنِ اسْتِيفَائِهَا ، لِإِرْتِفَاعِ طَبَقَتِكَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى اسْتِيفَائِهَا ، وَلِخُرُوجِ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ فِي تَضَمِينِهِ هَذِهِ الْجَمْلَ مِنْهَا ؛ فِإِذَا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْكَ مَعَ كَرَامَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا لَكَ ، فَالْيَسَّ خَلَعَهُ ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ؛ وَنَحَلَ بَحْلَاهُ ، وَأَبْرَزَ لِنَ عِلْيِكَ عَلَى حُمْلَانِهِ ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ ضُرُوبَ إِحْسَانِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ؛ وَأَنْصَبَ أَمَامَكَ اللِّوَاءَيْنِ ، وَتَنَكَّنَ وَتَقَلَّبَ بِالْقَبْقَبَيْنِ ؛ وَكَاتَبَ مِنْ تَكَاتِبِ مَنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ مُتَقَلِّبًا بَيْنَهُمَا مَتَكِّنًا ، إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْأَدَبَ أَنَّ لَا تَكَاتِبُهُ مُتَقَلِّبًا بَلْ مَسْمُومًا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ نَاقِصًا لَكَ فِيمَا أُعْطِيَهُ ، وَلَا مُرْتَجِمًا شَيْئًا مِمَّا حُيِّتَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ الْأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَالرَّسْمُ بِالْمَأْلُوفِ ؛ وَصِلْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ

تخصيص الدولة وشمس الملة - أدام الله الإمتاع بكما - بالموءده، كما وصله الله بالأخوة؛
وكوناً جميعاً يداً في طاعة أمير المؤمنين ، وأستعياً على كلمة سواء في رعاية المسلمين ؛
وأتمحفا على مسالة المسلمين ، وتماضداً في محاربة المحاربين ؛ فأت ذلك أزاب
للصدع ، وأحم للبر ، وأنظلم للشمل ، وألحق بالأهل . وأقيم الدعوة لنفسك على
منابر الممالك بعد إقامتها لأمر المؤمنين ، وكاتب أمير المؤمنين بأخبارك ، وطالعه
بأثارك ؛ وأستدع أمره فيما أستعجم من التدير عليك ، ورأيه فيما أستبهم من الأمور
دؤئك ؛ وأسترشدك إلى الحظ يرشدك ، وأستهده في الخطوب يهيك ؛ وأستمده
من المعونة يمددك ، وأشكر آلاؤه يزذك ؛ إن شاء الله تعالى .

أطال الله بقاءك وأدام عزك وأيدك ، وسعادتك ونعمتك ؛ وأمتع أمير المؤمنين
بك وبالرغبة فيك وعندك ؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وعلى هذا النبط كتب القاضي الفاضل عهد أسد الدين شيركوه بالوزارة
عن العاضد القاطمى ، والوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة على ما تقدم ذكره ،
وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه ، عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ،
الى السيد ، الأجل ، الملك ، المنصور ، سلطان الجيوش ، ولى الأمة ، نغري الدولة ،
أسد الدين ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ؛ أبى الحرث شيركوه
العاضدى ، عاهد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ؛ وأدام قدره ،
وأعلى كلمته .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فالحمد لله القاهر فوق عبادِه ، الظاهر على من جاهر بعبادِه ؛ القادر الذي يعجز الخلق عن دفع ما أودع ضمائر القيوب من مراده ، القوي على تقريب ما عزبت الهمم باستيعاده ؛ المثل بحسن الجزاء لمن جاهد في الله حتى جهاده ، مؤتي الملك من يشاء بما أسلفه من ذخائر رشاده ، ونازعه ممن يشاء بما آتاه من بكار قساده ؛ منجد أمير المؤمنين بن أمضى في نصرته العزائم ، وأستقبله الأعداء بوجوه الندم وظهور الحزائم ؛ وفعلت له المهابة ما لا تصنع الهمم ، وخلعت آثاره على الدنيا ما تحمله الأنوار على الظلم ، وعُدت نظرائه بما وُجد من محاسنه التي فاق بها ملوك العرب والعجم ، وأنتقم الله به ممن ظلم نفسه وإن ظن الناس أنه ظلم ، وذاد عن موارد أمير المؤمنين من هو [منه] أولى بها ويأبى الله سبحانه إلا إمضاء ما حتم ، ورأى إخفاء فضائله وهل يشهر طيب المسك إلا إذا أكتنم ؟ مؤيد أمير المؤمنين بإمام أقر الله به عينهم ، وقضى على يده من نصرة الدين دينهم : ﴿ لَوِ انْفَقَتْ مَادِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفْتَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

والحمد لله الذي خص جدنا محمداً بشرف الإصطفاء والإجتباء ، وأنصه من الرسالة بأحقال الأنبياء ، وذخره من شرف المقام المحمود أشرف الأنبياء ، وأقام به القسطاس ، وطهر به من الأدناس ؛ وأيده بالصابرين في البأس والضراء وحسن البأس ،

والهَسَ شَرِيئَتَهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَفْئَالِ وَالْأَقْوَالِ أَحْسَنَ لِبَاسٍ ؛ وَجَعَلَ النُّورَ سَارِيًّا مِنْهُ فِي عَقِبِهِ لَا يَنْقُصُهُ كَثَرَةُ الْإِتِّبَاسِ : ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ يُقُومُ فِي أَمْتِهِ مَقَامَهُ ، وَهَدَى بِمَرَّاشِدِ نُورِهِ إِلَى طُرُقِ دَارِ الْمُقَامَةِ ، وَأَوْضَعَ بِهِ مَنَارَ الْحَقِّ وَأَعْلَامَهُ ؛ وَجَعَلَهُ شَهِيدَ عَصَرِهِ ، وَحُجَّةَ أَمْرِهِ ؛ وَبَابَ رِزْقِهِ ، وَسَبِيلَ حَقِّهِ ؛ وَشَفِيعَ أَوْلِيَائِهِ ، وَالْمُسْتَجَارَ مِنَ الْخُطُوبِ بِأَوْلَانِهِ ، وَالْمُضْمُونَةَ لِنُورِهِ الْعُمِّيِّ ، وَالْمُسْتَوَلَّ لَهَ الْأَجْرُ فِي الْقُرْبَى ؛ وَالْمُقَرَّرَ الطَّاعَةَ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ ، وَالْغَايَةَ الَّتِي لَا يُقْصَرُ عَنْهَا بِأَوْلَانِهِ إِلَّا مَنْ تَأَنَّرَ فِي مِضَارِ النَّجَاةِ وَتَخَلَّفَ ؛ وَالْمَشْفُوعَ الذِّكْرَ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْهَادِيَ إِلَى الْحَقِّ إِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ؛ لَا يَقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِخِفَارَةٍ وَلَانِهِ ، وَلَا يَضِلُّ مِنْ أَسْتِضَاءِ بَائِجٍ هُدَايَتِهِ إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا دِينَ إِلَّا بِهِ وَلَا دُنْيَا إِلَّا مَعَهُ . لِيُضِحَ النَّهْجُ الْقَاصِدَ ، وَلِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِدِ ؛ وَلِيَكُونَ لِسَبِيحَتِهِ إِلَى الْجَنَّةِ نَيْمُ الشَّافِعِ وَالرَّائِدِ ، وَلِيَأْتِيَ اللَّهُ بِهِ بَيِّنَاتٍ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَلِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا حَبَّاهُ مِنَ التَّأْيِيدِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ ، وَأَنْفَشَرَ فِعْمَ نَعْمَةِ الْبَشَرِ ؛ وَالْإِظْهَارِ الَّذِي أَشْرَكَ فِيهِ جُنُودَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْإِظْفَارِ الَّذِي عَقَدَ اللَّهُ مِنْهُ عَقْدًا لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ النَّقْضِ ، وَالْإِنتِصَارِ الَّذِي أَبَانَ اللَّهُ بِهِ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْلَا دَعْوُ اللَّهِ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ .

وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ، الْمَبْعُوثِ رَسُولًا فِي الْأَمِينِينَ ، الْهَادِيَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، الْمُسْتَقَلِّ بِيَانِهِ أَسْتِقْلَالَ عَوَائِرِ الْجُنُودِ ، وَالْمَعْدُودِ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ عَلَى أَهْلِ الْوُجُودِ ؛ وَالصَّافِيَةِ بِشَرِيعَتِهِ مَشَارِعُ النِّعَمِ ، وَالْوَاضِحَةِ بِهَ الْخَفِيفَةِ الْبِضَاءِ

لَيْتَ لَا يَكُونُ أَمْرُ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ عُمْهٌ ، وَعَلَى أَيْدِي أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَاصِرٍ شَرِيعَتِهِ وَقَسِيمِهِ فِي النَّسَبِ وَالسَّبَبِ ، وَيَدِ الْحَقِّ الَّتِي حُكْمُهَا فِي كُلِّ حَلَبٍ بِالْقَلْبِ ، وَعَلَى الْأُتَمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا وَسَائِطِ الْحُكْمِ ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمِ وَمِفْتَاحِجِ النِّعَمِ ، وَالْمُخَفِّقِينَ دَعْوَى مَنْ بَاهَاظَهُمْ وَفَانَّرَ ، وَالْبَازِلِينَ جُهْدَهُمْ فِي جِهَادٍ مِنْ أَخْتِذَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخِرَ ، وَسَلَّمْ وَرَدَّدْ ، وَوَالِي وَجَدَّدْ .

وَإِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا قَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ إِزَالَةِ الْخَلِيقَةِ ، وَمَنْعِهِ مِنْ كَرَمِ السَّجِيَةِ وَكَرَمِ الْخَلِيقَةِ ، وَبَسْطِهِ مِنْ يَدِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَافِ ، وَأَنْجِزِهِ مِنْ مَوْعُودِهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ إِخْلَافٌ وَلَا إِخْلَالٌ ، وَأَوْصَحَهُ مِنْ بَرَاهِينِ إِمَامِيَّتِهِ لِلْبَصَائِرِ ، وَحَفِظَ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ طَلِيْعَةِ الْمَبَادِيِّ وَسَاقِيَةِ الْمَصَائِرِ ، وَأُورِثَهُ مِنَ الْمَقَامِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ فِي عَصْرِهِ ، وَاسْتَعْدَمَ فِيهِ السُّيُوفُ وَالصُّرُوفُ مِنْ تَأْدِيَةِ فَرَائِضِ نَصْرِهِ ، وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، الَّتِي لَا يَخْلُقُ مِنْهَا زَمَنٌ ، وَظَاهَرَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ ، الَّتِي زَادَتْ عَلَى أُمِّيَّةِ كُلِّ مُتَّقِنٍ ، وَأَتَمَّنَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ النُّبُوَّةِ الَّتِي رَأَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا أَشْرَفَ مَوْدَعٍ وَعَلَيْهَا أَكْرَمَ مُؤْتَمِنٍ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ دَوْلَتَهُ مِنْ تَذَلُّلِ الصَّعَابِ وَتَسْهِيلِ الطَّلَابِ ، وَتَقْلِيلِ أَحْزَابِ الشُّرْكِ إِذَا اجْتَمَعُوا كَمَا اجْتَمَعَ عَلَى جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْأَحْزَابِ بِوِاصِلِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ التَّوَامِ ، وَيَعْرِفُ بِوَارِفِهَا الْفِرَادَى وَالْأَتْوَامَ ، وَيَقْسَمُ بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ عَمَلٍ رَغْبَةً إِلَيْهِ فِي إِضْصَاحِ الْمُرَاشَدِ ، وَنِيَّةً لَا تِضْلُ عَنْهَا الْهَدَايَةُ وَلَا سِيَّامًا وَهُوَ النَّاشِدُ ، وَيَسْتَجِيرُهُ ظُلْمًا أَنَّهُ يَقْدَمُ إِلَيْهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ ، وَيُنَاجِيهِ فَيُطْلِعُهُ الْإِلَهَامُ عَلَى مَا يَحِلُّ السَّيْرِ وَيَحِلُّ الدَّيْرِ ، وَيَأْخُذُ بِيَدِ اللَّهِ حَقَّهُ إِذَا اغْتَضَبَتْ حَقُّوهُ ، وَيَسْتَجِدُّ بِاللَّهِ إِذَا اسْتَجَبَ خَلْفُهُ وَاسْتَجِيرَ عَوْقُهُ ، وَيَغْزِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا قَرَعَ الضَّارُّ ، وَيَقْبُ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا اسْتَهْلَكَتِ الشُّبُهَةُ الْبَصَائِرَ ، فَا عَرَضَ لَيْلُ كُرْبِيَّةٍ إِلَّا أَنْصَدَعَ

له عن جَفَرٍ وَصَّاحٍ ، ولا أَتَقَضَّ عَقْدُ غَايِرٍ إِلَّا عَاجِلَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِأَمْرِ قَضَاحٍ ،
ولا أَهْطَعْتُ سُبُلَ نُصْرَةٍ إِلَّا وَصَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يُرْسِلُهُ ، ولا أَتَصَدَّعْتُ عَصَا أَلْفَةٍ
إِلَّا تَدَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يَمْزُجُهُ تَجْرِيدَ الصَّفَاحِ ؛ وإِذَا عَدَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ النَّفْسَ
الْجَيْشِيَّةَ ، وَالْمَنْحَ الْكَرِيمَةَ ، وَاللِّطَائِفَ الْعَظِيمَةَ ، وَالْعَوَارِفَ الْعَمِيمَةَ ؛ وَالْآيَاتِ
الْمَعْلُومَةَ ، وَالْكَفَايَاتِ الْمُخْتَوِمَةَ وَالْعَادَاتِ الْمَنْظُومَةَ ؛ كُنْتُ أَتَمُّ السَّيِّدِ الْأَجَلِ -
أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَكَ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِكَ - أَعْظَمَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى أَثَرًا ، وَأَعْلَاهَا خَطَرًا ،
وَأَقْضَاهَا لِلْأُمَّةِ وَطَرًا ؛ وَأَحَقُّهَا بِأَنْ تَسْعَى نِعْمَهُ ، وَأَجْدَرُهَا بِأَنْ تُعَدَّ رَحْمَةً ، وَأَتَمُّهَا
أَنْ تَكْتَشِفَ غُحَّهُ ، وَأَنْضَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَزَمَهُ ؛ وَأَمْضَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
حَدًّا ، وَأَبْدَاهَا فِي الْجِهَادِ جِدًّا ؛ وَأَعْدَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ يَدًّا ، وَأَحْسَنَهَا فِعْلًا لِلْيَوْمِ
وَأَرْجَاهَا غَدًا ؛ وَأَفْرَجَهَا لِلْأُزْمَةِ . وَقَدْ كَادَتْ الْأُمَّةُ تَصِيرُ سُدًى ، وَأَحَقُّ الْأَوْلِيَاءِ
بِأَنْ يَدْعَى لِلأَوْلِيَاءِ مَيْدًا ، وَأَتَمُّهُمْ فَعْلَةً لَا يَنْصِرِمُ فِعْلُهَا الَّذِي بَدَأَ أَبَدًا .

فَلْيَبْتَئِكَ أَنْكَ حَزْبُ اللَّهِ الْغَالِبِ . وَشِهَابُ الدِّينِ التَّائِقِ ، وَمِسْفُ اللَّهِ الْقَاضِبِ ؛
وِظْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتُوْدِ ، وَمَوْرِدُ نِعْمَتِهِ الْمَوْرُوْدِ ، وَالْمُقَدَّمُ فِي نَفْسِهِ وَمَا تُؤْتِرُهُ إِلَّا
لَأَجَلٍ مَعْدُوْدٍ ؛ فَصَرَّتْهُ حِينَ تَنَاصَرَ أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَهَاجَرَتْ إِلَيْهِ هَاجِرًا بَرْدَ الزَّلَالِ
وَبَرْدَ الظَّلَالِ ، وَخُضَّتْ بِحَارَ الْأَهْوَالِ . وَفِي يَدِكَ أَمْوَاجُ الْبَصَالِ ؛ وَهِيَ فِي جَيْدِكَ الْيَوْمِ
عَقْدُ جَوَاهِرٍ مَنَّهُ وَتَقَطُّ لَآلٍ ، بَلْ قَدْ بَلَنْتَ السَّمَاءَ وَزَيَّنْتَ مِنْكَ بَجُومَ نَهَارٍ لَأَنْجُومِ
لَيْسَالٍ ؛ وَكَشَفْتَ الْتَهَاءَ وَهِيَ مُطْبِقُهُ ، وَرَفَعْتَ نَوَاطِرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهِيَ مُطْرِقُهُ ؛
وَعَقَصْتَ أَعْنَةَ الثُّغَيَّانِ وَهِيَ مُطْلَقُهُ ، وَأَعَدْتَ بِمُحَنِّكَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْمَلَوْنَةِ بِهَجَّةٍ
شَبَابِهَا الْمَوْقِعُ ، وَأَنْقَضْتَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ عَلَى شَفَى جُرْفٍ هَارٍ ، وَتَقَدَّتْ حِينَ لَا تَقْذُ

(١) فِي الْأَصْلِ طَلِيكَ . وَفِي السَّانِ ج ١ ص ١٨٠ « وَالْعَرَبُ تَقُولُ لَهَيْتَكَ الْفَارِسَ بِجَزْمِ الْهَمْزَةِ
وَلَهَيْتَكَ الْفَارِسَ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَلَا يَجُوزُ لَهَيْتَكَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ » . فَتَنْبِهِ .

السَّهَامِ عَنِ الْأَوْتَارِ؛ وَسَمِعَتْ دَعْوَتَهُ عَلَى بَعْدِ الدَّارِ، وَأَبْصُرَتْ حَتَّى اللَّهُ يَبْصُرَكَ وَتَمَّ
 مِنْ أَنَسٍ لَا يَرَوْنَهُ بِأَبْصَارٍ؛ وَأَجَلَيْتَ طَاغِيَةَ الْكُفْرِ وَسِوَاكَ أَجْتَذَبَهُ، وَصَدَقْتَ اللَّهَ
 سُبْحَانَهُ حِينَ دَاخَنَهُ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ وَكَذَّبَهُ؛ وَأَقْدَمْتَ عَلَى الصَّلِيبِ وَجَرَائِهِ مَتَوَقِّدَهُ،
 وَقَاتَلْتَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ وَعَمْرَأَتَهُ حَمْرَدَةَ؛ وَمَا يَوْمُكَ فِي نُصْرَةِ الدَّوْلَةِ بِوَاحِدٍ،
 وَلَا أَمْسُكَ بِمُجْهَدٍ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الْجَاهِدِ؛ بَلْ أَوْجَبْتَ الْحَقَّ بِهَجْرَةِ بَعْدِ هِجْرِهِ،
 وَأَجَبْتَ دَعْوَةَ الدِّينِ قَائِمًا بِهَا فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ؛ وَأَقْرَعْتَ صَهْوَةَ هَذَا الْمَحَلِّ الَّذِي
 رَقَّكَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِحْقَاقِكَ، وَأَمَاتَ اللَّهُ الْعَاجِزِينَ بِمَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
 حَسَرَاتٍ لِحَاقِكَ؛ وَكَنتَ الْبَعِيدَ الْقَرِيبَ نُصْحُهُ، الْمَحْجُوبَ النَّافِذَ بِمُجِئَتِهِ الْمَذْهُورَةَ
 أَعْدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [بِهِ] إِنْ قُوَّ سَهْمُهُ أَوْ أُشْرِعَ رُحْمُهُ؛ وَمَا ضَرَّكَ أَنْ تَحِطَّكَ أَعْدَاءُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَرْتَضَاكَ، وَلَا أَنْ مَتَكَ الْمُعَانِدُ حَقَّكَ وَقَدْ قَضَى لَكَ
 وَأَقْضَاكَ؛ وَمَا كَانَ فِي مُجَابَرَتِكَ عَنْ حَقِّكَ مِنْ خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ
 مِنْهُ أَوْلَى، وَمُدَّافَتِكَ عَنْ حَقِّكَ فِي قُرْبِ مَقَامِهِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ طَوْلًا؛ إِلَّا مَغَالِبُهُ
 اللَّهُ فِيكَ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَمُبَاعِدُكَ وَقَدْ قَرَّبَكَ اللَّهُ مِنْ سِرِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِنْ بَدَلْتَ مِنْ جَهْرِهِ؛ اسْتَشْرِفْتُكَ الصُّدُورُ، وَتَطَلَّعَتْ إِلَيْكَ عُيُونُ الْجُمْهُورِ،
 وَاسْتَوْجِبْتَ عَقِيلَةَ النَّعْمِ بِمَا قَدِمْتَ مِنَ الْمُهْوَرِ؛ وَنَصَرْتَ الْإِيمَانَ بِأَهْلِهِ، وَأَظْهَرْتَ
 الدِّينَ بِمُظَاهَرَتِكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؛ وَنَاهَضْتَ الْكُفْرَةَ بِالْبَاعِ الْأَشَدِّ وَالرَّأْيِ الْأَسَدِّ،
 وَنَادَيْتَهُمْ سَيُوفُكَ : - وَلَا قَرَارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ - وَأَدَالَ اللَّهُ بِكَ مِمَّنْ قَدِمَ عَلَى
 مَا قَدَّمَ، وَنَيْمَ فَمَا اغْنَى عَنْهُ النَّدَمُ؛ حِينَ لَجَّ فِي جَهَالَتِهِ، وَتَمَادَى فِي ضَلَالَتِهِ؛
 وَاسْتَمَرَّ عَلَى اسْتِطْلَاقِهِ، وَتَوَالَتْ مِنْهُ عَثَرَاتٌ مَا أَتْبَعَهَا بِاسْتِفَالَتِهِ؛ فَكَمْ أَجْتَنَحَ لِلدَّوْلَةِ
 رِجَالًا، وَضَيَّقَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ جَمَالًا؛ وَسَلَبَ مِنْ خَزَائِنِهَا دَخَائِرَ وَأَسْلَحَةً وَأَمْوَالًا،
 وَقَهَّلَهَا مِنْ أَيْدِي أَوْلِيَائِهَا إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَأَتَسَمَّتْ هَفَوَاتُهُ عَنِ التَّعْبِيدِ،

وما المهد منها بعيد ، وقد نسخ الله تعالى بك حوادثها فوجب أن تُنسخ أحداثها ،
 وأتى الأئمة منك بمن هو وليها والأئمة بن هو مغيثها ، ودعاك إمامَ عَصْرِكَ بقائه
 ولسانه وخطه على بُعد الدار ، وتحقق أَمَك تتصرف معه حيث تصرف وتُدور معه
 حيث دار ، وأشارك على هبة من أَنَّ الله تعالى يُجده فيك عواقب الاختيار ، ورأى
 لك إقدامك ورقابُ الشرك صاغره ، وقُدومك وأفواه الخُصايف فَاغِرَه ، وَكَرَّتْ
 في طاعته وأبى الله تعالى أن تكونَ خاسره ؛ وسَطًا بك حين تمالى بك المشركون ،
 وتمثل لرسُلهم بقوله سبحانه : ﴿ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ وَأَقْبَتَ عِزَّهُ هُجْنَةَ
 المُهدنه ، وقال لأوليائه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وَأَزْدَرَى بِنَجَازِهِمْ أَسْتَظَارًا
 لوصولك بأُسود الإسلام ، وصَبَرَ على علم أَنَّكَ تَلْبِي نِدَاءَهُ بالسنة الأعلام قبل أَلْسِنَةِ
 الأقلام ؛ فَكُنْتَ حَيْثُ رَجَا وَأَفْضَلَ ، وَوُجِدْتَ بِحَيْثُ رَعَى وَأَعْجَلَ ، وَقَدِمْتَ
 فكتب الله لك العُلُو ، وَكَبَتْ بِكَ الْعُدُو ، وَجَمَعَ على التوفيق لك طَرَفَي الرِّوَاغِ
 وَالْعُدُو ؛ وَلَمْ يَلْبَسِ الْكَافِرُ لِسَامَكَ جَنَّةٌ إِلَّا الْفِرَار ، وَكَانَ ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ
 مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَار ﴾ فَهوَ دَرَكٌ حِينَ قَانَلَتْ بِحَبْرِكَ ، قَبْلَ عَسْكَرِكَ ،
 وَنُصِرْتَ بِأَمِيرِكَ ، قَبْلَ عَشِيرِكَ ؛ وَأَكْرَمُ بِكَ مِنْ نَادِمِ خَطَوَاتِهِ مَبْرُورُهُ ، وَسَطَوَاتِهِ
 لِلْأَعْدَاءِ مُبِيرُهُ ، وَكُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ يُعَدِّ سِيرُهُ ؛ وَإِنَّكَ لِمَبْعُوثٌ إِلَى بِلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 بَعَثَ السَّحَابَ الْمُسَخَّرَ ، وَمَقَدَّمٌ فِي الْيَةِ وَإِنْ كُنْتَ فِي الزَّمَانِ الْمُؤَخَّرِ ؛ وَطَالِبُ بَيْتَةِ
 الْإِسْلَامِ ذَبِيرٌ يَعِيدُ أَنْ يُبْنِيَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِلَادَ الْكُفَّارِ ، وَرِجَالُ جِهَادٍ صَدَدَتَاهُمْ عِنْدَنَا مِنْ
 الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ؛ وَأَبْنَاءُ جِلَادٍ يَشْتَرُونَ الْجَنَّةَ بِعَازِمِ كَالنَّسَارِ ، وَغُرَرِ نَهْمِ سُكُونِ
 الْمَدَقِ بِمَدَا غُرُورٍ وَتَوْبِهِ غِرَارٌ .

ولما جرى مَنْ جَرَى ذِكْرُهُ على عَادَتِهِ فِي إِعْمَالِكَ وَالْإِعْمَالِ مِنْكَ بِكَوَاذِبِ
 الظُّنُونِ ، وَرَأَى رَجْعَتَكَ عَنِ الْحَضَرَةِ وَقَدْ قَرَّتْ بِكَ الدَّارَ وَقَرَّتْ بِكَ الْعُيُونُ ؛ وَكَانَ

كما قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ لَقَدْ ابْتَنُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (١) هناك عَصَبَتْ نفوس الإسلام فتكت به أيديها ، وكشفت له عن غطاء العواقب التي كانت منه مبادئها ، وأخذ من أخذه أليم شديد ، وعدل فيه من قال ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْبٌ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

ولما أنشأت لواء الإسلام وطواه ، وعصدت الحق وأضعف قواه ، وجنت عقبي مانويت وجنى عقبي مانواه ، وأيتت إلا إمضاء العزم في الشرك وما أمضاء ؛ ﴿ أَرَأَيْتَ هَـذَا إِنَّمَا إِلَهُهُمُ هَوَاءٌ وَأَصْلُهُ اللَّهُ ﴾ ودققت الخطب الأشق ، وطلعت أنوار النصر مشرقة بك وهل تطلع الأنوار إلا من الشرق ؟ وقال لسان الحق : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ ﴾ ، قضى الله تعالى إلى أمير المؤمنين عنة قدما ثم نصاها ، وولاه كما وثى جده صلى الله عليه وسلم قبلة يرضاها ، وأتصر له بك أنتصاره لأهل البيت بسلامته وعماره ، وأنطق أمير المؤمنين باصطفائك اليوم وبالأمس كنت عقد إضماره ؛ وقلبك أمير المؤمنين أمر وزارته ، وتدير مملكته وحياسة ما وراء سرير خلافته ، وصيانة ما أشمكت عليه دعوة إمامته ، وكفالة قضية المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ؛ وتدير مائدته الله بأمر المؤمنين من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وصياحه المؤيدين ، المقيمين منهم والقاديين ؛ وكافة رعايا الحضرة بعديها ودانيها ، وسائر أعمال الدول بإيديها وخافيقها ؛ وما يفتحها الله تعالى على يدك من البلاد ، وما تستعيد من حرقه التي اغتصبها الأعداد ؛ وألني إليك المقاليد بهذا التقليد ؛ وقرب عليك كل غرض بعيد ؛ وناط بك العقد والحل ، والولاية والعزل ، والمنع

(١) في السان "حببت الابل وصعبت بالكسر اذا اجتمعت" - ولعل هذا مراده ان لم يكن أهل

والبذل، والرفع والخفض، والبسط والقبض، والإبرام والنقص، والتنبيه والعص، والإتمام والإتيان، وما توجب السياسة إمضاءه من الأحكام؛ تقليداً لا يزال به عقد تحرك نظماً، وفضل الله عليك وفيك عظيماً ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ .

فقلّد ما قلّدك أمير المؤمنين من هذه الرتبة التي تتأخرونها الأقدام، والغاية التي لا غاية بعدها إلا ما يملك الله به من الدوام؛ فلقد تناولتها بيد في الطاعة غير قصيرة، ومسّاع في خدمة أمير المؤمنين أيامها على الكافرين غير يسيرة، وبذلت لها مامهّد سبلها، ووصلتها بما وصل بك حبّلها؛ وجمعت من أدواتها ما جمع لك شملها، وقال لك لسان الحق ﴿وَكُنُوزُ أَهْلِهَا﴾ .

وتقوى الله سبحانه : فهي وإن كانت لك عادة، وسبيل لآحِبٍ إلى السعادة؛ فإنها أولى الوصايا بأن يُتِمَّنَ باستفتاحها، وأحقُّ القضايا بأن تجدد في الأمور بصلاحها؛ فأجعل تقوى الله أمامك، وعامل بها ربك وإمامك؛ واستنجح بها عواقبك ومبادئك، وقاتل بها أضدادك وأعدائك؛ قال الله سبحانه في كتابه المكنون : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَنْظُرْ فَمَا تَقَدَّمْتُمْ لِنَدَاهُ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

والعساكر المنصورة فهم الذين غلبوا بولاء أمير المؤمنين وبعثه، وربوا في مجور فضله وكرمه؛ وأجتاحهم من لم يُحَسِّنْ لهم النظر، وأسبّاحهم بأيدي من أصرّ لها أصر؛ وطالما شهدوا المواقف ففرّجوها، وأصطلوا المخاوف وتولّجوها؛ وقارعوا

الكُفَّارِ مسارعين للأعنة ، مُقَدِّمين مع الأسيئة ، مُجْرِينَ لى غايتين : إما لى القصر وإما لى الجنة ، ودَبَّروا الولاياتِ فَسَدُّوا ، وَتَقَلَّدُوا الأَعمالَ فيما تَقَلَّدُوا ؛ وَأَعَمَّدُوا أحرهم وأَسودهم ، وأَقربهم وأَبعدهم ؛ وَفَارِسهم وَرَاجِلهم ، وَرَاحِمهم وَنَابلهم ، بِتوفير الإقطاع وإِدارة النِّفقات ، وَتصفية موارد العيش المُوهَّات . وَأَحْسَنَ لهم السياسةَ التى تجعل أيدِيهم على الطاعة مُتَّفِقَةً ، وَعِزَّتَهُم فى مَنَاضِلَةِ أعداء الدِّينِ مُستَقْبَةً ؛ وَأَجْرَهُم على المَاداتِ فى تَقْلِيدِ الولاياتِ ، وَأَسْتَكْفَهُم لِمَا هم أَهلُهُ من مُهِمَّاتِ التَّصَرُّفاتِ ؛ وَمِيزَ أَكْبَرَهُم تَمِيزَ النَّاظِرِ بِالْحَقَائِقِ ، وَأَسْتَنْهَضَهُم فى الجِهَادِ هَذَا المِضْهَارُ وَأَنْتَ السَّابِقُ ؛ وَتَمَّ فى الله تَعَالَى أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ فَقَدْ رُفِعَتِ المَوَانِعُ وَالعَوَاقِبُ : لِيَقْدِفَ اللهُ بِالْحَقِّ الذِّى نَصَرْتَهُ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمِغَهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ .

والشرع الشريف فانت كافل قضاياه ، وَهَادِي دُعَايَهُ ؛ وَهُوَ مَنَارُ الله تَعَالَى الأَرَفِّ ، وَيَدُهُ التى تمنع الظُّلْمَ وَتَدْفَعُ ؛ فَمُتَّعْ فى حِفْظِ نِظَامِهِ ، وَتَفِيدِ أَحْكَامِهِ ؛ وَإِقَامَةِ حَدُودِهِ ، وَإِمضاء عَقُودِهِ ؛ وَتَشْيِيدِ أساسِ الدَّعوةِ وَبِنَائِهَا ، وَتَمِيزِ أَخَذِي عَهْدِهَا وَأَنْبَائِهَا ، قِيَامَ مَنْ يُعَوِّلُ فى الأَمَانَةِ عَلَى أَهْلِ الدِّيَانَةِ ، وَيَسْتَمْسِكُ بِحَقُوقِ الله تَعَالَى الحَقِيقَةِ بِالرَّيَاةِ وَالصِّيَانَةِ .

وَالْأَمْوَالُ فَهِيَ سِلَاحُ العِظَامِ ، وَمَوَادُّ العِزِّ ؛ وَعَتَادُ المَكَارِمِ ، وَعِمَادُ المُخَارِبِ وَالْمُسَالِمِ ؛ وَامِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْمَلُ أَنْ تَعُودَ بِنَظَرِكَ عُهُودُ النَّصَّارَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَدْلُكَ فى البِلَادِ وَكَيْلُ العِيَارَةِ .

وَالرَّعَايَا فَقَدْ عَلِمْتَ مَا نَالَهُم من إِنْجَافِ الحَيَايَاتِ وَإِسْرَافِ الحِنَايَاتِ ، وَتَوَالِي عَليهم من ضُرُوبِ التَّكَايَاتِ ؛ فَأَعْمُرْ أوطَانَهُم التى أَتْرَبَهَا الجُورُ وَالْأَذَى ، وَأَنْفِ عَن مَوَارِدِهِم الكَدْرَ وَالتَّغْذِي ؛ وَأَحْسِنْ حِفْظَ وَدِيعةِ الله تَعَالَى مِنْهُمْ ، وَخَفِّفْ

الوطاة ما استطعت عنهم ؛ وبذلهم من بعد خوفهم أنا ، وكف من بعد ضمهم
في عرض هذا الأذنى .

والجهاد فهو سلطان الله تعالى على أهل العباد ؛ وسطوة الله تعالى التي يُمضيها
في شر العباد على يد خير العباد ؛ ولك من الفناء فيه مصرا وشاما ، وثبات الجاش
كرا وإقداما ؛ والمصاف التي ضربت فكننت ضارب كُنتها ، والمواقف التي اشتدت
فكننت فارح هبواتها ؛ والتدريج الذي أطلق جدك ، والتجريب الذي أوري
زندك ، [ما] يُغني عن تجديد الوصايا البسيطة ، وتأكيده القضايا المحيطة ؛ وما زلت
تأخذ من الكفار باليمين ، وتُعظم فتوحك في بلاد الشمال فكيف تكون في بلاد اليمين ؛
فاطلب أعداء الله برأ وبجرا ، وأجلب عليهم سهلا وعسرا ؛ وتسم بينهم الفتكات
قتلا وأسرا ، وغارة وحصرا ؛ قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وتوفيق الله تعالى يفتح لك أبواب التدبير ، ويخبرك بذلك على مرشد الأمر :
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ فانت تتلذذ من المحاسن ما لا يُحيط به الوصايا ، وتفتخر
من المآمن ما يتعزف بركاته الأولياء والرعايا ؛ والله سبحانه وتعالى يحق لأمر المؤمنين
فيك أفضل الخائل ، ويفتح على يدك مستنق البلاد والمعازل ؛ ويصيب بسهامك
من الأعداء الثُجور والمقاتل ، ويأخذ للإسلام بك ماله عند الشرك من الثارات
والطوائل ؛ ولا يضيع لك عملك في خدمة أمير المؤمنين إنه لا يضيع عمل دامل ،
ويجري الأرزاق والآجال بين سيك الفاضل وحُجك الفاضل ، فأعلم هذا من أمر
أمير المؤمنين ورسمه ، وأعمل بموجبه وحُججه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته .



وعلى نحو منه كتب القاضي الفاضل أيضا عهد الملك الناصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد أيضا ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه عبد الله أبي محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى السيد الأجل (على نحو ما تقدم في تهليل عمه أسد الدين شيركوه) .

أما بعد ، فالحمد لله مصرف الأقدار ومشرف الأعمال ، ومُحْصِي الأعمار ، ومبْتَلِي الأخبار والأبرار ، وعالم سر الليل وجهر النهار ، وجاعل دولة أمير المؤمنين فلْكَ تماقُب في أحوال الأقدار : بين آقضاء سِرار واستقبال إندار ؛ وروضا إنا هوت فيه الدوحات أينعت الفروع ساقية النوار بأسقة الثمار ؛ ومُتْجِد دعوته بالفروع الشاهدة بفضل أصولها ، والجواهر المستخرجة من أمضى نصولها ، والقائم بنصرة دولته فلا تزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها قائمة على أصولها .

والحمد لله الذي اختار لأمر المؤمنين ودله على مكان الاختيار ، وأغناه باقتضاب الإلهام عن روية الاختبار ؛ وعضد به الدين الذي ارتضاه وعضده بمن ارتضاه ، وأنجزه من وعد السعد ما قضاه قبل أن آقضاه ، ورفع محله عن الخلق فكلهم من مضاي إليه غير مضاه ؛ وجعل مملكته عريتنا لاعتزازها بالأسد وشبله ، ونعمته ميراثا أولى بها ذوى الأرحام من بنى الولاء وأهله ، وأظهر في هذه القضية ما أظهره في كل القضايا من فضل أمير المؤمنين وعدله ؛ فأولياؤه كآليات التي تتسق درارى أفعها المنير ، وتتسق درر عقددا النظيم النصير : (ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) .

والحدُّثة الذي أتمَّ بأمير المؤمنين نعمة الإرشاد ، وجعله أوَّلَى مَنْ لَحِقَ سَادَ
ولحقَّ شاد ؛ وآثره بالمكان الذي لا يُبْنَى إلَّا له في عَصْرِهِ ، وأظهر له من معجزات
نَصْرِهِ مَا لَا يَسْتَقِيلُ الْعَدُوَّ بِحَصْرِهِ ؛ وَجَمَعَ لِمَنْ وَالَاهُ بَيْنَ رَفْعِ قَدْرِهِ وَوَضْعِ إِصْرِهِ ،
وجعل الإمامة محفوفةً في عَقِبِهِ والمعقبات تحفظه بأمره ؛ وأودَّعَهُ الْحَكَمَ الَّتِي رَأَى
لَهَا أَسْوَطَ مِنْ أَوْدَعِهِ ، وَأَطْلَعَ مِنْ أَنْوَارِ وَجْهِهِ الْفَجَرَ الَّذِي جَهَلَ مِنْ ظَنٍّ غَيْرُ نُورِهِ
مُطْلَعَهُ ؛ وَأَتَاهُ الْمَلِكُ يُؤَيِّتُ أَحَدًا ، وَأَمَاتَ بِهِ غَيًّا وَأَحْيَا رَشْدًا ، وَأَقَامَهُ لِلَّذِينَ عَاضَدُوا
فَأَصْبَحَ بِهِ مُعْتَصِدًا ، وَحَفِظَ بِهِ مَقَامَ جَدِّهِ وَإِنْ رَغِمَ الْمُسْتَكْبِرُونَ ، وَأَنْتَمَ بِهِ عَلَى أَمْنِهِ
أَمَانًا لَوْلَاهُ مَا كَانُوا يَنْظُرُونَ وَلَا يُبْصِرُونَ ، وَ(مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) .

يُحَدِّثُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا آتَاهُ مِنْ تَوْفِيقِي يُدَلِّلُ لَهُ الصَّغَبَ الْجَاوِشَ ، وَيُذِنُ مِنْهُ
الْبُعِيدَ النَّازِحَ ؛ وَيُخَلِّفُ عَلَى الدِّينِ مِنْ صِلَاحِهِ الْخَلْفَ الصَّالِحَ ، وَيُزَيِّمُ آرَاءَهُ جَدِّدَ
السُّعُودِ الْوَاضِعِ ، وَيُرِيهِ آيَاتِ الْإِرْشَادِ فَإِنَّهُ نَازِحٌ (؟) قَدْحُ الْقَادِحِ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ
عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَنْجَى أَهْلَ الْإِيمَانِ بَيْعَتِهِ ، وَطَهَّرَ بَهْدِيهِ مِنْ رِجْسِ الْكُفْرِ
وَحَبْتِهِ ؛ وَأَجَارَ بِاتِّبَاعِهِ مِنْ عَنَتِ الشَّيْطَانِ وَعَيْتِهِ ، وَأَوْصَحَ جَادَةَ التَّوْحِيدِ لِكُلِّ مُشْرِكٍ
الْإِعْتِقَادَ مُثْلَتَهُ ؛ وَعَلَى أَيْدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي جَادَلَتْ يَدُهُ بِلِسَانِ
ذِي الْقَقَارِ ، وَقَسَمَ وَلَاؤَهُ وَعَدَاوَتُهُ بَيْنَ الْأَقْبِيَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ الْخَنَّةِ وَالنَّارِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ
مَنْ دُرِّيَتْهُمَا الَّذِينَ أَنْذَلَ اللَّهُ يَمِزَّتُهُمْ أَهْلُ الْإِلْحَادِ ، وَأَصْفَى بِمَا سَفَكُوهُ مِنْ دِمَائِهِمْ
مَوَارِدَ الرِّشَادِ ، وَجَرَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِأَقْوَاتِ الْقُلُوبِ وَأَرْزَاقِ الْعِبَادِ ، وَسَلَّمَ وَجَدُّهُ ،
وَوَالِي وَجَدُّهُ .

وإن الله سبحانه ما أحل قط دولة أمير المؤمنين التي هي مهبط الهدى ومخيط
النسب، ومورد الحياة للوئى والردي للعدا، من لطف يتلاقى الحادثة ويتسبها
ويرأبها، ونعمة تبلغ بها النفوس أربها، وموهبة تشد موضع الكلم، وتسد
موضع الثلم، وتجل غمام الغم، وتخل مقام التهم، وتستوفي شرائط المناسج،
وتستدني قواريط المصالح، ولم يكن ينشئ الحادثة في السيد الأجل الملك المنصور
رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، التي كادت لها أواشي الملك
تترعرع، ومباني التدبير تتضعض، إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله
من أمصطفائك أيها السيد الأجل الملك الناصر: - أدام الله قدرتك - لأن تقوم
بخدمته بعده، وتسد في مقدمة جيوشه مسد، وتقوى ولائه أثره، ولا تقفد منه
إلا أثره، فوازيت الفادحة فيه النعمة فيك، حتى تستوفي حظه من أمير المؤمنين بأجر
لا يضيع الله فيه عمله، فاستوجب مقعد صدق بما اعتقده من تادية الأمانة له
وحمله، وأستحق أن ينصر الله وجهه بما أخلفه الله من جسده في مواقف الجهاد
وبدله، ومضى في ذمام رضا أمير المؤمنين: وهو النمام الذي لا يقطع الله منه
ما أمره أن يصله، وأتبع من دعائه بحف أول ما تلقاه بالروح والريحان، وذنرت
له من شفاعته ما عليه معول أهل الإيمان في الأمان، فرعى الله له قطعه البيداء
إلى أمير المؤمنين ونجشمه الأسفار، ووطأه المواطى التي تفيظ الكفار، وطلوعه
على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار، وهجرت التي جمعت له أجرين: أجر
المهاجرين وأجر الأنصار، وشكره ذلك المسعى الذي بلغ من الشرك التار، وبلغ

(١) الأثراني جمع أعية وهي عود يعرض في الحائط ويدفن طرقات فيه ويصير وسطه كالبروة تشد إليه

الإسلام الإيتار . وما لقي رَبَّهُ حَتَّى تَمُوتَ لِلشَّهَادَةِ مِنْ مُخْتَلَفِ الصَّفَاحِ ، وَشَجَرِ
الرَّمَاحِ ، وَفَتَرَ الأجسامِ مِنَ الأرواحِ ؛ وَكَانَتْ شَاهِدَتُهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا فَوْقَ
الشَّهَادَةِ ، وَنِعَّةً لِقَدَرِهِ عَلَيْهِ لَهْ بِهَا مَا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَهُ ؛ وَحَتَّى رَأَى
أَبَاهُ السَّيِّدَ الْأَجَلُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَكَ - قَدْ أَقْرَرْتَ نَظَرَهُ ، وَأَرْعَمْتَ
مُنَظَرَهُ ؛ وَشَدَّدْتَ سُلْطَانَهُ ، وَسَدَّدْتَ مَكَانَهُ ؛ وَرَجَى بِكَ فَاصِدًا ، وَسَقَى بِكَ
فَصَابًا ، وَجَمَعْتَ مَا فِيهِ مِنْ أَبَةِ الْمَشِيبِ إِلَى مَا فِيكَ مِنْ مَضَاءِ الشَّبَابِ ؛ وَلَقِيتَ
مَا أَفَادَتْهُ التَّجَارِبُ بِجَمَلِهِ ، وَأَعَانَتْكَ الْحَاسِنُ اتَّى هِيَ فِيكَ جُلَّةً ؛ وَقَلَّبَ عَلَيْكَ إِسْنَادَ
الْفَتَكَاتِ فَتَقَبَّلْتَ ، وَأَوْضَحَ لَكَ مِنْهَا جِ الْهَرَكَاتِ فَتَقَبَّلْتَ ؛ وَسَدَّدْتَ سَهْمًا ، وَحَرَكْتَ
سَهْمًا ؛ وَأَتَضَّكَ فَارْتَضَاكَ غَرَبًا ، وَأَثَرَكَ عَلَى آثَرٍ وَلَدَهُ إِمَامَةً فِي التَّصْدِيرِ وَحَرَبًا ؛
وَكُنْتَ فِي السَّلَامِ لِسَانَهُ الْآخِذَ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ ، وَفِي الْحَرْبِ سِنَانَهُ النَّافِذَ فِي مَضَاقِ
الْخُطُوبِ ، وَسَاقَتَهُ إِذَا طُلِبَ ، وَطَلِبَتَهُ إِذَا طُلِبَ ، وَقَلَّبَ جَيْشَهُ إِذَا بُدِيَ
وَجَنَاحَهُ إِذَا وَتَبَ ؛ وَلَا عُدْرَ لِسَبَلِ نَسْأَ فِي شَجَرِ أَسَدٍ ، وَلَا لَهْلَالٍ أَسْتَقْبَلُ النُّورَ مِنْ
شَمْسٍ وَأَسْتَمَدُ :

هَذَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ هَذَا الْإِسْنَادُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَهَذَا الْمُسْنَدُ الْجَامِعُ مِنْ قَدِيمِ
الْفَخْرِ وَحَدِيثِ ؛ لِأَعْتَكَ غَرِيرَةً عَزِيزَةً وَبَحِيَّةً سَجِيَّةً وَشِيمَةً وَسِيمَةً ، وَخَلَّاقٌ ، فِيهَا
مَا يُحِبُّ الْخَلَّاقُ ، وَتَحَازِرُ ، لَمْ يَحْزُرْ مِثْلُهَا حَازِرٌ ؛ وَمَحَاسِنُ ، مَاؤُهَا غَيْرُ أَسَنِ ، وَمَا ثَرُؤُهَا جَدُّ
غَيْرِ تَارٍ ؛ وَمَقَانِرُ ، غَفَلَ عَنْهَا الْأَوَّلُ : لِيَسْتَثَرِبَهَا الْآخِرُ ؛ وَبِرَاعَةُ لِسَانٍ ، يُسَمِّحُ
قِطَارُهَا ، وَتَجَاعَةُ جَنَانٍ ، تَضْطَرِمُ نَارُهَا ؛ وَخِلَافُ جِلَالٍ عَلَيْكَ شَوَاهِدُ أَنْوَارِهَا
تُتَوَضَّعُ ، وَمَسَاعِي مُسَاعِدٍ لَدَيْكَ كَمَا تُمْ نَوْرُهَا تَتَفَتَّحُ ؛ فَكَيْفَ وَقَدْ جَمَعْتَ لَكَ فِي الْمَجْدِ
بَيْنَ نَفْسٍ وَأَبٍ وَعَمٍّ ، وَوَجِبَ أَنْ مَالِكَ مِنْ أَصْطِفَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَاذَا حَصَلَ لَمْ
عَلَى الْخَلْقِ عَمٍّ ؛ فَيَوْمُكَ وَاسْطَلَّ فِي الْمَجْدِ بَيْنَ غَدِكَ وَأَمْسِكَ ، وَكُلُّ نَادٍ مِنْ أُنْدِيَةِ الْفَخَارِ

لك أن تقول فيه وعلى غيرك أن يمسيك ، فبشرك أن أتم أمير المؤمنين موصولةً
منكم بوالدٍ وولدٍ ، وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت في بيت الأسد .

ولما رأى الله تقلب وجه أمير المؤمنين في سماءه ولأه من اختيارك قلبه ، وقامت
نُجْجته عند الله باستكفافك وزيراً له ووزيراً لله ، فناجته مرأشداً الإلهام ، وأضاعت
له مقاصد لا تعقلها كل الأفهام ، وعزم له على أن قللك تدير مملكته الذي أعرفت
في إزته وأغرقت في كسبه ، ومهد لك أبعاد غاية في الفخر بما يسر لك من قربه ،
ولقد سبق أمير المؤمنين إلى اختيارك قبل قول لسانه بضمير قلبه ، وذكر فيك قول
ربه : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَأَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ . وقللك لأنك سيف من سيوف الله
تعالى يحق به التسلط وله التقليد ، وأصطفاك على علم بآنك واحد متعظم في معنى
العبيد ، وأجيا في سلطان جيوشه سنة جدّه الإمام المستنصر بالله في أمير جيوشه
الأذل ، وأقامك بعده كما أقام بعده ولده وإنه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل ،
ونخرج أمره إليك بأن يُوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليدك
وزارته التي أحلك ربوتها ، وأحل لك صهوتها ، وحلاك نعمتها ، و لك
نعمتها ، فقللك وزارة أمير المؤمنين من رتبها التي تناهت في الإفاة ، إلى أن لأرتبة
فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلانة ؛ وتبوا منها صدرا لا تتطلع إليه عيون الصلور ،
واعتقل منها في درجة على مثلها تدور البُور : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ : وقُلِ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .
وباشر مستبشرا ، وأستوطن متديرا ، وأبسط يدك فقد فوض إليك أمير المؤمنين
بسطة وقبضا ، وأرفع ناظرَكَ فقد أباح لك رفعا وخفضا ؛ وأثبت على درجات

السعادة فقد جعل لحبك تهيئة ودخضا ، وأعقد حبي العزمات للصالح فقد أطلق
 بأمرك عقدا وقضا ، وأشد فيا أهلك له فقد أدى بك نافلة من السياسة وفرضا ،
 وصرف أمور المملكة فإليك الصرف والتصرف ، وثقف أود الأيام فإليك أمانته
 التهذيب والتخفيف ، وأتعب ذبول الفغار حيث لا تصل التيجان ، وأملأ لحظا من
 نور الله تعالى حيث تنق الأبصار بلحن الأنجان ، إن هذا هو الفضل المبين فارتبطه
 بالتقوى التي هي عروة النجاة وذخيرة الحياة والمآت ، وصفوة ما تلقى آدم من ربه
 من الكلمات ، وخير ما قدمت النوس لديها في أمسيها ، وجادت [به] يوم تجادل كل
 نفس عن نفسها ، قال الله سبحانه ومن أصدق من الله فيلا : ﴿ والآخرة خير لمن
 أتى ولا تظلمون فيلا ﴾ . وأستتم بالعدل نعم الله تعالى عليك ، وأحسن كما أحسن
 الله إليك ، وأمر بالمعروف فإنك من أهله ، وأنه عن المنكر كما كنت تنزهت عن فعله .
 وأولياء أمير المؤمنين ، وأنصاره الميامين ، ومن يحف بمقام ملكه من الأمراء
 المطوقين ، والأعيان المعصيين ، والأمانيل والأجناد أجمعين ، فهم أولياؤه حقا ،
 ومحالكم رقا ، والذين تبوءوا الدار والإيمان سبعا ، وأنصاره غربا كما أن عسكرك
 أنصاره شرقا ، فهم وهم يد في الطاعة على من ناولهم ، تسعى يديهم أذنانهم ، وتحكم
 فيهم وأنت عند أمير المؤمنين أعلام .

هذا وقد كان السيد الأجل الملك المنصور - رضى الله عنه - استمطر لهم [من]
 إناهم أمير المؤمنين المساعمة بعلقهم ، وواسى^(١) في هذه المنقبة التي استحق بها حسن
 الذكرين طوائفهم وفرقهم ، فصنهم من جائحات الاعتراض ، وأبدل لهم صالحات
 الاعتراض ، وأرفع دونهم المحجبات ، ويسر لهم الأسباب ، واستوف منهم عند

الحضور إليك غايات الخطاب ؛ وصرفهم في بلاد أمير المؤمنين ولادة وحماه ،
كما تصرفهم في أوقات الحرب لئلا وكاه ؛ وعرفهم بركة سلطانك ، وأقصد قلوبهم
بزمَام إحسانك .

وأما القضاة والدعاة فهم بين كفالتك وهديك ، والتصريف على أمرك
وتنوك ؛ فاستعمل منهم من أحسن عملا ، فأما بالبنائات فلا .

والجهاد فانت راضع دزه ، وناشئة حجرة ؛ وظهور الخليل مواطنك ، وظلال
الجبل مساكك ؛ وفي ظلمات مشاكك ، تُجلى محاسنك ، وفي أعقاب قوازله ، تُنل
ميامك ؛ فشمر له عن ساق من القنا ، وخُص في بحر من الظبا ؛ وأحلل فيه عقدة
كللت الله سبحانه وبنات الحيا ؛ وأسل الوهاد بدماء العدا وأرفع برؤوسهم الرها ؛
حتى يأتي الله بالفتح الذي يرجو أمير المؤمنين أن يكون مذخورا لأيامك ، ومشهودا
به يوم مقامك بين يديه من لسان إمامك .

والأموال فهي زبدة حلب اللطف لا العنف ، وجمعة يمر بها الرفق لا العنف ،
وما برحت أجد ذخائر الدول للصفوف ، وأخذ أسلحتها التي تمضي وقد تبسو
السيف ؛ فقدم للبلاد الاستعمار ، تقدم لك الاستيثار ، وقطرة من عدل تزيئها
من مائ بحار .

والرعايا فهم ودائع الله لأمر المؤمنين وودائعه لديك ، فاقبض عنهم الأيدي
وأبسط بالعدل فيهم يديك ؛ وكُن بهم رؤوفا ، وعليهم عطفوا ؛ وأجعل الضعيف منهم
في الحق قويا وأقوى في الباطل ضعيفا ؛ ووكل برعاتهم ناظر اجتهدك ، وأجعل
ألسنتهم بالدعاء من سلاسل قلوبهم بالمحبة من أجنادك ؛ ولو جاز أن يستغنى عن

الوصية قائم بأمر، أو جالس في صدر، لاستغنىت عنها يظنك الزكاه، وفطرتك
الذكاه، وليكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وأنت من المؤمنين، وعرايه بركة فتلق
رايتها باليمين؛ والله تعالى يؤيدك أيها السيد الأجل - أمام الله قدرتك - بالنصر
العزيز، ويقضي لمولة أمير المؤمنين على يديك بالفتح الوجيز؛ ولأهلها في نظرك
بالأمر الحريز، ويمتد دست الملك بحمل تجديك الإبريز؛ ويقر عيون الأعيان بما
يظهر لك في ميدان السعادة من السبق والتبريز، ويملك من نخلة أنتم أمير المؤمنين
بما ملكك إياه ملك التحويز؛ ويحقق بك في المجد أولك، ويمجد فيك العواقب
ولك؛ فأعلم ذلك من أمر أمير المؤمنين ورثته، وأعمل بموجبه وحكمه؛
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثالث

(أن يفتح المهد بمحبة)

وهو ما حكاها في "التعريف" عن صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان، فيما
كتب به للظاهر بيبرس، وذكر أن ابن لقمان ليس بمحبة . ثم قال : على أن الفاضل
محيي الدين بن عبد الظاهر قد تبعه فيما كتب به للنصور قلاوون .

قلت : ليس ابن لقمان هو المتكبر لهذا المذهب، بل كان موجودا معمولا به .
استعمله كُتاب الإنشاء بديوان الخلافة ببغداد قبل ذلك بزمن طويل ، وهو منبع
الكتابة الذي عنه يصدر الترتيب، وقاعدتها التي بُني عليها المصطلح . وعليه كُتب
عهد العادل أبي بكر بن أيوب أخى السلطان صلاح الدين يوسف « من بغداد » .
وإليه مال ابن الأثير في "المثل السائر" . وذكر أن الاقتراح بهذا ما عهد « قد

(١) لعله لك الكامل ابن الملك العادل الخ كما يفيد ما يأتي في صلب المهد . تأمل .

أَبْتَدَلَ بِكَتْمَةِ الْإِسْعَمَالِ، وَأَبْنُ لَقْمَانَ تَابِعٌ لِمَتَّبِعٍ . عَلَى أَنْ إِنْشَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي الْكِتَابَةِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِحُجَّةٍ فَابْنُ الْأَمِيرِ حُجَّةٌ فِي هَذَا الشَّانِ، يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَعْمَلُ بِقَوْلِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَأْسٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ فَهُوَ أَجْدَمٌ» . وَلِذَلِكَ مَالُ أَهْلِ الْعَصْرِ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَخَالَفَةً لِمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرُؤِ بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ عُهُودِ الصَّحَابَةِ عَلَى مَا تَهْتَمُّ ذِكْرَهُ .

وَبِكُلِّ حَالٍ فَاهُلُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَخْرُجُونَ فِيهِ عَنْ ضَرِبَيْنِ : ضَرْبٍ يَمْتَرُونَ عَنْ الْأَوَامِرِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَهْدِ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِقَوْلِهِ : «أَمْرُهُ بِكَذَا وَأَمْرُهُ بِكَذَا» وَهِيَ طَرِيقَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ، وَعَلَيْهَا كُتِبَ عَهْدُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ الْمَشَارِ إِلَى . وَضَرْبٍ يَمْتَرُونَ بِقَوْلِهِمْ «أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا» وَمَا يَجْرِي هَذَا الْخَبَرُ، وَهِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ زَمَانِنَا .

وهذه نسخة العهد المكتوب به من ديوان الخلافة ببغداد على هذه الطريقة، للْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ أَخِي السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ «يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ» وَهِيَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْمَآنَنَتِ الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِ، وَوَجَبَ عَلَى الْخَلَائِقِ جَزِيلُ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَوَسَّعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتَهُ، وَظَهَرَتْ فِي كُلِّ أَمْرٍ حِكْمَتُهُ؛ وَدَلَّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ بِعَجَائِبِ مَا أَحْكَمَهُ صُنْعًا وَتَدْبِيرًا، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، مُدِّدًا الشَّاكِرِينَ بِنِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَدًا، وَعَالِمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا؛ لَا مُعْتَبَرٍ لِحُكْمِهِ فِي الْإِبْرَامِ وَالنَّقْصِ، وَلَا يَتَوَدَّهَ حِفْظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ

(١) تَقَدَّمَ قِيلَا التَّيْبَةِ عَلَيْهِ . تَامَلْ .

(٢) فِي الْأَصُولِ عَمِ السُّلْطَانِ وَهُوَ سَقَى قَلَمٌ .

بُحِجَّه الضمير، وجَلَّ أَنْ يُلَاحَظَ وَصْفَهُ الْيَأْنُ وَالنَّفْسِيرُ : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّامِعُ الْبَصِيرُ) .

والحمد لله الذي أرسلَ محمداً صلى الله عليه وسلم بالحقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنِيرًا ، وَآتَيْتَهُ هَادِيًا لِلنَّاسِ ، وَأَوْصَحَ بِهِ مَنَاجِجَ الرُّشْدِ وَسُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَصْطَفَاهُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ وَأَعَزَّ الْقَبَائِلِ ، وَأَجْتَنَاهُ لِإِبْضَاحِ الْبَرَاهِينِ وَالذَّلَالِ ، وَجَعَلَهُ لَدَيْهِ أَعْظَمَ الشُّعْمَاءِ وَأَقْرَبَ الْوَسَائِلِ ، فَقَدَّفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَحَمَلَ النَّاسَ بِشَرِيعَتِهِ الْمَهَادِيَةِ عَلَى الْحُجَّةِ الْبَيِّنَةِ وَالسَّنَنِ الْعَادِلِ ، حَتَّى اسْتَقَامَ أَعْوَجَاجُ كُلِّ زَانِغٍ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ كُلُّ حَائِدٍ عَنْهُ وَمَائِلٌ ، وَبَجَّهَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْيِيًّا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ الْإِفْاضِلِ ، صَلَاةً مُسْتَمَرَّةً بِالْقُدُورَاتِ وَالْأَصَائِلِ ، خُصُوصًا عَلَى عَمِّهِ وَصْنُو أَبِيهِ الْعِيَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الَّذِي أَشْتَهَرَتْ مَنَاقِبُهُ فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ ، وَفَزَتْ بِرُكَّةِ الْإِسْتِسْقَاءِ بِهِ أَخْلَافُ الشُّعْبِ الْمَوَاطِلِ ، وَفَازَ مِنْ تَصْيِصِ الرُّسُولِ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْخِلَافَةِ بِمَا لَمْ يُفْزَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَائِلِ .

والحمد لله الذي حازَ مَوَارِيثَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَوَفَّرَ جَزَيْلَ الْأَسْجَامِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ لِعَبْدَتِهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَوَارَثَ نَبِيَّهَ وَمُحْيَى شَرِيعَتِهِ ، الَّذِي أَحْلَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَمَارِجِ الشَّرَفِ وَالْجَلَالِ فِي أَرْفَعِ ذُرُوهُ ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حُسْنِ التَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ بِأَمْتَيْنِ عِصْمَةٍ وَأَوْثَقِ عُزْوَةٍ ؛ وَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ أَنْتَرَفِ نِجَارٍ وَعُتْنَصِرٍ ، وَأَخْتَصَّه بِأَزْكَى مَنَحَةٍ وَأَعْظَمِ مَفْخَرٍ ، وَنَصَبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَمًا ، وَأَخْتَارَهُ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا وَحَكَمًا ؛ وَنَاطَ بِهِ أَمْرَ دِينِهِ الْحَنِيفِ ، وَجَعَلَهُ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ؛ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَلِيفَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ الْمُسْتَنْصِرِ بِآلِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛

أبن الإمام السعيد الثاني، أبي نصر محمد الظاهري بأمر الله، أبن الإمام السعيد الوفي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله، أبن الإمام السعيد أبي محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، صلوات الله عليهم أجمعين^(١)، وعلى آباءه الطاهرين، الأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، ولقوا الله تعالى وهو عنهم راض وهم عنه راضون.

وبعد، فيحسب ما أنافه الله على أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وسلّم - من خلافته في الأرض، وفوضه إلى نظره المقدس في الأمور من الإبرام والتقص، وما استخلصه له من حياطة بلاده وعباده، ووكله إلى شريف نظره ومقدس اجتياحه لا يزال - صلوات الله عليه - يكلأ العباد بين الرّياح، وينسك بهم في المصالح العامة والخاصة مذاهب الرّشد وسبل الهداية، وينشر عليهم جناحي عدله وإحسانه، وينيم لهم النظر في آرتياد الأمناء والصّالحاء من خلصاء أكفائه وأعوانه، متخيلاً للاستعلاء من استحمد إليه بمشكور المساعي، وتعرف إليه في سياسة الرعايا بجمل الأسباب والدواعي، وسلك في مفترض الطاعة الواجبة على الخلاق قصد السبيل، وعلم منه حسن الاضطلاع في مصالح المسامين بالعبد التّقييل، والله عز وجل يؤيد آراء أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - بالتأييد والتّسديد، ويمدّه أبداً من أقسام التوفيق الإلهي بالموفور والمزيد، ويقرن عزائم الشريفة باليمن والتّجاح، ويسنّي له فيما يأتي ويذر أسباب الخير والصّلاح، وما توفّق أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب.

(١) لم تقف على استعمال هذه الصّح في عهد غير الفاطميين إلّا في هذا العهد.

ولما وَفَّقَ اللهُ تعالى نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة ، واخْلَعَمَ المشكورة ، واخْطَوَةَ في جهاد أعداء الدين بالمساعي الصالحة ، والقُوَز من المراضى الشريفة الإمامية - أجلها الله تعالى - بالمغانم الجزيلة والصَّفَقَة الرائجة ؛ لما وَصَلَ فيه سالف شريف الاختصاص بآتيه ، وشَفَعَ تالده في تحصيل ماثور الاستخلاص بطاريفه ؛ وأَسْتَوْجَبَ بسلوكه في الطاعة المفروضة مَزِيدَ الإكرام والتفضيل ، وَضَرَعَ في الإنعام عليه بمَشْهُور شريف إمامي بِسُلُوك في أتباعه هُداة والعمل بمِراسِده سواء الصُّراط وقَصْد السبيل - أَقْتَضَتِ الآراءُ الشريفةُ المقدَّسةُ - زادها الله تعالى جَلالاً متألِّق الأتوار ، وَقُدْساً يتساوَى في تمظيحه مَنْ هو مستخِف بالليل وساربُ بالنهار - الإعازَ بإجابته إلى ما وَجَّهَ أَمَلُهُ إلى الإنافَةِ فيه به إليه ، واجْتَلَبَ بِضَبْعِيهِ إلى ذِرْوَةِ الاجْتِبَاء الذي تَظْهَرُ أَشْعَةُ أنواره الباهرة عليه ؛ فقلَّده - على خِيَرَةِ الله تعالى - الزَّعَامَةَ والقُلَّات ، وأَعْمَالَ الحرب والمَعَاوِن والأَعْدَات والخِرَاج والضِّياع والصَّدَقَات ، والجوَالِي وسائر وجوه الجَبَايَات ؛ والعَرَض والعطاء ، والثَّفَقَة في الأولياء ، والمظالم والحِسْبَة في بلاده ، وما يَفْتَحِيهِ ويستولِي عليه من بلاد الفَرَنجِ المُلّاخِين ، وبلاد من تَبَرَّزَ إليه الأوامرُ الشريفةُ بقَصْده من الشاذِّين عن الإجماع المنعقد من المسلمين ؛ و[من] يَتَمَدَّى حدودُ الله تعالى بمخالَفة من يصل (٩) من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخِلافتِ مقبولة ، وطاقته ضاعف الله جلَّالَهُ بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ؛ حيث قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . وَاعْتَمَدَ - صلواتُ الله عليه وسلامه - في ذلك على حُسْنِ نظره ومُتَدِّ رعايته ، وألْقَى مَقَالِدَ التفويض إلى وفور اجتهاده وكِمالِ سياسته ؛ وَخَصَّه من هذا الإنعام الجزيل بما

سبق له على تعاقب الدهر واستمراره، ويحفظ له على تمر الزمان حسن ذكره وجزيل نفعه، وحباه بتقليد يوطد له قواعد الممالك، ويفتح بإقليدته رتاج الأبواب والمسالك؛ ويفيد قاعدته في بلاده زيادة تقرير وتمهيد، ويطير به صيته في كل قريب وبعيد؛ ووسمه بالملك الأجل، السيد، الكامل، المجاهد، الم رابط؛ نصير الدين، ركن الإسلام، أمير الأنام، تاج الملوك والسلاطين، قاصع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتشردين، غازي بك محمد، بن أبي بكر، بن أيوب، معين أمير المؤمنين؛ رعاية لسوايق خدمه وخدم أسلافه وآبائه، عن وفور أجيائه، وكال أزدلافه؛ وإنافه من ذروة القرب إلى محل كريم، واختصاصا له بالإحسان الذي لا يلقاه إلا من هو كما قال تعالى: ﴿كُذِّبَ عَنْ عِلِّيِّينَ﴾. وثقوا بصحة ديارته التي يسلك فيها سواء سبيله، واستنامة إلى أمانته في الخدمة التي ينصح فيها لله تعالى ورسوله، ورؤونا إلى [كون] الإنعام عليه موضوعا بحمد الله تعالى في أحسن موضع، واقفا به لديه في خير مستقر ومستودع.

وأمر المؤمنين - صلوات الله عليه (لا زالت الخيرة موصولة بأرائه، والتأييد الإلهي مقرونا بإفخاده وإمضائه) يستمد من الله عز وجل حسن الإعانة في أصطفائه الذي اقتضاه نظره الشريف وأعتاده، وأدى إليه آرتياده المقدس الإمامي وأجتهاده؛ وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل.

أمره بقوى الله تعالى التي هي الجنة الواقية، والنعمة الباقية، والملقب المنيع، والعماد الرفيع؛ والذخيرة النافعة في السر والتجوى، والجدوة المقتبسة من قوله سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وأن يدرع بشعارها، في جميع الأحوال والأفصال، ويهتدى بأنوارها، في مشكلات الأمور والأحوال؛ وأن يعمل بها سرا

وَجَوَّاهُ، وَبَشَّرَ لِلْقِيَامِ بِمُحَمَّدِهَا الْوَاجِبَةَ صَدْرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وأمره بتلاوة تَابِ اللَّهُ مَتَدَبِّرًا غَوَامِضَ عَجَائِبِهِ ، سَالِكًا سَبِيلَ الرُّشَادِ وَالْهِدَايَةِ فِي الْعَمَلِ بِهِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مِثَالًا يَتَّبِعُهُ وَيَتَّقِيهِ ، وَدَلِيلًا يَهْتَدِي بِمَرَاشِدِهِ الْوَاضِحَةِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ؛ فَإِنَّ الثَّقَلَ الْأَعْظَمَ ، وَسَبَبُ اللَّهِ الْمُحْكَمَ ، وَالتَّوَدُّ الَّذِي يَهْدِي بِهِ إِلَى الْإِلَهِ هِيَ أَقْوَمُ ؛ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ لِعِبَادِهِ جَوَامِيعَ الْأَمْثَالِ ، وَبَيَّنَ لَهُمْ بِهُدَاهِ الرُّشْدَ وَالضَّلَالِ ، وَفَرَّقَ بَدَلَاتِلَهُ الْوَاضِحَةَ بَيْنَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره بالمحافظة على مقروض الصلوات ، والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والإقبات ؛ وَأَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ فِي مَوْضِعِ سَجْدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنْ يَمِثَلَ لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْعَرْضِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ . وَأَنْ لَا يَسْتَقِيلَ بِشَاغِلٍ عَنْ أَدَاءِ فُرُوضِهَا الْوَاجِبَةِ ، وَلَا يَتَهَوَّ بِسَبَبٍ عَنْ إِقَامَةِ سُنَّتِهَا الرَّابِيَةِ ؛ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ الَّذِي نَمَتْ أَعَالِيهِ ، وَمِهَادُ الشَّرْعِ الَّذِي نَمَتْ قَوَاعِدُهُ وَمَبَانِيهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجمع والأعياد ، ويقوم في ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد ؛ وَأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ مُتَوَاضِعًا ، وَيَبْرُزَ إِلَى الْمَصَلِّاتِ الضَّاحِيَةِ فِي الْأَعْيَادِ خَاشِعًا ؛ وَأَنْ يُحَافِظَ فِي تَشْيِيدِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْوَاجِبِ

والمندوب ، ويعظم باعتاد ذلك شعائره التي هي من تقوى القلوب ؛ وأن يشمل
بوافر أهتمامه وأعنيائه ، وكل نظر وإرعائه ؛ بيوت الله التي هي محل البركات ،
ومواطن العبادات ؛ والمساجد التي تأكد في تعظيمها وإجلالها حكمه ، والبيوت
التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ؛ وأن يرتب لها من الخدم من يتنزل لإزالة
أذاسها ، ويتصدى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها ، ويقوم لها بما تحتاج إليه
من أسباب الصلاح والعمارة ، ويحضر إليها ما يليق من الفرس والكسوات .

وأمره باتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي أوضح جدها ، وتقف عليه
السلام - أودعها ؛ وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي نقلها الثقات ، والأحاديث التي
صححت بالطرق السليمة والروايات ؛ وأن يقتدى بما جاءت به من مكارم الأخلاق
التي ندب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغب أمته في الأخذ بها والعمل
بأدبها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .
وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وأمره بمخالسة أهل العلم والدين ، وأولى الإخلاص في طاعة الله تعالى واليقين ؛
وأستشارتهم في عوارض الشك والالتباس ، والعمل بأرائهم في امتثال والقياس ؛ فإن
الاستشارة لهم عين الهداية ، وأمن من الضلالة والفنایة ؛ وبها تلقح عظم الأهمام
والأثباب ، ويقتدح زناد الرشد والصواب ؛ قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضيلها ،
والأمر في التمسك بمجلها : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثنوره ، وأن يشملهم بحسن نظره وجميل
تدبيره ؛ مستصليحاً نياتهم بإدامة اللطف والتمهد ، مستوضحاً أحوالهم بمواصلة
التفحص والتفقد ؛ وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ، ويهتيمهم

في انتظامها وأتساقها إلى الصراط المستقيم ، ويَجْلِسُ على القيام بشرائط الخدم ،
والتمسك منها بأقوى الأسباب وأمتن العمم ، ويدعوهم إلى مصلحة التواصل
والإتلاف ، ويصُلِّحهم عن موجبات التخاذل والإختلاف ؛ وأن يعتمد فيهم شرائط
الحزم في الإعطاء والمنع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع ؛
وأن يُنْشِبَ المحسن على إحسانه ، ويُنبِّلَ على المسيء ما وسعه العقو وأحتمله الأمر
ذيل صفه وأمتانته ؛ وأن يأخذ برأى ذوي التجارب منهم والحنكة ، ويتجنى
بمشاورتهم في الأمر قعر الشرکه ؛ إذ في ذلك أمنٌ من خطا الأفراد ، وترجح عن
مقام الزيف والاستبداد .

وأمره بالتبذل لما يليه من البلاد ، ويتصل بنواحيه من ثُغُور أولى الشُّرك
والعناد ؛ وأن يصرف بجامع الالتفات إليها ، ويخصها بوقور الإهتمام بها والتطلع
عليها ؛ وأن يشمل ما يسلاها من الحصون والمعازل بالإحكام والإتقان ، ويتنبى
في أسباب مصالحها إلى غاية الوُسْع ونهاية الإمكان ؛ وأن يشحنها بالميرة الكثيرة
والذخائر ، ويمدّها من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر ، وأن يتخير
لحراستها [من يختاره] من الأمناء الثقات ، ولسدّها من يتخيه من الشُّجعان الكُناه ؛
وأن يؤكّد عليهم في استعمال أسباب الحفظة والإستظهار ، ويوقظهم للاحتراس من
غوائل الفُتلة والإغترار ؛ وأن يكون المشار إليهم بمن رَوا في ممارسة الحروب على
مكائفة الشدائد ، وتدرَّبوا في نصب الحياثل للشركين والأخذ عليهم بالمرأصد ؛
وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد ، وكثرة المدد ، والتوسعة في الثقة والعطاء ،
والعمل معهم بما يقتضيه حالم وثقاؤهم في التقصير والفناء ؛ إذ في ذلك حسمٌ لمادة
الاطلاع في بلاد الإسلام ، وردٌ لكيد المعاندين من عبدة الأصنام ، فعلوم أن هذا
الفرص أولى ما وُجِّهت إليه العناية وصُرفت ، وأحق ما قُصرت عليه الهمم

وَوَقِفَتْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَلَهُ مِنْ أَمِّ الْفُرُوضِ الَّتِي كَرَّمَ فِيهَا الْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، وَأَكْبَرِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي كَتَبَ الْعَمَلُ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ ؛ فَسَالِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَادِيًا فِي ذَلِكَ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ ، وَمَحْرَضًا لِعِبَادِهِ عَلَى قِيَامِهِمْ بِفُرُوضِ الْجِهَادِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِنًا يَغْفُطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِعِزِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ نَزَلَ مِتْرًا يُجِيفُ فِيهِ الْمَشْرِكِينَ وَيُخَيِّفُونَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ سَاجِدٍ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرُ قَائِمٍ لَا يَقْعُدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرُ صَائِمٍ لَا يَفْطِرُ “ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” غَدَاةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ “ . هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ مَنْ سَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَوَقَفَ لِنَيْهَا ، فَكَفَى بِنِ كَانِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ : مَسْكُ بَيْنَانِ فَرَسِهِ كُلُّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا “ .

وَأَمْرُهُ بِاتِّفَاقٍ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي رَعَايَاهُ ، وَالْإِهْتِنَاءِ إِلَى رَعَايَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِحْسَانِ بِمَرَّاشِدِهِ الْوَاضِحَةِ وَوَصَايَاهُ ؛ وَأَنْ يَنْتَلِكَ فِي السِّيَاسَةِ [بِهِمْ] سُبُلُ الصَّلَاحِ ، وَيَسْتَمْتَلَهُمْ بِلِينِ الْكَتْفِ وَخَفَضِ الْجَنْحِ ؛ وَعُدَّ ظُلْمَ رِعَايَتِهِ عَلَى مُسْلِمِهِمْ وَمُعَاهِدِهِمْ ، وَيُزْجِرِخِ الْإِفْقَادَ وَالشَّوَابِثَ عَنْ مَنَاحِلِهِمْ فِي الْعَدْلِ وَمَوَارِدِهِمْ ؛ وَيَنْظُرُ فِي مَصَالِحِهِمْ نَظْرًا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَيُقَوِّمُ بِأَوْدِهِمْ قِيَامًا يَهْتَدِي بِهِ وَيَهْدِيهِمْ فِيهِ إِلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وأمره باعتبار أسباب الاستظهار والأمانة، واستقصاء الطاعة المستطاعة والقُدرة
 الحكمة، في المساعدة على قضاء نَمَتِ حُجَّاجِ بَيْتِ الله الحَرَامِ ، وَزُورِ نَبِيِّهِ عليه أَفْضَلُ
 الصلاة والسلام ، وأن يُعْتَمَ بِالإِيعَانَةِ في ذَلِكَ على تحقيق الرِّجَاءِ وَبُلُوغِ المَرَامِ ،
 ويحرسهم من التخطف والأذى في حَالَتِي الظَّنِّ والمُقَامِ ؛ فَإِنَّ الحُجَّ أَحَدُ أَرْكَانِ
 الدين المشيئة ، وفروضة الواجبة المؤكدة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَفِيهِ عَلَى النَّاسِ
 حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

وأمره بقوة أيدي العاملين بِحُكْمِ الشرع في الرِّعَايَا ، وتنفيذ ما يَصُدُّ عنهم من
 الأحكام والقَضَايَا ؛ والعمل بأقوالهم فيما يَنْبَغُ لَدَوِي الاستحقاق ، والشد على أيديهم
 فيما يَرْوَنُه من المنع والإطلاق ؛ وأنه متى تأخر أحدُ الخَصْمَيْنِ عن إجابة داعي
 الحُكْمِ ، أو تَقَاعَسَ في ذَلِكَ لما يلزم من الأداء والعُصْمِ ، جَذَبَهُ بِعَنَانِ القَسْرِ إِلَى
 مجلس الشرع ، وأضطره بقوة الإنصاف إلى الأداء بعد المنع . وأن يتوخى عمَّالُ
 الوقوف التي تهزَّب المتقربون بها ، وأسَمَّكُوا في ثَوَابِ الله بِمَجِيئِ حُجَّالِهَا . وأن
 يُعِيْذَهُمْ بِجَمِيلِ المَعَاوَةِ والمساعدة ، وحُسنِ المُوازَنَةِ والمُعَاوَضَةِ ، في الأسباب التي تُؤْذِنُ
 بِالْمَارَةِ والاسْتِنَاءِ ، وتعوذُ عليها بالمصلحة والاستخلاص والإيتفاء ؛ قال الله تعالى :
 ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

وأمره أَنْ يَخْتَارَ من أَوْلَى الكَفَاءَةِ والزَّاهَةِ مَنْ يَسْتَخْلَصُهُ لِحَدَمِ الأعمال ،
 والقيام بالواجب : من أداء الأمانة والحراسة والتمييز لبيت المال . وأن يكونوا من
 دَوَى الاضْطِلَاجِ بشرائط الحَدَمِ المعينة وأمورها ، والمهتدين إلى مَسَالِكِ صلاحها
 وتديرها . وأن يتقدم إليهم بِأَخْذِ الحقوق من وُجُوْهِهَا المتيقنة ، وجِبَابَتِهَا في أوقاتها
 المعينة ، إذ ذاك من لوازم مصالح الجُندِ ووُفُورِ الاستظهار ، ومُوجِبَاتِ قُوَّةِ الشوكة

بكتير الإخوان والآنصار، وأسباب الحِفْظَةِ التي تُحْمَى بها البلاد والأمصارع؛ وبأمرهم بالجرى في الطسوق والشروط على النمط المعتاد؛ والقيام في مصالح الأعمال على أقدام الجِدِّ والاجتهاد . وإلى العاملين على الصَّدَقَاتِ بأخذ الزكوات على مشروع السنن المهيَّج ، وقصد الصراط المتبع ؛ من غير عدول في ذلك عن المنهاج الشرعى ، أو تساهل في تبديل حكمها المقروض وقانونها المرعى ؛ فإذا أخذت من أربابها ، الذين يطهرون ويتركون بها ، كان العمل في صرفها إلى مستحقها بحكم الشريعة النبوية وموجبها . وإلى جباة الخزينة من أهل الذمَّة بالمطالبة بأدائها في أول السنة ، واستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة والمُسْكَنَة ؛ إجزاء في ذلك على حكم الاستمرار والإنتظام ، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كل من يستعمله في أمر من الأمور، ويصرفه في مصلحة من مصالح الجمهور ، تطلعا يقتضى الوقوف على حقائق أماناتهم ، وموجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم ، ذعابا مع النصيح لله تعالى في برئته ، وعملا فيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

وأمره أن يستصليح من ذوى الاضطلاع والقناء ، من رتب العرض والعتاء ، والنفقة في الأولياء ؛ وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والموسومين في المناصحة بإخلاص العاوية وإصفااء السريره ؛ حالين من الأمانة والصون بما يزين ، فاكين عن مظان الشبه والطمع الذى يعم ويشين ؛ وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في ضبط أسماء الرجال ، وتحلية الأشخاص والأشكال ؛ وأعتبار شيكات

(١) في القاموس « الحِفْظَةُ بالكسر والحِفْظَةُ الجية والنصب » .

(٢) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم وليس جري مخلص . أنظر اللسان .

الخيول وإثبات أعدادها ، وتحرير الجند على تخييرها واقتناء جيادها ؛ وبذل الجُهد في قيامهم من الكراع والبزك والسلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرِيدُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ . فإذا نطقت جرائد الجند المذكورين بما أثبت لئسهم ، وحقق الاعتبار والعيار قيامهم بما وجب عليهم ؛ أطلقت لهم المعاش والأرزاق بحسب إقراراتهم ، وأوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقاتهم ؛ فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام الأمر بما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بقرض الجهاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وأمره بتقويض أمر الحسبة إلى مَنْ يكون بأمرها مضطلعا ، وللأسنة النبوية في إقامة حدودها متبعا ؛ فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب ، ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسنة اللاجب ؛^(١) في الأسواق لأعتبار المكايل والموازين . ويُقيمه [مقامه] في مؤاخذه المظففين وتأديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ؛ ويحذّرهم في تعدى حدود الإنصاف شدة نكاله ، ويقابل المستحق المؤاخذه بما يتدع به الجمع الكثير من أمثاله ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاعَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ وَيَلِ لُطْفَيْنَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ زَنَوْهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَنْظُرُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ يَقُومُ النَّاسُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) يباح في الأصل ولله «ويطوف في الأسواق» الخ .

فليتول الملك السيد، الكامل، المجاهد، الم رابط، نصير الدين، ركن الإسلام،
 أمير الأنام، جلال الدولة، نحر الله، عز الأمة، سند الخلافة، تابع الملوك
 والسلاطين، قانع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والتمردين، أمير المجاهدين،
 غازی بك معين أمير المؤمنين - مآقله عبد الله وخليفته في أرضه، القائم له بحقه
 الواجب وفرضه؛ أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، تقليد مطمئن
 بالإيمان؛ وينصح لله ورسوله وخليفته - صلوات الله عليه - في السر والإعلان؛
 ويُشرح بما فوض إليه من هذه الأمور صدرا، ويُقيم بالواجب عليه من شكر هذا
 الإتمام الجزيل سراً وجهراً؛ ويُعمل بهذه الوصايا الشريفة الإمامية، ويُقف آثار
 مرآستها المقدسة النبوية؛ ويُظهر من أثر الخلد في هذا الأمر والاجتهاد، وتحقيق
 النظر الجليل لله والإرشاد، ما يكون دليلاً على تأييد الرأي الأشرف المقدس - أجله
 الله تعالى - في أصطناعه واستكفائه، وإصابة مواقع الشجع والرشد في التفرؤض
 إلى حسن قيامه وكإل اعتناؤه؛ فيقدر النعمة في هذه الحال حق قدرها، ويمتدح
 بأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر غزير ردّها؛ ويُطالع مع الأوقات
 بما يُشكل عليه من الأمور القوامض، ويُنبه إلى العلوم الشريفة المقدسة - أجلها الله
 تعالى - ما يلبس عليه من الشكوك والقوامض (٤)؛ ليرد عليه من الأمثلة ما يؤمّم له
 وجه الصواب في الأمور، ويستمد من المراكش الشريفة التي هي شفاء لما
 في الصدور بما يكون وروده عليه وتبائه إليه نوراً على نور؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة العهد الذي كتب به صاحب نحر الدين : إبراهيم بن لقمان،
 للظاهر بيبرس، التي أنكر عليه القاضي شهاب الدين بن فضل الله في "التعريف"
 ابتداءها بمحطبة، وهي :

الحمد لله الذي أضفى [على الإسلام] ^(١) ملايس الشرف، وأظهر دُرره وكانت خافية بما استحكّم عليها من الصدف، وشيد ماوهي من علائه حتى أنسى ذكر ماسلف، وقبض لنصره ملوكاً اتفق على طاعتهم من أختلف.

أحمد على نعمه التي رعت الأعين منها في الرّوض الأتف، وأطافه التي وقفت الشكر عليها فليس له عنها مُصَرّف؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أمناً، وتُسَهِّل من الأمور ما كان حَزناً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جبر من الدين وهناً، وصفيه الذي أظهر من المكارم قُوّاً لافتاً؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين أخصت مناقبهم باقية لا تَفنى، وأصحابه الذين أحسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة من الحسن.

وبعد، فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، واحقهم أن يُصيح القلم ساجداً وراكعاً في تسطير مناقبه وِره؛ مَنْ سعى فاضحى بسعيه الجميل متقدماً، ودعا إلى طاعته فأجاب مَنْ كان مُتجيداً ومُتّبها؛ وما بدت يد من المكرّمات إلا كان لها زندا ومِعصاً، ولا استباح بسيفه حيٍّ وعى إلا أضرمه ناراً وأجراه دماً.

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مَحْصَةً بالمقام العالي، المولوى، السلطاني، المَلِكِي، الظاهري، الركني، شرفه الله تعالى وأعلاه، ذكره الديوانُ العزيز، النبوي، الإمامي، المستنصري - أعز الله تعالى سلطانه - تَزيّنها بشريف قدره، وأعترافاً بصنعه الذي تَفدّ العبارة المُسَبِّة ولا تقوم بشكره؛ وكيف لا؟ وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقمعتها زمانه الزمان، وأذهبت ما كانت لها من محاسن وإحسان؛ واستتب دهرها المِسيء فاعتب، وأرضى عنها زمانها وقد كان صالاً

عليها صَوْلَةٌ مُنْقَضَةٌ ؛ فأعاده لها سَلَامًا بعد أن كَانَ عليها حَرْبًا ، وَصَرَفَ أَهْتَامَهُ فَرَجَ كُلِّ مُتَضَارِعٍ مِنْ أُمُورِهَا وَإِسْعَا رَحْبًا ؛ وَمَتَّحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ حُتًّا وَعُطْفًا ، وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يَحْتَفِئُ ، وَأَبْدَى مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِالْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْ رَامَهُ غَيْرُهُ لَامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ تَمَسَّكَ بِجِلْبِهِ مَتَمَسَّكَ لَأَقْطَعَ بِهِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ؛ لَكِنَّ اللَّهَ أَذْخَرَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ لِيُنْقَلَّ بِهَا فِي الْمِيزَانِ ثَوَابُهُ ، وَيُخَفَّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابُهُ وَالسَّعِيدُ مِنْ خُفَّفَ حِسَابُهُ ؛ فَهَذِهِ مَتَقَبَّةُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُجْلِدَهَا فِي صَحِيفَةِ صُنْعِهِ ، وَتَكْرُمَةٌ قَضَتْ لِهَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بِجَمْعِهِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُكَ هَذِهِ الصَّنَاعُ ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْلَا أَهْتَامُكَ لَا تَسْعُ الْخُرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ ؛ وَقَدْ قَلَّدَكَ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ ، وَالدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْمَجَازِيَّةَ وَالْيَمِينِيَّةَ وَالْقُرَاتِيَّةَ ؛ وَمَا يَقْبَلُ مِنَ الْفَتْوحَاتِ غَوْرًا وَتَجْدًا ، وَفَوْضَ أَمْرِ جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حِينَ أَصْبَحَتْ فِي الْمَكَارِمِ قَرْدًا ؛ وَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهَا بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حَصَنًا مِنَ الْحَصُونِ مُسْتَنْفًى ، وَلَا جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ مُعَدَّةً فِي الْأَعْلَى وَلَا الْأَدْنَى .

فَلَاخِظْ أُمُورَ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا حَامِلًا ، وَخَلَّصَ نَفْسَكَ مِنَ التَّيَبَاتِ الْيَوْمَ فَضَى غَيْدَ تَكُونُ مَسْئُولًا لَا سَائِلًا ؛ وَدَعِ الْإِفْتِرَارَ بِالْدُنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا ، وَمَا رَأَاهَا أَحَدٌ بَعِينَ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا خَيَالًا زَائِلًا ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ آمَالَهُ الْمَوْصُولَةَ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقْدِيمُهُ غَيْرَ التَّقْوَى مُرَدُّدَةٌ لَا مَقْبُولَةٌ ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعُدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ الْمَرَّةِ دُنُوبًا وَأَنَامًا ، وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا فِيهِ كِبَادَةُ الْبَايِدِ سِتِّينَ عَامًا ؛ وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ الْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، إِلَّا وَاجْتَنِبَتْ ثَمَارُهُ مِنْ أَفْتَانٍ ؛ وَتَرَاجَعَ الْأَمْرُ فِيهِ بَعْدَ تَدَاعِي أَرْكَانِهِ وَهُوَ مَشِيدُ الْأَرْكَانِ ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ ؛ وَكَانَتْ

أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَهْيَىٰ مِنَ الْأَعْيَادِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْعْيُونِ مِنَ الْغُرَرِ فِي أَوْجُهُ الْحَيَادِ ،
وَأَحْلَىٰ مِنَ الْمَقُودِ إِذَا حُلِّيَ بِهَا عَطَلُ الْأَجْيَادِ .

وهذه الأقاويل المنوطة بك تحتاج إلى تَوَابٍ وَحُكَمٍ ، وَأَصْحَابِ رَأْيٍ مِنْ أَصْحَابِ
السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ؛ فَإِذَا اسْتَمْتَّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي أُمُورِكَ فَتَقَبَّ عَلَيْهِ تَقَبُّيًّا ، وَاجْعَلْ
عَلَيْهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ رِقِيًّا ؛ وَسَلِّ عَنْ أَحْوَالِهِ فِي الْقِيَامَةِ تَكُونُ عَنْهُ مَسْئُولًا وَبِمَا أَجْرَمَ
مَطْلُوبًا ، وَلَا تُؤَلِّ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لَكَ لَا ذُنُوبًا ؛ وَأَمْرُهُمْ
بِالْأَنَاءَةِ فِي الْأُمُورِ وَالرَّفْقُ ، وَمُخَالَفَةُ الْهَوَىٰ إِذَا ظَهَرَتْ أَدْلَةُ الْحَقِّ ؛ وَأَنْ يَقَابِلُوا الضُّعْفَاءَ
فِي حَوَائِجِهِمْ بِالْفُتْرِ الْبَاسِمِ وَالْوَجْهَ الطَّلَقِي ، وَأَنْ لَا يُعَامِلُوا أَحَدًا عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ
إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ ؛ وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَاةِ إِخْوَانًا ، وَأَنْ يُسَمِعُوهُمْ
رِيًّا وَإِحْسَانًا ، وَأَنْ لَا يَسْتَحِلُّوا حُرْمَاتِهِمْ إِذَا اسْتَحَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ حُرْمَانًا ، فَالْمُسْلِمُ أَخُو
الْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ أَمِيرًا وَسُلْطَانًا ؛ وَالسَّعِيدُ مَنْ نَسَجَ وَلَا يَتَسَهَّى فِي الْخَيْرِ عَلَى مِثْلِهِ ،
وَأَسْتَسَنَّ بِسُنَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَتَحَلَّلَ عَنْهُ مَا تَعَجَّزَ قُدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَثْقَالِهِ .

وَمِمَّا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُخْفَىٰ مَا أُخْدِتَ مِنْ سَيِّئِ السَّنَنِ ، وَجُدَّ مِنَ الْمَظَالِمِ الَّتِي هِيَ
مِنْ أَعْظَمِ الْخِيَانَةِ ، وَأَنْ يُسْتَرَىٰ بِإِبْطَالِهَا الْمَحَامِدُ رَخِيصَةً بِأَعْلَى ثَمَنِ ؛ وَمَهْمَا جُيَ مِنْهَا
مِنَ الْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ فِي الدِّمِّ حَاصِلَةٌ ، وَأَجْيَادُ الْخِزَانِينَ إِنْ انْخَفَتْ بِهَا حَالِيَةٌ
فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ ؛ وَهَلْ أَشَقُّ مِنْ أَحْتَقَبَ إِثْمًا ، وَأَكْتَسَبَ
بِالْمَسَاعِي الذَّمِّيمَةَ دَمًا ؛ وَجَعَلَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ [لَهُ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصْمًا ، وَتَحَلَّلَ ظُلْمَ
النَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ (وَقَدْ خَافَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) .

وَحَقِيقُ بِالْمَقَامِ الشَّرِيفِ الْمُؤَلَّوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، الظَّاهِرِي ، الرَّكْنِي
أَنْ تَكُونَ ظُلَامَاتُ الْأَنَامِ مَرْدُودَةً بِسَنَلِهِ ، وَطَاعَتُهُ مُخَفَّفَةً بِقَلَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِجَهْلِهِ ؛

فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخره ؛ فاحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هدى يوجب لك مزية التقديم ، ويثبت الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم ؛ وهذه أمور يجب أن تلاحظ وتزعى ، ويوالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين لك أنك صرت في الأمور أصلا وصار غيرك قرعا .

وما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضحى على الأمة قرعا ، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصغائف ميقنا ؛ وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعد لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة التى لا تقو فيها ولا تأبى ؛ وقد تقدمت لك في الجهاد يد بيضاء أسرع في سواد الحساد ، وعرفت منك عزمة وهى أمضى مما يُجنىه ضامر الأغناد ، وأشتهرت لك مواقف القتال وهى أشهر وأشهى إلى القلوب من الأعياد ؛ وبك صان الله حى الإسلام أن يتبدل ، وبزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ؛ وسيفك أثرى قلوب الكافرين قروحا لا تسد ، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأول ؛ فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجما ، وكن في مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا ، وأيد كلمة التوحيد فما تجد في تأييدها إلا مطيعا سامعا ؛ ولا تحل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفال بيدل مادجا من ظلماتها بالنور ؛ فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وعلى العدو داعية أتراق لا اجتماع ، وأولها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفتا ناظرا ؛ لاسما ثغور الديار المصرية فإن العدو وصل إليها راجعا وراح خاسرا ، وأستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم عابرا ؛ وكذلك الأسطول الذى ترى خيله كالأهله ، وركابته سابقة بغير سائق مستحله ؛ وهو أخو الجيش السلجاني فإن ذاك غدت الريح له حامله ،

وهذا تكفّلت بحمله الرّياح السابله ؛ وإذا لحظها الطّرف جارية في البحر كانت كالأعلام ، وإذا شبهها قال : هذه ليل تُقْلَعُ بالأيام ؛ وقد سئى الله لك من السعادة كلّ مَطْلَب ، وآتاك من أصالة الرأى الذى يُريك المُغِيب ؛ وبسطَ بعد القبض منك الأمل ، ونشط بالسعادة ما كان من كسل ؛ وهذاك إلى منافع الحق وما زلت مهتدياً إليها ، وأزرك المرآشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ؛ والله تعالى يُمدك بأسباب نصره ، ويوزعك شكر نعمه فإن النعمة تستمّ بشكره ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة عهد كتب بها القاضى محي الدين بن عبد الظاهر ، للسلطان الملك المنصور قلاوون ، عن الخليفة الإمام أبى العباس أحمد الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره على هذه الطريقة ، وهى :

الحمد لله الذى جعل آية السيف نائحة لكثير من الآيات ، وفاتحة لعقود أولي الشك والشبهات ؛ الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأهل لأموال البلاد والعباد من جاءت خوارق تملكه بالذى إن لم يكن من المعجزات فن الكرامات .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسية بعد القُطُوب حسنة الانقسام ، وبعد الشعوب جميلة الانقسام ، وبعد التشريد كل دار إسلام لها أعظم من دار السلام .

والحمد لله على أن أشهدا مصارع أعدائنا ، وأحد لها عواقب إعادة نصرها وإبدائها ، وردت تستيتها بعد أن ظنّ كل أحد أنّ شعارها الأسود ما بقي منه إلا ما صانته العيون في جفونها والقلوب في سويدائها . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان، وتستطر بنفحاتها الأفواء والأرداب،
وتتلقاها ملائكة القبول ترفعها إلى أعلى مكان . ونصلي على سيدنا محمد الذي أكرمنا
الله به وشرف لنا الأنساب ، وأعزنا به حتى نزل فينا حكم الكتاب ؛ صلى الله عليه
وعلى آله الذين أنجب الدين منهم عن أنجاب ، ورضي الله عن صحابته الذين هم
خير صحاب ؛ صلاة ورضوانا يوفي قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير
حساب (؟) يوم الحساب .

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور، وأظهر للإسلام سلطاناً أشتدت
به للأمة الظهور وشفيت الصدور ؛ وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن المنصور
كما أقامها فيما مضى المنصور، وأخار لإعلان دعوتها من يحيي معاملها بعد العفاء
ورسوخها بعد الدثور ؛ وجمع لها الآن ما كان يجمع عليها فيما قبل من خلاف كل
ناجم، ومنحها ما كانت تبشرها به مخف الملاحم^(١) ؛ وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة
العلوية بخير سيف مشحون ماضى المزامم، ومازج بين طاعتها في القلوب وذكرها
في الألسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم ؟ ؛ وأخرج لحياطة الأمة المحمدية ملكاً
نقسم البركات عن يمينه ، ونقسم السعادة بنور جبينه ؛ ونقهر الأعداء بفتكاته ،
ونمهر عقائل المعامل بأصغر راياته ؛ ذو السعد الذي مازال نوره يضيئ حتى ظهر،
ومعجزه يرف إلى أن بهر ؛ وجوهره ينتقل من جيد إلى جيد حتى علا الجبين،
وسره يكمن في قلب بعد قلب حتى علم - والحمد لله - تباً تمكنه في الأرض بعد
حين ؛ فاختاره الله على علم ، وأصطفاه من بين عبادِه بما جبله الله عليه من كرم
وشجاعة وحلم ؛ وأتى به الأمة المحمدية في وقت الإحتياج عوناً وفي إبان الاستمطار

غَيْثًا ، وَفِي حِينِ عَيْتِ الْأَشْبَالِ فِي غَيْرِ الْإِقْرَاسِ لَيْثًا ؛ فَوَجِبَ عَلَى مَنْ لَهُ فِي أَغْثِ الْأُتَمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مُبَايَعَةُ رِضْوَانٍ ، وَعِنْدَ أَيْمَانِهِمْ مَصْلَافَةُ إِيْمَانٍ ؛ وَمَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمِيرَاثِ مَنْصِبِ النَّبَوَّةِ ، وَمَنْ تَصَحَّحَ بِهِ كُلُّ وَلايَةٍ شَرْعِيَّةٍ يُؤْخَذُ كِتَابُهَا مِنْهُ بِقَوِّهِ ؛ وَمَنْ هُوَ خَلِيفَةُ الزَّمَانِ وَالْعَصْرِ ، وَمَنْ يَدْعُوهُ تَنْزِيلُ بِالنَّصْرِ عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الْإِسْلَامِ مَلَائِكَةُ النَّصْرِ ، وَمَنْ نَسَبُهُ بِنَسَبِ نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتَشَجِّحٌ ، وَحُسْبُهُ بِحُسْبِهِ مُمْتَرَجٌ ، أَنْ يَقُوضَ مَاقُوضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْخَلْقِ ، إِلَى مَنْ يَقُومُ عَنْهُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ ؛ وَأَنْ يُؤَلِّيه وَلايَةً شَرْعِيَّةً تَصَحَّحَ بِهَا الْأَحْكَامَ وَتَضْيِطُ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ، وَتَأْتِيَ هَذِهِ الْعُصْبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ بِإِمَامِهِمْ مِنْ طَاعَةِ خَلِيفَتِهِمْ هَذَا بَجَرِ إِمَامٍ ؛ وَنُحْرِجُ أَمْرَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - شَرَفَهُ اللَّهُ - أَنْ يَكُونَ لِقَرَرِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السَّلْطَانِي ، الْمَلَكِي ، الْمَنْصُورِي ، أَجَلَهُ اللَّهُ وَنَصْرَهُ ، وَأُظْفَرَهُ وَأَقْدَرَهُ ، وَأُبْدَهُ وَأَيْدَهُ ، كُلُّ مَاقُوضَهُ اللَّهُ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُكْمٍ فِي الْوُجُودِ ، وَفِي التَّهَامِ وَالنُّجُودِ ؛ وَفِي الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ ، وَفِي الظُّوَاهِرِ وَالْبَوَاطِنِ ؛ وَفِيمَا فَتَحَهُ اللَّهُ وَفِيمَا سَيَفْتَحُهُ ، وَفِيمَا كَانَ فَسَدَ بِالْكَفْرِ وَالرَّجَاءِ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ سَيُصْلِحُهُ ؛ وَفِي كُلِّ جُودٍ وَمِنْ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَمِنْ ؛ وَفِي كُلِّ هِبَةٍ وَعَمَلِكِ ، وَفِي كُلِّ تَحَرُّدٍ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِفِرْشِ رِيكِ ؛ وَفِي كُلِّ تَعَاهُدٍ وَتَبَذٍ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَأَخْذٍ ؛ وَفِي كُلِّ عَزَلٍ وَتَوَلُّيٍّ ، وَفِي كُلِّ تَسْلِيمٍ وَتَخْلِيٍّ ؛ وَفِي كُلِّ إِرْفَاقٍ وَإِنْفَاقٍ ، وَفِي كُلِّ إِنْصَامٍ وَإِطْلَاقٍ ؛ وَفِي كُلِّ تَجْلِيدٍ وَتَوْصِيضٍ ، وَفِي كُلِّ حَمْدٍ وَتَهْقِيرِيضٍ ؛ وَلايَةً عَامَةً تَامَةً حَكْمَةً مُحْكَمَةً ، مَنْصُذَةً مَنْظَلَمَةً ؛ لَا يَتَعَقَّبُهَا تَسْخُفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَلَا مِنْ يَدَيْهَا ، وَلَا يَتَقَرَّبُهَا فَسْخٌ بَطَرًا عَلَيْهَا ؛ يَزِيدُهَا مَرَّ الْأَيَّامِ جَلَّةً يُعَاقِبُهَا حُسْنُ شَبَابٍ ، وَلَا يَنْتَهِي عَلَى الْأَعْوَامِ وَالْأَحْقَابِ ، نَهْمٌ يَنْتَهِي إِلَى مَا نَصَبَهُ اللَّهُ لِلْإِرْشَادِ مِنْ سُنَّةٍ وَكِتَابٍ ؛

وذلك من شرع الله أقامه للهداية علماً ، وجعله لى اختيار الثواب سلباً .
 فالواجب أن يعمل بجزئيات أمره وكلياته ، وأن لا يخرج أحد عن مقدماته ،
 والعدل فهو القرس المثمر ، والسحاب المطر ، والروض المزهر ؛ وبه تستل
 البركات ، وتخلف الهبات ، وتربى الصدقات ؛ وبه عمارة الأرض ، وبه تؤدى السنة
 والقرض ؛ فنزرع العدل آجنى الخير ، ومن أحسن كفى الضرر والضير ، والظلم
 فعاقبته ويخيمه ، وما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمه ؛ والرعية فهم الوديعه
 عند أولى الأمر ، فلا يخصص بحسن النظر منهم زيد ولا عمرو ، والأموال ؛ فهى
 ذخائر العاقبة والمآل ؛ والواجب أن تؤخذ بحققها ، وتتفق في مستحقها ؛ والجهد
 برأ وبجراً فمن كناية الله تفوق سبأه ، وتورخ أيامه ؛ ويتفضى حسامه ، وتجبرى
 منشأته في البحر كالأعلام وتنتشر أعلامه ؛ وفي عقر دار الحرب يحط ركابه ، ويحط
 كتابه ؛ وترسل أرسائه ، وتجووس خلافاً فرسائه ؛ فليزلم منه ديننا ، ويستصحب
 منه فيلاً حسناً ؛ وجيوش الإسلام وكأته ، وأمرأؤه ومحاته ؛ فهم من قد علمت
 قدم عجزه ، وعظم نصره ؛ وشدة باس ، وقوة مراس ؛ وما منهم إلا من شهيد
 الفتوحات والحروب ، وأحسن في الإمامة عن الدين الدعوب ؛ وهم بقايا الدول ،
 وتحايا الملوك الأول ؛ لاسيما أولى السنى الناجح ، ومن لهم نسبة صالحة إذا غفروا بها
 قيل لهم : نيم السلف الصالح ؛ فأوسعهم برأ ، وكُن بهم برأ ، وهم بما يجب من
 خدمتك أعلم وأنت بما يجب من حُرمتهم أدرى ؛ والثغور والحصون فهم ذخائر
 الشده ، ونزائن العديد والمعد ؛ ومقاعد للقتال ، وكائن الرجاء والرجال ؛ فاحسن لها
 التحصين ، وقوض أمرها لى كل قوى أمين ؛ والى كل [ذى] دين ميتين ، وعقل
 وصين ؛ وتواب الممالك وتواب الأمصار ، فاحسن لهم الاختيار ؛ وأجل لهم
 الاختيار ، وتفقد لهم الأخبار .

وأما ماسوى ذلك فهو داخلٌ في حدود هذه الوصايا النافعة ، ولولا أن الله أمرنا بالتذكير ، لكانت تجايا المقرّ الأشرف السلطاني ، الملكيّ ، المنصوري ، مكتفيةً بأنوار المعية الساطعة ؛ وزمام كلّ صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته ، هو تقوى الله قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

فليكن ذلك نصب العين ، وشغل القلب والشفتين ؛ وأعداء الدين من أرمن وفرنج وتتر ، فأذقهم وبال أمرهم في كلّ إيراد للغزو وإصدار ، وتزلزل تأخذ الخلفاء العباسيين وجميع المسلمين منهم التتر ، وأعلم أن الله يصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار .

وأما غيرهم من مجاورهم من المسلمين فأحسن باستنقاذك منهم العلاج ، وطبهم باستصلاحك فبالطّب الملكيّ والمنصوري يتصلح المزاج ؛ والله الموفق بمنه وكرمه .



وعلى هذه الطريقة مثنى المقرّ الأشرف الناصري محمد بن البارزي الحموي صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية وسائر الممالك الإسلامية : بحمد الله تعالى الوجود بوجوده ، وأناف بقدره على كيوان^(١) في آرتقائه وصعوده ، وجعله لسلطانه المؤيد رداءً مابداً سعد الملك صاعداً إلا كان له سعد سعوته .

فكتب على ذلك عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر « شيخ » خلد الله سلطانه ، عن الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباس أمير المؤمنين خليفة العصر .

(١) أسم للحرك زحل وهو ممنوع من الصرف العلوية والصيغة لأنه ليس في كلام العرب أسم عنه ياء ولاه واو . انظر اللسان في مادة خ ون ج ١٦ .

أيد الله تعالى به الدين - في شعبان المكرم سنة خمس عشرة وثمانمائة، بعد خلع
الناصر قرق؛ فاقى فيه بما أنجل الرّوض المنعم والنجم الزاهر، وأوجب على
العارف بنقد الأمرين أن يقول: كم ترك الأول للآخر؛ عدد فيه وقائعه المشهورة،
وذكر مناقبه التي صارت على صفحات الأيام مرقومة وعلى مرّ الليالي مذكورة،
وفي بطون التواريخ على توالي الجديدين وتعاقب النهور مسطوره؛ (فكتب على ذلك
عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر شيخ خلد الله سلطانه)، ونصه:

الحمد لله الذي جعل الدين بنصره مؤيدا، وانتضاه لمصالح الملك والدين فاصبح
ومن مرقفات عزمه بادية بائدة العدا؛ وفتح على فقر الزمان شيخ ملك زويت له
عوارف العدل ومعارف الفضل فاستغنى - والله الحمد - بسعيد السعدا، وأصلح
فساد الأحوال بأحكام رأيه وإحكام حكمه فأصبحت مأمونة الرءاء آمنة من الردى؛
وأمتن على أولياء الدولة الشريفة بمن لم يزل سهم تديره الشريف فيهم مسددا، ومياه
الظفر جارية من قناة غوره الذي بذلك تمودا، وبجر إحسانه الكامل وإن قدم
العهد المديد مجددا.

والحمد لله الذي جعل وجوه هذه الأيام بالأمين مسفرة، ولبالى جودها بالعدل
مقيرة؛ وعدّبات أوليائها بالأفراح مزهرة، وحدائق أخصائها بالنجاح مثمرة؛
ومنازل أعدائها مقفرة موحشة، ونوازل منيرة مدهشة؛ وأجسادهم بأمراض
قلوبهم مشوشة، وأجسادهم بلوايح زفرائهم معطشة.

والحمد لله الذي جعل هذه الأيام الفاضلة الجلال جليلة الفضل، شاملة النظام
ناظمة الشمل، هامية بالمكرّمات هائمة بالعدل؛ دانية القطوف، معروفة بالمعروف،
مغيثة الملهوف، مريحة للألوف، متصرفة في الآفاق صارفة الصروف؛ حمدا يهيج

(١) تقدمت هذه الجملة بنصها قبل سنة أسطر فلعلها تكررت من قلم النسخ أو سهو من المؤلف فتنبه.

النُّفُوسَ ، وَيُرْزِلُ الْبُوسَ ، وَيُدِيمُ السُّرُورَ ، وَيُنْجِبُ الْمُخْذُورَ ، وَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) .

نَحْمَدُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَنْجِيَتِ الْأُمَمَ يَظْلَاهَا ، وَبَلَّغَتْ بِهَا النُّفُوسَ غَايَةَ آمَالِهَا ؛ وَرَوَيْتْ بَعْدَ ظَلَمِ الْخُوفِ مِنْ حَيَاضِ أَمْنٍ زُلَّالَهَا ، وَأَسْتَسْرَتْ بَعْدَ الْحَزَنِ بِأَفْرَاحِ قَبُولِهَا وَإِقْبَالِهَا ، وَارْتَفَعَتْ بَعْدَ انْخِفَاضِهَا رُغُوسُ أَبْطَالِهَا وَأَقْيَالِهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُدِيمُ النِّعَمَ ، وَتُجْزِلُ الْعَطَاءَ ؛ وَتُكْشِفُ الْغَمَّ ، وَتَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي قَرَّبَ طَاعَةَ أَوْلَى الْأَمْرِ بِطَاعَتِهِ ، وَأَيَّدَ مِنْ أَهْتَدَى مِنْهُمْ بِهِدَايَتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ لَمَّا اسْتَعَانَ بِبَيَّتِيهِ ، وَأَظْلَمَ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَنْجَاؤُهُ إِلَى حَوْزَتِهِ وَأَحْتَمَوْا بِجَاهِيَتِهِ ، وَأَثَمَرُ لِمِ غَرْسِ دِينِهِ فَرَعَوْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَشَرَفُوا وَكْرَمُوا .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِقَضِيهِ سَابِقَةً ، وَرَأْفَتُهُ بِعِبَادِهِ مَتَلَحِّقَةً ، وَكَانَتْ الْمَسَالِكُ الشَّرِيفَةُ قَدْ اخْتَلَّتْ أُمُورُهَا ، وَصَارَ إِلَى الدُّثُورِ مَعْمُورُهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْبَوَارِ أُمِيرُهَا وَمَأْمُورُهَا ؛ فَالْشَّرَائِعُ مُتَفَتِّرَةٌ شَرَائِعُهَا ، وَالْعَوَائِدُ مَقْقُودَةٌ مَاثِرُهَا ؛ وَالْمَظَالِمُ قَوًى سُلْطَانُهَا ، كَثِيرٌ أَعْوَانُهَا ؛ ضَعِيفٌ مُضَادُّهَا ، قَلِيلٌ مُعَانِدُهَا ؛ فَلَا تَأْتُبُ سِيَاسِيَّةٌ إِلَّا مَشْفُوعٌ بِالنَّوَائِبِ ، وَلَا حَاصِكٌ شَرَعٌ إِلَّا وَقَدْ مُسْتَقَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ ؛ وَلَا تَاجِرٌ إِلَّا وَقَدْ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُ فَمَا رِيحَتْ ، وَلَا ذُو قِرَاضٍ إِلَّا وَرُغُوسُ أُمُوالِهِ قَدْ أَفْرَضَتْ ، وَلَا صَاحِبُ ثَرَاتٍ إِلَّا وَقَدْ حُجِّتْ آيَةُ مِيرَانِهِ وَنُسِخَتْ ؛ وَلَا رُكْنٌ مُلْكَةٍ إِلَّا وَقَدْ أُنْهَلِمَ أَسَاسُهُ ، وَلَا عَصْدُ دَوْلَةٍ إِلَّا وَقَدْ بَطَلَ إِحْسَاسُهُ . أَفْأَمَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِإِزَالَةِ هَذِهِ النَّوَازِلِ الْقَادِحَةِ ، وَإِحْمَادِ نَارِ هَذِهِ الْقَبَائِحِ الْقَادِحَةِ ؛

مَنْ تَوَقَّرتِ النَّوَاعِي عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ السُّلْطَنَةَ الشَّرِيفَةَ ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى انْتِخَابِ
 ذَلِكَ فِي أَوْصَافِهِ الْمُتَنَبِّهَةِ ؛ وَدَلَّتْ أُمَامَةُ السُّعُودِ عَلَى عَمَلِهِ الْجَلِيلِ ، وَجَنَابِهِ الَّذِي إِذَا
 لَاقَهُ بِهِ مَنْ خَافَ الدَّعْوَ رَجَعَ وَطَرَفَ الدَّعْوَ عَنْهُ كَلِيلٌ ، طَالَمَا أَصْنَى مَوَارِدَ الْعَدْلِ ،
 وَأَضْنَى أَذْيَالَ الْفَضْلِ ، وَأَمَّنَ انْخِلَافَ ، وَرَوَّعَ الْخِلَافَ ؛ وَأَمْضَى فِي الْجِهَادِ عَزَمَهُ ،
 وَأَنْفَذَ فِي السَّرَايَا إِلَيْهِ حُكْمَهُ ، وَسَدَّدَ إِلَى مَعْلُونِهِ فِي غَرَضِ الْكُفَّارِ سَهْمَهُ ، وَفَتَحَ
 الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بَعْدَ الْإِنْسَادِ ، وَأَنَعَمَ عَلَى الْقَانِعِ وَالْمَعْتَرِّ بِالرَّاحَةِ وَالزَّادِ ،
 وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ ، وَجَعَلَهَا أَهْلَةً بِالرَّاحِ وَالسَّاجِدِ ، وَجَلَّأَ عُرُوسَ الْأُمُومَى فِي حُلَى
 التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَأَعَادَ عُودَ مَنَبَرِهِ الذَّائِلِ وَهُوَ نَضِيرٌ . هَذَا مَعَ تَبْجَاعَةِ شَاهِدِهَا وَشَهِدِ
 بِهَا أَبْطَالَ الْإِسْلَامِ ، وَسَطُوعَ تَحْشَاةِ الْأُسُودِ فِي الْأَجَامِ ، وَوَقَارِ يُخَضِّعُ بِالْمِيبَةِ
 رُءُوسَ الْأَعْلَامِ ، وَبِشْرِ يَطْلُعُ بَغْوُهُ مِنْ طَالِعِ جَبَّتِهِ ، وَنُورِ سَاطِعٍ مِنْ جِهَةِ جَبَّتِهِ ؛
 وَحَيَاءِ مُتَطَلِّعٍ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَحَبَاءِ مُتَدَقِّقٍ مِنْ أَمَلَتِهِ ؛ وَكُنْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْمُؤَيَّدُ
 - لَا زَالَ تَمَلُّ الدِّينَ بِكَ مَجْمُوعًا ، وَعَلِمَ الْإِسْلَامَ مَرْفُوعًا ، وَقَلْبُ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالنَّفَاقِ
 مَرْوَعًا - أَنْتَ الْمُتَصَفِّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْكَاشِفَ لِنُكْثِ الشَّدَائِدِ الشَّدِيدَةِ ؛
 فَلَمْ يَرُكْ خَطَرُ انْخِلَافِهِ ، وَلَا انْخِلَالُ أَهْلِ صَرَخَدٍ حَيْثُ أَشْتَهَرَتْ عِزَّتُهُمْ صَوَارِمُكَ
 الْبَسَّارَةِ ؛ وَلَا خَطَرُكَ مِنَ الْقَيْسَارِيَّةِ إِلَى الرِّدْوَانيَّةِ فِي أَسْرَعِ مَنْ غَفَوُ ، وَالشَّيْخُ
 لَا تُشْكِلُهُ انْخِلَافُهُ ؛ وَلَا مَشَاهِدَةُ الْحِمَامِ فِي الْحِمَامِ ، وَلَا زَاغَ بَصْرِكَ بِالْقُبُورِ حِينَ أَظْلَمَ
 الْقَتَامُ ؛ حَتَّى زَالَ الْمَانِعُ ، وَهَجَّعَ الْحَاجِجُ ؛ وَأُمِنْتَ انْخِلَافُ ، وَفُرِّجَتِ الْكُرُوبُ ؛
 وَخَلَّادَتْ السُّلْطَنَةُ مِنْ نَكْتِ الْأَيْمَانِ ، وَأَصْرَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ ، وَأَقْرَرْتَ أَسَمَ
 الْخِلَافَةِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ ، لَيْسَتْ خَيْرًا لَكَ فِي الْأَصْلَحِ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

هَذَا وَرَأَى أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَأَمْرَائِهِ ، وَقُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ،
 وَمَشَائِخِهِ وَصُلَحَائِهِ ؛ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، وَرَأَى مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ

الدين ، وجمع بين بركته شمل الإسلام والمسلمين ؛ مُجِّعٌ على تفويض أمر المسلمين
 وولاية عهدهم وكفالة السلطنة الشريفة والإمامة العظمى إليك - خلد الله سلطانك ،
 وجعل الدهر خديتك والملائكة أعوانك ؛ فقدم أمير المؤمنين من الاستخارة أمام
 هذا التقليد ما يعتبر في السنة الشريفة ويُقَدِّم ، وعلم أنَّ المصلحة فيما خاره الله له
 ولأئمة من ولايتك أيها الملك المبجل والسلطان الأعظم ؛ وأنت أبرأ للذمة ، وأبر
 بالأئمة ؛ وشاهد بإجماع الأمة على سلطتك من التألف والإتفاق ؛ مانقٍ الخلاف
 والشقاق ؛ وما سر الجمهور الطائعين من غير دفاع ، والجَمَّ الغفير لبدع آرائك ورفيع
 راياتك مُتَّعِينَ لحسن الإتياع ؛ وأهل الحل والعقد لأمرك ونبيك قد خضعت
 منهم الرقاب ، وسارعوا إلى إجابة دعوتك حين آنضحت لهم أدلة الصواب .
 والزمان بإفشاء الأمر إليك قد طاب وأعتدل ، والأرض في مشارقها ومغاربها
 بمهايتك قد أمنت من الوجَل ، والغُوسُ الآيَّة قد أذعنت لمبايعتك من غير مهل ؛
 والفتنة وقد ردَّ الله بالنيظ مثيرها ، والألفة وقد برقت من سراير أهل التوحيد
 أساريها ؛ والعساكر المنصورة قد أحاطت به كما أحاطت بالبدور الهاله ، وقد أنزل
 الله عليك ناموس المهابة والجلاله ؛ وفوض إليك ما ولاء الله من أمور الإسلام
 والمسلمين ، وأسند إليك ما في يده من مصالح عباده المؤمنين : تُنقِم على أساس
 أحكامك دعائم الدين القويم ، وتُسَيِّر الخلائق على منهاج طريقك المستقيم ؛
 وتَحْمُس - إن شاء الله - برعايتك عاقبة الرعيه ، كما أصبحت قلوبهم بك راضية
 مرضية .

وعهد إليك أمير المؤمنين في كل ما وراء سرير خلافته ، وفي كل ما يربط بأحكام
 إمامته ؛ وقبلك ذلك شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ وبراً وبحراً ، ومهلاً وموعراً ؛
 وفي كل ماله من المُلْك والممالك ، وما يفتحه [الله] على يدك بعد ذلك ؛ تفويضاً

شاملاً، وتقليداً كاملاً؛ وعهداً تاماً، وإسناداً حاتماً؛ ولأية مَكَلَّة البَذَان، مؤسَّسة على تقوى من الله ورضوان؛ وسلطنة آخذة بالذم، مشتملة على جميع الأمم؛ يدخل في هذا العهد العام والتفويض التام، والرأي الذي شهد له إجماع الأئمة بالإحكام؛ [يدخل في ذلك] مفضول الناس وفاضلهم، وعالمهم وجاهلهم؛ وخاصهم وعامهم، وناقصهم وتامهم؛ وشريفهم ومشروئهم، وقويهم وضعيفهم؛ وأمرهم وأمورهم، وقاهرهم ومقهورهم؛ واجتمع والجماعات، وبيوت العباد والطاعات؛ والقضاة وأحكامها، والخطباء ومنابرهم وأعلامها؛ والجيوش والعساكر والكاتب، ورب سيف وكاتب إنشاء وقلم حاسب؛ وطوائف الرعايا على اختلاف أطوارهم، وتفاوت أرزاقهم وأقدارهم؛ والعربان والسنائر، وبيوت الأموال والذخائر؛ وداني الأمم وقاصيها، وطائفتها وعاصيها؛ والخراج وجبايته، والمصرف وجهاته؛ والصدقات ومستحقوها، والزق ومرير قفوها؛ والإقطاعات والأجناد، وما يستعد [به] لمواطن الجهاد؛ والمنع والمطاء، والقبض والإمضاء؛ والخمس والزكوات، والمُسدَد والمعاونات، والبيع والقهات؛ وما يظهر من أمور الملك وما يخفى؛ وما تستدعيه براعتك في السر والعلف؛ وشعار السلطنة وأهبتها، ونواميس الملك وحرماتها.

فاجبت - رعاك الله - دعوة أمير المؤمنين ودعوتهم لقبول ذلك مسئولاً، محتسباً على أن الله سيتزل إليك من يمددك من الملائك فعلاً وقولاً؛ فانجلس أيدك الله على تحت ملك قد هياه الله لمواقفك المطهرة، وسرير سلطنة علقت سرير سعة الأجد فتقاعست الهمم عنه مقصرة.

فالحمد لله ثم الحمد لله عن النعم وأنبائه، ولا مثل هذه النعمة بهذا الخبر وأنبائه؛ (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ) وهذا ما كان من قضية الدين على رغم

الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ؛ وهذا ما كانت الآمالُ تنتظرُ وُروْدَه ، وجواري القِدَمِ تَرْهَبُ
سُوءَه :

واللهِ ما زادوكُ مُلْكًا إِنَّمَا * زادوا أَكْثَفَ الطَّالِبِينَ قَوْلًا !

وَأَمَّا الوصايا ، فانتِ بحمدِ الله طالما ملأتِ بها الأُسماع ، وكشفتِ عاطفتكُ لمن
أردتِ تربيته عنها القِتَاع ؛ ولكن عهد من تعبدتِك السماعُ لشدوها ، والطربُ
لحدوها ؛ فليك بقوى الله ، فيها تُورِقُ أغصانُ الأرب النوايل ، ويُغردُ طائرُ عِرْكِ
الميمونُ بالأفصار والأصايل ؛ فاجعلها ربيعَ صدرك ، وأينع بها حدائقَ فكرك ؛
وروحُ برفها الأربع أرباءُ مُلكك ، وأجرُ الشرعِ الشريفِ على ما عودته من نصرك ،
والعلماء على ما ألقوه من بركَ وخيرك ؛ فهم ورثةُ الأنبياء عليهم السلام ، والدالون على
الشرعية بأئنة أعلامهم ما يكلُّ عنه حدُ الحسام ؛ وطهرَ منصبِ الشرع الشريف
من الرذائل ، وصنَّ أيامَ مُلكك الشريفِ عن الجهال والأَكِلين أموال الناس
بالباطل ؛ والعدل - ونستغفر الله - فإنك مُتمرر لفراسه - رافعٌ ما أنهدم من أساسه ؛
قد جعلته مجلسَ محامدك ، وأينسَ خلواتك ؛ والفضل - وبرك أنجمل الأعلام
فلو مرَّ بك راجيك على الصفا لأرتاح للعروف ، أو شاهد هياتك حاتم لرجع طرفة
عنها وهو مطروف ؛ ولا سرف في الخير ، ولا ضرر ولا ضير ؛ وأمر بالمعروف وأنه
عن المنكر فانت المسئول بين يدي الله عن ذلك ، وأنه نفسك عن الهوى بحيث
لا يراك الله هنالك ؛ وحدود الله فلا تتعداها ، والرايا لحطها بين رعائك وأرعاها ؛
وجنِّد الجنود براً وبحرا ، وأئل أعداءك قهراً وقسراً ؛ وراجع النظر في أمرِ ثواب
السلطنة الشريفة مراجعة الناقد البصير ، وتيقظ لصيانة قلاع الممالك ومما قلها
وحصونها ، وتغيرها من ليس بمشكوك المناصحة ولا مظنونها ؛ وحطها مع عمارتها

بالعِدة والعُدَّة، والأقْوَاتِ لِكَيْ تَطْمَئِنَّ النُّفُوسُ بِمَدِّهَا مِنْهَا إِذَا طَالَتْ الْمُدَّةُ؛ وَتَقْدَرُ
أَحْوَالُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْتَخْدَمَةِ، وَأَرَعَ حُقُوقَ مَنْ لَهُ بِهَا خِدْمَةٌ مُتَقَدِّمَةً؛ وَأَجْمَلَ
الشُّنُورَ بِاسْمَةٍ بِحَفَظَتِهَا، وَلاَحِظَ الْأُمُورَ بِحَسَنِ تَدْيِيرِكَ الْمَالُوفِ فِي سِيَاسَتِهَا. وَأَسْتَوْصِ
خَيْرًا بِأَمْرَاتِكَ الْخَالَصِينَ مِنَ الشُّكُوكِ، السَّالِكِينَ فِي طَاعَتِكَ أَحْسَنَ السُّلُوكِ؛
وَضَاعِفَ لَهْمِ الْحُرْمَةِ، وَأَرَعَ لَهْمِ الدَّعْمَةِ؛ لَاسِيًا أَوَّلَى الصِّكْرِ الثَّقَابِ، وَالرَّأْيِ الصَّابِ؛
فَسَاوِرْهُمْ فِي مُهِمَّاتِ الْأُمُورِ، وَأَشْرَحْ بِإِحْسَانِكَ مِنْهُمْ الصُّدُورَ؛ وَأَرَعَ حُقُوقَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، الَّذِينَ سَلَكْتَ مَعَهُمْ مَطَايِئَ الْإِطَاعِ وَالْقِفَارِ، وَجَرَّوْا مَحَبَّتَهُمْ
مِنَ الْوَلَنِّ وَالْدَارِ؛ وَجَالَدُوا وَجَادَلُوا، وَأَوَّوْا فِي سَبِيلِكَ وَقَاتَلُوا، وَأَبْلَى كُلًّا مِنْهُمْ
مَارِجُوهَ، وَأَشْرَحْ صُدُورَهُمْ بِإِدْرَاكِ مَا أَمْلَوْهُ؛ وَجِيُوشَ الْإِسْلَامِ فَاغْرِسْ مَحَبَّتَكَ
فِي قُلُوبِهِمْ بِإِحْسَانِكَ، وَكَمَا سَبَقَتْهُمْ حِسَابَ فَحْبَبِ إِلَيْهِمْ بِجَزِيلِ أَمْنِيَّتِكَ؛ وَجِيُوشَ
الْبَحْرِ فَكُنْ لَهَا مُحِيطًا، وَبِحِيلَاتٍ مِثْلِهَا مُحِيطًا^(١)؛ فَإِنَّهَا تُوجِّهُ لِلْأَصْقَاعِ، سُلْبَانِيَّةَ
الْإِسْرَاعِ؛ تَقْصِفُ بِالرُّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَتَقْلَعُ بَقُلُوبِهَا آثَارَ الْمُخْلَصِينَ؛
فَوَاصِلَ تَجْهِيذِ السَّرَايَا لِرُكُوبِ تَجْهِدِ، وَالْفُورِصِ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي عَمِيقِ نَجْهِدِ. وَأَجْمَلَ
النَّظَرَ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَحَرِّمِ رُسُولِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؛ لِنَسْلُكِ عَيْنِ
الْأَمْنِ الْإِبَاطِحِ، وَتَهْتَزُّ عِيُونُ حُرْمِهِ بِالْمَنَافِعِ وَالْمَنَافِعِ؛ وَتَعْرِفُ بِعِرْفَانِكَ عَرَافَاتِ،
وَتُرْمِي بِخَاوِفِ الْخَيْفِ مِنْ أَيْدِي مَهَابَتِكَ بِالْجَمَرَاتِ؛ وَصِلْ جَبَارَتَهَا بِصَلَاحِكَ؛
لِتُسْمِرَ أَعْيُنُهُمْ بِالْإِعْدَاءِ لَكَ وَأَنْتَ فِي غَفْوَاتِكَ. وَالْقُدُّوسَ الشَّرِيفَ الَّذِي هُوَ أَحَدُ
الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُسَمَّى إِلَيْهَا الرِّجَالُ فِرْدَ تَهْدِيسِهِ، وَأَجْعَلْ رُبُوعَ عِبَادَاتِهِ بِالْصَّلَوَاتِ
مَأْنُوسَةً. وَإِقَامَةَ مَوْسَمِ الْحَجِّ كُلِّ سَنَةٍ فَانْتَ بَعْدَ حَرَكَةِ تَيَمُّورِ فَاتِحِ سَبِيلِهِ، وَكَلِمَى
تَحْلِيلِهِ حَلَّالِ تَوْقِيرِهِ وَتَحْيِيلِهِ.

(١) لعل محيطا الأول البحر والثانية من الإحاطة بمعنى العلم.

هذه الوصايا تَذَكُّرة لخطاير الشريف وحاشاك من النسيان ، وهذا عهد أمير المؤمنين ومبايعة أولى الحل والعقد قد تقاضيا إلى حقك على الزمان ، وعندك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ماضل من تمسك بهما ولأمان ، فاتبع أحكام الله يوسع الله لك في ملكك ، وأجعل هديك بهما إمام نبيك وأمرتك ؛ وأد ما قبلك الله من حقوق الإمامة والأمانة إلى خلقه أداء موفورا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

قلت : ولما كان هذا العهد قد آدَرَ حُجُوبَ العجائب فَأَعْجَبَ ، وَأَرْتَدَى بِرِءَاءِ الفرائب فَأَغْرَبَ ؛ وَسَقَى غَرْثَهُ ماءَ البلاغة فَأَنْجَبَ ، وَشَفَّ الْأَسْمَاعَ إِذْ أَسْمَعَ فَأَرْقَصَ عَلَى الْمِنَامِ وَأَطْرَبَ ؛ وَأَمْتَلَى صِهْوَةَ جِيَادِ الْيَأْنِ فَتَنَلَّ فِيهَا مِنْ كَيْتٍ إِلَى أَشَقَرٍ وَمِنْ أَحْوَى إِلَى أَشْهَبٍ - أَحْبَبْتُ أَنْ آتِيَ لَه بِطُرَّةٍ هِيَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ ذَيْلٌ ، وَنُفْبَةٌ مِنْ بَحْرِ وَقْطَرَةٌ مِنْ سَيْلٍ ؛ لِأَجْرَمَ جَعَلْتُهَا فِي الْوَضْعِ فِي الْكِتَابِ لَهُ لِاحِقَهُ ، وَإِنْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ تَكُونَ الطُّرَّةُ لِلْمَهْدِ سَابِقَهُ ؛ وَهُوَ :

هذا عهدٌ شريفٌ تَرْفُهُ أَقْلَامُ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ بَنَاجِبِ الْأَصِيلِ عَلَى صَفَاحَاتِ الْأَيَّامِ ، وَتُحْجِمُهُ كُفَّ التُّرْبِ بِنُقْطِ النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ وَإِنْ كَانَ لِأَعْهَدِ الْمُؤَمِّدِ بِالْإِنْجَامِ ، وَتَعَرَّفَ مَلُوكُ الْأَرْضِ أَنَّ صَاحِبَهُ شَيْخُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ فَتَقَدَّمَهُ فِي الرَّأْيِ وَتَحْلُلُهُ فِي الرِّبَةِ وَتَعَامُلُهُ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ؛ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ ، وَخَلِيفَتِهِ فِي أَرْضِهِ وَصَفِيِّهِ ، وَسُلَيْلِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَأَبْنِ عِمِّيهِ ؛ الْإِمَامِ الْفَلَائِي (إِلَى السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ الْمَلِكِ الْفَلَائِي إِلَى آخِرِ الْأَقْبَابِ) .



وهذه نسخة عهد على هذا المذهب ، كُتِبَ به عن أمير المؤمنين المستعين بالله
أبي الفضل العباس خليفة العصر، لذلك العادل شمس الدنيا والدين «مظفر شاه»
بالسلطنة بالملكة الهندية، في شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة يدمشق المحروسة؛ من
إنشاء الشيخ الإمام علامة العصر، جامع أشنات الآداب ومالك زمامه، تقي الدين
محمد بن حجة، الشاعر الحموي، ومفتي دار العدل بحماة المحروسة، مما كُتِبَ بخط
المولى تاج الدين عبد الرحمن بن التساج، أحد كتّاب الإنشاء الشريف بالأبواب
الشريفة، في قطع البندادى الكامل بخفيف الطومار، وكانت الطزرة المكتبة
في الوصل الأول خمسة أسطر بالقلم المذكور، وسطرين بخفيف المحقق، والطزرة
البيضاء خمسة أوصال، والياض بين كل سطرين ثلث ذراع، وبيت العلامة
الشريفة ضِعْفُ ذلك، والهامش رُجُح الورق على العادة . وصورة الطزرة :

عهد شريف عهد به عبد الله ووليّه سيدنا ومولانا الإمام الأعظم العباس أبو الفضل
المستعين بالله أمير المؤمنين، وأبن عم سيد المرسلين؛ أعزّاه به الدين، وأتمم ببقائه
الإسلام والمسلمين؛ إلى المقام الأشرف، المالى، السلطاني، العاجلي، الشمسي،
أبي المجاهد «مظفر شاه» أعزّ الله تعالى أنصاره . وقلّده السلطنة المعظمة بحضرة
«ذيل» وأعمالها ومضافاتها على عادة من تقمه في ذلك؛ ولاية عامة شاملة كاملة
جامعه، وازعة قاطعة ساطعه؛ شريفة منيفة : في سائر الممالك الهندية وأقاليمها،
وتنويرها وبلايها، وعساكرها وأكابرها وأصاغرها، ورعاياها ورعاتها، وحكّامها
وقضاها؛ وما آتوت عليه شرقا وغربا، بعدا وقربا على ما شرع فيه .

الصدر بعد البسملة الشريفة :

الحمد لله الذي وثق عهد النجاة للمستعين به ، وثبت أوتاده : ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه ؛ وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، وأفرغ على أعطاف الأرض حُلل الخلافة الشريفة ، وعلم أن خلفها الشريف زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . واختارها من بيت براءة استيلائه في أول بيت وُضِع للناس ، وسبقت إرادته . وله الحمد - أن تكون هذه النحلة من سقاية العباس .

فالحمد لله على أن جعل هذه السقاية عينا يشرب بها المقربون ، ومن علم شرفها تميز وتمسك بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والحمد لله الذي استخلف آله في الأرض وفصلهم ، فإن تحدث أحد في شرف بيت فانه سبحانه قد جعل البيت والحديث لهم ؛ فأكرم به بيتا من أقر ببوديته كان له بجد الله من النار عتقا ، وتمتع بنعم بركته التي لا تحجبها إلا الأتقى ؛ وهو البيت الذي بعث الله منه شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وصلى آله من الأنداس وأنزل في حقهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وصير علمهم الخليفة على وجنة النهر شامة ، وخصهم بالتقديم فالحمد لله والله أكبر لهذه الإمامة ؛ وإذا كان النسيب مقدما في المدح وهو في النظم واسطة المقود ، فهذا هو النسب الذي كأن عليه من شمس الضمى نورا ومن فلق الصباح عمود ؛ وهذا هو الركن الذي من استلمه واستند إليه قيل له : فُزْتُ بُلُو سَنَدُكَ ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمة العباس : ” ياعم ألا أبشرك ؟ ” قال : بلى يا رسول الله - قال : إن الله فتح الأمر بي

وَيَحْتَمُهُ بَوَالِدِكَ“. وهذا الحديث يُرشد إلى التمسك بطيب العهد العباسية تفضيلاً على المتسكك بها نيل الوفاء، وتعيين من استعان بالمستعين وعلم أن النبي عليه السلام قال لحده: ”أنت أبو الخلفاء“. وناهيك أنه صلى الله عليه وسلم قال لأُمّ فضل وهي شاذكة في الحل: ”انتهى بابي الخلفاء“ فكان عبد الله المنتظم به هذا الشغل فأحبيب بها شجرة زكا غرسها ونما، وتسامت بها الأرض وكيف لا؟ وأصلها ثابت وفرعها في السماء؛ فسلام على هذا الخلف الذي منه المستعين بالله والمتوكل عليه والواثق به والمعتصم والرشيد، ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد.

نحمده حمد من علم أن آل هذا البيت الشريف كسفينة نوح وتعلق بهم فنجوا، ونشكره شكر من مال إلى السخول تحت العلم العباسي وتتصل من الخواارج فوجد له من كل ضيق مخرجاً؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو أن تكون مقبولة عند الحاكم وقت الأدا، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي حرصنا على التمسك بالعهود وأرشدنا إلى طريق الهدى؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفوا بالعهود، وكانوا في نظام هذا الدين وجميعه فرأى المقود؛ صلاة يسقي عهد الرحمة - إن شاء الله - عهدها، ويتنظم في سلك القبول عقدتها؛ وسلم تسلياً.

أما بعد حمد الله الذي ألهنا الرشيد وجعل من الخلفاء الراشدين، وهذان بنيديه صلى الله عليه وسلم وخصنا من بيته الشريف بالأئمة المهديين؛ وأصطفوا من هذا الخلف خلافة الأرض، ومن مواضع القول التي قطعت أن طاعتنا فرض؛ فإن لعهدنا العباسي شرفاً لا يرذل في حلاله إلا من اتخذ مع الله عهداً وأناه بقلب سليم، فقد قال الله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ولا يتسكك بهذا العهد إلا من صحا إلى القيام

بواجب الطاعة وترك أهل الجمل في سكرهم يعمهون، وانتظم في سلك من أنزل الله في حقهم : (والمؤمنون يهديهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) .

فمن نهض إلى المشي في مناجاه مشى بعين البصيرة في الطريق القويم، وتلا له لسان الحال: (أقتن يمشي ميكاً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم) . وهو قبضة من آثار البيعة النبوية ، وشعار يتشرف به من مشى تحت أوائته العباسية ؛ وما أرسل هذا العهد النبوي إلى أحد من ملوك الأرض إلا عمه الشرف من جميع جهاته ، و (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وشدت أحواد متبته طرباً ، وأزهرت رونقا وأثمرت أدبا ؛ واستطالت بيد الخلافة لإقامة الحدد ، وكيف لا ويد الخلافة لا تطاولها يد ؛ وكان المقام الأشرف (إلى آخر الألقاب المذكورة في التعريف وأسمه المكتتب في الطزوة) هو الذي رغب في التمسك بهذا العهد الشريف ليزيل عن ملكه الإلتباس ، واستند إليه ليروي بسنده العالي عن ابن عباس ؛ فإنه الملك الذي ظفّره الله بأعداء هذا الدين وسمّاه مظفرا ، ولقبه بالشمسي وأختار له أن يقارن من الطلعة المستعينة قمرأ ؛ أبع زهر العسل من حضرة "دهلي" فغطر الآفاق ، وضاع نشره بالهند فعاد الشم إلى المزكوم بالعراق ؛ وصارت دمن مسمّيات^(١) عامرة بقيام الدين ، وأيده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ؛ ولم يترك للدق في بيت بيت ليله ، وأبطل مادّهره أهل دهلي بمحسن البقطة وقوة الصولة ؛ وأباد الكفرة من أهل ديو ولم يقبل لهم ديه ، وفاء إلى غير أمر الله فأبادهم بسيفه الهندي فلم تقم لهم فيه ؛ وقطر أكباد من نأواه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم ، ونادى متادى عدله

(١) تقدم في (ج ٥) من هذا المطبع أنها "حرمات" بالصاد المهملة ويقال أيضا بالسين المهملة بدل الصاد .

بالبلاد الهندية : لا ظلم اليوم، ودانت له تلك الممالك برا وبحرا، وسهلا وصرا؛ ما نظم الأعداء على البحر المديد بيتا إلا أبان زحافه وأدار عليه دوائره، فكم نظم تمثل الرعايا بالعدل ونثر رُعوس الطغاة بالسيف فلا عديم الإسلام ناظمه ونائره؛ سُلِّطَ الرُّجَّانُ في البر عن مناقبه الجميلة وعمَّ يقساءلون وقد صار لها عظيم النبا، وصرح راكب البحر بعد التسمية باسمه (وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فَظَلَّهُ فِي الْبَرِّ ظَلِيلٌ، وَعَدَّلُهُ فِي الْبَحْرِ بَسِيطٌ وَطَوِيلٌ .

(١)

هذا ولم يبق في تلك الممالك الهندية بقعة إلا ولم يصفر الله بسنابك الخليل فيها تمشاه، ولا نفس خارجة عن الطاعة إلا وماتت في رقعة الأرض بمظفر شاه؛ فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالي، المولوى، السيدى، الإمامى، الأعظمى، النبوى، المستعنى، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المستعنى بالله أبى الفضل العباس (ونسبه إلى الحاكم بأمر الله، والدعاء) بعد أن استخار الله تعالى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين كثيرا، واتخذ هاديا ونصيرا، وصلى على أبى عمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - أن يفوض إلى المقام الأشرف المشار إليه ولاية المهدي وكفالة السلطنة المعظمة، بحضرة دهل وأعمالها كما في الطرة كما هو المهود : ليهطل جود الرحمة على تلك القاع المباركة إن شاء الله ويحود : لما رآه من صلاح الأئمة ومصالح الخلق، استخلافا لتحلى بذكره الأفواه، وتستند إليه الرواه، وترتم به الحداة، وتستشيره كافة الأئمة، ويقطع به ويحفظه رب كل سيف وقلم، ويستمد عليه كل ذى علم وعلم، فلا زعيم جيش بها إلا وهذا التفويض يسعه ويشمله، ولا إقليم من أقاليمها إلا ومن به يُقبله ويقبله، ويمثل به ويمثله، ولا منبر يجوامعها إلا وخطبه يتلو برهان هذا التفويض ويرثله .

(١) له إلا وصنر الله أرقعة لم يصفر الخ . تأمل .

وأما الوصايا ففندة - إن شاء الله - تَهَبُ تَسَامَتْ قَبُولُهَا ، وتُتَرَبُّ عَنْ نَصَبٍ مفعولها ؛ وهو بمجد الله تعالى لوصايا هذا العهد المبارك نِمَ القابل ، ففى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ الإمامُ العادلُ " والوصية بالرعايا واجبة والعنل فيهم قد حرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، وقال : " يَوْمَ من إمام عادلٍ أَفْضَلُ من مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا أَحْوَجَ ما تكون الأرضُ إليه " . وقال ابن عَمَّانَ على رضى الله عنه « المُلْكُ والدِّينُ أخوانٌ لا غنى لأحدهما عن الآخر ، وتشرهما فى الرعية ضائع ، فالدينُ أُنْسُ والمُلْكُ حارس ، فما لم يكن له أُنْسٌ فهُدُوم ، وما لم يكن له حارسٌ فضايع » - فليأمرُ بالمعروف وينه عن المنكر علما أنه ليس يُسألُ غداً بين يدي الله عز وجل عن ذلك سوانا وسواه ، وينه نفسه عن الهوى فلا يحسن لعود قدّه أن يميل مع هواه - وليترك الثغور بعنله باسمه ، وقواعد المُلْكِ بفضله قائمه - وليجاهد في الله حقَّ جهاده ، وليلطّف بالرعايا ويعلم أن الله لطيفٌ بعباده - وليشرح لهم بالإحسان صدرا ، ويخبرهم إذا وقف على أحوالهم أحسنَ مخبرى ؛ وهو بمجد الله غير محتاج إلى التاكيد : لأنه لم يخل له من القيام فى مصالح المسلمين فكر ، ولكنه تجديد ذكر على ذكر ؛ والله تعالى يمتنع بطول بقائه البلاد والعباد ، ولا يرحت سيوفه الهندية تكلم أعداء هذا الدين بالسنة حداد ؛ وثبت ملكه بالعنل وشيد أقواله وأفعاله ، وختم بالصالحات أعماله ؛ والاعتماد على الخط الإمامي المستعنى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : ولم يمهّد أنه كتبت عن الخلفاء العباسيين القائمين بالديار المصرية عهد ملك من غير ملوك الديار المصرية سوى هذا العهد .

المذهب الرابع

(١) [أن يفتح العهد بقوله أما بعد] « فالحمد لله » أو « أما بعد
فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كنا » ونحو ذلك)

ويأتى بما يناسب من براعة الإستهلال وحال المتولى والمولى وما يحرى بحرى
ذلك مما يستحق للكتاب ذكره مما يناسب الحال ، ويأتى من الوصايا بما يناسب
المقام : إما بلفظ الثنية أو بلفظ الخطاب كما في غيره من المذاهب السابقة ، وهى
طريقة اقترحها الوزير ضياء الدين بن الأثير فى " المثل السائر " أنشا عليها عهدا
فى معارضة المكتوب للسلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » من ديوان الخلافة
ببغداد الآتى ذكره فى المذهب الخامس ، وهذه نسخته :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ، ولكل
أمر مهادا ، ويستريده من نعمة التى جعلت التقوى له زادا ، وحملة عبء الخلافة
فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهدا ، وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له
محرابا ولا عرست عليه جيادا ، وحقت فيه قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
نَجْمِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ . ثم يصلى على من أنزلت
الملائكة لتصره إمدادا ، وأمرى به إلى السماء حتى ارتقوا سبعا شديدا ، وتجل له ربه
فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب فؤادا ، ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت
أوراقا وأعوادا ، وورث الثور المين تلامدا ، ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية
وإرشادا ، وخصوصا عمه العباس المدعو له بأن يحفظ نفسه وأولادا ، وأن تنهى كلمة
الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تمحى قنادا .

(١) يبايع بالأمل ، والتصحيح مما يقتضيه المقام .

وَإِذَا اسْتَوْفَى الْقَلَمَ مِدَادَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَمَلَةِ ، وَأَسْنَدَ الْقَوْلَ فِيهَا عَنْ فَصَاحَتِهِ الْمُرْسَلَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ فِي إِنْشَاءِ هَذَا التَّقْلِيدِ الَّذِي جَعَلَهُ حَلِيقًا لِقِرْطَاسِهِ ، وَأَسْتَدَامَ مُجُودَهُ عَلَى صَفْحَتِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ يَرِيقُ مِنْ رَأْيِهِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِظْهَارِهِ فِي وَصْفِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي كَثُرَتْ لِحُسْنِهَا مَقَامَ الْإِكْثَارِ ، وَأَشْتَبَهَ التَّطْوِيلُ فِيهَا بِالْإِخْتِصَارِ ؛ وَهِيَ الَّتِي لَا يَفْتَقِرُ وَاصِفُهَا إِلَى الْقَوْلِ الْمُعَادِ ، وَلَا يَسْتَوِعِرُ سُلُوكُ أَطْوَادِهَا وَمِنْ الْعَجَبِ وَجُودُ السَّمَلِ فِي سُلُوكِ الْأَطْوَادِ ؛ وَتِلْكَ مَنَاقِبُ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِرِ الْأَجَلِّ ، السَّيِّدِ ، الْكَبِيرِ ، الْعَالِمِ ، الْعَادِلِّ ، الْمَجَاهِدِ ، الْمُرَاطِطِ ، صَلَاحِ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، وَالدَّيُّوَانُ الْعَزِيزُ يَتْلُوهَا عَلَيْكَ تَحَدُّثًا بِشُكْرِكَ ، وَيَبَاهِي بِكَ أَوْلِيَائِهِ تَوْبِيهَا بِذِكْرِكَ ؛ وَيَقُولُ : أَنْتَ الَّذِي تُسَكِّنُنِي فَتَكُونُ لِلدَّوْلَةِ سَهْمَهَا الصَّابِ ، وَشِبَاهَهَا الشَّاقِبَ ؛ وَكَتَبْتُهَا الَّذِي تَنْهَبُ الْكَنُوزَ وَلَيْسَ بِذَاهِبٍ ، وَمَا ضَرَّهَا وَقَدْ حَضَرَتْ فِي نُصْرَتِهَا إِذَا كَانَ غَيْرُكَ هُوَ الْغَائِبَ ؛ فَأَشْكُرُ إِذَا مَسَاعَيْكَ الَّتِي أَهْلَنْتَ لَهَا أَهْلَكَ ، وَفَضَّلْتَكَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمَا فَضَّلْتَكَ ؛ وَلَيْتَنِي شُورَكَتَ فِي الْوَلَاءِ بِعَقِيدَةِ الْإِحْشَارِ ، فَلَمْ تُشَارِكْ فِي عَزَمِكَ الَّذِي أَتَنَصَّرُ لِلدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُ بَسْطَةُ الْإِخْصَارِ ؛ وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ أَمَدَ بَقْلَهُ وَمَنْ أَمَدَ يَدَهُ فِي دَرَجَاتِ الْإِمْدَادِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْقَاعِدِينَ كَالَّذِينَ قَالُوا "لَوْ أَمَرْتَنَا لَفَرَرْنَا أَوْ كَانَتْهَا إِلَى يَرْكِ النَّهَادِ" . وَقَدْ كَفَّكَ مِنَ الْمَسَاعِي أَنْكَ كَفَيْتَ الْخِلَافَةَ أَمْرَ مَنَازِعِيهَا ، فَطَمَسْتَ عَلَى الدَّعْوَةِ الْكَذَابِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَدْعِيهَا ؛ وَلَقَدْ مَضَى عَلَيْهَا زَمَنٌ وَمَحْرَابٌ حَقًّا مَحْفُوفٌ مِنَ الْبَاطِلِ نِجْرَاتَيْنِ ، وَرَأَتْ مَارَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّوَارِينِ الَّذِينَ أَوَّلَمَّا كَذَّابِينَ ؛ فَبِمَضَرِّهِمَا وَاحِدٌ تَاهَ بِجَحْرِ أَنْهَارِهَا مِنْ تَحْتِهِ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ طَاغُوتِهِ وَجَبَتْهُ ، وَلَعِبَ بِالَّذِينَ حَتَّى لَمْ يَذَرِ يَوْمَ جُمُعَتِهِ مِنْ [يَوْمِ أَحَدِهِ وَلَا] ^(١) يَوْمِ سَبْتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ رَمَى اللَّهُ بِصَائِرِهِمْ

بالمعنى والصَّمْ، وأَغْنَوْهُ صَمًا ^(١١) [بينهم] ولم تكن الضلالةُ هناك إلا بسجُل أو صَمٍّ ؛
فَقَمْتُ أَنْتَ فِي وَجْهِه بَاطِلُهُ حَتَّى قَمَدٌ ، وَجَعَلَتْ فِي جِيدِهِ حَبْلًا مِنْ مَسَدٍ ، وَقَلَّتْ
لَبِيدُهُ : تَبَّتْ فَاصَّبَحَ [وهو] لَا يَسْمَعُ ^(١٢) [بِقَدَمٍ] وَلَا يَبْطِشُ بِيَدٍ ؛ وَكَذَلِكَ فَعَلَتْ
بِالْآخِرِ الَّذِي تَحَمَّتْ بِالْيَمَنِ نَاجِيَتُهُ ، وَصَامَتْ فِيهِ سَائِمَتُهُ ؛ فَوَضَعَ بَيْنَهُ مَوْضِعَ الْكَهْبَةِ
الْيَمَانِيَّةِ ، وَقَالَ : هَذَا ذُو الْخَلَصَةِ الثَّانِيَةِ ؛ فَأَيُّ مَقَامِكَ يَعْتَرِفُ الْإِسْلَامُ بِسَبْقِهِ ،
أَمْ أَهْمَا يُقَوْمُ بِإِدَاءِ حَقِّهِ ؛ وَهَاهُنَا فَلْيُصْبِحِ الْقَلَمُ لِلْسَيْفِ مِنَ الْحُسَادِ ، وَلْتَقْصُرْ مَكَانَتُهُ
عَنْ مَكَانَتِهِ وَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ ؛ وَلَمْ يَحْظَ بِهَذِهِ الْمَزِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْبَحَ لَكَ صَاحِبًا ،
وَتَغْرَبُكَ حَتَّى طَالَ نَفَرًا كَمَا عَزَّ جَانِبًا ، وَقَضَى بُولَانِكَ فَكَانَ بِهَا قَاضِيًا لَمَّا كَانَ
حُدَّهُ قَاضِيًا .

وقد قلَّدك أمير المؤمنين البلادَ المصريَّةَ واليمنيةَّ غَوْرًا وَتَجِدًا ، وَمَا أَشْمَلَتْ عَلَيْهِ
رَعِيَّةٌ وَجُنْدًا ؛ وَمَا أَتَتْهُ إِلَيْهِ أَطْرَافُهَا بَرًّا وَبَحْرًا ، وَمَا يُسْتَقْدُّ مِنْ مُجَاوِرِيهَا مَسَالِمَةٌ
وَقَهْرًا ؛ وَأَضَافَ إِلَيْهَا بِلَادَ الشَّامِ وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْمُدُنِ الْمُدَنَةِ ، وَالْمَرَائِكِرِ الْمُحَصَّنَةِ ؛
مُسْتَنْتَبًا مِنْهَا مَا [هو] بِيَدِ نُورِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهُوَ
حَلَبٌ وَأَعْمَالُهَا ، فَقَدْ مَضَى أَبُوهُ عَلَى آثَارِ فِي الْإِسْلَامِ تَرَفُّعَ ذِكْرِهِ فِي الذَّاكِرِينَ ،
وَتَحْلُقُهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ ؛ وَوَلَدَهُ هَذَا قَدْ هَدَّبَتْهُ الْفِطْرَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ،
وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرُّبُوبَةُ إِلَّا مِنْ ذَلِكَ الْجَلِيلِ .

فَلْيَكُنْ لَهُ مِنْكَ جَارٌ يَدُونُ مِنْهُ وَدَادًا كَمَا دَنَا أَرْضًا ، وَيُصْبِحُ وَهُوَ [له] كَالْبُتْيَانِ
يَسُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ؛ وَالَّذِي قَدَمْتَهُ مِنَ الثَّناء عَلَيْكَ رُبَّمَا تَجَاوَزَكَ دَرَجَةَ الْاِقْتِصَادِ ،
وَأَلْفَقْتَكَ عَنْ فَضِيلَةِ الْاِزْدِيَادِ ؛ فَإِنَّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى سَفِيكَ نَظَرَ الْإِعْجَابِ ، وَتَهْوَلَ :
هَذِهِ بِلَادٌ أَنَا أَفْتَحْتُهَا بَعْدَ أَنْ أَضْرَبَ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَضْرَابِ ؛ وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ

الأرض لله ولرسوله ثم خليفته من بعده ، ولا مئة للعبد بإسلامه بل المنة لله بهداية عبده ؛ ولكم سلف قبلك ممن لورام ماؤمته لذنأ شاسعه ، وأجاب مانعه ؛ لكن ذخره الله لك لتحظى في الآخرة بمغازه ، وفي الدنيا برقم طرازه ؛ فالتى بيدك عند هذا القول إلقاء التسليم ، وقل : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وقد قرن تقليدك هذا بنقله تكون لك في الاسم شعارا ، وفي الرسم فخارا ، وتناسب محل قلبك وبصرك وغير ملابس الأولياء ماناسب قلوبا وأبصارا ، ومن جعلها طوقا يوضع عنقك موضع العهد والميثاق ، ويشير إليك بأن الإنعام قد أطاف بك إطافة الأطواق بالاعناق ؛ ثم إنك قد حوطبت بالملك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالإنفراح ، ولأملك بالإنفراح ، وتؤمر معه بمد يدك إلى العلىء لا بضمها إلى الجناح ، وهذه الثلاثة المشار إليها التى تكمل بها أقسام السيادة ، وهى التى لا مزيد عليها في الإحسان يقال : إنها الحسنى وزيادة ؛ فإذا صارت إليك فانصب لها يوما يكون في الأيام كريم الأنساب ، وأجمله لها عيدا وقل : هذا عيد التقليد والخلعة والخطاب ؛ هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناه عن الحضور ، وتضمن أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والفضة من شيم الغيور ؛ وهذه المكانة قد عزقت نفسها وما كنت تعرفها ، وما نقول إلا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها ، فأحرسها عليك حراسة تقضى بتقديمها ، وأعمل لها فإن الأعمال بحجراتيها ؛ وأعلم أنك قد تقلدت أمرا يفتن به تقي الخلو ، ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملو ، وكثيرا ما ترى حسنة يوم القيامة وهى مقسمة بأذى الخصوم ، ولا ينجو من ذلك إلا من أخذ أهبة الحذار ، وأشفق من شهادة الأتباع والأبصار ؛ وعلم أن الولاية ميزان إحدى ركعتيه في الجنة والأخرى في النار . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يَا أَبَا ذَرٍّ إِنْ أَحِبَّ لَكَ مَا أَحَبَّ لِنَفْسِي لَأَمُرَّنَّ عَلَى أَثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيْنِ مَالٍ يَتِيمَ " .

فاظفر إلى هذا القول النبوى نَظَر من لم يُخَدِّع بحديث الحِرص والآمال، ومثَّل الدنيا وقد صيقت [إليك] بخذافيها أليس مصيرها إلى زوال؟ . والسعيد من إذا جاءته قضى بها أرب الأرواح لأرب الحُسوم، وأتخذ منها وهى السُّم دواء وقد تُخَذ الأدوية من السُّموم؛ وما الإِغْتِبَاطُ بما يَخْتَلِفُ على تَلَاثِيهِ الْمَسَاءَ وَالصَّبَاحَ؟ وهو (كجاء أنزلناه من السماء فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ) والله تعالى يَعِصُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَاةَ أَمْرِهِ مِنْ تَعَمَّاتِهَا الَّتِي لَا يَنْسِفُهَا وَلَا يَسْوُهَا، وأحصاها الله عليهم ونُسُوها؛ ولك أنت من هذا الداء حَظٌّ على قدر مَحَلِّكَ مِنَ الْعَنَاءِ الَّتِي جَذَبَتْ بِضَبْعِكَ [ومَحَلِّكَ مِنَ الْوَلَايَةِ الَّتِي بَسَطْتَ مِنْ دِرْعِكَ] .

نَحْذُ هذا الأَمْرَ الَّذِي تَقَلَّدْتَهُ أَخَذَ مِنْ لَمْ يَتَعَقَّبَهُ بِالنِّسْيَانِ . وَكُنْ فِي رِعَايَتِهِ مِمَّنْ إِذَا نَامَتْ عَيْنَاهُ كَانَ قَلْبُهُ يَقْظَانِ .

وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي إِسْبَاغِ الْعَدْلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ ثَالِثَ الْحَدِيثِ وَالْكَلْبِ ، وَأَغْنَى بَنَوَابِهِ وَحَدَّ عَنْ أَعْمَالِ الثَّوَابِ ، وَقَدَّرَ يَوْمَئِذٍ بِمَبَادِئِ سِتِّينَ عَامًا فِي الْحِسَابِ ؛ وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرٌ إِلَّا زَيْدَ قُوَّةٍ فِي أَمْرِهِ ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ وَمِنْ دَعْوِهِ ؛ ثُمَّ يَمُجُّ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي يَدَيْهِ كِتَابًا أَمَانًا ، وَيَجْلِسُ عَلَى مَنبَرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ؛ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ مَرَّكَهَ صَعْبٌ لَا يَسْتَوِي عَلَى ظَهْرِهِ إِلَّا مَنْ أَمْسَكَ عَنَانَ نَفْسِهِ قَبْلَ إِسْكَافِ عَنَانِهِ ، وَغَلَبَتْ لَمَّةُ مَلَكِهِ عَلَى لَمَّةِ شَيْطَانِهِ ، وَمَنْ أَوْكَدَ فُرُوضِهِ أَنْ يَجِيَّ السُّنَنَ السَّيِّئَةَ الَّتِي طَالَتْ مُدَّةَ أَيَّامِهَا ، وَيَنْسِ الرِّعَايَا مِنْ رَفْعِ ظَلَامَاتِهَا فَلَمْ يَجْعَلُوا أَمْدًا لِلْأَحْصَارِ ظَلَامِهَا ؛ وَتِلْكَ هِيَ الْمَكُوسُ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا الْهَيْمَةُ الْحَقِيرَةُ ، وَلَا غِنَى لِلْأَيْدِي الْغَنِيَّةِ إِذَا كَانَتْ ذَاتِ [ت] نَفْسٍ قَئِيرَةٍ ؛ وَكُلَّمَا زِيدَتِ الْأَمْوَالُ الْحَاصِلَةُ مِنْهَا قَدْرًا زَادَهَا اللَّهُ عُقُوبًا ،

وقد استمرت عليها الموائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقاً ؛ ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرماً لما أغلظ في عقابه ، ومثلت توبة المرأة الغامدية بمآبه ؛ وهل أشقى ممن يكون السواد الأعظم له خصماً ، ويصبح وهو مطالبٌ منهم بما يعلم وبما لم يحيط به علماً . وأنت مأمورٌ بأن تأتي هذه الظلمات فتضي على إبطالها ، وتليق أسماعها في الحق بأفعالها ؛ حتى لا يبقى لها في العيان صور منظورة ، ولا في الالسنه أحاديثٌ مذكورة ؛ فإذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضي سنةً سوء سنتها يدها ، وعن الآتي متابعة ظلم وجده طريقاً مسلوكةً بغيري على مداه .

فبادر إلى ما أمرت به بمبادرة من لم يصدق به ذراعاً ، ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه فراها في الآخرة متاعاً ؛ وأجد الله على أن قبض لك إمامٌ هدى يقف بك على هُداك ، ويأخذ بحجزتك عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عداك ؛ وهذه البلاد المنوطة بنظرك تشتمل على أطراف متابعده ، وتضيق في سياستها إلى أيدي مُساعده ؛ وبهذا تكثر فيها قضاة الأحكام ، وأولو تديرات السيوف والأقلام ؛ وكل من هؤلاء ينبغي أن يفتن على نار الاختبار ، ويسلط عليه شاهداً عدل من أمانة الدرهم والدينار ؛ فما أضل الناس شيئاً كُتب المال الذي فورقت من أجله الأديان ، ومُحرث بسببه الأولاد والإخوان ، وكثيراً ما يرى الرجل الصائم القائم وهو عبدٌ له عبادة الأوثان ؛ فإذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمرك فاضرب عليه بالأرصاد ، ولا ترض بما عرقته من مبدأ حاله فإن الأحوال تتنقل تنقل الأجساد ، وإياك أن تمحذ بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالربيع ابن زياد ؛ وكذلك قاهر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم أن يأمرُوا بالمعروفِ مؤظنين ، وينهوا عن المنكر محاسنين ، ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم

الغالبين ، وليدعوا أولا بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها ، وأمروها بما يأمرون به من سواها ؛ ولا يكونوا ممن هدئ إلى طريق البر وهو عنه حائد ، وأنصب لطب المرضي وهو محتاج إلى طيب وعائد ؛ فما تنزل بركات السماء إلا على من خاف مقام ربه ، وأزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه ؛ فإذا صلحت الولاء صلحت الرعية بصلاحهم ، وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم إلا بمصابيحهم .

ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخوانا في الإصطحاب ، وأعوأنا في توزع الحمل الذي يتقل على الرقاب ؛ فالسلم أخو المسلم وإن كان عليه أمير ، وأولى الناس باستعمال الرق من كان فضل الله عليه كبيرا ، وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة اللقيف ، ويتولاها بالوطء العنيف ؛ وليكنها لمن يمال على جوانبه ، ويؤكل من أطايبه ؛ ولن إذا غضب لم ير للغضب عنده أثر ، وإذا ألحف في سؤاله لم يلحق الإلحاف بخلق الصجر ؛ وإذا حضر الخصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر ؛ فذلك الذي يكون لصاحبه في أصحاب الجيوش ، والذي يدعى بالحفيظ العليم والقيوى الأمين ؛ ومن سعادة المرء أن يكون ولأته متادين بأدابه ، وجارين على نهج صوابه ، وإذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانت حسنة مثبتة في كتابه .

وبعد هذه الوصية فإن هاهنا حسنة هي للحسان كالآم الولود ، ولطالك أغنت عن صاحبها إغناء الجنود ، وتيقظت نصرة المؤمن وقود ؛ وهي التي تسبغ لها الآلاء ، ولا يخطأها البلاء ؛ ولأمير المؤمنين بها عناية تبعها الرحمة الموضوعة في قلبه ، والرغبة في المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه ؛ وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمنزلة إفضائها ، وجعلها سببا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها . وهو يأمرك

أَنْ تَتَفَقَّدَ أحوَالَ الفقراء الذين قُدِرَتْ عليهم مَادَّةُ الأرزاقِ ، والبسهم التحقُّفُ ثوبَ الغنى وهم في ضيقٍ من الإملاق ؛ فأولئك أولياءُ الله الذين مَسَّتْهُمُ الضَّرَاءُ فَمَصَبَرُوا ، وكَثُرَتْ الدنيا في يَدِ غَيْرِهِمْ فَا نَظَرُوا إِلَيْهَا إِذْ نَظَرُوا ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ مِرْقَا ، وَيَضْرِبَ بَيْنَهُمْ وَيْنَ الْفَقْرِ مَوْقَا .

وما أَطْلَقْنَا لك القَوْلَ في هذه الوصية إلا إعلاما بأنْهَا مِنَ الْمُهِمِّ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ وَلَا يُسْتَدْرَ ، وَيَسْتَكْتَرُ مِنْهُ وَلَا يَسْتَكْتَرُ ؛ وَهَذَا يُعَدُّ مِنْ جِهَادِ النَّفْسِ فِي بَذْلِ الْمَالِ ، وَيَتْلُوهُ جِهَادُ السُّدُوِّ الْكَافِرِ فِي مَوَاقِفِ الْقِتَالِ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَمُزُّكَ مِنْ ثَوَابِهِ مَا تَجْعَلُ السِّيفَ فِي مِلَازِمَتِهِ آخَا ، وَتَسْخُو لَهُ بِنَفْسِكَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ سَخَا ؛ وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ الْعَمَلُ الْمَحْبُوبُ بِفَضْلِ الْكَرَامَةِ ، الَّذِي يَنْتَبِئُ أَجْرُهُ بَعْدَ صَاحِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَبِهِ تُنْتَحَنُ طَاعَةُ الْخَالِقِ عَلَى الْخَلُوقِ ، وَكُلُّ الْأَعْمَالِ عَاطِلَةٌ لِاخْتِلَاقِهَا وَهُوَ مَخْتَصٌ دُونَهَا بِزِينَةِ الْخَلُوقِ ؛ وَلَوْلَا فَضْلُهُ لَمَا كَانَ مَحْسُوبًا بِشَطْرِ الْإِيمَانِ ، وَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْجَنَّةَ لَهُ ثَمْنَا وَلَيْسَتْ لغيرِهِ مِنَ الْأَعْمَانِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْعَدُوَّ هُوَ جَارُكَ الْأَدْنَى ، وَالَّذِي يُلْفِكُ وَتَبْلَغُهُ عَيْنَا وَأُذُنَا ؛ وَلَا يَكُونُ لِلْإِسْلَامِ نِعَمٌ إِلَّا جَارُكَ تَكُونُ لَهُ يَأْسُ الْجَارِ ، وَلَا عُدُوْلَكَ فِي تَرْكِ جِهَادِهِ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ إِذَا قَامَتْ لغيرِكَ الْأَعْزَارُ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرْضَى مِنْكَ أَنْ تَلْقَاهُ مُكَالِفًا ، أَوْ تَطْرُقَ أَرْضَهُ مَمْسِيًا أَوْ مُصَابِعًا ؛ بَلْ يُرِيدُ أَنْ تَقْصِدَ الْبِلَادَ الَّتِي فِي يَدِهِ قَصْدَ الْمُسْتَقْبَدِ لَا قَصْدَ الْمُغِيرِ ، وَأَنْ تَحْكُمَ فِيهَا بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي قَضَاهُ عَلَى لِسَانِ سَعِيدٍ فِي نَبِيِّ قَرِيظَةَ وَالنَّضِيرِ ؛ وَعَلَى الْخُصُوصِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسُ فَإِنَّهُ تِلَادَةُ الْإِسْلَامِ الْقَدِيمِ ، وَأَحْوَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي شَرَفِ التَّعْظِيمِ ، وَالَّذِي تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ مِنْ قَبْلِ بِاسْتِجْوَادِ وَالسَّلَامِ ؛ وَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ يَشْكُو طَوْلَ الْمَدَّةِ فِي أَسْرَرَقَتِهِ ، وَأَصْبَحَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَهِيَ تَشْكُو طَوْلَ الْوَحْشَةِ فِي غَرَبَتِهَا عَنْهُ

وغربته ؛ فانهض إليه نهضةً توغل في قرحه ، وتبدل صعب قياده بسمعه ، وإن كان له عامٌ حذينةً فأتبعه بعام قحه ؛ وهذه الإسترادة إنما تكون بعد سداد مافي اليد من تغير كان مهملًا لحميمت موارده ، أو مستهدما قرفت قواعده ؛ ومن أهمها ما كان حاضراً البحر فإنه عورة مكشوفة ، وخطة مخوفة ؛ والعدو قريب منه على بعده ، وكثيرا ما يأتيه بغاة حتى يسبق برقه برعه ؛ فيبغى أن ترتب هذه الثغور رابطة تكثر شجعانها ، وتقل أقرانها ، ويكون قتالها لأن تكون كلمة الله هي العليا لا لأن يرى مكانها ؛ وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال أسوار ، ويعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الأحجار ؛ ومع هذا لا بد من اصطول يكثر عنده ، ويقوى مدده ؛ فإنه العدة التي تستعين بها في كشف الغم ، والاستكثار من سبأيا العبيد والإماء ، وجيشه أخو الجيش السلياني ؛ فذلك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء ؛ ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار ، وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الأعمار ؛ وإذا أشرعت قبل جبال متقطعة بقطع من القيوم ، وإذا نظرت إلى أشكالها قيل : إنها أهلة غير أنها تهدي في مسيرها بالنجوم ؛ ومثل هذه الخيل ينبغي أن يُعالي في جيادها ، ويستكثر من قيادها ؛ وليؤمر عليها أمير يلقى البحر بمثله من سعة صدره ، ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجملها ولكن قتلها بجبره ؛ وكذلك فيكن من أفنت الأيام تجاربه ، وزحمتها مناجيه ، ومن يدل الصعب إذا هو ساسه وإن سيمس لأن جانبه ؛ وهذا هو الرجل الذي يرأس على القوم فلا يجد هزّة بالرياسة ؛ وإن كان في الساقة في الساقة أو في الحراسة في الحراسة ؛ ولقد أظفحت عصابه أعصبت من ورائه ، [وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رأته ^(١)] .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أُخْلِلَ مِنَ الْجِهَادِ بَرَكُنٌ يَفْدَحُ فِي عَمَلِهِ ، وَهُوَ تَامُهُ الَّذِي يَأْتِي فِي آخِرِهِ
كَأَنَّ صِدْقَ النَّبِيِّ يَأْتِي فِي أَوَّلِهِ ؛ وَفَكَ هُوَ قَسَمُ الْفَنَائِمِ فَإِنَّ الْأَيْدِيَ قَدْ تَدَاوَلَتْهُ
بِالْإِجْمَافِ ، وَخَلَطَتْ جِهَادَهَا فِيهِ بِنُكُلِهَا فَلَمْ تَرِجِعْ بِالْكَفَافِ ؛ وَاللهُ قَدْ جَعَلَ الظُّلْمَ
فِي تَعْدَى حُدُودِهِ الْمَحْدُودَةِ ، وَجَعَلَ الْأَسْتِثْنَاءَ بِالْمَقْتَمِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمَوْعُودَةِ ؛
[وَمِنْ نَمُودٍ بِهِ ^(١) أَنْ يَكُونَ زَمَانُنَا هَذَا شَرَّ زَمَانٍ وَنَاسُهُ شَرَّ نَاسٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْلِفْنَا عَلَى
حِفْظِ أَرْكَانِ دِينِهِ ثُمَّ نُهْمِلَهُ إِهْمَالًا مُضَيِّعًا وَلَا [إِهْمَالًا] نَاسٍ ؛ وَالَّذِي نَأْمُرُكَ بِهِ أَنْ
تُجْرِيَ ^(١) هَذَا] الْأَمْرَ عَلَى الْمَنْصُوصِ مِنْ حَكَمِهِ ، وَتُبْرِيئُ ذِمَّتِكَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرَكَ الْفَائِزَ
بِفَوَائِدِهِ وَأَنْتَ الْمُطَالِبُ بِأَيْمِهِ ؛ وَفِي أَرْزَاقِ الْمُجَاهِدِينَ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ مَا يُغْنِيهِمْ
عَنْ هَذِهِ الْأَكْلَةِ الَّتِي تَكُونُ غَدًا أَنْكَلًا وَجَحِيًّا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا .

فَصَفِّحْ مَاسْطَرْنَاهُ لَكَ فِي هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي هِيَ عِزَائِمُ مُبَرِّمَاتٍ ، بَلْ آيَاتُ
مَحْكَمَاتٍ ؛ وَتَحَيَّبْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَقْتِفَاءِ كَلِمَاتِهِ ، وَأَيِّنْ لَكَ مِنْهَا مَجْدًا
يَبْقَى فِي عَقَبِكَ إِذَا أُصِيبَتِ الْبُيُوتُ فِي أَعْقَابِهَا ؛ وَهَذَا التَّقْلِيدُ يَنْطَلِقُ عَلَيْكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَأَلْ
فِي الْوَصَايَا الَّتِي أَوْصَاها ، وَأَنَّهُ لَمْ يُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاها ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ حَتَمَ
بِدَعَاوَاتِ دَعَا بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ خَتَمِهِ ، وَسَالَ فِيهَا خَيْرَةَ اللَّهِ الَّتِي تَسْتَرْكُ مِنْ كُلِّ
أَمْرٍ بِمَنْزِلَةِ نِظَامِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى مَنْ قَلَدْتُهُ شَهَادَةً تَكُونُ عَلَيْهِ
رَقِيبَةً ، وَلَهُ حَسْبِيهِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَمُرْهُ إِلَّا بِأَوَامِرِ الْحَقِّ الَّتِي فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ؛ وَهِيَ
لَمَنْ أَتَبَّعَهَا هَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى ؛ فَلِذَا أَخَذَ بِهَا فَلَجَّ مُجْتَنِّهِ يَوْمَ يُسْأَلُ عَنْ الْمَجْجِ ،
وَلَمْ يُجْتَنِّجْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ عَنِ الْحَوْضِ فِي حِمْلَةٍ مِنْ مُجْتَنِّجٍ ، وَقِيلَ لَهُ : لَا حَرَجَ عَلَيْكَ
وَلَا إِيَّاهُمْ إِذْ نَجَّوْتَ مِنْ وَرَطَاتِ الْإِيْثِمِ وَالْحَرَجِ ، وَالسَّلَامُ .

(١) الزيادة من كتاب "المثل السائر" ص ١٤٧ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

المذهب الخامس

(أن يفتح العهد بـ «إِنِّ أُولَى مَا كَانَ كَذَا» ونحوه)

وهى طريقة غريبة، كُتِبَ عليها عهدُ السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب»
بالديار المصرية من ديوان الإنشاء ببغداد . وهو الذى عارضه الوزيرُ ضياءُ الدين بن
الأثير في العهد المتقدم ذكره في المذهب [الرابع] . وهذه نسخته :

إِنَّ أُولَى مَنْ جَادَتْ رِبَاعَهُ مُحِبُّ الْإِصْطِنَاعِ ، وَخُصَّ مِنَ الْإِصْطِفَاءِ وَالْإِجْتِبَاءِ
بِالصَّقَايَا وَالْمِرْبَاعِ ؛ مَنْ تَرَسَّمَ أَتَهَاجَ الْجَدِّ الْقَوِيمِ ، وَالطَّرِيقِ الْوَاضِعِ الْمُسْتَقِيمِ ؛ وَاعْتَلَقَ
مِنَ الْوَلَاءِ بِأَوْثَقِ عَصَمِهِ وَجِبَالِهِ ، وَالْفَنَاءِ الَّذِى يَتَنَدَّى بِأَنْوَارِهِ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ؛
وَالْتَحَلَّى بِجَمِيلِ الذِّكْرِ فِي سِيرَتِهِ ، وَخَلَّوَصَ الْإِعْتِنَاءَ بِأُمُورِ رِجَّتِهِ ؛ وَكَانَ رَاجِعًا فِي أَقْتِنَاءِ
حَبِيدِ الْخِلَالِ ، مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْعَدْلِ الْمُنْتَدِ الْظَّلَالِ ؛ عَامِلًا
فِيمَا يُنَاطُ بِهِ بِمَا يَنْضَوُّعُ تَشْرِعِهِ ، وَيُخْتَنَى بِحُسْنِ صُنْعِهِ يَانِعُ ثَمَرُهُ ؛ بِإِذْلَالِ وَسْعِهِ
فِي الصَّلَاحِ ، مُؤَذِّنُهُ مَسَاجِيهِ بِقُوْرِ الْقِدَاحِ .

ولما كان الملكُ الأجلُّ ، السيدُ صلاح الدين ، ناصراً للإسلام ، عماد الدولة ،
جَمَّالُ الْمُلْكِ ، تَخَفُّرُ الْمَلَّةِ ، صَفَى الْخِلَافَةَ ؛ تَأَجَّجَ الْمُلُوكُ وَالسُّلَاطِينُ ، قَامَعَ الْكَفَرَةَ
وَالْمُشْرِكِينَ ، قَاهَرَ الْأَقْوَارِجَ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، عَزَّ الْمَجَاهِدِينَ ؛ أَلْبَ غَازِي بَكْ أَيْنَ يُوسُفَ
أَبْنِ أَيُوبَ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - عَلَى هَذِهِ السَّجَايَا مُقْبِلًا ، وَبِصِفَاتِهَا الْكَامِلَةَ مُشْتَمِلًا ؛
مُؤَثِّرًا تَضَاعَفَ الْمَائِزَاتِ ، مُتَابِرًا عَلَى مَا تَرَكُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ؛ مَتَّعِيًا بِالْحَمْدِ
الرَّاقِمَةِ ، مُسْتَقِيمًا بِالْمُنَاقِبِ الَّتِى هِيَ لِجَمِيلِ أَعْمَالِهِ مَوَاقِفَةٌ مُطَابِقَةٌ ؛ مُحَصِّلًا مِنْ رِضَا اللَّهِ
تَعَالَى مَا يُؤَثِّرُهُ وَيَوْمُهُ ؛ [وَ] مِنْ طَاعَةِ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ - لِأَزَالَتْ مُشِيدَةَ الْبِنَاءِ ، سَائِفَةً

(١) بياض بالأصل والصحيح مما تقدم .

النَّهْءُ ؛ دَائِمَةُ الْإِسْتِثْنَاءِ ، عَزِيزَةُ الْأَنْصَارِ - [و] مِنْ أَسْتِمْرَارِ الظَّفَرِ مَا يَسْتَدِيمُهُ ، -
أَقْتَصَبَتِ الْأَرَاءَ الشَّرِيفَةَ - لَأَزَالَ التَّوْفِيقُ قَرِينَهَا ، وَالتَّائِيدُ مَطَايِرَهَا وَمُحِبُّهَا إِمَضَاءَ
تَصَرُّفِهِ وَإِفْظَادَ حُكْمِهِ فِي بِلَادِ مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا ، وَالصَّعِيدِ الْأَعْلَى ، وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ ،
وَمَا يَفْتَحُهُ مِنْ بِلَادِ الْقَرْبِ وَالسَّاحِلِ ، وَبِلَادِ الْيَمَنِ وَمَا أَقْتَبَحَهُ مِنْهَا وَيَسْتَخْلَصُهُ بَعْدَ
مِنْ وَلَايَتِهَا ؛ وَالتَّوْوِيلُ فِي هَذِهِ الْوَلَايَاتِ عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْقَاذَ مَا أَسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْكُفَّارُ
مِنْ الْبِلَادِ ، وَإِعْزَازَ كُلِّ مَنْ أَذَلُّهُ وَأَضْطَهَدُوهُ مِنَ الْعِبَادِ : لَتُؤَدَّ الثَّغُورُ يَمُنَّ تَقِيَّتَهُ
ضَاحِكَةَ الْمَبَاسِمِ ، وَبِإِصَابَةِ رَأْيِهِ قَائِمَةُ الْمَوَاسِمِ .

أَمْرَهُ بَادِئًا بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْجَنَّةُ الْوَاقِيَةُ ، وَالذَّخِيرَةُ الْبَاقِيَةُ ، وَالْعِصْمَةُ
الْكَافِيَةُ ، وَازْدَادَ إِذَا أَنْقَضَ وَقَدْ آخَرَهُ وَأَرْمَلُوا ، وَالْعَتَادُ النَّاسُ إِذَا وَجَدُوا شَاهِدًا
لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ مَاعْمَلُوا : فَلَمَّا الْعَلِمَ الْمَنْصُوبُ لِلرَّشَدِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَلَمَ الَّذِي بِهِ يَقْتَدَى ، وَبِأَنْوَارِهِ إِلَى حُدُودِ
الصَّوَابِ يَتَّبِعِي ، وَيَسْتَمِعَ لَزَوَاجِرِهِ وَمَوَاعِظِهِ ، وَيَعْتَرِ بِغُفْوِهِ وَمَلَا حِظَّهُ ؛ وَيُصْنَعِي
إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَوَارِحِهِ وَلَبِّهِ ؛ وَيَعْمَلْ بِأَوَامِرِهِ الْمُحْكَمَةِ ، وَيَقِفْ عِنْدَ نَوَاهِيهِ
الْمُبَرَّمَةِ ؛ وَيَتَدَبَّرَ مَا حَوَتْهُ آيَاتُهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صَلَاتِهِ حَافِظًا ، وَلِنَفْسِهِ عَنِ الْإِخْلَالِ وَالْتِصْصِيرِ فِي أَدَاءِ
فَرَضِهِ وَإِعْظَا ؛ فَيَقْتَنِمِ الْأَسْعَادَ أَمَامَ أَوْقَاتِهَا لِلْأَدَاءِ ، وَيَحْتَرِزُ مِنْ قَوَاتِهَا وَالْحَاجَةَ إِلَى
الْقَضَاءِ ، مُؤَقِّيًا حَقَّهَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، عَلَى الْوَصْفِ الْوَاجِبِ الْمَحْدُودِ ، مُخْلِصًا
سِرَّهُ عَنِ الدُّخُولِ فِيهَا ، وَنَاهِيًا نَفْسَهُ عَمَّا يَصُطُّهَا بِالْأَفْكَارِ وَيُلْهِمُهَا ؛ مُجْتَهِدًا فِي تَقَى

الفكر والوسواس عن قلبه، متصبياً في إخلاص العبادة لربه: ليُخَدَّوْ بوصف الأبرار منعوتاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ .

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع، أمثالاً لأمر الله المتبوع؛ بعزيمة في الخير صياقه، ونية للعبادة موافقه؛ وفي الأعياد إلى المصلّيات المصحرة المجملّة بالمتأبر الحاليّة، التي هي عن الأدناس مطهرة نائية؛ فإنها من مواضع العبادة ومواطنها، ومطّان تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسُننها؛ فقد وصف الله تعالى مَنْ وَقَفَهُ لتحصيل مؤنه بالعبادة، بما أُوْتِخ فيه الإشاره؛ وشرفه بوضع سِتْمَة الإيمان عليه بالإكرام الفائز، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: فيقيم الدعوة الهاديّة على المنابر على عادة مَنْ تَقَدَّمه، ومُنْتَهيا فيها إلى أحسن ماعهده وعلمه .

وأمره بِلُزْم نزاهة الحرّمات، واجتناب المحرّمات؛ والتحلّي من العفاف والورع بأجل القلائد الرائجة، والتقمص بملابس التقوى التي هي بأمثاله لائقه؛ وسلوك مناهج الصّلاح الذي يُمكِّل به فعله، ويصفّو له عقله ونهله؛ وأن يمنع نفسه من الغضب؛ ويردّها عما تأمر به من سوء المكتسب؛ ويأخذها بأداب الله سبحانه في نهها عن الهوى، وتحملها على التقوى؛ وردّعها عن التورط في المَهَاوِي والشُّبُهَة، وكلّ أمرٍ يلبّس فيه الحقُّ ويشتيه؛ ويلزِمها الأخذ بالعفو والصّفح، والتأمّل لِمكان الأعمال فيه واللقح؛ قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ .

وأمره بإحسان السّيرة في الرعايا بِلِذَلِكَ البلاد، وأختصاصهم بالصّون الراشح القاد؛ ونشر جنتح الرّعاية على البعيد منهم والقريب، وإحلال كلّ منهم محله على القاعدة

والترتيب ؛ وإشاعة المعللة فيهم ؛ وإسهام دانيهم من وإفر ملا حظته وقاصيهم ؛
وأن نجح سرحهم من كل داعر ؛ ويؤود عنهم كل موارب بالفساد ومظاير ؛ حتى
تصفو لهم من الأمن الشرائع ، وتصفو عليهم من بركة ولايته المدارع ، وتستدير
بضوء السدل منهم المطالع ؛ ويحترم أكارهم ، ويحنو على أصاغيرهم ؛ ويشملهم
بكنفه ودرعه ، ويتبى في مصالحهم إلى غاية وسعته ؛ ولا يألوهم في النصح جهداً ،
ولا يثقل لهم في الخيروعداء ؛ ويشاورهم في أمره فإن المشورة داعية إلى الفلاح ،
ومفتاح باب الصلاح ؛ قال الله تعالى : ﴿ قَاعُفْ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بإظهار السدل في الرعية التي تضمها جميع الأكلاف والأطراف ، والتحلل
من النصفة بأكل الأوصاف ؛ وحل كافتهم على أقوم جدد ، وعصيان الهوى
في قويم كل أود ؛ والمساواة بين الفاضل والمفضول في الحق إذا ظهر صدق دليله ،
والإشعاع عليهم بالأمن الذي يعتذب لم يرد مقيله ؛ وكشف علامة من آتسقت
إلى تحييفه الأيدي والأطباع ، وأعجزته النصرة لنفسه والدفاع ، وتصفح أحوالهم بعين
لاترؤ إلى هوى يميل بها عن الواجب ، وتسمع لا يصفى إلى مقالة مائز ولا كاذب ؛
ولا يغفل عن مصلحة تعود إليهم ، ويرجع ففعا عليهم ؛ ولا عن كشف علامات
بعضهم من بعض ، وردهم إلى الحق في كل رفع من أحوالهم وخفض ؛ فلا يرى
إلا بالحق عاملا ، والأمر على سنن الشريعة حاملا ؛ مجتنباً إغفال مصالحهم
وإهمالها ، وحارساً نظامها على نتائج الأيام واتصالها ؛ ليكون ذلك إلى وفور الأجر
داعياً ، وبحسن الأخذوة قاضياً ؛ مقتدياً بما نطق به القرمان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالسَّيِّئِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .

وأمره أن يأمر بالمعروف ويُقيم مناره، وينهى عن المنكر ويحو آثاره ؛ فلا يترك
مُمكنًا من إظهار الحق وإعلانه ، وقع الباطل وإنحاد نيرانه ؛ ويستمد مساعدة كل
مرشد إلى الطريق الأقصد ، ونأه عن التظاهر بالمحظور في كل مشهد ؛ وكل من^(١)
تضحى مؤنته مشاركة في إحراز المثوبة ومسايمه ، وسأومة في اقتناء الأجر
ومقاسمته ؛ وأن يؤخر بإزالة مظان الرِّب والفساد في الداني من الأعمال والقاصي ،
فلأنها مواطن الشيطان وأماكن المعاصي ؛ وأن يشد على أيدي الآمرين بالمعروف
والناهيين عن المنكر ، ويُعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر ؛
ويجتهد في إزالة كل محظور ومنكر ، مقدم في الباطل ومؤخر في الله تعالى :
(وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) .

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثنور ومجاورها من الكفار ، ويستعمل
غاية التيقظ في ذلك والاستظهار : ليأمن عليها غوائل المكاييد ، ويؤوز من التوفيق
لذلك بأنواع المحامد ؛ ويجتهد لجهاد أعداء الدين ، والانتقام من الكفرة المارقين ؛
أخذًا بقول رب العالمين : (اذْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) . وأن يعمل فيما يحصل من النعائم
عند قلِّ جموعهم ، وأفتاح بلائهم ورُبوعهم ، بقول الله وما أمر به في قسمتها ،
ولإيفاء كل صاحب حصته منها ؛ سالكا سبل من غدا لأتار الصلاح مفتنًا ،
والقرض في ذلك مؤديًا ؛ ويهْدِي ذَوِي الرشد مهتديًا . قال الله تعالى في حكم
التزويل : (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) .

(١) في الأصل فاته من تضحى الخ تأمل .

وأمره أن يُجيبَ إلى الأمان من طلبه منه ، ويكونَ وفاؤه مقترناً بما تصمته ؛ غير مُضْمِرٍ خلافَ ما يُعطى به صفةَ أمانه ، ويحتجبُ النذر وما فيه من العار ، وانحطاط الملك الجبار ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وأمره بأن يأمر أصحاب المأون بمساعدة القضاة والحكام ، ومعونتهم بما يقضى [بَلَمْ] ثَمَلُ الصلاح في تنفيذ القضايا والانتظام ؛ وأخذ الخصوم بإجابة الداعي إذا استعصر [وا] إلى أبوابهم للإنصاف ، والمساعدة إلى الحق الواجب عليهم من غير خلاف ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ .

وأمره بالتعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة على من يأوى إلى عفاف ودين ، وعلم بأحكام الشريعة وصحة يقين ؛ لا يخفى عليه ما حرمه الله تعالى وأحلّه ، ولا يلتبس على علمه ما أوجع إلى الحق الواضح سبيله ؛ وإلى من يتولى المظالم بإبصال الخصوم إليه ، وإنصافهم كما أوجبه الله تعالى عليه ؛ واستماع ظلاماتهم ، وإحسان النظر في مشاجراتهم ؛ فإن أسفر للحق ضياء تبعه ، أو أشقَب الأمر رده إلى الحكم ورفع . و [إلى] الناظر في أسواق الرقيق بالاحتراز والاستظهار ، وتعمية الأحوال من الشبهة في امتزاج العبيد بالأحرار : لتضحى الأنساب مضمونة مريعة ، والأموال عن التلم محروسة محيية . وإلى من ينظر في الحسبة بتصفح أحوال العامة في متاجرهم وأموالهم ، وتتبع آثار صحتهم في المعاملة وأَعْلَالِهِمْ ؛ وأعتبار الموازين والمكاييل ، وإلزام أربابها الصِّمَّةَ والتعديل ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ .

وأن يُعمل الجفن في تطهير البلاد، من كل مدخول الاعتقاد، معروف بالشبه في دينه والإلحاد، ومن يسعى منهم في الفساد؛ ويأمر المرتين في المراكز والأطراف باقتناصهم، وكف فسادهم وإجلالهم عن عراضهم؛ وأن يُحرى عليهم في السياسة ما يجب على أمثالهم من الزنادقة والذين توبُّهم لا تُقبل، وأمرهم على حكم المخاطبين لا يحمل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

وأمره أن يتلقى النعمة التي أفرغت عليه، وأنسأقت إليه؛ بشكر ينطق به لسانه، ويُترجم عنه بيانه: ليستديم بذلك الإكرام، ويقتن الإحسان عنده بالإنعام؛ وأن يُوفيها حقها من دوام الحمد، والقصد إلى شكرها والعمد؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾.

وليعلم أن أمير المؤمنين قد بين له من الصلاح ما أفضحت أعلامه، وأثبت في المرامي سبأهم؛ وأرشد إلى ما أودع هذا المنشور من جدد الفوز بمرضاة الله تعالى وشكر عباده، عاملاً في ذلك بمقتضى جهته واجتهاده: يُحرز السبق في دنياه وعقباه، ويتوفر عنده ما منحه به مما أرهف عزمه وحباه؛ وغدا بمكانه رافلاً في ملايس الفخر والبهاء، نائلاً منى ما طال به مناكب القُرناء؛ وأختص بما أعلّ درجته ففَاعَسَتْ عنه آمال حاسديه، وتفرد بالمكانة عن مقام من يُباريه ويتاويه؛ وأولى من الإنعام ما آمن به سرب النعمة عنده، وأعسفى من مآهل الإحسان ورده؛ وأهدى إليه من المواظ ما يجب أن يُودعه واعية الأسماع، ويأخذ بالعمل به كل راع، فيتهج - أدام الله علوه - محاج الولاء، الذي عهده من أمثاله من الأولياء؛

متَّزِّهاً عن تقصير منه في عامَّة الأوقات ، ومراعياً أفعاله في جميع التصرفات ؛ ويعلم أنه مسئول عن كل ما تنقُط به لسانه ناطقاً ، وتُنقَر طرْفُه إليه رامقاً ؛ قبل أن يُجانب هَوَاهُ ، ويتوقَّ رَهيناً بما آكُتِبتْ يده ؛ ولا يفتَر من الدنيا وزُخرفها بفرار ليس الوفاء من طباعه ، ومُعير ما أقصر مدَّة أرتجاعه ! ؛ وسبيلُ كافَّة القضاة والأعيان ومقدِّمي العساكر والأجناد ، ورؤساء البلاد ، متابعتُه وموافقته ، وطلبُ مصالحهم من جنابه ، والتصرفُ على آستصوابه ؛ وقد أُكِّدت وصائهُ في الرِّفق بهم والامتنالِ عليهم ، والإحسان إليهم ، وإجمال السَّيرة فيهم ، وكلُّها أشكل عليه أمرٌ من المتجددات يطالع به الديوانُ العزيز - بحمد الله تعالى - لِيُنجِ له السبيل إلى فتح رِتابه ، وسُلوكِ منهاجه ؛ والله وليُّ التوفيق والمدايه ، وجمع الكلِّية في كلِّ إعادةٍ وبدايه ؛ والمعونة على العِصْمة من الزَّلَل ، والتأييد في القول والعمل ، إن شاء الله تعالى ، وهو حسبنا ونفيم الوكيل .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها)

أما ما يكتب في المستند ، فقد جرتِ العادة أن يكتب فيه نحو ما تقدم في البيئات وعهودُ ولاية العهد بالخلافة : وهو : « بالإنذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، الفلاني (لقب الخلافة) أعلاه الله تعالى » .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فإنه يكتب علامته وتحتها : « فوضتُ إليه ذلك ، وكتب فلان بن فلان » . ورأيت في بعض الدساتير نقلاً عن الحاكم بأمر الله

أبى العباس [ابن الخليفة] المستكفي بالله أبى الربيع سليمان [أنه] كان يكتب :
« وكتب أحمد ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

وأما ما يكتب في نسخة العهد من الشهادة ، فقد جرت العادة أن يكتب قاضيان
فأكثر من قضاة القضاة الأربعة في حاشية العهد أو في ذيله ماصورته : « أشهدني
مولانا أمير المؤمنين العاهد المشار إليه فيه - أدام الله تعالى أيامه - بما نُسب إليه
فيه من العهد إلى فلان بن فلان » أو ما في معنى ذلك .

قلت : والواجب أن يضموا في رسم شهادته الشهادة على السلطان بقبول العهد ؛
بأن يقال قبل على ما نصّ وشرح فيه : « وعلى مولانا السلطان المشار إليه فيه بقبول
ما فوض إليه فيه » أو نحو ذلك : لأنه كما يعتبر العهد من العاهد يعتبر القبول من
المعهود إليه كما تقدم في موضعه .

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذي تكتب فيه عهد الملوك عن الخلفاء ، والقلم الذي
يكتب به ، وكيفيّة كتابتها ، وصورة وضعها في الورق)

أما قطع الورق فلا نزاع في أنه يكتب في قطع البغدادي الكامل ، على ما هو
مستقر العادة إلى الآن . وقد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق في المقالة الأولى^(١)
من الكتاب أن عرضه ثلاثة أشبار وخمسة أصابع ، وطوله الوصل كذلك .

(١) كما في الأصل مضيا عليه ولم يتقدم في الأولى وإنما تقدم في المقالة الثالثة الكلام على
المقادير وأن عرض البغدادي الكامل ذراع واحد بذراع القماش المصري . انظر ج ٦ ص ١٩٠
من هذا المطبع .

وأما القلم الذى يكتب به، فختصر قلم الطومار لمناسبته له على ما تقدم فيما يناسب كل قطع من الورق من الأعلام .

وأما كيفية كتابة العهد وصورة وضعه فى الورق، فعلى ما تقدم فى البيعات وعهود أولياء العهد بالخلافة: وهو أن يبدأ بكتابة الطرة فى أعلى الدرج من أول عرض الورق إلى آخره سطوراً متلاصقة من غير هامش، وفى أعلاه قدر أصبع بياضاً، ثم يترك ستة أوصال بياضاً من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطرة، ثم تكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاتها تكاد تلحق بالوصل الذى فوقه، بهامش عن يمين الدرج قدر أربعة أصابع مطبوعة أو خمسة، ثم يكتب سطراً من أول العهد تحت البسملة ملاصقاً لها بحيث تكاد أعلى ألفاته تلحق بالبسملة، ثم يحل بيت العلامة قدر شبر، ثم يكتب السطر الثانى من العهد على ثمت السطر الذى تحت البسملة، ويستمر فى كتابة بقية العهد .

ثم الذى رأيته فى دستور معتمد ينسب للقر العلاف بن فضل الله أنه يكون بين كل سطرين قدر ربع ذراع . وأخبرنى بعض فضلاء الكتاب أنه رأى فى بعض الدساتير أن سطورَه تكون مُزدوجة على نظير البسملة والسطر الأول، وبين كل سطرين بعد بيت العلامة تقدير خمسة أصابع مطبوعة .

قلت : ولعل ذلك نعت من الكاتب وتطريز للكتابة، لاعلى سبيل اللزوم .

فإن قيل : لم كان مقدار البياض بين سطور العهد مع كبر قطع الورق دون بياض ما بين سطور التقاليد ونحوها مما يكتب عن السلطان على ما ساقى ذكره ؟ فالجواب أن العهد كالمكتبة من المعاهد للهود إليه، كما أن التقليد كالمكتبة من المقلد للقلد، والأعلى فى حق المكتوب إليه أن تكون السطور متضايعة على ما تقدم

في الكلام على المكتبات، فناسب أن تكون مطورُ العهد أكثرَ تقارباً من مطور التقليد وما في معناه، تعظيماً لثأن السلطان في الحالتين .

فإن قيل : يُنقض ذلك بعظم قلم العهد ، ضرورة أنه كلما غلظ القلم كان أنزل في رتبة المکتوب إليه على ما تقدم أيضاً ، فالجواب : أن غلظ القلم في العهد تابعٌ للورق في كبر قطره ، وقاعدة ديوان الإنشاء أنه كلما كبر قطع الورق في المكتبات ، كان تعظيماً للمكتوب إليه ، بدليل أن كل من عظم مقداره من الملوك كان قطع الورق في مكاتبه أكثر ، ولو كتبت العهد بقلم دقيق مع ضيق السطور وسعة الورق لجاء في غاية القصر . ثم قد جرت العادة أن تكون كتابة العهد من أوله إلى آخره من غير تقطع ولا شكل ، وعليه عمل الكُتّاب إلى آخر وقت .

قلت : هذا بناء على المذهب الراجح في أن المكتبة إلى الرئيس تكون من غير إجماع ولا ضبط : لما في الإجماع والضبط من استجهال المکتوب إليه ونسبته للعبارة وقلة الفهم ، بخلاف من ذهب إلى أن الكتابة إلى الرئيس تُقيد بالإجماع والضبط كي لا يعترضه الشك ، ولا يكلف إعمال الفكر ، على ما تقدم ذكره في أوائل المكتبات ، فإنه يرى تقطع العهد وشكله .

وإذا انتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة ، ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الحساب ، على ما تقدم في الكلام على الفوائج والخواتم في أوائل المقالة الأولى من الكتاب :

وهذه صورة وضعه في الورق ، يمثلها له بالطرز التي أنشأها القاضي علاء الدين ابن عبد الظاهر ، والعهد الذي أنشأه القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني للملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهو العهد الأخير من المذهب الأول .

الطرة

هذا عهد شريف تجددت ممرات الإسلام بتجديده، وتاكدت أسباب الإيمان بتأكيده، ووُجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده، ووَقَدَ اليَمْنُ والإقبالُ على انطلاقته بوفوده، ووردَ الأمانُ مَوْرِدَ الأمانِ بوفوده . من عباده ووليه الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد، عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد خلد الله سلطانه، ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه على ما شرح فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد شريف يعمر بك للإسلام المعاهد، وينصر منك الإعترام

بيت العلامة

فتنّى عن الموالى والمُعاضد، ويُلقَى إليك مقاليد الأمور لتَحِيَمَ في مَرْضاة

تقدير ربع ذراع

الله ونجّاهد، ويعتُك على العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك

تقدير ربع ذراع

عند الله في أعظم المشاهد - إلى أن يأتى إلى قوله في آخره : والله تعالى

المناش يحلِّد له رُبَّةَ الْمَلِكِ الَّتِي أَطْلَبَهَا مَقَامَهُ، وَيُدِيمُهُ نَاصِرًا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ

فَانصَارُهُ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَيَحْمِلُ سَبَبَ هَذَا الْعَهْدِ

مَدَى الْأَيَّامِ مَتِينًا ، وَيَحْدُدُّ لَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ نَصْرًا قَرِيبًا وَقَعْدًا مُبِينًا ؛

وَنُحِطُ الْحَاكِمِيَّ أَعْلَاهُ، حِجَّةً بِمَقْتَضَاهُ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

كُتِبَ فِي مِنْ شَهْرٍ كَذَا

سَنَةِ كَذَا

بِإِذْنِ الْعَالِي الْمَوْلَى الْإِمَامِيِّ النَّبِيِّ الْحَاشِي

أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَامُهُ

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

النوع الثالث

(من المهود عهودُ الملوك لولاة العهد بالملك)

وهو أن يعهد الملك بالملك بعده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب .

ويتعلق النظرُ به من سببة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان صحة ذلك)

لما سحَّت إمارةُ الإِستِلاءِ إجماعاً للفَنِّ، وتنفيداً للأحكام الشرعية على ما تقدم من كلام الماوردي في النوع الثاني من المهود، اقتضت المصلحة تصحيح العهد بالملك لما فيه من المعنى المتقدم . وقد جرَّت عهودُ من الملوك لأنبائهم بالديار المصرية وغيرها بحضرة الجلم الغفير من العلماء وأهل الحل والعقد فامضوا حكم ذلك ولم ينكروه، وذلك منهم دليل الجواز .

فإن قيل : قد تقدم في النوع الثاني من المهود من كلام الماوردي أن وزير التفويض لا يجوز له أن يعهد بالوزارة لغيره ، ووزارة التفويض في معنى السلطنة الآن أو قريبة منها على ما تقدم هناك ، فالجواب : أنه قد تقدم أن السلطنة الآن مُركبة من وزارة التفويض وإمارة الإِستِلاءِ، بل السلطان الآن كالمستبد بالأمر، والشوكة مصححة لأصل الولاية فلائذ تكون مصححة لقرعها أولى .

الوجه الثاني

(فيما يكتب في الطرزة)

ينبغي أن يكون ما يكتب فيها على نحو ما يكتب في طرر عهود الملوك عن الخلفاء ،
إلا أنه يَرَاد فيها : « عهد إليه بالملك بعده » كما يقال في عهود الخلفاء عن الخلفاء :
« عهد إليه بالأمر بعده » .

وهذه نسخة طرزة :

« هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على فخره ، متبلج صبحه صَوَّى
بخره . من السلطان الأعظم الملك القلائي فلان الدنيا والدين فلان ، خلد الله تعالى
سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه - بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالي السلطاني
الملك القلائي ، بلفه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد
الإفضال ، على ما شرح فيه » .

الوجه الثالث

(في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد)

وقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب له : المقام الشريف أو الكريم ، أو العالي
مجزأ عن الشريف والكريم ، ويُقْتَصَر فيها على الألقاب المفردة دون المركبة .

قلت : وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ألقاب
الملك الصالح على بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ،
فقال : « ولما كان المقام العالي الولد السلطاني الملك الصالح المعادي » .

وعلى نحو من ذلك كتب المشار إليه ألقاب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ، فقال : « ونخرج أمراً بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركة خاقان محمد » إلا أنه قد خالف ذلك فيما كتب به في ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده بجمع بين الألقاب المفردة والمركبة ، فقال : « هذا عهدنا للسيد الأجل الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ، غفر الملوك والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين » ولم يتعز في التعريف لحكاية هذا المنحعب ، مع كون كلام ابن عبد الظاهر حجة يرجع إليه في هذا الفن .

الوجه الرابع

(ما يكتب في المستند)

ويتعين أن يكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » لصُدوره عن السلطان كما يكتب في التقاليد .

الوجه الخامس

(ما يكتب في متن العهد)

والكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى — أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا » ونحوه على ما تقدم في عهد الملوك عن الخلفاء .

وعلى هذه الطريقة كتب أبو بكر بن الفصيرة المغربي الكاتب عن أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » سلطان المغرب بولاية عهده لابنه أبي الحسن على ما بيده من الغرب والأندلس ، في ذى الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وهو :

كُتِبَ تَوَلِيَّةٌ عَظِيمٌ جَسِيمٌ ، وَتَوْصِيَّةٌ حَمِيمٌ كَرِيمٌ ؛ مُهَلَّتْ عَلَى الرِّضَا قَوَاعِدُهُ ،
وَأُكِّدَتْ بِيَدِ التَّقْوَى مَعَاقِدُهُ ، وَأُبْسِلَتْ عَنِ النَّوَايَةِ وَالْهَوَى مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ؛
أَهْذَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرُ الدِّينِ ، أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ ؛ آدَامَ اللَّهِ أَمْرُهُ ،
وَأَعَزَّ نَصْرُهُ ، وَأَطَالَ فَيَا يُرْضِيهِ وَرَضَى بِهِ عَنْهُ عُمَرُهُ ؛ غَيْرَ مُحَابٍ ، وَلَا تَارِكٍ
فِي النَّصِيحَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ مَوْضِعَ أَرْثِيَابٍ لِمُرْتَابٍ - لِلْأَمِيرِ الْأَجَلُ إِلَى الْحَسَنِ
عَلَى أَسْتَيْهِ الْمَتَقَبِلِ شَيْمِهِ وَهَمَمِهِ ، الْمُنَاقِلِ حِلْمِهِ وَتَحَلُّهُ ؛ النَّاشِئُ فِي شَجَرِ تَقْوَاهِ وَتَأْيِيدِهِ ،
الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ يَدَيِ مُتَحَدِيهِ وَتَهْذِيهِ ؛ آدَامَ اللَّهِ عِزَّهُ وَتَوْفِيقَهُ ، وَأَتَّجَعَ إِلَى كُلِّ صَالِحٍ
مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُ ؛ وَقَدْ تَهَمَّ بِمَنْ تَحْتَ عَصَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا فِيمَنْ يَخْلُقُهُ
فِيهِمْ هُدًى لِلتَّقِي ، وَلَمْ يَرَأَنْ يَرْكُكُهُمْ سُدًى غَيْرَ مَدِينِينَ ؛ فَأَعْتَمَّ فِي النَّصَابِ الرِّفِيعِ
وَأَخْتَارَ ، وَأَسْتَنْصَحَ أَوْلَى الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ وَأَسْتَشَارَ ، وَأَسْتَفْضَاءَ بِشِهَابِ
أَسْتَفْزَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَسْتَنَارَ ؛ فَلَمْ يَوْقِعْ اللَّهَ بَعْدَ طُولِ تَأَمُّلٍ ، وَتَرَاحِي مُدَّةٍ وَتَمَهَّلَ ؛
اِخْتِيَارَهُ وَلَا آخِيَارَ مَنْ فَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى التَّقْوَى وَالْحِكْمَةِ وَالتَّجَرِبَةِ
وَأَسْتَشَارَهُ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا صَارَ بِهِ وَبِهِمُ الْإِجْتِهَادُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا التَّقَى وَرَادَ التَّرَاقِي
وَالْتَشَاوُرَ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَوَلَّاهُ عَلَى أَسْتَحْكَامٍ بِصِيرَةٍ وَبَعْدَ طُولِ مَشُورَةٍ عَهْدَهُ ،
وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ بَعْدَهُ ؛ وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي رِعَايَا مَسْنَدِهِ
وَأَوْطَأَ عَقِبَهُ بَجَاهِرِ الرِّجَالِ ، وَنَاطَلَهُ بِمُهِمَّاتِ الْأَمْوَالِ وَالْأَحْوَالِ ؛ وَعَهْدَ إِلَيْهِ أَنْ
يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا أَسْتَطَاعَ ، وَلَا يَتَعَدَّلَ عَنْ شَيْءٍ الْعَسَلِ وَحُكْمِ الْكَلْبِ وَالسِّنَّةِ فِي أَحَدٍ
عَصَى أَوْ أَطَاعَ ، وَلَا يَنَامَ بِهِ عَنْ حِمَايَةٍ مِنْ أَشْهَرِ الْحَيْفِ وَالْخَوْفِ وَالْإِضْطِجَاعِ ؛
وَلَا يَتَلَهَّى دُونَ مَعْلَنِ شُكُوءٍ ، وَلَا يَتَصَمَّمُ عَنْ مُسْتَصْرِخٍ لِدَفَاعِ بَلَاءٍ ؛ وَأَنْ يَنْتَظِمَ
أَفْضَى بِلَادِهِ وَأَدْنَاهَا فِي سِلَاقِ تَدْيِيرِهِ ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ مِنْ رِعْيَتِهِ بَوٌّ

(١) كَذَا فِي الْأَمْوَالِ وَلَعَلَّهُ تَجْرِيهٌ . تَأَمَّلْ .

في إحصائه وتقديره، ثم دعا - أدام الله تأييده - لمبايعته من دنا ونأى من المسلمين، فلبوا مسرعين وأتوا مهطعين، وأعطوا صفة إيمانهم متبرعين منطوعين، وبأبوه على السمع والطاعة، وألتزم سنن الجماعة، وبذل النصيحة، وإصفاء النيات الصحيحة، وموادة من صاحبه، ومحاربة من حاربه، ومكائنة من كائده، ومعاينة من عانده، لا يتخرون في ذلك على حال المكروه والمنشط مقدره، ولا يحتجون في وقفي السخط والرضا بمعذره، ثم أمر بخاطبة أهل البلاد لبأيه كل طائفة في بلدها، وتعطيه كما أعطاه من حصر صفة يدها، حتى يستوى في ألتزام بيعته، القريب والبعيد، ويجمع على الاعتصام بجبل دعوته، الغائب والشهيد، وتطمئن من أعلام الناس وخبرهم قلوب كانت من ترانجى ما آتخز قلبه، ولم ترل ببقية التأثير أرقه، ويشمل الناس السرور والاستبشار، وتتمكن لهم الدعوة ويتهد القرار، وتنشأ في السلاح لهم آمال، ويستقبلهم جد صاعد وإقبال، والله يبارك لهم فيها بيعة رضوان، وصفقة ربحان، ودعوة إيمان، إنه على ما يشاء قدير، لا إله إلا هو نعم المولى ونعم النصير.

شهد على أمير المسلمين ناصر الدين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين - أدام الله أمره، وأعز نصره - بكل ما ذكر عنه من ألتزام البيعة المنصوصة فوق هذا، وأعطى صفة يمينه متبرعا بها، وبالله التوفيق. وذلك بحضرة قرطبة حماها الله تعالى.

الطريقة الثانية - أن يفتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتحة بالحمد لله، وهى طريقة المصريين، وعليها أقصر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن الظاهر ببيتس عهد ولده الملك السعيد بركة، وهذه نسخته:

الحمد لله مُمَيِّتِ الْفُرُوسِ، وَمُبِجِ الْفُؤَسِ، وَمُزَيِّنِ سَمَاءِ الْمَلَكَةِ بِحَسَنِ الْأَهْلَةِ
وَأَضْوَا الْبُدُورِ وَأَشْرَقِ الشُّمُوسِ؛ الَّذِي شَدَّ أَزْرَ الْإِسْلَامِ، بِمَلُوكٍ يَتَعَاقَبُونَ مَصَالِحَ
الْأَنَامِ، وَيَتَنَاقَبُونَ تَدْيِيرَهُمْ كَتَنُوبِ الْعَيْنِ وَالْيَدَيْنِ فِي مُهِمَّاتِ الْأَجْسَادِ وَمُلْكَاتِ
الْأَجْسَامِ .

لِحَمْدِهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَغْلَقَتْ جَفْنَ الشُّكْرِ الْمُتَغَافِي، وَأَوْرَدَتْ نَهْلَ الْفَضْلِ الصَّافِي،
وَحَوَّلَتْ الْآلَاءَ حَتَّى تَمَسَّكَتِ الْأَمَالُ مِنْهَا بِالْوَعْدِ الْوَفِيِّ وَأَخَذَتْ بِالوِزْنِ الْوَاقِي؛
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عِيدَ كَثَرِ اللَّهِ عِنْدَهُ وَعُدُّهُ،
وَأُحْمَدُ أَمْسَهُ وَيَوْمَهُ وَيُحْمَدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - عَدَّهُ؛ وَنُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الَّذِي أَطْلَعَ اللَّهُ بِهِ نَجْمَ الْهُدَى، وَأَلْبَسَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ أُرْدِيَةَ الرَّدَى؛ وَأَوْصَحَ بِهِ
مَسَاجِدَ الدِّينِ وَكَانَتْ طَرَائِقُ قِدْدَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً
لَا تَنْقُضُ أَبَدًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّا [بِمَا] أَلْهَمَنَا اللَّهُ مِنْ مَصَالِحِ الْأُمَمِ، وَخَوَّلَنَا مِنَ الْخِرَاصِ عَلَى مُهِمَّاتِ
الْعِبَادِ الَّذِي قَطَعَ بِهِ شَافَةَ الْكُفْرِ وَخَتَمَ، وَأَتَى بِهِ وَالشُّرْكَ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَشْتَعَالَ
نَارِهِ فَكَانَ عَلَمًا بِنَارِ مُضَرَمَةٍ لَا نَارًا عَلَى عِلْمٍ، وَقَدَّرَهُ مَنْ رَفَعَ الْكُفْرَ مِنْ جَمِيعِ
الْجَوَانِبِ، وَقَفَّوهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حَتَّى رَمَاهُمْ بِالْخَنَفِ الْوَاصِلِ وَالْعَذَابِ الْوَاصِبِ؛
فَأَصْبَحَ الشُّرْكَ مِنَ الْإِبَادَةِ فِي شَرِّكَ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَتَحَنَّنُ مِنْ قَتْلِ وَلَا يَخَافُ مِنْ
دَرْكِ، وَتُغَوَّرُ الْإِسْلَامُ عَالِيَةَ الْمَبِيقِ، جَانِيَةً تَحَارُ الْإِدْخَارِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا؛ تَرَاهِمُ
بُرُوجُهَا فِي السَّمَاءِ الْبُرُوجِ، وَقَسَاهِدُ الْأَعْدَاءِ مِنْهَا سَمَاءٌ قَدْ بُنِيتَ وَزُيِّنَتْ وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ؛ وَعَسَاكَ الْمَلَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ فِي كُلِّ طَرْفٍ مِنْ أَطْرَافِ الْمَالِكِ تَجُولُ، وَفِي كُلِّ
وَادٍ تَهِيمُ حَتَّى تَشْعُرَ بِالنَّصْرِ وَلَكِنَّهَا تَعْمَلُ مَا تُقُولُ؛ قَدْ دَوَّخَتْ الْبِلَادَ قَتَلَتْ الْأَعْدَاءَ

تارة بالإلزام وتارة بالإدغام ، وملت سؤوفها فراعتهم بقظة بالقرع وتوما بالأحلام ، ترى أنا قد لَدْنَا هذا الأمر التذاذد المستطيب ، وحسن لدينا موقعه فعكفنا عليه عكوف المستجيد وليناه تلبية المستجيب ، وجعلنا فيه جميع الآلات والحواس ، وتقسمت مباشرته ومؤامراته سائر الزمان حتى غدا أكثر ترددا إلى النفس من الأنفاس ، واستنفذنا الساعات في امتطاء المضمّر الشُموس ، وأدراع محكم الدلائل التي كأنها وميض برق أو شعاع شمس ، وتجريد المُرَهَقَات التي جفت لحاظها الأجفان ، وجرّت فكاليها وأضرمت فكالتيان ، وتقويق السهام التي غدت قسيها مرابعا نبالها بان (؟) ، واعتقال السمهرية التي تفرع الأعداء سينا ندما كلما قرعت هي السنان ، إلى غير ذلك من كل غارة شعواء نسي للكفار الصباح ، وتصدّم كالجبال وتسير كالرياح ، ومنازلات كم استلبت من موجود ، وكم استعجزت من نصير موعود ، وكم مدينة أحمت لها مدينة ولكن أنحرها الله إلى أجل مَعْدود .

وكانت شجرتنا المباركة قد امتد منها فرع نفوسنا فيه الزيادة والنمو ، وتوسمتا منه حسن الجنى المرجو ، ورأينا أنه الهلال الذي قد أخذ في ترقى منازل السُعود إلى الإبدار ، وأنه سِرْنَا الذي صادف مكان الاختبار له مكان الاختيار ، فأردنا أن ننصبه في منصب أحلنا الله فيسبح عُرفه ، ونُشرّفه بما خولنا الله من شرفه ، وأن تكون يَدُنَا ويده تلتقيان من قَمَره ، وجيدنا وجيده يتحليان بجوهره ؛ وأنا نكون للسلطنة الشريفة السمع والبصر ، والملكة المعظمة في التناوب بالإضاءة الشمس والقمر ؛ وأن تصول الأمة منا ومنه بحدّين ، ويبطشوا من أمرنا وأمره بيدّين ، وأن رُتِبَه على حُسن سياسة تجمّد الأمة - إن شاء الله تعالى - عاقبتها عند الكبر ، وتكون

الأخلاق الملوكة منتشة منه ومنتشة به من الصغر، ونجمل سعى الأمة حميدا،
وتب لم منه سلطانا نصيرا وملكا سعيدا، وقوى به عضد الدين ونزى جناح
الملكه، ونجح مطلب الأمة بإياله وكيف لا ينجح مطلب فيه بركه ؟ .

ونخرج أمرا لا يرح مُسعيدا ومُسعفا، ولا عديم الأمة منه خلفا منيلا ونوعا
مُخلفا، بأن يكتب هذا التقليد لولدنا السعيد ناصر الدين « بركة خاقان محمد » جعل
الله مطلع مسعده بالإشراق محقوقا، وأرى الأمة من ميامنه مايدفع للشر صرعا
ويحسن بالتدبير نصيرفا - بولاية العهد الشريف على قرب البلاد وبُعدها، وغورها
وتجسها، وقلاعها وتغورها، وبرورها ومجورها، وولاتها وأقطارها، ومُدنها
وأمصارها، وسهلها وجبلها، ومُعطلها ومقتلها، وما تحوى أقطاره الأحلام، وما ينسب
للدولة القاهرة من يمن وفجاز ومصر وغرب وسواحل وشام بعد شام، وما يتداخل
ذلك من قفار ومن بيد في سائر هذه الجهات، وما يتخللها من نيل وبلغ وعذب
قوات، ومن يسكنها من حقير وجليل، ومن يحلها من صاحب رغاء وثغاء وصليل
وصهيل، وجعلنا يده في ذلك كله المبسوطه، وطاعته المشروطة ونواميسه المضبوطة،
ولا تدبر ملك كلى إلا بنا أو بولدنا يعمل، ولا سيف ولا رزق إلا بأمرنا هذا يسأل
وهذا يُسأل، ولا دنت سلطنة إلا بأذننا يتوهم منه الإشراق، ولا عُصن قلم
في روض أمر ونهى إلا ولدنا ولديه تحت له الأوراق، ولا منبر خطيب إلا باسمنا
يمس، ولا وجه درهم ولا دينار إلا بنا يُشرق ويكادُ تراجا لا بهرجا يتطلع من
نخل الكيس .

فليقلد الولد مقلداه من أمور العباد، وليشركا فيما نبأ به من مصالح الثغور
والفلاع والبلاد، وستعاهد هذا الولد من الوصايا بما سينشأ معه نوعا، ويخرج

(١) يقال أنبت الرجل ونبله إذا نوله النبل ليرى والمراد أنه نافع معين تأمل .

بِخِيَمِهِ وَدِمِهِ حَتَّى يَكَادَ يَكُونُ ذَلِكَ إِلهَامًا لَا تَعْلَمُ ؛ وَفِي الْوَلَدِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ نَقَازِ
الَّذِينَ وَجَّعَ التَّصَوُّرَ مَا تَشْكُلُ فِيهِ الْوَصَايَا أَحْسَنَ التَّشْكِيلِ ، وَتُظْهَرُ صُورَةُ الْإِبَانَةِ
فِي صِفَاتِهِ الصَّغِيرَةِ ؛ فَلِذَلِكَ أَسْتَفْتِي عَنْ شَرْحِهَا مَا هُنَا مَمْرُودُهُ ، وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
مِنْ حُسْنِ الْخَلِيقَةِ مَا يَحَقِّقُ أَنَّهَا بَشَرَفُ الْإِلْهَامِ مَوْجُودُهُ ؛ وَاللَّهُ لَا يُعْذِرُنَا مِنْهُ إِشْفَاقًا
وَرَأً ، وَيَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلْأُمَّةِ سَنًا وَذُنُورًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر أيضا عن المنصور «فلاوون»
عهد ولده الملك الأشرف صلاح الدين « خليل » وهذه نسخته :

الحمد لله الذى لم يزل له السمع والطاعة فيما أمر ، والرضا والشكر فيما هدم من
الاعمار وما عمر ، والتفويض فى التعويض إن غابت الشمس بقى القمر .

نحمده على أن جعل سلطاننا ثابت الأركان ، كل روضة من رياضه ذات أفنان ؛
لَا تُزْعِجُهُ رِيحٌ عَقِيمٌ ، وَلَا يُخْرِجُهُ رُزْءٌ عَظِيمٌ عَنِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ؛ وَلَا يُعْتَبِطُ مِنْ جَهْلَتِهِ
كَرِيمٌ إِلَّا وَيُعْتَبِطُ مِنْ أَسْرَتِهِ بَكْرِيمٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ
تَزِيدُ قَائِلَهَا تَقْوِيضًا وَتُجْزِلُ لَهُ تَقْوِيضًا ، وَتُحْسِنُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فِي كُلِّ
خَطْبٍ جَلِيلٍ تُخْرِيسًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّسْلِيمِ :
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) . وَالنَّبِيُّ الَّذِي أَوْضَحَ بِهِ الْمَنَاجِيحَ
وَبَيَّنَ بِهِ السُّبُلَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَجَاوَبَتِ الْحَاوِي وَالْمُنَاوِرُ فِي الْبُكْرِ
وَالْأَصْلِ ، وَمَا تَرْتَّبَتْ عُقُودُ وَنُظُمَتِ ، وَنُسِخَتْ آيَاتُ وَأُحْكِمَتْ ؛ وَتَقَضَّتْ أُمُورُ
وَأُبْرِمَتْ ، وَمَا عَزَمَتْ آرَاءُ قَوَلِكُمْ وَتَوَكَّلْتُمْ فَعَزَمَتْ ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين منهم من كان لخليفة نعم الخليفة، ومنهم من لم يدرك أحد في تشويد النفس الحليفة ولا في تبيض الصحيفة مدّه ولا تصيفه ؛ ومنهم من يبره الله لتجهيز جيش المسرة فعرف الله ورسوله معروفه، ومنهم من عمل صالحاً أرضى ربه وأصلح في دُرّته الشريفة .

وبعد، فإن من الطاف الله تعالى بعباده، وأكتنّف عواطفه ببلاده ؛ أن جعلنا كُلماً وهي لُلك ركنٌ شديدٌ شيدنا رُكناً عوضه ، وكلمنا آعترضت للقادر جملته بدنا آية مكان آية وتساينا تجلداً تلك الجملة المعترضه ؛ فلم يُخوج اليوم لأمسه، وإن كان حميدا، ولا الفارس لفرسه، وإن كان ثمره ياتماً وظله مديداً ؛ فأظلمنا في أفق السلطنة كوكباً سعيداً كان لحسن الاستخلاف معداً ، ومن لقيل المسلمين خير نوابا وخير مرّداً ؛ ومن يشر الله به من الأولياء المتقين ويُندّر من الأعداء قوماً لداً ، ولم يبق [إلا] به أنساباً بعد ذهاب الذين تحسّبهم (كالسيف فردا) ؛ والذي ما مضى حده ضريبة إلا (قد البيض والأبدان قدا) ؛ ولا جهاز راية كتيبة إلا أغنى غناء الناهيين وعدّ الأعداء عدداً ؛ ولا بعثه جزع فقال : (كم من أبح لي صالح) إلا قيّه ورع فقال : (وخلقت يوم خلقت جلدا) ؛ وهو الذي بقواعد السلطنة أدرى وبهواينها الأعرف ، وعلى الرأيا الأعطف والرأيا الأرف ؛ وهو الذى ما قيل لبناء ملك هذا عليه قد وهى إلا وقيل هذا بناء مثله منه أسمى ملك أشرف . والذى ما برح النصر يتسم من مهاب تأمله الفلاح ، ويتسم فخره فتوسم الثغور من ميسمه النجاح ؛ ويقسم نوره على البسيطة فلا مضّر من الأمصار إلا وهو يشرّب إلى ملاحظة جين عهده الوضاح ، ويتفق اشتقاق الثغور فيقول التسلى للتلى : سواء الصالح والصلاح ؛ والذى ما برح لشعار السلطنة إلى توقله وتقله أتم حين ، وكأما كوشفت الإمامة العباسية بشرّف ممّاه فيما هدم من زمن سلف ومن حين ؛ فسمت ووسمت باسمه

أكابر الملوك وأخاير السلاطين، نَحَوِّطُ كُلَّ مِنْهُمْ بِحَازِلِ الْكَهْنَةِ الْحَقِيقَةِ «بِخَلِيلِ»
 أمير المؤمنين؛ والذي [كَمْ] جَلَّابِي حَبِيبَةٍ مِنْ يَسِيمٍ، وَكَمْ غَدَا الْمَلِكُ بِحُسْنِ رُؤَايِهِ
 وَيَمْنِ آرَائِهِ بِسِيمٍ، وَكَمْ أَبْرَأُ مَوْرِدُهُ الْعَذْبَ هِمَّ عَطَاشٍ وَلَا يُتَكَرُّ الْخَلِيلُ إِذَا قِيلَ عَنْهُ
 أِبْرَاهِيمُ؛ وَمِنْ تَشَخُّصِ الْأَبْصَارِ لِكُلِّهِ يَوْمَ رُكُوبِهِ حَبِيبِهِ، وَتَلَقَّى الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ذَهَلًا
 وَهِيَ لَا تَدْرِي لِكثَةِ الْإِيْمَاءِ إِلَى جَلَالِهِ إِذَا يَتَنَوَّسِرُهُ؛ وَالَّذِي أَلْهَمَ اللَّهُ الْأُمَّةَ لِحُودِهِ
 وَوُجُودِهِ صَبْرًا جَمِيلًا، وَأَتَاهُمْ مِنْ نَفَاسَةِ كَرَمِهِ وَحِرَاسَةِ مَيْفِهِ وَقَلْبِهِ تَأْمِينًا وَتَأْمِيلًا؛
 وَعَظَّمَ فِي الْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ بِمَا مِنْ رَّبِّهِ سَيَكُونُ فَسَمَتُهُ الْأَبْوَةُ الشَّرِيفَةُ وَلَدَا وَسَمَاءُ اللَّهِ
 «خَلِيلًا» .

وَلَمَّا تَحَقَّقَ مِنْ تَفْوِضِ أَمْرِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَوَقْتِهِ الْمَعْلُومِ قَدْ تَأَثَّرَ، وَتَحَيَّنَ
 حِينَهُ فَجَعَلَ زِيَادَةَ كِرْيَادَةِ الْهَلَالِ حَتَّى بَادَرَ تَسَامَهُ فَأَبْدَرَ؛ أَتَقَضَى حُسْنُ الْمُنَاسِبَةِ
 لِنَصَاحِ الْجُمْهُورِ، وَالْمُرَاقِبَةِ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ؛ وَالْمُصَاقَبَةِ لِمَنَاجِحِ الْبِلَادِ وَالثُّغُورِ، وَالْمُقَارَبَةِ
 مِنْ نَوَاجِحِ كُلِّ أَمْرٍ مَيَسُورٍ؛ أَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ وَلَايَةَ الْعَهْدِ الشَّرِيفِ بِالسُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ
 الْمُعْظَمَةِ، الْمَكْرَمَةِ الْمُفْعَّمَةِ الْمُنَظَّمَةِ؛ وَأَنْ يَسْطُرَ يَدَهُ الْمُنِيفَةَ لِمَصَاحِفِهَا بِالْعُهُودِ،
 وَتَحْكُمُهَا فِي الْمَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ، وَفِي الْبُحُورِ وَالثُّغُورِ وَفِي التَّهَاتِمِ وَالتَّجُودِ؛ وَأَنْ يُعَدِّقَ
 بِسَيْطِهَا وَقَلْبِهَا كُلَّ قَطْعٍ وَوَصْلٍ، وَكُلَّ فِرْعٍ وَأَصْلٍ، وَكُلَّ نَصْرٍ وَنَصْلٍ؛ وَكُلَّ مَا يَنْجِي
 سَرَحًا، وَيَهْجِي مَنَعًا، وَفِي الْمُنِيرَاتِ فِي الْإِعْدَاءِ عَلَى الْإِعْدَاءِ تَقَعًا وَفِي الْمُنِيرَاتِ
 صُنبًا؛ وَفِي الْمَنَعِ وَالْإِطْلَاقِ، وَفِي الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ؛ وَفِي الْخَمِيسِ إِذَا سَاقَ،
 وَفِي السُّيُوفِ إِذَا بَلَعَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقَ، وَفِي الرِّمَاحِ إِذَا أَكْفَتِ السَّاقُ
 بِالسَّاقِ؛ وَفِي الْمُعَاهَدَاتِ وَالْمُدَّنِ، وَفِي الْفِدَاءِ بِمَا عَرَضَ مِنْ عَرَضٍ وَبِالْبُيُودِ
 بِالْبُيُودِ؛ وَفِي مَا ظَهَرَ مِنْ أُمُورِ الْمَلِكِ وَمَا يَخْفَى، وَفِي جَمِيعِ مَا تَسْتَدْعِيهِ بَوَاعَتُهُ، فِي السَّرِّ
 وَالْعَلَنِ، وَتَسْتَرِيهِ نَوَاقِثُهُ، مِنْ كَبَتْ وَكُتِبَ مُتَفَرِّقِينَ أَوْ فِي قَرْنٍ عَنْهَا مَبَارَكَا عَوْدُهُ

وتمائمهُ ، وفوائمه وخواتمه ؛ ومناسمه ومياسمه ، وشروطه ولوازمه ؛ وعلى عاتق
الملك الأعزّ نجاحه وفي يد جبار السموات قائمه ؛ لا راد لحكمه ولا ناقض لبرهه ،
ولا داحض لما أثبتته الأقلام من مكتون عليه .

[و] يزيد مَرَّ اللَّيَالِي جِدَّةً * وتقادم الأيام حُسْنَ شباب

وتُزَمُّ السُّنُونُ والأحقابُ ، استبداعه للذرائع والأعقاب ؛ فلا سلطان ذو قدر
وقدره ، ولا ذو أمر وإمره ؛ ولا نائب في مملكة قُربَتْ أو بُعدَتْ ، ولا مقدّم
جيوش أُنْهَمَتْ أو أُنْجِذَتْ ، ولا راجع ولا رعية ، ولا ذو حُكْم في الأمور الشرعية ؛
ولا قلم إنشاء ولا قلم حساب ، ولا ذوو أنساب ولا ذوو أسباب ؛ إلا وكلُّ داخل
في قبول هذا العقد الميمون ، وتمسك بحكم كتابه المكنون ، والتسليم لنصه الذي شهد
به من الملائكة الكرام الكاتبون ؛ وأمسَتْ بيعته بالرضوان محفوفة ، والأعداء
يدعونها قسراً وخيفة ، وليشكروا الصنيع الذي بعد أن كانت الخلفاء تُسلطن الملوك
قد صار سلطانهم يقيم من ولاة المهدي خليفة بعد خليفه .

وأما الوصايا فانت يا ولدا الملك الأشرف - أعزك الله - بها الدرب ، ولِسَمَاعِ
شَدوها وحدوها الطرب ، الذي للغو لا يضطرب ؛ فملك بتقوى الله عز وجل
فإنها ملاك سدّادك ، وهلاك أضدادك ؛ وبها يرأس جناح نجاحك ، ويحسن أقدار
أقصادك ؛ فاجعلها دفين جوانج تأملك ووعيك ، ونصب عني أمرك ونهيك ؛
والشرع الشريف فهو قانون الحق المتبع ، ومأمون الأمر المستمع ؛ وعليه مدار
إساء كل إساء ، وبه يتمسك من أشار وأمتاز ، وهو جنة والباطل نار : ﴿ قَنَ زُجْرَحَ
عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ . فلا تخرج في كل حال عن لوائمه وشروطه ،
ولا تتكبد عن مقلقه ومتوطه . والعدل فهو مُعَرِّغُ رُوسِ الأموال ، ومعمّر بيوت

الرجاء والأرجال، وبه تزكو الأعمار والأعمال؛ فاجعله جامع أطراف مراسمك، وأفضل أيام مواسمك؛ وسم به فطرك، وسم به فرضك وفطرك، ولا تفرد به فلانا دون فلان، ولا مكانا دون مكان، وأقرنه بالفضل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. وأحسن التخويل، وأجمل التويل؛ وكثرتلن حولك التويلن والتويل، وضاعف الخير في كل مضاف لمقامك، ومستضيف بإتمامك؛ حتى لا تصدم في كل مكان وكل زمان ضيافة الخليل؛ والشعور فهي للمالك مباسمها، وللسالك متاسمها؛ فأجعل نواجدها تفرعن حسن ثنايا الصون، ومراسمها شذبة الشفاء بحسن العون؛ ومنها، بما يتجى السرح منها، وأعنها، بما يدفع المكاره عنها؛ فإنها للنصر مقاعد، وبها حفظ البلاد من كل ما من الأعداء مارد؛ وأمراء الجيوش فهم السور الواق بين يدى كل سور، وما منهم إلا كل بطل بالنصر مشهور، كما سيقه مشهور؛ وهم ذخائر الملوك، وجواهر السلوك، وأخابر الأكابر الذين خلصوا من الشكوك؛ وما منهم إلا من له خدمات سلفت، وحقوق عرفت، وموات على استنزام الرعاية للمهود وقفت؛ فكن جنودهم متعبيا، ولما بهم محصيا، ولمصالحهم مرتبيا، ولآرائهم مستصوبا، ولاعتضادهم مستصحبا، وفي حملهم مطمئنا، وفي شكرهم منبها؛ والأولياء المنصوريون الذين هم كالأولاد، ولم سواي أمث من سواي الإيحاد؛ وهم من علمت استكانة من قربنا، ومكانة من قلوبنا؛ وهم المساهمون فيما ناب، وما برحوا للدولة الظفر والناب؛ فأنهم لكل منهم من اختاركم نصيبا، وأدبكم آرتياحك، وأبن حياحك، وقوم بسلاحك، تجد منهم ضروبا؛ وترى كلاً منهم في أعدائك ضروبا.

وكما أنا نوصيك بجيوش الإسلام، كذا نوصيك بالجيوش الذي له الجوار المنشأت في البحر كالاعلام؛ فهو جيش الأمواء والأمواج، المضاف إلى الأفواج من جيش

الفِجَاج ؛ وهو الجيش السِّلَانيُّ في إسرَاع السَّير ، وما سُمِّيت شَوَانِيهِ غِرْبَانَا
إِلَّا لِجَمْعِهَا لَنَا مَا أَجْتَمَعَ لِسُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَسْخِيرِ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ ؛
وهي مِنَ الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى تَبِيعِ الْبَحْرِ الْأَسْوَارِ ؛ فَإِنْ قُدِّتْ قُدِّتِ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ
الْأَعْدَاءِ وَإِنْ أَقْلَعَتْ قَلَعَتْ مِنْهُمْ الْآثَارَ ؛ فَلَا تُحْمَلُهُ مِنْ تَجْهِيزِ حَيْشِهِ ، وَسَكُنَ طَلِيشُ
الْبَحْرِ بِطَلِيشِهِ ؛ فَيُضْبِحُ لَكَ جَيْشَانِ كُلُّ مِنْهُمَا ذَوْكْرٌ وَنَرٌّ ؛ هَذَا فِي بَرٍّ وَهَذَا يَحِيرُ
بَرٌّ ؛ وَبُيُوتُ الْعِبَادَاتِ فَهِيَ الَّتِي إِلَى مَصْلَى سَمَيْكَ « خَلِيل » اللَّهُ تَتَمَّى عِمَارِيَهَا ،
وَبِهَذَا لَنَا وَلكَ وَالسَّامِينَ سُرَى الدَّعَوَاتِ وَأَوْيُهَا ؛ فَوَفَّهَا نَصِيبَهَا الْمَقْرُوضَ غَيْرَ مُقْصُوصَ ،
وَمُرَّ بِرُفْعِهَا وَذَكَرَ أَسْمَ اللَّهِ تَعَالَى [فِيهَا] لِلْأَمْرِ الْمَنْصُوصِ ؛ وَأَخَوَاتُهَا مِنْ بُيُوتِ
الْأَمْوَالِ الْوَاجِدَاتِ الْوَاجِبَاتِ ، مِنْ حَيْثُ إِنْبَاطُهَا كُلُّهَا بِيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : هَذِهِ
لِلصَّلَاةِ وَهَذِهِ لِلصَّلَاتِ ؛ وَهَذِهِ كَهَذِهِ فِي رَفْعِ الْمَنَارِ وَجَمْعِ الْمَبَارِ ، وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ
مِمَّا أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ فَهَذِهِ تُرْفَعُ وَيُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُهُ حَتَّى عَلَى الدَّرْهِمِ
وَاللِّينَارِ ؛ فَأَصْرِفْ إِلَيْهَا أَجْتِهَادَكَ فِيمَا يَعُودُ بِالتَّشْمِيرِ ؛ كَمَا يَعُودُ عَلَى تِلْكَ بِالتَّنَوُّرِ ؛ وَعَلَى
هَذِهِ بِإِشْحَانِهَا بِأَنْوَاعِ الصُّرُوفِ ، كَأَشْحَانِ تِلْكَ بِأَسْتَوَاءِ الصُّفُوفِ ، فَإِنَّمَا إِذَا أَصْبَحَتْ
مَصُونَةً ، أَجَلَّتْ بِمُحَمَّدِ اللَّهِ الْمُعُونَةِ ؛ وَكَفَلَتْ بِالشُّونَةِ وَبِالزَّيَادَةِ عَلَى الْمُشُونَةِ ، فَتُكَلَّلُ
هَذِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ ذُنْيَاهُ كَمَا كَلَّتْ تِلْكَ [لِكُلِّ] وَلِيٍّ دِينَهُ ؛ وَحُدُودُ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهَا أَحَدٌ ،
وَلَا يَرَأْفُ فِيهَا وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ ؛ فَأَقْبَحُهَا وَقَمُّ فِي أَمْرِهَا حَتَّى تَنْضَبِطَ أَتَمُّ النَّضْبِطِ ،
وَلَا تَجْعَلْ يَدَ الْفَتَنِ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِهَا وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ؛ فَكُلُّكَ مِنَ الْجَنَائِثِ
وَالْقِصَاصِ شَرْطُ شَرْطِهِ اللَّهُ وَحْدُ حُدُّهُ فَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ ذَلِكَ الْحَدَّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ

(١) لعل الصواب بشمها من ضمن الثلاث يقال شمه يشمه ملاء ، وأما الرابع فانه الانغام يقال

سيوف مشمة أى مفصلة وأشمن الرجل اشمانا تها لبيكاه وهو غير مناسب هنا تأمل .

ذلك الشرط ؛ والجهد فهو الذئب المألوف من حيث نشأ نشأ ونشأتك ^(١)
وفي ظهور الخيل ، فإل على الأعداء كل الميل ؛ وصيحتهم من فتكاتك بالويل بعد
الويل ، وأزمهم بكل شمري ^(٢) قد شمر من يده عن الساعد ومن رُحمة عن الساق ومن
جواده الذيل ؛ وأذهب لهم من كل ذلك منهب ، وأزججهم الخوصان كل غي
وعيب ؛ وتكثرت غزومهم من الليل بكل أتهم ومن الشفق بكل أحر وأشقر
ومن الأصيل بكل أصفر ومن الصبح بكل أذهب ، وأستهب أعمارهم وأجعلها
آخر ما سلب وأول ما ينهب ؛ وزجوا أن يكون الله قد خبا لك من الفتوحات
ما يستعجزها لك صادق وعده ، وأن ينصرك جيوش الإسلام ، في كل إنجاد
وإنهزم ، وما النصر إلا من عنده ؛ وبليت الله المحجوج من كل فج ، المقصود من
كل نهج ؛ فسير سبيله ، ووسع [له] الخير وأحسن تسييله ؛ وأوصل من برك لكل
من الحرمين مأهولة ، لتصبح ربوعه بذلك مأهولة ؛ وأخيه من يريد فيه بالحداد بظلم ،
وطهره من مكس وغرم : ليعود نفعك على البادية والواكف ، ويصبح واديه
وناديه مستغنين ببذلك عن السحاب الواكف ؛ والرعايا فهم للعسل زروع ،
وللاستثمار فروع ، ولاستلزام العارة شروع ؛ فتي جادهم غيث أعجب الزراع نباتهم ،
ومت بالصلاح أفواشهم ، وصلحت بالتماء أوقاتهم ؛ وكثرت لجنود مستغلاتهم ،
وتوفرت زكواتهم وتورت مشكائهم ؛ والله يضاعف لمن يشاء .

هذا عهدنا للسيد الأجل ، الملك ، الأشرف ، صلاح الدنيا والدين ، نغري المملوك
والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين ، أعز الله تعالى ببقائه الدين ؛ فليكن بمرورته
متمسكا ، وينفتح متمسكا ؛ وليتقلد سيف هذا التقليد ، ويفتح مفتاح كل فتح منه

(١) يياض في الأصل بحدركة صغيرة .

(٢) الشمرى بفتح الكين وكسرها مع شد الميم فيما الماضى في الأمور المجرب انظر اللسان ج ٦ ص ٩٦ .

بغير إقليد؛ وما نحن قد كثرنا لديه جواهره فتونه ما شاء تخليته من تنويع مفرق
وتحتم أنامل وتسور رزْد وتطويق جيد، قى كل ذلك تجيل وتمجد؛ واهه تعالى
يعل استخلافه هذا للتقين إماما، ولالدين قواما، وللجاهدين اعتصاما، وللمتدين
اعتصاما؛ ويُطغى بمياه مسيوفه نار كل خطب حتى يُصبح كما أصبحت نار تيممه
صلى الله عليه وسلم برّدا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى.



وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، عن المنصور «قلاوون»
المنتقم ذكره، عهد ولده الملك الصالح «علاء الدين على» وهذه نسخته :

الحمد لله الذى شرف سرى الملك منه بعلية، وحاطه منه بوصية، وعصده منصوره
بولاية عهد صالحه وأسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديده، وأبهج خير الآباء
من خير الأبناء بن سمو أبيه منه بشريف الخلق وأبيه، وغدنى روضه بتاجه وسميه
وبمسارعة وليه.

نحمده على نعمه التى جمعت إلى الزهر الثمر، وداركت بالبحر وباركت فى النهر؛
وأجلت المبتدأ وأحسنت النهر، وجمعت فى لذادة الأوقات وطيبها بين رواق
الأصالي وريقة البكر. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُبس الألسنة
منها فى كل ساعة [نوبا] جديدة، وتتقيا منها ظلًا مديدا، ونستقرب من الآمال
مآزاه سوانا بعيدا. ونصل على سيدنا محمد الذى طهر الله به هذه الأمة من الأذناس،
وجعلها بهديته زاكية القراس؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم
حسن استخلافه بالأمر له بالصلاة بالناس، ومنهم من بنى الله به قواعد الدين
وجعلها مؤلدة الإساس، ومنهم من جهز جيش العسرة ووامى بماله حين الضراء

والبأس ، ومنهم من قال عنه صلى الله عليه وسلم : "لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ خَدَا رَجُلًا يُحِبُّ
الله ورسوله وَيُحِبُّ الله ورسوله" فَحَسَنَ الْإِتِّمَاسُ بِذَلِكَ وَالْإِقْتِبَاسُ ، وزاد في شرفه
بأن طهر أهل بيته وأذهب عنهم الأرجاس ، صلاة لا تزال تتردد تردد الأقباس ،
ولا تبتزع في الآناء حسنة الإيناس .

وبعد ، فإن خير من شُرِفَ مراتب السلطنة بمجُودِه ، وقُوَّتِ مَلَابِسُ التحكيم
بِقَبُولِه ، وَمَنْ تَرَهَى مُطَالِيعُ الْمُلْكِ بِإِشْرَاقِه ، وتبادرُ الممالكُ مُذْنِبَةً لاسِحِحَاقِه ؛ ومن
يَزِدُّهِي مُلْكٌ مَنْصُورُهُ - نصره الله - بولده وولى عهده مَكْنَةً بانيه ، ومن يَتَشَرَّفُ
ليوان عظمية : إن غاب والله في مصلحة الإسلام فهو صدره وإن حضر فهو
ثانيه ؛ ومن يَجْمَلُ غَابُ الْإِيَالَةِ مِنْهُ بِخَيْرِ سَبَلٍ كَفَلَ لَنَا ، وَيَتَكَفَّلُ غَوْتُ الْأُمَّةِ بِخَيْرِ
وَأَيْلٍ خَلَفَ غَيْثًا ؛ ومن أَلْهِمَ الْأَخْلَاقَ الْمُلُوكِيَّةَ وَأَوْقَى حُكْمَهَا صَيًّا ، ومن خَصَّصَتْهُ
الْأُدْعِيَّةُ الشَّرِيفَةُ بِصَالِحِهَا وَلَمْ يَكُنْ بِدُطَائِنِهَا شَقِيًّا ، ومن رُحِمَتْ بِهِ هَضْبَةُ الْمُلْكِ حَتَّى
أَمْسَى مَكَانَهَا عَلِيًّا ؛ ومن هُوَ أَحَقُّ بِأَنْ يُجَبَّ الْأَمَلُ وَيُجَبَّحَ ، وَأَوْلَى بِأَنْ يُتَلَّى لَهُ :
(أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) . ومن هُوَ بِكُلِّ خَيْرٍ مَلِي ، وَمَنْ إِذَا فُوضَتْ إِلَيْهِ أُمُورُ
المسلمين كَانَ أَشْرَفَ مِنْ لَأُمُورِهِمْ عَلَيَّ ؛ ومن يَتَحَقَّقُ مِنْ وَالِدِهِ الْمَاضِي الْغَرَارَ ، ومن
أَتَمَّهِ الْعَالِي الْمَنَارَ ، أَنْ لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا قَتْلَ إِلَّا عِلَّ ، .

ولمَّا كَانَ الْمَقَامُ الْعَالِي ، الْوَلَدِيُّ ، السُّلْطَانِيُّ ، الْمُلْكِيُّ ، الصَّالِحِيُّ ، الْعَلَانِيُّ -
عَضُدُ اللهِ بِهِ الدِّينُ ، وَجَمَعَ إِذْنَانِ كُلِّ مُؤْمِنٍ عَلَى لِجَابِ طَاعَتِهِ بِمَبَاشَرَةِ أُمُورِ
المسلمين ، حَتَّى يُصْبِحَ وَهُوَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ - هُوَ الْمَرْجُوُّ لِتَنْدِيرِهِ هَذِهِ الْأُمُورَ ، وَالْمَأْمُولُ
لِصَلَاحِ الْبِلَادِ وَالتُّغُورِ ، وَالْمَذْتَرِّ فِي النَّصْرِ لِشِفَاءِ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَالَّذِي تَشْهَدُ الْفِرَاسَةُ
لَأَبِيهِ وَلَهُ بِالْحَكْمِ : أَوَلَيْسَ الْحَاكِمُ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ الْمَنْصُورُ ؟ فَلَنَلِكَ أَتَقَضَّتِ الرَّحْمَةُ ،

والشفقة على الأمة ؛ أن ينصب لهم ولي عهد يتمسكون من الفضل بعروة كرمه ،
ويستعون بعد الطواف بكعبة أبيه لحرمه ؛ ويقتطفون أزاهر العدل وثمار الجود
من كلبه وقلمه ، وتستسعد الأمة منه بالملك الصالح الذى تقسم الأنوار لجبينه وتقسم
المبار من كراماته وكرمه .

فلذلك خرج الأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، السيفى -
أخدمه الله القدر ، ولا زالت الممالك تباهى منه ومن ولي عهده بالشمس والقمر -
أن يفوض إليه ولاية العهد وكفالة السلطنة المعظمة ، ولاية تامة غامرة شاملة
كامله ؛ شريفة منيعة ، عطوفة رعوفة ؛ فى سائر أقاليم الممالك وعساكرها وجنودها ،
وعربها وتركها وأكرادها وتوابها وولاتها ، وأكابرها وأصاغرها وربعاها ورباطها ،
وحكامها وقضاها ، وسارحها وسابحها ؛ بالديار المصرية وثغورها وأقاليمها
وبلادها ؛ وما آحوت عليه . والمملكة الحجازية ، وما آحوت عليه . ومملكة النوبة ،
وما آحوت عليه ، والفُتُوحات الصفدية والفُتُوحات الإسلامية الساحلية وما آحوت
عليه . والممالك الشامية وحُصُونها ، وقلاعها ومدنها ، وأقاليمها وبلادها ، والمملكة
الحمصية ، والمملكة الحمصية الأكرادية والجلبية وفُتُوحاتها ، والمملكة الحلبية وثغورها
وبلادها ، وما آحوت عليه ، والمملكة القرانية ، وما آحوت عليه ؛ وسائر القلاع
الإسلامية برأ وبحرا ، وسهلا ووعرا ؛ شاما ومصر ، يما وحجازا ، شرقا وغربا ،
بُعدا وقربا . وأن تلقى إليه مقاليد الأمور فى هذه الممالك الشريفة ، وأن تستخلفه
سلطنة والده - خلد الله دولته - لتشاهد الأمة منه فى وقت واحد سلطانا وخليفة ؛
ولاية واستخلافا تستدهما الزوا ، وترتئم بهما الحُدُود ، وتعيهما الأسماع وتطبق بهما
الأقواء ؛ فتويعضا يعلن لكافة الأمم ، ولكل رب سيف وقلم ، ولكل ذى علم وعلم ؛
بما قاله صلى الله عليه وسلم لسميه رضى الله عنه حين أولاه من القفار ما أولاه :

”مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ قَبْلِي مَوْلَاهُ“ . فَلَا مَلِكُ يُقْلِمُ إِلَّا وَهَذَا الْخَطَابُ بِصَلِهِ وَيُوصَلِهِ ، وَلَا زَعِيمٌ جِيئَ إِلَّا وَهَذَا التَّفْوِيضُ يَسْمَعُهُ وَيَسْمَلُهُ ؛ وَلَا يُقْلِمُ إِلَّا وَكُلُّ مَنْ بِهِ قَبْلَهُ وَقَبْلَهُ ، وَيَتَمَثَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتَمَثَّلُهُ ، وَلَا مَنَبْرٌ إِلَّا وَخَطِيئُهُ يَتَلَوُّ فَرْقَانِ هَذَا التَّقْدِيمِ وَرَبَّاهُ .

وَأَمَّا الْوَصَايَا فَقَدْ لَقْنَا وَلَدَنَا وَوَلَّى عَهْدَنَا مَا أَنْطَجَ فِي صِفَاءِ ذَهْنِهِ ، وَسَرَتْ تَفْذِيئَتُهُ فِي نَمَاءِ غَصْنَتِهِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ لَوَائِحَ لِلتَّبَرُّكِ بِهَا فِي هَذَا التَّقْلِيدِ الشَّرِيفِ تُنِيرُ ، وَجَوَامِعَ مَعْرِ لِحَرْبِهَا (١) . حَيْثُ يَصِيرُ ، وَوَدَائِعَ يُنَبِّئُكَ عَنْهَا وَلَدُنَا - أَعَزَّنَا اللَّهُ بِبَقَائِهِ - وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلَ خَيْرٍ : فَاتَّقِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَأَنْصُرِ الشَّرْعَ فَإِنَّكَ إِذَا نَصَرْتَهُ يَنْصُرْكَ اللَّهُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَعِدَاكَ ؛ وَأَقْضِ بِالْمَدْلِ مَخَاطِبًا وَمَكَاتِبًا حَتَّى يَسْتَقِي إِلَى الْإِعْزَازِ بِهِ لِسَانُكَ وَيُثْنِكَ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَالِمٌ أَنَّهُ لَيْسَ يُخَاطَبُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ سِوَانَا وَسِوَاكَ ، وَأَنَّهُ تَفَسَّكَ عَنِ الْهَوَى حَتَّى لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَحُطِّ الرِّعْيَةِ ، وَمُرِيَ الثَّوَابَ بِمَجْلِهِمْ عَلَى الْقَضَايَا الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ ، وَجَنِّدِ الْجُنُودَ ، وَأَبْعَثْهَا بَرًا وَبَحْرًا مِنَ التَّغْزِوِّ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ مُجُودٍ ؛ وَأَحْفَظِ الثَّقُوفَ ، وَلاَحِظِ الْأُمُورَ ، وَازْدَنْدْ بِالْإِسْتِشَادِ بِأَرَأْسَا نُورًا عَلَى نُورٍ ؛ وَأَأْمِرْهُمُ الْإِسْلَامَ الْأَكْبَرَ وَزَعَمَاهُ ، فَهَمَّ بِالْجِهَادِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعِبَادِ أَصْفِيَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَابُوهُ ؛ فَضَاعِفَ لِمِ الْحَرَمَةِ وَالْإِحْسَانِ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَصْطَفَانَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِلَّا فَالْقَوْمُ إِخْوَانٌ ؛ لِاسْتِيفِ أَوَّلُو السَّخَى النَّاجِ ، وَارْأَى الرَّاجِحِ ، وَمِنْ إِذَا تَقَرُّوا بِنِسْبَةِ صَالِحِيَةٍ قِيلَ لَهُمْ : نِعَمَ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ فَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَحَاوِرَهُمْ فِي مَهْمَاتِ الْأُمُورِ فِي كُلِّ سِرٍّ وَجَهْرٍ ؛ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَكْبَارِ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ تَحَايَا

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهُ تَمَرَّ بِمَجِيئِهَا حَيْثُ تَسِيرُ . تَامِلُ .

الدول، وذخائر الملوك الأول؛ أجرهم في هذا المعجزة، وأشرح لهم بالإحسان صدرا؛ وجيوش الإسلام هم البنان والبنيان، قوال إليهم الأمتان؛ وأجل عبتك في قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المرء؛ وطاعتك في عقائهم قد شغفها حب؛ ليصيحوا بحسن نظرك إليهم طوعا، ويحصل كل جيش منهم من التقرب إليك بالناسحة نوحا؛ والبلاد وأهلها فهم عندك الوديعه، فأجعل أوامرك [لهم] بصيرة وسميعه .

وأما غير ذلك من الوصايا، فستفولك منها بما ينشأ معك تواما، وتقتك من آياتها محكما فمحكما؛ والله تعالى يمتي هلاك حتى يوصله إلى درجة الإندار، ويغدي غصنك حتى نراه قد أبتع بأحسن الأزهار وأبتع الثمار؛ ويرزقك سعادة سلطاننا الذي نعت بعتته تبركا، ويؤلمك الاعتصاد بشيعته، والأستنان بسنته، حتى تصبح كتمسكا بذلك متمسكا، ويعمل الرعية بك في أمن وأمان حتى لا تخشى سوما ولا تخاف دركا؛ والاعتاد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه إن شاء الله تعالى .

الوجه السادس

(فيما يكتب في مستند عهد ولي العهد بالسلطنة، وما يكتبه السلطان في بيت العلامة، وما يكتب في ذيل العهد)

أما ما يكتب في مستند العهد وما يكتبه السلطان في بيت العلامة، فكثيره من سائر الولايات من التقاليد وغيرها : وهو أنه يكتب في المستند « حسب المرسوم الشريف » كما يكتب في المكاتبات التي هي بتلق كاتب السرى ما هتدم ذكره في بابه . ويكتب السلطان في بيت العلامة اسمه وأسم أبيه .

وأما ما يكتب في ذيل العهد وشهادة الشهود على السلطان بالعهد ، فمثل أن يكتب : « شهدت على مولانا السلطان الملك الفلاني العاهد المشار إليه فيه خلد الله ملكه ، وأخلد الله سلطانه » وما أشبه ذلك من الدماء « بما نُسب إليه فيه من العهد بالسلطنة الشريفة إلى ولده المقام الشريف العالي السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، وعلى المعهود إليه - أعز الله أنصاره - بقبول العهد المذكور ، وكتب فلان بن فلان » .

الوجه السابع

(في قطع ورق هذا العهد وقلمه الذي يكتب به ، وكيفية كتابته ، وصورة وضعه في الورق)

أما قطع ورقه فمقتضى إطلاق المَقَرَّ الشهابي بن فضل الله في « التعريف » أن للمعهود قطع البغدادى الكامل أنه يكتب في البغدادى أيضا . قلت : وهو المناسب لمظمة السلطنة ، وبمخافة قَدْرها . إذ الملك إلى ولى العهد آتِل ، وللدخول تحت أمره صائر ، خصوصا إذا كان المعهود إليه ولدا أو أخا . وحيثئذ فيكتب بختصر قلم الطومار لمناسبته له ، على ما تقدم في غير موضع .

وأما كيفية كتابته وصورة وضعها في الورق ، فهو أن يخل من أعلى الدرج قدر أصبح بياضا . ثم يكتب في وسطه بقلم دقيق ماصوره « الاسم الشريف » كما يكتب في التقاليد وغيرها على ماساى . ثم يتدئ بكتابة الطرة بالقلم الذى يكتب به العهد من أول عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطرة . ثم يترك ستة أوصال بياضا من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطرة . ثم يكتب البسملة . في أول الوصل الثامن بحيث تلحق أعلى ألفاته بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن

(١) لعل السواب وشرح قدرها فلان لم تقف على هذا المصدوقا بين يدينا من كتب اللغة طبرر .

عين الورق قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة . ثم يكتب تحت البسملة سطرًا من أول العهد ملاصقًا لها . ثم ينخل بيت العلامة قدر شبر كما في عهود الملوك عن الخلفاء . ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على تمت السطر الذي تحت البسملة ، ويستتريل في كتابة بقية العهد إلى آخره ؛ ويحصل بين كل سطرين قدر رُبع ذراع بذراع القماش . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبلة ، على ما تقدم في القوائم والخواتم . ثم يكتب شهود العهد بعد ذلك .

وهذه صورة وضعه في الورق ، مثلًا له بالطرزة التي أنشأتها لذلك ، وبالعهد الذي أنشأه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور « قلاوون » بالعهد بالسلطنة لولده الملك الصالح « علاء الدين علي » وهي :

هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على تحفه ، متبلج صبحه ضوى
بقره ؛ من السلطان الأعظم الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين « بيبرس » خلد الله
تعالى سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه ، بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالي
السلطاني ، الملكي ، السعيد ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية
ما يرجونه من مزيد الإفضال .
على ما شرح فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرف سرير الملك منه بعليه ، وساطله

منه بوصيه ، وعصده منصوره بولاية عهد صالحه ، وأتمى حاتم جوده

عاش بمكارم حازها بسبق عديته، وأبهج خير الآباء من خير الأبناء بمن سمو أبيه

منه بشريف الخلق وأبيه، وغذى روضه بتابعة وسميه، وبمسارعة وليه.

نحله على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر إلى أن يأتي إلى قوله : ولا يخاف

دركا والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الرابع

(من اليهود عهد الملوك بالسلطنة للوك المنفردين بصغار البلدان)
ويتعلق النظر به من أربعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان أصل ذلك وأول حدوثه في هذه المملكة إلى حين زواله عنها)

قد تقدم في المكتبات ، في الكلام على مكتبة صاحب حماة أن ذلك مما كان في الدولة الأيوبية ، ثم في الدولة التركية في الأيام المنصورية « قلاوون » والأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » ثم بطل ذلك . وذلك أن السلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » حين استولى على البلاد الشامية مع الديار المصرية بعد موت السلطان نور الدين « محمود بن زنكي » صاحب الشام ، فرق أقاربه في ولاية الممالك الشامية : كشمش وحلب وحماة وحمص وغيرها وأسست .

وكان السلطان صلاح الدين قد وثى حماة لابن أخيه نقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، فبقيت بيده حتى توفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة . فوليا بعده أبنته المنصور ناصر الدين محمد وبقي بها حتى توفى سنة سبع عشرة وستمائة . فوليا أبنته الناصر قليج أرسلان فبقي بها إلى أن أترعها منه أخوه المظفر في سنة ست وعشرين وستمائة ، وأقام بها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة . فوليا أبنته المنصور محمد ، فبقي بها إلى أن غلب هولاكو ملك التار على الشام وقتل من به من بقايا الملوك الأيوبية ، فهرب المنصور إلى مصر وأقام بها إلى أن سار المظفر فقطر صاحب مصر إلى الشام ، وأترعه من يد التار ، وصار الشام مضافاً إلى مملكة الديار المصرية ،

فَرَدَ المنصورُ إِلَى حَمَاةَ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِمْنَةَ . فَوُلِيَ
 المنصورُ قَلاوُونَ أَبْنَةَ المظفَرِ شَادِي مَكَانَهُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَهْدًا عَنْهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى
 تَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِمْنَةَ ، فِي الْإَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ « مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوُونَ » فِي سُلْطَنَتِهِ
 الثَّانِيَةِ بَعْدَ « لَاحِينَ » . فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَرَّاسُفَرُ أَحَدَ أَمْرَائِهِ نَائِبًا ؛ فَلَمَّا أَسْتَوْلَى
 غَازَانُ مَلِكُ التَّارِ عَلَى الشَّامِ ، كَانَ الْعَادِلُ كُتُبًا بَعْدَ خُلْعِهِ مِنْ سُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ
 نَائِبًا بِصَرْخَدَ ، فَظَهَرَ فِي قِتَالِ التَّارِ قُوَّةٌ وَجَلَادَةٌ ، فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَمَاةَ ، وَحَضَرَ
 هَزِيمَةُ التَّارِ مَعَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ وَرَجِعَ إِلَى حَمَاةَ فَاتَ بِهَا .
 فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَكَانَهُ سَيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ نَائِبًا ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ
 أَسَدَ مَرْكَزِي نِيَابَةَ حَمَاةَ مَكَانَهُ . وَلَمَّا رَجِعَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْكَرْكِ نَقَلَ
 أَسَدَ مَرْكَزِي مِنْ حَمَاةَ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ الْمُؤَيَّدُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَفْضَلِ
 عَلَى بْنِ المظفَرِ عَمْرًا ، مَكَانَهُ بِحَمَاةَ سَنَةَ سِتٍّ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ
 الْمُلُوكِ الْأَيُّوبِيَّةِ ، فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ ثَنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . فَوُلِيَ الْمَلِكُ
 النَّاصِرُ أَبْنَةَ الْأَفْضَلِ مُحَمَّدًا مَكَانَهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ
 إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ؛ وَاسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ بَعْدَهُ أَبْنَةُ المنصورِ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَامَ
 بِتَدْيِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرُ قُوصُونَ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَحْدَثَ عَزَلَ الْأَفْضَلِ بْنِ الْمُؤَيَّدِ عَنْ
 حَمَاةَ ، وَوُلِيَ مَكَانَهُ بِهَا الْأَمِيرُ قُطُزُ نَائِبًا . وَسَارَ الْأَفْضَلُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى
 تَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ثَنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أَيُّوبَ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي " مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ " أَنَّ سُلْطَانَهَا كَانَ
 يَسْتَقْبَلُ بِاعْطَاءِ الْإِمْرَةِ وَالْإِقْطَاعَاتِ ، وَتَوَلَّى الْقَضَاةَ وَالْوُزَرَءَ وَكُلَّ السَّرِّ وَكُلَّ
 الْوُظَائِفِ ؛ وَتَكْتَبُ الْمُنَاشِيرَ وَالتَّوَاقِعُ مِنْ جِهَتِهِ . وَلَكِنَّهُ لَا يَمْنَعُ أَمْرًا كَبِيرًا فِي مِثْلِ

إعطاء إمرة أو إعطاء وظيفة كبيرة حتى يساور صاحب مصر، وهو لا يُجيبه إلا أن
الرأى مأثره . ومن هذا ومثله . قال : وإن كان سلطاناً حاكماً ومليكاً متصرفاً
فصاحب مصر هو المتصرف في تولية وعزل، من أراد ولّاه ومن أراد عزّله .

قلت : وكان للملكة بذلك زيادة أبهة وجمال : لكون صاحبها تحت يد [هـ] من هو
متصرف باسم السلطنة، يتصرف فيه بالولاية والعزل . على أن هذا القسم لم يتعرض
له المقرّ القوي بن ناظر الجليش في "التحقيق" لخلف الملكة الآن عن مثله ؛ وإنما
أشار إليه المقرّ الشهابي بن فضل الله رحمه الله في "التعريف" حيث قال :
وأما ما يكتب للوك عن الملوك، مثل ولاية اليهود والمقرّدين بصغار البلدان فإنه
لأستفتح عهدهم إلا بالخطب . وذلك أن حماة كانت في زمنه بأيدي بني أبوب
على ما تهمّد ذكره، ولذلك قال في "مسالك الأبصار" : وما في حدود هذه المملكة
من له أسم سلطان حاكم ومليك متصرف صاحب حماة .

الوجه الثاني

(في بيان ما يكتب في العهد ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب في الطرة، وهو تلخيص ما يشتمل عليه العهد)

وهذه نسخة عهد كتب بها المقرّ الشهابي بن فضل الله عن الملك الناصر
«محمد بن قلاوون» لللك الأفضلي «محمد بن المؤيد عماد الدين إسماعيل» بسلطنة
حماة أيضاً، في رابع صفر سنة آتنتين وثلاثين وسبعمائة . وهو آخر من ملكها من بني
أيوب، وهي :

الحمد لله الذي أقرَّبنا المُلكَ في أهلةِ أهلِهِ ، وتداركَ مُصائبَ ملكٍ لولا ولدهُ
الأفضلُ لم يكن له شَيْبَةٌ في فضلِهِ ، ووهبَ لنا بيتَ السلطنةِ مِن أبْنَى البقايا ما يَلْحَقُ
به كلُّ فرعٍ بأصلِهِ ، ويظهرُ به رَوِّقُ السيفِ في نصلِهِ .

نحمدُ على ما فاضَ بمواهبنا من النعمِ الغزارِ ، وأدخلَ في طاعتنا الشريفةِ من
ملوكِ الأططارِ ، وزادَ عطايانا فاحشَتِ وهي ممالكُ وأقاليمُ وأمصارُ ؛ ونشهدُ أن
لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريكَ له شهادةً أفلحَ مَنْ ماتَ من ملوكِ الإسلامِ عليها ،
وحَرَّضَ بها في الجهادِ على الشهادةِ حتَّى وصلَ إليها ، ومدَّ يَدَهُ لِبُايَعَتنا على إعلانها
فَسَنابَتِ الثَّرياَ بِنِطاسِ يَدَيْها ؛ ونشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ الذي شَرَّفَ من تَسَمَّى
بِاسْمِهِ أَوَمَّتْ بِالْقُرْبَى إلى نَسَبِهِ ، وصَرَفَ في الأرضِ مَنْ تَمَسَّكَ من رِعايةِ الأُمَّةِ
بِسَبِّهِ ؛ وأَكْرَمَ به كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وجعلَ كلمةَ الفَخَارِ كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ ، صلى الله
عليه وعلى آلهِ وأصحابِهِ ما نَحَّاحَ الحمامَ لحُزْنِهِ ثم غَنَّى من طَرَبِهِ ، وسلمَ تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ، فإِنَّا - واللهِ الحمد - مَن نَحْفَظُ بِإِحساننا كُلَّ وِدِيهِ ، وَتَقْبِلُ لِمَن أَقْبَلَ
مِنَ الملوِكِ على سَؤالِ صَدَقَاتنا الشريفةِ كُلَّ ذَرِيَعِهِ ؛ وَتَتَكَفَّلُ لِمَن ماتَ وهو على
وَلَائنا بما لَوْرَاهُ في ولدهِ لَسَرَّه ما جَرى ؛ وعلمُ أنَّ هذا الذي كانَ يَتَمَنَّى أن يَعبِشَ
حتَّى يُبَصِّرَ هذا اليومَ ويرى ؛ وكانَ السُلطانُ المُلِكُ المؤيَّدُ عِمادِ الدين - قدسَ الله
رُوحَهُ - هُوَ بَريقَةُ بَيْتِهِ الشَريفِ ، وآخِرَ مَنْ حَلَّ مِن مَلوِكِهِم في ذِرْوَةِ عِزِّهِ المُنِيفِ ؛
ولم يَزَلْ في طاعتنا الشريفةِ على ما كانَ مِنَ الحُسْنى عليه ، وَمِنَ الحامِسِ الِتي لَقِيَ اللهُ
بها وَتَوَرَّأَ بِإِيمانِهِ بِسَعْيِ بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَوَهَبَنا لَهُ مِنَ المَمْلَكَةِ الحَمِيَّةِ المَحروسَةِ ما كانَ قد
طالَ عليه سائِلُ الأَمَدِ ، ورَسَمَنا لَهُ بِها عَطيَّةً باقيةً لِلوالِدِ وَالوَلَدِ ؛ فَلَمَّا قارَبَ أَقْضَاءَ
أَجَلِهِ ، وَأَشْرَفَ على ما قَدَّمَهُ إلى اللهِ وَإِلينا مِن صالِحِ عَمَلِهِ ؛ لَمْ يَسْغَلْهُ ما بِهِ عَن مِطالَعَةِ

أبوينا الشريفة والتذكار بولده، وتفاضى صدقاتا العميمة بما كان ينظره قره النير لفرقه؛ وورد من جهة ولده المقام الشريف، العالي، الولدى، السلطان، الملكى، الأفضلى، الناصرى - أعز الله أنصاره - ما أزعج القلوب بمصابه في أبيه، وأجرى العيون على من لا تنفع له على شبيهه؛ فوجدنا من الحزن عليه ما أبكى كل سيف دما، وأن كل ربح يقرع سته ندما؛ وناسفنا على ملك كاد يكون من الملائك، وأج كريم أو أعز من ذلك، وسلطان عظيم طالما ظهر شنب بوارقه في ثبور الممالك؛ وقلنا من الحزن في مشاركة أهله بالمنتوب، ثم قلنا: لكم في ولده العوض ولا ينكر لكم الصبر يا آل أيوب.

فأقتضت مرايما المطاعة أن رقيه إلى مقامنا العالي، ونقد له من أوية الملك ما تهر به أطراف العوالى؛ وركبه من شعار السلطنة بما تجعل به مواكبه، وتمتد به عصائيه، ويمس من العجب وتمتد رقابها بالرقبة السلطانية جنائيه، تزيها لنواطركم الكريمة علينا عن قول آيت، وتوينا بقدر بيتكم الذى رفع لكم لإسماعيل به قواعد البيت: لما نعلمه من المقام العالي الملكى الأفضلى الناصرى - أمتع الله ببقائه - من المناقب التى استحق بها أن يكون له عليكم الملك، والعزائم التى قلدها من الممالك ما تجول به الجياد وتجري به الفلك؛ مع ماله من الكرم الذى هو أوفى من العهاد بهمه، والفضل الذى اتصل به ميراث الأفضلية عن جده، والجد الذى جرى البحر معه فأحزنت من التجمل صفحة حده، والوصف الذى لم يرض بالجوزاء واسطة لبقده؛ والعدل الذى أشبه فيه أباه فما ظلم، والعلم الذى ما خلا به بأبه من طلب: إما لهدى وإما لكرم؛ ولم يخرج من كفالة والده إلا إلى كفالتنا التى أطلته بسجها، وحلت سماء مملكته بسجها؛ وخطبناه كما كنا مخاطب والده - رحمه الله - بالمقام الشريف، وأجربناه فى ألغابه مجرى الولد زيادة له فى التشرىف، وصرفنا

أمره في كل ما كان للملوك أهله فيه تصرف ، وسنشد له إلى أوضح طريقه ، ويقوم مقام أبيه أو ليس « الناصر » هو أبو الفضل حقيقه ، ورسمنا بطلبه إلى [ما بين أيدينا الشريفة لتجدد له من نظرنا الشريف ما يتضاعف به سُعوده ، ويزداد صُعوده ، ويحتمل في هذا البيت الشاهد شاهي أبناءه وآبؤه وجُدوده : لتعمل معه صدقاتنا الشريفة ما هو به جدير ، وترفعه إلى أعز مكان من صهوة المنبر والسُرير ، وتكاثره كل سلطان وما هو إلا بحفل يسير ، لتشد به أركان هذا البيت الكريم ، وتحيا عظمته وهي في الخلود عظم رميم ، وتعرف الناس أن عنايتنا الشريفة بهم تزيد على ما عهدوه لجدهم القديم من سميئنا الملك الناصر القديم .

نفرجت المراسيم الشريفة ، العالمة ، المولوية ، السلطانية ، الملكية ، الناصرية : لا زالت الملوك تتقلد منها في أعناقها ، ولا برحت الممالك من بعض مواهبها وإحساناتها ، أن يقلد هذا السلطان الملك الأفضل - أدام الله نصره - من المملكة الحموية وبلاذها ، وأسرانها وأجنادها ، وعربها وتُرُكاتها وأكرادها ، وقضباياها وقضاتها ، ورعاياها ورعاتها ، وأهل حواضرها وبواديها ، وعمرانها وبراريها - جميع ما كان والده - رحمه الله - يتقلده ، وبسيفه وقلمه يُجزيه ويحرده : من كل قليل وكثير ، وجليل وسخير ، وفي كل مأمور به وأمير ، يتصرف في ذلك جميعه ، ويُقطع إقطاعاتها بتناشيره ويؤتي وظائفها بتواقيعه ، وينظر فيها وفي أهلها بما يعلم أن له ولم فيه صلاحا ، ويقيم من هبة سلطانه ما يُبنيه أن يُعمل أسنة ويُرد صفاحا .

وليحكم فيها وفيمن هو فيها بعد له ، ويجمع قلوب أهلها على ولائه كما كانوا عليه لأبيه من قبله ، وليكن هو وجوده وعساكره أقرب في النهوض إلى مصالح الإسلام من رجع نفسه ، وأمضى في العزائم مما يشقه (٩) بها من سيفه وقلمه .

وأما حِبة ما يُعْلَى من الوصايا ، أو يُدَلُّ عليه من كرم السجاياء فهو - بحمد الله تعالى -
غريزة في طباعه ، ممتزجة به من زمان رِضاؤه ؛ وإنما نُذِّكره ببعض ما به يُتَبَرَّك ،
ونُحْضِهُ على اتِّباع أبيه فإنها الناية التي لا تُتْرَك ؛ والشرع الشريف أهم ما يشغل
به جميع أوقاته ، وتقوى الله فما ينتصر الملك إلا ببقائه ؛ والفكرة في مصالح البلاد
والرعايا فإنها مادة تفقائه ، واستكثار الجنود فإنهم حصنه المنيع في ملاقاته ، ومبادرة
كل مهم في أول ميقاته ، وولايات الأعمال لا يعتمد فيها إلا على يقائه ، وإقامة
الحدود حتى لا يَنْصِتَ في تركها إلى رَدِّي رِقَاتِهِ ؛ ورعايته مَنْ له على سَلَفِهِ خدمة
سابقه ، واستجلاب الأدعية الصالحة لنا وله فإنها للسهم مسابقه ، ويُخِصُّ في الأمور
عزيمه فإنه مُتَرَبِّب ، وَيَسْطِطُ العَدْلُ والإحسان فإنه بهما إلينا يُتَقَرَّب ؛ ويُأْخَذُ
بقلوب الرعايا فإنها تَنْقَلِبُ ، وَلِيُكْرِمَ وفادة الوفود لِيَقِفَ بهم - لنجاح مقاصدهم -
على باب صحيح محزوب ؛ وَلِيُجْتَهِدَ في الجهاد ، وَيَتَّقِظَ والسَّيْفَ مَكْتَحِلَ الجَفْنِ
بالرِّقَادِ ؛ وَهُمْ فَإِنَّ الهمم العالية تُقَوِّمُ بها عَوَالِي الصَّعَادِ ، وَيُقَوِّمُ البريدَ فَإِنَّ في تقويمه
بقاء المُلْكِ وعمارة البلاد ؛ وَلِيَقِفَ عند مراسمتنا الشريفة لتهديده إلى سبيل الرِّشَادِ ،
وَيُحَسِّنَ سُلُوكَهُ لِيَطْرَبَ بذكره كلُّ أحدٍ وَيَرْتَمَ كلُّ حادٍ ؛ وغير هذا من كلِّ ما عهدنا
والله - سقى الله عهده - له سَالِكًا ، ولأزمنة أموره الجميلة مَالِكًا ؛ مما لا يحتاج -
مما نعرفه من سيرته المثلِّ - إلى شَرْحه ، ولا يُدَلُّ نهاره الساطع على صَبَاحَةِ صُبْحِهِ ؛
وَلِيُثَبِّرَ بما جُعِلَ له من فضلنا العَمِيمِ ، وَيَسْكُتَ بوعدنا الشريف أن هذه المملكة
له ولأبنائه وأبنائه ما وجد كُنْهٌ من تَسْبِيهِمِ الصَّمِيمِ ؛ والله تعالى يُعِدُّكَ
- أيها الملك الأفضَلُ - بأفضل مَزِيدِهِ ، وَيَحْفَظُ بك ما أبواه لك أبوك « المؤيد »
من تأييده ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الوجه الثالث

(فيما يُكْتَبُ في المُسْتَنَدِ عن السلطان في هذا العهد، وما يكتبه
السلطانُ في بيت العَلَامَةِ)

والْحُكْمُ في ذَلِكَ على مَا سَمَرْنَا في عهودِ أولياء العهد بالسلطنة : وهو أن يكتب
في مُسْتَنَدِ العهد « حَسَبَ المرسوم الشريف » كما في غيره من الولايات ، يكتب
السلطان في بيت العلامة أَسْمَهُ من غير زيادة .

قلت : ولا يُكْتَبُ فيه شهادةٌ على السلطان كما يُكْتَبُ في عُهُودِ أولياء العهد
بالسلطنة : لأن العهد بالسلطنة العظيمُ شَيْءٌ باليعةٌ ، والشهادة فيها مطلوبةٌ للخروج
من الخلاف ، على ما تقدم في موضعه . والعهد بولاية سلطنة بعض الأقاليم شَيْءٌ
بالتقليد ، والشهادة في التقاليد غير مطلوبة ، وذلك أن السلطنة لا تنهى إلى وإلى
العهد إلا بعد موتِ العاهد ، وربما يَحْمَدُ بعضُ الناس العهد إليه ، وولاية بعض
البلدان إنما تكون والسلطان المولى مُتَنَصِّبٌ فلا يُوَثَّرُ بالجمود فيها .

الوجه الرابع

(في قَطْعِ ورق هذا العهد وقلمه الذي يُكْتَبُ به ، وكيفيّة
الكتابة ، وصورة وضعها في الورق)

أما قطع الورق فمقتضى عموم قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" :
إن للمهود قطع البغدادى الكامل أنه يُكْتَبُ في قطع البغدادى أيضا .

قلت : والذي يقتضيه القياس أن تكون كتابته في الورق البغدادي لعمى السلطنة ، ولكن في قطع دون القطع الكامل : لتقصان رتبة هذه السلطنة عن السلطنة العظمى ؛ ألا ترى مكتبة صاحب مملكة إيران كانت في زمن القان «أبي سعيد» تكتب في قطع البغدادي الكامل كما ذكره في «التعريف» وغيره ؛ ومكتبة صاحب مملكة بيت بركة المعروفة بمملكة أذربك من مملكة توران تكتب له في قطع البغدادي بنقص أربعة أصابع مطبوعة كما ذكره في «التحيف» لا تحطاط رتبته عن رتبة القان أبي سعيد ، على ما تقدم ذكره في المكتبات .

وأما قلته الذي يكتب به ، فينبغي إن كُتب في قطع البغدادي الكامل أن يكون مختصر قلم الطومار كما في غيره من المهود التي تكتب في القطع الكامل . وإن كتب في دون الكامل ، فينبغي أن يكون القلم دون ذلك بقليل .

وأما صورة وضعه في الورق ، فعلى ما مر في عهد أولياء العهد بالسلطنة من غير فرق : وهو أن يكتب في رأس الدرج بقلم دقيق الاسم الشريف ، ثم يتدنى بكتابة الطغرة في عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطغرة ، ثم يحل سنة أوصال بياضا ، ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بهامش قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة ، ثم يكتب سطرا من أول العهد ملاصقا للبسملة ، ثم يحل بيت العلامة قدر شبر على ما تقدم ، ويكتب السطر الثاني على تمت السطر الذي تحت البسملة ، ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ، ويكون بين كل سطرين قدر ربع ذراع على قاعدة المهود . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب «إن شاء الله تعالى» ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسبة . وتكون كتابته من غير قطع ولا شكل كسائر المهود .

قلت : ولو وُسِّع ما بين سطوره وقُطعت حروفه وشُكِلت : لما فيه من معنى التقاليد، لكان به أليق .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلاً لها بالطرة التي أنشأتها في معنى ذلك ،
والعهد الذي أنشأه المَقَرَّ الشَّهابيُّ بْنُ فَضْلٍ الله لللك الأفضَل «محمد» بن الملك المؤيد
«عماد الدين إسماعيل» آنرملوك^(١) بنى أيوب بها ، وهى :

هذا عهدٌ شريفٌ عُدَّتْ موارِدُهُ ، وَحَسُنَتْ بِحَسَنِ النِّيةِ فِيهِ مَقاصِدُهُ ،
وعاد على البرية باليمن عائدُهُ . من السلطان الأعظم ناصر الدنيا والدين الملك الناصر
أبى الفتح محمد ابن السلطان الشهيد «قلاوون» خلد الله تعالى ملكه ، وجعل
الأرض بأسرها ملكه - للقام الشريف العالى السلطاني ، الملكى ، الأفضلى -
محمد ابن المقام العالى المؤيدى إسماعيل أعزَّ الله تعالى أنصاره ، وأحمد آثاره ،
بالسلطنة الشريفة بحماة المحروسة وأعمالها ، على أكل العوائد وأتمها ، وأجل القواعد
وأتمها ، على ما شرح فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هاشم الحمد لله الذى أقرَّبنا المُلْكَ فى أهْلِهِ أَهْلَهُ ، وتدارَكْ مُصابَ مَلِكٍ لولا

ولله الأفضَلُ لم يكن له شيء فى فَضْلِهِ ، ووهب بنا بيتَ السلطنة

(١) أى بحماة ولم يتقدم لها ذكر ضئيل .

هامش من أنقى البقايا ما يلحق به كل فرع بأصله ، ويظهر به رونق السيف

في نصله . إلى أن يأتي إلى قوله في آخره : والله تعالى يمدك أيها الملك

الأفضل بأفضل مريده ، ويحفظ بك ما أبغاه لك أبوك المؤيد من

تأييده ، والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الرابع

من المقالة الخامسة

(في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب من أصحاب
السيف والاقلام، وفيه [ثلاثة^(١)] فصول)

الفصل الأول

(فيما كان يُكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة أطراف)

الطرف الأول

(فيما كان يُكتب عن الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم)

وكان الرسم في ذلك أن يفتح العهد بلفظ : « هذا ما عهد » أو « هذا عهد
من فلان لفلان » ويؤتى على المقصد إلى آخره . ويقال فيه : « أمره بكذا
وأمره بكذا » .

والأصل في ذلك ما كتب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لأمرائه الذين
وجَّههم لقتال أهل الردَّة ، وعليه بنى من بعده . وهذه نسخته :

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفلان حين بعثه
[فيمين بعثه] لقتال من رجع عن الإسلام . عهد إليه أن يتقي الله ما أستطاع
في أمره : كله سره وجهره . وأمره بالجد في أمر الله ، ومجاهدة من تولَّى عنه ورجع
عن الإسلام إلى أماني الشيطان ، بعد أن يُعذر إليهم : فيدعوهم بدعاية الإسلام :

(١) يباض في الأصل والتصحيح من ج ١ ص ٢٥ من هذا المطبع .

فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له؛ ثم ينبتهم بالذى عليهم والذى لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطهم الذى لهم؛ لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم؛ فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له، قيل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله: فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسره به. ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقول حيث كان وحيث بلغ مرآغه، لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام؛ فمن أجابه وأقر به قيل منه وعلمه؛ ومن أبى قاتله: فإن أظهره الله عز وجل عليه، قتل فيه كل قتلة بالسلاح والسيوف، ثم قسم ما أفاض الله عليه إلا الخس فإنه مبلغناه. وأن يمنع أصحابه العيلة والفساد، وأن لا يدخل فيه حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم: لئلا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم؛ وأن يقصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل؛ ويتقدمهم ولا يسجل بعضهم عن بعض، ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول.



وهذه نسخة عهد كتب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، حين ولّاه القضاء:

أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة؛ فافهم إذا أدلى إليك، وأفند إذا تبين لك: فإنه لا يتنع تكلم بحق لا تفادله. أس بين الناس في وجهك وعدلك وبجليلك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يئأس ضعیف من عونك. ^(١) البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً

(١) في العقد الفرید (ج ١، ص ٢٣) "ولا يخاف ضعيف من جورك".

أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا . لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلَكَ وَهُدَيْتَ فِيهِ
لِرَشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ : فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي
فِي الْبَاطِلِ .

الْفَهْمُ الْفَهْمَ فِيمَا تَلْجُلُجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، ثُمَّ اعْرِفْ
الْأَشْيَاءَ وَالْأَمْثَالَ ، وَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنَظَائِرِهَا ، وَأَعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ^(١)
وَأَشْبَهْهَا بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلْ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَاثًا أَوْ يَبْنَةً أَمَلًا يَقْبَلُ إِلَيْهِ : فَإِنْ أَحْضَرَ
بَيْنَهُ ، أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحَلَّتِ الْقَضِيَّةُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ أَتَى لِّلشَّكِّ ، وَأَجَلَ لِلْعَمَى .
الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا جُلُودًا فِي حَدٍّ ، أَوْ عَجْرًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ ،
أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْهَيْئَاتِ وَالْإِيمَانَ .
وِإِلَيْكَ وَالْقَلَقَ وَالضُّجْرَ ، وَالتَّأَذَّى بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ : فَإِنَّ الْحَقَّ
فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعْظَمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيُحْسِنُ عَلَيْهِ الذَّنْخَ وَالْجَزَاءَ . فَمَنْ صَحَّحَتْ نِيَّتُهُ
وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَسْلُمُ اللَّهُ أَنَّهُ
لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَأْنُهُ اللَّهُ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ اللَّهِ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ،
وَالسَّلَامُ .

قُلْتُ : هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبْنُ عِبْدِ رَبِّهِ فِي « الْعَقْدِ » . وَيُقَعِّدُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ
أَبْتَدَأُوهُ : مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدُ .
وَوَقَعَ فِي مَسْنَدِ الْبَزَّارِ أَنْ أَوَّلَهُ : أَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، مَعَ تَغْيِيرِ بَعْضِ
الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمِ بَعْضٍ وَتَأْخِيرِ بَعْضٍ .

الطرف الثاني
(فما كان يكتب عن خلفاء بني أمية)

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عن مروان بن محمد لبعض من ولده .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - عند ما أعترم عليه من توجيهك إلى عفو الله الحلف الجاني الأعرابي ، المسكح في حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوى الملكة . ورعايه الذين عاثوا في أرض الله قسادا ، وآتوه حرمة الإسلام استخفافا ، وبدلوا نعمة الله كفرا ، واستحلوا [دماء أهل]^(١) سلمه جهلا - أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك ، وعوأم شؤنك ، ودخائل أحوالك ، ومضطروف شغلك عهدا يحمك فيه أدبه ، ويشرع لك به عظمته ، وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلائقه بحيث أصطنعت الله لولاية العهد مختصا لك بذلك دون محنتك وبني أبيك . ولولا ما أمر الله تعالى به ، دالاً عليه ، وتقدمت فيه الحكاء أميرين به : من تقديم العظة ، والتذكير لأهل المعرفة وإن كانوا أولى سابقة في الفضل وخصيصاء في العلم ، لأعتمد أمير المؤمنين على أصطناع الله لإياك ، وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين ، وسبقك إلى رغائب أخلاقه ، وأتراضك محمود شيمه ، وأستيلائك على مشايه تديره . ولو كان المؤدبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ، أو لقنوه إلهاما من تلقائهم ولم نصيهم تعلموا شيئا من غيرهم ، لنحلناهم علم الغيب ، ووضعناهم بمنزلة قصورها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته وسابق لأهوبيته ، احتجابا منهم لتعقب في حكمه ، وتثبت في سلطانه وتنفيذ إرادته ،

(١) المولى هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" (ص ٢٣٠) وبغيره وهي لازمة .

على سابق مشيئته . ولكن العالم الموفق للخير ، المخصوص بالفضل ، المحبوب بجزية العلم وصفوته ، أدركه معاناً عليه بلطف بجنه ، وإذلال ككفه ، وصحة فهمه ، وهجر ساميته .

وقد تقدم أمير المؤمنين إليك ، آخذاً بالجمعة عليك ، مودياً حق الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حَقِّك ، وما ينظر به الولد المعنى الشقيق لولده . وأمير المؤمنين يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يبش له طمع ، وأن يعصمك من كل مكروه حاق باحد ، وأن يحصنك من كل آفة استولت على أمرئ في دين أو خلق ، وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل يعودّه ويبريه من آثار نعمة الله عليك ، سامية بك إلى ذروة الشرف ، متبججة بك بسطة الكرم ، لائحة بك في أزهر معالي الأدب ، موروثة لك أنفس ذخائر العز ؛ والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ويسأل حياطتك ، وأن يعصمك من زيف الهوى ، ويحضرك داعي التوفيق ، معاناً على الإرشاد فيه ، فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو .

إعلم أن الحكمة مسالك تضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا ، وركب أخطارها قاصداً ، إلى سعة عاقبتها ، وأمن سرحها ، وشرف عزها ؛ وأنها لأعمار بسحف الخلفة ، ولا تنشأ بتفریط الففلة ، ولا يتعدى فيها بأمرئ حده ، وربما أظهرت بسطة التي مستور العيب . وقد تلفتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، ولا متطاويل لئولة ذروتها ؛ بل تأملت منها أكرم تبعاتها ، واستخلصت [منها] ^(١) أحق جواهرها ؛ ثم ستموت إلى لباب معاصها ، وأحرزت منفس ذخايرها ، فأقتيد ما أحرزت ، وتافس فيما أصبت .

وأعلم أَنَّ احتواءك على ذلك وسبقك إليه بإخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثراً لها، وإشمار طاعته منطوياً عليها، وإعظام مأنم الله به عليك شاكراً له، مرتبطاً فيه للزيد بحسن الحياطة له والذب عنه من أن تدخلك منه سامة ملال، أو غفلة ضياع، أو سئة تهاون، أو جهالة معرفة: فإن ذلك أحق ما يدى به ونظر فيه، معتمداً عليه بالقوة والآلة والعدة والإفراد به من الأصحاب والحامدة . فتمسك به لاجئاً إليه، وأعتمد عليه مؤثراً له ، وألجئ إلى كنفه متعبراً إليه : فإنه أبلغ ما طلب به رضا الله ، وأجحه مسألة ، وأجرله ثواباً ، وأعوذه نقماً ، وأعنه صلاحاً ، أرسدك الله لحظك ، وفهمك سداده، وأخذ بقلبك إلى مجوده . ثم أجعل لله في كل صباح ينعم عليك ببلوغه ، ويظهر منك السلامة في إشراقه [من نفسك ^(١)] نصيباً تحمله له شكراً على إبلاغه إياك يومك ذلك بصحة جوارح وعافية بدن، وسُوع نيم، وظهور كرامة . وأن تقرأ فيه من كتاب الله - تبارك وتعالى - جزءاً تردُّ رأيتك في آيه، وتُرثل لفظك بقراءته ، وتُحضره عقلك ناظراً في مُحكمه ، وتُفهمه مفكراً في مُتشابهه : فإن في القرآن شفاء الصدور من أمراضها، وجلاء وساوس الشيطان وصماصيعه، وضياء معالم النور، تبياناً لكل شئ، وهدى ورحمة لِقوم يؤمنون . ثم تهتد نفسك بجاهدة هَواك : فإنه مِفْلاق الحَسَنات ، ومِفْتاح السَّيِّئَات ، وخَصْمُ العقل .

وأعلم أَنَّ كُلَّ أهوائك لك عدوٌّ يُحاول هَلَكَتَكَ ، ويعترض غَفْلَتَكَ : لأنَّها خُدَع إبليس، وخَوَائِلُ مَكْرِهِ، ومَصَائِدُ مَكِيدَتِهِ؛ فاحذرْها مُجَانِباً لها، وتوقَّها عَتَرِساً منها؛

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره .

(٢) في مفتاح الأفكار (ص ٢٣٢) وغيره «ورزين» وهي أنسب .

(٣) الصامع جمع صممع وهو طائر أذهب يصيد الجنادب شبه وسوسة الشيطان به وفي بعض المؤلفات وسفاسفه .

وَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّهَا، وَجَاهِدُهَا إِذَا تَنَاصَرَتْ عَلَيْكَ بِعَزْمٍ صَادِقٍ لَاؤْنِيَّةٍ^(١) فِيهِ، وَحَرِّمْ نَافِذَ لَامْتَنِيَّةٍ لِرَأْيِكَ بَعْدَ إِصْدَارِهِ، وَصِدِّقْ غَالِبَ لَامَطْمَعٍ فِي تَكْلِيهِهِ، وَمَضَاءِ صَارِمَةٍ لَا أُنَاةَ مَعَهَا^(٢)، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لَا خَلْجَةَ شَكٍّ فِيهَا : فَإِنَّ ذَلِكَ ظَهْرِي صِدِّقٍ لَكَ عَلَى رَدِّعِهَا عَنْكَ، وَقَعِهَا دُونَ مَا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ مِنْكَ ؛ فَهِيَ وَاقِعَةٌ لَكَ مُنْخَطَةٌ رُبَّكَ، دَاعِيَةٌ إِلَيْكَ رِضَا الْعَامَةِ عَنْكَ ، سَائِرَةٌ عَلَيْكَ عَيْبٌ مَن دُونَكَ ؛ فَازِدَنَّ بِهَا مَتَعَلِّيًا، وَأَصِْبْ بِأَخْلَاقِكَ مَوَاضِعَهَا الْحَمِيدَةَ مِنْهَا، وَتَوَقَّ عَلَيْهَا الْآفَةُ الَّتِي تَقْطَعُكَ عَنْ بُلُوغِهَا، وَتُقْصِرُكَ دُونَ شَأُوهَا : فَإِنَّ الْمُثُونَةَ إِنَّمَا أَشْتَدَّتْ مُسْتَضْعِبَةً، وَقَدْ حُتَّ بِهَاظَةً أَهْلُ الطَّلَبِ لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْكَرَمِ الْمُتَحِيلِينَ سُمُو الْقَدْرِ، بِجَهَالَةِ مَوَاضِعِ ذِمِّمِ الْأَخْلَاقِ وَمُجْهَدِهَا، حَتَّى قَرُطَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْآفَاتُ مِنْ جِهَاتٍ أَمِنُوا، فَنَسَبُوا إِلَى التَّقْرِيطِ، وَرَضُوا بِذُلِّ الْمَنْزِلِ، فَاقَامُوا بِهِ جَاهِلِينَ بِمَوْضِعِ الْفَضْلِ، عَمِيهِينَ عَنْ دَرَجِ الشَّرَفِ، سَاقِطِينَ دُونَ مَنَزِلَةِ أَهْلِ الْجَمِّ . فَخَاوِلْ بُلُوغَ غَايَاتِهَا مُحَرِّزًا لَهَا بِسَبْقِ الطَّلَبِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَوْضِعِ، عَصْنًا أَعْمَالَكَ مِنْ الْعُجْبِ : فَإِنَّهُ رَأْسُ الْمَسْئُورِ، وَأَوَّلُ الْقَوَايِ، وَمَقَادُ الْمَلَكَةِ ؛ حَارِسًا أَخْلَاقَكَ مِنَ الْآفَاتِ الْمُتَصِلَةِ بِمَسَاوِي الْأَلْقَابِ وَذِمِّمِ تَنَابُزِهَا، مِنْ حَيْثُ أَتَتْ الْفَغْلَةُ، وَأَنْتَشِرَ الضِّيَاعُ، وَدَخَلَ الْوَهْنُ . فَتَوَقَّ غُلُوبَ الْآفَاتِ عَلَى عَقْلِكَ، فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحَقِّ سَتُظْهِرُ بِأَمَارَاتِهَا تَصْدِيقَ آرَائِكَ عِنْدَ نَوَى الْجَمِّ، وَحَالَ الرَّأْيِ وَخِصِّ النَّظَرِ . فَاجْتَلِبْ لِنَفْسِكَ مَحْمُودَ الذِّكْرِ وَبَاقِيَ لِسَانِ الصَّدِّقِ بِالْحَذَرِ لِمَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) من قولهم اصل ذلك بلاؤنية أى بلا توان .

(٢) هو من قولهم تأني بالأمر رتق ونظر . أى لا رفق معها .

(٣) فى بعض الموقوفات بمساوى الماديات وذمم لثاؤها .

(٤) أى غلبة الآفات ولم تقف على هذا المصدر فى بأيدينا من كتب اللغة .

متحرّزا من دُخُول الآفَاتِ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ أَمْنُكَ وَقَلَّةُ حَقَّتِكَ بِحَكْمِهَا : مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَمْلِكَ أُمُورَكَ بِالْقَصْدِ ، وَتُدَارِيَ جُنْدَكَ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَصُونَ سِرَّكَ بِالْكَيْفَانِ ، وَتُدَاوِيَ حَقْدَكَ بِالْإِنْصَافِ ، وَتُدَلِّلَ نَفْسَكَ بِالْعَدْلِ ، وَتُحَصِّنَ عُيُوبَكَ بِتَقْوِيمِ أَوْدِكَ ، وَتَمْتَعَ عَقْلَكَ مِنْ دُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهِ بِالْعُجْبِ الْمُرْدَى . وَأَنَاتِكَ فَوْقَهَا الْمَلَالُ وَقَوَّتِ الْعَمَلُ ، وَمَضَاءَتِكَ فِدْرَعُهَا رِيَّةُ النَّظَرِ وَآكُمُهَا بَأَنَاءُ الْحِلْمِ . وَخَلُوتِكَ فَأَحْرَمُهَا مِنَ الْفَقْلَةِ وَأَعْيَادِ الرَّاحَةِ ، وَصَمَّتِكَ فَانِيْبٌ عَنْهُ اللَّفْظُ ، وَخَفَّ سَوَاءُ الْقَالَةِ ، وَاسْتَمَيَاكَ فَأَرِيعَ حُسْنَ التَّفَهُمِ ، وَقَوَّهُ بِإِشْهَادِ الْفِكْرِ ، وَعَطَاءَكَ فَأَمَهَّدْ لَهُ بَيُوتَاتِ الشَّرَفِ وَذَوَى الْحَسَبِ ، وَتَحَرَّزْ فِيهِ مِنَ السَّرَفِ وَاسْتَطَالَةِ الْبَذْخِ وَأَمْتَانِ الصَّنِيعَةِ ؛ وَحَيَاكَ فَأَمْتَمَهُ مِنَ التَّجَلُّلِ ، وَبِلَادَةِ الْحَصَرِ ؛ وَحَلَمَكَ فَرِيعَهُ عَنِ التَّهَاوُنِ وَأَحْضَرَهُ قُوَّةَ الشَّيْكِمَةِ ؛ وَعُقُوبَتَكَ فَقَصَّرْهَا عَنِ الْإِفْرَاطِ ، وَتَعَمَّدْ بِهَا أَهْلَ الْإِسْتِحْقَاقِ ؛ وَعَقُوكَ فَلَا تُدْخِلْهُ تَطْيِيلَ الْحُقُوقِ ، وَخُذْ بِهِ وَاجِبَ الْمُفْتَرَضِ ، وَأَقِمْ بِهِ أَوْدَ الدِّينِ ؛ وَاسْتِنْسَاسَكَ فَأَمْتَمْ مِنْهُ الْبَذَاءَ وَسُوءَ الْمُنَاقَنَةِ ^(١) . وَصَهَّدَكَ أُمُورَكَ فَحَدِّهِ أَوْقَاتًا ، وَقُدِّرْهُ سَاعَاتٍ ، لَا تَسْتَفْرِغْ قُوَّتَكَ ، وَلَا تَسْتَدْعِي سَامَتَكَ ؛ وَعِزِّمَاتِكَ فَأَنِيفْ عَنْهَا عَجَلَةَ الرَّأْيِ ، وَاجْتَنِبْ الْإِقْدَامَ ؛ وَفَرَحَاتِكَ فَأَشْكُهَا عَنِ الْبَطَرِ ، وَقِيدْهَا عَنِ الزُّهْوِ ؛ وَرَوَاتِكَ لِحْطَهَا مِنْ دَهْشِ الرَّأْيِ ، وَاسْتَسْلِمِ الْخُضُوعَ ؛ وَحَدَرَاتِكَ فَأَمْتَمْهَا مِنَ الْجُبْنِ ، وَاعْمِدْ بِهَا الْحَزْمَ ، وَرَجَاكَ فَقِيدَهُ بِخَوْفِ الْفَاتِ ، وَأَمْتَمَهُ مِنْ أَمْنِ الطَّلَبِ .

هذه جَوَامِيعُ خِلَالِ دَخَالِ الْقِصَصِ مِنْهَا وَاصِلٌ إِلَى الْعَقْلِ بِطَوَائِفِ أَتْنِهِ وَتَصَارِيفِ حَوِيلِهِ ، فَأَحْكُمُهَا عَارِفًا بِهَا ، وَتَقَدَّمْ فِي الْحِفْظِ لَهَا ، مَعْتَمِرًا عَلَى الْأَخَذِ بِمَرَاشِدِهَا وَالْإِكْتِهَاءِ مِنْهَا إِلَى حَيْثُ بَلَفَتْ بِكَ عِظَمُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَّبَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) يُقَالُ نَاقَتْ فَلَانٌ فَلَانًا بِالْكَلامِ أَذَاهُ انْطَرِ الْقَامُوسُ مَادَّةُ ن ق ث .

ثُمَّ تَتَكُنْ بِطَائِفَتِكَ وَجُلَسَاؤِكَ فِي خَلَوَاتِكَ، وَدُخْلَاؤِكَ فِي سِرِّكَ، أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْوَرَعِ
 مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَعَامَّةِ قُودَاكِ مَنْ قَدْ حَكَمْتَ السَّنَّ بِصَارِيفِ الْأُمُورِ،
 وَخَبَطْتَهُ فِصَالُهَا بَيْنَ فَرَاسِنِ الْبَزْلِ مِنْهَا، وَقَلْبَتَهُ الْأُمُورِ فِي فُنُونِهَا؛ وَرَكِبَ أَطْوَارَهَا:
 عَارِفًا بِخَاسِ الْأُمُورِ وَمَوَاضِعِ الرَّأْيِ وَعَيْنِ الْمَشُورَةِ؛ مَأْمُونًا النَّصِيحَةِ، مُنْطَوِيًا
 الضَّمِيرَ عَلَى الطَّاعَةِ. ثُمَّ أَحْضَرْتَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَقَارًا يَسْتَدْعِي لَكَ مِنْهُمْ الْحَيَّةَ،
 وَأَسْتِنَاسًا يَطْفِئُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْمَوَدَّةَ، وَإِنْصَاتًا يُلْ إِفَاضَتَهُمْ لَهُ عِنْدَكَ بِمَا تَكْرَهُ أَنْ
 يُنْشَرَّ عَنْكَ مِنْ تَخَافَةِ الرَّأْيِ وَضِيَاعِ الْحَزْمِ. وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ هَوَاكَ فَيَصْرِفَكَ عَنْ
 الرَّأْيِ، وَيَقْطِعْكَ دُونَ الْفِكْرِ. وَتَعْلَمُ أَنَّكَ - وَإِنْ خَلَوْتَ بِسِرِّ فَالْقِيَتْ دُونَهُ سُتُورُكَ،
 وَأَغْلَقْتَ عَلَيْهِ أَبْوَابَكَ - فَذَلِكَ لِأَهْلَالَةِ مَكْشُوفٍ لِلْعَامَّةِ، ظَاهِرٌ عَنْكَ وَإِنْ أَسْتَرْتِ [ت]
 بَرِّبْمَا وَلَعَلَّ وَمَا أَرَى إِذَاعَةَ ذِكِّكَ وَأَعْلَمُ، بِمَا يَرَوْنَ مِنْ حَالَاتٍ مِنْ يَتَقَطِّعُ بِهِ
 فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ. فَتَقْصُرُ فِي إِحْكَامِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَأَسْدُدُ خَلْلَهُ عَنْكَ: فَإِنَّهُ
 لَيْسَ أَحَدٌ أَسْرَعُ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَالَةِ وَلَفْطُ الْعَاتَةِ بِخَيْرٍ أَوْ شَرِّ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكَ
 وَمَكَائِكَ الَّتِي أَصْبَحَتْ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ الْمُنْتَظَرِ فَيْكَ. وَلِأَنَّكَ أَنْ
 يُغْمَزَ فَيْكَ أَحَدٌ مِنْ حَامَتِكَ وَبَطَانَةِ خَدَمَتِكَ بِضَعْفَةٍ يَجِدُهَا مَسَاغًا إِلَى النُّطْقِ عَنْكَ
 بِمَا لَا يَحْتَرِكُكَ عَيْنُهُ، وَلَا تَحْتَلُو مِنْ لَائِمَتِهِ، وَلَا تَأْمَنُ سُوءُ الْأَحْدُوثَةِ فِيهِ، وَلَا يَرْخُصُ
 سُوءُ الْقَالَةِ بِهِ إِنْ تَجَمَّ ظَاهِرًا أَوْ عُيِّنَ بِإِدْيَا، وَلَنْ يَحْتَرِثُوا عَلَى تِلْكَ عَنْكَ إِلَّا أَنْ يَرَوْا
 مِنْكَ إِصْفَاءً إِلَيْهَا، وَقَبُولًا لَهَا، وَتَرْخِيصًا لَهَا فِي الْإِفَاضَةِ بِهَا. ثُمَّ لِيَاكَ وَأَنْ يُفَاضَ
 عَنْكَ بَشْيَرٌ مِنَ الْفِكَكَاهَاتِ وَالْحِكَايَا، وَالْمِزَاحِ وَالْمُضَاحِكِ الَّتِي يَسْتَحِفُّ بِهَا أَهْلُ
 الْبَطَالَةِ، وَيَسْرِعُ حُجُومَهَا دُونَ الْجَهَالَةِ؛ وَيَجِدُ فِيهَا أَهْلُ الْحَسَدِ مَقَالًا لِعَيْبٍ يُذَيُّونَهُ،

(١) كلما في الأصل ومفتاح التفكير تعرف والمراد أنه يحذر من نشره بهذه الألفاظ.

وعلمنا في حقِّ يَحْمَدونه ؛ مع ما في ذلك من نقص الرأى ، ودَرَن العُرض ، وهَدَم الشرف ، وتأثيل الغفلة ، وقُوَّة طِباج السوء الكاسية في بني آدم كَكُون النار في الحجر الصلْد ، فإذا قُدِح لاح شَرُّه ، وظَلَبَ ومِضُّه ، ووقَدَ تَضَرُّه . ولبست في أحد أقوى سَطَوَة ، وأظهرَ توقُّدا ، وأعلَى كُونا ، وأسرعَ إليه بالغيب وتَطَرَّقَ الشين منها لمن كان في مثل سِتْك : من أغفال الرجال ودَوَى العُتُون في الحُدَاثَة ، الذين لم يقع عليهم سِمَاتُ الأمور ، ناطقًا عليهم لائِحُها ، ظاهرًا فيهم وتُتْمُها ، ولم تَمَحْضهم شَهَامَتُها ، مظهرًا للعامة فضلهم ، مُذِيعَةً حَسَنَ الذِكر عنهم ؛ ولم يبلغ بهم الصَّبِيَّةُ في الحُنُكَة مستمعًا يَذْفُون به عن أنفسهم نواطِقَ ألسن أهل البُغى ، وموادَّ أبصار أهل الحَسَد .

ثم تعهّد من تفسك لطيف عيب لا زيم لكثير من أهل السلطان والقُدرة : من أبطال الذرع ^(١) ونحوه الشرف واليَّة وعيب الصِّلَف ؛ فإنها تُسرِع بهم إلى فَسادٍ وتهجين عقولهم في مواطن جَمَّة ، وأنحاء مُضْطَرِفة ، منها قِلَّةُ اقْتِنادهم على ضَبْط أنفسهم في مواكبتهم ومسايرتهم العاتية : فمن مَقْلِقِل شخصه بكثرة الالتفات عن يمينه وشماله ، تَرَدِّيهِ الخِطَّة ، ويُطِطره إجلابُ الرجال حَوْلَه . ومن مُقْبِل في مَوَكِبِه على مُدَاعِبَة مُسَاهِرِه بالفاكهة له والتضاحك إليه ، والإيجاف في السير مَرَحًا ، وتحريك الجوارح مَتَسَرِّعًا ، يَحَالُ أن ذلك أسرع له وأحسَّ لطيفته ، فلتَحَسَّن في ذلك هيئتك ، وتَجَمَّل فيه دَعَتِكَ ؛ ولْيَقِلَّ على سَيارِكَ إقبالُك إلا وأنت مُطَرِّق النظر ، غير ملتفتٍ إلى محدث ، ولا مقبل عليه بوجهك في مَوَكِبِكَ لمُحَادَثَتِهِ ، ولا مُوجِف في السير مَقْلِقِل لجوارحك بالتحريك والاستنهاض ؛ فإنَّ حُسْنَ مساهرة الوالي وأتداعه في تلك الحالة دليلٌ على كثير من غُيوب أمره ومستتر أحواله .

(١) في مفتاح الأكتاف «من أبطال البدع» وفي غيره «من أبطال الذرع» وفي كليهما علامة التوقف تأمل .

وأعلم أنت أقواما يتسرعون إليك بالسعاية ، ويأتونك على وجه النصيحة ،
ويستميلونك بإظهار الشفقة ، ويستدعوك بالإغراء والشبهة ، ويوطئوك عشوة
الحيرة : ليجعلوك لهم ذريعة إلى استئصال العامة بموضعهم منك في القبول ^(١) [منهم]
والتصديق لهم على من قرفوه بئمة ، أو أسرعوا بك في أمره إلى القطة ، فلا يصلن
إلى مشافهتك ساجئ بشبهة ، ولا معروف بئمة ، ولا منسوب إلى بدعة [فيرضك]
لإيتاغ دينك ، ويملك على رصيتك بما لا حقيقة له عندك ، ويحكم أعراض
قوم لا علم لك بدخلهم ، إلا بما أقدم [به] عليهم ساعيا وأظهر لك منهم متحصما .
وليكن صاحب شرطك المتولى لإنهاء ذلك هو المنسوب لأولئك ^(٢) ، والمستمع
لأقوالهم ، والفاحص عن نصائحهم ، ثم لينه ذلك إليك على ما يرفع إليه منه
ثأمره بأمرك فيه ، وتقفه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامة : فإن كان صوابا
ناتك خيرته ، وإن كان خطأ أقدم به عليك جاهل أو قرطه سعى بها كاذب
فالت الساعي منهما أو المظلوم عقوبة ، أو بدر من وإليك إليه عقوبة ونكال ،
لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تنسب إلى تفريط ، وخلوت من موضع الذم فيه :
محضرا إليه ذهك وصواب رأيك . وتقدم إلى من تولى ذلك الأمر وتعتمد عليه
فيه أن لا يقدم على شيء ناظرا فيه ، ولا يحاول أخذ أحد طارقا له ، ولا يعاقب

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره وهي لازمة . وفي القاموس في مادة (وت غ) وأوتغ دبه

بالتم أفنده .

(٣) دخل الرجل بالفتح والكسريه وينجه .

(٤) الذى فى "مفتاح الأفكار" وغيره «ولیکن صاحب شرطك ومن أحييت أن يتولى ذلك من قوادك

إليه آتياه ذلك وهو المنسوب الخ » .

أحدا مُتَكَلِّهاً ، ولا يُحَلِّي سَبِيلَ أَحَدٍ صَاحِباً عَنْهُ : لِإِصْحَارِ بَرَاءَتِهِ ، وَجَهَّةِ طَرِيقَتِهِ ؛ حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْكَ أَمْرَهُ ، وَيُنْهِيَ إِلَيْكَ قَضِيَّتَهُ عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ ، وَمَنْحَى الْحَقِّ ، وَيَقِينُ الْخَبَرَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ سَبِيلاً لِمُحْبَسٍ أَوْ مَجَازاً لِعُقُوبَةٍ ، أَمْرَتَهُ بِتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِهِ عَلَيْكَ ، وَلَا مُشَافَهَةِ لَكَ مِنْهُ ؛ فَكَانَ الْمَتَوَلَّى لِلذَّكَاءِ وَلَمْ يَحْرِ عَلَى يَدَيْكَ مَكْرُوهٌ رَأَى وَلَا غِلْظَةً عُقُوبَةٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ إِلَى الْعَفْوِ [عَنْهُ] سَبِيلاً ، أَوْ كَانَ مَأْمُورٌ بِهِ خَلِياً ؛ كُنْتَ أَنْتَ الْمَتَوَلَّى لِلْإِنْسَانِ عَلَيْهِ بِخَلِيَّةِ سَبِيلِهِ ، وَالصَّفْحِ عَنْهُ بِإِطْلَاقِ أَمْرِهِ ؛ فَتَوَلَّيْتَ أَجْرَ ذَلِكَ وَأَسْتَحَقَّقْتَ دُخْرَهُ ، وَأَنْطَقْتَ لِسَانَهُ بِشُكْرِكَ ، وَطَوَّقْتَ قَوْمَهُ حِمْلَكَ ، وَأَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ حَقَّكَ ؛ فَفَرَّقْتَ بَيْنَ خَصَمَتَيْنِ ، وَأَحْرَزْتَ حُطُوتَيْنِ : ثَوَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَمُجُودَ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا .

ثُمَّ وَإِذَاكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِكَ وَجُلَسَائِكَ وَخَاصَّتِكَ وَبِطَانَتِكَ بِمَسْأَلَةٍ يَكْشِفُهَا لَكَ ، أَوْ حَاجَةً يَبْدُئُكَ بِطَلِبِهَا ، حَتَّى يَرْفَعَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِكَ الَّذِي أَهْدَفْتَهُ لِلذَّكَاءِ وَنَصَبْتَهُ لَهُ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْكَ مُنْبِئاً لَهَا عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ عَنْهَا ، وَتَكُونُ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ قَدَرِهَا : فَإِنْ أَرَدْتَ إِسْعَافَهُ بِهَا وَنَجَاحَ مَسْأَلِهَا مِنْهَا ، أَذِنْتَ لَهُ فِي طَلِبِهَا ، بِأَسْطَلِّهِ كَفْكَ ، مُقْبِلاً عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ ؛ مَعَ ظُهُورِ سُورُوكَ بِمَا سَأَلَكَ ، وَفُسْحَةٍ رَأَى وَبَسْطَةِ ذَرْعٍ ، وَطَبِيبِ نَفْسٍ . وَإِنْ كَرِهْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ، وَأَحْبَبْتَ رَدَّهُ عَنْ طَلِبَتِهِ ؛ وَتَقَلَّ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ إِلَيْهَا ، وَإِسْعَافُهَا بِهَا ، أَمَرْتَ كَاتِبَكَ بِفَصْحَةِ عَنْهَا ، وَمَنْعِهِ مِنْ مُوَاجَهَتِكَ بِهَا ؛ نَخَفْتُ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْمُثُونَةَ ، وَحَسَنَ لَكَ الذِّكْرُ ، وَلَمْ يُثَرِّعْ عَنْكَ تَجَهُّمُ الرَّدِّ ، وَيَتَلَكَ سُوءُ الْقَالَةِ فِي الْمَنْعِ ، وَحَمَلَ عَلَى كَاتِبِكَ فِي ذَلِكَ لِأَمَّةٍ أَنْتَ مِنْهَا بِرِيءٌ السَّاحَةِ .

(١) أى لوضوح براءته فى حديث على فأحضر لصدرك أى من أمره على أمر واضح انظر السان

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرُّسل ، فلا يصِلَنَّ إليك أحدٌ منهم إلَّا بعد وصول علمه إليك ، وعلم ماقدِّم له عليك ، ووجهه ما هو مملَّك به ، وقدر ما هو سائلُك إياه إذا هو وصل إليك ، فأصدرت رأيك في حوائجه ، وأجلت فكرُك في أمره ، وأخترت معترِماً على إرادتك في جوابه ، وأقنعت مضذور رويِّتك في مرجوع مسأله قبل دُخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله إليك ، فرفعت عنك مشوَّنة البديهة ، وأرخت عن نفسك خِناق الروية ، وأقنعت على ردِّ جوابه بعد النظر وإزالة الفكر فيه . فإن دخل إليك أحدٌ منهم فكلّمك بخلاف ما أنهى إلى كاتيك وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا جميلا ، ومنعته جوابك متعا وديما ؛ ثم أمرت حاجبك بإظهار الحقوة له ، والنظلة عليه ، ومنعه من الوصول إليك ؛ فإن ضبطك لذلك مما يُحْكِم لك تلك الأسباب ، صارقا عنك مشوَّنتها ، ومسهلا عليك مستصعبها .

احذر تضییع رأيك وإمهالك أدبَك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما إياك ، فلا يزدهينك إفراطُ عجب تستخفك روائعه ، ويستهبوك منظره ، ولا يبدرك منك ذلك خطأ وتزق خفة لمكروه إن حلَّ بك ، أو حادث إن طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجأ تتحرز به من آفات الردي ، وتستعصد^(١) في موهم النازل ، وتسمقب به أمورك في التدبير . فإن أحتجت إلى مادة من عقلك ، وروية من فكرك ، أو أنيساط من منطقك ؛ كان آميأزك إلى ظهريك مُردادا مما أحببت الإمتياح منه والإمتيار ؛ وإن استدبرت من أمورك بوادر جهل أو مضى زلل أو معاندَةٌ حق أو خطئٌ تدبير ، كان ما أحتجت إليه من رأيك عُذرا لك عند

(١) في رسائل البهاء، وتستهده في مهم نازل .

(٢) كلا في القتح ورسائل البهاء، أيضا ولعله وإن أبدرت الخ - تأمل .

تَسْك، وظَهْرًا قَوِيًّا عَلَى رَدِّ مَا كَرِهْتَ، وَتَخْفِيقًا لِمُتَوَنِّةِ الْبَاغِينَ عَلَيْكَ فِي الصَّلَاةِ
وَأَنْتِشَارِ الذِّكْرِ؛ وَحِصْنًا مِنْ غُلُوبِ الْآفَاتِ عَلَيْكَ، وَأَسْتِعْلَامًا عَلَى اخْلَاقِكَ .

وَأَمْنًا أَهْلَ بَهَائِكَ وَخَاصَّةً خَدَمِكَ مِنْ أَسْطِغَامِ أَعْرَاضِ النَّاسِ عِنْدَكَ بِالْفِيَةِ،
وَالْتَقَرُّبِ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ، وَالْإِغْرَاءِ مِنْ بَعْضِ بَعْضٍ؛ أَوِ الثَّمِيمَةِ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنْ
أَحْوَالِهِ الْمُسْتَتِرَةِ عَنْكَ، أَوِ التَّحْمِيلِ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِوَجْهِ النَّصِيحَةِ وَمَنْهَبِ
الشَّفَقَةِ : فَإِنَّ ذَلِكَ أَلْبَسُ بِكَ سُوءًا إِلَى مَنَالَةِ الشَّرَفِ، وَأَعُوذُ لَكَ عَلَى نُجُودِ الذِّكْرِ،
وَأُطْلِقُ لِنِانِ الْفَضْلِ فِي جَزَالَةِ الرَّأْيِ وَشَرَفِ الْهِمَّةِ وَقُوَّةِ التَّنْدِيرِ .

وَأَمَّاكَ تَسْك عَنْ الْإِنْبِطَاسِ فِي الضَّعْفِ وَالْإِفْهَاقِ، وَعَنِ الْقُطُوبِ بِإِظْهَارِ
الْفَضْبِ وَتَحْلِهِ : فَإِنَّ ذَلِكَ ضَعْفٌ عَنْ مِلْكِ سَوْرَةِ الْجَهْلِ، وَخُرُوجٌ مِنْ أَتَّحَالِ أَسَمِ
الْقَضْلِ . وَلَيْسَ بِحَيِّكَ تَبْنًا أَوْ كَثْرًا فِي أَحَاطِينَ ذَلِكَ وَأَوْقَاتِهِ، وَعِنْدَ كُلِّ رَاحٍ
مُسْتَحْفٌ مُطْرِبٌ، وَقُطُوبُكَ إِطْرَاقًا فِي مَوَاضِعِ ذَلِكَ وَأَحْوَالِهِ، بَلَا عَجَلَةٍ إِلَى
السَّطْوَةِ، وَلَا إِسْرَاجٍ إِلَى الطَّيْرِ، دُونَ أَنْ يَكُنْفَهَا رَوِيَّةُ الْحِلْمِ؛ وَتَمْلِكَ عَلَيْهَا بِادْرَةِ
الْجَهْلِ .

إِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسِ مَلِّكَ، وَحَيْثُ حَضُورُ الْعَامَةِ مَجْلَسِكَ، فَإِيَّاكَ وَالرَّمْيَ بِنَظَرِكَ
إِلَى خَاصٍّ مِنْ قَوَادِكَ، أَوْ ذِي أَثَرَةٍ عِنْدَكَ مِنْ حَشَمِكَ . وَلَيْسَ بِنَظَرِكَ مَقْصُومًا
فِي الْجَمْعِ، وَإِرَاعَتِكَ تَمْتَعُكَ ذَا الْحَدِيثِ بِدَعَايَةِ هَادِيَةٍ، وَوَقَائِرِ حَسَنِ، وَحَضُورِ
قَهْمٍ مَجْمُوعٍ، وَقِلَّةِ تَفَضُّعٍ بِالْمَحَلِّثِ . ثُمَّ لَا يَرِجُ وَجْهُكَ إِلَى بَعْضِ حَرَمِكَ وَقَوَادِكَ
مَتَوَجِّهًا بِنَظَرٍ رَكْبِينَ، وَتَقْقُدُ مَحْضَ . وَإِنْ وَجَّهَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَظْرَهُ مُحَدِّقًا،
أَوْ رَمَاكَ بِبَصَرِهِ مُلِمًّا، فَاخْفُضْ عَنْهُ إِطْرَاقًا جَمِيلًا بِاتِّدَاعِ وَسُكُونِ . وَإِيَّاكَ

والتسرع في الإطراق ، والحققة في تصريف النظر ، والإلحاح على من قصد إليك في مخاطبته إياك راقماً بنظره .

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَصَفُّحَكَ وَجْهَ جِلسَاتِكَ وَتَقَفُّدَكَ بِجَالِسِ قُودَاكَ ، مِنْ قُوَّةِ التَّنْذِيرِ ، وَشَهَامَةِ الْقَلْبِ ، وَذِكَاةِ الْفِطْنَةِ ، وَاتِّبَاهِ السَّنَةِ . فَتَقْدُّ ذَلِكَ عَارِفاً بِمَنْ حَضَرَكَ وَغَابَ عَنْكَ ، عَالِماً بِمَوَاضِعِهِمْ مِنْ مَجْلِسِكَ ، ثُمَّ أَعْلَبَهُمْ عَنْ ذَلِكَ سَائِلاً لَمْ عَنْ أَشْغَالِهِمُ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ مِنْ حُضُورِ مَجْلِسِكَ ، وَعَاقِبَتِهِمْ بِالتَّخَلُّفِ عَنْكَ .

إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ حَشَمِكَ وَأَعْوَانِكَ يَتَّقِي مِنْهُ بَغِيْبٍ ضَمِيرٍ ، وَتَعْرِفُ مِنْهُ لِيْنَ طَاعَةٍ ، وَتُشْرِيفُ مِنْهُ عَلَى صِحَّةِ رَأْيٍ ، وَتَأْمَنُ عَلَى مَشُورَتِكَ ، فَيَاكَ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَدِيثٍ يَرِدُ عَلَيْكَ ، وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَهُ بِنَظَرِكَ عِنْدَ طَوَارِقِ ذَلِكَ ، وَأَنْ تُرِيَهُ أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَجْلِسِكَ أَنَّ بَكَ حَاجَةً إِلَيْهِ مُوحِشَةً ، أَوْ أَنَّ لَيْسَ بِكَ عَنْهُ غِنًى فِي التَّنْذِيرِ ، أَوْ أَنَّكَ لَا تَقْضِي دُونَهُ رَأْيًا ، إِشْرَاكَاً مِنْكَ لَهُ فِي رِوَيْتِكَ ، وَإِدْخَالًا مِنْكَ لَهُ فِي مَشُورَتِكَ ، وَأَضْطِرَارًا مِنْكَ إِلَى رَأْيِهِ فِي الْأَمْرِ يَعْزُوكَ : فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَخَائِلِ الْعُيُوبِ الَّتِي يَنْتَشِرُ بِهَا سُوءُ الْقَالَةِ عَنْ نَظَائِكَ فَانْفِهَا عَنْ نَفْسِكَ خَائِفًا لِعِتْلَاقِهَا ذِكْرَكَ ، وَأَجْمِبْهَا عَنْ رِوَيْتِكَ قَاطِعًا لِأَطْلَاعِ أَوْلِيَاكَ عَنْ مِثْلِهَا عِنْدَكَ ، أَوْ غُلُوبِهِمْ عَلَيْهَا مِنْكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلشُّورَةِ مَوْضِعَ الْخُلُوءِ وَانْقِرَادَ النَظَرِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ غَايَةً تُحِيطُ بِمُحْسُودِهِ ، وَتَجْمَعُ مَعَالِيَهُ . فَأَيُّهَا مُحَرِّزُهَا ، وَرُمْهَا طَالِبًا لِنَيْلِهَا ، وَإِيَّاكَ وَالْقُصُورَ عَنْ غَايَتِهَا أَوْ الْعِزَّ عَنْ دَرَكِهَا ، أَوْ التَّفْرِيطَ فِي طَلِبِهَا . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إِيَّاكَ وَالْإِغْرَامَ عَنْ حَدِيثِ مَا عَجَبَكَ ، أَوْ أَمْرٍ مَا أَزْدَعَاكَ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، أَوْ الْقَطْعَ لِحَدِيثٍ مَنْ أَرَادَكَ بِمَحْدِثِهِ حَتَّى تَقْضِيَهُ عَلَيْهِ بِالْخَوْصِ فِي غَيْرِهِ أَوْ الْمَسْأَلَةِ

عما ليس منه : فإن ذلك عند العامة منسوب إلى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول
محاسن الأمور والمعرفة بمساوئها ، ولكن أنصت لمحدثك وأرعه سمعك حتى تعلم أن
قد فهمت حديثه ، وأحطت معرفة بقوله : فإن أردت إجابته فمن معرفة بحاجته
وبعد علم بطلينه ؛ وإلا كنت عند آهضاء كلامه كالمتعجب من حديثه بالتهشم^(١)
والإغضاء ، فأجزئ عنك الجواب ، وقطع عنك السن العتب .

إياك وأن يظهر منك تبهم بطول مجلسك ، أو تضجر من حصرك ، وعليك
التثبت عند سورة الغضب ، وحيمة الأنف ، وملا ل الصبر في الأمر تستعجل به
والعمل تأمر بإنفاذه ؛ فإن ذلك يخفف شائنه ، وخفة مُريدته ، وجهالة باديه .
وعليك بنبوت المنطق ، ووقار الخيل ، وسكون الريح ، والرقص لحشو الكلام ،
والترك لقضوله . والإغرام بالزيادات في منطقك والترديد للفظك : من نحو أسمع ،
وأفهم عني ، ويأهنا ، وألا ترى ؛ أو ما يُهَجج به من هذه الفضول المقصرة بأهل
العقل ، الشائنة لنوى الجحى في المنطق ، المنسوبة إليهم بالي ، المُريرة لهم بالذكر .
وخصال من معائب الملوك والشوكة عنها غيبة النظر إلا من عرفها من أهل
الأدب ، وقلها حامل لها ، مضطلع بها ، صابر على ثقلها ، أخذ لنفسه بجوامعها .
فانفها عن نفسك بالتحفظ منها ، وأملك عليها أعتيادك إياها معتنيا بها : منها كثرة
التنخم ، والتبصق ، والتنثع ، والتؤباء ، والتعطي ، والجشأ ، وتحريك القدم ،
وتنقيص الأصابع ، والعبث بالوجه والحية أو الشارب أو المخصرة أو دؤابة السيف ،
أو الإيماض بالنظر ، أو الإشارة بالطرف إلى بعض خدمك بأمر إن أردته ، أو السرار
في مجلسك ، أو الاستعجال في طعمك أو شربك . ولكن طعمك متدعا ، وشربك

(١) في المفتاح وغيره كالتمطل وهي واضحة .

(٢) مراده والترك للاغرام أى الروع بازىادات الخ فهو من المنسى عنه دليل بقية الكلام فنه .

أنفاساً، وجرعاً مَصّاً . وإِيَّاكَ والتسرعُ إلى الإيمان فيما صَغُرَ أو كَبُرَ من الأمور،
والشَّيْئَةُ بقول يا ابنَ الهَنَاءِ ؛ أو التَّمِيْزَةُ لأحد من خاصَّتكَ بتسويغهم مقارَنة
الفسوق بحيث محضرك أو دارك وفناؤك : فَإِنَّ ذلك كله مما يَجُحُّ ذكره ، ويسوءُ
موقع القول فيه ؛ وتحملُ عليك معاييه ، وبنالك شَيْنَه ، وينتشرُ عليك سوءُ النِّبَا به .
فَاعْرِفْ ذلك متوقِّاً له ، وآخِذْهُ مجانباً لسوءِ عاقِبته .

أَسْتَكْبِرُ من فوائد الخير : فإنها تَنُشِّرُ المحمَّدة ، وتُخِيلُ العَفْرة ؛ وأَصِرُّ على كَظْمِ
الغيظ : فإنه يُورِثُ الراحة ، ويُوَمِّنُ السَّاحة ؛ وتَهْدِيُ العامةَ بِمعرفة دَخْلِهِمْ ، وتَبْطِئُ
أحوالهم ، وأسْتَأْذِنُ دَفَائِلَهُمْ ؛ حتَّى تَكُونَ منها على رَأْيِ عَيْنٍ ، وَيَقِينِ خُبْرَةٍ ؛ فَتَنْتَشِ
عَدِيمَهُمْ ، وَتَجِيرُ كَبِيرَهُمْ ؛ وَتَقِيْمُ أَوْدَهُمْ ، وَتَعْلَمُ جَاهِلَهُمْ ، وتَسْتَصْلِحُ فَاسِدَهُمْ : فَإِنَّ
ذلك من فِطْكَ بِهِمْ يُورِثُكَ الْعِزَّةَ ، وَيَقْدَسُكَ فِي الْفَضْلِ ؛ وَيُنَبِّئُكَ لَكَ لِسَانَ الصِّدْقِ
فِي الْعَاقِبَةِ ، وَيُخَوِّزُكَ لَكَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ، وَيُرْدُّ عَلَيْكَ عَوَاطِفَهُمُ الْمُسْتَنْفِرَةَ مِنْكَ ، وَقُلُوبَهُمْ
الْمُنْتَحِيَةَ عَنْكَ .

قِسْ بَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الدِّينِ وَالْجَبَا وَالرَّأْيِ ، وَالْعَقْلِ وَالنَّذِيرِ ،
وَالصَّبْرِ فِي الْعَاسَةِ ، وَبَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ النِّقْصِ فِي طَبَقَاتِ الْفَضْلِ وَأَحْوَالِهِ ،
وَالْخَمُولِ عِنْدَ مُبَاهَاةِ النَّسَبِ ؛ وَأَنْظُرْ بِصُحْبَةِ أَهْمِ سَأَلٍ مِنْ مَوَدَّةِ الْجَمِيلِ ، وَتَسْتَجِيعِ
لَكَ أَقَاوِيلِ الْعَامَةِ عَلَى التَّفْضِيلِ ؛ وَتَبْلُغْ دَرَجَةَ الشَّرَفِ فِي أَحْوَالِكَ الْمَتَصَرِّفَةِ بِكَ .
فَاعْتَمِدْ عَلَيْهِمْ مُدْخِلاً لَمْ فِي أَمْرِكَ ، وَأَتَرِّمْ بِجِالَسَتِكَ لَمْ مُسْتَمِعاً مِنْهُمْ ؛ وَإِيَّاكَ
وَتَضِيْعَهُمْ مَفْزُطاً ، وَإِهْمَالَهُمْ مُضِيْعاً .

هذه جوامعُ خصالٍ قد تلخَّصها لك أميرُ المؤمنين مُفسِّراً ، وجمع لك شوائبها
مؤلفاً ، وأهداها إليك مُرَشِّداً ؛ فقف عند أواميرها ، وتناه عن زواجرها ، وتثبت

في مجامعها؛ وخذ بوثاق عراها تسلم من معاتب الردى، وتسل أنفس الحظوظ
ورغيب الشرف، وأعل درج الذكر، وتأمل سطر العز (١) والله يسأل لك أمير المؤمنين
حسن الإرشاد، وتتابع المزيد وبلوغ الأمل، وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غبطة
يسوءك إياها، وعافية يهلك أكلانها، ونعمة يلهيك شكرها : فإنه الموفق للخير،
والمعين على الإرشاد؛ منه تمام الصالحات، وهو موفق الحسنة، عنده مفاتيح
الخير، وبيده الملك وهو على كل شيء قدير.

فإذا أفضيت نحو عدوك، وأعترمت على لقائهم، وأخذت أهبة قتالهم، فاجعل
دعائك التي تلجأ إليها، وتفتك التي تأمل النجاة بها، ورؤيتك التي ترمي منالة
الظفر به، وتكتف به لعلالي الحذر تقوى الله مستشعرا لما يراقبه، والاعتصام
بطاعته متبعا لأمره، مجتنباً لسخطه، محتذياً سنته، والتوق لمعاصيه في تعطيل
حدوده، أو تعدى شرائعه؛ متوكلاً عليه فيما صمدت له، واقفاً بنصره فيما توجهت
نحوه، متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر، وتقالك من عز، راعياً فيما أهاب^(١)
بك أمير المؤمنين إليه من فضل الجهاد ورعى بك إليه، محمود الصبر فيه عند الله من
قتال عدو المسلمين، أكلبهم عليه وأظهره عداوة لهم، وأفدحه قتلاً لعائتهم، وآخذ
بريقهم، وأعلاه عليهم بنيا، وأظهره عليهم فسقا وبحورا، وأشدته على قبيحهم الذي
أصاره الله لهم وقته عليهم مشونة وكلاً . والله المستعان عليهم، والمستنصر على
جماعتهم، عليه يتوكل أمير المؤمنين، وإياه يستصرخ عليهم، وإليه يفوض أمره
وكفى بالله ولياً وناصراً ومعيناً، وهو القوى العزيز.

(١) هو قولهم أهاب بالليل إذا دعاها فقه .

ثم خُذْ مَنْ مَعَكَ مِنْ ثُبَاكَ وَجُنْدِكَ بِكَفِّ مَعَرَّتِهِمْ ، وَرَدِّ مَشْتَمِلِ جَهْلِهِمْ ،
وإِحْكَامِ ضِيَاعِ عَمَلِهِمْ ، وَصَمِّ مَشْتَرِ قَوَاصِيهِمْ ، وَلَمْ شَعَتْ أَطْرَافُهُمْ ، وَتَقِيلِهِمْ عَمَّنْ
مَرَوْا بِهِ مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِكَ وَمِلَّتِكَ بِحُسْنِ السَّيْرِ ، وَعَقَافِ الطَّعْمَةِ ، وَدَعَةِ الْوَقَارِ ، وَهَدَى
الدُّعَا ، وَحِمَامِ الْمُسْتَحْجِ ، مُحْكَمَا ذَلِكَ مِنْهُمْ ، مُتَقَدِّمًا لَهُمْ تَقَدُّدَكَ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِكَ .
ثم أَصْحَيْهِ لِمَدْوَلِكَ الْمُتَسَمَّى بِالْإِسْلَامِ ، الْخَارِجِ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِهِ ، الْمُتَحِلِّ لِوَالِيَّةِ الدِّينِ
مُسْتَحْلًا لِمَاءِ أَوْلِيَائِهِ ، طَاعَةً عَلَيْهِمْ ، رَاغِبًا عَنْ سُتُوتِهِمْ ، مُفَارِقًا لَشَرَائِعِهِمْ ، يَتَّبِعُهُمُ
الْفَوَائِلُ ، وَيَنْصِبُ لَهُمُ الْمَكَائِدَ ؛ أَضْرَمُ حَقْدًا عَلَيْهِمْ ، وَأَرْصَدُ عِدَاوَةً لَهُمْ ، وَأَطْلُبُ
لِفِتْرَاتِ فُرُوسِهِمْ مِنَ التَّرَكِّ ، وَأُتَمِّ الشَّرْكَ ، وَطَوَاغِي الْمَلَلِ ؛ يَدْعُو إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفُرْقَةِ ،
وَالْمُرُوقِ مِنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى الْفِتْنَةِ ، غَمَرَطَ بِهِوَهِ الْأَدْيَانِ الْمُشْتَلَّةِ وَالْبِدْعِ الْمُتَفَرِّقَةِ
خَسَارًا وَتَحْصِيرًا ، وَضَلَالًا وَتَضْلِيلًا ، بِغَيْرِ هَدًى مِنْ اللَّهِ وَلَا بَيَانٍ . سَاءَ مَا كَسَبَتْ
لَهُ يَدَاهُ [وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ^(١)] وَسَاءَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ، وَاللَّهُ مِنْ
وَرَائِهِ بِالْمِرْصَادِ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

حَصَّنْ جُنْدَكَ ، وَأَشْكَمْ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ ، وَأَرْجُ نَصْرَهُ ، وَتَجَرَّ
مَوْعُودَهُ ، مُتَقَدِّمًا فِي طَلَبِ ثَوَابِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ ، مُعْتَرِمًا فِي آتِفَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ عَلَى
لِقَائِهِمْ : فَإِنَّ طَاعَتَكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، وَمِرَاقِبَتَكَ لَهُ وَرِجَاعَكَ نَصْرَهُ مُسَهِّلٌ لَكَ وَوَعُورَهُ ،
وَعَاصِيَتُكَ مِنْ كُلِّ سُبَّةٍ ، وَمُنْتَجِبُكَ مِنْ كُلِّ هُوَةٍ ، وَتَاعِيَتُكَ مِنْ كُلِّ صَرَعَةٍ ، وَمُقِيلُكَ
مِنْ كُلِّ كِبُورَةٍ ، وَدَارِيٌّ عَنْكَ كُلِّ شُبْهَةٍ ، وَمُنْهَبٌ عَنْكَ لَطْفَةٍ كُلِّ شَكٍّ ، وَمُقَوِّيكَ
بِكُلِّ أَيْدٍ وَمَكِيدِهِ ، وَمُعِزُّكَ فِي كُلِّ مَعَرَكَةٍ قِتَالٍ ، وَمُوَيْدُكَ فِي كُلِّ تَجَمُّعٍ لِقَاءٍ ، وَكَالِئُكَ

(١) الزيادة عن "فتح الأفكار" ص ٢٤٣ .

عند كل فتنة مُغْشِيه ، وحائطك من كل شبهة مُرْدِيه ، والله وليك وأمير المؤمنين
فيك ، والمستخلف على جُنْدِكَ وَمَنْ مَعَكَ .

اعلم أنَّ الظفر ظَفَرَان : أحدهما وهو أعم منفعة ، وأبلغ في حُسْن الذِكر قَالَةً ،
وأحوطه سَلَامَةٌ ، وأتمه عَافِيَةٌ ، وأحسنه في الأمور وأعلاه في الفضل شرقاً ،
وأصحّه في الرويَّة حَزْمًا ، وأسلمه عند العامة مَصْدَرًا - ما نيلَ بِسَلَامَةِ الجُنُودِ ،
وحُسْنِ الحِيلَةِ ، ولطف المَكِيدَةِ [وَمِنْ النِّقِيَّةِ^(١)] وَأَسْتِزَالِ طَاعَةِ ذَوِي الصُّدُوفِ
بغير إخطار الجيوش في وقعة جمره الحرب ، ومبارزة الفُرسَانِ في معركه الموت ؛
وإن ساعدتك طُلُوقُ الظَّفَرِ ، ونالكَ مَرِيدُ السَّعَادَةِ في الشرف ؛ ففى مُحَاطَةِ التَّلَفِ
مكروه المصائب ، وعِصَاضُ السِّبُوفِ وألَمُ الحِرَاحِ ، وقِصَاصُ الحُرُوبِ وبِحَاجَتِهَا
بُغَاوَرَةُ أَطْطَالِهَا . على أَنَّكَ لَا تَدْرِي لَأَيِّ يَكُونُ الظَّفَرُ فِي الْبَدِيَةِ ، وَمِنْ الْمَخْلُوبِ
بِالدَّوْلَةِ ، ولعلَّكَ أَنْ تَكُونَ الْمَطْلُوبَ بِالتَّحْجِصِ . فحاولْ إصَابَةَ أَلْبَغِيهَا فِي سَلَامَةِ
جُنْدِكَ وَرِعْيَتِكَ ، وأشهرهما صِيَّتًا فِي بُنَى تَدِيرِكَ وَرَأْيِكَ ، وأجمعهما لَأَفْقَةً وَلِيَّتِكَ
وَعُدُوكَ ، وأعزّيهما على صلاح رعيّتك وأهل ملّتك ، وأقوامها شِكْمَةٌ فِي حَزْمِكَ ،
وأجدهما مِنْ وَضَمِ عَزْمِكَ ، وأعْلَقَهُمَا بِرِمَامِ النِّجَاحِ فِي آخِرَتِكَ ، وأَجْزِلُهَا نَوَابًا
عند رَبِّكَ .

وأبدأ بالإعذار إلى عُدُوكَ ، والدُّعَاءِ لَهُمْ إِلَى مَرَاجَعَةِ الطَّاعَةِ ، وأمر الجماعة ، وعِزِّ
الأُفْقَةِ ، أَخْذًا بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، متَقَلِّمًا بِالْإِنْدَارِ لَهُمْ ، بِاسْطِطَاعَتِكَ لِمَنْ بَلَغَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ،
دَاعِيًا [لَهُمُ الْيَسِيرُ^(٢)] بِالْأَيْنِ لِفُظِّكَ وَالطَّفِ حَيْلِكَ ، متَعَطِّفًا بِرَأْفَتِكَ عَلَيْهِمْ ، مَرَقِّقًا بِهِمْ

(١) أى ملهمة سوداء من قولهم أغشى الليل إذا أظلم - تأمل .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٤ وغيره .

في دُعائك ، مُشْفِقًا عليهم من غَلَبَةِ النَّوَايَةِ لهم ، وإِسْطَاةِ الْمَلَكَةِ بهم ، مُغْنًا رُسُلَكَ
إليهم بِعَدِّ الْإِنْذَارِ ، تَيْدُهُمْ إعْطَاءَ كُلِّ رَغْبَةٍ يَبْشُرُ إِلَيْهَا طَمَعُهُمْ فِي مَوَاقِفِ الْحَقِّ ، وَبَسْطَ
كُلِّ أَمَانٍ سَأَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ يَتَّبِعُهُمْ ؛ مَوْطِنًا نَفْسَكَ فِيمَا تَبْسُطُ لَهُمْ مِنْ
ذَلِكَ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَهْدِكَ ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أُعْطِيَتْهُمْ مِنْ وَثَاقٍ عَقْدِكَ ؛ قَابِلًا تَوْبَةَ نَازِعِهِمْ
عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَمُرَاجَعَةً مُسَيِّئِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ ؛ مُرْصِدًا لِلنُّحَازِ إِلَى فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ
وِجْمَاعِهِمْ إِبَاجَةً إِلَى مَادَعُوتهُ إِلَيْهِ وَبَصَرَتِهِ لِيَأْهُ مِنْ حَقِّكَ وَطَاعَتِكَ ، بِفَضْلِ الْمُنْزِلَةِ ،
وَالْإِكْرَامِ الْمُتَوَسَّى ، وَتَشْرِيفِ الْجَاهِ . وَلْيُظْهِرْ مِنْ أَتْرَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَابِكَ [إِلَيْهِ]
مَا يَرْغَبُ فِي مِثْلِهِ الصَّادِقُ عَنْكَ ، الْمُصْرُّ عَلَى خِلَافِكَ وَمَعْصِيَتِكَ ؛ وَيَدْعُو إِلَى
أَعْلَاقِ حَبْلِ النِّجَاةِ وَمَا هُوَ أَمْلَكَ بِهِ فِي الْإِعْتِصَامِ عَاجِلًا ، وَأُنْجِي لَهُ مِنَ الْعِقَابِ
أَجَلًا ، وَأَحْوَطْهُ عَلَى دِينِهِ وَمُهْجَتِهِ بِدَهْءٍ وَعَاقِبَةٍ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مِنْ اللَّهِ
نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعِزُّدُهُ بِهِ فِي تَهْدِيمِهِ الْجَمْعَةَ إِلَيْهِمْ ، مُعْذِرًا أَوْ مُنْذِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ أَذْكُ عِيُونَكَ عَلَى عَدُوِّكَ مُتَطَلِّمًا لِمِ أَحْوَالِهِمُ الَّتِي يَقْبَلُونَ فِيهَا ، وَمَنَازِلِهِمُ الَّتِي
هُمْ بِهَا ، وَمَطَامِعِهِمُ الَّتِي قَدِمْتُمْ أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهَا ؛ وَأَيُّ الْأُمُورِ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الصُّلْحِ ،
وَأَقْوَدُهَا لِرِضَاهُمْ إِلَى الْعَاقِبَةِ ، وَأَسْهَلُهَا لِاسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ ، وَمِنْ أَيِّ الْوُجُوهِ مَأْتَاهُمْ :
أَمِنْ قَبْلِ الشُّكِّ وَالْمُنَافَرَةِ وَالْمَكِيدَةِ وَالْمُبَاعَدَةِ وَالْإِرْهَابِ وَالْإِعَادِ ، أَوْ التَّرْغِيبِ
وَالْإِطَاعِ ، مُتَبَيِّنًا فِي أَمْرِكَ ، مُتَخَيِّرًا فِي رُؤْيَيْكَ ، مُسْتَمْتَكًا مِنْ رَأْيِكَ ، مُسْتَشِيرًا لِنُصْوَى
النَّصِيحَةِ الَّذِينَ قَدْ حَكَّمْتَهُمُ السَّنَّ ، وَخَبَطْتَهُمُ التَّجَرِبَةَ ، وَجَدَّيْتَهُمُ الْحُرُوبَ ؛ مُشْرَعًا^(١)
فِي حَرْبِكَ ، آخِذًا بِالْحَزْمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مُعْتَدًا لِلدَّرِّ ، مُحْتَرِسًا مِنَ الْفِرَةِ ؛ كَأَنَّكَ
فِي مَسِيرِكَ كُلَّهُ وَتُرُوكَ أَجْمَعَ مُوَاقِفَ لَعْدُوكَ رَأَى عَيْنٍ تَنْتَظِرُ حَمَلَاتِهِمْ ، وَتُخَوِّفُ

كَرَّاهِيهِمْ، مُعِدًّا أَقْوَى مَكَائِدِكَ، وَأَرْهَبَ عِتَادِكَ، وَأَنْكَأَ جُنُودَكَ، وَأَجَدَّ تَسْمِيرِكَ؛ مَعْقِلًا
أَمْرَ عَدُوِّكَ لِأَعْظَمَ مَا بَلَغَكَ، حَدًّا يَكَادُ يَفْرِطُ^(١) : لِنَعْمَتِهِ مِنَ الْإِحْتِرَاسِ عَظِيمًا، وَمِنْ
الْمَكِيدَةِ قَوِيًّا؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْتَأَكَ ذَلِكَ عَنْ إِحْكَامِ أُمُورِكَ، وَتَدْيِيرِ رَأْيِكَ، وَإِصْدَارِ
رَوَيْتِكَ، وَالتَّأَهُبِ لِمَا يَحْزُبُكَ؛ مَصْغَرًا لَهُ بَعْدَ اسْتِشْعَارِ الْحِذَرِ، وَأَضْطِجَارِ الْحَزْمِ،
وِإِعْمَالِ الرُّيُوتِ، وَإِعْدَادِ الْأَهْبَةِ : فَإِنَّ أَقْبَتَ عَدُوِّكَ كَلِيلَ الْحَذِّ، وَقَمَّ الْحَزْمِ،
نَضِيبُ الْوَفْرِ، لَمْ يَضُرَّكَ مَا اعْتَدَدْتَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ، وَأَخَذْتَ لَهُ مِنْ حَزْمٍ؛ وَلَمْ يَزِدْكَ
ذَلِكَ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْهِ، وَتَسْرَعًا إِلَى لِقَائِهِ . وَإِنْ أَلْفَيْتَهُ مُتَوَقِّدَ الْحَرْبِ، مُسْتَكْتَفٍ
الْجَمْعِ، قَوِيَّ التَّبَعِ، مُسْتَعْلِي سَوْرَةِ الْجَهْلِ؛ مَعَهُ مِنْ أَعْوَانِ الْفِتْنَةِ وَتَبَعِ الْإِلْيَاسِ مِنْ
يُوقِدُ لَهَبَ الْفِتْنَةِ مَسْعَرًا، وَيَتَقَدَّمُ إِلَى لِقَاءِ أَبْطَالِهَا مَتَسْرِعًا، كُنْتَ لِأَخْذِكَ بِالْحَزْمِ،
وَأَسْتِعْدَادِكَ بِالْقُوَّةِ؛ غَيْرَ مُهَيِّنِ الْجُنْدِ، وَلَا مُقَرِّطِ فِي الرَّأْيِ، وَلَا مُتَلَهِّفٍ عَلَى إِضَاعَةِ
تَدْيِيرِ، وَلَا مُتَحَاجِّجٍ إِلَى الْإِعْدَادِ وَعَجَلَةِ التَّأَهُبِ مِبَادَرَةً تَدْعُشُكَ، وَخَوْفًا يَفْلُقُكَ .
وَمَعْنَى تَغْتَرَّبَ تَرْقِيقِ الْمَرْقُوقِينَ، وَتَأْخُذُ بِالْمُؤَنَّى فِي أَمْرِ عَدُوِّكَ لِنَصْفِ الْمَصْغَرِينَ، يَنْتَشِرُ
عَلَيْكَ رَأْيُكَ، وَيَكُونُ فِيهِ انْتِقَاضُ أَمْرِكَ وَوَهْنُ تَدْيِيرِكَ، وَإِهْمَالُ لَحْزَمٍ فِي جُنْدِكَ،
وَتَضْيِيعٌ لَهُ وَهُوَ يُمَكِّنُ الْإِصْحَارَ، رَحْبَ الْمَطْلَبِ، قَوِيَّ الْمَصْمَةِ، فَسِيحَ الْمَضْطَرَبِ؛
مَعَ مَا يَدْخُلُ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْإِعْتَرَارِ وَالْعَفْلَةِ عَنْ إِحْكَامِ أَمْرِهِمْ، وَضَبْطِ مَرَاكِزِهِمْ،
لِمَا يَرَوْنَ فِيهِ مِنْ اسْتِغْنَائِكَ إِلَى الْقُوَّةِ، وَرُكُوتِكَ إِلَى الْأَمْنِ، وَتَهَاوُنِكَ بِالتَّدْيِيرِ؛ فَيَعُودُ
ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي اتِّقَارِ الْأَطْرَافِ، وَضِيَاعِ الْأَحْكَامِ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ بِمَا لَا يَسْتَفَالُ
مَحْذُورُهُ، وَلَا يَنْقَعُ غَوْفُهُ .

(١) بالقاء. والهاء. المخطئة أى يكسر ك ويؤنرك عن الخ .

(٢) أى قليل الوفر والمال من قولهم رجل نضيب الهم عليه .

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك . وإياك ومعاقبة
 أحد منهم على خبر إن أتاك به اتهمته فيه أو سوت به ظناً وأتاك غيره بخلافه ،
 أو أن تكذبه فيه فرده عليه ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر ،
 وكذبك الأول ، أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك ،
 وقد أبرموا لك أمراً ، وحاولوا لك مكيده ، وأرادوا منك غيرة ، فآزدلقوا إليك
 في الأهبة ثم انتقض بهم رأيهم ، واختلف عنه جماعتهم ؛ فأرادوا رأياً ، وأحدثوا
 مكيده ، وأظهروا قوة ، وضربوا موعداً ، وأموا مسلحاً لمسد أتهم ، أو قوة حدثت
 لهم ، أو بصيرة في ضلالة شغلهم ؛ فالأحوال بهم منتقلة في الساعات ، وطوارق
 الحادثات . ولكن ألهمهم جميعاً على الإلتصاح ، وأرهمهم بالمطامع ، فإنك لن
 تستعبدهم بظلمها . وعندهم جزالة المناوب ، في غير ما أسقاية منك إلى ترفيقهم أمر
 عدوك ، والاعتذار إلى ما يأتونك به دون أن تعمل رويتك في الأخذ بالحرم ،
 والإستثمار من العدة . وأجلهم أوتق من تقدر عليه ، وأمن من تسكن إلى ناحيته :
 ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك إن استطعت ذلك ، فتقض عليهم
 برأيك وتديرك ما أبرموا ، وتأتيهم من حيث أمنوا ، وتأخذ لهم أهبة ماعليه أقدموا ،
 وتستعد لهم بمثل ما حذروا .

وأعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك ، وربما غشوك ، وربما كانوا لك
 وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك ، وكثيراً ما يصدقونك
 ويصدقونه . فلا تبدرن منك قرطه عفوياً إلى أحد منهم ، ولا تجعل بسوء الظن
 إلى من اتهمته على ذلك ؛ وأستزل نصائحهم بالمباحة والمثالة ، وأبسط من آمالم
 فيك من غير أن يرى أحد منهم أنك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له ،
 أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه ، أو ردته عليه رد المكذب به ، المتهم له ،

المستخف بما أتاك منه، فتقصد بذلك نصيحته، وتستدعي غشّه، وتجتزّ عداوته .
وأحذر أن يعرفوا في عسكرك أو يُشار إليهم بالأصابع، وليكن مترلّم على كاتب رسالتك
وأمين سرك، ويكون هو الوجه لهم، والمُدخل إليك من أردت مشافهته منهم .

وأعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة، وجواسيس متجسّسة،^(١) وأنه لن يقع
رأيه عن ميكيدتك بمثل ما تكايد به، وسيحتال لك كاحتيالك له، ويعد لك
كاعدادك فيما تراوله منه، ويحاولك كحاولتك إياه فيما تقارعه عنه؛ فاحذر أن يُشهر
رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه، فيعد له
المراسد، ويحتال له بالتكايد . فإن ظفر به فاطهر عقوبته، كسر ذلك ثقات عيونك،
وخذلّم عن تطلّب الأخبار من معادنها، وأستقصاها من عيونها، وأستغذاب
أجنتها من ينابيعها، حتى يصيروا إلى أخذها مما عرّض من غير الثقة ولا المعاية،
لقطالها بالأخبار الكاذبة، والأحاديث المرجفة . وأحذر أن يعرف بعض عيونك
بعضاً : فإنك لا تأمن تواطؤهم عليك، وثمالاتهم عدوك، واجتماعهم على غشك،
وتطابّهم على كذبك، وإصفاقهم على خيانتك،^(٢) وأن يورط بعضهم بعضاً عند
عدوك . فاحكم أمرهم فإنهم رأس ميكيدتك، وقوام تدبيرك، وعليهم مدار حركك،
وهو أول ظفرك . فاعمل على حسب ذلك وحيث رجائك به، تسلّ أملك من
عدوك، وقوتك على قتاله، واحتيالك لإصابة غرائه وأتهاز قرصه، إن شاء الله .

فإذا أحكت ذلك وتهدمت في إقائه، وأستظهرت بالله وعونه، فوّل شرتك
وأمر عسكرك أوتق قوادك عنك، وأظهرهم نصيحة لك، وأهدنهم بصيرة

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره « كامة » .

(٢) كذا في الأصول . وفي "رسائل البهاء" « وأن رأيه في ميكيدتك مثل ما تكايد به » . تأمل .

(٣) أي اجتماعهم من قولهم أحصفوا على الأمر أجمعوا عليه .

في طاعتك ، وأقوام شكيمة في أمرك ، وأنضام صريعة ^(١) ، وأصدقهم عقاقا ، وأجزأهم غناء ، وأكفأهم أمانة ، وأحتمهم ضميرا ، وأرضاهم في العامة ديننا ، وأحدمهم عند الجماعة خلقا ، وأعطفهم على كآبتهم رافة ، وأحسنهم لهم نظرا ، وأشدنهم في دين الله وحقه صلابة . ثم فوض إليه مقويا له ، وأبسط من أماله مظهرًا عنه الرضا ، حامداً منه الابتلاء . وليكن علما بمراكز الجنود ، بصيرا بتقدم المنازل ، مجرّبا ، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيكة ؛ له تنبأة في الذكر ، وصيت في الولاية ؛ معروف البيت ، مشهور الحسب . وتقدم إليه في ضبط معسكره ، وإذ كآه أحراسه في آناه ليله ونهاره ؛ ثم حذره أن يكون منه إذنب لجنوده في الإلتشار والاضطراب ، والتقدم لطلالئك ، فتصاّب لهم غزوة يحترق بها عدوك عليك ، ويسرع إقداما إليك ، ويخسر من إيراد جُنْدِكَ ويوهن من قوتهم : فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جُنْدِكَ أو عييدهم مطيع لم فيك ، مقولهم على تحذير اتباعهم عليك وتضفيرهم أمرك ، وتوحيدهم تدبيرك . فحذره ذلك وتقدم إليه فيه . ولا يكون منه إفراط في التضييق عليهم ، والحصر لهم ، فيقتهم أزلّه ، ويسملهم ضنك ؛ وتسوء عليهم حاله ، وتشتد به المشوّة عليهم ، وتجبّ له طنونهم . وليكن موضع إزاله إياهم ضامّا لجماعتهم ، مستديرا بهم جامعا لهم ، ولا يكون منبسطا منتشرا متبدا ، فيشق ذلك على أصحاب الأحراس ، وتكون فيه التهزّة للمعوّ ، والبعد من المساقاة إن طرق طارق في بَحَاتِ الليل وبَنَاتِهِ . وأوعز إليه في أحراسه ، وتقدم إليه فيهم كأشدّ التقدم وأبلغ الإيعاز . ومرة فليولّ عليهم رجلا وركينا مجرّبا جرىء الإقدام ، ذا كى الصرامة ،

(١) الصريعة الزريضة .

(٢) في مفتاح الأفكار وغيره « أخضة » وفي بعض الأصول من إبادة بالياء الموحدة وهاء التانيث وفي اللسان في مادة أى دلّ ياد « السكر الميعة والميسرة وكل ما تعرّبه فهو ياد » . تأمل .

جَلَدَ الْجَوَارِحَ ، بصيراً بمَوَاضِعِ أَحْرَاسِهِ ، غَيْرَ مُصَانِعٍ وَلَا مُشَقِّعٍ لِلنَّاسِ فِي التَّنَحِّيِ إِلَى الرِّفَاقِيَةِ وَالسَّعَةِ ، وَتَهْدِمْ السَّكْرَ وَالتَّائُسْرَ عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُ الْوَالِيَّ وَيُوهِنُهُ لِمُسْتَنَامَتِهِ إِلَى مَنْ وَلَّاهُ ذَلِكَ وَأَمَنَهُ بِهِ عَلَى جَيْشِهِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ مَوَاضِعَ الْأَحْرَاسِ مِنْ مَعَسِكَكَ ، وَمَكَاتِهَا مِنْ جُنْدِكَ ، بِحَيْثُ الْغَنَاءُ عَنْهُمْ وَالزُّدُّ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَفِظُ لَهُمْ ، وَالْكَلَامَةُ لِمَنْ يَنْتَهِمُ طَارِقًا ، أَوْ أَرَادَهُمْ خَائِلًا ، وَمَرَاصِدُهَا الْمُتَسَلِّلُ مِنْهَا وَالْآبِقُ مِنْ أَرْقَانِهِمْ وَأَعْبِدِهِمْ ، وَحِفْظُهَا مِنَ الْعِيُونَ وَالْجَوَاسِيسِ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَأَحْذَرُ أَنْ تَضْرِبَ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ تَشْكُجَّهُ عَنِ الصَّرَامَةِ بِمُؤَامَرَتِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ وَطَارِئٍ إِلَّا فِي الْمُوْهِمِ النَّازِلِ وَالْحَدِثِ الْعَامِ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ ، دَعَوْتَهُ إِلَى نَصْحِكَ ، وَأَسْتَوَلَيْتَ عَلَى مَحْصُولِ ضَمِيرِهِ فِي طَاعَتِكَ ؛ وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي تَرْتِيكِ ، وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ فِي بُلُوْغِ مَوَاقِفَتِكَ وَإِعَانَتِكَ ؛ وَكَانَ يَتَمَتَّعُ وَرِدَاكَ وَقُوَّتِكَ وَدِعَامَتِكَ ، وَتَهَوَّزَتْ أَنْتَ لِمُكَايَدَةِ عَدُوِّكَ ، مُرِيحًا لِنَفْسِكَ مِنْ هَمِّ ذَلِكَ وَالْعَنَاءِ بِهِ ، مُلْقِيًا عَنْكَ مَسْئُوْنَةً بَاهِظَةً وَكُلْفَةً قَادِحَةً .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَلَا يَمْتَلِ حِلَّةٌ أَحَدٌ مِنَ الْوَلَاةِ : لِمَا يَتَجَرَّى عَلَى يَدَيْهِ مِنْ مَقَابِلِظِ الْأَحْكَامِ وَبَحَارِي الْحُدُودِ . فليَكُنْ مِنْ تَوَلِّيهِ الْقَضَاءَ فِي عَسْكَرِكَ [مَنْ ذُو] ^(١) انْخِلِرْ فِي الْقِنَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالتَّزَاهَةِ وَالْفَهْمِ وَالْوَقَارِ وَالْمِصْمَةِ وَالْوَرَعَ ، وَابْصُرْ بِوُجُوهِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِهَا ، قَدْ حَكَمْتَهُ السَّنُّ وَأَبْدَتْهُ التَّجَرُّبَةُ وَأَحْكَمْتَهُ الْأُمُورَ ، مِمَّنْ لَا يَتَصَنَّعُ لِلْوَلَايَةِ وَيَسْتَعِدُّ لِلتَّهْزَةِ ، وَيَتَهَيَّرِي عَلَى الْحُبَابَةِ فِي الْحَكْمِ ، وَالْمُدَاهَنَةِ فِي الْقَضَاءِ ، عَدْلُ الْأَمَانَةِ ، عَفِيفُ الطَّعْمَةِ ، حَسَنُ الْإِنْصَافِ ، فِيهِمُ الْقَلْبُ ، وَرِعُ الضَّمِيرِ ، مُتَخَشِّعُ السَّمْتِ ، بَادِي الْوَقَارِ ، مُحْسِبًا لِلْخَيْرِ . ثُمَّ أَجْرُ

عليه ما يَكْفِيهِ وَيَسْمُهُ وَيُصْلِحُهُ ؛ وَقَرَّعَهُ لَمَّا حَمَلْتُهُ ، وَأَعِنِّي عَلَى مَا وَدَّعْتُهُ : فَإِنَّكَ قَدْ عَزَّزْتَهُ لِمُلْكَةِ الدُّنْيَا وَبَوَارِ الآخِرَةِ ، أَوْ شَرَّفَ الدُّنْيَا وَحُطَّوَةَ الآجَلَةِ ، إِنْ حُصِّنَتْ نَبْتُهُ ، وَصَدِّقَتْ رُؤْيَتُهُ ، وَصَحَّتْ سِرِّيَّتُهُ وَسَلَّطَ حَكَمَ اللَّهِ عَلَى رِعْيَتِهِ مُطْلَقًا عِنَانَهُ ، مُتَقَدِّمًا قَضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، عَامِلًا بِسُنَّتِهِ فِي شَرَائِعِهِ ، آخِذًا بِجُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ جُنْدِكَ بِحَيْثُ وَلَايَتِكَ ، الْجَارِيَةِ أَحْكَامُهُ عَلَيْهِمْ ، النَافِذَةُ أَقْصِيَّتُهُ فِيهِمْ ؛ فَأَعْرِفُ مِنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ وَتُسْنِدِهِ إِلَيْهِ . ثُمَّ تَقَدَّمُ فِي طِلَاسِكَ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَكِيدَتِكَ ، وَرَأْسُ حَرْبِكَ ، وَدِعَامَةُ أَمْرِكَ ، فَاتَّخِذْ لَهَا مِنْ كُلِّ قَادَةٍ وَصَحَابَةٍ رَجَالًا ذَوِي نَجْمَةٍ وَأَبْصَارٍ ، وَصَرَامَةٍ وَخُبْرَةٍ ، حُمَاةَ كُفَاةٍ ، قَدْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ وَذَاقُوا بِجَهَالَتِهَا ، وَشَرُّوا بِمِرَارِ كُثُوسِهَا ، وَتَجَرَّعُوا غُصَصَ دِرَّتِهَا ؛ وَزَيَّنْتَهُمْ بِتَكَرُّرِ عَوَاطِفِهَا ، وَحَمَلْتَهُمْ عَلَى أَصْعَبِ مَرَاكِبِهَا ، وَذَلَّلْتَهُمْ بِثِقَافِ أَوْدِهَا . ثُمَّ أَنْتَقِمْتَهُمْ عَلَى عَيْنِكَ ، وَأَعْرِضْ كُرَاهَهُمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَوَخَّجْ فِي أَنْتَقَاكِ ظُهُورَ الْجَلَدِ ، وَشَهَامَةَ الْخُلُقِ ، وَكَلَامَ الْآلَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْبِلَ مِنْ دَوَابِهِمْ إِلَّا الْإِنَاثَ مِنَ الْخَلِيلِ الْمَهْلُوءَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ طَلَبًا ، وَأَنْجَى مَهْرَبًا ، وَالَّذِينَ مَعْطَفًا ، وَأَبْعَدُ فِي الْمُلُوقِ غَايَةً ، وَأَصْبَرُ فِي مَعْرَكَةِ الْأَبْطَالِ إِقْدَامًا . وَخُذْهُمْ مِنَ السَّلَاحِ بِأَيْدِي الدُّرُوعِ ، مَازِيَّةِ الْحَدِيدِ ، شَائِكَةِ النَّسْجِ ، مُتَقَارِبَةِ الْخَلْقِ ، مُتَلَاحِمَةِ الْمَسَامِيرِ وَأَسْوَقِ الْحَدِيدِ ، مُمَوَّهَةِ الرِّكَبِ ، مُحْكَمَةِ الطَّيْعِ ، خَفِيفَةِ الصُّوْغِ ، وَسَوَاعِدِ طَبْعِهَا هِنْدِيٍّ ، وَصَوُغِهَا فَارِسِيٍّ ، رَقَاقِ الْمَعَاطِفِ بِأَكْثَفِ وَاقِيَةٍ وَعَمَلِ حَكَمٍ . وَيَلْمُقُ الْبَيْضَ مُنْعَبَةً وَمُجَرَّدَةً ، فَارِسِيَّةَ الصُّوْغِ ، خَالِصَةً الْجَوْهَرِ ، سَابِغَةَ الْمَلْبَسِ ، وَاقِيَةَ الْخُنْ ، مُسْتَدِيرَةَ الطَّيْعِ ، مُبْهِمَةَ السَّرْدِ ، وَاقِيَةَ الْوِزْنِ كَتَرِكَ التَّعَامِ فِي الصَّنْعَةِ وَأَسْتَدَارَةَ التَّقْيِيبِ ، وَأَسْتَوَاءِ الصُّوْغِ ، مُعْلَمَةً بِأَصْنَافِ

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية الخ عامل .

الحرير والوان الصنّ، فإنّها أهيب لمذوّهم، وأفت لأعضاء من لقيم، والمعلم عتّى
محذور، له يلبسة رادعه، وهية هائلة، معهم السيوف الهنديه، وذكور البيض
اليمانيه، وراق الشفّرات، مستونه الشّخذ، مشطبة الضرائب، معتدلة الجواهر،
صافية الصفائح، لم يدجلها وهن الطبع، ولا عابها أمت الصّوغ، ولا شاتها خفة
الوزن، ولا قدح حاملها بهور الثقل، قد أشرعوا لذن القنا، طوال الموادى،
مقومات الأود، زرق الأيسنة، مستوية الثعالب، وميضها متوقّد، ويستحقها^(١)
متلهّب، مفاقص عقدها منحوتة، ووُصوم أودها مقومة، وأجناسها مختلفة،
وكوؤها جفدة، وعقدتها جبكة، شطبة الأسنان، مؤمة الأطراف، مستحمة
الجبّات، دقاق الأطراف، ليس فيها أنواء أود، ولا أمت وصم، ولا بها مسقط
عيب، ولا عنها وفور أمانة، مستحقّي كائن النبل وقبى الشّوخط والتّبع،
أعرابية التعقيب، روية النّصول، مسمومة الصّوغ، وتكن سهاؤها على نمس
قبضات سيوى النّصول، فإنها أبلغ في الغاية، وأغذق الدّروع، وأشك في الحديد،
سامطين حقايقهم على متون خيولهم، مستحقّين من الآلة والأمتعة والازاد [إلا مالا^(٢)
غناء بهم عنه] .

وأحذر أن تكلم مباشرة عرضهم وأتجاهبهم إلى أحد من أعوانك وتكلمك : فإنك
إن وكلته إليهم أضمت مواضع الحزم، وفطمت حيث الرأى، ووقفت دون عزم
الرؤية، ودخل عملك ضياع الوهن، وخلص إليك عيب المحابة، وناله فساد

(١) الطلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان، وفي "مفتاح الأفكار" وغيره "ورضها تطلب" .

(٢) في الأصول والمقترح بالعين والفاء ولم تقف له على معنى مناسب .

(٣) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٥١ .

المداخنة، وغلب عليه مَنْ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ طليعةً للمسلمين ولا عِزَّةً ولا حِصْنًا يَدْرُؤُونَ به، ويَكْتُمُونَ بوضعه. والطلائعُ حصونُ المسلمين وعُيُونُهُمْ، وهم أوَّلُ مَكِيدَتِكَ، وعُرْوَةُ أَمْرِكَ، وَزِمَامُ حَرْبِكَ. فليكن أَعْتَنَّاؤُكَ بِهِمْ، وَأَتَقَاؤُكَ لِأَيَّامِهِمْ بِحَيْثُ هُمْ مِنْ مُهِمِّ عَمَلِكَ، وَمَكِيدَةِ حَرْبِكَ؛ ثُمَّ اتَّخِذْ لِلْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ رَجُلًا بَعِيدَ الصَّوْتِ، مشهورَ الْإِسْمِ، ظاهرَ الْفَضْلِ، نَبِيهَ الدِّكْرِ؛ لَهُ فِي الْمَدُونِ وَقَعَاتُ مَعْرُوفَاتٍ، وَأَيَّامُ طَوَالٍ وَصَوَلَاتُ مَتَقَدِّمَاتٍ؛ قَدْ عَرِثَتْ نِكَائِيَّتُهُ، وَحُذِرَتْ شَوْكَتُهُ، وَهَبَّ صَوْتُهُ، وَتَشَكَّبَ لِقَاؤُهُ؛ أَمِينَ السَّرِيَةِ، نَاصِحَ الْجَنَابِ؛ قَدْ بَلَّوَتْ مِنْهُ مَائِسَتُكَ إِلَى نَاحِيَّتِهِ: مِنْ لَيْنِ الطَّاعَةِ، وَخَالِصِ الْمَوَدَّةِ، وَرَكَانَةِ الصَّرَامَةِ، وَغُلُوبِ الشَّهَامَةِ، وَاسْتِجَابِ الْقُوَّةِ، وَحَصَافَةِ التَّدِيرِ. ثُمَّ تَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حُسْنِ سِيَاسَتِهِمْ، وَاسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ، وَاجْتِلَابِ مَوَدَّاتِهِمْ، وَاسْتِعْذَابِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَأَجْرِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ أَرْزَاقًا تَسْعُهُمْ، وَتُمَدُّ مِنْ أَطْعَامِهِمْ سِوَى أَرْزَاقِهِمْ فِي الْعَامَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَّةِ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَالْإِسْتِمَامَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُمْ.

وَأَعْلَمْ أَنَّهُمْ فِي أَهَمِّ الْأُمَامِ كُنْ لَكَ، وَأَعْظَمُهَا غَنَاءُ عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ؛ وَأَقَمِّهَا كَيْتَنَا مُخَادَكُ، وَأَشْجَاهَا غَيْظًا لَعْنُوكَ؛ وَمَنْ يَكُنْ فِي النَّفَّةِ، وَالْجَلَدِ، وَالْبَأْسِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالْعَمَّةِ، وَالنَّجَلَةِ حَيْثُ وَصَفَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرَكَ بِهِ، يَضَعُ عَنْكَ مَثْوَنَةَ الْهَمِّ، وَيُرْخِجُ مِنْ خِتَانِكَ رَوْعَ الْخُوفِ، وَتَلْتَجِئُ إِلَى أَمْرِ مَنِيْعٍ، وَظَهْرِ قُوَّةٍ، وَرَأْيٍ حَازِمٍ، تَأْمَنُ بِهِ بِجَانِبِ عِلْوِكَ، وَغِرَاتِ بَقَاتِهِمْ، وَطَوَارِقِ أَحْدَاثِهِمْ؛ وَيَصِيرُ إِلَيْكَ عِلْمُ أَحْوَالِهِمْ، وَمَتَقَدِّمَاتِ خُبُولِهِمْ؛ فَاتَّقِئْهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ، وَقَوِّهِمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الْمَنَالَاتِ وَالْأَطْلَاعِ وَالْأَرْزَاقِ، وَأَجْعَلْهُمْ مِنْكَ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُمْ بِهِ مِنْ تَحَارُزِ عِلَاقَتِكَ، وَحَصَانَةِ كُفُوفِكَ، وَقُوَّةِ سَيَّارَةِ عَسْكَرِكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُدْخِلَ فِيهِمْ أَحَدًا بِشَفَاعَةٍ، أَوْ تَحْتَمِلَهُ عَلَى هَوَادَةٍ، أَوْ تَهْدِمَهُ لِأَثَرَةٍ؛ أَوْ أَنْ يَكُونَ

مع احد منهم بقل نَقْل ، أو فضل من الظُّهر ، أو قَل فادح ، فقتلت عليهم مَثُونَة أنفسهم ، ويدخلهم كَلَالُ السَّامَةِ فيما يبالون من أتعلمهم ، ويستغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه رافع ، أو غلهم منه طليعة . فتفقد ذلك محبكا له ، وتهدم فيه أخذا بالحرَم في إمضاءه ؛ أرشدك الله لإصابة الحفظ ، ووفقك ثمن التدبير ، وقصد بك لأسهل الرأي وأعوذ نفعاً في العاجل والآجل ، وأكتبته لعلوك وأنجياه لم ، وأردعه لماديتهم .

وَلْ دَرَاة عسكرك وإخراج أهله إلى مصافهم ومراكرهم رجلاً من أهل بيوتات الشرف ، محموداً للجره ، معروفاً بالنجدة ، ذا من وبجربة ، لين الطاعة ، قديم النصيحة ، مأمون السرية ، له بصيرة بالحق نافذة تخلصه ، ونية صادقة عن الإدهان تحجزه . وأضمت إليه عدة نفر من ثقات جنك وذوى أستانهم يكونون شرطة معه ، ثم تسلم إليه في إخراج المصاف ، وإقامة الأحراس ، وإذكاه العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحذر ، ومره فليضج القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كل فائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ، قد سُد ما بينه وبين صاحبه بالرماح شارعة ، والترسة موضونه ، والرجال راصدة ، ذاكية الأحراس ، وجلة الروع ، خاتمة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج كل ليلة قائداً في أصحابه أو عدة منهم إن كانوا كثيراً ، على غلوة أو آنتين من عسكرك ، متقيداً عنك محيطاً بمنزلك ، ذاكية أحراسه ، قليلة التردد ، مقرطة الحذر ، معدة للزوع ، متاهبة للقتال ، آخذة على أطراف المسكر ونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كُردوساً كُردوساً ؛ يستقبل بعضهم بعضاً [في الاختلاف] ^(١) ويكسح تال متقدماً في التردد ؛ وأجعل ذلك بين قوادك وأهل

عسرك نوباً معروفة ، وحصصها مقروضة ، لا تُعَرِّمُهَا مُزْدَلِفًا مِنْكَ بِمَوَدَّةٍ ،
ولا تَحْمِلُ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمَوْجِدَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَوْضَ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقُودَ خَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخَذَ عَلَى قَافِيَةِ أُنْيُسِهِمْ ،
رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَائِهِمْ ، وَالْإِتِّبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ
تَنْبِيهِمْ ؛ وَتَقَدَّمَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النَّوَابِغِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ لِأَهْلِهَا ، وَالْأَعْمَالَ الَّتِي
اسْتَجَبْتُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةَ وَالْكُرَاعَ الَّتِي كَتَبْتَهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَأَحْذَرِ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ
قُودِكَ عَلَيْكَ بِمَا يُحَوِّلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنُودِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَمْعِهِمْ عَنِ
الْإِخْلَالِ بِمَرَاكِمِهِمْ لَشَيْءٍ مِمَّا وَكَلُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْثَاةٌ
لِلْقُودِ عَنْ الْحِذِّ وَالْإِيثَارِ لِلنَّاصِحَةِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقُودِهِمْ وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضِّيَاعِ عَلَى
أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْمُرُونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَبِي . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقُودِ
أَنْ لَا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عَقُوبَةً تَأْدِيبٍ فِي تَقْوِيمٍ مَبْلَغٍ ،
وَتَضْيِيعٍ أَوْدٍ ؛ فَمَا عَقُوبَةُ تَبْلُغُ ثَلَاثَ الْمُهِجَةِ وَإِقَامَةُ حَدٍّ فِي قَطْعٍ ، أَوْ إِفْرَاطٌ فِي ضَرْبٍ
أَوْ اخْتِدَالٌ ، أَوْ عَقُوبَةُ فِي شَعَرٍ فَلَا يَلِيَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ
شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنْ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ؛ وَمَنْ لَمْ تَقْتُلِ الْجُنْدَ لِقُودِهِمْ ، وَتَضَرَّعَهُمْ
لِأَمْرَائِهِمْ ؛ تَوَجَّبَ لَهُمْ عَلَيْكَ الْمَجْهَةُ بِتَضْيِيعٍ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلَ
- إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجَزَ - إِنْ قَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلْتَهُمْ بِهِ
أَوْ أَسَدَّتْهُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تَجِدْ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللَّوْمِ وَعَصَّ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ بِجَازٍ
تَصِلُ بِهِ إِلَى تَعْنِيقِهِمْ ، بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَإِفْسَادِكَ لِأَهْلِهِمْ عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِمْ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَقَدَّمَ فِيهِ بِرَفْقِكَ تَقَدُّمًا بَلِغًا ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ

يُدْخِلُ حَرْمَكَ وَهَنَ ، أَوْ يَسُوبَ عَزَمَكَ إِيثَارَ ، أَوْ يَحْلِطَ رَأْيَكَ صَبَاحَ ، وَاللَّهِ يَسْتَوْدِعُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَكَ وَدِينَكَ .

إِذَا كُنْتَ مِنْ عُدُوِّكَ عَلَى مَسَافَةٍ دَانِيَةٍ وَسَنَ لِقَاءٍ مَخْصَرٍ ، وَكَانَ مِنْ عَسْكَرِكَ
مُقْتَرِبًا قَدْ شَامَتْ طَلَائِمُكَ مُقَدِّمَاتِ ضَلَالَتِهِ ، وَحُمَاةُ فِتْنَتِهِ ؛ فَتَاهَبْ أَهْبَةَ الْمُنَازَعِ ،
وَخُذْ أَعْتَادَ الْحَذَرِ ، وَكُتِّبْ خِيُولَكَ ، وَعَبَّ جُنْدَكَ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْمَسِيرَ إِلَّا فِي مُقَدِّمَةِ
وَمُتِمِّنَةٍ وَمُهَيَّسَةٍ وَسَاقِيَةٍ ؛ قَدْ شَهَرُوا الْأَسْلِحَةَ ، وَنَشَرُوا الْبُودَ وَالْأَعْلَامَ ؛ وَعَرَّفَ
جُنْدَكَ مَرَكَهْمَ سَائِرِينَ تَحْتَ أَلْوِيَتِهِمْ ، قَدْ أَخَذُوا أَهْبَةَ الْقِتَالِ ، وَاسْتَعْدُّوا لِلْقَاءِ ؛
مَلْجِئِينَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ ، عَارِفِينَ بِمَوَاضِعِهِمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمُسْكِرِهِمْ . وَلَيْكُنْ تَرْحُلُهُمْ
وَتَزَلُّهُمُ عَلَى رَايَتِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَفِي مَرَكَهْمَ ، قَدْ عَرَّفَ كُلُّ قَائِدٍ مِنْهُمْ أَحْصَاءَهُ
مَوَاقِفَهُمْ : مِنَ الْمِئْمَنَةِ وَالْمُبَسَّرَةِ وَالْقَلْبِ وَالسَّاقَةِ وَالطَّلِيعَةِ ، لِأَزْمِنَ لَهَا ، غَيْرَ مُحِطِينَ
بِمَا اسْتَجِدُّوْا لَهُ ، وَلَا مُتَهَاوِنِينَ بِمَا أَهْيَبَ بِهِمْ إِلَيْهِ ؛ حَتَّى تَكُونَ عَسَاكِرُكَ فِي مَثِيلِ
تَصِلُ إِلَيْهِ وَمَسَافَةٍ تَخْتَارُهَا كَانَتْهَا عَسْكَرٌ وَاحِدٌ فِي اجْتِمَاعِهَا عَلَى الْعُدُوِّ ، وَأَخَذَهَا بِالْحَزْمِ ،
وَمَسِيرِهَا عَلَى رَايَتِهَا ، وَزُيُولِهَا فِي مَرَكَهَا ، وَمَعْرِقَتِهَا بِمَوَاضِعِهَا : إِنْ ضَلَّتْ دَابَّةٌ مِنْ
مَوْضِعِهَا ، عَرَفَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مِنْ أَى الْمَرَكَرِ هِيَ ، وَمَنْ صَاحِبُهَا ، وَفِي أَى
الْمَحَلِّ حُلُولُهُ مِنْهَا قُرُونَتْ إِلَيْهِ ، هِدَايَةً مَعْرُوفَةً بِسَمْتِ صَاحِبِ قِيَادَتِهَا ؛ فَإِنَّ تَقْدَمَكَ
فِي ذَلِكَ وَإِحْكَامَكَ لَهُ طَارِحٌ عَنْ جُنْدِكَ مَثْوَنَةِ الطَّلَبِ ، وَعِنَايَةِ الْمَعْرِفَةِ ،
وَأَبْتِغَاءِ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى سَاقَتِكَ أَوْتَى أَهْلِ عَسْكَرِكَ فِي نَفْسِكَ صَرَامَةً وَتَقَازًا وَرِضًا فِي الْعَامَّةِ ،
وَإِنْصَافًا مِنْ نَفْسِهِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَأَخْذًا بِالْحَقِّ فِي الْمَعْتَلَةِ ، مُسْتَشْعِرًا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ ؛
أَخْذًا بِهَدْيِكَ وَأَدَبِكَ ، وَاقْفَا عِنْدَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، مَعْتَرِمًا عَلَى مَنْ تَصَحَّحْتَ وَتَرْتَبَكَ ، نَظِيرًا

(١)
لك في الحال ، وشيئها بك في الشرف ، وعديلاً في الموضع ، ومُقارِباً في النسب ،
ثم اكْتَفَ مع الجميع ، وأَيَّدَ بالقُوَّة ، وقوَّه بالظُّهر ، وأَعِنَّ بالأموال ، وأَعْمَدَ بالسلاح ،
ومُرَّه بالمُعْطَف على نَوَى الضَّعْف من جُنْدِكَ ومن أَرْحَفَتْ به دَابَّتُهُ وَأَصَابَتْه
نَكْبَةٌ : من مَرَضٍ أو رُجُلَةٍ أو آفَةٍ ، من غير أن يَأْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ في التَّنَحَّى عن
عسكره ، أو التَّخَلُّفَ بعد تَرْحَلِهِ ، إِلَّا لِمُجْهُودٍ سُمِّيَ ، أو لِمَطْرُوقٍ بِآفَةٍ جَائِعَةٍ . ثم تَقَدَّمَ
إِلَيْهِ مَحْذَرًا ، ومُرَّه زَاجِرًا ، وَأَنَّهُ مُغْلِظًا في الشَّدَّةِ على مَنْ مَرَّ بِهِ مُنْصَرَفًا عن مَعْسَكِهِ
مِنْ جُنْدِكَ بِغَيْرِ جَوَازِكَ ، شَادًّا لَمْ أَمْرًا ، ومُوقِرَهم حديدًا ، ومُعَاقِمَهم مُوجِعًا ،
ومُوجِّهَهم إِلَيْكَ قَتَنَهُمْ عُقُوبَةً ، وتَجَلَّهَهم لغيرهم مِنْ جُنْدِكَ عِظَةً .

وأعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تَسْكُنَ إِلَيْهِ وَاقِعًا بِنَصِيحَتِهِ فَدَبَلَتْ مِنْهُ
أَمَانَةُ تُسَخِّكُ إِلَيْهِ ، وَصَرَامَةٌ تُوَمِّكُ مَهَانَتَهُ ، وَقَادَا في أَمْرِكَ يُرْنِي عَنْكَ خِشَاقُ
الْخَوْفِ في إِضَاعَتِهِ - لَمْ يَأْمَنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَسَلَّلَ الْجُنْدُ عَنْكَ لَوَاثًا ، وَرَفَضَهُمْ
مِرَاكِرَهُمْ ، وَإِخْلَافَهُمْ بِمَوَاضِعِهِمْ ، وَتَخَلُّفَهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ ، آمِنِينَ تَغْيِيرَ ذَلِكَ طَلِيمٍ ؛
وَالشَّدَّةَ عَلَى مَنْ أَجْتَرَهُ مِنْهُمْ ، فَأَوْشَكَ ذَلِكَ في وَهْنِكَ ، وَخَذَلَ مِنْ قُوَّتِكَ ، وَقَلَّلَ
مِنْ كَثْرَتِكَ .

اجْعَلْ خَلْفَ سَاقَتِكَ رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ قُوَادِكَ ، جَلِيدًا ، مَاضِيًا ، عَفِيفًا ، صَارِمًا ،
شَهْمَ الرَّأْيِ ، شَدِيدَ الْحَذَرِ ، شَكِيمَ الْقُوَّةِ ، غَيْرُ مُدَاهِنٍ في عُقُوبَةٍ ، وَلَا مَهِينٍ في قُوَّةِ ،
في نَحْسِينَ فَارِسًا يَحْشُرُ إِلَيْكَ جُنْدَكَ ، وَيُلْحِقُ بِكَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ بَعْدَ الْإِبْلَاجِ
في عُقُوبَتِهِمْ ، وَالْهَيْكَلُ لَهُمُ وَالتَّنْكِيلُ بِهِمْ . وَلِيَكُنْ بِمَقُوتِكَ في الْمَتَرِ الَّذِي تَرْحَلُ عَنْهُ ،
وَالْمَتَسَلِّ الَّذِي تَقْضُضُ مِنْهُ ، مُتَرِطًا في النَقِصِ لَهُ ، وَالتَّبَتُّعِ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ بِهِ ؛

مشتتاً في أهل المنزل وما كنه بالتقدم، ثم عجزا إليهم في إزعاج الجند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم؛ وإبعاد العقوبة الموجبة والتكال الميسل في الأشمار والأبشار، واستصفاة الأموال وهدم القمار لمن أوى منهم أحداً أو ستر موضعه، أو أخفى عمله. وحذره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لذي قرابة، والاختصاص بذلك لذي أثره وهوادة. وتكن فرسانه متحيين في القوة، معروفين بالنجدة؛ عليهم سوايغ الدروع دونها شعار الحشو وجبب الأسجنان، متقلدين سيقهم، سامطين كائهم، مستعدين لميج إن بهمهم [أو كين إن يظهرهم^(١)]. وإياك أن تقبل منهم في دوائهم إلا فرساً قوياً أو يزدونا ويحيا: فإن ذلك من أئوى القوة لهم، وأعون الظهري على عدوهم، إن شاء الله.

ليكن رحيك إياناً واحداً، ووقتا معلوما: لتخف المشونة بذلك على جندك، ويعلموا أن رجيلهم، فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وأعلاف دوائهم، وتسكن قلوبهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه، ويطمئن ذوو الرأي إلى إيان الرجل، ومتى يكن رحيك غتفا، تعظم المشونة عليك وعلى جندك ولا يزال ذوو السفسه [والنرق^(١)] يرحلون بالإرجاف ويترلون بالتوهم، حتى لا يتفزع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة.

إياك أن تظهر أسقلا، أو تبادى برجيل من منزل تكون فيه، حتى تأمر صاحب تبيتك بالوقوف بإحماه على معسكرك آخذاً بحتي فوته، بأسلحتهم عتة لأمر إن حضر، أو مفاجاة من طليعة للعدو إن رأيت منك نهزة، أو لحت عندكم غرة. ثم مر الناس بالرجل وخليك واقفة، وأهبتك معتة، وجتكت

(١) الزيادة عن «مفتاح الأفكار» ونيره.

واقية، حتى إذا استقلتم من معسكركم، وتوجهتم من منزلكم، سرتهم على قبضتكم
 بسكون ربح، وهذو حمة، وحسن دعة. فلذا أتيت إلى منزل أردت نزوله
 أو همت بالمسكرة، فأياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله، والمعرفة بمراقبه، ومرو
 صاحب طلبتك أن يعرف لك أحواله، ويستشيرك علم دينه، ويستبين علم
 أموره ثم ينبها إليك على ماصارت إليه: تعلم كيف آتاه لسكرك، وكيف مأوه
 وأغلفه وموضع معسكرك منه، وهل لك - إن أردت مقاماً به، أو مطاولة عدوك
 أو مكايده فيه - قوة تحملك ومدد يأتيه: فأنك إن لم تفعل ذلك، لم تأمن أن تهجم
 على منزل يعجزك ويغلبك عنه ضيق مكانه، وقلة ميساهه، وأقطاع مواده،
 إن أردت بعلوك مكيده، أو أحتجت من أمورهم إلى مطاولة. فإن أرغمت منه
 كنت غرضاً لعدوك، ولم تجد إلى المحاربة والاختار ميلاً، وإن أقت به أقت على
 مشقة وحصر وفي أزل وضيق، فأعرف ذلك وتقدم فيه. فإن أردت نزولاً أمرت
 صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متحية من معسكرك، عدة لأمر
 إن غالك، ومقرعاً لبسه إن راعتك، فقد أمنت بحمد الله وقوته بقاء عدوك،
 وعرفت موقعها من حرزك، حتى يأخذ الناس منازلهم، وتوضع الأثقال مواضعها،
 ويأتيك خبر طلائعك، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً يحيطين بمعسكرك،
 وعدة إن أحتجت إليها. ولكن دبابات جندك أهل جلد وقوة، قائداً أو اثنين
 أو ثلاثة بأصحابهم، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم، فلذا غربت الشمس ووجب
 نورها، أخرج إليهم صاحب تميتك أبدالم، عساً بالليل في أقرب من مواضع
 دبابي النهار، يتأور ذلك قوادك جميعاً بلا محاية لأحد فيه ولا إذهان.

إياك وأن يكون منزلك إلا في خندق وحصن تأمن به بيات عدوك وتستقيم فيه
 إلى الحزم من مكيدتك إذا وضعت الأثقال وحطت أبنية أهل العسكر، لم يمدد

طُئِبَ ، ولم يُرْمَعْ خِباء ، ولم يُنْصَبْ بناءٌ حتى تَقَطَّعَ لِكُلِّ قَائِدٍ ذَرْعًا مَعْلُومًا مِنْ
الْأَرْضِ بِقَدْرِ أَصْحَابِهِ ، فَيَجْهَرُونَ عَلَيْهِمْ خَنْدَقًا يُطِيفُونَهُ بِعَدِّ ذَلِكَ بِخَنْدَاقِ الْحَسَكِ ،
طَارِحِينَ لَهَا دُونَ أَشْتِجَارِ الرِّمَاحِ ، وَنُصَبَ التَّرْسَةُ ، لَهَا بَابَانِ قَدْ وَكَلَّتْ بِحِفْظِ كُلِّ بَابٍ
مِنْهُمَا رَجُلًا مِنْ قَوَادِكِ فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَإِذَا فُرِغَ مِنَ الْخَنْدَقِ كَانَ ذَانِكَ
الرَّجُلَانِ الْقَائِدَانِ بَيْنَ مَعْمَا مِنْ أَصْحَابِهِمَا أَهْلَ ذَلِكَ الْمَرْكَزِ ، وَمَوْضِعَ تِلْكَ الْخَلِيلِ ،
وَكَانُوا هُمُ الْبَوَايِنَ وَالْأَحْرَاسَ لَذَيْنِكَ الْمَوْضِعَيْنِ ، قَدْ كَفَّوْهُمَا وَضَبَطَوْهُمَا وَأَعْفَوْا مِنْ
أَعْمَالِ الْعَسْكَرِ وَمَكْرُوهِهِ غَيْرَهُمَا .

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي خَنْدَقٍ ، أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ طَوَارِقَ عَدُوِّكَ وَتَغَاتِيَهُمْ ،
فَإِنْ رَامُوا تِلْكَ مِنْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْكَمْتَ ذَلِكَ وَأَخَذْتَ بِالْحَزْمِ فِيهِ ، وَتَقَدَّمْتَ
فِي الْإِعْدَادِ لَهُ ، وَرَفَعْتَ حُجُوفَ الْفَتْقِ مِنْهُ ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْعَاقِبَةُ اسْتَحْقِيقَ حُدِّ اللَّهِ
عَلَيْهَا ، وَارْتَبَطَتْ شُكْرُهَا ، وَلَمْ يَضُرَّكَ أَخْذُكَ بِالْحَزْمِ : لِأَنَّ كُلَّ كَلْفَةٍ وَنُصَبٍ
وَمُثُونَةٍ إِنْ سَاقَ وَمَشَقَّةَ عَمَلٍ مَعَ السَّلَامَةِ نَحْمٌ وَغَيْرُ خَطَرٍ بِالْعَاقِبَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَإِنْ أَبْتَلَيْتَ بَيِّنَاتِ عَدُوِّكَ أَوْ طَرَقَكَ رَائِعًا فِي لَيْلِكَ ، فَلْيُفْلِكَ حَذِرًا مُشْمَرًا عَنْ
سَاقِكَ ، حَاسِرًا عَنْ ذِرَاعِكَ ، مَتَشَرِّزًا لِحَرْبِكَ ؛ قَدْ تَقَدَّمْتَ دَرَجَاتِكَ إِلَى مَوَاضِعِهَا
عَلَى مَا وَصَفَهُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَبَّابُكَ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَّرَ لَكَ ، وَطَلَامُكَ حَيْثُ
أَمَرَكَ ، وَجُنْدُكَ عَلَى مَا عَجَبًا لَكَ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَقَدَّمْتَ إِلَى جُنْدِكَ
إِنْ طَرَقَهُمْ طَارِقٌ ، أَوْ فَاجَأَهُمْ عَدُوٌّ ، أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالْتِكْبِيرِ مُفْرَقًا
فِي الْإِجْلَابِ ، مُعَلِّيًا بِالْإِرْهَابِ لِأَهْلِ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْعَدُوُّ طَارِقًا ، وَلِيُشْرِعُوا رِمَاحَهُمْ
نَاشِيبِينَ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ ، وَيُرْشِقُونَهُمْ بِالنَّبْلِ مَكْتَتِينَ بِأَتْرُسِيَتِهِمْ ، لَا زِمِينَ لِمَرَاكِهِمْ ،

(١) فِي الْمَفْتَاحِ وَغَيْرِهِ « مَلْدِينُ تَرْسَتِهِمْ » وَفِي الْأَصْلِ أَرْسَتُهُمْ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ لَا يُقَالُ أَرْسَةٌ وَزَانَ
أَرْفَعَةً وَإِنَّمَا جُمِعَ التَّرْسُ تَرْسَةً وَتَرَسَ وَتَرَسَ وَدِيمًا قِيلَ أَرْسَاسٌ فَضَبَّهَ .

غير مُزِيلٍ قَدَمٍ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَلَا مُتَجَلِّزِينَ إِلَى غَيْرِ مَرَكَبِهِمْ . وَلْيُخْبَرُوا ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ مَتَوَالِيَاتٍ وَسَائِرُ الْجُنْدِ هَادُونَ ، لَتَعْرِفَ مَوْضِعَ عُدُوكَ مِنْ مَعْسِكَ ، فُتَمِّدْ أَهْلَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِالرِّجَالِ مِنْ أَعْوَانِكَ وَشُرَطِكَ ، وَمَنْ آتَمَّخْتَ قَبْلَ ذَلِكَ عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ بِحَضْرَتِكَ ، وَتَدَسَّ إِلَيْهِمُ النَّشَابُ وَالرَّمَاحُ .

وإِيَّاكَ وَأَنْ يَشْهَرُوا سَيْفًا يَتَجَلَّدُونَ بِهِ . وَهَدَمَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكُونَ قِتَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ لَمْ يَنْطَرِقَهُمْ إِلَّا بِالرَّمَاحِ مُسْنِدِينَ لَهَا إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَالنَّشَابِ رَاشِقِينَ بِهِ وَجُوهَهُمْ ؛ قَدْ أَلْبَدُوا بِالْأَثَرِيسَةِ ، وَاسْتَجَنُوا بِالْيَيْضِ ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِمْ سَوَابِغَ الدَّرُوعِ وَجِبَابِ الْحَشَوِ ؛ فَإِنْ صَدَّ الْعَدُوُّ عَنْهُمْ حَامِلِينَ عَلَى جِهَةٍ [أُخْرَى ؛ كَبْرًا] أَهْلَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كِفْعَلُ النَّاحِيَةِ الْأُولَى ، وَبَقِيَّةُ السَّكْرِ سَكُوتٌ وَالنَّاحِيَةُ الَّتِي صَدَّ عَنْهَا الْعَدُوُّ لَزِمَتْهُ مَرَاكِزُهُمْ مُتَطَفِّئَةُ الْمَدُوسَا كُنَّةُ الرِّيحِ ، ثُمَّ عَمِلَتْ فِي تَقْوِيَتِهِمْ وَامْتِدَادِهِمْ بِمَثَلِ صَبِيحِكَ فِي إِخْوَانِهِمْ .

وإِيَّاكَ أَنْ تُجَمِّدَ نَارَ رِوَاقِكَ [وَإِذَا وَقَعَ الْعَدُوُّ فِي مَعْسِكَ نَاجِمًا سَاعِرًا لَهَا وَأَوْقَدَهَا حَطْبًا جَزَلًا يَعْرِفُ بِهِ أَهْلَ السَّكْرِ مَكَانَكَ وَمَوْضِعَ رِوَاقِكَ] ^(١) فَيَسْكُنُ نَافِرُ قُلُوبِهِمْ ، وَيَقْوَى وَاهِي قُوَّتِهِمْ ، وَيَسْتَدُ مُنْخَلِلَ طُهُورِهِمْ ، وَلَا يَرْجُمُونَ بِكَ الظُّلُمُونَ ، وَيَجْعَلُونَ لَكَ آرَاءَ الشُّوءِ ، وَيُرْجِفُونَ بِكَ آثَاءَ الْخَوْفِ ، وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ رَادُّ عَدُوكَ بِنِظَالِهِ لَمْ يَسْتَقِيلْ مِنْكَ طُغْرًا ، وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْ نِكَائِكَ سُرُورًا . وَإِنْ أَنْصَرَفَ عَنْكَ عَدُوكَ وَنَكَلَ عَنِ الْإِصَابَةِ مِنْ جُنْدِكَ وَكَانَتْ بِجَيْشِكَ قُوَّةٌ عَلَى طَلَبِهِ أَوْ كَانَتْ لَكَ مِنْ فُرْسَانِكَ خَيْلٌ مُعَدَّةٌ وَكِتَابَةٌ مُتَخَبَّةٌ ، [وَقَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَرْكَبَ بِهِمْ أَكْسَاعَهُمْ ، وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى سَنَنِهِمْ ؛ فَاتَمَّعَهُمْ بِرَيْدَةِ خَيْلٍ عَلَيْهَا الثَّقَاتُ مِنْ فُرْسَانِكَ ، وَأَوَّلُوا التَّجَلُّدَ مِنْ حُمَاتِكَ ؛ فَإِنَّكَ تَرَهَّقُ عَدُوكَ وَقَدْ أَمِنَ مِنْ بَيَّاتِكَ ، وَشَغِلَ بِكَالَاهُ عَنْ الْحَرِزِ

(١) الزيادة من مفتاح الأفكار وغيره وهي من سقطات النسخ كما لا يخفى .

منك والاعخذُ بابوابِ مُعسكره ، والضبطُ لحارسه عليك ، موهنةٌ جماعتهم لغبةٍ
أبطالهم : لما ألقوكم عليه من التشهير والحد ، قد عقر الله فيهم ، وأصاب منهم ،
وجرح من مقاتلتهم ، وكثر من أمانى ضلّالهم ، وردّ من مستعلي جمّاحهم .

وتقدّم إلى من توجّهه في طلبهم ، وتبعه أكساعهم : في سُكون الرّيح ، وقلة الرّقت ،
وكثرة التسيج والتهيل ، وأسْتَنْصار الله عز وجل بالسيّتهم وقلوبهم سراً وجهراً ،
بلا لحبّ حجة ، ولا ارتضاع ضوضاء ، دون أن يردوا على مطلبهم ، ويتبرّزوا فرصتهم .
ثم تليّشروا السّلاح ، ويتّضّوا السيوف ، فإن لها هيئة رائعة ، وبديهة مخوفة ،
لا يقوم لها في بهمة الليل وحندسه إلا البطل المحارب ، ودو البصيرة المحايي ،
والمستميّت المقاتل ، وقليل ما هم عند تلك الحمية وفي ذلك الموضع .

ليكن أوّل ما تتقدّم به في التهيؤ لمذكوك ، والاستعداد للقائه ، استخباك من فرسان
عسكرك ومحاة جُنْدك ذوى البأس والحنكة والجلد والصرامة ، ممن قد أعداد
طراد النكّة ، وكثّر عن ناجذه في الحرب ، وقام على ساق في منازلة الأقواف ،
تقف الفروسية ، مجتمع القوة ، مستحصّد المريّة ، صبوراً على هول الليل ، عارفاً
بمناهرة الفرس ، لم تمهنه الحنكة ضعفاً ، ولا بلغت به السنّ كلالاً ، ولا أسكرته
غيرة الحدّانة جهلاً ، ولا أبطرته نجيحة الاغمار صلفاً ، جريئاً على مخاطرة التلف ،
مُقيداً على أدراع الموت ، مكابراً لمييب الهول ، متحمّماً تخشى الخوف ، خائضاً
غمرات المهالك ، برأى يويّده الحزم ، ونية لا يخالجها الشك ، وأهواء مجتمعة ،
وقلوب مؤتلفة ، عارفين بفضل الطاعة وعزّها وشرفها ، وحيث علّ أهلها من
التأييد والظفر والتمكين ، ثم أعيرضهم رأى عين على كرايعهم وأسلحتهم . وتكنّ
دوابهم إناث عِشاق الخيل ، وأسلحتهم سوايق الدروع وكِلال آلة المحارب ، متعلّدين

سُيُوفُهُمِ الْمُسْتَخَفَّةُ مِنْ جَيْدِ الْجَوْهَرِ وَصَافِي الْحَدِيدِ، الْمَتَخَيَّرَةُ مِنْ مَعَادِنِ الْأَجْناسِ،
 هِنْدِيَّةُ الْحَدِيدِ يَمَانِيَّةُ الطَّعْمِ، رِقَاقُ الْمَضَارِبِ، مَسْمُومَةُ الشَّحْدِ، مُسْطَبَّةُ الضَّرِيَّةِ؛
 مُلْدِنُ بِالْتَّرْسَةِ الْفَارْسِيَّةِ، صِصِيَّةُ التَّعْقِيبِ، مُعَلِّمَةُ الْمَقَافِصِ بِحَلْقِ الْحَدِيدِ، أَتْمَاؤُهَا
 مَرْبَعَةٌ، وَمَخَارِزُهَا بِالْتَّجْلِيدِ مُضَاعَفَةٌ، تَحْمَلُهَا مُسْتَحَفٌّ؛ وَكَائِنُ النَّبْلِ وَجَعَابُ الْقِصِيِّ
 قَدْ اسْتَحْقَبُوهَا، وَفِي الشَّرِيَانِ وَالْتَّبَعِ أَعْرَافِيَّةُ الصَّنْعَةِ، مَخْتَلِفَةُ الْأَجْناسِ، مُحَكَّمَةُ
 الْعَمَلِ، مُقَوِّمَةُ التَّخْفِيفِ؛ وَنُصُولُ النَّبْلِ مَسْمُومَةٌ، وَعَمَلُهَا مَصْصِيغِيٌّ، وَتَرْكِيبُهَا
 عِرَاقِيٌّ، وَتَرْيِشُهَا بِدَوَى؛ مَخْتَلِفَةُ الصُّوْعِ فِي الطَّعْمِ، شَتَّى الْأَعْمَالِ فِي التَّشْطِيبِ
 وَالتَّجْنِيعِ وَالْإِسْتِدَارَةِ. وَلَتَكُنِ الْفَارْسِيَّةُ مَقْلُوبَةُ الْمَقَافِصِ، مَنِسْطَلَةُ السَّيِّئَةِ،
 سَهْلَةُ الْإِنْعِطَافِ، مُقَرَّبَةُ الْإِنْجِنَاءِ، مُمَكِّنَةُ الْمَرْمَى، وَاسِعَةُ الْأَسْهُمِ؛ قُرْضُهَا سَهْلَةُ
 الْوُرُودِ، وَمَعَاطِفُهَا غَيْرُ مَقَرَّبَةِ الْمَوَاتَاةِ. ثُمَّ وَلَّ عَلَى كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
 خَاصَّتِكَ وَثِقَاتِكَ وَنُصَبَاتِكَ، لَهُ صِيَّتٌ فِي الرِّيَاسَةِ، وَقَدَّمَ فِي السَّابِقَةِ، وَأَوَّلِيَّةٌ
 فِي الْمَشَايِعَةِ. وَتَهَنَّمُوا إِلَيْهِ فِي ضَبْطِهِمْ، وَكَفَّ مَعَزَتَهُمْ، وَاسْتِزْأَلَ نَصَائِحَهُمْ،
 وَاسْتَعْدَادَ طَاعَتِهِمْ، وَاسْتَخْلَاصَ ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعَاهَدَ كُرَاعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ: مُعْطِيًا لَهُمْ
 مِنَ النَّوَائِبِ الَّتِي تَلْزَمُ أَهْلَ عَسْكَرِكَ وَعَامَّةَ جُنْدِكَ؛ وَأَجْعَلْهُمْ عُذَّةً لِأَمْرِ إِنْ حَزَبَكَ
 أَوْ طَارِقَ إِنْ أَتَاكَ؛ وَمُرِّمْهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مُعْتَدَةٍ، وَحَذَرِ نَافِ لِسِنَةِ النِّفْلَةِ
 عَنْهُمْ؛ فَإِنَّكَ لَتَلْتَدِرَى أَى السَّاعَاتِ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ تَكُونُ إِلَيْهِمْ حَاجُكَ. فَلْيَكُونُوا
 كَرَجُلٍ وَاحِدٍ فِي التَّشْمِيرِ وَالتَّرَأُفِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ؛ فَإِنَّكَ عَصَيْتَ أَنْ لَا تَجِدَ عِنْدَ
 جَمَاعَةِ جُنْدِكَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الرُّومَةِ وَالْمُبَاغَةِ - إِنْ أَحْتَجَّتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - مَعُونَةً
 كَافِيَةً، وَلَا أَهْبَةَ مُعْتَدَةٍ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ. فَلْيَكُنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ تَنْخِبُ عَدَّتَكَ
 وَقُوَّتَكَ، مُمَوَّنَاتٌ قَدْ وَظَّفَتْهَا عَلَى الْقَوَادِ الَّذِينَ وَلِيَتْهُمْ أُمُورَهُمْ، فَسَمِيتَ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا
 وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَسَادِسًا؛ فَإِنْ أَكْتَفَيْتَ فِيمَا يَطْرُقُكَ وَيَسْتَهْكَ بَيْتَ وَاحِدٍ، كَانَ

مُعْذًا لَمْ تَحْتَجْ إِلَى اتِّخَاظِهِمْ فِي سَاعَتِكَ تِلْكَ فَقَطَّعَ الْبَعَثَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَرْمُقُكَ . وَإِنْ احْتَجَّتْ إِلَى أَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَجَّهَتْ مِنْهُمْ إِرَادَتَكَ أَوْ مَاتَرَى قُوَّتَكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَكُلُّ بِحَرَائِكِ دَوَاوِينِكَ رَجُلًا نَاحِيًا أَمِينًا ، ذَا وَرَعٍ حَاجِزٍ ، وَدِينٍ فَاصِلٍ ، وَطَاعَةٍ خَالِصَةٍ ، وَأَمَانَةٍ صَادِقَةٍ ، وَأَجْعَلْ مَعَهُ خِيَلًا يَكُونُ مَسِيرَهَا وَمَقَرَّهَا وَمَرْحَلَهَا مَعَ خِزَانَتِكَ وَحَوْكُمَا . وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حِفْظِهَا ، وَالتَّوَقُّعِ عَلَيْهَا ، وَأَتَّهَامِ كُلَّ مَنْ تُسَيِّدُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى إِضَاعَتِهِ وَالتَّهَاقُؤِ بِهِ ، وَالثَّدَةِ عَلَى مَنْ دَنَا مِنْهَا فِي مَسِيرٍ ، أَوْ ضَامَتِهَا فِي مَنَزِلٍ ، أَوْ خَالَطَهَا فِي مَنَهْلٍ . وَلْيَكُنْ عَاقِبَةُ الْجُنْدِ وَالْجِيشِ - إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصْتَ لِلْمَسِيرِ مَعَهَا - مُتَنَحِّينَ عَنْهَا ، مُجَانِبِينَ لَهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَنَزَلِ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ الْجَوْلَةُ وَحَدَّثَتِ الْقَرْعَةَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَخَزَائِنٍ مِنْ يَوْكُلُ بِهَا أَهْلُ حِفْظِهَا وَذَبَّ عَنْهَا ، وَحِيَاطَةُ دُونِهَا ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اتِّهَابَهَا ، أَسْرَعَ الْجُنْدُ إِلَيْهَا وَتَدَاعَوْا نَحْوَهَا حَتَّى يَكَادَ يَرَاى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى اتِّهَابِ الْعَسْكَرِ ، وَأَضْطِرَابِ الْفِتْنَةِ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْفِتَنِ وَسُوءِ السَّيْرِ كَثِيرٌ ، وَإِنَّمَا هِمَّتُهُمُ الشَّرُّ ، فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي خِزَانَتِكَ وَدَوَاوِينِكَ [وَيُوتِ أَمْوَالَكَ] ^(١) مَطْمَعٌ ، أَوْ يَجِدَ سَبِيلًا إِلَى اغْتِيَالِهَا وَمَرَزَاتِهَا .

اعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَكِيدَتِكَ اثْرًا فِي الْعَامَّةِ ، وَأَبْسَطَهَا صِيئًا فِي حُسْنِ الْقَالَةِ ، مَا لَيْلَتْ الظُّفْرَ فِيهِ بِحَزْمِ الرَّوْبَةِ ، وَحُسْنِ السَّيْرِ ، وَلُطْفِ الْحِيلَةِ . فَتَكُنْ رَوْبَتُكَ فِي ذَلِكَ وَخِزْمَتُكَ عَلَى إصَابَتِهِ بِالْجَيْلِ ، لَا بِالْقِتَالِ وَأَخْطَارِ التَّلَفِّ ، وَأَدْسُسُ إِلَى عَدُوِّكَ ، وَكَاتِبُ رُؤُوسِهِمْ وَقَادَتِهِمْ وَعِنْمُ الْمَنَالَاتِ ، وَمَنْهُمْ الْوَلَايَاتِ ، وَسَوْغُهُمُ الثَّرَاثِ ، وَضَعُ عَنْهُمْ الْإِحْنَ ، وَأَقْطَعْ أَعْنَاقَهُمْ بِالْمَطَامِعِ ، وَاسْتَدْعِهِمُ بِالْمَأْثُوبِ ، وَأَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ بِالْتَرْهِيْبِ إِنْ أَمَكَّتَكَ مِنْهُمْ التَّوَاتُرُ ، وَأَصَارَتْهُمْ إِلَيْكَ الرُّوَايَةُ ، وَأَدْعُهُمْ إِلَى الْوُتُوبِ بِصَاحِبِهِمْ أَوْ أَعْيَالِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِالْوُتُوبِ عَلَيْهِ طَاقَةٌ ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَطْلُجَ إِلَى

بعضهم كتباً كأنها جوابٌ كُتِبَ لهم إليك ، وتكتب على ألسنتهم كتباً إليك تدفعها إليهم ، وتعمل بها صاحبهم عليهم وترحم عنده بمنزلة التهمة وتعمل الظنة ؛ فلعلَّ مكدتك في ذلك أن يكون فيها أقرأُ كلمتهم ، وتشتيت جماعتهم ، وإحن قلوبهم ، وسوء الظن من واليهم بهم ، فيوحشهم منه خوفهم إياه على أنفسهم إذا أيقنوا بأنهم إياهم ؛ فإن بسط يده فقتلهم ، وأولع سيفه في دماهم ، وأسرع الوئيب بهم ، أشعرهم جميعاً بالخوف ، وشملهم الرعب ، ودعاهم إليك الحرب قهراً فأتوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب . وإن كان متأثراً محملاً رجوت أن تستميل إليك بعضهم ، ويستدعي الطمع دوى الشره منهم ، وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم ، إن شاء الله .

إذا تدانى الصّفان ، وتواقف الجمعان ، واحتضرت الحرب ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ؛ فأكثِر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه ، ومسأله توقيك وإرشادك ، وأن يعزم لك على الرشد المنجى ، والعصمة الكاثية ، والحياطة الشاملة . ومُر جنودك بالصمت وقلة التلّف عند المصاولة ، وكثرة التكبير في أنفسهم ، والتسبيح بضايرهم ؛ ولا يُظهروا تكبيراً إلا في الكثرات والحمالات ، وعند كل زُلْفَةٍ يزدلفونها ؛ فاما وهم وقوفٌ فإن ذلك من القتل والجبن ، وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم ، وليكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أنصرنا على عدوك وعلوّنا الباغي ، وأكفينا شوكتة المستحتمة ، وأيدنا بلاءك كئاليين ، وأعصمنا بعونك من القتل والعجز إنك أرحم الراحمين .

وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة ، وقومٌ موقفون يحضونهم على القتال ويمحسونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوبهم ،

وَيَذْكُرُونَهُمُ الْجَنَّةَ وَدَرَجَاتِهَا وَيُعِيمُ أَهْلُهَا وَسُكَّانُهَا، وَيَقُولُونَ : أَذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ ،
وَأَسْتَنْصِرُوهُ يَنْصُرْكُمْ ، وَالتَّجِدُوا إِلَيْهِ يَتَّعِمَكُمْ . وَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُبَاشِرَ
لِتَبِئَةِ جُنْدِكَ ، وَوَضِمَهُمْ مَوَاضِعَهُمْ مِنْ رَأْيِكَ ، وَمَعَكَ رَجَالٌ مِنْ نِصْفِ قُرْمَانِكَ ،
نُؤْوِسِينَ وَتَجْرِبَةً وَتَجِدَةً عَلَى التَّبِئَةِ الَّتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاصَفُهَا لَكَ فِي آخِرِ كِتَابِكَ ،
فَأَقْعِلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَيْدِكَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ ، وَغَلَبَ لَكَ عَلَى الْقُوَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ
الزَّيْغِ ، وَأَوْجَبَ لِمَنْ أَسْتَشَدَّ مَعَكَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ وَمَنَازِلَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكُتِبَ سَنَةٌ ثَمَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً .

الطرف الثالث

(فِيمَا كَانَ يُكْتَبُ عَنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِيَعْدَادَ إِلَى حِينَ انْقِرَاضِ

الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْ بَعْدَادَ)

وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ :

النوع الأول

(مَا كَانَ يُكْتَبُ لَوُزَرَاءِ الْخِلَافَةِ)

وَكَانَ رِسْمُهُمْ فِيهِ أَنْ يَفْتَحَ بِلَفْظِ « أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ » وَيُؤْتَى فِيهِ بِثَلَاثِ
تَحْمِيدَاتٍ ، وَرَبْعًا أَقْصَرُ عَلَى تَحْمِيدَةٍ وَاحِدَةٍ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَهَالِيدُ وَزَرَاتِهِمْ مِنْ
أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ .

وهذه نسخة تقليد من ذلك كتب بها العلّاء بن موصّلايا ، عن التّائيم بأمر الله ،
للوذيرغري الدولة بن جيهري ، في شهر سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وهو :

أما بعد ، فالحمد لله ذي الآلاء الصّافية الموارد ، والنّماء الصّادقة الشّواهد ،
والطّول الجامع تَمَلُّ أسباب المَحِّ الشّوارد ؛ ذي القُدرة المَصْرِفة على حُكْمها مجارى
القَدَر ، والمشيئة الحالية بالتّغاذ فى حالى الرّود والصّدر ؛ المُنْدَلِ يَجِىل صُنْعُه أعناق
المَصاعِب ، المَدِيم بِكْرِم لُطْفِه من أمتداد نوائب النّوائب ؛ الذى جَلَّ عن إدراك
صِفاته بعد أو حد ، ودَلَّ بياهر آياته على كونه القَدَر الوَلَّى بكل شُكْرٍ وحُدٍّ ؛ سبحانه
وتعالى عما يَصِفُون .

والحمد لله الذى آخَصَّ عَمَّا صَلَّى الله عليه وسلم بالرسالة واجْتَبَاه ، وَجَبَاه
بالكرامة بما أشرق له مَطْلَعُ الجَلال ، واختاره وبعثه لإظهار كلمة الحق بعد أن
مدَّ الضّلال رُواقه ، فلم يزلْ يَأْعِزُاز الشّرع قائما ، ولساعات زمانه فى طَلَب رضا
الله قاسما ؛ لا يَتَحَرِّف عن مَقاصِدِ الصّواب ولا يَمِيل ، ولا يُخِلُّ مَطايَا جِدِّه فى تقوية
الدّين مما يَتَابِع فيه الرّيسم والدّيميل ، إلى أنْ أزالَ عن القلوب صَدَأَ الشُّكوك وجَلَا ،
وأَجَلَّ مَسْعَاهُ عن كُلِّ ما أودَعَ نفوس أحلاف الباطل وجَلَا ؛ ومَضَى وقد أضاء
للإيمان هاللاً أَمْسَ مِرَّارُهُ ، وأَتَقَصَّى لإبادة الشّرك حُساماً لا يَنْبُو قَطُّ غِرَّارُهُ ؛
فصَلَّى الله عليه وعلى آله الطّاهرين ، وأصحابه المتتخين ؛ صلاةً يَتَصَلُّ الأصيل فيها
بالتّذوّق وترى قيمتها فى الأجروافية العلّو والغلو .

والحمد لله الذى أصاد إلى أمير المؤمنين من إرث النّبوة ما هو أحقُّ به وأولى ،
وأنا له من مطالع العِزِّ ما أَسْدَى به كُلَّ نعمة وأولى ؛ وأحلّه من شرف الإمامة

بِحَيْثُ عَنَتْ لَطَاعَتَهُ أَعْنَأُ الرِّقَابَ الصَّعَابَ ، وَأُذَعِنَتْ لَهُ الْقُلُوبُ بِالْإِطْعَاءِ عَلَى
الْوَلَاءِ الْقَسِيبِ الرَّحَابِ وَالشَّعَابِ ؛ وَجَعَلَ أَيَّامَهُ بِالنُّصَارَةِ أَهْلَةً الْمَفَانِي ، وَمَقَابِلَةً
أَسْمَائُهَا فِي الْحُسْنِ بِالْمَعَانِي ؛ فَمَا يَجْرِي فِيهَا إِلَّا مَا الصَّوَابُ فِي فِعْلِهِ كَامِنٌ ، وَالْخَطُّ
يَأْتِيهِاجُ سُبُلِهِ كَاتِنٌ ؛ إِبَانَةً عَنْ أَقْرَانِ الرَّشْدِ بِمَزَانِهِ فِي حَالَتِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَأَقْرَابِ
مَرَامِ كُلِّ مَا يُحِلُّ مِنَ الصَّلَاحِ فِي الدَّهْرِ أَفْضَلُ الْمَحَلِّ .

ثم إنه يرى من إقرار الحقوق في نصايها ، وإمرار جبال التوفيق في جانبها من
الأطماع الممتدة إلى اغتصابها ؛ ما يُعْرِيبُ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى طُرُقِ الرَّشْدِ ، وَالْإِقْتِدَاءِ
بِمَنْ وَجَدَ ضَلَالَةَ الْمُرَادِ حِينَ تَسَدُّ ؛ وَيَقْصِدُ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَوَارِفِ ، عِنْدَ كُلِّ عَالَمٍ بِقَدْرِهَا
فِي الزَّمَانِ طَارِفٍ ؛ مَا يَحُلُّوْجَنِي تَمَرُّهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَيَحْدُوْ أَنْتَشَارُ خَبَرِهِ عَلَى إِعَانَةِ كُلِّ
فَكْرٍ فِي وَصْفِهِ عُنوان ؛ فَيَتَنَاوَلُ الرُّوَاةُ ذَكَرَ ذَلِكَ غَوْرًا وَتَجَدُّ ، وَتَلْقَى الْهِمَمُ الْعَلِيَّةُ
أَذْخَارَ الْجَمَالِ بِهِ أَفْعَ مِنْ كُلِّ قِنِيَّةٍ وَأَجْدَى ؛ اسْتِمْرَارًا عَلَى شَاكِلَةِ تَحَلُّتِ بِالْكَرَمِ ، وَحَلَّتْ
مِنَ الْجَلَالِ فِي الْقُلَلِ وَالْقِصَمِ ، وَحَلَّتْ أَثَارُهَا فِي إِيلَاءِ نَفِيسِ الْمَنَحِ وَجَزِيلِ الْقِسَمِ .

ولما غدا منصب الوزارة موقوفًا على الذين طالما جُزُوا بِهِمْ نَوَاصِي الْخَطُوبِ ،
وَحَازُوا بِذِمَّتِهِمُ الْمَنَالَ فِي مَقَاصِدِ اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى إِحْرَازِ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَأَسْتَدْلُوا ؛
وَكَفَّوْا بِكَفَايَتِهِمْ أَكْثَفَ الْفَسَادِ وَرَدُّوْا ، وَحَازُوا الْقَعَالَ فِي كُلِّ مَسْعُوْلَةٍ وَجَدُّوْا ؛
وَخَلَا الزَّمَانُ مِمَّنْ يَنْهَضُ بِسَبِّهِ هَذَا الْأَمْرَ الْحَسِيمَ ، وَتُصْبِحُ أَنْبَاؤُهُ فِيهِ ذَكِيَّةُ الْأَرْجِ
وَالنَّسِيمِ - لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مِنْ يَسْتَحِقُّ التَّخْيِيمَ فِي عِرَاصِهِ ، وَالتَّحْكِيمَ فِي آجِنَتِهِ الْفَخْرِ
مِنَهُ وَأَسْتَخْلَاصِهِ ؛ وَكَانَ الْقَدَرُ سَبَقَ بِأَفْصَالِكَ عَنْ الْخِلْمَةِ لِالضَّعْفِ سِرْرِهِ ،
وَلَا لِقُوَّةَ جَرِيرِهِ ، وَلَا لِكَدْرِ سِيرِهِ ؛ وَكَيْفَ وَأَنْتَ الْمَتَفَرِّدُ بِالْجَمَالِ ، وَالْمَتَجَرِّدُ فِي كُلِّ

(١) لعله في صياتها .

(٢) أى يبعث ويسوق أنتشار الخ .

مقام سلم حُدَّ قَهْرُكَ فِيهِ مِنْ حَادِثِ الْكَلَالِ ؛ وَلَكَ فِي الدَّوْلَةِ الْحَقُوقُ الَّتِي أُعْذِنَتْ
لَكَ مِنْ وَقْعِ الْإِسْرَادَةِ بَحْثًا ، وَالْمَوَاقِفُ الَّتِي أُعْذِنَتْ مِنْ دِرَةِ الْإِحَادِ بِمَا أَيْنَ الْقَطْرُ
لَهَا وَأَنَّا ، وَالْمَقَاصِدُ الَّتِي أُعْذِمَتْ مِنْكَ الْبَدَلُ ، وَلَا أَنْحَرَفَ لَكَ مِنْهَا مَسْعَى عَنْ مَنَاجِ
الْإِصَابَةِ وَلَا عَدَلَ ؛ وَتَمَكَّنْتَ فِيهَا مِنْ عَيْنِ التَّوْفِيقِ بِمَا لَا يُجَارَى سَيْفُكَ فِيهِ قَطْ ،
وَلَا يُحْسَنُ لَهُ حَالُ الْمَسْرَى إِلَيْهِ الْمَحْطُّ ؛ وَالْآثَارُ الَّتِي أَنْارَتْ مِنْ كَوْنِ الرِّضَا أَفْضَلَ
مَا يُذْنَرُ وَقْتِي ، وَأَنْارَتْ مِنْ دَلَائِلِ الزُّلْفَى مَا يُتَجَزَّ بِهِ وَعُدُّ الْمُسْنَى ؛ وَيُقْتَضَى ؛ لَكِنْ
كَانَ ذَلِكَ مَسْطُورًا فِي الْكَلْبِ ، وَلَيْتَيْنِ أَنَّهُ لَا عَوْضَ عَنْكَ فِي الْإِسْتِحْقَاقِ لِلْأَمْرِ
وَالْإِسْتِجَابِ ؛ لَمْ يُوجَدْ لَهُنَا الرُّتْبَةُ كُفُّوا سَوَاكَ ، وَلَا يُزَيِّهَنَّهَا عَنِ الْعَطَلِ غَيْرِ رَائِقِ
حِلَاكَ ؛ فَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَسْلِيمَ مَقَالِيدِهَا إِلَيْكَ إِذْ كُنْتَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَمَنْ
يَجْمَعُ بَعْدَ الشَّتَاتِ شَمْلَهَا ؛ فَطَوَّقَكَ مِنْ قَلَائِدِهَا مَا هُوَ بِأَعْظَمَكَ الْوَصْقَ ، وَبِمَا تَمَامَ أَوْصَافُكَ
أَلْبَقِ : لَتُدْرِعَ مِنْ عِزِّ الْوِزَارَةِ حُلْبًا بِأَلْتَمَحُّقِ الْأَيَّامِ لَهُ حِدَّةٌ ؛ وَلَا تَزَالُ السُّعُودُ
بِمَا يَتَوَلَّى إِلَى دَوَامِ مُدَّتِهِ مِمَّتَهُ ؛ وَتَرْتَضِعَ مِنْ لَبَانِ خِلَالِهَا مَا يَقْبِضُ لَكَ بِأَنْ تَهْفَ
نَفْسُهَا عَلَيْكَ ، وَتَهْفَ آمَالُ الْأَمْثَالِ دُونَ مَا أَتَيْتَ الْغَايَةَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَتَعْتَمِدَ فِيهَا عَدَقَهُ
بِكَ مِنْهَا وَبِطَاعِهِ ، وَوَقَّافَكَ فِيهِ حَقُوقَ النَّظَرِ وَأَشْرَاطَهُ ؛ بِحِكْمٍ تَوَحَّدَتْ فِي إِحْرَازِ أَدَوَاتِهَا
الَّتِي لَا يُبْلَغُ أَحَدٌ لَكَ مِنْهَا مَدَى ، وَلَمْ يَكُنْ طَامِعٌ إِلَى مَسَاجِلَتِكَ فِيهَا يَدًا مَا يَرْضَى اللَّهُ
تَعَالَى وَيَرْضِيهِ ، وَيُحْصِ ذِكْرَكَ بِالطَّيِّبِ وَيَحِيطُهُ فَتَفُوزَ فَوْزًا كَبِيرًا ، وَتُعِيدَ السَّاعِي
فِي إِدْرَاكِكَ شَاوُكَ ظَالِمًا حَسِيرًا .

ثم إنه شفع هذه المنحة التي قمصك بحاسد غفرها بالوجوب ، وعوضك فيها الدهر
بحدّ البشر عن سابق القُطُوب . بإيصالك إلى حضرة ، وإدراكك من مُدَّتِهِ ؛
ومُنَاجَاةِكَ بِمَا يُدْبِعُ لَكَ أَمْتِطَاءَ غَارِبِ الْمَجْدِ وَصَبُوتَهُ ، وَالْإِحْتَوَاءَ عَلَى خَالِصِ السَّعْدِ

وصَفْوَتِهِ ؛ وَجَبَاتِكَ مِنْ صُنُوفِ التَّشْرِيفَاتِ الَّتِي تَرْوِقُ حِلِيَّ خِلَالِهَا ، وَتُتَوَقُّ الْآمَالُ
إِلَى إِدْرَاكِهَا وَمَنَالِهَا ؛ وَصَفَتْ الْكَرَامَاتُ الَّتِي وَفَّتَ الْمُنَى بِهَا بَعْدَ مَطَالِهَا ، وَفَتَّتِ
الْقَدَى عَنْ مُقَلِّ مَقْضُوضَةٍ بِسُوءِ فَسَالِ الْأَيَّامِ وَمَقَالِهَا ؛ بِمَا يُوْطِئُ عَيْنَكَ الرِّجَالُ ،
وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحَاوِلُ مُجَارَاتَكَ الْمُسْرَحَ وَالْمَجَالُ ؛ وَلَمْ يَهْتَنِعْ بِذَلِكَ فِي حَقِّ التَّعْمَى الَّتِي
أَعْدَاكَ فِيهَا عَلَى الْغَيْرِ ، وَأَعْدَاكَ مِنْهَا فِي ظِلٍّ مِنَ الْأَمْنِ الْبَادِي الْأَوْضَاحِ وَالْغُرَى ؛
حَتَّى أَلْحَقَ بِسَيَاتِكَ « تَاجَ الْوُزَرَاءِ » تَوْبِيًّا بِذِكْرِكَ فِي الزَّمَانِ ، وَتَسِيًّا عَلَى اخْتِصَاصِكَ
لَدَيْهِ بِوَجَاهَةِ الرُّبُوبَةِ وَالْمَكَانِ ؛ فَصَارَ مَكْرُوهَ الْأُمُورِ فِي مَحْبُوبِهَا سَيَا ، وَخَبَتْ نَارُ كُلِّ
مَنْ سَعَى فِي تَضْلِيلِ النَّظَامِ وَجِيْفَا وَخَبَا ، حَتَّى الْآمِلُونَ أَنْ يَجْعَلُوا نَحْتِ الْخِلَافَةِ^(١)
زَمِنًا ، وَتُصْبِحَ رِبَاعُهُ بَعْدَ النَّضَارَةِ دِمْنًا ؛ لِيُعْقِبَهُمْ ذَاكَ نَيْلٌ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْأَمْضَاءُ ؟
لِهَذَا الْعَزَمَ . وَبِالْجُمْلَةِ فَالْسَّامَةُ وَاقِعَةٌ مِنْ نَتَائِجِ هَذِهِ الشُّكُورِ ، وَقَدْ كَانَ الْأَحَبُّ أَنْ
لَا يُضْمَنَ الْكُتُبُ النَّافِذَةُ سِوَى تَعَهُّدِ الْأَنْبَاءِ ، لِأَزَالِ عَرْفُهَا أَرْجَا مِنْ سَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَالنَّوَاحِي . لَكِنْ تَأْتِي تَجَارِي الْأَقْدَارِ ، وَدَوَاعِي الْإِضْطِرَارِ ، إِلَى مَا يَرْتَقِ مَاءَ الْإِرَادَةِ^(٢)
وَالْإِيثَارِ ؛ وَالْآنَ قَدْ بَلَغَ الْمَاءُ ، وَجَلَبَ مِنْ عِلْمِ الصَّبْرِ الْحِنَاءُ ؛ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ هِزَّةٍ
دَيْبِيَّةٍ مِنْكَ تَكْشِفُ بِهَا هَذِهِ الْمَعْرَةَ ، وَتُخَفِّفُ مِنْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُتِمُّ لَدَيْهِ أَكْمَلَ
الْمُسْرَةِ ، فَمُمْ فِي ذَلِكَ مَقَامٌ مِنْكَ . وَإِنْ كَانَ لَا نَظِيرَ لَكَ يُوجَدُ - نَحْطُ بِمَا يُخْضَى
لَكَ فِيهِ أَسْتَحْقَاقُ كُلِّ الْحَمْدِ وَيُوجِبُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد من ذلك، كتب بها عن المسترشد - فيما أظن - لبعض
وُزَرَاءِهِ ، وَهِيَ :

أما بعدُ ، فالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَعَرِّدِ بِكِبَرِيَّاتِهِ ، الْمُتَفَضِّلِ عَلَى أَوْلِيَّائِهِ ؛ مُجْزِلِ التَّعْمَاءِ ،
وَكَاشِفِ النِّعْمَاءِ ؛ وَمُسْبِغِ الْعَطَاءِ ، وَمُسْبِلِ النِّطَاءِ ؛ وَمُسْنِي الْحَيَاءِ ، وَمُسْدِي الْآلَاءِ ؛

(١) فِي الْأَسْلِ الْحَاقَةُ وَلَا مَنَى لَهُ . (٢) لَهُ بِمَا يَرْتَقِ .

الذى لا يشوره الأعباء ، ولا يكيدُه الأعداء ، ولا تبغُه الأوهام ، ولا تُحيطُ به
الأنهام ، ولا تُدرِكُه الأبصار ، ولا تُفَكِّله الأفكار ، ولا تُهْرِمه الأعوامُ بتواليها ،
ولا تُعجزُه الخطوبُ إذا أدلَّمتْ لِياليها ، عالمٌ هو أجسُ الفكرِ ، وخالقُ كلِّ شئٍ ،
بقَدَرٍ مصَرِّفُ الأقدارِ على شِئْنِه وتَجَرُّبِها ، وما نَحْجُ مواهِبِه منْ أخفى بيدِ الشُّكرِ
يَتَرَبَّها ، حدًّا يصُوبُ حَيَّاه ، ويَعُدُّبُ جَنَّاه ، وتَهْلُلُ أَسِرَّةُ الإخلاصِ منْ مَطَاوِيهِ ،
ويَسْتَدْعِي المَزِيدَ منْ آلائِه وَيَقْتَضِيهِ .

والحمد لله الذى استخَلَصَ عَهْدًا صُلِّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زَكَاةِ الْأَصْلَابِ ، وَاتَّقَبَه
مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْخَلِيقَةِ رُسُلًا ، وَجَعَلَهُ إِلَى مَنَهِجِ النِّجَاةِ دَلِيلًا ،
وَعَدُوهُ السَّرَكُ بَوْلٌ لَدَلٌ وَقَضَاهُ (١) وَشَهَرَ عَضْبَ الْعِزِّ وَأَنْتَضَاهُ ، وَالْأُتَمُّ عَنْ طَاعَةِ
الرَّحْمَنِ عَازِفُهُ ، وَعَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ عَاكِفُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِأَمْرِ رَبِّهِ صَادِعًا ، وَعَنِ التَّمَكُّ
بَعْرًا الضَّلَالِ الْوَاهِيَةِ وَازِعًا ، وَإِلَى رُكُوبِ عَجَبَةِ الْمَهْدِيِّ دَاعِيًا ، وَعَلَى قَدَمِ الْإِجْتِهَادِ
فِي إِبَادَةِ الْقَوَايِدِ سَاعِيًا ، حَتَّى أَصْبَحَ وَجْهُهُ الْحَقِّ مُنِيرًا مُشْرِقًا ، وَعُودُهُ بَعْدَ الذُّبُولِ
أَخْضَرَ مُورِقًا ، وَمَضَى الْبَاطِلُ مُؤَلِّيًا أَدْبَارَهُ ، وَمُسْتَضْجِبًا تَبْيِيرَهُ وَبَوَارَهُ ، وَقَضَى صُلِّىَ
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ مَهَّدَ مِنَ الْإِيمَانِ قَوَاعِدَهُ ، وَأَحْكَمَ آسَاسَهُ وَوُطَانِيَهُ ، وَأَوْضَعَ
سُبُلَ الْفَوْزِ لِمَنْ أَتَقَفَّاهَا ، وَلَحَبَّ طَرِيقَهَا بَعْدَ مَا دَتَّرَتْ صُورَاهَا ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَصَحَّبَهُ الْأَكْرَمِينَ ، صَلَاةً مُتَّصِلَةً سَمَّعَ عَنَّمَاها ، مُسْفِرًا صُبْحَ دَوَائِمِها .
والحمد لله على أَنْ حَازَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِرْثِ الثَّبُوتِ مَا هُوَ أَجْدَرُ بِجَازَةٍ بِجَدِّهِ ،
وَأَوَّلَى بَقِيضِ عَهْدِهِ ، وَوُطْأَ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ مِهَادًا أَحْفَزَتْهُ نَحْوَهُ حَوَافِرُ
أَرْتِيَا حِهِ ، وَجَذَبَتْهُ إِلَيْهِ أَزْمَةُ رَاغِهِ وَالْيَاسِيَةِ ، إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ مُنَاهُ ، وَالْبُيُ
الْإِسْتِقْرَارُ الَّذِى لَا يَرِيمُ عَصَاهُ ، وَعَقْدُ دَوْلَتِهِ بِالتَّائِيدِ مِنْ سَائِرِ أَمْخَائِهِ وَمَرَامِيهِ ،

(١) كذا في الأصول على هذه الصورة ولم نهند إلى تنقيفه .

وأعراضه ومغازيه؛ حتى فاقت الدول المتفادمة إشرافا، وأعطتها الحوادث من التغير عهدا وفيما وبيننا؛ وأصحت أيامه - أدامها الله - حالة بالعدل أجيادها، جالية في ميادين النضارة جياؤها؛ وراح الظلم دارسة أطلاله، مقلصا سرباله، قد أنجم بحابه، وزمت للرحلة ركابه؛ فما يستمر منها أمر إلا كان صنع الله سبحانه مؤيده، والتوفيق مصاحبه أنى يم ومُسندته؛ وهو يستوزعه - جلت عظمته - شكر هذه النعمة، ويستريده بالتحدث بها من آلايه الجمه؛ ويستمد منه المعونة في كل أرب قصده وأمه، وتخذ لا تحايه عزمه؛ وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينهب .

ولما كانت الوزارة قُطِبَ الأمور الذى عليه مدارها، وإليه إرادها وعنه إصدارها؛ وخلا منصبها من كيف يكون له أهلا، وينظم من شماله شملها، أجال أمير المؤمنين فيمن يختار [لد] لك فكره، وأنهم [النظر] لأهل الإصطفاء لهذه المترلة حتى صرح بحض رأيه عن زبنة اختيارك، وهذاه صائب تديره إلى اقتراحك وإينارك؛ وألقى إليك بالمقاليد، وعول في دولته القاهرة على تدبيرك السيد؛ وناط بك من أمر الوزارة ما لم يلق له سواك مستحقا، ولا لنسيم استيعابه مستقرا؛ علما بما تُبديه كفايتك المشهورة، وإياك المخبورة؛ من تقويم ما أعجز مياذه، وإصلاح ما استشرى فساده؛ واستقامة كل حال وهى عمادها، وأصلت على كثرة الاقتراح زنادها؛ وتبنا لما تبين عنه الأيام من آثار نظرك المشرية عن أحتوائك على دلائل الجزاله، واستيلائك على تحايل الأصالة؛ اللذين تُنال بهما غايات المعالي، وتُفرع الذرى والأعلى .

ثم إن أمير المؤمنين بمقتضى هذه السعاوى اللازمه، وحرمت جندك وأبيك السالفة المتقا مه؛ التى استحصدت في الدار العززة قوى أمراسها، وأذنت منك

الآن ثمرة غراسها، رأى أن يُسَيِّدَ هذه العارفة التي تَأْرَجُ لَدَيْكَ نَيْسِمُها ، وبَدَتْ
على أغصانك فُكْرَكُ رُسُومُها ؛ وِجْدَتْ رِبَاعَكَ شَأْيُها ، وَضَعَتْ عَلَيْكَ جَلَالِها ؛
بِمَا يَزِيدُ أَنْزَلَكَ أَشْتِدَادًا ، وَبَاعَ أَمْلِكَ طُولًا وَأَمْتِدَادًا ؛ فَادْنَاكَ مِنْ شَرِيفِ حَضْرَتِهِ
مُنَاجِيًا ، وَمَتَعَكَ مِنْ مَرَايَا الْأَيَّامِ مَا يُكْسِبُكَ ذِكْرًا فِي الْأَعْقَابِ سَارِيًا ، وَعَلَى الْأَحْقَابِ
بَاقِيًا ؛ وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنَ الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ مَا حَزَتْ بِهِ أَوْصَافُ الْجَمَالِ ، وَجَمَعَ لَكَ
أَبَدِيدَ الْأَمَالِ ؛ وَقَدَّكَ وَحْصَلُ^(١) (؟) بِدَاوِهِ ، وَأَمْطَاكَ صَوْنَةَ سَاجٍ يُسَاوِي الرِّيحَ
سَبْقًا ، وَوَسَّمَكَ بِكَذَا وَكَذَا فِي ضَمَنِ التَّاهِيلِ لِلتَّكْنِيَةِ ، إِبَانَةً عَنْ جَمِيلٍ مَعْتَقِدِهِ فَيْكَ ،
وَرِعَايَةً لَوْسَاثِكَ الْمُحْكَمَةِ الْمَرَاتِرِ وَأَوَارِيهِكَ .

وَأَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَحْصَنُ الْمَعَاقِلِ ، وَأَعَزُّبُ الْمَنَاهِلِ ؛ وَأَضْعُ الدِّخَاثِرِ ،
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ؛ وَأَنْ تَسْتَشْعِرَهَا فِيمَا تُبْدِيهِ وَتُخْفِيهِ ، وَتَدْرُهُ وَتَأْتِيهِ : فَلَهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ
وَأَوْجِبُهَا ، وَأَوْصَحُ الْمَسَالِكِ إِلَى الْقَوْرِ بِرِضَا اللَّهِ وَأَلْحِبُهَا ، وَأَجْلِبُ الْأَشْيَاءَ لِلْعَمَادَةِ
الْبَاقِيَةِ ، وَأَجْنَاهَا لِقُطُوفِ الْحَيَاتِنِ الدَّانِيَةِ ؛ عَلِمًا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ نَفْعٍ تَكَامُلُ أَقْسَامُهُ ،
وَتَفْتَحُ عَنْ نُورِ الصَّلَاحِ الْجَامِعِ أَكْثَمُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ :
(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) .
وَقَالَ تَعَالَى حَاضًّا عَلَى تَقْوَاهُ ، وَغَيْرًا عَمَّا خَصَّ بِهِ مَتَقِيهِ وَحَبَّاهُ ؛ وَكَفَى بِذَلِكَ دَاعِيًا
إِلَيْهَا ، وَبَاعًا عَلَيْهَا : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) .

وَأَمْرُكَ أَنْ تَتَوَشَّى الْمَقَاصِدَ السَّلِيمَةَ وَتَأْتِيَهَا ، وَتَتَوَخَّصَّ الْمَوَارِدَ الْوَحِيمَةَ وَتَجْتَنِبَهَا ؛
وَأَنْ تُنْشِئَ بِالْحَزْمِ أَهْوَائَكَ ، وَتَجْعَلَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى إِمَامَكَ الَّذِي تَهْتَدِي بِهِ وَمِثْلَكَ ؛
وَأَنْ تُكْفَى مِنْ نَفْسِكَ عِنْدَ جَوَاحِهَا وَإِلَائِهَا ، وَتَصَلِّحَهَا عَنْ مَتَابَعَةِ أَهْوَائِهَا ؛ وَتُبْنِي عِنْدَ
أَحْتِدَامِ سُورَةِ الْغَضَبِ عِثَاتَهَا ، وَتُسْعِرَهَا مِنْ حَمِيدِ الْخَلَائِقِ مَا يُؤَاقِقُ إِسْرَارَهَا فِيهِ

(١) كَذَا فِي الْأَسْلَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ انْتَمَى عَلَيْهِ بِحُلَّةٍ وَسَيْفٍ وَجَوَادٍ - تَأْمَلْ .

إعلاتها : فلها لم تزل إلى منزلة السوء المردية داعية ، وعن سُلوك مَنَاجِخ الخير
المنجية ناهية ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وأمرك أن تتخير لفخمة بين يديك من بلوت أخباره ، وأستشقت أمره ؛
فعلمته جامعا أدوات الكفاية ، موسوما بالأمانة والدراية ؛ قد عرّكته رحا التجارب
عرّك الثقال ، وحلب النحر أشطره على تصارييف الأحوال : ليكون أمر ما يؤلاه
على منتهج الاستقامة جاريا ، وعن ملابس الخلل والكرياب عاريا ؛ فلا يضع
في منزلة قدما ، ولا يأتي ما يقرع سنه لأجله ندما ؛ وأن تمنح رعيا أمير المؤمنين
من بشرك ما يعقل شوارد الأهواء ، ويلوى إليك باعناق نوافرها اللاتي اعتصمن
بالجناح والإباء ؛ مازجا ذلك بشدة تستولى حيا رهبتها على القلوب ، وتغل مرهقات
بأسها صرف الخطوب ، من غير إفراط في استدامة ذلك يضيق نظامها به ، ويغريها
اتصاله باستشعار وعمر الخطايا واستيطاء ممرّك .

وأمرك أن تُعذب مَوْرِد الإحسان لمن أحمدت بلاءه ، وتعمقت غشاه ؛
وأستحسنّت أثره ، وأرتضيت عيانه وخبره ؛ وتُسَلِّدُ أَسْمَالَ الهوان على من بلوت
فعله ذميا ، وألغيت به راوس الإمامة مقيما ، وإلى رباعها الموحشة مستأصبا مستديما ؛
كَلَّا لكل أمرئ بضاعة ، وأتباع لما أمر الله باتباعه ؛ وتجنبا للإهمال الجاهل المحسن
والمسيء سواء ، والمُعِيدِهما في مَوْقِفِ الجزاء أكتفاء ؛ فإنّ في ذلك ترهيدا لتلوى
الحسنى في الإحسان ، وتتأبأ لأهل الإساءة في العُدوان ؛ ولولا ما فرضه الله على
أمير المؤمنين من إيجاب المحبة ، والفكك من رتبة الاجتهاد ببلّاغ المعنوه ، لتنى
عنان الإطالة مقتصرأ ، وأكتفى ببعض القول مختصرأ ؛ فقه بامتناع سدادك ونهاك ،

أَنْ يَرَاكَ صَوَابُ الْفَعْلِ حَيْثُ نَهَاكَ ، وَاسْتِنَامَةً إِلَى مَا خَوَّلَكَ اللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ ،
الْمُطَّلِعِ مِنْ خَصَائِصِ الْبَلِيَّةِ عَلَى عَجَبِ الْعَوَاقِبِ . فَأَرْتَبْتُ بِإِفْلَاقِ هَذِهِ النُّعْمَى
الَّتِي جَاءَتْ دِيمَهَا مَقَانِيكَ ، وَحَقَّقَتِ الْإَيَّامُ بِمَكَاتِبِ أَمَانِيكَ ، بِشُكْرِ يَنْطَلِقُ بِهِ لِسَانُ
الْإِعْتِرَافِ ، فَيُؤْمِنُ وَحَيْثُ النِّمِّ مِنَ النَّفَارِ وَالْإِنْعِرَافِ ، وَأَسْلُكَ فِي جَمَالِ السَّيْرِ ،
وَالْإِقْتِدَاءِ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ الْمُبَيَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، جَدِّدًا يُفَرِّقُ بِحُكْمِكَ الْإِلْسِنَةَ ، وَيُعْرِبُ عَنْ
كَوْنِكَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَاللَّهُ يَصْدَقُ بِحِيلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فِيكَ ، وَيُوزِعُكَ شُكْرًا مَا أَوْلَاكَ وَيُوَلِّيكَ ، وَيُعْمَلُ الصَّوَابَ غَرَضًا لِنَيْالِ عَزَائِمِهِ ،
وَيُدَوِّدُ عَنْ دَوْلَتِهِ الْقَاهِرَةِ كَاتِبَ الْخَطُوبِ بِصَوَارِمِ السُّعْدِ وَقَسَائِمِهِ ، وَيَصِلُ أَيَّامَهُ
الزَّاهِرَةَ بِالْخُلُودِ ، وَيُسْطَى عَلَى أَقَاصِي الْأَرْضِ ظِلُّهُ الْمُدُودِ ، مَا أَسْتَهْلُ جَفْنَ الْغَيْثِ
الْمُدْرَارِ ، وَأَبْتَسِمَتْ تُفُورُ النَّوَارِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يكتب
لأرباب الوظائف من أصحاب السيف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(المهود ، وهي أعلاها رتبة)

وطريقتهم فيها أَنْ تُنْتَحَ بِلفظ : « هذا ما عهد عبد الله ووليه فلان أبو فلان
الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني حين عرف منه » ويذكر بعض مناقبه ، ورُبَّمَا
تعرض لثناء سلطان دولته عليه . ثم يقال : « فقلله كذا وكذا » ثم يقال : « وأمره
بكذا » وبأى مما يناسب من الوصايا . ثم يقال : « فقلله كذا وكذا » ثم يقال :

« هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، ومُجَّتُهُ عَلَيْكَ » أو نحو ذلك ؛ ولا يُؤْنَى فِيهِ بِتَحْمِيدٍ فِي أَوَّلِ الْعَهْدِ وَلَا فِي أَثْنَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي عُهُودِ الْخُلَفَاءِ لِلْوَلَدِ .

عهدُ أربابِ السيفِ (وهي عِدَّةُ ولايات)

منها - النظر في المظالم .

وهذه نسخة عهدٍ كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي ، عَنْ الْمُطِيعِ قَه ، إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ ، بِتَقْلِيدِ الْمَظَالِمِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَهِيَ :

هَذَا مَا عَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ الْفَضْلُ الْإِمَامُ الْمُطِيعُ قَه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ ، حِينَ اجْتَمَعَ فِيهِ شَرَفُ الْأَعْرَاقِ ، وَالْأَخْلَاقِ ، وَتَكَامُلَ فِيهِ بَيْنُ الْقَاتِبِ ، وَالضَّرَائِبِ ؛ وَعَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ فَضْلُ الْكِفَايَةِ وَالْعَنَاءِ ، وَرِشَادُ الْمَقَاصِدِ وَالْأَنْجَاءِ ؛ فِي سَالِفِ مَا وُلَّاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ التَّحْمِيلَةِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ فِيهَا مَجُودَ الْمَقَامِ ، مُسْتَمِرًّا عَلَى النَّظَامِ ؛ مُصِيبَ النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، سَدِيدَ الْإِسْدَاءِ وَالْإِلْحَامِ ؛ زَائِدًا عَلَى الْمَزَايِدِ ، رَاجِحًا عَلَى الْمَوَازِينِ ؛ فَائِسًا لِلْحَافِظِينَ ، مُبْرَأً عَلَى الْمُبَارِينَ ؛ فَقَلْبُهُ النَّظَرَ فِي الْمَظَالِمِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَوَادِهَا وَأَعْمَالِهَا ، وَمَا يَجْرِي مَعَهَا ؛ تَقَةً بِعِلْمِهِ وَبِقِيَمَتِهِ ، وَأَعْتَادًا عَلَى بَصِيرَتِهِ وَبِقِيَمَتِهِ ؛ وَسُكُونًا إِلَى أَنَّ الْأَيَّامَ قَدْ زَادَتْهُ تَحْلِيلًا وَتَهْنِئًا ؛ وَالسَّنَّ قَدْ تَنَاهَتْ بِهَ تَحْنِيكًا وَتَجَرُّبًا ؛ وَأَنْ صَنِيعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَمْتَرَةٌ مِنْهُ عِنْدَ أَكْرَمِ أَكْفَانِهَا ، وَأَشْرَفِ أَوْلِيَائِهَا ؛ بِرَحْمَةِ الْمَنَاءِ الدَّانِيَةِ ، وَحُرْمَتِهِ الشَّائِعَةِ الْعَالِيَةِ ، وَمَعْرِفَتِهِ النَّاقِبَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى التَّفَرُّيْضِ إِلَيْهِ ، الْبَاعِثَةِ عَلَى التَّعْوِيلِ عَلَيْهِ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَمْدُ

الله في ذلك أَحْسَنَ مَاعَزَدَه من هِدَايَةٍ وَتُسْدِيدٍ ، وَمَعُونَةٍ وَتَأْيِيدٍ ؛ وَمَا تَوَفَّقُهُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ بِتَوَكُّلٍ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْجَنَّةُ الْحَصِينَةُ ، وَالْعِصْمَةُ الْمُتَيْنَةُ ؛ وَالسَّبَبُ الْمُتَّصِلُ يَوْمَ أَقْطَاعِ الْأَسْبَابِ ، وَالزَّادُ الْمُبْلَغُ إِلَى دَارِ الثَّوَابِ ؛ وَأَنْ يَسْتَشِيرَهَا فِيمَا يُسِرُّ وَيُعْلِنُ ، وَيَعْتَمِدَهَا فِيمَا يَظْهَرُ وَيُخْفَى ؛ وَيَعْمَلُهَا إِمَامَهُ الَّذِي يَحْمُوهُ ، وَرَأْيَهُ الَّذِي يَقْفُوهُ ؛ إِذْ هِيَ شَيْعَةُ الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْيَارِ . وَكَانَ أَوَّلَى مَنْ تَمَاقَى بِعَلَائِقِهَا ، وَتَمَسَّكَ بِوَنَائِقِهَا ؛ لِمَفْخَرِهِ الْكَرِيمِ ، وَمُنْصَبِهِ الصَّمِيمِ ؛ وَاسْتِظْلَالِهِ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِوَحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ - الَّتِي يَكْتَتِنُ فِي فَنَائِقِهَا ، وَيَأْوِيَانِ إِلَى أَفَائِقِهَا ؛ وَحَقِيقُ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْهَا مَرْجُوهُ ، وَإِلَيْهَا مَرْجِعُهُ ؛ أَنْ يَكُونَ طَيِّبًا زَكِيًّا ، طَاهِرًا قَيِّمًا ؛ عَفِيفًا فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، نَظِيفًا فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَتَأْمُلِ مَا فِيهِ مِنَ الْبُرْهَانِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ نَصْبًا لِنَظَرِهِ ، وَمُأَلَّفًا لِحَاطَرِهِ ؛ فَيَأْخُذُ بِهِ وَيُعْطِي ، وَيَأْمُرُ لَهُ وَيَنْتَهِي ؛ فَإِنَّهُ الْجَمْعَةُ الْوَاضِحَةُ ، وَالْمَحْجَمَةُ الْالْتِمَعَةُ ؛ وَالْمُعْجَزَةُ الْبَاهِرَةُ ، وَالْيَمِينَةُ الْعَادِلَةُ ؛ وَالِدَلِيلُ الَّذِي مَنْ أَتْبَعَهُ سَلِمَ وَنَجَا ، وَمَنْ صَدَفَ عَنْهُ هَلَكَ وَهَوَى ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَجْلِسَ لِمُصَوِّمٍ جُلُوسًا عَامًّا ، وَيُقْبَلَ عَلَيْهِمْ إِقْبَالًا تَامًّا ؛ وَيَتَصَفَّحَ مَا يُرْتَقِعُ إِلَيْهِ مِنْ ظُلُمَاتِهِمْ ، وَيُنَيِّمَ النَّظَرَ فِي أَسْبَابِ مُحَادَثَتِهِمْ ؛ فَإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ طَرِيقَ الْمُنَازَعَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِنَظَرِ الْقَضَاةِ وَشَهَادَاتِ الْعُدُولِ رَدَّهُ إِلَى الْمُتَوَلَّى لِلْحُكْمِ ، وَمَا كَانَ طَرِيقُهُ النُّصُوبِ الْحَاجِّ فِيهَا إِلَى الْكَشْفِ وَالْفَحْصِ ، وَالِاسْتِشْفَافِ وَالْبَحْثِ ؛

نظر فيه فَنَقَرَ صاحبِ المَظَالِمِ ، وَاتَرَخَ الحقَّ مِنْ غَضَبٍ عَلَيْهِ ، وَاسْتَغْلَصَهُ مِنْ
أَمْنَتِكَ لَهُ يَدُ التَّمَدُّدِ وَالتَّنَوُّرِ إِلَيْهِ ؛ وَأَعَادَهُ إِلَى مَسْتَحَقِّهِ ، وَأَقْرَبَهُ عِنْدَ مَسْتَوْجِبِهِ ؛
غَيْرَ مَرَاقِبٍ كَثِيرًا لِكِبَرِهِ ، وَلَا خَاصًّا لِمُخْصُوصِهِ ، وَلَا شَرِيفًا لَشَرَفِهِ ، وَلَا مُسَلِّطًا
لِسُلْطَانِهِ ؛ بَلْ يَقْدُمُ أَمْرَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَيَتَوَخَّى رِضَاهُ فِيمَا
يُورِدُ وَيُغَيِّرُ ؛ وَيَكُونُ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُحِقِّ حَذْبًا رُفُوعًا حَتَّى يَذْهَبَ وَيَتَصَيَّفَ ،
وَعَلَى الْقَوِيِّ الْمُبْطِلِ شَدِيدًا غَلِيظًا حَتَّى يَنْقَادَ وَيَذْهَبَ ؛ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ :
(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَفْتَحَ بَابَهُ ، وَيُسَهِّلَ حِجَابَهُ ؛ وَيَسْطُ وَجْهَهُ ، وَيُلِينَ كَتَفَهُ ؛ وَيَصِيرَ
عَلَى الْمَحْصُومِ النَّاqِصِينَ فِي بَيَانِهِمْ حَتَّى تَظْهَرَ حُجَّتُهُمْ ؛ وَيُنِيمَ النَّظَرَ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ اللِّسَنِ
وَالْبَيَانِ مِنْهُمْ حَتَّى يَعْلَمَ مُصِيبَتَهُمْ ؛ فَرُبَّمَا اسْتَظْهَرَ الْعَرِضُ الْمُبْطِلُ بِفَضْلِ بَيَانِهِ ، عَلَى
الْعَاجِزِ الْمُحِقِّ لِعَيْنِ لِسَانِهِ ؛ وَهَنَالِكَ يَجِبُ أَنْ يَقَعَ التَّصَفُّحُ عَلَى الْقَوْلَيْنِ ، وَالْإِسْتَظْهَارُ
لِلْأَمْرَيْنِ : يُؤْمِنُ أَنْ يُزُولَ الْحَقُّ عَنْ سَنَنِهِ ، وَيَزُولَ الْحَكْمُ عَنْ طَرِيقِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ
تُضَيِّعُوا عَلَى مَا فَتَحْتُمْ نَارَهُمْ) .

وَأَمْرُهُ بَأَنْ لَا يَرُدَّ لِلْقَضَاةِ حُكْمًا يَمْضُونَهُ ، وَلَا سِجِلًّا يَنْفُذُونَهُ ؛ وَلَا يُقَبِّبُ ذَلِكَ
بَفَسْحٍ ، وَلَا يَطَّرُقُ عَلَيْهِ التَّقْضُ ؛ بَلْ يَكُونُ لَهُمْ مُوَافَقًا مُؤَاوِرًا ، وَأَحْكَامُهُمْ عَاضِدًا
نَاصِرًا ؛ إِذْ كَانَ الْحَقُّ وَاحِدًا وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْمَذَاهِبُ إِلَيْهِ . فَإِذَا وَجَدَ الْقِصَّةَ قَدْ
سَيِّقَتْ ، وَالْحُكُومَةُ قَدْ وَقَعَتْ ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ شَكٌّ يَوْقُفُ عِنْدَهُ ، وَلَا رَيْبٌ يُحْتَاجُ

إلى الكشف عنه ؛ وإذا وجد الأمر مشتبهًا ، والحق ملتبسًا ، والتفرع مستعملًا ، والتغلب مستعجزًا ، نظر فيه نظر الناصر لحق المحققين ، الداحض لباطل المبطلين ؛ المقوى لأيدى المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين ؛ قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَاَوْا أَوْعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ .

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاورة القضاة والفقهاء ، ومباحثة الرأيين والعلماء ؛ فإن أشبهه عليه أمر استرشدتم ، وإن عزب عنه صواب استدل عليه بهم ؛ فإنهم أئمة الأحكام ، وإليهم مرجع الحكماء ؛ وإذا اقتدى بهم في المشكلات ، وعمل بأقوالهم في المعضلات ، أمن من زلة المائر ، وظلّة المستائر ؛ وكان خليفًا بالأصلية في رأيه ، والإصابة في أبحاثه ؛ وقد أمر الله - تفتت أسماؤه - بالمشاورة فنزف الناس فضلها ، وأسلكهم سبلها ؛ بقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ .

وأمره أن يكتب لمن توجب له حق من الحقوق إلى صاحب الكوفة بالشدة على يده والتشكّل منته ، وقبض الأيدي عن منازعته ، وحسم الأطلع في معارضته ؛ إذ هو مندوب لتنفيذ أحكامه ، ومأمور بإمضاء قضاياه ؛ ومتى أخذ أحد من الخصوم إلى مكاذبة في حق قد حكم عليه به ، أخذ على يده وكفه عن ضلوانه ، وردّه إلى حكم الله الذي لا يعبد عنه ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذْ حُلُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحبته عليك ، قد أرشدك وذركك ، وهذاك
وبصرك ؛ فكن إليه متنبها ، وبه مقتديا ، وأستعين بالله ينعك ، وأستغفره ينعك .
وكتب الناصح أبو الطاهر في تاريخ كذا .



ومنها — رقابة الطالبيين : وهي المعبر عنها الآن بـ رقابة الأشراف .

وهذه نسخة عهد رقابة الطالبيين ، كتب به أبو إسحاق الصابي ، عن الطائع لله
إلى الشريف أبي الحسن محمد بن الحسين الملقب بالموسوي ، مضافا إليها النظر
في المساجد وعمارتها ، وأستخلافه لوالده الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى على
النظر في المظالم والحج بالناس ، في سنة ثمانين وثلثمائة ، وهي :

هذا ما عهد عبده الله عبداً الكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن
الحسين بن موسى الملقب بالموسوي ، حين وصلته به الأنساب ، وقُرئت لديه الأسباب ؛
وظهرت دلائل عقله ولبائته ، ووصفت محابيل فضله ونجائته ؛ ومهد له بهاء الدولة
وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة مأمهد عند أمير المؤمنين من المحلل المكين ،
وصفقه به من الحلم الرزين ؛ وأشار به من رفع المثيلة ، وتقديم الرتبة ؛ والتأهيل
لولاية الأعمال ، وتحمل الأعباء والأثقال ؛ وحيث رغبه فيه ، سابقة الحسين أبيه ،
في الخدمة والنصيحة ، والمشايع الصالحة ؛ والمواقف المحموده ، واللقامات
المشهوده ؛ التي طاب بها أخباره ، وحسنت فيها آثاره ؛ وكان محمد متخلقا بجلالاته ،
وذاهباً على طرائقه : علماً وديانة ، وورعاً وصيانة ، وعفة وأمانة ، وشهامة وصرامة ؛

وَقَرُّوا بِالْحِزْلِ الْجَزَلِ : من الفضل الجميل والأدب الجزل ، والتوجه في الأهل ؛ والإبقاء في المناقب على لدائه وأثرابه ، والإبرار على قُرَّاته وأضرابه . فقلده ما كان داخل في أعمال أبيه من تقية قباء العلانيين بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار ؛ شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، واختصه بذلك جذبا بصبغه ، وإفافة بقدره ، وقضاء لحق رحمه ، وترقيتها لأبيه ، وإسقاطا له بإيثاره فيه ؛ إلى ما أمر أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم ، وتسيير الحجيج في أوان المواسم ، والله يُعرف أمير المؤمنين الخيرة فيما أمر ودبر ، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسميا الصالحين ، وعصمة عباد الله أجمعين ؛ وأن يتقدها سرا وجهرا ، ويتبعها قولاً وفعلًا ؛ فيأخذ بها ويُعطى ، ويرى ويرى^(١) ، ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ؛ فلما السبب المتين ، والمغفل الحصين ؛ والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المفضى إلى دار الثواب ؛ وقد حصن الله أوليائه عليها ، وهدهم في محكم كتابه إليها ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبا ، وتصفحه مداوما مُلازما ، والرجوع إلى أحكامه فيما أحلّ وحرم ، وقضى وأبزم ، وأتاب وعاقب [وابتعد وقارب^(٢)] ؛ فقد صحح الله برهانه [وعجته^(٣)] ، وأوضح منهجَه وعجته ؛ وجعله جُزْأ في التلزمات طالعا ، ونُورا في المشكلات ساطعا ؛ فمن أخذ به نجى وسلم ، ومن عدل عنه هلك وهوى

(١) في "الكل السائر" بـ"له" و"يسروني" .

(٢) الزيادة من "الكل السائر" .

[وَنَدِمَ] ^(١) . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَآتَاهُ لِكِتَابٍ غَزِيرٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بتزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات، وتطلع إليه التزوات ؛ وإن يضبطها ضبط الحكيم، ويكفها كف الحليم؛ ويجعل عقله سلطاناً طيباً، وتميزه أمراً تاهياً لها ؛ فلا يجعل لها عدواً إلى صهوة ولا حقوه ، ولا يطلق منها عتانا عند قورة ولا قوره ؛ فلأنها أماره بالسوء ، منصبة إلى النقي ؛ فالخازم بينهما عند تحرك وطره وأربه ، وأهتاج غيظه وغضبه ؛ ولا يدع أن يفضها بالشكيم ، ويعركها عرك الأديم ؛ ويقودها إلى مصالحها بالخزائم ، ويعقلها عن مفارقة المحارم والمآثم ؛ كما يميز بتدليلها وتاديبها ، ويجعل رياضتها وتقويمها ؛ والمفترط في أمره تطمع به إذا طمعت ، ويحج معها أئى جمعت ؛ ولا يلبث أن توردته حيث لا صدر ، وتلجته إلى أن يستدر ؛ وقيمه مقام النادم الواجيم ، وتتكب به سبيل الراشد السالم ؛ وأحق من تحمل بالمحاسن ، وتصدى لاكتساب الحامد ؛ من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف ، ومنصبه المنيف ؛ واجتمع معه في ذؤابة العثرة الطاهره ، واستظل بأوراق الدوحة الفانيره ؛ فذاك الذى تتضاعف له المآثر إن آثرها ، والمطالب إن أسف إليها ؛ ولا سيما من كان متلوياً لسياسة غيره ، ومُرَّحاً للتقليد على أهله ؛ إذ ليس يبقى بإصلاح من ولى عليه ، من لا يلقى بإصلاح ما بين جنبيه ؛ وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ، ويزجر ولا يذجر ؛ قال الله عز وجل : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكَلْبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بتصفح أحوال من وُئى عليهم وأسقروا مذاهبهم ، والبحث عن بواطنهم ودخائلهم ؛ وأن يعرف لمن تهمت قلمه منهم وظاهر فضله فيهم منزله ، ويؤيِّه حقه ورتبه ؛ ويثبته في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم : فإن ذلك يلزمه لشيئين : أحدهما يحضه وهو النسب الذي بينه وبينهم ، والآخر يعمه والمسلمين جميعاً ، وهو قول الله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ فالموَدَّة لهم والإعظام لأسيادهم ، والإشبال على أصابعهم ؛ [واجب] متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكد اللزوم له ؛ ومن كان منهم في دُون تلك الطبقة من أحداث لم يحتسبوا ، أو جُدُّان لم يقرحوا ، مجبرين إلى ما يزرى بأنسابهم ويقض من أحسابهم ، عَظُمَ ونَبَهَم ، ونَهَاهم ووعظهم ؛ فإن زعموا وأقلعوا فذاك المراد بهم ، والمقصود إليهم فيهم ؛ وإن أصرُّوا ونابغوا ، أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويُدع ؛ فإن نفع وإلا تجاوزوه إلى ما يوجب ويلدع ؛ من غير تطرق لأعراضهم ، ولا انتهاك لأحسابهم ؛ فإن الغرض منه الصيانة ، لا الإهانة ، والإدالة ، لا الإذالة . وإذا وجبت عليهم الحقوق ، أو تعلقت بهم دواعي الخوصوم ، قادمهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويجب ، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتهه ويلتزم . ومتى لزمته الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها ، بعد أن ثبت الجرائم وتصح ، وتبين وتصح ، وتجرد عن الشك والشبه ، وتخل من الظن والتهمه ؛ فإن الذي يستحب في حدود الله أن تُدرك عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تُنفى عنهم مع قيام الدليل واليقينة . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) الإشبال السلف وفق "المثل السائر" « والاشتغال » وهو يمتناه .

(٢) الزيادة عن "المثل السائر" .

وأمره بمحاطة هذا النسب الأظهر، والشرف الأضخم، عن أن يتبعه الأذمياء،
أو يدخل فيه الدخلاء، ومن آتى إليه كاذبا، وأتخذه باطلا، ولم يوجد له بيت
في الشجرة، ولا مصداق عند النساين المهرة، أوقع به من العقوبة ما يستحقه،
وسمه بما يعلم به كذبه وفسقه، وشهره شهرة ينكشف بها غشه وتبسه، ويتزعج
بها غيره ممن تسول له مثل ذلك نفسه. وأن يحصن الفروج عن مناجاة من ليس لها
كفؤا، ولا مشاركا في شرفها وتغرها، حتى لا يطمع في المرأة الحسية النسبية
إلا من كان مثلا لها مساويا، ونظيرا موازيا، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأمره بمراعاة مبتلى أهله ومتبئيه، وصلحاتهم ومجاورهم، وأراذلهم
وأصاغيرهم، حتى يسد الخلة من أحوالهم، ويدبر الموادع عليهم، وتعدل أقساطهم
فيا يصل إليه من وجوه أموالهم، وأن يزوج الأيما، ويربي اليتامى، ويؤتمهم
المكاتب ليتقنوا القرآن، ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان، ويتأدبوا بالأداب،
اللازمة ببنو الأخصاب: فإن شرف الأعراق، محتاج إلى شرف الأخلاق، ولا حمد
لمن شرف نسبه، وتخف أدبه، إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعي
ولا طلب، ولا اجتهد ولا دأب، بل صنع من الله عز وجل له، ومريد في المنة
عليه، وبحسب ذاك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية، والاعتناء
بما فيها من المنزلة، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن
الزائل والمقابل.

وأمره بإحمال النيابة عن شيوخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين
باستخلافه عليه من النظر في المطالم، والأخذ للظلم من الظالم، وأن يجلس للترافيع

إليه جُلوساً عاماً ، ويتأمل ظُلاماتهم تأملاً تاماً ؛ فما كان منها منعقلاً بالحاكم رده إليه ، ليحْمِلَ الخُصومَ عليه ؛ وما كان طريقه طريقَ النِّمِّ والظُّلِّ ، والتَّنْظُبِ والنَّصْبِ ، قَبَضَ عنه اليَدَ المَبْطُلَةَ ، وثَبَّتَ فيه اليَدَ المَسْتَحِقَّةَ ؛ ونَحَرَى في قَضَاياه أن تَكُونَ موافقةً للعدل ، ومجانبةً لِحَذَلٍ ؛ فإن غائِيَ الحاكم وصاحب المظالم واحدة : وهى إقامة الحق ونُصْرَتُهُ ، وإبانتُهُ وإثارتُهُ ؛ وإنما يختلف سبيلهما في النظر : إذ الحاكم يعمل على ما ثَبَّتَ وظَهَرَ ، وصاحب المظالم يَفْحَصُ عما غَمَضَ وأَسْتَرَّ ، وليس له مع ذلك أن يَرُدَّ حاكم حُكومه ، ولا يُبَلِّغَ له قَضِيَّته ؛ ولا يَتَعَقَّبَ ما يَنْفِذُهُ ويَحْضِيهِ ، ولا يَتَّبِعَ ما يَحْكُمُ به وَيَقْضِيهِ ، والله يَهْدِيهِ وَيُسَدِّدُهُ ، وَيُوقِفُهُ وَيُرْشِدُهُ .

وأمره أن يَسِيرَ حَيْجَ بيتِ الله إلى مَقْصِدِهِمْ ، وَيَحِيْمَ في بَلَدِهِمْ وَعَوْدَتِهِمْ ؛ وَيَرْتَبِعَ في سَيْرِهِمْ وَمَسَلِكِهِمْ ، ويرعاهُمْ في ليلِهِمْ ونَهَارِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَنَالَهُمْ شِدَّةٌ ، وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ مَضَرَّةٌ ؛ وَأَنْ يُرِيحَهُمْ في المَنَازِلِ ، وَيُورِدَهُم المَنَاطِلَ ؛ وَيُنَاقِبَ بَيْنَهُمْ في النَّهْلِ وَالْمَلِّ ، وَيُمَكِّنَهُمْ مِنَ الْإِرْتَوَاءِ وَالْإِكْتِفَاءِ ؛ مَجْتَهِدًا في الصَّيَانَةِ لَهُمْ ، وَمُعْذِرًا في الذَّنْبِ عَنْهُمْ ، وَمُتَوَكِّلاً عَلَى مَنَاحِرِهِمْ وَمَتَخَلِّفَهُمْ ، وَمُنْهِضًا لضعيفِهِمْ وَمُهَيِّضَهُمْ ؛ فَانْهَمِ مُجَاجَ بيتِ الله الحرام ، وَزُورُوا قَبْرَ الرُّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قَدْ حَجَّرُوا الْأَوْطَانَ ، وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ ؛ وَتَجَشَّمُوا الْمَغَارِمَ الثَّقَالَ ، وَتَسَفَّوْا السُّهُولَ وَالْجِبَالَ ؛ يُبَيِّنُ دَعَاؤُ الله عِزَّ أَسْمِهِ ، وَيُطِيعُونَ أَمْرَهُ وَيُؤَدُّونَ فَرْضَهُ وَيَرْجُونَ ثَوَابَهُ ؛ وَحَقِيقُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُحَرِّسَهُمْ مَتَرَعًا ، وَيُحَوِّطَهُمْ مَطَوِّعًا ؛ فَكَيْفَ مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ وَضَمِنَهُ ، وَتَقَلَّدَهُ وَأَعْتَقَهُ ، قَالَ اللهُ : ﴿ وَفَعَلَ عَلَى النَّاسِ إِجْرَ الْيَتِيمِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

وأمره أن يرَاعَى أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها ، وأقطارها وأكافها ؛
وأن يَحْتَجَّ أموال وقوفها ، ويستقصي جميع حقوقها ؛ وأن يَلْمَّ شعبها ، ويسدَّ خللها ؛
بما يتحصل من هذه الوجوه قبله ، حتى لا يتعطل رسم جرى فيها ، ولا تنقض عادة
كانت لها ؛ وأن يُنَيِّتَ اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ، ويذكر اسمه بعده
بأن عمرانها جرى على يديه ، وصلاحتها آذاه قول أمير المؤمنين إلى فعله ؛ فقد قسح له
أمير المؤمنين بذلك تنويهاً باسمه ، وإشادة بذكره ؛ وأن يؤلَّى ذلك من قبله من حسنت
أمانته ، وظهرت عفته وصيastه ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال : في الأمصار
الدائنية ، والبلاد القريية والبيعية ، مَنْ يثق به من صلحاء الرجال ، وذوي الوقاء
والاستقلال ؛ وأن يعهد إليهم مثل الذي عهد إليه ، ويعتمد عليهم في مثل ما اعتمد
عليه ؛ ويستقرى مع ذلك آثارهم ، ويتعرف أخبارهم ؛ فمن وجد محموداً أقره
ولم ير له ، ومن وجد مذموماً صرفه ولم يمهله ؛ وأعتاض منه مَنْ تَرَجَّعَ الأمانة
عنده ، وتكون الثقة موهوبة منه ؛ وأن يختار لكتابته وحيثته والتصرف فيما قرب
منه وسد عنه ؛ مَنْ يَزِيَنهُ ولا يَسِيَنهُ ، ويتصحب له ولا يَفْشُهُ ، ويحمله ولا يهيجنه ، من
الطبقة المعروفة بالظلف ، المتصونة عن التطفُّ ؛ ويحصل لهم من الأرزاق الكافية ،
والأجرة الوافية ، ما يصدُّهم عن المكاسب الذميمة ، والمآكل الوخيمة ؛ فليس تجب
عليهم الحجة إلا مع إعطاء الحاجة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَاسِيٌّ
وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ثُمَّ يُخْرَأُ الْجَزَاءُ الْآوْفَىٰ ﴾ .

وأمره بأن يكتب لمن يقوم بينته عنده وتكشف حجته له ، إلى أصحاب الممان بالشّد على يديه ، وإيصال حقّه إليه ؛ وحسن الطمع الكاذب فيه ، وقيض اليد الظالمة عنه ؛ إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه ، والوقوف عند رُسمه وحده .

وهذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ؛ قد أنار فيه سبيلك ، وأوضح دليلك ؛ وهدايك وأرشدك ، وجعلك على بينة من أمرك ؛ فاعمل به ولا تخالفه ، وأنته إليه ولا تتجاوزّه ؛ وإن عرض لك أمرٌ يُعجزك الوفاء به ، وبشّته عليك وجهُ الخروج منه ، أنته إلى أمير المؤمنين مبادراً ، وكنت إلى ما يأمرك به صائراً ؛ إن شاء الله تعالى . وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلثمائة .



ومنها - ولاية الصلاة .

وهذه نسخة عهد كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله ، لأبي الحرث محمد بن موسى العلويّ الموسوي ، بتقليده الصلاة في جميع النواحي والأمصار والأطراف ، وتوقف عن إظهاره لرأى رآه في ذلك ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله إلى محمد بن موسى العلويّ ، لما استكفاه النظر في رقابة الطالبين فكفاه ، وتعمل ذلك العبد فأغناه ، وفات النظراء في الاستقلال والوفاء ؛ وبذل الأمتال في الإضيّطلاع والفتاء ؛ جامعاً إلى شرف الأحساب والأعراق ، شرف الآداب والأخلاق ؛ وإلى صكرايم المفانير والمناقب ، مكارم الطبائع والضرائب ؛ على الحدائنة من سنّه ، والنفضاضة من عوده ؛ مستولياً من البراعة والتجابه ؛ والفرأهة واللبّابه ؛ على التي لا يئلفها الشيب المفارق ، فضلا عن البالغ المراقق ؛ وغايات

تقطع دونه أنفاس المنافسين ، وتقرم عليها أحشاء الحاسدين ؛ لاسيما وقد أطت^(١) بأمير المؤمنين إليه شواجر الأرحام ، وعطفته على أصطناعه عواطف الآباء والأعمام ؛ وأقتضت آثاره المحموده ، وطرائقه الرشيدة ؛ أن يُناوبه على رتبة لم يسلفها أحد من ولد أبيه ، ولم يفتزع ذوائبها رجل دونه ؛ فقلبه الصلاة بمدينة السلام في خمسة جوامعها : فأولها الجامع الداخل في حريم أمير المؤمنين ، وجامع الرصافة ، وجامع المنصور ، وجامع براق ، وجامع الكف الذي تولى أبوه إعادته وعمارته ، وحسنت آثاره في إنشائه وإعلانه ؛ وحيث سميت همته إليه ، وبذل المجهود في إفاق الأموال الدثرة^(٢) عليه ؛ وأستزل بذلك من الله أجر لثابة المشائين ، وأوفر أجر المجاورين ؛ وجميع المنابر في شرق الأرض وغربها ، وبعيد الأقطار وقربها ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله حسن التسديد في ذلك وسائر مراميها ، وجميع مطالبه ومغازيه ؛ وجواري همة التي يُمضيها ، وسرايا عزماته التي يتوينا ؛ وأن يعمل النجاح قائدها وسائقها ، والصلاح أولها وآخرها ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُتنب .

أمره بتقوى الله التي هي أحرز المآقل ، وأحصن الجتن عند النوازل ؛ وأعظم ملجأ لجأ إليه ، وأمن موئل يؤول عليه ؛ وأن يتقدها في خلوته وحفته ، ويتمدها في سره وعلايته ؛ ويحصلها سببا يتبعه ، ولياسا يدرعه ؛ فيتأزع بها من نازعه ، ويؤادع بها من وأدعه ؛ فإنها أوكد الأسباب ، وأوصل القرب والأنساب . وأولى الناس بالتسك بمجلها ، والأشمال بظللها ؛ من كان بأجل المناسب تعلقه ، وبأشرف اختلاقي

(١) في القاموس « ألت له رعى وقت وتحركت » فأنظره .

(٢) في اللسان ج ه ص ٣٦٢ « الدر بافتح المال الكبير لا يقي ولا يجمع يقال مال درومالان در و أموال در » ظلل هاء التأنيث زائدة من ظم النح . تأمل .

تَحَقُّقُهُ ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِتَلَاوةِ الْقُرْآنِ ، وَالْمَوَاطَنَةِ عَلَيْهِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْإِثْمَارِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ ، وَالْإِزْدِجَارِ عَمَّا تَضُمَّنُ مِنَ الزَّوْاجِرِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ الْإِمَامَ الْمَتَّبِعَ فِيَقُوهُ ، وَالطَّرِيقَ الْمَتَّبِعَ فِيَقْصِدَهُ وَيُتَّبِعُوهُ : فَإِنَّهُ الْعَلَمُ الْمُنْجِي مِنَ الْغَوَايَةِ ، وَالدَّلِيلُ الْقَائِدُ إِلَى الْمَهْدَايَةِ ؛ وَالنُّورُ السَّاطِعُ لِلظُّلَامِ إِذَا أَشْكَلَ مُشْكِلاً ، وَالْحَاكِمُ الْقَاضِي بِالْحَقِّ إِذَا أُعْضِلَ مُعْضِلاً ؛ قَالَ اللهُ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِتَهْذِيبِ لُبِّهِ ، مِنْ جَوَامِيعِ الْوَسَاوِسِ ، وَتَطْهِيرِ قَلْبِهِ ، مِنْ مَطَالِيعِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَأَنْ يَتَوَقَّى الْهَظْلَةَ السَّارِمَةَ ، وَيَتَجَنَّبَ اللَّفْظَةَ الْمُؤَلِّمَةَ ؛ عَاصِيًا جَوَانِبَ الْخَلَاعَةِ ، وَمُطِيعًا أَوَامِرَ التَّزَاهَةِ ؛ حَتَّى يَسْتَوِيَ خَافِيهِ وَعَالِنُهُ ، وَيَتَّفَقَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ ؛ فِعَالٌ مِنْ جَعَلَهُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ إِمَامًا ، وَقَقَمَتَهُ الرَّعِيَّةُ أَمَامًا ؛ وَكَانَ إِلَى اللهِ دَاعِيًا ، وَلَهُ عَنْ عِبَادِهِ مُنَاجِيًا ؛ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِفَتِهِمْ وَسَيْطًا ، وَعَلَى مَا قَلَدَهُ مِنَ الصَّلَاةِ بِهِمْ أَمِينًا : لِتَصِحَّ شُرُوطُ صَلَاتِهِ ، وَيُقْبَلَ مَرْفُوعُ دَعْوَاتِهِ ؛ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالْحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَاتِّهَازِ فُرْصَتِهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ ؛ وَالِدُخُولِ فِيهَا بِالرَّقَّةِ وَالْخُشُوعِ ، وَالتَّوَقُّرِ بِالْإِخْبَاتِ وَالْخُضُوعِ ؛ وَحَقِيقُ عَلَى كُلِّ مُسْتَشِيرٍ شِمَارَ الْإِسْلَامِ ، وَمُتَجَلِّبٍ جَلْبَابَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مُسْتَوْفِيًا شُرُوطَهُ ، وَمُسْتَقْصِيًا حُدُودَهُ وَرُسُومَهُ ، فَكَيْفَ بَيْنَ أَقَامِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [مَقَامِهِ] فِي أَمْتِطَاءِ غَوَارِبِ الْمَنَازِيرِ

وَدَّرَاهَا ، وَنَصَبَهُ مَنَصِبَهُ فِي أَمِّ الرِّجَّةِ أَدْنَاهَا وَأَقْصَاهَا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ . وَقَالَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَتَّى تَخْشَوْهُ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالسُّنَى فِي الْجَمْعِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ ، وَفِي الْأَعْيَادِ إِلَى الْمُصَلَّاتِ الضَّاحِيَةِ ؛ وَأَنْ يُخَصَّ أَحَدُهَا بِصَلَاتِهِ فِيهِ وَقَصْدُهُ لَهُ ؛ وَيَأْمُرُ خَلْفَاءَهُ عَلَى الصَّلَاةِ بِالْإِقْرَاقِ فِي سَائِرِ الْجَوَامِعِ وَبِاقِي الْمَنَاسِبِ ؛ بَعْدَ الْأَمْرِ بِجَمْعِ الْمُؤَذِّنِينَ وَالْمُكَبِّرِينَ ، وَإِحْضَارِ الْقَوْمِ وَالْمُرْتِينَ ؛ فِي أَمِّ أُهْيَةٍ وَأَجْمَلِ هَيْئَةٍ ، بِقُلُوبٍ مُسْتَشِيرَةٍ لِمَشُوعٍ ، مَتَصَدِّقَةٍ لِلدُّمُوعِ ؛ وَالسُّنَنِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ مُتَطَلِّقَةٍ ، وَأَمَّا فِي حُسْنِ الْجَزَاءِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ مُتَقَسِّمَةٍ ، حَتَّى تَعْبَرُ السِّتْهُمُ إِذَا أَفْتَرَعُوا الْخُطْبَ وَأَفْتَتَحُوا الْكَلِمَ عَنْ مَكُونِ ضَمَائِرِهِمْ ، وَمَضْمُونِ سَرَائِرِهِمْ ؛ فَتَجِيءُ الْمَوَاعِظُ بِالْفَعْلِ ، وَالزُّوَابِرُ نَاجِعَةٌ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِمُرَاعَاةِ الْمَسَاجِدِ ، وَتَهْدِ الْجَوَامِعِ ؛ وَسَدِّ خَلْلِهَا ، وَلَمْ شَعْتِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَقَامُ عِزِّهِ وَنَفْسِهِ ، وَمَحَاضِرُ صِبْتِهِ وَذِكْرِهِ ؛ وَمَرَاكِزُ أَعْلَامِ الدِّينِ الْخَالِقَةِ ، وَمَطَالِعُ نُجُومِ الْإِسْلَامِ الشَّارِقَةِ ؛ وَمَوَاقِفُ الْحَقِّ الْمَشْهُودَةِ ، وَقَوَاعِدُ الْإِيمَانِ الْمَوْطُودَةِ ؛ مِمَّا لَا يَتَضَعُّعُ أَحَدُهَا إِلَّا تَضَعُّعَ مَنْ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ لَهُ رُكْنٌ ، وَلَا آثَاتُ بَعْضُهَا إِلَّا آثَاتُ مَنْ أَعْضَاءَ الدِّينِ عَضُو ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا يَبْعَثُ مُسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِآلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

(١) جمع مقوم وفي اللسان « المقوم الخشبة التي يسكنها الحرات » ولعله يريد أنها آلات عزه ونفزه .
تأمل .

وأمره في خُطْبَتِهِ بِكَثْرَةِ الصَّحْفِ ، وعند افتتاحه واختتامه بِقَوْلِ التَّقْطُفِ ؛
فإنَّ الصُّيُونَ به مَنُوطَةٌ ، والأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مَمْدُودَةٌ ؛ وَالْمَسَامِعُ فَاعِرَةٌ تُنْقَفُ ما يَقُولُهُ ،
وَالْقُلُوبُ فَارِعَةٌ لِحَفْظِ مَا يُسَيِّدُ وما يُبَيِّدُ ؛ قَلِيلُ الزَّلَالِ ، في ذلك المَوْقِفِ كَثِيرُ ،
وصَغِيرُ الْخَطَلِ ، في ذلك المَقَامِ كَبِيرُ ؛ والله تعالى يُسَيِّدُهُ إِلَى الْحَبَّةِ الْوُسْطَى ،
وَيَقِفُ به عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُتْلَى ، بِمَنَةِ .

وأمره بالسَّكِينَةِ في آتِصَابِهِ لِلصَّلَاةِ الْجَامِعَةِ ، وتَقْدِمِهِ لِقَضَاءِ الْفُرُوضِ الْإِزِمَةِ ؛
وَأَن يَسْكُنَ [في كُلِّ] حَذٍّ مِنْ حُدُودِهَا فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَالتَّيَسُّمِ وَالْقُعُودِ ؛
فإنَّهُ عَلَيْهَا مُحَاسَبٌ ، وبِمَا يَلْحَقُ مِنْ يَأْتُمُّ به في جَمِيعِهَا مُطَالِبٌ ؛ وَأَن يُفَرِّغَ قَلْبَهُ
لِمَا يَتْلُوهُ مِنَ الْبَيَانِ ، ويرْفَعُ صَوْتَهُ بِمَا يَمُرُّ به مِنْ قَوَارِعِ الْقُرْآنِ ؛ مَرَّتِلًا لِقِرَائَتِهِ ،
وَمُسْتَقْرِلًا فِي تِلَاوَتِهِ ؛ لِيَشْتَرِكَ فِي سَمَاعِهَا الْأَقْرَبُ وَالْأَقْصَى ، وَيَتَّخِجَ بِمَوَاضِعِهَا
الْأَبْعَدُ وَالْأَدْنَى ، بعد إِخْلَاصِ سِرِّهِ وَاتِّقَاعِهِ ، وَتَسْوِيَتِهِ فِي الطُّهُورِ مِنْ بَادِيهِ
وَخَافِيهِ ، وَغَايَتِهِ وَحَاضِرِهِ ؛ فَلَيْسَ بِالطَّاهِرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يُصِيبُ بِالْمَاءِ أَطْرَافَهُ ،
وَأَدْرَنَ بِالْجَبَائِثِ شِفَاقَهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ
مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أَن يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى مَنَابِرِ أَعْمَالِهِ الْقَاصِيَةِ وَالْبَانِيَةِ وَالنَّائِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ ثُمَّ لِلنَّاهِضِ عَنْهُ بِالْأَعْيَاءِ ، وَالْقَائِمِ دُونَهُ فِي الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ؛ الَّذِي
غَدَى بِلِيَانِ الطَّاعَةِ ، وَأَثْقَادِ بَرَامِ الْمَتَابَةِ : بِهَاءِ الدَّوَلَةِ ؛ وَلَوْلَاةِ الْأَعْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ
الَّذِينَ يُدْعَى لَهُمْ عَلَى الْمَنَابِرِ ، مَا يُكُونُ مِنْهَا عَلَى الْعَادَةِ الْجَلَارِيَةِ فِيهَا ، فَإِنَّهَا دَعْوَةٌ تَلْزِمُ
إِقَامَتَهَا ، وَكَلِمَةٌ تَحِبُّ إِسَادَتَهَا ؛ إِذْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ أَوْجَبَهَا اللَّهُ

تبارك وتعالى على كافة المسلمين وجميع المعاهدن، إذ يقول [وهو] أَصَدَقُ الْقَائِلِينَ :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ؛ وعائدتُها
تُعمِّمُهم، وفائدتها تشمُلُهم؛ إذ كان صلاح الرعية مقرونا بصلاح راعيها، وفسادُ
الأئمة منوطا بفسادِ وإلها .

وأمره باستِغلاف من يرى استِغلافه على الصلوة في الأقطار والأطراف والنواحي
والبلدان، وأن يختار من الرجال كلَّ حسن البيان، مضيق اللسان ؛ ليبلِّ الرقي إذا
خطب، بليغ القول إذا وعظ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وجهته لك وعليك ؛ قد أعذر فيه وأُذِر، وهدى
من الضلالة وبصر ؛ وأعلّق زمامَ رشدك ونجّك ، وقلبك عنانَ هلكك وقوّزك ؛
وخيرك في كلا الأمرين، ووفّقك إزاء الطريقين ؛ فإن سلكت أهداهما لم تلبث أن
تعود غائما، وإن ولّجت أضلّهما فغير بعيد أن تشوب نادما، وأستعين بالله يعنيك ،
وأسترده من الكفاية بزذك ؛ وأستليسه الهداية ليُليّسك ، وأستدله على نجاح
المطالب يذلّلك، إن شاء الله، والحمد لله وحده .

ومنها — نظر الأوقاف .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتب بها أبو إسحاق الصابغ عن الطائع لله -
الحسين بن موسى العلوي ، وهي :

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين، إلى الحسين بن
موسى العلوي، حين طابث منه العنصر، ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر؛ جمع
إلى شرف الأعراق الذى ورثه، شرف الخلق الذى اكتسبه؛ ووضعت آثار دينه

وأمانته ، وبانت أدلة فضله وكفائته ، في جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من الأعمال ، وحمله إياه من الأثقال ؛ فأضاف إلى ما كَلَبَ ولَّاه من [ذلك] النظر في الوقوف التي كانت يدُ فلان فيها بالحضرة وسوادها ، نعمة بسداده ، وسكونا إلى رِشاده ؛ وعلمنا بأنه يعرف حق الصبيحة ، ويرعى ما يستحقه من الوديعه ؛ ويمجى في المنهل الذي أحده أمير المؤمنين منه ووكل إليه . والله يمد أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما تحاه وتوخاه ، ويؤمنه في عاقبته التدم فيما قضاه وأمضاه ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنب .

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين ، وشعار المؤمنين ، وأن يستعدها في سره وتجاهه ، ويمهلها الذخيرة لأولاه وأئراه ؛ ويحبب الموانع المؤنية ، ويتوفى الموارد المريبة ؛ وينص طرفه عن المطامع المغوية ، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية ؛ فإنه أحق من قل ذلك وآثره ، وأولى من أعتلده وأستشعره ؛ بنسبه الشريف ، ومفخره المنيب ؛ وعادته المشهورة ، وشاكيته الماثورة ؛ وتلاوة كتاب الله الذي هو وصية رسول الله تعالى الخلفان في الأمة ، وقد جمعت ، وآخرها الأنساب وجمته والثاني عصمة أولى الألباب ، وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه ، وأنه غُضِن من دوحة أمير المؤمنين ، التي تحداها الله بالإندار قبل الخلاق أجمعين ؛ إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . وقد حصَّ تبارك وتعالى على التقوى ، ووعده عباده عليها الزلفى ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بالإشتغال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف مستغدا طوقه في عمارتها ، مستقرعا ونسمة في مصلحتها ، دائبا في استغلالها وتتميرها ، مجتهدا

في تدبيرها وتوفيرها ؛ وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يخرج منه للشفقة على حفظ أصله ، واستدرا حبله ؛ والمثونة الزاتبة للقوام عليه ، والحفظة له ؛ إلى أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوها التي سبل لها ، ووقف عليها ؛ واضعاً جميع ذلك مواضعه ، موقعا له مواقعته ؛ خارجاً إلى الله من الحق فيه ، مؤدياً الأمانة إليه ؛ وأن يشهد على القابضين بما يقضونه من وقوفهم ، ويكتب البراآت عليهم بما يستوفونه من أموالهم ؛ ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينقعه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه منها إلى أهلها ؛ ويخرجها منها في حقوقها وأبواب رها ، وسائر سبلها ووجوها ؛ سالكا في ذلك مذهب المعروف في أداء الأمانة ، واستئصال الظلف والترابه ؛ معقبا على من كان ناظرا فيها من الخونة الذين لم يرفعوا عهدا ، ولم يتصوّنوا عن تحت المطاعم ، وطلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور بالرشاد ؛ معلوم منه نصيبه الانحساب ، والضبط للحساب ؛ وتفويض ديوان الوقوف وتديره إليه ، وتوصيته بصيانة ما يشتمل عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الخرج وكثيرها ؛ وأن يحتاط لأربابها في حفظ رؤسومها ومعاملاتها ، وحراسة طسوقها ومقاسماتها ؛ حتى لا يستمر عليها حيف ينقأ أثره ، ولا يتغير فيها رسم يخاف ضرره ؛ وأن ينصف الأكره فيها والمزارعين ، وسائر الخاططين والمعاملين ؛ ولا يئشمهم حيفا ، ولا يسومهم خسفا ؛ ولا يفضي لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا ما عادت السماحة به بزيادة عماراتهم ، وتآليف نباتهم ، واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ؛ فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة ، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قنوم أمين ؛ يخرن جميع هذه الوقوف ويحفظها . وسائر دقائرها وحساباتها ؛ فلها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها

جُهِدَهُ؛ فَنِيَّ شَكَّ فِي شَرْطٍ مِنَ الشُّرُوطِ، أَوْ حَدٍّ مِنَ الْحُدُودِ؛ أَوْ عَارِضٍ مُعَارِضٍ، أَوْ شَاغِبٍ مُشَاغِبٍ، فِي أَلَمٍ نَظَرِهِ وَأَيَّامٍ مِّنْ عَسَى أَنْ تُثَقَّلَ بِهَا هَذِهِ الْوُقُوفُ إِلَيْهِ، وَيُنَاطَ تَدْيِيرُهَا بِهِ، دَفْعَ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي هِيَ مَعَارِفُ الْبُرْهَانِ، وَقَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ؛ وَإِلَيْهَا الْمَرْجِعُ فِي كُلِّ يَتَنَصَّرُ وَتُقَامُ؛ وَشُبْهَةٌ تُدَحِّضُ وَتُضَامُ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَوَيْثِقَتُهُ الْحَاصِلَةُ فِي يَدَيْكَ ؛ فَاتَّبِعْ أَتَارَ أَوْامِرِهِ ، وَازْدَجِرْ عَنْ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ ؛ وَاسْتَمِمْ بِهِنَّ تَجُوعًا وَنَسْلَمَ ، وَأَعْمَلْ عَلَيْهِ تَقَرُّ وَتَقَنَّمْ ؛ وَاسْتَشِدَّ إِلَهُكَ بِرِشْدِكَ ، وَاسْتَهْدِهِ بِهَيْدِكَ ؛ وَاسْتَعِنْ بِهِ بِنَصْرِكَ ، وَفَوِّضْ إِلَيْهِ بِعَصَمِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(مِمَّا يَكْتَبُ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ التَّقَالِيدِ . وَهِيَ لِمَنْ دُونَ
أَرْبَابِ الْمُهُودِ فِي الرُّتْبَةِ ، وَلَيْسَ لِاِقْتِنَاحِهَا عَنْهُمْ ضَابِطٌ)

وهذه نسخة تقليدٍ بِحِمَايَةِ الْكُوفَةِ ، لِأَبِي طَرِيفِ بْنِ عَلِيَّانِ الْعَقِيلِ ، مَنْ إِنْشَاءِ
أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ ، وَهِيَ :

قَدْ رَأَيْتَا تَقْلِيدَكَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - الْحِمَايَةَ بِالْكُوفَةِ وَأَعْمَالَهَا وَمَا يَجْرِي مَعَهَا
تَقِيَّةً بِشَهَامَتِكَ وَعَنَّاكَ ؛ وَكُنُونا إِلَى اسْتِغْلَالِكَ وَوَقَاتِكَ ، وَاعْتِقَادًا لِأَصْطِنَاعِكَ
وَأَصْطِفَائِكَ ؛ وَحُسْنَ ظَنٍّ بِكَ فِي شُكْرٍ مَا يُسَدِّدُ إِلَيْكَ ، وَمُقَابَلَةٍ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ؛
مِنْ الْأَثَرِ الْجَمِيلِ فِيمَا تُؤَلِّاهُ ، وَالْمَقَامِ الْحَمِيدِ فِيمَا تُسْتَكْفَاهُ ؛ فَتَوَلَّ - أَيْدِكَ اللَّهُ - ذَلِكَ
مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهَ وَمِرَاقَبَتَهُ ، وَمُسْتَعْمَدًا تَوْفِيقَهُ وَمَعُونَتَهُ . وَأَحْرُسِ الرِّعْيَةَ فِي مَسَ كِنَاهَا ،
وَالسَّابِلَةَ فِي مَسَ إِكْنَاهَا . وَأَدْفَعْ عَنْ عَمَلِكَ وَنَوَاحِيهِ أَهْلَ الْعَيْثِ جَمِيعًا ، وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبًا

شديداً ، وأطرقهم في مكانهم ، ونَوَّجَ عليهم في مظانهم ؛ ونَكَلَ بن تَقَرُّر به منهم
تَكَالاً يُقِيم به حُكْمُ الله عليهم ، وحُدودَه في أمثالهم ؛ وبَالِغ في ذلك مبالغةٌ تُخَيِّفُ
الظَّالِمِينَ وتُوجِّسُهُ ، وتُؤَمِّنُ السَّالِمِينَ وتُؤَسِّسُهُ . وراعى الأَكْرَمَةَ والمُزَارَعِينَ حتَّى يَنْسِطُوا
في معاشِهِمْ ، وَيَتَصَرَّفُوا في مصالحِهِمْ ؛ وتَنَيَّسَ عَوَامِلُهُمْ في عِمَارَاتِهَا ، ومَوَاشِيهِمْ
في مَسَارِحِهَا ؛ ومتى طُرِدَتْ لأحَدٍ منهم طَرِيدَةٌ أو أَمْتَلَتْ إِلَيْهِمْ يَدٌ عَاتِيَةٌ ، أَرْتَجَعْتَ
مَا أَخَذَ لَهُ ، وَرَدَدْتَهُ بَيْنَهُ أَوْقِيحَةً مِثْلَهُ . وَخَفَّفَ عَمَّنْ وَلَّيْتَ عَلَيْهِ الوَطْأَةَ ، وَارْفَعْ
عَنُومَ الْمُتَوَنِّةِ وَالْكُفَّةِ ؛ وَخُدِّمْ بِالتَّنَاصُفِ ، وَأَقْرِضْهُمْ عَنِ التَّظَالُمِ ، وَأَمْنَعْ قَوِيَّيْهِمْ مِنْ
تَحَيُّفِ الْمَضْعُوفِ ، وَشَرِّفْهُمْ مِنْ أَسْتِزَامَةِ الْمُشْرُوفِ ؛ وَأَوَّلِمْ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ
سِيرَتِكَ ، وَأَسْقِمْ طَرِيقَتَكَ ، مَا يَتَصَلُّ عَلَيْهِ شُكْرُكَ ، وَيَطِيبُ بِهِ ذِكْرُكَ ؛ وَيَقْتَضِي
لَكَ دَوَامَ الْإِلَاحَةِ ، وَتَضَاعُفَ الْعَنَايَةِ .

وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيمَا وَلَّيْتَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مُتَضَمِّنٌ لِسَالِ الدَّمِّ ، وَمَأْخُوذٌ بِكُلِّ
مَا يَهْمُكَ مِنْ ذِمَّةٍ وَمَعْرَمٍ ؛ فَلْيَكُنْ أَجْتِهَادُكَ فِي الضَّبْطِ وَالْحِمَايَةِ ، وَأَخْتِرَاتُكَ مِنْ
الْإِهْمَالِ وَالْإِضَاعَةِ ، بِحَسَبِ ذَلِكَ . وَأَكْتُبْ بِإِخْبَارِكَ عَلَى سِيَاقَتِهَا ، وَأَتَارِكَ لِأَوْقَاتِهَا :
لِيَتَّصِلَ لَكَ الْإِحْمَادُ عَلَيْهَا ، وَالْمَجَازَةُ عَنْهَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثالث

(مما كان يُكْتَبُ لأَرْبابِ الوُظَافِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ بِنَفْدَادٍ مَا كَانَ يُكْتَبُ
لأَرْبابِ الوُظَافِ بِنَفْدَادٍ مِنْ أَصْحَابِ الْأَقْلَامِ)

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(الْمُؤَدَّ)

ورثتها على نحو ما تقدم في عهد أرباب السيف ، تفتح بـ «هذا ما عهد»
إلى آخر الترتيب المتقدم ذكره .

وهذه نسخة عهد بولاية قضاء حاضرة بغداد وسائر الأعمال ، كتب به المسترشد بالله لقاضي القضاة أبي القاسم علي بن الحسين الزيني ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله أبو منصور الفضل ، الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين ،
إلى قاضي القضاة علي بن الحسين الزيني : لما تأمل طريقته ، وتخذ عقيدته ،
وأحمد مذهبها ، وأرغى ضرائفها ، وتكاثرت دواعيها ، وحسنت مساعيها ، ووجد
عند الاختيار ، وفي مضار الاعتبار ، راجعا إلى عقل رصين ، ودين متين ، وأمانة
مشكورة ، وزهادة مجبورة ، وورع تميز المشرع ، عاز من دنس المطمع ، وعلم توفر منه
قسمته ، وأصاب فيه سهمه . وحين راعى فيه موروث شرف النسب ، إلى شرف
العلم المكتسب ، مع ما سلف لبنته من الحرمات المرعية المتأشبه ، والقربات المرضية
التمهده ، والسوابق المحكمه المراتر ، الحميدة المبادئ والمصابر ، قلده قضاء القضاة
بمدينة السلام وسائر الأمصار ، في الآفاق والأقطار ، شرقا وغربا ، وبدا وقربا ،
إنافه به إلى ما أصبح له مستحقا ، وأستمر استيجابها مسترقا ، وجذا بضبعه إلى
ما يتحقق فهو ضه بأعبائه ، وحسن استقلاله به وعنايته ، وأقتفاء لأثار الأئمة الراشدين
في إبداع الودائع عند مستحقها ، وتقويض الأمور إلى أكتافها وأهلها ، لاسيما
أولياء دولتهم ، وأغذياء نعمتهم ، الذين كشفت عن نجف خبئهم التجارب ، ووردوا
من الخلال الرشيدة أعذب المشارب ، وآتهم الجدد الواضخ ، وتقبلوا الخلق

الصلح ؛ والله سبحانه يَقْرَنُ عزائم أمير المؤمنين بالغيرة في كُلِّ رأى يَرْتَبِئُهُ ، وأمر
يَوْمُهُ وَنُصْحِيهِ ؛ وَيَصْدُقُ خَيْلَتُهُ في كُلِّ حال يَأْتِيهَا ، وَيُمِضِي عَزْمَهُ فيها ؛ وما تَوَفَّقَهُ
إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُتَيَّب .

أمره بتقوى الله التي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إلا بالتمسك بسببها ، ولا يَشُقُّ إلا مع إضاعتها ؛
فإنها الجَنَابُ المَرِيع ، والمَقِيلُ المُنِيع ؛ والنَّجَاةُ يوم الفَرَجِ الأكبر ، والعُدَّةُ النافعةُ
في المَعَادِ والمَحْتَرَبِ ؛ والعِصْمَةُ الحاميةُ من زَغَاتِ الشيطان ومَحَالِلِهِ ، المَقْبَذَةُ من أَشْرَاكِهِ
وَحَبَائِلِهِ ؛ وبها تُمَحَّصُ الأَوْزَارُ ، وتُثَالِ الأَوْطَارُ ؛ وتُدْرَكَ المَآرِبُ ، وتُجَبِّحُ المَطَالِبُ ؛
قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَتَّقُوا اللَّهَ لِيَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكْفِّرَ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وأمره باستشمار خشية الله سبحانه في قوله وفعله ، واختلاف أطواره وأحواله ؛
وتذكُّر ما هو قَادِمٌ عليه ، وواقدُ إليه : يَوْمٌ ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ
جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ . فلا يَقْوَدُهُ الهوى إلى اتِّبَاعِ شَهْوِهِ ، أو إجابة داعي هَفْوِهِ
أو صَبْوِهِ ، إلا كان الخوفُ قَادِعَهُ ، والحَذَرُ مَانِعَهُ ؛ وأن يعمل التواضعَ والوقارَ شَيْئَةً ،
والحلمَ دَابَّةً وَخَلِيقَتَهُ ؛ فيَكْظِمُ غَيْظَهُ عند أَحْتِدَامِ أَوَارِهِ ، وَأَضْطِرَامِ نَارِهِ ؛ بِجَنَابِ عِزَّةِ
النَّضْبِ الصَّارَةِ إلى ذُلِّه الإِعْذَارُ ، ومتوخياً في كلِّ حَالٍ لِلْقَاصِدِ السَّليمةِ الإِيرَادِ
وَالِإِضْدارِ . وأن يتأمل أحوالَ غَيْرِهِ تَأْمُلَ مَنْ جَعَلَهَا لِنَفْسِهِ مِثَالًا ، وَأَعْنَدَهَا لِنَسْجِهِ
مِثَالًا ؛ فَمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْهَا فَيَأْتِيهِ ، وَمَا كَرِهَهُ فَيَجْتَنِيهِ ؛ فَيَرَاهُ عَمَّا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ،
وَلَا أَمِيرٍ بِمَا هُوَ مُجَانِبٌ لِمَعْلِهِ ؛ قال الله جَلَّتْ عَظَمَتُهُ : ﴿ أَلَمْ نُعَلِّمِ النَّاسَ بِالْأَرْبِ
وَنَقُوسِ أَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بجلالة كتاب الله مؤاطبا، والإكثار من قراءته دأبا، وأن يجعله إماما يقتضيه، ودليلا يتبعه فيهديه، ونورا يستضيء به في الظلمات، وهاديا يسترشده عند اعتراض الشبهات، وموثلا يستند إليه في سائر أحكامه، وحصنا يلجأ به في نقضه وإبرامه، عاملا بأوامره، ومزديرا بزواجره، ومثما نظره في محكم آياته، وصاديق بيناته، ومعملا فكره في خوض غماره، واستخراج غوامض أسرارها، فإنه الحق الذي لا يبور متبعه، والمتجر الذي لا يبور مبتضعه، والمنار الذي به يقتدى، والمنهج الذي بأعلامه يهتدى، والمصدر الذي تقرئ به الأمور في ملئها الإشكال، وتشرع معه الأحوال المستبهمة في ورود الوضوح السلسال، وببوع الحكمة الذي ضرب الله فيه الأمثال، وفرق فيه بين الحرام والحلال، والهداية والضلال، قال الله سبحانه: ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بدراسة السنن النبوية صلوات الله على صاحبها، والافتداء بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي تدب إليها، وحض عليها، وتقع مايتداخلها من الأخبار الجريحة، والروايات غير الصحيحة، والفحص عن طرقها وإسنادها، وتميز قويمها وميادها، والبحث عن رواتها، منحوزها وثقاتها، فلا ألفاه بريئا من الطعن، أمنا من القدح والوهن، عاريا من ملابس الشك والإرتياب، عاطلا عن حل الشبهة والإعتياب، آتبعه وأقتناه، وتمثله وأحتناه، وكان به حاكما، ولائوا الباطل باتباعه حاسما، وما كان مترجما بين كفتي الشك واليقين، ولم تبد فيه تحايل الحق المئين، جعل الوقف حكمة، وردع عن العمل به عزيمة، إلى أن يوضح الحق فيه، فيعتد ما يوجبُه ويقتضيه: فإنه - عليه السلام - الداعي إلى الهدى، والرحمة

التي عصم الله بها من عَوَادِي الرَّدَى؛ والمهادى الذي لم يفصل بين العمل بفرائض كتابه وسُنَّته في قوله تَهَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَجَلَّتْ آلاؤُهُ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وأمره بإقامة الصَّلَوَاتِ الخمس المفروضة في أوقاتها ، والمبادرة إليها قبل فَوَاتِهَا ؛ والإتيان بشرائطها المحدودة وأركانها .

وأمره بمجالسة العلماء، ومباحثة الفقهاء؛ ومناقشة ذَوِي البصيرة والفهم، والعِفْطَةِ والحِزْمِ ؛ ومشاورتهم في عَوَارِض الأمور المُشْكِلَةِ ، وسوانح الأحكام المستقيمة المُعْضِلَةِ ؛ حتى يَصْرَحَ مُحْصَرُ رَأْيِهِ وَأَرَائِهِمْ عن زُبْدَةِ الصَّوَابِ ، وتُتَجِّجَ أَفْكَارُهُمْ بِاسْتِجْمَاعِهَا نَظْرًا شَافِيًا بِالْجَوَابِ ، رَافِعًا عَنْهُ مُنْشِدَ الْحِجَابِ ؛ وإنَّ في ذلك تَلْعَابًا لِلصُّدُورِ ، وَاسْتَظْهَارًا فِي الْأُمُورِ ؛ وَاحْتِرَازًا مِنْ دَوَاعِي الزَّلَلِ ، وَاسْتِرَارٍ انْتِظَالٍ ؛ وَأَمَّا مِنْ غَوَائِلِ الْإِنْفِرَادِ ، وَحِطًّا لِلتَّعْوِيلِ عَلَى الْإِسْتِيفَادِ ؛ فَكَلْبٌ تَقَى أَدَّتْ إِلَى تَحْجَلٍ ، وَأَمِنْ أَفْضَى إِلَى وَجَلٍ ؛ وَمَا زَالَتِ الشُّورَى مَقْرُونَةً بِالْإِصَابَةِ ، مُحْكَمَةٌ عُرَى الْحَقِّ وَأَسْبَابُهُ ؛ حَارِسَةٌ مِنْ عَوَاقِبِ النَّدَمِ ، دَاعِيَةٌ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ؛ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَأَرْزَقَ مَعْلَهُ لَدَيْهِ ، بِالْإِسْتَظْهَارِ بِالْمُشَاوَرَةِ مَعَ عَظَمِ خَطَرِهِ ، وَشَرَفِ قَدَرِهِ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره أَنْ يَنْخَارَ لِلْحُكْمِ الْأَمَّاكَنِ الْفَيْسِحَةَ الْأَرْجَاءِ ، الْوَاسِعَةَ الْفَضَاءَ ؛ وَيَنْظُرَ فِي أُمُورِ الْمَسَالِمِينَ نَظْرًا تَفَقَّرَ تَنْوَرُ الْعَدْلِ فِيهِ ، وَتَلَوَّحَ خَشْيَةُ اللَّهِ مِنْ مَطْلَوِيهِ ؛ فَيُوصَلَ إِلَيْهِ كَافَّةُ الْخُصُومِ ، وَيَرِيْزُ لَهُمْ عَلَى الْعُمُومِ ؛ غَيْرَ مُشَدِّدٍ حِجَابِهِ ، وَلَا مُرْتَجٍّ دُونَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْهِ بَابَهُ ؛ وَأَنْ يُوَيِّ كَلًّا مِنَ الْإِحْجَالِ عَلَيْهِ ، وَحُسْنِ الْإِصْفَاءِ إِلَيْهِ ، مَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ فِيهِ

مُسْلَوِيَا، وَلَمْ فِي تَجَمُّعِ الْمَوَازَاةِ حَاوِيَا؛ وَلَا يُعْطَى مِنْ كَثْفَاتِهِ [إِلَى] الشَّرِيفِ لَشَرْفِهِ، وَذِي الشَّارَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ أَجْلِ تَوْبِهِ وَمِطْرَفِهِ، مَا يَمْتَنِعُ مَنْ تَقَحَّمَهُ الْعِيُونُ، وَتَرَجَّمُ فِي نَحْوِهِ الطُّنُونُ: فَإِنَّ ذَلِكَ مُطْمَعٌ لَذِي الرِّوَاءِ فِي دَفْعِ الْحَقِّ إِذَا وَجِبَ عَلَيْهِ، وَالتَّيَاسُ الْبَاطِلُ وَإِنْ ضَعُفَتِ الدَّوَاعِي إِلَيْهِ؛ مُؤَيِّسٌ لَذِي الْجُمُولِ مِنَ الْإِتِّصَارِ لِحَقِّهِ، وَإِنْ أَسْفَرَ صَبِيحُ بَقِيَّتِهِ وَنَطَقَتِ أَلْسِنَةُ أَدْلَتِهِ؛ فَالنَّاسُ وَإِنْ تَبَايَنُوا فِي الْأَهْدَارِ وَالْقِيَمَةِ، وَتَفَاوَتُوا فِي الْأَرْزَاقِ الْمَقْسُومَةِ، فَلَا إِسْلَامَ لَهُمْ بِمَجْتَمَعٍ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُنْبَعَ؛ وَهُمْ عِنْدَ خَالِقِهِمْ سَوَاءٌ إِلَّا مَنْ مِيزَتْهُ التَّقْوَى، وَتَمَسَّكَ بِسَبِيلِهَا الْأَفْوَى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ لَمْ تُقْرَأُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالْخُصُومَ لَدَيْهِ؛ وَيَتَطَلَّبَ مَا وَقَعَ تَرَاعُهُمْ لِأَجَلِهِ فِي نَصِّ الْكَلَامِ، وَيَعْدِلَ إِلَى السُّنَّةِ عِنْدَ عَدَمِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى مَا اخْتَارَهُ السَّلَفُ الْمُهْتَدُونَ، وَاجْمَعْ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْمُجْتَهِدُونَ؛ فَإِنَّ لَمْ يُلَفَّ فِيهِ قَوْلًا وَلَا إِجْمَاعًا، وَلَا وَجَدَ إِلَيْهِ طَرِيقًا مُسْتَطَاعًا، أَعْمَلَ رَأْيَهُ وَأَجْتَهِدَهُ، وَأَمْنَى رِكَابَ وَسْمِهِ وَجِيَادِهِ؛ مُسْتَظْهِرًا بِمَشُورَةِ الْفُقَهَاءِ فِي هَذِهِ الْحَالِ، وَمُسْتَخْلَصًا مِنْ آرَائِهِمْ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ الْأَمْنُ الْإِعْتِلَالُ: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاسْتِحْصَالِ الْأَثَرَةِ عِنْدَ الْحُكُومَاتِ، وَاسْتِمَاعِ الدُّعَاوَى وَالْبَيِّنَاتِ؛ مِنْ غَيْرِ سُرْعَةٍ مُخَيِّتٍ خَطَلًا، وَلَا إِفْرَاطٍ فِي الثَّانِي يُورِثُ مَلَلًا؛ فَإِنَّ الْحَقَّ يَنْ ذَنْبِكَ عَلَى شَفَا خَطَرٍ، وَظَهَرَ غَرَرٌ؛ وَلَا مَسِيًّا إِذَا كَانَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ مُنْطَبِقًا، يَتَّقِ كَلَامَهُ شَيْعًا؛

فإنه يَجْلِبُ بِلَاغَةٍ تُطْفِئُ سَمِيمَهُ ، وَيُقْطِعُ وَجَهَ الْبَاطِلِ بِالْفَاظَةِ الْمَوْشَعَةِ ؛ إِذَا تَمَقَّقَ لَدَيْهِ مَا هَذَا سَبِيلَهُ ، تَخَذَّ لَهُ غَرْبَ فِطْنَتِهِ ، وَأَرْهَفَ غِرَارَ فِكْرِهِ وَبَصِيرَتِهِ ، وَمَنَعَ كُلًّا مِنَ الْإِنْصَاتِ مَا يَمْتَلِي وَجْهَ النِّصْفِ مُنِيرًا ، وَيَقْدُو لِأَشْيَاعِ الْخَوَرِ مُبِيرًا .
وَأِنْ ثَوَّالَ لِسَنَ رَوْعِهِ ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ ، بِمَا يَلْقُهُ مِنْ كَلَامٍ يَقْصُرُ خَصْمُهُ عَنْ جَوَابِهِ ، وَيُخَصِّرُ عَنْ جِدَالِهِ وَأَسْتَيْفَاءِ خُطَابِهِ ؛ مَعَ عِلْمِ الْبَيِّنَةِ الْمَشْهُودَةِ ، وَتَعَدُّرِ الْحُجَّةِ الْمَوْجُودَةِ ، أَسْتَعَادَ كَلَامَهُ وَأَسْتَنْطَقَهُ ، وَأَسْتَوْخَمَ مَفْزَاهُ وَتَحَقَّقَهُ ؛ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ إِعْجَابٍ بِمَا يَذْكُرُهُ ، وَلَا اعْتِرَازٍ بِمَا يَطْوِيهِ وَيَنْشُرُهُ ؛ وَلَا إِصْفَاءٍ يَسُدُّ أَوَّلَ الرَّاغِبِ مِنْ خَوَرِهِ ، وَلَا اخْتِصَاصٍ لَهُ بِمَا يَمْنَعُ صَاحِبَةَ شُرُوَاهُ ^(١) : لَقَلَّا يُولَدُ ذَلِكَ لَهُ أَشْطِطَاطًا ، وَيُحَدِّثُ لَهُ أَنْفِلَاقًا فِي الْخُصُومَةِ وَأَنْبِطَاطًا ؛ حَتَّى إِذَا أَبْتَسَمَ الْحَقُّ ، وَاتَّصَرَ الصِّدْقُ ؛ وَظَلَجَ أَحَدُهُمَا بِحُجَّتِهِ ، وَلَحِنَ بَيِّنَتَهُ ، أَقْرَبَ الْوَاجِبَ فِي نَصَابِهِ ، وَأَدَالَهُ مِنْ جُنُودِ الظُّلْمِ وَأَحْزَانِهِ ، وَأَمْضَى الْحَكَمَ فِيهِ بِاعْتِرَافِ صَادِقٍ ، وَرَأْيٍ مُخَصَّصٍ الْوَثَاقِ ؛ غَيْرَ مُتَقِفٍ إِلَى مُرَاجَعَةِ الْخُصُومِ وَتَسْأُجِرِهِمْ ، وَشُكُوهِمُ وَتَسْأُفِرِهِمْ ؛ اعْتِمَادًا لِلوَاجِبِ ، وَأَنْتِهَابًا لِحَدِّ الْعَدْلِ الْإِلَاجِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِذَا أَتَيْتِبَ لِلْقَضَاءِ أَنْ يُفْرَغَ بِاللَّهِ ، وَيَقْضَى أَمَامَهُ أَوْطَارُهُ وَأَشْغَالُهُ ؛ وَيُجَلَّى مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا سِرُّهُ ، وَيُشْرَحَ لِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ صَدْرُهُ ؛ فَلَا تَتَرَعُّ نَفْسُهُ إِلَى تَحْصِيلِ مَا تَرْبُ ، وَلَا تَتَطَلَّعُ إِلَى دَرْكِ مَطْلَبٍ ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا اكْتَنَفَتْهُ مُجُوبُونُهُ ، وَأَحَاطَتْ بِهِ شُكُونُهُ ، كَانَ عُرْضَةً لِنَشْءِ أَفْكَارِهِ ، وَحَمَلَةً عَلَى مَرَكَبِ اضْطِرَارِهِ الْحَارِيِّ بِضَدِّ إِتْيَارِهِ وَاخْتِيَارِهِ ؛ حَرِيًّا بِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْقَهْمِ وَالْإِنْفِهَامِ ، وَالصَّجَرِ عِنْدَ مَشْتَجَرِ الْخِصَامِ .

وأمره بالثبوت في الحدود، والإستظهار عند إقامتها بمن يستكن إلى قوله من الشهود؛ والاحتياط من تحل يحيل الحكم عن بيانه، أو ريث يرجع عند وضوحه وتبينه؛ وأن يتجاف عما لم يصرح له بذكره وشرحه، ولا يسرع إلى تصديقي ساج وإن تشبه بالناسحين في نصحه؛ حتى يستبين له الحق فيمضيه، عاملاً بما يوجب حكم الله فيه. وأن يذرا من الحدود ما أعتزبت الشبهة دليله، وكانت شواهد مدخوله؛ ويقم منها ما قامت شهوده، ولم يمكن إنكاره وبجوده؛ قال الله تعالى: **مُكْرًا لِّتَجَافِيَهَا، وَمُعْظَمًا لِّلتَّجَوُّزِ فِيهَا: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .**

وأمره بتصفح أحوال الشهود المعلنين، المسموعة أقوالهم في أمور المسلمين وأحوال الدين؛ ومواصلة البحث عن طرائقهم، واستشفاف خلائقهم؛ مستخدماً في ذلك سره وجهه، وواصلًا بعوان دأبه فيه يكرك؛ فن عليه سليماً في فعله، غير ظنين في أصله؛ متحرراً في كسبه، مرضياً في مذهبه؛ حافظاً لكتاب الله سبحانه، متمسكاً من علم الشريعة بما يلوي عن مهاوى الخطأ عنه؛ حاليًا بالديانة المنيرة المطالع، حامياً نفسه عن الإسفاف إلى دنايا المطامع، حاوياً من الظلف والأمانه، والقدر والعيانه، والاحترايس والتحفظ، والتحرز والتيقظ؛ ما يميز به على أشكاله وأثرابه، وطال مناكب أمثاله وأضرابه، فقد كلفت صفاته، وأقتضت تقديمه أدواته؛ ووجب أن يمضي كونه عدلاً، ويعمله لقبول الشهادة أهلاً. ومن رآه عن هذه الخلال مقصراً، وبيعضها مستظهِراً؛ وكان موسوماً بديانة مشكورة، ونزاهة مأثورة، رضى بذلك منه قائماً، وحكم بقوله سامعاً. ومن كان عن هذين الفريقين نائياً، ولأحوالهم المبين ذكرها نائياً، ألغى قوله مطرَحاً، وردَّ شهادته مصرحاً؛ فإن هؤلاء الشهود أعوان الحق على انتصاره، وحرب الباطل على تبينه وبواره؛

وَمَحَبَّةَ الْحَاكِمِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَوَزْرَهُ الَّذِي يَسْتَعِدُّ إِلَيْهِ فِي سَائِرِ أُنْحَائِهِ ، فَلِذَا أُعْذِرَ فِي أَرْبَابِهِمْ ، وَأَسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ فِي أَتْقَادِهِمْ ، قَدْ نَجَرَ مِنْ عَهْدَةِ الْأَجْتِهَادِ ، وَأَسْتَحَقَّ مِنْ اللَّهِ جَزَاءَ الْمُجْتَهِدِ يَوْمَ التَّنَادِ ؛ وَمَقَى غَرَرٍ فِي ذَلِكَ تَوَجَّهَتْ الْأَلَمَةُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ قِنَا بِنِسْبَةِ التَّقْصِيرِ فِي الْإِحْطَاظِ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ ، وَيَلْوِي خَفِيَّاتِ الضَّمَائِرِ ، قَالَ مَسْبُحَانَهُ : ﴿ يَمُنُّ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ . وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ سَكَّنْتُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكِلَ أُمُورَ الْبِتَائِيِّ فِي أَمْلَاكِهِمْ وَأُمُومِهِمْ ، وَمِرَاعَاةَ شُؤْنِهِمْ وَأَخْوَالِهِمْ ؛ إِلَى الثَّقَاتِ الْأَعْيَاءِ ، وَالْكُفَّاتِ الْأَهْيَاءِ ؛ الَّذِينَ لَا تَسْتَهْوِيهِمْ دَوَائِي الطَّمَعِ ، وَلَا يُورِدُهُمُ الْإِسْفَافُ مَوَارِدَ الطَّمَعِ ؛ وَأَنْ يَتَّبِعَ أُمُورَهُمْ وَيَتَصَقَّحَهَا ، وَيُسَارِفَهَا بِنَفْسِهِ وَيَسْتَوْجِبَهَا ؛ عَلِمَا أَنَّهُ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ مَشْغُولٌ ، فَإِنَّ عُذْرَهُ فِي إِهْمَالِهِ يَتَّظَلُّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أُمُومَالِ الْبِتَائِيِّ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَنْ يُوعِزَ إِلَيْهِمُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى أَرْبَابِهِا بِالْمَعْرُوفِ : لِيَقْتَهِبُوا فِيهَا جَدَدَ الْقَصْدِ الْمَأْلُوفِ ؛ حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا الْحُلُمَ ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدَ وَعِلْمَ ، وَسَاعَ لِمِ التَّصَرُّفِ فِي نَفْسِهِمْ ، وَوَرِقَ مِنْهُمْ بِاسْتِزَارِ مَعَانِيهِمْ ، دَفَعَ إِلَيْهِمْ أُمُومَالَهُمْ عَرُوسَةً ، وَوَقَّاهُمْ إِيَّاهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَقْصُوصَةٍ ؛ مَسْتَظْهِرًا بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْهَا بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ؛ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَابْتَلُوا الْبِتَائِيَّ حَتَّى إِذَا بَلَّغُوا النَّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أُمُومَالَهُمْ وَلَا تَكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَلِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أُمُومَالَهُمْ فَلْيُقْبِلُوهَا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وأمره بترويح الأياحي اللواتي قُذِنَ الأوليه ، وأَعْدَى عليهنَّ صَرَفُ الدَّهرِ
وأَسَاءَ ، وَأَخْصَرَبْنَ طُولَ الإِرْمَالِ ، وَبَدَتْ عليهنَّ آثارُ الخَلَّةِ في الحال ، فَيُنْكِحُهُنَّ
أَكْفَامَعْنَ من الرجال ، وَيُثْمُ عَقْدُ نِكَاحِهِنَّ عَلَى مُهُورِ الأَمْثَالِ .

وأمره بتفويض أمر الوقوف الجارية في نظره إلى مَنْ يَأْمَنُهُ وَيَخْتَارُهُ ، وَتُقَرَّنَ
بإعلانه في آرْتَضَائِهِ أَسْرَارُهُ : من أهل التَّجَرِبَةِ والحَيَاءِ ، تَوَيَّ الأَضْطِلَاعَ والفَنَاءَ ؛
فِيهِمْ أَقْلٌ إلى المَطَامِيحِ تَشْوُفًا ، وَأَبْعَدُ في عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَرًا وتَلَفُّفًا ؛ وَأَنْ يُوسِّعَ
عَلَيْهِمْ في الأَرْزَاقِ ، فَيُوصِّلَهَا إِلَيْهِمْ مُهَنَّةً عند الوُجُوبِ والاستِحْقَاقِ ؛ فَبِذَلِكَ يَمْلِكُ
الرَّءْءُ نَفْسَهُ وَيَسْتَصْلِحُهَا ، وَيَتَجَنَّبُ مَوَاقِفَ التُّهْمِ وَيَطْرَحُهَا ؛ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الجَمْعَةُ
إِنْ نَلَمَ أَمَانَهُ ، أَوْ قَارَفَ خِيَانَهُ ؛ مُسْتَظْهِرًا بِتَرْتِيبِ المُشْرِفِينَ الَّذِينَ خَبَرَ أحوَالَهُمْ ،
وَسَبَرُ أَصْلَاحِهِمْ .

وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إلى المُسْتَنَائِينَ قَبْلَهُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا حَسَبَ الْحَاجَةِ مِنْ مَحْصُولِهَا ؛
حَافِظًا بِمَا تَعَمَّدَ مِنْ ذَلِكَ لِأَصُولِهَا ؛ وَجِبَايَةِ آرْتِفَاعِهَا مِنْ مَقَانَتِهَا ، وَالتَّمَامِ حَقُوقِهَا
فِي أَوَانِهَا ؛ وَصَرَفَهَا فِي وُجُوهِهَا الَّتِي شَرَطَهَا وَاقِفُوهَا ، وَعَيْنَ عَلَيْهَا أَرْبَابُهَا وَأَهْلُوهَا ؛
غَيْرَ مُخِلٍّ مَعَ ذَلِكَ بِالْإِشْرَافِ والتَّلَطُّعِ ، وَلَا مُهْمِلٍ لِلتَّخَصُّصِ والتَّبَلُّغِ ؛ فَنَ الْفَاءَ حَمِيدَ
الْأَثَرِ ، وَرِضَى الْعِيَانِ والخَبَرِ ، عَزَلَ عَلَيْهِ ، وَفَوَّضَ مُسْتَنِيًا إِلَيْهِ ؛ وَمَنْ وَجَدَهُ قَدْ مَدَّ
إِلَى خِيَانَتِهِ يَدَهُ اسْتَبْدَلَ بِهِ وَعِزَّهُ ، جَزَاءً بِمَا فَعَلَهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَانًا أَثِيمًا ﴾ .

وأمره أَنْ يَسْتَخْلِفَ عَلَى مَا نَأَى عَنْهُ مِنَ الْبِلَادِ مَنْ جَمَعَ [إلى الوَقَارِ] الْحِلْمَ ،
وَالِى الدَّرَايَةِ الْفَهْمَ ؛ وَإِلَى التِّيَقُظِ الْاسْتِبْصَارَ ، وَإِلَى الْوَرَعِ الْاسْتِظْهَارَ ؛ مِنْ
لَا يَضِيقُ بِالْأُمُورِ ذَرْعًا ، وَلَا تُحَدِّثُ لَهُ مُرَاجَعَةُ الْخُصُومِ تَحْجِيرًا وَلَا تَبَرُّمًا ؛ وَلَا يَتَّخِذُ

في أسباب الزلّة ، ولا يقصّر عن الرجوع إلى الحقّ إذا اتّضح له ، ولا يكتفي بأدنى معسلة عن بلوغ أقصاها ، ولا تنهات نفسه على طاعة هواها ؛ ولا يبرح الأخذ بالهجة عند اكتشافها ، ولا يعجل بحكم مع اعتراض الشبهة واكتشافها ، ولا يستميله إغراء ، ولا يزدهيه مدح وإطراء ؛ وأن يعهد بمثل ما عهد أمير المؤمنين إليه ، ويعتذر في الإجهاد بإيجاب الهجة عليه : ليرأى من تبعه بادرة عساه يأتيها ، أو مزلة تاديه فيهب ملبياً لداعياها ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ﴾ .

وأمره أن يمضي ما مضاه الحكم قبله ولا يتعقب أحكامهم بتأويل ، مجتنباً تتبع عثراتهم ، والبحث عن هفواتهم ؛ ومهما رُفِعَ إليه من ذلك مما الإجماع عليه موافق ، ولسان الكاتب والسنة به ناطق ، أمضاه وحكم به ؛ وإن كان مبانياً لمحببه : فإنّ الحكومات كلّها ماضية على اختلاف جهاتها ، مستمرة على تنافٍ صفاتها ؛ حمية عن التأويل والتعليل ، محروسة من التغير والتبدل ؛ ما كان لها منحرج في بعض الأقوال ، أو وجد لها عند الفقهاء احتمال ؛ إلا أن يكون الإجماع متعقداً على ضمتها ، أخذاً بالنسائها وردّها ؛ فيستفرغ في إيضاحها جهده ، وينفق في تلافئها من الاستطاعة وجهده ، حتى يبيدّها إلى مقرّها من الواجب ، ويضيئها على الحقّ اللازب ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ ﴾ .

وأمره أن يتخذ كاتب الظلف مؤسوماً ، وبأدق ما يئاط به قشوماً ؛ خيراً بما يسطره ، علماً بما يدكره ، عارفاً بالشروط والسجلات ، وما يتوجّه نحوه من التأويلات ، ويتداخها من الشبهة والتليسات ؛ مطلقاً على أسرارها وعللها ، وتصاريف حيلها ؛ متحرراً في كل حال ، متزّها عن مذموم الفعال ؛ متخذاً خشية

الله سبحانه ، مُسْبِلًا دُونَ عِصْيَانِهِ مِنَ التُّبَى أَسَارًا : فَإِنَّمَا نِظَامَاتُهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَيُدْهِمُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَيَقُولُ عَلَيْهَا ؛ وَمَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَازِعٌ ، وَلَا مِنْ عَقْلِهِ وَدِينُهُ رَادِعٌ ؛ لَمْ يُؤْمَرْ أَنْ تَدْبَ عَقَارُهَا لَيْلًا ، وَيَسْحَبَ عَلَى الْفَوَائِلِ وَالْمُوقَاتِ ذَيْلًا ؛ فَيَعْمُ الضَّرُّ بِمَكَانِهِ ، وَيُسْرِعَ أَذَاهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ حَدَّ سِنَانِهِ . وَأَنْ يَتَخَيَّرَ حَاجِبًا طَائِرِيًّا تَشْتَعُهُ دُونَ الْأَشْرَارِ ، جَامِعًا لِأَدَبِ الْأَخْيَارِ ؛ مُدْرِعًا جِلْبَابَ الْحَيَاءِ ، طَلَّقَ الْوَجْهَ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ ؛ سَهَّلَ الْجَانِبَ لَيْتَهُ ، مُسْتَشِيرًا الْخَيْرَ مُتَقَيِّنًا ؛ غَيْرَ مُتَجَهِّمٍ لِلنَّاسِ ، وَلَا مُعَامِلِهِمْ بِغَيْرِ الْبَشَاشَةِ وَالْإِيْنِاسِ ؛ فَإِنَّهُ الْبَابُ إِلَيْهِ ، وَالْمَعْتَمِدُ فِي لِقَائِهِ عَلَيْهِ ؛ فَلْيَتَحَبَّهِ أَتَخَابَ مِنْ عِلْمِ أَنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ خَيْرُ زَادٍ ، وَأَنْفُسُ ذُنُورِ عِتَادٍ ؛ وَرَأَى طَيْبَ الْحَمْدَةِ أَجْمَلَ كَسْبٍ مُرَادٍ ، وَحَظَّ مَجْدَهُ مُسْتَفَادٍ . وَمَتَى كَانَ عَنْ هَذِهِ الْخِلَالِ مُتَحَلِّيًا ، وَبِخِلَافِهَا مُتَحَلِيًا ، أَعْتَاضَ عَنْهُ بَيْنَ هُوَ أَسْلَمٌ غِيَا ، وَأَمِنْ رِيَا ، وَأَتَى جِيَا ، وَأَقْلَ عِيَا ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَخَذِ الْمُضِلِّينَ عِزًّا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَسَلَّمَ دِيَوَانَ الْقَضَاءِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْوَنَائِقِ وَالْكِفَالَاتِ ، وَالْمَحَاضِرِ وَالْوَكَالَاتِ ؛ بِمُخَضَّرٍ مِنَ الْعُدُولِ لِيَكُونُوا لَهُ مُشَاهِدِينَ ، وَعَلَيْهِ شَاهِدِينَ ؛ وَأَنْ يَحْمِلَ تَحَرُّنَهَا مِنْ رِقَاضِهِ ، بِاجْتِمَاعِ أَدْوَاتِ الْخَيْرِ فِيهِ ؛ عَامِلًا فِي حِفْظِهَا بِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَمَانَةُ الَّتِي أَشْفَقَتْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْهَا ، وَأَقَرَّرْنَ بِالْعِزِّ عَنْهَا ؛ مُنْتَحِرًا مِنْ أَمْرِ يَبُوءُ مَعَهُ بِالْأَتَامِ ، فِي دَارِ الْمَقَامِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِمِرَاعَاةِ أَمْرِ الْحَسْبَةِ فَإِنَّهَا أَكْبَرُ الْمَصَالِحِ وَأَهْمُّهَا ، وَأَجْمَعُهَا لِنَفْعِ النَّاسِ وَأَعْمُهَا ؛ وَأَدْعَاهَا إِلَى تَحْصِينِ أَمْوَالِهِمْ ، وَانْتِظَامِ أَحْوَالِهِمْ ؛ وَحَسْمِ مَوَادِّ الْفُسَادِ ،

وَكَفَّ يَدِهِ عَنِ الْاِكْتِنَادِ ؛ وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُسْتَنْابِ فِيهَا بِمُدَاوِمَةِ الْاِطْلَاعِ عَلَى كَيْفَةِ
الْاَسْمَارِ ، وَالْفَحْصِ عَنْ مَادَّةِ الْخُلُوقَاتِ فِي الْاِنْقِطَاعِ وَالِاسْتِمْرَارِ ؛ وَمَوَاصِلَةِ الْجُلُوسِ
فِي أَمَاكِنِ الْاَثْوَاتِ وَمِظَانِهَا : لِيَكُونَ تَسْمِيرُهَا بِمَقْتَضَى زِيَادَتِهَا وَتَقْصَانِهَا ؛ غَيْرَ خَارِجٍ
فِي ذَلِكَ عَنْ حُدِّ الْاَعْتِدَالِ ، وَلَا مَائِلٍ إِلَى مَا يُخَيِّفُ بِالْفَرْقَيْنِ مِنْ اِنْكَارٍ وَاقْتِلَالٍ ؛
وَأَنْ يُرَاعِيَ عِيَارَ الْمَكَائِلِ وَالْمَوَازِينَ ، لِيُمَيِّزَ ذَوِي الصَّحَّةِ مِنَ الْمَطْفُفِينَ ؛ فَيَقُولُ
لِمَنْ حَسُنَ اَعْتِبَارُهُ [مَرْ] ^(١) حَيٌّ وَيُقَالُ مَنْ سَاءَ اَخْتِبَارُهُ بِمَا يَحْمِلُهُ لِأَمَثَالِهِ رَادِعًا ، حَتَّى
يَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَتَجَنَّبُوا التَّطْفِيفَ بِقَلْبٍ مِنْ اِضْمَارِ الْمَعَاوِدَةِ سَلِيمٍ ؛
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلْطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالَهُمْ
أَوْ زَوَّوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَنْظُرُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ؛ وَفَقَّ [فِيهِ] عَلَى
مَنْهَجِ الصَّلَاحِ ، وَأَعْلَقَكَ مِنْهُ إِنْ اتَّبَعْتَهُ بِأَسْبَابِ النِّجَاحِ ؛ وَأَذْرَبَ عَلَيْكَ خَلْفَ السَّعَادَةِ
إِنْ أَمْرِيَّتُهُ بِيَدِ الْقَبُولِ ، وَجَمَعَ لَكَ مَعَ اَحْتِذَانِهِ بَدَائِدَ الْمَأْمُولِ ، وَعَطَفَ لَدَيْكَ مَقِيَّ
تَمَثُّلَتِهِ شَوَارِدَ السُّوْلِ ، وَأَوْجَدَكَ ضَالَّةً مَتَاعِكَ إِنْ أَصْغَيْتَ إِلَيْهِ سَامِعًا مُطِيعًا ،
وَأَعَادَ إِنْ أَتَخَرَّتْ بِأَوَامِرِهِ شَمَلُ أَهْوَالِكَ جَمِيعًا ، وَأَرَادَكَ مَرَعَى النِّجَاحِ إِنْ نَهَضْتَ
بِأَعْبَائِهِ مَرِيحًا ، لَمْ يَذْنِبْكَ فِيهِ شَفِيفًا ، وَلَا حَقَرَكَ إِرْشَادًا وَتَعْرِيفًا ، خَلَعَ بِهِ رِجْسَةً
الْاِمَانَةِ عَنْ عُنُقِ اجْتِهَادِهِ ، وَأَوْحَى لَكَ مَا يُسْأَلُ غَدًا عَنْ فِعْلِهِ وَأَعْتِهَادِهِ .

فَبَادِرْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ مُسْرِعًا ، وَتَمَّ بِالْمَحْدُودِ فِيهِ مُضْطَلِمًا ؛ وَأَعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَالِمٍ حَقُّوهُ ،
وَلِكُلِّ جَوَادِ كِبُوهُ ؛ فَأَغْضُضْ عَنْ مَطَالِحِ الْهَوَى طَرَفَكَ ، وَاتَّنِزْ عَنْ أَضَالِيلِ الدُّنْيَا

(١) مَرَحِي كَلِمَةٌ تَقَالُ لِلرَّأْيِ إِذَا أَصَابَ تَصْبِيًا مِنْ رَدِيهِ .

(٢) مَرَى الْهَمُّ وَأَمْرُهُ اسْتِخْرَجَهُ . (٣) لَعَلَّهُ مَعَ اخْتِرَالِهِ . تَأَمَّلْ

الغزارة عطفك ، وأخش موقفاً تشخص فيه الأبصار ، وتقدم الأعوان والأنصار ؛
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، وتقطع الوسائل إلا ممن أطاع الله وأتقاه ؛ ينعم
عوقك^(١) ، ويؤمن يوم القيامة عوقك ؛ ومهما عرض لك من شبهة لم تُلَفْ محرّجا منها ،
ولا صدرا عنها ، ولا وجدت لسقمها هتاء ، ولداثها شفاء ، فطالع حضرة أمير المؤمنين
بحالها مستعلما ، وأنها إليه مستفحجا باستدعاء الجواب عما أصبح لديك مستغلقا
مبهما ، يُبدلك منه بما يريك صبح الحق منيلجا ، وضيق الشك متفرجا ؛ عن علم
عنده البحر كالقياس ، إلى أوْشال الناس ؛ والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين
بالصواب ، ويمدّه بالتوفيق في سائر الآراب ؛ ويقود لمراذه أزيمة جوايحها الصعاب ،
ما أنجم سحاب ، وأنجم رباب ، بمنه وسعة فضله .



وهذه نسخة عهد بولاية القضاء بسرّ من رأى ، كتب بها أبو إسحاق الصائبي ،
عن الطائع لله ، للقاضي أبي الحسين محمد ابن قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله ،
ابن أحمد بن معروف ، حين ولّاه القضاء بسرّ من رأى وغيرها ، وما أضيف إلى
ذلك من أعمال الجزيرة ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد ابن
قاضي القضاة عبيد الله بن أحمد ، حين عُرفت الفضيلة فيه ، وتقبّل مذهب أبيه ؛
ونسأ من حُضنته في المثلث الأمين ، وتبوأ من سببه ونسبه المتبوأ المصُون ؛ ووجده
أمير المؤمنين مستحقا لأن يُوسم بالصنيعة ، والمترلة الرفيعة ؛ على الخلدانة من سنّه ،

(١) العوف من معانيه البال والخال ومنه يقال في الدعاء نعم عوقك .

(٢) يقال تخيل فلان أباه [أي بأياه المثلثة] تخيلا إذا نزع إليه في الشبه .

والفضاضة من عوده ؛ سامياً به في ذلك إلى مراتب أعيان الرجال ، التي لا تُذكر
إلا مع الكمال والاكتمال : لما آتس من رُشدِه ونجابتِه ، واستَوْجَح من عقله ولَبَّابته ،
واستَرَجَح من وقاره وحلمه ، واستَفَزَرَ من درايته وعلمه ، وللَّذي عليه شيخُه قاضى
القضاة عبيدُ الله بن أحمد من حَصَافَةِ الدِّين ، وخُلُوصِ اليقين ، والتقدم على المتحلِّين
بِحِلَّتِه ، والمتحلِّين لصِنَاعَتِه ؛ والاستبدادِ عليهم بِالْعِلْمِ الجَمِّ ، والمعنى الصَّحْمِ ؛ والاكتنانِ
فى المَسَاعَى الصَّالِحَةِ التي يُسودُّ أحدهم بأحدها ، ويستحقُّ التَّجَاوُزَ لهم من استَوْجَعَهَا
بأسرها ، وبالثِّقَةِ والأمانة ، والعِفَّةِ والتَّزَاهَةِ ؛ التي صار بها علماً قَرْدًا ، وواحدًا قَدْراً ؛
حتى تكلفها من أجله مَنْ لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِهِ ولا سِتْخِهِ ، فهو المَحْمُودُ بأفعاله التي أَحْتَصِ
بها وبأفعالٍ غَيْرِهِ مِنْ حَذَاهِ فيها ، وبما نَفَقَ مِنْ بَضَائِعِ الخِيرِ بعد كَسَادِهَا ، وبالسَّابِقَةِ
التي له فى خِدْمَةِ الْمُطْعِمِ لله أولاً ثم خِدْمَةِ أمير المؤمنين ثانياً ، فإنها [سابقة] ^(١) شائعٌ خَيْرُهَا ؛
وجَمِيلٌ أَثَرُهَا ؛ قَوِيَّةٌ دَوَائِعِهَا ، مُمَكِّنَةٌ أَوَاخِيهَا . ولكانَةَ التي خُصَّ بها من أمير المؤمنين
[ومن عزِّ الدولة أبى منصور مولى أمير المؤمنين أيدِه الله] ومن نصير الدولة الناصح
أبى طاهر رَعَاهُ الله ؛ ومن عَظَمَاءِ أَهْلِ حَوْزَتِهِمْ ، وَأَفَادِرِيقِ عَوَامِهِمْ وَرِعِيَّتِهِمْ ؛ فلما
صَدَقَ محمد فِرَاسَةُ أمير المؤمنين وَحَايَلَهُ ، وأَحْتَذَى تَحِيَّايَا أَبِيهِ وَشِمَائِلَهُ ؛ وحصل له
ما حصل من الحُرُمَاتِ المُنَاقَلَةِ ، والمَوَاتِ المُنَاقَصِلَةِ ، أُرْخَزَ مِنَ الأَثَرَةِ عَلَى قُرُوبِ
الْمَدَى ؛ مَا لَا يُخْرِزُهُ غَيْرُهُ عَلَى بُعْدِ الْمَرْمَى ؛ وأَسْتَفْنَى أمير المؤمنين فيه عن طول التَّجَرُّبَةِ
والاخْتِيَارِ ، وتَكَرَّرِ الامْتِحَانِ والاعتبار . فقلِّدْهُ الحُكْمَ بين أَهْلِ سُرْمَنْ رَأَى ،
وَتَكْرِيتِ ، والطبرهان ، والسَّنِّ ، والبَوَازِيحِ ، وَدَقُوقًا ، وَخَاجِيحَارَ ، وَالبَنْدَجِييْنَ .
وبوحسابور ، وَالْإِذَانِيْنَ ، [وَمَسْكِن] ^(١) وَقَطْرَبُلَ ، وَنَهْرَبُوقَ ، والدين ، وجميع الأعمال

(١) الزيادة من "رسائل الصائى" .

(٣) أَفَادِرِيقِ جمع أَفْرَاقٍ وَأَفْرَاقِ جمع فَرَقَةٍ .

المُصَافَةِ إِلَى ذَلِكَ وَالْمُنَسُوبَةِ إِلَيْهِ ، وَشَرَفَهُ بِالْخَلْقِ وَالْجَمَلِ ، وَضُرُوبِ الْإِنْسَانِ
وَالْإِحْسَانِ ؛ وَكَانَ فِيمَا أَعْطَاهُ مِنْ هَذَا الصَّبِّ وَالْمُحَدِّ ، وَنَحْلِهِ إِيَّاهُ مِنَ الْمُنْخَرِ الْعِدَّةِ
مُبْتَغِيًا مَا كَسَبَهُ مِنْ اللَّهِ الرَّضَا وَالزُّلْفَى ، وَالسَّلَامَةَ فِي الْفَاتِحَةِ وَالْعَقْبَى ؛ وَرَاعِيًا
لِمَا يُوجِبُهُ لِقَاضِي قَضَائِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي أَخْفَى مِنْهَا أَكْثَرَ
مِمَّا أَبْدَى ، وَأَمْسَكَ عَنْ أَضْعَافِ مَا أَحْصَى ؛ وَذَاهِبًا عَلَى آثَارِ الْأُتَمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ،
وَالْوَلَاةِ الْمُجْتَهِدِينَ ، فِي إِقْرَارِ وَدَائِمِهِمْ عِنْدَ الْمُرْتَمِّينَ لِحِفْظِهَا ، الْمُضْطَلَعِينَ بِجَمْلِهَا ، مِنْ
أَوْلَادِ أَوْلِيَائِهِمْ ، وَذُرِّيَّةِ نَصَحَائِهِمْ : إِذْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْأَسْلَافِ أَنْ تَمُتِيَ ، وَلَا خِلَافَ
أَنْ تَتَيَّمَ ؛ كَالشَّجَرِ الَّذِي يُغْرَسُ لَدُنَّا فَيَصِيرُ عَظِيمًا ، وَالنَّبَاتِ الَّذِي يَتِمُّ رَطْبًا فَيَصِيرُ
هَشِيصًا ؛ فَلَمُصِيبٌ مِنْ تَحْيَرِ الْغُرْسِ مِنْ حَيْثُ اسْتَنْجَبَ الشَّجَرُ ، وَاسْتَعْلَى الثَّرَى ،
وَتَعَمَّدَ بِالْعَرَفِ مَنْ طَابَ مِنْهُ الْخَبَرُ ، وَحَسُنَ مِنْهُ الْأَثَرُ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
تَسْدِيدًا لِمُحَمَّدٍ عَائِدَتُهُ ، وَتَدْرُ عَلَيْهِ مَادَتُهُ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ فِي الْعِزَائِمِ الَّتِي يَعْرِضُهَا ، وَالْأُمُورَ الَّتِي
يُؤَرِّمُهَا ، وَالْعُقُودَ الَّتِي يَعْقِدُهَا ، وَالْأَغْرَاضَ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرُهُ بِاعْتِمَادِ التَّقْوَى ، فَلِئَلَّا شِعَارُ أَهْلِ الْهُدَى ؛ وَأَنْ يُرَاقِبَ اللَّهُ مِرَاقِبَةَ الْمُحْجَزِ
مِنْ وَعِيدِهِ ، وَالْمُنْتَجَزَ لِمَوَاعِيدِهِ ؛ وَيَطَهَّرَ قَلْبَهُ مِنْ مَوْاقِفِ الْوَسْوَاسِ ، وَيُهْدِبهُ مِنْ
مُرْدِيَاتِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِمَا خَذَ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيَكْفُلُهَا كَلْفَ الْأَبْرَارِ
الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَيَمْنَعَهَا مِنْ أَبَاطِلِ الْهَوَى ، وَأَضَالِيلِ الْمُنَى ؛ فَلِئَلَّا أَمَارَةُ السُّوءِ ^(١) ، صَبَّةٌ إِلَى
الَّتِي ؛ صَادَّةٌ عَنِ الْخَيْرِ ، صَادِقَةٌ عَنِ الرَّشْدِ ؛ لَا تَرْجِعُ عَنْ مَضَاهَا إِلَّا بِالشَّكَاكِمِ ،
وَلَا تَتَقَادُّ إِلَى مَنَافِعِهَا إِلَّا بِالْخِزَائِمِ ؛ فَمَنْ كَبَحَهَا وَتَنَاهَا نَجَّاهَا ، وَمَنْ أَطْلَقَهَا وَأَمْرَجَهَا ^(٢)

(١) أَي مَائِلَةٌ إِلَى الْخَلِّ . (٢) فِي الْأَسْوَلِ وَالزَّائِلِ وَأَمْرَجَهَا بِالْهَاءِ ، وَلَهُلَا تَصْغِيرُ فِي السَّانِ
”وَأَمْرَجَهَا [أَي الْهَاءِ] تَرْكُهَا تَذَهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ“ فَضَبُّهُ .

أزداها . وأولى من جعل تقوى الله دأبه ودينته ، والحيفة منه منهاجه وسننه ؛ من ارتدى رداء الحكم ، وأمر ونهى في الأحكام ، وتصدى لكف الظالم ، ورد المظالم ، وإيجاب الحدود ودرئها ، وتحليل الفروج وحظرها ، وأخذ الحقوق وإعطائها ، وتنفيذ القضايا وإمضاها : إذ ليس له أن يأمر ولا يأمر ، ويؤجر ولا يذير ؛ وأقرب مثل ما ينهى عنه ، وينهى عما يأتى مثله ؛ بل هو محقوق بأن يصلح ما بين جنبيه ، قبل أن يصلح ما رزأ أمره إليه ؛ وأن يهذب من نيته ، ما يحاول أن يهذب من رعيته قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

وأمره بالإفكار من تلاوة القرآن الواضح سبيله ، الراشد دليله ؛ الذى من استضاء بمصباحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنها زلّ وغوى ؛ وأن يتخذ إماماً يهتدى بأياته ، ويقتدى بآياته ؛ ومثلاً يحذو عليه ، ويرد الأصول والفروع إليه ؛ فقد جعله الله منجته النابتة الواجبة ، ومجته المستبينة اللاجبة ؛ ونوره الغالب الساطع ، وبرهانه الباهر الناصع ؛ وإذا ورد عليه مفضل ، أو غم عليه مشكل ، اعتصم به عائداً ، وعطف عليه لاخذاً ؛ فيه يكشف الخطب ، ويذلل الصغب ؛ وينال الأرب ، ويدرك المطلب ؛ وهو أحد الثقلين اللذين خلقهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فينا ، ونصّبهما معلماً بعدنا لنا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِكَلِّبٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بالمحافظة على الصلوات ، وإقامتها في حقائق الأوقات ؛ وأن يدخل فيها
أوان حلوها بإخلاص من قلبه ، وحضور من لبه ؛ وجمع بين لفظه ونيتة ؛
ومطابقة بين قوله وعمله ؛ مرتلاً للقراءة فيها ، مفصلاً بالإبانة لها ، مثبتاً في ركوعها
وسجودها ؛ مستوفياً لحُدودها وشروطها ؛ متجنباً فيها جرائر الخطأ والسهو ، وعوارض
الخلل واللفو ؛ فإنه واقف بين يدي جبار السماء والأرض ، ومالك البسط
والقبض ، والمطلع على خائفة كل عين وخافية كل صدر ، الذي لا تحجب دونه
طويته ، ولا تستعجم عليه خبيته ؛ ولا يضع أجرح من ، ولا يصلح عمل مفسد ؛
وهو القائل عز وجل : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

وأمره بالجلوس للخصوم ، وقنح بابه لهم على العموم ؛ وأن يوازي بين الفريقين
إذا تقدموا إليه ، ويحاذي بينهما في الجلوس بين يديه ، ويقسم لهما أقساماً متماثلةً
من نظره ، وأقساماً متعادلةً من كلمه ؛ فإنه مقام توازن الأقدام ، وتكافؤ الخواص
والعوام ؛ ولا يقبل على ذي هيئة لهيئته ، ولا يعرض عن دميم لدمامته ؛ ولا يزيد
شريقاً على مشروف ، ولا قوياً على مضعوف ؛ ولا قريباً على أجنبي ، ولا مسلماً
على ذي ، ما جمعهما التخاصم ، وضهما التماكم . ومن أحسن منه بتقصان بيان ،
أو تحجير عن بُرهان ؛ أو قصور في علم ، أو تأخر في فهم ، صبر عليه حتى يستبسط
ماعدته ، ويستشف ضميره ؛ ويتق بالإنعاع غلته ، ويخرج بالإيضاح غلته . ومن
أحسن منه بلسن وبعبارة وفضل من بلاغه ، أعمل فيما يسمعه منه فكره ، وأحضره
ذهنه ؛ وقابله بسد خلة خصمه ، والإبانة لكل منهما عن صاحبه ؛ ثم سَلَطَ على
أقوالها ودعائيهما تأمله ، وأوقع على بيناتهما ومججها تدبره ؛ وأنفذ حينئذ الحكومة
إنفاذاً يعلمان به أن الحق مستقر مقرة ، وأن الحكم موضوع موضعه ؛ فلا يبقى
للحكوم عليه استرابة ولا للحكوم له استراة ؛ وأن يأخذ نفسه مع ذلك باظهر

الخلاتى وأحمدى، وأهدى السجاي وأزهدى، وأن يقصد في مشيه، ويُفَضُّ من صوته، ويَحْتَفُ القُضُول من [لفظه و] لَحْظِهِ؛ وَيَحْتَفُّ من حركاته ولَفَاتِهِ، ويتوقَّر من سائر جناباته [وجهاته]، ويَحْتَبُّ الخُرق والحِذَّة، ويتوقَّى القَطَاظَةَ والشَّدَّة، ويُلِين كَتَفَهُ من غير مهانة، ويرُبُّ هَيْبَتَهُ في غير غِلْظَةٍ؛ ويتوقَّى في ذلك وقُوفًا بين غايته، وتوسُّطًا بين طرفيه؛ فإنه يحاطَبُ أَحْلَامًا من الناس مختلفين، وضُروبًا غير متفقين؛ ولا يغلو فيهم من الجاهل الأَهْوَج، والمظلوم المُهرَج، والشيخ الهرم، والناشي الغز، والمرأة الركيكة، والرجل الضعيف النحيمة؛ وواجبٌ عليه أن يَغْمُرَهم بعقله، ويسمِّلَهم بمنزله، ويُقِيمَهم على الاستقامة بسياسته، ويعطف عليهم بحلمه ورياسته. وأن يجلس وقد نال من المَطْعَمِ والمَشْرَبِ طَرَفًا يَقِفُ به عند أَوَّلِ الكِفَايَةِ، ولا يُلْغِ منه إلى آخرِ النِّهَايَةِ؛ وأن يعْرِضَ نفسه على أسباب الحاجة كُلِّهَا؛ وعوارِضِ البَشَرِيَّةِ بِأَسْرَاهَا: لئلا يُلِمَّ به من ذلك مُلِمٌ أو يَطِيفُ به طَائِفٌ فَيُحِيلَانِهِ عن جَلَدِهِ، ويَحُولَانِ بينه وبين سَدِّهِ. ويُكُنُّ هُمَّهُ إلى ما يقول ويُقال له مَصْرُوفًا، وخَاطِرُهُ على ما يَرِدُ عليه ويَصْدُرُ عنه مَوْقُوفًا؛ قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

وأمره إذا ثَبَتَ عنده حقٌّ من الحقوق لأحدٍ من الخصوم، أن يكتبَ له متى آتَمَسَ ذلك إلى صاحبِ المعونة في عمله بأن يَمَكِّنَهُ منه، ويَحْصِمَ المعارِضَاتِ فيه عنه، ويقضِ كُلَّ يدٍ تَمَسُّه إلى مُنَازَعَتِهِ، أو تَعْدِي إلى مُجَادَلَتِهِ؛ فقد نَدَبَ الله

عن خيانتهم ، وتقرَّبوا إليه بما شَقَّ سُوْقُهُ ، وَيُسَحِّقُ بِهِ التَّوَجُّعَ عِنْدَهُ ، وَاسْتَمَرَّ
شُهُودُهُ وَأَمَانَاؤُهُ ، وَأَتْبَاعُهُ وَخَلْقَاؤُهُ ، عَلَى الْمَنَهِجِ الْأَوْضَحِ ، وَالْمَسْلُكِ الْأَتَّجِحِ ، وَتَحَصَّنَتْ
الْأُمُوالُ وَالْحَقُوقُ ، وَصِيْنَتِ الْحُرُمَاتُ وَالْفُرُوجُ ، وَمَنَى وَقَفَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى هَفْوَةٍ
لَا تُنْفَرُ ، وَعَتْرَةٍ لَا تُهَالُ ، أَسْقَطَهُ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ جُمْلَتِهِمْ ، وَأَعْتَاضَ مِنْهُ مَنْ
يَحْدُ دِينَهُ ، وَيَرْضَى أَمَانَتَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ
عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ . وَقَالَ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالضَّبْطِ لِمَا يَجْرَى فِي عَمَلِهِ مِنَ الْوُقُوفِ الثَّابِتَةِ فِي دِيْوَانِ حُكْمِهِ ،
وَالْتَعْوِيلِ فِيهَا عَلَى الْأَمْنَاءِ الثَّقَاتِ ، وَالْحَصَفَاءِ الْكُفَاءِ ، الْمَعْرُوفِينَ بِالظَّلْفِ وَالْوَرَعِ ،
الْمُتَزَهِّبِينَ عَنِ النَّظْفِ وَالْجَشَعِ ، وَالتَّقْدِيمِ إِلَيْهِمْ فِي حِفْظِ أَصُولِهَا ، وَتَوْفِيرِ قُرُوعِهَا ،
وَتَجْمِيرِ غَلَاظِهَا وَارْتِفَاعِهَا ، وَصَرَفِهَا إِلَى أَهْلِهَا وَمُسْتَحِقِّهَا فِي وُجُوهِهَا وَسُبُلِهَا ، وَمَطَالِبَتِهَا
بِحَسَابِ مَا يَجْرَى عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَالِاسْتِقْرَاءِ لِآثَارِهِمْ فِيهِ وَأَهْلَائِهِمْ ، وَأَنْ يَحْدُ مِنْهُمْ مَنْ
كَفَى وَكَفَّ ، وَيَذُمُّ مَنْ أَضَاعَ وَأَسْفَ ، وَيُنْزِلُ كُلَّ مَنْهُمْ مَرْتَبَتَهُ الَّتِي اسْتَحَقَّهَا
بِعَمَلِهِ ، وَاسْتَوْجَبَهَا بِأَثَرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالْإِحْتِيَاظِ عَلَى أُمُوالِ الْأَيْثَامِ ، وَإِسْتِنَادِهَا إِلَى أَعْفٍ وَأَوْثِقِ الْقَوَامِ ،
وَالْتَقْدِيمِ إِلَى كُلِّ طَائِفَةٍ بِأَنْ يَجْرِيَهُمْ مُجْرَى وَلَدِهِ ، وَيَقِيمَهُمْ مُقَامَ سَلَاتِهِ ، فِي الشَّفَقَةِ
عَلَيْهِمْ ، وَالِإِصْلَاحِ لَشُؤْنِهِمْ ، وَالِإِشْرَافِ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ ، وَتَقْلِيْبِهِمْ مَا لَا يَتَّسِعُ الْمُسْلِمُ
جَهْلُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ الْمَفْتَرَضَةِ ، وَالسُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَتَحْرِيجِهِمْ فِي أَبْوَابِ مَعَايِشِهِمْ ،

وأَسباب مَصَالِحِهِمْ؛ وَالْإِتِّفَاقِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَضِ أُمُورِهِم بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا شَطَطَ فِيهِ وَلَا تَبْذِيرَ، وَلَا تَضْيِيقَ وَلَا تَقْتِيرَ؛ فَإِذَا بُلُّوا بِمَالِكَ كَامِلِهِمْ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدُ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِمْ، أَطْلَقَ لَهُمْ أُمُورَهُمْ، وَأَشْهَدَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ بِمَا تَقْلَدُهُ مِنْ الْحُكْمِ، خَلْفًا مِنَ الْآبَاءِ لِدَوَى الْيَتَمِ؛ وَصَارَ بِهِذِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيْهِمْ مُشْتَوْلًا عَنْهُمْ، وَجَزَاءً عَمَّا سَارَ بِهِ فِيهِمْ، وَأَوْصَلَهُ مِنْ خَيْرِ أَوْشَرٍ إِلَيْهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ .

وأَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا فِي دِيْوَانِهِ مِنَ الْوَثَائِقِ وَالسَّجَلَاتِ، وَالنَّجْعِ وَالْبَيِّنَاتِ، وَالْوَصَايَا وَالْإِقْرَارَاتِ: فَإِنَّمَا وَدَائِعُ الرِّعْيَةِ عِنْدَهُ، وَوَجِبُ أَنْ يَحْرُسَهَا جُهْدُهُ؛ وَأَنْ يَكْلِمَهَا إِلَى الْخَزَائِنِ الْمَأْمُونِينَ، وَالْحَفَظَةِ الْمُتَقِظِينَ؛ وَيُوعِزُّ إِلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يُخْرِجُوا شَيْئًا مِنْهَا عَنْ مَوْضِعِهِ وَلَا يُضَيِّفُوا إِلَيْهَا مَالًا يَكُنْ بِعَالِمِهِ؛ وَأَنْ يَتَّخِذَ لَهَا بَيْتًا يَحْصُرُهَا بِهِ؛ وَيَجْعَلَهُ بِحَيْثُ يَأْمَنُ عَلَيْهِ: لِيَرْجِعَ مِنْهُ أَحْتَاجَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ .

وأَمْرُهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَمْرٌ يُعْيِيهِ فَصْلُهُ، وَيُسْتَبَدُّ عَلَيْهِ وَجْهُ الْحُكْمِ فِيهِ، أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَيَطْلُبَ بِهِ سَبِيلَ الْخُلُصِّ مِنْهُ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا فَاقِ الْأَمْرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ أَدْرَكَهُ وَإِلَّا أَسْتَقْبَلْ فِيهِ مَنْ يَلِيهِ مِنْ دَوَى الْفَقْهِ وَالْفَهْمِ، وَالْهُدَايَةِ وَالْعِلْمِ؛ فَمَا زَالَتِ الْأُتُمَةُ وَالْحُكْمَامُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَطُرُقِ السَّنَنِ الْوَاضِحِ؛ يَسْتَقْبِلُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَاحِدًا، وَيَسْتَرْشِدُ بَعْضُ بَعْضًا؛ لِرُومِ الْإِجْتِهَادِ، وَطَلَبِ الصَّوَابِ؛

وتحرّزا من الغلط ، وتوقّيا من العتار ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ .

وأمره أَنْ لَا يَنْقُصَ حُكْمًا حَكَمَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا يَفْسَخَهُ ، وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَيْهِ وَلَا يَمْدِلَ عَنْهُ ، مَا كَانَ دَاخِلًا فِي إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَائِقًا فِي أَوَاضَاعِ الدِّينِ ؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنِ الْإِجْمَاعِ ، أَوْضَحَ الْحَالُ فِيهِ لِمَنْ بَحْثُورُهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ حَتَّى يَصِيرُوا مِثْلَهُ فِي إِنْكَارِهِ ، وَيَجْتَمِعُوا مَعَهُ عَلَى إِبْجَابِ رَدِّهِ ، ثُمَّ يَنْقُضُهُ حِينَئِذٍ نَقْضًا يَسِيرًا وَيَذِيعًا ، وَيُعَوِّدُ بِهِ الْأَمْرَ إِلَى وَاجِبِهِ ، وَيَسْتَقِرُّ مَعَهُ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وَجَّهْتُ عَلَيْكَ ؛ قَدْ شَرَحَ بِهِ صَدْرَكَ ، وَأَوْضَحَ بِهِ سُبُكَ وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْهَدَايَةِ لَكَ ، وَلَمْ يَأَلُكْ تَبْصِيرًا وَتَذَكِيرًا ، وَلَمْ يَدَّخِرْكَ تَعْرِيفًا وَتَوْقِيفًا ؛ وَلَمْ يَجْعَلْكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ عَلَى شُبْهَةِ تَعْرِضِكَ ، وَلَا حَيْثُ تَعْنَاكَ ؛ وَاللَّهُ شَاهِدُ لَهُ بِخُرُوجِهِ مِنَ الْحَقِّ فِيمَا وَصَّى وَعَهْدَ ، وَعَلَيْكَ بِقَبُولِكَ مَا قَبِلْتَ مِمَّا وَدَّى وَقَلَّدَ ؛ فَإِنْ عَدَلْتَ وَأَعْدَلْتِ - وَذَلِكَ خَلِيقُ بكَ - فَقَدْ فَازَ وَفُزْتَ مَعَهُ ، وَإِنْ تَجَانَفْتَ وَزَلَلْتَ - وَذَلِكَ بَعِيدٌ مِنْكَ - فَقَدْ رَجَحَ وَخَسِرْتَ كُونَهُ ؛ فَتَحْكُمِ الْقَوَى زَادَكَ ، وَالْإِحْتِرَاسُ شِعَارَكَ ؛ وَأَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ يُعْنِكَ ، وَأَسْتَهِدَّ يَهْدِكَ ؛ وَأَعْتَضِدَّ بِهِ يُعْضِدُّكَ ، وَأَسْتَمْدُ مِنْ تَوْفِيقِهِ يُمِدِّدُكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[وكتب نصير الدولة الناضح أبو طاهر يوم كذا من رجب سنة ست وستين
وثلاثمائة^(١)] .



وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة شرقاً وغرباً ، كُتِبَ به عن الإمام الناصر لدين الله أحمد ، للقاضي محيي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان ، من إنشاء أستاذ الدار عضد الدين بن الضحَّاك ، وهي :

هذا ماعهد عبد الله وخليفته في العالمين ، المفترض الطاعة على الخلق أجمعين ، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن يحيى بن فضلان : حين سبرِ خلاله واستقرأها ، وأعتبر طرائقه وأستبرأها ، فآلقاه رشيداً في مذهبِهِ ، سيدِّداً في أفعاله وضرَّائِهِ ؛ مؤسوماً بالرَّصانة ، حاليّاً بالورع والديانة ، مبرِّزا من العلوم في فنونها ، عالماً بمفروض الشريعة المظهره ومُسْتَوْفها ؛ مُدْرِعا ملبس العفاف ، قد أناف على أمثاله في بوارِع الأوصاف ؛ فقلَّده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال ، والنواحى والأمنابر : شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ سَكُوناً إلى ماعلم من حاله ، وأضبطلعه بالنهضة المنوطة به وأستقلَّله ، ورُكُوناً إلى قيامه بالواجب فيما أُسند إليه ، ونهوضه يعبء ماعول في حفظ قوانينه عليه ؛ وأستنامة إلى حلول الأَصْطِناع عنده ، ومصادفته منه مكاناً تَبَوَّاه بالاستِحْصاق وحده ؛ والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ، ويحسن له الخيرة فيما يؤمُّه من متأخِمْ الدِّين وصلَّاح الجُمهور ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلَّا بالله عليه يتوكَّل وإليه يُنْساب .

أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره ، وتقمُّص شعارها في إظهار أمره وإضماره ؛ فإنها العروة الوثقى ، والذَّخْرُ الآتِي ، والسعادة التي مادُونُها فوزٌ ولا فَوْقَها شرقى ؛ وهي حلية الأبرار ، وسِما الأَخيار ، والمَنْهَج الواضح ، والمَتَجَرِّ الرامح ؛ والسبيلُ

المؤدى إلى النجاة والخلاص ، يوم لا وَّرَولاتٍ حينَ مَصاصٍ ، وأهَّعُ العُندَ
والذَّخائرَ ، وغيرَ العَصادِ يومَ تُنشرُ الصُّحفُ وتُبلَى السَّرائِرُ ؛ يومَ تُشخَّصُ الأَبصارُ ،
وتَصدَمُ الأنصارُ : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرايِلُهُمْ مِنْ طَيرانٍ
وَتَغشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ . ولا ينجُو من عذابِ الله يومئذٍ إلا مَنْ كانَ زادَهُ التقوى ،
وتمسَّكَ منها بالسَّببِ الأقوى ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَزَرَدُوا فَأَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
وَأَقْمَرُونَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره أن يجعل كَلَبَ اللهِ إماماً يَهْتَدَى بِمَنَارِهِ ، ويستَمبِيعُ بِبَواهِرِ أنوارِهِ ؛
ويستَضِيءُ في ظُلُمِ المشكلاتِ بِمِيزِ مضايحِهِ ، ويَقِفُ عندَ حُدُودِ محظُورِهِ ومُباحِهِ ؛
ويَحْتَدُّهُ مثلاً بِمَحْتَدِيهِ ، ودليلاً يَتَّبِعُ أثرَهُ فيهِدِيهِ ؛ ويعمَلُ بِهِ في قضاياهِ وأحكامِهِ ،
ويَقْتَدِي بِأوامرِهِ في تَقْضِيهِ وإِبرامِهِ : فإنه دليلُ الهدى ورائدُهُ ، وسائقُ النُّجى
وقائِدُهُ ؛ ومُعِدُّ العِلْمِ ومُنْبِئُهُ ، ومَتَجِّمُ الرِّشادِ ومُطْلِعُهُ ؛ وأحدُ الثَّقَلَيْنِ اللّذينِ خَلَفَهما
رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الأُمَّةِ ، والدَّلُّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ تعالى تَياناً لكلِّ
شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً ، فقالَ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَزَلَّنا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَياناً لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بِاتِّتاعِ الآثارِ النّبويةِ صلواتُ اللهِ علَيَّ صاحبِها وسلامُهُ ، والاهْتِداءِ
بُشُوعِها التي تُجَلِّ بها دُجَّةُ كُلِّ مَشْكِـلٍ وظُلَامُهُ ؛ والاهْتِداءِ بِسُنَّةِ الشَّريعةِ المَتَّبوعةِ ،
وتَصَفُّحِ الأخبارِ المسمُوعةِ ؛ والعملِ منها بما قامَتِ أدلَّةُ حِجَّتِهِ من جَميعِ جِهاَتِهِ ،
وَأَمْتَحَكَةِ الثَّقَةِ بِقَلْبِهِ عَنْهُ - عليه السَّلامُ - وروايَتِهِ وسَلِمَتِ أَسانيدُهُ من قَدَحِ
ورجالِهِ من ظُلْمَةٍ وجَرَحِ ، فإنَّها التَّالِيَةُ للقُرْآنِ المَهِيدِ في وجُوبِ العملِ بأوامرِهِ ،

(١) في السان ج ١٠ ص ٢٢٩ « أتتبع بالآية والشريعة مثل ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من
كتاب الله قد أتتبع معنى جيداً » .

والإتهام برأده وزواجه؛ وهو عليه الصلاة والسلامُ الصادقُ الأمينُ الذي ماضٍ وما غوى، وما ينطق عن الهوى؛ وقد قرَنَ الله سبحانه طاعته بطاعته، والعمل بكتابه والأخذ بسنته؛ فقال عز من قائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وأمره بمخالسة العلماء، ومباحثة الفقهاء؛ ومشاركتهم في الأمور المشكَّلة، وعوارض الحكومات المُعضلة: لتستبين سبيلُ الصواب، ويعرَى الحكمُ من ملابِسِ الشبهة والارتباك؛ ويخلص من خطأ الأفراد، وغوائل الاستبداد؛ فالمشورة باليمن مقرونة، والسلامة في مطالوبها مضمونة؛ وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم مع شرف منزله وكِلالِ عصمته، وتأيدِهِ بوجهٍ وملائكته؛ فقال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .

وأمره بفتح بابه، ورفع حجابهِ؛ وأن يجلس للخصوم جلوساً عادياً، وينظر في أمورهم نظراً حسناً تاماً؛ سواوياً بينهم في نظره ولحظه، وإصفاؤه ولقطه؛ محترماً من ذى اللسان وجُرة جَنَانِهِ، متأنياً بذى الحِصَر عند إقامة بُرْهَانِهِ، فربما كان أحدُ الخصمين الحنَّ مُحجَّجَه، والآخرُ ضعيفاً عن مُقاومته؛ هذا مقامُ الفحص والاستفهام، والتثبت وإمضاء الأحكام: ليسلم من خديعة مُحتال، وكَيْدِ مُتَالٍ؛ مائلاً في جميع ذلك مع الواجب. سالكاً طريق العدلِّ الألاجِب؛ غيرَ فارقٍ في إمضاء الحكم بين القوى والضعيف، والمُشروفِ والثَّريف؛ والمالكِ والمملوكِ، والفتى والصُّلوك، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ . وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ .

وأمره أن يتصفح أحوال الشهود، المسموعة أقوالهم في الحقوق والحُدود؛
المرجوع إلى أمانتهم، المعمول بشهادتهم؛ الذين هم نُصامُ الحجج وتُحصنُ، ويُبرم
الأحكام وتُنقَضُ؛ وتثبت الدعاوى وتُبطل، وتُغنى القضايا وتُسجل، مجتهدنا
في البحث عن طرائقهم وأحوالهم، وانتقاد تصاريضهم وأفعالهم، واستشفاف
تجاربهم، وعرفان مزاياهم، مخصّصا بالتمييز من كان حمداً للخلال، مرضى الفعّال،
راجعا إلى ورع ودين، متمسكا من الأمانة والتزاهة بالسبب المتين، قال الله تعالى:
﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ .

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم، ومراعاة شئونهم وأحوالهم؛ وأن يرتب
بسبب أنساق مصالحهم الثقات الأعفَاء، والأمناء الأثقياء؛ ممن ظهرت ديانته،
وحسنت سيرته؛ وأشهر بالظلف والعفاف، والتزّه عن الطمع والإسفاف؛
وأمرهم بحفظها من خلل يظللها، ويد خائفة تدخلها؛ وليكن عليهم حديبا، وفي قوط
الحنو أبا؛ وخلفا من آباؤهم في الإشفاق عليهم، وحسن الاكتفات إليهم؛ فإنه عنهم
مسئول، والعذر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول؛ وأن يأذن لهم في الإنفاق
عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تفتير، ولا تضيق ولا تبذير؛ فإذا بلغ أحدكم
النكاح، وأأس منه أمارات الرشد والصّلاح، دفع ماله إليه، وأشهد بقبضه عليه؛
على الوجه المنصوص، غير منقوص ولا منقوص؛ ممثلا أمر الله تعالى في قوله
سبحانه: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِإِلَهِ حَسِيبًا﴾ .

وأمره بتدوين الأيمانى اللواتى لأوليائه لمن أكفائين، بمهور أمثالهن؛ وأن
يشمل نوات الغنى والفقر منهن بدله، ويتحرى لمن المصلحة في عقده وحله .

وأمره ان يستتيب فيما بعد عنه من البلاد ودنا، وقرب منه ونأى، كل ذى علم وأستبصار، وتيقظ في الحكم وأستظفار؛ وزاوية شائعه، وأوصاف لأقوات الاستحقاق جامعته؛ ممن يتحقق فهو به بذلك وأضطلاله، ويامن أستلاله وأخذاعه؛ وأن يمهّد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه ولا يألوهم تنبيها وتذكيرا، وإرشادا وتبصيرا؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَمَآوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَمَآوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُنُونِ﴾ .

وأمره بامضاء ما أمضاء قبله الحكم، من القضايا والأحكام؛ غير منعقب أحكامهم بنقض ولا تبديل، ولا تغيير ولا تأويل؛ إذا كانت جائزة في بعض الأقوال، ثمضة على وجه من وجوه الاحتمال؛ غير خارقة للإجماع، عارية من ملأيس الابتداع؛ وإن كان ذلك منافيا لمذهبه، فقد سبق حكم الحاكم به؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

وأمره أن يتخذ كتابا فيما بشروط القضايا والسجلات، عارفا بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات، ويتداخلها من النقص والتليسات؛ متحرزا في كل حال، متزها عن ذميم الأفعال. وأن يتخير حاجبا نقي الحب، مامون المنهّد والغيب؛ مستشعرا للتقوى، في السر والتجوى، سالكا للطريقة المتلى؛ غير متجهّم للناس، ولا معتمد مائنا في بسط الوجه لم والإيناس؛ فإنه وصلّهم إليه، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه؛ فليستخبه من بين أصحابه، ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسلم ديوان القضاء والحكم، والاستظهار على ما في خزانته بالإيجاب والختم؛ والاحتياط على ما به من المال والسجلات، والمجّج والمحاضر والوكالات؛

والقبوض والوثائق والأثبات والكفالات ، يَحْصَرُ من السُّدُولِ الأمانة الثقات ؛
وأن يَرْبُ لِنَظَرِ لَدُنْكَ خازِنَا يُؤَدِّي الأمانة فيه ، ويتوَكَّلُ ما تُوجِبُه الديانة وتَقْضِيه .

وأمره بمراعاة أمر الحِسْبَةِ : فإنها من أَكْبَرِ المصالح وأهمها ، وأجمعها لمنافع
الخلق وأعمها ، وأدعاها إلى تحصين أموالهم ، وانتظام أحوالهم ؛ وأن يأمر المستناب
فيها باعتبار سائر المبيعات فيها : من الأقوات وغيرها في عامة الأوقات ؛ وتحقيق
أسباب الزيادة والتقصان في الأسعار ، والتصدي لذلك على الدوام والاستمرار ؛ وأن
يُجْرَى الأمر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ؛
واعتبار المَوَازِينِ والمكاييل ، وإعادة الزائد والتقص منها إلى التسوية والتعديل ؛
فإن أطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل دَمِيم ، أو تطفيف عدل فيه
عن الوزن بالفسطاس المستقيم ، أنه من الأدب ، وأسباب التَّهْذِيبِ ، ما يكون
له رادعا ، ولنيره زاجرا وإزعا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلْعَاطِفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وسمَّته عند الله تعالى عليك ؛ قد أولاك من
صُنُوفِ النِّعمِ والآلاءِ ، وجزيل الكرم والحياه ؛ ما يُوجب عليك الاعتراف بقدومه ،
واستيزاع شكره ؛ ووقف بك على محبة الرِّشَادِ ، وهذاك إلى منتهج الحق وسن
السُّداد ؛ ولم يَأْكُ تَقِيْفَا وتبصيرا ، وتنبها وتدكيرا . فطامل ذلك متدبرا ، وقف
عند حدود أوامره ونواهيهِ مستبصرا ؛ وأعمل به في كل ما تأنيه وتدُّرُه ، وتؤرِده
وتُصَدِّرُه ؛ وكن للخيلة في آرتيادك محققا ، وللمتد فيك مُصَدِّقا ؛ فخر من خير
الدارين بمعلَى القِدادِ ، وإحسانِ الشُّرئِ عند الصُّباح ؛ وحسبُ أمير المؤمنين الله
وبنعم الوكيل .

الضرب الثاني

(مما كان يكتب يدوان الخلافة ببغداد لأرباب الوظائف
من أصحاب الأقسام الواقعية)

وطريقتهم فيها أن يفتح التوقيع بلفظ «أحق» أو «أولى» أو «أقن» من أبيضت
عليه النعم «أو من قُوض إليه كذا» أو «من قُوه بذكره» ونحو ذلك «من كان
بصفة كذا وكذا» ثم يقال : «ولما كان فلان بصفة كذا وكذا، قُوض إليه كذا
وكذا» أو «أُسند إليه كذا وكذا» ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع بتدريس، كُتِب به عن الإمام الناصر لدين الله، للقاضي
عبي الدين «محمد بن فضلان» بتدريس المدرسة النظامية ببغداد، في سنة
أربع عشرة وسبعمائة، وهي :

أحق من أبيضت عليه بحامد النعم^(١)، وجذب بصبغه إلى مقام التنويه وقدم
القدم من أسفر في أفضية الفضائل صباه، وانتشر في العالم علمه وأزهرو
مصباه .

ولما كانت الأجل الأوحَد، العالم، محي الدين، حجة الإسلام، رئيس
الأصحاب، مفتي الفريقين، مفيد العلوم، أبوعبد الله «محمد بن يحيى بن فضلان»
أدام الله رفعة، عن نظم فرائد الحماد عقده النضيد، وأوى من العلم والعمل إلى
رُكن شديد، وثبت قدمه من الديانة على مستنبت راسخ وقرار مهيد - رؤى التحويل
في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه : ثقة بأخطاؤه واستقلاله، وتبريزه

(١) المجاهد جمع محمد بالضم والكسر التياب التي تل الجسد وقد تكون مصبغة بالجسد وهو الزعفران .

في حَلَبَاتِ الْإِسْتِاقِ عَلَى نُظْرَانِهِ وَأَمْتَالِهِ ، وَتَرَجُّحِ الْمُسَاحِلِينَ لَهُ عَنْ قُوْتِ غَايَتِهِ وَبُعْدِ مَتَالِهِ ؛ وَأُسَيْدِ إِلِهِ - آدَامِ اللَّهِ رَفَعْتَهُ - النَّظْرُ فِي أَوْقَافِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِأَجْمَعِهَا ، وَاعْتِمَادِ مَا شَرَطَهُ الْوَاقِفُ فِي مَصَارِفِهَا وَسُبُلِهَا ؛ سَكُونًا إِلَى كِفَايَتِهِ ، وَرُكُونًا إِلَى سَدَادِهِ وَأَمَانَتِهِ .

وَرُسِمَ لَهُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مَا زَالَ مُتَّبِعًا لَطَرَاتِهَا ، مُتَمَسِّكًا بِصَحْمِهَا وَوُثَاقِهَا ؛ وَأَنْ يُشْرَحَ صَدْرُهُ لِلتَّعْلِيمِ ، وَلَا تَأْخُذَهُ مُجَرَّةٌ مِنَ الْمُسْتَفِيدِينَ ، وَلَا تَعْدُو عَيْنَاهُ عَنْ جُهْلَاءِ الطَّالِبِينَ ؛ وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْمُبَالَغَةِ فِي تَفْهِيمِ الْمُبْتَدِئِ ، وَلَا يَقْفُلُ عَنْ تَذْكِيرِ الْمُتَنَبِّئِ : فَإِنَّهُ إِذَا أَحْتَمَلَ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ ، وَأَعْطَى كُلَّ تَلْمِذٍ حَقَّهُ ، كَانَ اللَّهُ تَعَالَى كَفِيلًا بِمَعُونَتِهِ ، بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُ مِنْ حِرْصِهِ عَلَيْهِمْ وَإِخْلَاصِ نِيَّتِهِ . وَلَكِنْ بِسَارِ الْمُنَافِقَةِ مَعْتَبِيًّا رَافِقًا ، وَعَلِيمًا حَذِيًّا شَفِيفًا ؛ يُفَرِّغُ لَهُمْ مِنَ الْفِقْهِ مَا وَصَّحَ وَتَسَهَّلَ ، وَيَسِّرُ لَهُمْ مَا أَلْتَمَسَ مِنْ غَوَامِضِهِ وَأَشْكَالِهَا ؛ حَتَّى تَسْتَبْرِئَ قُلُوبُهُمْ بِأَضْوَاءِ عُلُومِ الدِّينِ ، وَتَتَطَلَّقَ أَلْسِنَتُهُمْ فِيهَا بِالْقَظِّ الْقَصِيبِ الْمُبِينِ ، وَتُظْهِرَ آثارُ بَرَكَاتِهِ فِي مَرَاشِدِهِمْ وَتَبَيَّنَ ؛ وَلِتَتَوَقَّرَ هِمَّتُهُ فِي عِمَارَةِ الْوُقُوفِ وَاسْتِنَائِهَا ، وَالتَّوَقُّرُ عَلَى كُلِّ مَاعَادٍ بِتَرَايُدِهَا وَزَكَاتِهَا ؛ بِحَيْثُ يَنْضَحُ مَكَانُ نَظَرِهِ فِيهَا ، وَيُتْلَغُ الْعَايَةُ الْمَوْفِيَّةُ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ وَيُوفِّيَا ؛ وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِبَنِ يُوْدَى الْأَمَانَةِ وَيُوفِّيَا ، وَيَقُومُ بِشَرَائِطِ الْأَسْتِحْقَاطِ وَيَكْفِيهَا ؛ وَهُوَ - آدَامُ اللَّهِ رَفَعْتَهُ - يَجْرَى مِنْ عَوَائِدِ الْمُدَرِّسِينَ وَالْمُتَوَلِّينَ قَبْلَهُ عَلَى أَوْفَى مَعْنَاهُ ، وَيُسَامَى بِهِ إِلَى أَبْعَدِ مُرْتَقَى وَمَقَامٍ مُجُودٍ ؛ وَأُذِنَتْ لَهُ فِي تَسَاوُلِ لِحَابِ التَّدْرِيسِ وَنَظَرِ الْوُقُوفِ الْمَذْكُورَةِ ، أَسْوَةٌ مِنْ تَقَدَّمَهُ فِي التَّدْرِيسِ وَالنَّظَرِ فِي الْوُقُوفِ ، عَلَى مَا شَرَطَ الْوَاقِفُ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ ، وَاعْتِمَادِ كُلِّ مَاحَدَةٍ فِي ذَلِكَ وَمِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ تَجَاوُزِ .

النوع الرابع

(مما كان يُكْتَب من ديوان الخلافة ببيغداد ما كان يُكْتَب لِرُعاء أهل الذمة)

وطريقهم فيه أن يُفْتَح بلفظ : « هذا كُتِب أمر بكتبه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين لفلان » ثم يقال : « أما بعد فالحمد لله » ويؤتى فيه بحميدة أو ثلاث تحميدات إن قُصِد المبالغة في قهر أهل الذمة بذخولهم تحت ذمة الإسلام وأتباعهم إليه . ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى أهل الذمة ، وأنه أنهى إليه حال فلان وسئل في توليته على طائفته قَوْلَهُ عليهم للميرة على غيره من أبناء طائفته ونحو ذلك ؛ ثم يُوصيه بما يناسبه من الوصايا .

وهذه نسخة من ذلك ، كُتِب بها عن القائم بأمر الله ، لعبد يسوع الخاتليق ، من إنشاء العلاء بن موصلايا ، وهي :

هذا كتاب أمر بكتبه عبد الله أبو جعفر عبد الله الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، لعبد يسوع الخاتليق الفطرك .

أما بعد ، فالحمد لله الواحد بغير ثان ، القديم لأعن وجود زمان ؛ الذي قصرت صنيعه الأوهام ، عن إدراكه وحادث ؛ وضلت صنيعه الأفهام ، عن بلوغ مدى صفاته وحالت ؛ المتتر عن الولد والصاحبه ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائب ؛ ذي المشيئة الحالصة بالمضاء ، والقدره الجارية عليها تصاريق القدر والقضاء ؛ والمظنة الغنية عن العون والظهير ، المتعال بها عن الكفء والظهير ؛ والعزة المكثفة عن العضد والنصير ، (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير .

والحمد لله الذى اختار الإسلام ديناً وأرضاه، وشام به غضب الحق على الباطل وأنتضاه؛ وأرسل محمداً - صلى الله عليه - مُقنناً من أشراك الضلّاه، وكاشفاً عن الإيمان ما غمره من الإشراك وأظله؛ وبعثه ماحياً أثر الكُفر من القلوب والاشتماع، وناحياً فى أتباع أوامره ما جدد فى البدار إليه والإسراع؛ وأدنى ما حمله أحسن الأداء^(١)، ودأبى بمعجز النبوة من النفوس مُفضّل الداء؛ ولم يرزل لأعلام الهدى مبيّناً، ولجأئى النفى حاسماً مبيّناً؛ لئلا أن خلص الحق وصفاً، وغدا الدين من أضداده متصفاً؛ وأنضح للآثر سنن الرشد، وآقاد الأبي بالين والأشد؛ فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المنتخبين، وخلفائه الأئمة الراشدين؛ وسلم تسليماً.

والحمد لله الذى استخلص أمير المؤمنين من أذى الدوحة والأرومة، وأحله من عز الإمامة ذروة لجبد غير مرومه؛ وأصار إليه من تراث النبوة ماحواً بالاستحقاق والوجوب، وأصاب به من مرامي الصلاح ما حبت شموسه من الأقول والوجوب؛ وأولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر فلي، واستخدم معه الدهر فما تأبى؛ ومنح أيامه من ظهور العدل فيها وانتشاره، ولقّاح حوامل الإنصاف فيها ووضع عشاره، ما فصل به المصور الخاليه، وظلت السير متضمنة من ذكرها ما كانت من مثله عارية خالية؛ وهو يستديمه - سبحانه - المنة على ما يقرب لديه ويؤلف عنده، ويستمدّه التوفيق الذى يقنو لزمائمه الميمونة أوفى المضد والمدة؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه ينهب.

(١) شام السيف بشياعه .

(٢) فى الأصول رادل الادلا . وهو تصيف كالإيجز .

وأمر المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه [بالمواهب] التي يمتد عليهم رواقها ، ويرد بها إلى اغصان صلاحهم أوراقها ؛ ويُلقَى على أجيادهم حقودها ، وينفخ رايح أشلائهم رُكودها ، يرى أن يولي أولي الاستقامة من أهل ذمته ضروب الرأفة وصنوفها ، وأقسام العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغير وصروفها ؛ بمقتضى عهدهم القويَّة القوي ، وأثبتهم^(١) التي يلزم أن يحافظ عليها أهل العدل والتقوى ؛ ويستمدِّهم من الضرر الناصر ، والإجماع المضاهي الآئف منه الفار ؛ بما يقبض يد الضيم وكفه ، وأن يحببهم من الحياطة بما يحرس رؤسهم المستمرة من أسباب الاختلال ، ويحررهم فيها على ماسنه السلف معهم من مألوف السجاي والخلال .

ولما أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك ، وتحليك من السداد بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصفك وإطرائك ؛ وتخصُّصك بالأئمة التي قُت فيها شأو أقرانك ، وأفلتت بها ماقصر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعيداك في ميزانك ؛ وما عليه أهل نخلتك من حاجتهم إلى جاتليق كافل بأموهم ، كاف في سياسة جمهورهم ؛ مستقيل بما يلزمه القيام به ، غير مُقل بما يتعين مثله في أدوات منصبه ؛ وأن كلاً ممن يرجع إليه منهم لك تصبُّح أحوال متقدِّمي دينهم وأسْتَشَف ، وأعمل الفكر في اختيار الأربع منهم والأشَف ؛ وأعقوا من بعد على إجلالة الرأي الذي أفاضوا بينهم قَدَاحه ، وراضوا به زند الاجتهاد إلى أن أوردى حين راموا اقتداحه ؛ فلم يُصادفوا من هو بالرياسة عليهم أحق وأحرى ، وللشروط الموجبة التقديم فيهم أجمع وأحوى ؛ وعن أموال وقوفهم أعف وأورع ، ومن نفسه لداعى التحزى فيها أطوع وأتبع ، منك . اختاروك لهم راعياً ، ولياً شد نظامهم ملاحظاً

(١) جمع ضم بالذال المعجمة وفي اللسان القمام والمثمة الحق والحرمة .

مُرَاعِيَا، وَسَلَّوْا اِمَضَاءَ نَصِّهِمْ عَلَيْكَ وَالْإِذْنَ فِيهِ ، وَإِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيَا يُحْشِكُكَ أَسَدٌ
تَجَارِيهِه ؛ وَتَرْيِيكَ فِيَا أَهْلَتْ لَهُ وَحُمَلَتْ يَحْلُهُ ، وَاخْتِصَاصَكَ عَلَى مَنْ تَقْدَمُكَ مِنْ
الْأَضْرَابِ ، بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِرْعَاءِ وَالْإِيْحَابِ ؛ وَحَمْلِكَ وَأَهْلَ يَحْلِكَ عَلَى الشُّرُوطِ الْمُعْتَادَةِ ،
وَالرُّسُومِ الَّتِي اِمَضَّاهُ الشَّرِيعَةُ لَهَا أَوْفَى الشَّهَادَةِ - رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِجَابَةَ إِلَى
مَاوُجَّهَتْ إِلَيْهِ فِيهِ الرَّغْبَةِ ، وَاسْتِخَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ عَزَمٍ يُطْلِقُ شِسْبَاهَ وَيُخْضِي
غَرْبَهُ بِمَقْدِيَا فِيَا أَسْدَاهُ إِلَيْكَ ، وَأَسْنَاهُ مِنْ أَنْعَمِهِ لَدَيْكَ ؛ بِأَفْصَالِ الْأُمَمَةِ الْمَاضِينَ ،
وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، مَعَ أَمْتِكَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ سَبَقُوا ،
وَفِي مَقَامِكَ أَسْقُوا ؛ وَأَوْعَزَ بِتَرْيِيكَ جَائِلِقًا لِنَسْطُورِ النَّصَارَى بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ
الْبِلَادِ وَالْأَصْقَاعِ ، وَزَعِيْمًا لِمِ الْرُّومِ وَالْيَعَاقِبَةِ طَرًّا ، وَلِكُلِّ مَنْ تَحْوِيهِ دِيَارُ الْإِسْلَامِ
مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مَنِّ بِهَا يَسْتَقِرُّ وَإِلَيْهَا يَطْرَأُ ، وَجَعَلَ أَمْرَكَ فِيهِمْ مَعْتَلًا ، وَمَوْضِعًا
مِنْ الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ مَتَآئِلًا ؛ وَأَنْ تَتَفَرَّدَ بِالتَّقْدَمِ عَلَى هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِ : لِيَكُونَ قَوْلُكَ
فِيَا يُجَيِّزُهُ الشَّرْعُ فِيهِمْ يُقْبَلُ وَإِلَيْكَ فِي أَحْوَالِهِمْ يُرْتَجِعُ ؛ وَأَنْ تَقْبِضَ بِأُهْبَةِ الزَّعَامَةِ ،
فِي جَمَاعِ النَّصَارَى وَمُصَلِّيَاتِهِمْ عَاقَةً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَكَكَ فِيهَا أَوْ يَسَاكِكَ فِي النِّسْبَةِ
الدَّالَّةِ عَلَيْهَا مَطْرَآنٌ أَوْ أُسْقُفٌ لِلرُّومِ أَوْ الْيَعَاقِبَةِ : لَتَفْعَدُوْا شَوَاهِدَ وَلَايَتِكَ بِالْأَوَامِرِ
الْإِمَامِيَةِ بَادِيَةً لِلْسَّامِعِ وَالنَّاظِرِ ، وَأَثَارَ قُصُورِهِمْ عَنْ هَذِهِ الرُّبُوبَةِ الَّتِي لَمْ يَلْفُوهَا كَافَّةً
لِلْمُجَادِلِ مِنْهُمْ وَالْمُنَاطِرِ ؛ وَمُنِعُوا بِأَسْرِهِمْ عَنْ مَسَاوِيكِ فِي كُلِّ أَمْرٍ هُوَ مِنْ شُرُوطِ
الزَّعَامَةِ وَرُسُومِهَا ، وَالتَّرَيُّ بِمَا هُوَ مِنْ عِلَامَاتِهَا وَرُسُومِهَا ؛ إِذْ لَا سَبِيلَ لِأَحَدِهِمْ أَنْ
يَحْتَدَّ فِي مُبَارَاكَتِ بَاعِهِ ، وَلَا أَنْ يَخْرُجَ عَنْ الْمَوْجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَكَ وَالتَّابَعَةِ ؛
وَحَمْلِكَ فِي ذَاكَ عَلَى مَايُبْدِلُ عَلَيْهِ الْمُنْشُورُ الْمُنْشَأَ لِمَنْ تَقْدَمُكَ ، الْمُخْضَى لَكَ وَلِكُلِّ مَنْ
يَأْتِي بِعَدْلِكَ ؛ الْمَجْدُدُ بِمَا حَوَاهُ ذِكْرُ مَا نَطَقَتْ بِهِ الْمُنَاشِيرُ الْمُقَرَّرَةُ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، لِمَنْ تَقْدَمُكَ فِي مَقَامِكَ ، وَأَحْرَزَ سَبْقَ مَفْزَاكِ

ومراكب : من كون المنصوب في الحظقة إليه الزعامة على ما نصه ديار الإسلام من هذه الفرق جميعا ، والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياسه مراعى ؛ وتقدم أمير المؤمنين بباطنك وأهل نحتك في قوسكم وأموالكم وبيعتكم ، ودياركم ومقار صلواتكم وحراسة أموالكم ، وأعتادكم بأقسام الكلاءة على أجل الرثم معكم ، وأن يمتحوا من نقض سنة رضية قُررت لكم ، ودخض وتيرة حميدة استعملت في فرضكم ؛ وأن تُقبض الجزية من رجالكم ذوى القدرة على أدائها بحسب ما جرت به عاداتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة في السنة ، ويُجروا في ذلك على السجية التي ساقطها الرواة وتداولتها الأئمة ؛ من غير تنبيه ولا تكرير ، ولا ترقيق لمنهل المعللة عندكم ولا تكدير ؛ وأن تُحجى بالشّد دائما وتقوية يدك على من نصبتهم في أمورهم ناظرا ولشملهم ناظما ؛ ويُسح لك في فصل ما يشجر بينهم على سبيل الواسطة : لتقصّد في ذاك ما يحجّم دواعي الخلف ويطوى بساطه ؛ وأن تُمضى تشقيقتهم وأمرتك فيهم ، أسوة ما جرى عليه الأمر مع من كلف قبلك يليهم ؛ لتُحسن معه السيرة العادلة عليهم ^(١) يحفظ السّوام ، المطابقة للشروط الساننة في دين الإسلام .

وأمر بإنشاء هذا الكتاب مشتملا على ما خصك به ، وأمضى أن تعامل بموجبه ؛ فقابل نعمة أمير المؤمنين عندك بما تستوجب من شكر تبلغ فيه المدى الأقصى ؛ وبشر لا يوجد التصفّح له عندك قصورا ولا قصا ؛ وواظب على الاعتراف بما أوليته من كل ما جملك ، وصنّق ظنك وأملك ؛ وأسترد الإنعام بطاعة تطوى عليها الجوائح ، وأدعية لأيامه تُنفع الغايد منها بالرائح ؛ وتجنّب التقصير فيما بك عدى ، وإليك وكلّ عليك علق ؛ واحتفظ بهذا الكتاب جنة تمنع عنك ريب الدهر وغيره ،

ومحبة تعمل فيها على ما ينبغي لمنحه من كل ما شئته (٩) وغيره ؛ ولتعمل بهذا المثال كافة المطارنة والأساقفة والقسيسين ، والنصارى أجمعين ؛ وليعتدوا من التباعة لك ما يستحقه تقديمك على الجماعة ، وليتقوا بما يغفروهم من العاطفة الحامية سربهم من التفريق والإصاعة ؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وأربعمائة .

الطرف الرابع

(فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب والأندلس)

وكانوا يعبرون عما يكتب من ذلك بالظواهر والصُّكوك : فالظواهر جمع ظهير ، وهو المعلن ، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيراً لما يقع به من المعاونة لمن كتب له . والصُّكوك جمع صك وهو الكتاب ، قال الجوهري : وهو فارسي معربٌ والجمع أصك وصكاك وصُكوك ؛ ثم تحاي المتأخرون منهم لفظ الصك ، لما جرى به عرف العامة من غلبة استعماله في أحد معني الاشتراك فيه وهو الصفع ؛ واقتصرُوا على استعمال لفظ الظهير .

ولذلك حالتان :

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في الزمن القديم)

وأعلم أنه لم يكن لهم مصطلح يقفون عند حده في الابتداءات ، بل بحسب ما تقتضيه قرينة الكتاب ؛ فتارة يتبدأ بلفظ : « من فلان إلى فلان » أو « من فلان إلى أهل فلانة » أو « إلى الأشياخ بفلانة » أو « يصلحكم فلان بهذا الكتاب » .

وتارة يُبتدأ بـ «أما بعد حمد الله» . وتارة يبدأ بلفظ «تقدم فلان بكذا» . وتارة
يبتدأ بلفظ «مكتوبنا هذا» وغير ذلك مما لا ينحصر .

فن الظواهر المكتتبة لأرباب السيوف عندهم ، ما كتبت به بولاية ناحية ، وهي :
من فلان إلى أهل فلانة أدام الله لهم من الكرامة أتمها ومن الرأية أوقاها ،
وأصبح عليهم برود نعمة الجزيلة وأضفاها .

أما بعد حمد الله ميسر أسباب النجاح ، ومُسَيِّ مَرَامِ الرِّشَادِ وَالصَّلَاحِ ، والصلاة
على سيدنا محمد رسول الله نبي الرحمة والرفق والإحسان ، وعلى آله وصحبه المتصفين بالقوة
في ذات الله تارة وتارة بحفض الجناح ، والرضا عن الخليفة أمير المؤمنين ذي الشرف
الذي لم يزل بالهدى النبوي متوقفاً المصباح ، والدعاء للقام الإماري بالنصر الذي يُقَرِّقُ
مقاليد الانتاح ، والتأييد الماضي حُدُّ رُعيه حيث لا يمضي غرارُ المهند وشبَّ الرِّاح
- فإنا كنهنا إليه - كتب الله لكم سُكُون الأجزاء وهُدُوها ، وأجرى لكم بالصَّلاح
رَوَاح الأيام وغُدُوها «من فلانة» وللدولة العلية بركاتُ تَكَاثُرِ السُّحُبِ في أنسكابها
وأنسجامها ، وتقوُّد الخيرات والمسرات في كل أَوْبٍ بزمامها ، والحمد لله حمداً يقضى
بوقُود جزيلات النعم ويحسمها .

وإنَّ الأعتام بكم لمستحقَّ على كل غرض جميل ، ومقدمٌ فيما يُحيطكم بكلُّ بُنية
وتأهيل ، وبحسبِ هذا لا يزال يُختار لكم من الولاء كلُّ مختارٍ منسحب ، ولا يُقدم
عليكم إلا مَنْ يتيسر إلى أنييل حسبٍ وكريم مُنْسَب ، ولا يزال يُداول موضعكم بين
كل طريقة تتصل من حُسن السير وسداد النظر بأمتن سبب ، وعلى هذا الأصل
استخرنا الله وهو المستخار ، والذي يقضي ما يشاء ويختار ، في أن قدمنا عليكم ،

وَوَلَّيْنَا لِلنَّظَرِ فِيَا لَدَيْكُمْ، مَنْ لَهُ التَّقَدُّمُ فِي الْإِقْدَامِ، وَالْأَضْطِلَاعُ النَّاسِبُ الْإِقْدَامِ؛
وَذَلِكَ فَلَان . وَأَتَرْنَاكُمْ بِهِ أَهْتَاءَ بِيَانِكُمْ وَأَهْتِيَالَا، وَخَصَمْنَاكُمْ مِنْهُ بِمَنْ يُفْسِحُ
فِي كُلِّ أَثَرٍ حَمِيدٍ بَحَالَا؛ وَالْمَعْتَدُّ فِيهِ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى شَاكِلَتِهِ بِنَاهَةِ مَكَانِهِ، وَأَنْ يَسْتَلَّ
فِي الْاِكْتِهَاضِ وَالْاِكْتِفَاءِ غَايَةَ وَسْعِهِ وَإِمَكَانِهِ؛ وَعَلَيْهِ أَنْ يُلَازِمَ تَهْوِيَّ اللَّهِ الْعَظِيمِ
فِي سِرِّهِ وَطَنِهِ، وَيَجْرَى عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَسَنَتِهِ؛ وَيُسَمِّرَ عَنْ سَاعِدِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنْ
أَحْوَازِكُمْ كُلِّ التَّشْمِيرِ، وَيَأْخُذَ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ التَّعَدَّى أَخْذًا يُقْضَى عَلَى الْفَسَادِ وَأَهْلِهِ
بِالتَّنْزِيرِ؛ وَيَقْصِدَ بِكُمْ سَيِّدَ السُّعَى وَرَشِيدَ الرَّأْيِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؛
وَيُسَوِّىَ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الْحَافِلِ وَالثَّافَةِ وَالْعَنِيِّ وَالْفَقِيرِ؛ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا،
وَلَا تُهْمَلُوا حَقَّ الْاِكْتِمَالِ وَالْاِكْتِمَارِ وَلَا تُضَيِّعُوا؛ وَأَنْ تَكُونُوا يَدَهُ الَّتِي تَبْطِشُ،
وَأَعْوَانَهُ فِيمَا يُحَاوِلُ مِنْ مَسْتَوْفِي الْمَسَاعِي الْمَرْضِيَّةِ وَمُسْتَوْعِبِهَا، وَأَنْ تَعَاوَنُوا عَلَى التَّقْوَى
وَالْبِرِّ، وَيَقْفُوا لَهُ عِنْدَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ؛ وَتَجْتَهِدُوا مَعَهُ فِي مَصَالِحِكُمْ كُلِّ الْاِجْتِهَادِ،
وَتَعْتَمِدُوا عَلَى مَارْتَمَنَاهُ لَكُمْ أَتَمَّ الْاِعْتِمَادِ؛ وَتَسْجُدُونَ مِنْ مُوَالِيكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -
مَا يَوَافِقُ الظَّنَّ بِهِ، وَيَلِثُ الْعَمَلُ بِحَسَبِ حَسَبِهِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .



ومنها ما كُتِبَ به في ولاية ناحية أيضا، وهي :

من فلان إلى أهل فلانة أدام الله تعالى كرامتهم بتقواه ، وعرفهم أحق النظر
بمصلحتهم وأحرا .

وبعد، فإنَّا كتبناه لكم - كتب الله لكم أحوال متصلة الصلاح، حميدة الاختتام
والإختتام - من فلانة ونعم الله سبحانه موفورة الأقسام، صيبة النعام؛ وقد أقتضى

ماتَوْخَاهُ مِنَ الْاِحْصَايَ عَلَى جَوَانِبِكُمْ ، وَنَعْتِمُهُ مِنَ الْاِشَارِ لَكُمْ وَالْاِحْتِئَاءِ بِكُمْ ،
أَنْ تَتَغَيَّرَ لِلتَّقْدِيمِ عَلَيْكُمْ مَنْ تَعْلَمُ مِنْهُ الْأَحْوَالُ الْمَرْضِيَّةَ حَقِيقَةً ، وَتَحْدُثُ سِيرَهُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ
وَطَرِيقَهُ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ مِمَّنْ حُدِثَتْ مَقَاصِدُهُ ، وَشُكِرَتْ فِي الْمَحَاوِلَاتِ الْاجْتِهَادِيَّةِ عَوَائِدُهُ ،
وَحُسِّنَتْ فِيمَا نَصَّرَفَهُ فِيهِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ، رَأَيْنَا وَاللَّهُ الْقَاضِي فِيمَا نَذَرَهُ وَنَأْتِيهِ ،
بِالتَّوْفِيقِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ أَهْيَاذُ النُّجْحِ وَتَأْتِيهِ ، أَنْ قَدَّمَهُ لِحِفْظِ جِهَاتِكُمْ ، وَتَأْمِينِ
أَرْجَائِكُمْ وَجَنَابَتِكُمْ ، وَوَصِيئَاهُ أَنْ يَحْتَدِيَ فِيمَا قَلَّدَنَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْاجْتِهَادِ ، وَيَتَهَيَّضَ
فِي إِذْهَابِ الشَّرِّ وَإِرْهَابِ أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَبِأَنْ يَسْلُكَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْأَحْكَامِ سَبِيلَ
الْحَقِّ ، وَيَجْرَى عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ وَالرَّقْبِ ، وَيَنْقُذَ أَسْبَابَ الْمَظَالِمِ ، وَيُصَيِّفَ الْمَظْلُومَ
مِنَ الظَّالِمِ ، فَإِذَا كَمُ فَعَلَّقُوهُ بِنَفْسٍ مَبْسُوطَةٍ ، وَعَقَائِدَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَرْتَبِعَةٍ ،
وَكُونُوا مَعَهُ عَلَى تَمْشِيَةِ الْحَقِّ يَدًا وَاحِدَةً ، وَفَتْةً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُتَعَاوَنَةً مُتَعَايِضَةً ، بِجَوْلِ
اللَّهِ سَبْعَانَهُ .



وَمِنْهَا مَا كُتِبَ بِهِ بِإِعَادَةِ الْوَالِ إِلَى نَاحِيَةٍ ، وَهِيَ :

وَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَأَعْلَقَكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ
بِالْحَبْلِ الْأَمْنِيِّ الْأَقْوَى - مِنْ فُلَانَةٍ : وَالَّذِي نُوَصِّيَكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلَ
بِطَاعَتِهِ ، وَالْاِسْتِمَاعَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْكُمْ فُلَانًا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ هُنَا شَاهِدًا
مُشَاهِدًا لِلتَّلَمِ نَافِصَهُ ، مُبَاشَرًا مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فِي الْكَلَابِ وَالسُّنَّةِ بِجَالِسِ ضَامِتَةٍ لَخِيرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَامِعَةٍ ، مُطَالِعًا لِأَحْوَالِ الْمُوحِدِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ فِي مَا خَلَعَهُمُ الدِّينِيَّةُ ،
وَمَقَاصِدِهِمُ الْحَيَّةِ لِمَا دَرَسَ مِنَ الْمَلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ ، فَتَالِ بِذَلِكَ كُلَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَحْرَزَ بِهِ

حظًا من السعادة كيرا، وظفر منه بما يكون له في كل ما ينظر فيه سراجا منيرا؛
وقد أعدناه إلى الشغل الذى كان يتولاه لجهنكم حرسا الله، ووصيائه بتقوى الله
تعالى الذى لا يطلىح على السرائر سواه؛ وأن يكون بما شاهدته مما تقدم ذكره
مفتديا، وبأنواره الساطعة التى لا يضل من أهدى بها مهتديا؛ ولا يستند فى شئ
من أحكامه إلى من لا يقوم على عصمته دليل، ولا يجعل إليه تحريم ولا تحليل؛
فأعينوه - وفقكم الله - على تمشية هذه المقاصد الكريمة أكرم إمانه، وأسلخوا
من مظالمه على الحق وموازته على المسالك التى تستبين هتلككم أتم آتياته؛
إن شاء الله تعالى .



ومن الظواهر المكتبة بالوظائف الدينية ما كتب به فى ولاية قاض، وهو :

أما بعد حمد الله رافع علم الحق لمن أهدى، وواضح يزان القسط بالشرية
المحمدية الآخذة بالجزع من مهوى الردى؛ ومؤيد الدين الحنيفى بمن أرتضى لتحديد
حدوده وتجديد عهوده وهدى . والصلاة على سيدنا محمد نبيه الكريم الذى أرسله
إلى الناس كافة غير مستثنى عليه من الخلق أحدا؛ وعلى آله وصحبه الذين سلكوا
فى تقصده وإظهار أمره جددا . والرضا عن الخليفة أمير المؤمنين العباسى الأطيب
عُنُصرا ومجتبى، فإنما كتبناه إليكم - كتبكم الله بمن أعتز بطاعته وتقواه، وأعصم من
حبله المتين بأوقيه وأقواه - من فلاة وفضل الله سبحانه مديد الظلال، وتوكلنا
عليه - عز وجهه - ظهورنا المعتمد به فى كل حال، وعمادنا الذى قدسنا فيما ندره
من الأعمال؛ وإنكم من عنايتنا، وموصول رعايتنا، ليحلل الأدنى؛ ومن خاص

نظرنا وأهتامنا لمن تكلف بشأنه كله ونُفِي، ونعتمد من ذلك بالأحسن فالأحسن
بجزء الذين أحسنوا الحسنى .

وقد علمتم - وصل الله كرامتكم - أن الأحكام الشرعية هي ملك الأمور
ونظامها، وعليها مدار الأعمال الدينية وبها تمامها؛ وأنه لا يصلح لها إلا من تجرد
عن هواء، وآثر الحق على ما سواه؛ وأتبع حكم نبيه - عليه السلام - في كل ما عمله
وتواه، وتجمل بالقدارية وحمل الرواية فكانتا أظهر حلاه؛ وأتسم بالعدل والاعتدال
فيا وليه من ذلك أو تولاه، وكان ممن أطلق الحق لسانه وقيد الورع يمينه؛ وقد أمعنا
النظر فمِنَ له من هذه الأوصاف أوفى نصيب، ومن إن رمى عن قوس نظره
الموفق كان سهمه المستد مصيب: لتخصم به قاضيا في هذه الأحكام، وقدمه
للفصل بينكم في القضايا الشرعية حكما من صالح الحكماء؛ فأبنا أهلا لذلك ومعلما
من اختبرت على [النهج] القويم أحواله، وأرئضيت فيما نيط به من ذلك أعماله
وأقواله؛ وشهد له الاختبار بالانكشاف عن كل سابق وغائب، وعن آرتكاب
التيئات إلى السنن اللاحب؛ وذلكم «فلان» أدام الله كرامته وتوفيقه، ويسر إلى
مسالك النجاة مسلكه وطريقه؛ فافذهنا إليكم حكما مرضى السير، وأفر الحفظ
من المعارف المصورة للحق في أجمل الصور؛ مكتفيا بما لديه من استقامة الأحوال
عن الوصايا ما خلا التذكير والتنبيه، والوصية بتقوى الله فهي التي تصم العامل بها
وتنجيه؛ فقد وصى بها الله من اختاره من خلقه لإقامة حقه وأرضاه؛ فقال تعالى:
(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) . فتقوه
- أدام الله كرامتكم - بقوس منبسطه، وقلوب متبہة مفتحة، وأهواء على النظائر

والتناصر في الحق مجتمعة مرتبطه ؛ وتعاونوا في ذات الله على الطاعة ، وكُونُوا في سبيل
الله بذا واحدة فيدُ الله مع الجماعة ؛ واستعينوه سبحانه على الخير بينكم ، وأشكروا
الله يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ؛ وهو سبحانه يتولاكم بالحفظ الشامل ، ويستعملكم
من طاعته وسُلوكم سبيل مرضاته بأنجي ما استعمل به عامل ، والسلام .



ومنها ما كتب به أبو الحسن الرعنى في ولاية قاض ، وهي :

من فلاين إلى الأشياخ بفلانة أدام الله كرامتهم بتقواه ، واستعملهم فيما يُحببه
ويرضاه .

أما بعد ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم حسنا ، وأوزعكم شكر ما خولكم من
نعمه ورُحمه ؛ ومن مقاصد هذا الأمر العزيز - أدامه الله - ما يُعني يد الحق
ويُسَميها ، ويستد سهاً العدل إلى أغراضها ومراميها ، ويتكفل بالجزاء لمن لا ذ
بأكلاف الطاعة وتواحيها ، والحمد لله على نعمه التي لا تحصى ولا تحصىها .

وإلى ذلكم فإن فلانا لما تمكنت الثقة بجميل صفته ، واستنامت البصيرة إلى
استحكام سنه ومعرفته ؛ وقد كان تقدم له من خدمة الأمر وأوليائه ما يجده مع
الأيام ونرجه ؛ وخصه من كريم الاستعمال بما استداناه إلى مراقب الله كاه
واستدرجه ؛ رأينا - والله المستعان - أن تقدمه للنظر في قضاياكم الدينية ،
وأحكامكم الشرعية ؛ بعد أن وصينا بتقوى الله فقدمها ، وعرضنا عليه ما يأمه
ويلزمه من شروط الحكومة فالتزمها . فليهنأ إلى ما قدمناه على بركة الله تعالى

(١) في الأصل أنجده بالهمز وهو غير مناسب .

مشمرا عن ساعد الحزم، آخذنا في كافة أموره بما يأخذه أولو العزم؛ جاريا على السنن
الواضحة المعروف؛ مسويا في الحق بين النبيه والخامل والشريف والمشرؤف؛ محتسبا
على إقامة فروض الدين أكرم احتساب، مكتسبا من الأجر في ردع الظلم والباطل
أفضل اكتساب، راجيا في تمشية العدل على رغم من أباه ما يرجو المؤمن المحقق
من زلفى وحسن مآب؛ ولدينا من عقده على ذلك ما يحسن مقصده، ويمكن
في بسطة الحق مقعده؛ فإذا وافاكم فاستبشروا بموافاته، وقفوا عند ما يخصيه
من لوازم الشرع وموجباته، وتعاونوا على الخير تعاوناً يجرى حطكم من فضل الله
وبركاته؛ فهو المؤمل في ذلك لأرب سواه.



ومن الظواهر المكتبة بالوظائف الديوانية ما كتب به أبو المطرف بن عميرة
بولاية وزارة؛ وهو :

مكتوبنا هذا بيد فلان أدام الله علاقته، وحفظ عنايته وغنايه؛ يحد به مكان
العزة ميكننا، ومورد الكرامة عذبا مميذا، وسبيل الحرمة المتأكدة وانحنا مستبيننا؛
ويتقلد وزارتنا تقلد تفويض وإطلاق، ويلبس ما خلع عليه منها لبسة متمكن
وأستحقاق، ويثزل من رتبنا العليا منزلة شرفها ثابت وحماها باق؛ ويسوغ الدار
الغزنية التي يسكنها بفلانة تسوينا يملكه إياها أحق تملك، ويقرد فيها من غير
تشريك؛ إن شاء الله تعالى والسلام.



ومنها ما كتب به أبو عبد الله بن الأبار في مشاركة ناحية؛ وهو :

عن إئذ فلان، يتقدم فلان للنظر في الأشغال المخزنية بفلانة، مؤقياً ما يجب عليه من الاجتهاد والتشمير، والجد الذي آرتسم في الإنماء والتشمير، مصداقاً ما قدر فيه من الانتهاض والاستقلال، وقرر عنه من الأمانة التي ربحته وأهلته لأتبه الأعمال، جاريًا في ضبط الأمور المخزنية والرفق بجانب الرعية على المقاصد الجليلة والمذاهب المرضية في عامة الشؤون والأحوال، عاملاً بما تقدمت به الوصية إليه، وتأكدت الإشارة [به] عليه؛ من تقوى الله في السر والعلن، علماً أن المرء بما قدمته يداه مُرْتَبَتٌ .



ومنها ما كتب به المذكور بإعادة مشارف إلى ناحية، وهو :

بُعَادُ بهذا المكتوب فلان إلى خُطَّةِ الإشراف بفلانة : رافلاً من ملابس التكرمة والخطوة في شُفُوها، مُحَلٍّ بينه وبين النظر في ضروب الأشغال المخزنية وصُنُوفها ؛ فهو المعروف بالكفاية والاجتهاد، الموصوفُ بِمُحَسَّنِ الإصدار والإيراد؛ وأولى الناس بالتزام النصيحة، والازدياد من بضائع الأعمال الربحية، مَنْ كَثُرَتْ النِّعَمُ السلطانية لديه، ودُفِعَ إلى الخطط ودُفِعَتْ إليه . فليقلد هذه الخطَّة بحَقِّها من الانتهاض والتشمير، وتأدية الأمانة بالإنماء والتشمير؛ وليترود تقوى الله تعالى ليوم يُسأل عن التقير والقيطيم؛ جاريًا في أموره كلها على الطريقة السوية، جامعاً بين الاحتياط للمخزن والرفق بالرعية^(١)، غير عادلٍ في حالٍ من الأحوال وفقٍّ من فُتُونِ الأعمال عن مقتضى هذه الوصية؛ إن شاء الله تعالى .

(١) المخزن يفتح الزاي ما يوزن فيه الشيء .

الطرف الخامس

(فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة أنه كان بها من وظائف أرباب السيوف
الوزارة إذا كان الوزير صاحب سيف ، والنظر في المقالم ، وزم الأقارب ، وقابة
الملوك ، وزم الرجال والطوائف : كالأموية ، والحافظية ، والأفضلية ، وغيرهم
من تقدم ذكره في ترتيب دولتهم ، وولاية الشرطة ، وولاية المعاون والأحداث ،
وولاية الحماية ، وولاية حفظ الثغور ، والإمارة على الحج ، والإمارة على الجهاد ،
وولاية الأعمال ، وغير ذلك . ومن الوظائف قضاء القضاة ، والدعوة إلى مذهبهم ،
والنظر في الأوقاف والأحباس ، والنظر في المساجد وأمر الصلاة ، وغير ذلك .

وكانت كتابه ما يكتب لديهم لأرباب الولايات على نوعين :

النوع الأول

(ما كتب يكتب به عن الخليفة نفسه)

وكان من شأنهم أنهم يتعزضون في أثناء الولاية لإشارة الوزير بتولية المولى وشأنه
عليه ، وربما أمهلوا ذلك . وكانوا يسمون جميع ما يكتب من ديوان الإنشاء
سجلات ، وربما سموه عهودا ، وعليه يدل ما كتبه العاضد آخر خلفائهم في طرة
يحيى السلطان صلاح الدين بالوزارة : « هذا عهد لأعهد لوزير بمثله » على ما تقدم
ذكره في الكلام على عهود الملوك .

ولهم فيها أربعة مذاهب :

(١) له « ومن وظائف أرباب الأعلام قضاء » الخ فنه .

المذهب الأول

(أن يفتح ما يُكتب في الولاية بالتصدير)

وهو « من عبد الله وولَّيه فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، إلى فلان ابن فلان » بالألقاب المنعوت بها من ديوان الخلافة ، ويُدعى له بدعوتين أو ثلاث ؛ ثم يقال : « سلامٌ عليك فإنَّ أمير المؤمنين يحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصليَّ على جده محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه وأبن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » ويؤتى من وصف الخليفة ومذممه بما يُناسب المقام .
ثم هو بعد ذلك على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يقال بعد التصدير المقدم « أما بعد فالحمد لله »)

ويؤتى من التحميد بما يُناسب تلك الولاية ، ثم يؤتى بتحميدٍ ثانية وثالثة ، وتكون الثالثة متعلِّقة بالنعم الشاملة لأمر المؤمنين ؛ ثم يقال : « وإنَّ أمير المؤمنين لما اختصه الله به من كذا وكذا » ويذكر ما ستَح من أوصاف الخليفة ، ويذكر أنه تصفح الناس وسبرهم فلم يجد من يصلح لتلك الولاية إلا هو ؛ ويذكر من صفته ما اتفق ذكره ، ثم يذكر تفويض الولاية إليه ، ويوصيه بما يُناسب ، ويحتم بالدعاء ثم بالسلام مع التفتن في العبارة ، واختلاف المعاني والألفاظ ، والتقديم والتأخير بحسب ما تقتضيه حال المُنتهى ، وتودى إليه قريحته .

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(مِجَلَّاتُ أَرْبَابِ السِّيفِ ^(١))

وعلى ذلك كَتَبُ مِجَلَّاتُ وَزَرَائِهِمُ أَصْحَابُ السِّيفِ الْقَائِمِينَ مَقَامَ السَّالِحِينَ
الآنَ ، من لَدُنْ وزارةِ أميرِ الجيوشِ بَدْرِ الْجَمَالِ وزيرِ الْمُسْتَنْصِرِ : خامِسُ خَلْقائِهِمُ
وإلى أَقْرَاضِ دولَتِهِمْ . وقد تَقَدَّمَ مِنْهَا ذَكَرُ عَهْدِي الْمَنْصُورِ : أَسَدِ الدِّينِ مِيرْكَوهِ
أَبْنِ شَادِي ، ثُمَّ أَبْنِ أَخِيهِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بِالْوِزَارَةِ عَنْ
الْعَاضِدِ فِي جَمَلَةِ عُهُودِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ ، حَيْثُ أَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى عَدِّهَا
من جَمَلَةِ عُهُودِ الْمُلُوكِ .

وَمِنْ أَحْسَنِهَا وَصْفًا ، وَأَهْجَهَا لَفْظًا ، وَأَدَقَّهَا مَعْنَى ، مَا كَتَبَ بِهِ الْمَوْفَّقُ بْنُ الْخَلَّالِ
صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ عَنِ الْعَاضِدِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ ، بِالْوِزَارَةِ لِشَاوَرِ السَّعْدِيِّ ، بَعْدَ أَنْ
غَلَبَهُ ضَرْفَامٌ عَلَيْهَا ثُمَّ كَانَتْ لَهُ الْكُرَّةُ عَلَيْهِ . وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَلِيِّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَاضِدِ لَدَيْنَ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى السَّيِّدِ
الْأَجَلِّ ، سُلْطَانِ الْجَيُوشِ ، نَاصِرِ الْإِسْلَامِ ، سَيِّفِ الْإِمَامِ ، شَرَفِ الْأَنْامِ ، عُمْدَةِ
الدِّينِ ، أَبِي فُلَانٍ فُلَانٍ .

سَلَامٌ عَلَيْكَ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحُدُّ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ
الْأَتْمَةِ الْمَهْدِيِّينَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا بَيْنَ الرِّغَائِبِ ، وَمُنْيَلِهَا ، وَكَاشِفِ الْمَصَائِبِ ، وَمُزِيلِهَا ،
وَمُذِلِّ كُلِّ عُصْبَةٍ كَلَفَتْ بِالْعَنْدَرِ وَالشَّقَاقِ وَمُذِيلِهَا . نَاصِرٍ مِنْ بُنْيَى عَلَيْهِ ، وَعَاكِسٍ

(١) لم يترجم فيما يأتي للضرب الثاني وهو مجللات أرباب الأعلام وإن كانت قد ذكرها ضمن المراتب
الثلاث الآتية فتنبه .

كَيْدِ الْكَائِدِ إِذَا فَوْقَ سَهْمِهِ إِلَيْهِ ؛ وَرَأْدَ الْحَقُوقِ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَمَرْجِعَ الْمَرَاتِبِ إِلَى مَنْ هُوَ أَجْدَرُ بِرُفْقِهَا وَأَوْلَى بِهَا ؛ وَمُسْنَى الْخَيْرِ بِتَسْيِيرِ أَسْبَابِهِ ، وَمَسْهَلِ الرَّتَبِ ^(١) بِتَمْيِيدِ طُرُقِهِ وَفَتْحِ أَبْوَابِهِ ، وَمُدْنَى نَائِيِ الْحِطِّ بَعْدَ نُفُورِهِ وَأَعْتَرَابِهِ ؛ وَمُطْلِعِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْمَغِيبِ ، وَمُتَدَارِكِ الْخَطْبِ إِذَا أَعْصَلَ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ ؛ مُبْدِعِ مَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمُسَبِّبِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ؛ مُحْسِنِ التَّسْدِيرِ ، وَمَسْهَلِ التَّغْيِيرِ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ أَوْلِيَاءَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارَ بِالْإِسْتِعْلَاءِ وَالظُّهُورِ ، وَذَلَّلَ لَهُمْ جَوَارِحَ الْخُلُوبِ وَمَصَابِعَ الْأُمُورِ ؛ وَأَتَاهُمْ مِنَ التَّائِيدِ كُلِّ يَدِيعٍ مُسْتَقَرَّبٍ ، وَأَتَاهُمْ مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ إِذَا أُورِدَ قَصَصُهُ أَطْرَبَ ؛ وَمَكَّنَهُمْ مِنْ نَوَاصِي الْأَعْدَاءِ ، وَتَمَيَّلَهُمْ بِعِنَايَتِهِ فِي الْإِعَادَةِ وَالْإِبْدَاءِ ؛ وَحَمَّنَ لَهُمْ أَحْمَدَ الْعَوَاقِبِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي تَبَيَّنَتْ لَهُمْ فِي صَحَائِفِ الْأَيَّامِ أَفْضَلَ الْمَنَاقِبِ ؛ وَهَدَاهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَارَاقِ زُلَّالِهِ ، وَتَمَّ غَايَةَ الثَّامِ كَمَا أَنَّهُ كَانَ لِرِضَا اللَّهِ سَبْعَانَهُ وَحُسْنِ نَوَائِهِ مَالُهُ ؛ وَتَمَيَّلَهُمْ فِي الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَتِهِ بِالتَّائِيدِ وَالتَّحْكِينِ ، وَتَحْظِيهِمْ مِنْ أَنْوَارِ الْيَقِينِ ، بِمَا يَحْتَلُونَ عَنْ أَفْتِنَتِهِمْ دُجَى الشُّكِّ الْبَهِيمِ ؛ وَيُظْهِرُ لَأَفْهَامِهِمْ خِصَائِصَ الْإِمَامَةِ فِي حُلَلِ التَّخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَيُرِيهِمْ أَنَّ خُلُوصَ الطَّاعَةِ مَنَاجَاةٌ فِي الْمَعَادِ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَمْتَرَ مِنْ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ الْأَئِمَّةَ الْهَادِينَ ، وَأَقَامَهُمْ أَعْلَامًا مُرْشِدَةً فِي حُجَّةِ الدِّينِ ، وَبَيَّنَّ بِتَنْصِيهِهِمُ الْحَقَائِقَ وَوَرَّثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرَفَ مَقَامِهِمْ ،

(١) مراده الصب . والرتب بالتحريك من معانيه الشدة والنظفة يقال ما في هذا الأمر رتب ولا صب أى عناه وشدة .

(٢) لم يتقدم ما يسلف عليه وهو من منطلقات أمير المؤمنين كما لا يخفى .

وجعله مُحَرِّزَ غَايَتِهِمْ، وَجَامِعَ مُعْجَزَاتِهِمْ وَأَيَاتِهِمْ، وَقَضَى لِمَنْ أَلْتَحَفَ بِظِلِّ فَنَائِهِ، وَاشْتَمَلَ بِسَائِغِ نِعَمِهِ وَأَلَانِهِ، وَتَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ وَأَعْتَصَمَ بِوَلَائِهِ، بِالْخُلُودِ فِي النِّعَمِ الْمُقِيمِ، وَالْحُلُولِ فِي مَقَامِ رِضْوَانِ كَرِيمٍ : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ نِعَمَهُ الَّتِي جَعَلَتْهُ لِلْبَشَرِ إِمَامًا، وَأَمَضَّتْ لَهُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ أَوَامِرَ وَأَحْكَامًا، وَجَرَّدَتْ مِنْ عَزَمِهِ فِي حَيَاةِ دِينِ اللَّهِ عَضْبًا مُرْهِفًا حُسَامًا، وَأَسْتَخْلَصَ لِإِنْجَادِ دَوْلَتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهَا أَتَمَّكَهُمْ شِجَاعَةً وَإِقْدَامًا، وَأَحْسَنَهُمْ فِي تَدْيِيرِ أُمُورِهَا قَانُونًا وَنِظَامًا، وَأَتَمَّهُمْ لِمَصَالِحِ أَجْنَادِهَا وَرَعَايَاهَا تَقَفُّدًا وَأَهْتِمَامًا، وَأَوْلَاهُمْ بِأَنْ لَا يُوجَّهَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي حَقٍّ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ مَلَامًا، وَأَجْدَرَهُمْ بِأَنْ يُحَلَّ مِنْ جَمِيلِ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَارَ سَلَامٍ يَلْقَى فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ عَجْدِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الَّذِي أَعْلَنَ بِالتَّوْحِيدِ وَجْهَهُ، وَغَلَبَ بِالتَّأْيِيدِ وَقَهْرَهُ، وَأَظْهَرَ الْمُعْجِزَ الْبَدِيعَ وَأَسْتَطَالَ عِجْازَهُ وَبَهْرَهُ، وَأَطْلَعَ نُورَ الْإِسْلَامِ وَأَشْتَهَرَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِشْرَاقَهُ وَظَهَرَ، وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَيْبَتَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيْفُ اللَّهِ الَّذِي شَهَرَ عَلَى الْكُفْرِ وَسَلَّهُ، وَكَفَّلَهُ إِعْزَازَ الدِّينِ فَاعْظَمَهُ بِجِهَادِهِ وَأَجَلَّهُ، وَقَوَّعَ بَعْزَهُ صَفَاةَ الْإِلْحَادِ فَاعَانَهُ (؟) بِعِزِّهِ وَأَذَلَّهُ، وَقَصَّدَ الْأَصْنَافَ وَأَرْغَمَ مَنْ أَسْتَفَوَاهُ الشَّيْطَانُ بِاتِّبَاعِهَا وَأَضَلَّهُ، وَعَلَى الْأُتَمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَعْلَامِ الدِّينِ، وَهَدَاةِ الْمُتَّقِينَ، وَمُؤَيِّحِي سَبِيلِ الْحَقِّ لِأَهْلِ الْيَقِينِ، وَمُوصِلِي الْأَنْوَارِ الدِّينِيَّةِ إِلَى بَصَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، صَلَاةً تَتَكَرَّرُ وَتَتَرَدَّدُ، وَتَكُونُ مَدْنَى الْأَيَّامِ وَتُجَبَّدُ .

وَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا آخَتْصَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُنِصَبِ الشَّرِيفِ، وَسَمَّا بِهِ إِلَيْهِ مِنَ الْحَلِّ الشَّامِخِ الْمُئِنِّفِ، وَفَوْضَهُ إِلَيْهِ مِنْ تَدْيِيرِ خَلْقِهِ، وَأَفْرَدَهُ بِهِ مِنْ اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالْقِيَامِ

بِحَقِّهِ ، وَنَاطِلُهُ بِهِ مِنَ الْحَمَامَةِ عَنِ الْمَلَّةِ الْخَنِيْفَةِ ، وَالْأَجْتِهَادِ فِي أَنْ يَشْمَلَ أَهْلَهَا بِالْحَالَةِ
السَّيِّئَةِ وَالْعَيْشَةِ الْهَنِيئَةِ ، وَإِعَانَتِهِ فِي إِظْهَارِ شِعَارِهَا ، وَتَأْيِيدِهِ فِي إِظْهَارِ عَلْوِهَا عَلَى
الْمُلُكِ وَأَقْتِدَارِهَا - يَنْدُلُ جُهِدُهُ فِي الْأَسْتِمَاعَةِ بِمَنْ يَقُومُ بِهِ حُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْأَعْتَادِ عَلَيْهِ ،
وَيَتَوَقَّعُ لِنَفْسِهِ فِي اخْتِيَارِ مَنْ يَقُومُ بِرِضَا اللَّهِ فِي إِسْنَادِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ ، وَيُحَرِّصُ عَلَى
التَّوْبِيعِ لِمَنْ يَكْفِي فِي التَّدْيِيرِ ، وَيُحِيطُ غَايَةَ نَظَرِهِ بِالصَّغِيرِ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَالْكَبِيرِ ،
تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ بِالْعَمَلِ فِيهَا وَلَّاهُ بِمَا يُرِضِيهِ ، وَأَزْدَلَا فَا بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ فِي كُلِّ مَا يُنْفِذُهُ
وَيُخْضِعُهُ . وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَصَفَّحَ أَوْلِيَاءَ دَوْلَتِهِ ، وَعِظَاءَ مَمْلَكَتِهِ وَأَكَاوِرَ شَيْعَتِهِ
وَأَنْصَارَ دَعْوَتِهِ ، فَوَجَدَكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ أَكَلَهُمْ فَضْلًا ، وَأَقْلَهُمْ مَنَافَا ، وَأَتَمَّهُمْ
فِي التَّدْيِيرِ وَالسِّيَاسَةِ إِنْصَافًا وَعَدْلًا ، وَأَحَقَّهُمْ بِأَنْ تَكُونَ لِكُلِّ رِبَاسَةٍ وَسِيَادَةٍ أَهْلًا ،
فَفَوَّضَ إِلَيْكَ فِي أُمُورِ زَارَتِهِ ، وَعَوَّلَ عَلَيْكَ فِي تَدْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَجَمَعَ لَكَ النَّظَرَ فِيهَا
وَرَأَى سِرَّ خِلَافَتِهِ ، بِغَرَبِ الْأُمُورِ بِمَقَاصِدِكَ السَّعِيدَةِ عَلَى إِثَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وإِرَادَتِهِ ، وَأَسْتَمَرَ أَمْرُ الْمَمْلَكَةِ بِمِشَارَتِكَ عَلَى أَحْسَنِ قَانُونِهِ وَعَادَتِهِ ، وَتَمَيَّلَتْ الْمِيَامُنُ
وَالسُّعُودُ أَتَمَّ أَشْتِمَالٍ عَلَى تَفْصِيلِهِ وَجَمَلَتِ بِهِ ، وَأَنْحَسَتِ الْأَدْوَاءُ ، وَذَلَّتْ بِسُطُونِكَ
الْأَعْدَاءُ ، وَزَالَتْ فِي أَيَّامِكَ الْمَظَالِمُ وَالْأَعْتِدَاءُ ، وَحُصِّنَتْ بِأَفْصَالِكَ الْأُمُورُ ، وَظَهَرَ بِكَ
الصَّلَاحُ وَكَانَ قَبْلَ زَارَتِكَ قَلِيلَ الظُّهُورِ ، فَانْبَسَطَتِ الْآمَالُ ، وَأُتْسِقَتِ الْأَعْمَالُ ،
وَأَفْقَعَ الضَّلَالُ ، وَأُمِنَتْ الْأَهْوَالُ ، وَخَلَصَتْ مِنَ الرَّأْيِ السَّقِيمِ ، وَحَظِيَّتْ بِالْمُلُكِ
الْعَقِيمِ ، وَغَدَا جُنْدُهَا وَرِعَايَاها بِبِرْكَةِ رَأْيِكَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فَلَمَّا رَمَقْتَ عَيْنَ الْكَمَالِ ، وَأَنْهَبَ قُلُوبَ حَسَدِكَ مَا أُوتِيَتْهُ مِنْ تَمَامِ الْإِحْلَالِ ،
تَكَاثَرَتْ مِنْ يَحْيُوكَ الْمَكَائِدُ ، وَتَطَاوَرَ عَلَيْكَ الْمُنَافُسُ وَالْمُعَانِدُ ، وَرَنَتْ إِلَيْكَ إِسَاءَةُ مَنْ
عَامَلَتْهُ بِالْإِحْسَانِ ، وَعَدَّتْ عَلَيْكَ خِيَانَتُهُ مِنْ أَمْتَمَّتْهُ أَمْتُ أَثْمَانٍ ، وَتَمَّ لَهُ الْمُرَادُ بِوَفَائِكَ

وَعَدْرَه ، وَسَلَامَةَ صَدْرِكَ وَمَكْرَه ، وَأَتَقَاتِ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ وَمَبَايَنَةَ سِرِّهِ لَجْهَرِهِ ؛
فَكَانَ مَا هَوَيْتَ فِي تَهْنِئَةِ سَلَامَةِ النَّفْسِ وَأَكْبَرِ الْوَلَدِ ، وَمَنْعَ فِي اسْتِدَادِهِ نِيْمًا لَا تَحْصِرُ
بَعْدَهُ ؛ وَأَقْطَعَ مَا كَانَ فِيهِ مَا أُصِيبَ بِهِ وَلَدُكَ الْأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أُصِيبَ
وَهُوَ مَظْلُومٌ ، وَلَوْ لَمْ يُصَبِّ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنَ الْأَجَلِ الْمُحْتَمُومِ ؛ فَرِحْتَ بِمَا نَالَكَ ثَوَابًا ،
وَأَسْتَفْتَحَ لَكَ الْحِظُّ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْبَاغِي بَابًا ؛ وَأَغْتَصَبَ الْغَادِرُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ ،
وَرَأَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِصُورَةِ الْمُبْطَلِ وَرَأَاكَ بِصُورَةِ الْحَقِّ ؛ وَهَدَيْتَ السَّعَادَةَ إِلَى الْعَمَلِ
بِسِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي الْأَنْحِيَازِ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالتَّبَاعِدِ عَنْ أَهْلِ النَّيِّ وَالْإِعْتِدَاءِ ؛ فَانْسَلَتْ
مِنَ الْغَوَاةِ أَنْسَالُ الصَّارِمِ مِنْ غَمْدِهِ ، وَتَوَارَيْتِ مِنَ الْمُنَاةِ تَوَارِي النَّارِ فِي زَنْدِهِ ؛
وَقَطَعْتَ الْفَافِزَ مُصَاحِبًا لِلْمَقْرِ وَالْمَعِينِ ، حَتَّى حَلَّتْ بِرَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ؛
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُمِذِّكُ فِي ذَلِكَ بُدْعَانَهُ ، وَيُعِذُّكَ لَتَدِيرِ دَوْلَتِهِ وَقَعَ أَعْدَائِهِ ؛ وَرَأَاكَ
وَأَنَّ أَبْشَدْتَكَ الصُّرُورَاتُ عَنْ بَابِهِ ، وَأَنَّكَ الْحَادِثَاتُ عَنْ جَنَابِهِ ، أَنَّكَ وَزِيرُهُ
الْمَكِينِ ، وَخَالِصَتُهُ الْقَوَى الْأَمِينِ ؛ الَّذِي لَا يَنْزِعُ عَنْهُ شَمْسٌ وَزَارَتُهُ ، وَلَا يُؤْثِرُهُ
غَيْرُ سُلْطَانِهِ وَمَمْلَكَتِهِ .

وَلَمَّا وَجَّهَتْ إِلَى أَعْمَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ اسْتَصْحَبْتَهُ رَاجِعًا مِنْ عُدُوكَ الْإِسْتِصَارِ ،
قَاصِدًا إِدْرَاكَ التَّارِ ؛ وَحَلَّتْ بِقُوَّتِهِ ، وَخِيَمَتْ فِي جِهَتِهِ ؛ فَاتَّصَلَتْ بَيْنَكُمْ الْحُرُوبُ ،
وَعَزَّ عَلَى كُلِّ مَنْكَا نَيْلِ الْمَطْلُوبِ - أُنْجِدْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ عِلْمِهِ بِلَوْغِ الْكَلْبِ
أَجَلَهُ ، وَاسْتِغْيَاءِ الْوَقْتِ الْمَحْدُودِ مَهْلَهُ ، بِإِظْهَارِ مِثْلِهِ إِلَيْكَ وَمِثْلَهُ عَنْ ضِدِّكَ ، وَأَنَّ
قَضَاهُ مُبَايِنٌ لِقَضَا الْمَذْكُورِ مُوَافِقٌ لِقَضَاكَ ؛ فَسَبَّبَ ذَا نَصْرِكَ وَخُدْلَانَهُ ،
وَتَقْوَيْتَكَ وَإِيَّاهُ ؛ وَلَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِهِ عَنَايَةُ تُسَعِّدُكَ ، وَرِعَايَةُ تُؤَيِّدُكَ .

فحين علنت إلى بابه عودَ الشُّموس إلى مشارقها قبلك أحسنَ قبول، وتلقاك
ببليغ السؤل؛ وكشف الغطاء عما كان يُسرُّ إليك ويضمِّره، ويريد بك ويؤثره؛
وجند لك ما كنت تنظر فيه من الوزاره، ومباشرة ما كان مردودا إليك من السفارة
والظهاره: لأنك أوجد ملوك المضركلا، وأوسعهم في حسن التدبير مجالا؛ وأشرقهم
شيماً بديعةً وخلالا، وأصلحهم آثارا وأعمالا؛ وأتمهم سعادةً وإقبالا، وأكثرهم
يقيةً لله تعالى؛ وما زلت للفانرجامعا، ولراية المجد رافعا؛ ولذرى العلاء والسناء
فارعا؛ تزدأب المصور بضررك، وتجمل الدنيا ببقاء نبيك وأميرك؛ وتستعجب
الأفلاك العلبة من سعة صدرك، وتتضاءل الأقدار السامية لعظيم قدرك؛ وكل لك
من منقبة تجل أن يكيفها بديع الأقوال، وتعظم أن يمتدحها بديع الأقوال^(١)؛ فالدولة
العلوية بتدبيرك مختالة زاهية، وأركانها أعدائها وأضدادها بحزمك وعزيمك وإيهه،
وسعادات من تفضله وتشمل عليه متضاعفة غير متقطعة ولا متناهية؛ ولم تزل
للإسلام سيفا قاطعا ماضيا، وعلى الإلحاد سيفا مرهقا قاضيا؛ تدود الشرك عن
التوحيد، وتصد الكفر عن الإيمان فيجد مرعما ويبد. وكل لك في خدمة أئمة
الهدى من مأثرة تؤثر قبهج، ويورد ذكرها فيغري بالثناء عليك ويُلهج؛ وتبذل
في طاعتهم النفس والولد، وتنتهى في مناصحتهم إلى الأمد الذى ليس بعده أمد؛
فلذلك قُوت بدعواتهم التى أعقبك حسن العواقب، وأحلتك المحل الذى لا تسمو
إلى رقيه التجوم الثواقب؛ فإذا رفعت أمير المؤمنين إلى منزلة سامية، وجد علك
لديه عنها يجل ويسمو، وإذا خصك بفضيلة ما، صادف استحقاقك عنها يرتفع
ويعلو؛ وإذا استشف خصائصك، وجدها بديعة الكمال، يمتنع أن يدرك مثلها

(١) الأقوال جمع قبل (وأصله من ذوات الواو) وهم ملوك حير ويجمع أيضا على أقبال على

بِخِرْصٍ سَاجٍ أَوْ يُنَالُ ، وَقَدْ تَوَافَقَتِ الْخَوَاطِرُ عَلَى أَنَّكَ أَوْحَدُ وَزَرَاءِ الْعَوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ
ظَفَرًا وَنَظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي طَاعَتِهَا وَمَخَالَصَتِهَا أَثَرًا ، وَأَفْضَلُهُمْ خُبْرًا وَأَطْيَبُهُمْ خَبْرًا ،
وَقَدْ جَدَّدَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْطِفَاءُكَ لَوِزَارَتِهِ ، وَاجْتِنَابُكَ لِتَدْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ ، وَجَعَلَكَ
الْفَرْدَ الْمَشَارَكَ فِي دَوْلَتِهِ .

فَقَلَّدَهُ مَاقِلُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْمِهْمَاتِ الْحَسَامِ ، وَتَسَنَّمَ مَا وَطَّدَهُ لَكَ مِنْ
هَذِهِ الرُّتَبِ الْعِظَامِ ، وَتَلَقَّى آلَاَهُ بِمَا يُثَبِّتُكَ فِي جَرَائِدِ الْأَبْرَارِ ، وَيَمْنَحُكَ مَصَاحِبَةَ التَّوْفِيقِ
فِي الْإِرَادِ وَالْإِصْدَارِ ، وَبَاشَرَ مَنَاطِإَ إِلَيْكَ مِنْ كَبِيرِ الْأُمُورِ وَصَغِيرِهَا ، وَجَلِيلِ الْأَحْوَالِ
وَحَقِيرِهَا ، وَأَبْسَطَ يَدَكَ فِي تَدْيِيرِ دَوْلَتِهِ ، وَأَنْفَذَ أَوَامِرَكَ فِي أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ ، وَأَعْنَى بِمَا
جَعَلَهُ لَكَ مِنْ تَدْيِيرِ حُيُوسِهِ الْمَيَّامِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَكَفَالَةِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَدَايَةِ
دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَبَّ أَحْوَالِ جُنُودِهِ وَرَعَايَاهُ أَجْمَعِينَ ، وَأَعْمَلَ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
الَّذِي مَا بَرِحَتْ لَكَ دَابًّا وَطَرِيقَهُ ، وَشِمَّةً وَخَلِيقَهُ ، وَبِهَا النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالسَّلَامَةُ
فِي دَارِ الْقَرَارِ ، وَالْفَوْزُ بِمَعْنَى الْخَلَاصِ ، فِي يَوْمِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْقِصَاصِ . فَالْعَارِفُ مِنْ
مَهْدِهَا مَقَامَهُ فِي الْآخِرَةِ تَهْنِئِدًا ، وَأَحْزَنَ بِهَا مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ مَرِيدًا ، بِقَوْلِ اللَّهِ
فِي الْكَتَابِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي الْإِعْجَازِ فَرِيدًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا اللَّهَ وَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِيمَا أَلْقَاهُ إِلَيْكَ فَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالرِّفْعِ
وَالْخَفْضِ ، وَالْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ ، وَالْقَطْعِ وَالْوَصْلِ ، وَالتَّوْلِيَةِ وَالتَّصْرِيفِ وَالصَّرْفِ ،
وَالْإِمْضَاءَ وَالْوَقْفَ ، وَالْقَصْ وَالْتَّنْيَةَ ، وَالْإِنْجَمَالَ وَالتَّنْوِيهَ ، وَالْإِعْزَازَ وَالْإِذْذَالَ ،
وَالْإِسَاءَةَ وَالْإِجْمَالَ ، وَالْإِبْدَاءَ وَالْإِعَادَةَ ، وَالتَّقْصِ وَالزِّيَادَةَ ، وَالْإِنْتِصَامَ وَالْإِرْغَامَ ،

وكل ما تحبّه تصارىف الأيام، وتقتضيه مطالب الأنام، فهو إليك مردود، وفيها عِدق بنظرِكَ معنود .

وأما العدل ومدِّ رواقه، وإقامة مَواسمه وأسواقه، والإنصاف وأتباع حُجَّته، والاعتدال على أحكامه وأفضيته، وكف عوادي الجور والمظالم، وحمل الأمر على قصد التصاحب والتسالم، وإظهار شعار الدين، في إنصاف المتداعين إلى الشرع المتعاضدين، والدعوة الهادية وقبض أبوابها للستجيين، وإعزاز من يمسك بها من كافة المؤمنين، والأموال والنظر فيها، والأعمال أفاضها وأدانيها - فكل ذلك محرر في تقليد وزارتك الأول، وأنت أولى من حافظ على العمل به وأكمل .

وأما أسراء الدولة الأكاره، وصُنُورها الأمانيل، وأسرأؤها الأعيان، وأوليائها الذين بسُيُوفهم تُقام دعائم الإيمان - فانت شفيهم في كل مكان، ومعيهم الذي يبذل جهته بغاية الإمكان، والجاهد لهم في النفع والصلاح، والحريص على دفع ما يلهم بكل منهم من الضرر والأجتياح، وما زلت لهم في الأغراض بحضرة أمير المؤمنين مساعدا، وعلى ما يلفتهم الآراب حريصا جاهدا، وتخصم دائما بيناتك، وتُمَدِّهم برعايتك، وتُعمل لهم في الحاجات صائب رأيك، فأجرهم على ما ألقوه من الاعتناء والإجمال، وبلغهم من محافظتك نهايات الآمال، فهم أبناء الملاحم، ومُضطلَّو قَمَبِ الجمر الجالحم، ومصالحو الصفايح، المرهفة الضروب، وملاعبو الرماح، العاسلة ذات الكُبوب، ومُعملو العتاق الأعوجية، ومُرسلو السهام المريشة المبرية .

وأمر المؤمنين يعلم أنك بفضلِ فطرتك، وثاقبِ فطنتك، وما ميزك الله به من قديم حُكْمِكَ وتجربتك، تفتي عن الوصايا، وتنته عن توسيع الشرح في القضايا، وإنما أورد لك هذا التزمنها على جهة التيمن بأوامر الآتية، والتبرك براسم هداة

الأمه ؛ والله يحقّق لأمر المؤمنين فيك الأمل ، ويوفّقك في خدمته للقول والعمل ؛
ويعينك على إصلاح دولته ، وأغنّيك قُورس طاعته ؛ وبذل الجُهد والطاقة
في مناصبته ، والاجتهاد في رفع منار دعوته ؛ ويؤيّدك على أعداء مملكتك ، ويرشدك
إلى العمل بما يُسبّغ عليك لباس نعمته ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ،
وانته إلى موجب حكمة ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،
والتحميد .



وعلى ذلك كتب الموفق بن الخلال أيضا عن العاضد بولاية ابن شاور السعدي
نيابة الوزارة عن أبيه ، وتقويض الأمور إليه ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه (بالقاب الخلافة) إلى فلان (بالنعوت الالتمّة به) .

سلامٌ عليك (إلى آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم
في سجلّ الوزارة لأبيه) .

أما بعد ، فالحمد لله مؤيّد الحقائق بأفضل الأنصار ، ومُزجّ الممالك بأكمل ذوي
النفاذ والإستبصار ؛ وجاعل الولد البار لوالده رُكنا وسندا ، والتجّل المختار لناجيه
تجدة ومدا ؛ مرتّب الممالك على أفضل نظامها ، ومُرّق الدول إلى المؤثر من إجلاها
وأعظامها ؛ ليُتضح للتاملين فضل تأكيد الأوامر ، ويستبين للناظرين فضل تباين
العناصر ؛ إبرا ما منه - جل وعز - لأسباب الحُكمه ، وتوسيعا لسبيل الحقائق
والرحمة ؛ ومُتمولا لما يتناجى به إحسانه من المنّ الجسيم (فضلا من الله ونعمة
والله عليم حكيم) .

والحمد لله مُعَلِّي الدَّرَجَاتِ وَرَافِعِهَا ، وَمُعِيدِ الْأَثَمِ وَنَافِعِهَا ، وَمُزِيلِ الْبَاسِ وَدَافِعِهَا ،
وَمُجِيبِ الدَّعَوَاتِ وَسَامِعِهَا ، وَمُضَاعِفِ الْمَصَالِحِ وَجَامِعِهَا ؛ الَّذِي وَقَفَ عَلَى الدَّوْلَةِ
الْعَلَوِيَّةِ أَحْسَنَ السَّيْرِ ، وَخَصَّهَا فِيمَنْ قُوِّرَ أَصْطِفَاءُهُ بِمُسَاعَدَةِ الْقَدَرِ ، وَسَرَّهَا رَاقِقَ
التَّيْدِيرِ بَعْدَ مَلَابَسَةِ الرِّقِّ وَالْكَنْدَرِ ، وَأَذْخَرَهَا مِنَ الْأَصْفِيَاءِ مَنْ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِأَنْوَارِهِ ،
وَتَتَرَنَّ الدُّهُورُ بِحَاسِنِ آثَارِهِ ؛ وَتَسْمُوُ الْمَفَاخِرُ بِمَفَاخِرِهِ ، وَيَتَوَالِي الثَّنَاءُ عَلَى مَا أَبْتَكَرَهُ
مِنَ الْمَكَارِمِ فِي أَوَّلِ نَشْئِهِ وَآخِرِهِ ؛ وَيَتَنَاجَى الْإِحْسَادُ لِمَنْ يَخْتَارُهُ وَيُحْيِيهِ ، وَتَضَامَلُ
أَقْدَارُ الْمُلُوكِ إِذَا ذُكِرَ فَضْلُهُ وَفَضَّلُ أَبِيهِ ؛ وَتَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَى تِمَامِ رَوْعِهِ وَدِينِهِ ،
وَيَنْطَلِقُ لِسَانُ الْإِجْمَاعِ بِصِحَّةِ مَعْتَقَدِهِ وَيَقِينِهِ .

والحمد لله الَّذِي شَمِلَ الْبَرَايَا فَضْلُهُ ، وَعَمَّ الْخَلَائِقَ عَدْلُهُ ؛ وَأَقْوَمَ الْعُقُولَ بَأَنَّ إِلَيْهِ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي أَحْظَتْ دَوْلَتَهُ الظَّاهِرَةَ ، بِمُؤَاوَزَةِ الْبَيْتِ
الْجَلِيلِ الشَّائِرِي ، وَأَيَّدَتْ مَمْلَكَتَهُ الْقَاهِرَةَ ، بِحِمَامَاتِهِ عَنْ حَوْزَتِهَا بِالْعَضْبِ الْمُرْهَفِ
وَالسَّمْهَرِي ؛ وَيُسْكِرُهُ عَلَى مَنَّتِهِ الَّتِي اسْتَخْلَصَتْ لَهُ مِنْهُ أَنْصَارًا يُرْهِقُونَ فِي طَاعَتِهِ
الْعَزَائِمَ ، وَيُحَقِّقُونَ فِي إِرَادَتِهِ الْعَظَائِمَ ، فَيَذُبُونَ عَنْ حَوْزَتِهِ وَلَا يَخَافُونَ فِي ذَاتِ اللَّهِ
لَوْمَةَ لَائِمٍ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَ عَلَى جَنَّةِ عَجْدِ الدَّاعِي إِلَى الْهَدْيِ ، وَالْمَبْعُوثِ إِلَى الْخَلَائِقِ
وَهُمْ إِذْ ذَاكَ سُئِلُوا ؛ وَالْمُنَاضِلِ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِالْأُسْرَةِ وَالْآلِ ، وَالْمُطْرَحِ
عَاجِلِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ لِأَجْلِ الْمَالِ ؛ وَعَلَى أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي
أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَكْرَ الْأَوْدِ ، وَقَامَ لِنَبِيِّ اللَّهِ مَقَامَ النَّجْلِ الْمُرْتَضَى ؛ وَالْوَلَدِ ؛ وَقَطْعَ مِنْ
طَوَائِفِ الْكُفْرِ شَاخِ الْهَامِ ، وَأَوْضَحَ غَامَضَ التَّنْزِيلِ بِمَا أْفَرَدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَزَايَا

الإمام؛ وعلى الأئمة من دُزيتهما أبناء الرسالة والإمامه، والمختصين بإرث بيته المحبوب بتقليد النمامه، والقائمين بنصرة الدين، والمتفردين بإمرة المؤمنين .

وإن أمير المؤمنين لما أقامه الله له من تمكين قواعد الدين، واختاره لإيضاحه من إرشاد فرق المسلمين؛ وأفضى به إليه من سر الإمامة المكتون، وألقاه إليه من خفايا الإمام الذي تستنبط من أنوارها علّة ما كان ويكون؛ وأمدّه [به] من التأييد الذي يستأصل طواغيت النفاق بقوارع المهالك، ويسلك بمرّة أهل الصناد أوعر السبل والمسالك؛ وأنجده في كلّ الحالات بالألطف الخفية التي تنكفئ بإعلامه كلمته، وتتضمن نصر أعلامه وتذتر دعوته؛ وآتاه جوامع المعارف والحكم، وفرض طاعته على من دان بالتوحيد من جميع الأمم؛ وأزعم مقاصده وأخفاءه التوفيق، وأوجب لها السعادة في كلّ جليل ودقيق - يفوض أمره إلى الخالق، ويفيض جوده وبرّه في الخلائق؛ فلا يزال لأحوال دولته مراقباً، ولا يتفكّ فيبد كل ما يتعلق بها نظراً ثاقباً؛ فإذا لاحث له لائحة صلاح، أو بدلت نظره بخيلة نجاح، اجتهد في توسيع مجالها، وحرّض على حثها وقصد إعجازها؛ وأتمس للدولة اجتلائها، وفتح إلى استبداء النفع بابها : لينمي الخير العميم، في دولته، ويتضاعف النفع الجسيم، لرعيته؛ وتكون كافة الخلق فيها بالأمانة والسكون مضمورين، وبمحسن صنيع الله بهم قرحين مشرورين .

ولما تصفح أمير المؤمنين أحوال دولته، وتأملها تأمل من يؤثّر أن يفقه الفعص في كل مهم على حقيقته، رأى أن الله جل وعلا قد منح أمير المؤمنين من خالصته وصفية، ووزيره وكافيه ووليّه؛ السيد الأجل (بالتعوت والدعاء) الذي قام بنصرته، وكفل أحوال الحروب بنفسه وأولاده وأمرته؛ وحالف التغرب والأسفار،

واستبدل من لين العيش بملاقاة السهام واللاهزم والشفار، واتخذ ظهور الجياد عوضاً من الحشايا، ومنازلة الأبطال دأباً في الحتادس والبكر والعشايا، وآثر على لبس القص الموقى الحديد، لباس اليب ولأمانات الحديد، ولازم في ذات الله قرق أبواب الخوف، والتهجم على كل تخشى تخوف، حتى ذل الأعداء، وقع الأعبياء، وحسم الأذواء، وأزم الدهر بعد خطبه الاستهواء، وأفاد دولة أمير المؤمنين بجاهده عزاً، وأذخر لها عند الله من الأجر والثوبة كثيراً، وسير عنها في الآفاق أحسن الأحاديث، وبين فضلها على غيرها في القديم من الدهر والحديث، وأخلص لأمر المؤمنين في الطاعة حتى استخدم الموالى الموافق، والمباين المناق، وكل فضائله التي لا تحصى، وعاشته التي لا تحصى ولا تعد، بفضيلة نفوت الفضائل، ومقبة تفوق بفضورها المناقب الجلائل : وهى ماوجه الله [له] من بؤة الأجل فلان الذى لم يزل للدولة عزاً حاضراً، وولياً ناصراً، وعوناً قاهراً، ومجداً ظاهراً، وجملاً باهراً . وما يرحم الله - جل وعلا - مرأقياً، وليرضاه وغفرانه طالباً، قد جمع إلى كمال الدين وصحة اليقين، المخالصة في طاعة أمير المؤمنين، لا يفتقر منذ مدة الطفولية [عن] درس الفرعان، ولا يبارى بغير الأمور الدينية نجباء الأقران، إن تصفحت محاسنه الدنيوية عد ملكاً مهذباً، وإن تأملت مناقبه الدينية حسب ملكاً مقرباً، وكل له من مقبة تستقص الغيوث، وشجاعة تستجيب اللبوث، ومهابة ترد أهاديها الجيوش على الأعقاب، وتقرىها بموالاة الحذر والأرتقاب، إذا أسهبت الخطوب أوجرت تدبيره، وإذا أسطالت الحوادث قصر طولها فأعجب حيرته، فالدولة العلوية من ذب في الحرم الآمن، والخلافة العاضدية من ملاحظاته في تدبير يجمع أشدات الميامن، فأجتماع المآثر قد وحده، بشهادة الإجماع، وتوالى التحمد قد أنورده، بما شاع منه في الممالك وذاع، لتحاسد عليه غير الأخلاق، وتنافس فيه المكارم منافسة

فَوَاتِ الْإِشْرَاقَ ؛ فَلَا تُوجَدُ خَلَّةٌ فَضْلٍ بَارِعٍ إِلَّا وَقَدْ جَمَعَهَا ، وَلَا مَكْنَةَ جَبَرِ قَارِعٍ إِلَّا وَهُوَ الَّذِي مَهَّدَ تَحَجُّجَهَا وَوَسَّعَهَا ؛ وَمَقَامَاتُهُ فِي الْجِهَادِ وَالْجِلَادِ مَقَامَاتٌ أَوْضَحَتْ الْحَقَاقِقَ لِلْأَفْهَامِ ، وَثَبَّتِ الدَّقَائِقَ تَبَيُّنًا يَبْقَى عَلَى غَايِرِ الْأَيَّامِ ؛ وَأَعَزَّتْ دَعْوَةَ الدَّوْلَةِ الْعَالَوِيَّةِ وَأَيَّدَتْهَا ، وَنَصَرَتْ أَعْلَامَهَا وَنَشَرَتْهَا ؛ وَأَكْتَفَتْ بِالْفَضِيلِ وَالْإِحْسَانِ رِجَالَهَا ، وَأَزَالَتْ بِالْحَدِّ وَالتَّسْمِيرِ أَوْجَاهَهَا ؛ وَحَتَّى آثَارُ عُذَاتِهَا بِالسُّيُوفِ ، وَأَلْفَتَهُمْ عَنِ النَّكَايَاتِ الْمُجْحِفَةِ بَوَازِغِ الْمَنَآيَا وَالْحُتُوفِ .

وَالْحُرُوبُ قَرِيبَاهُ فِي مُهَوَّدَهَا ، وَمِنْشَاهُ بَيْنَ أُسُودَهَا ، وَرُعَاتُهَا وَقَفَتْ عَلَى إِضْرَامِهَا وَإِحْمَادِ وَقُودَهَا ؛ فَإِذَا تَوَزَّدَهَا تَوَزَّدَهَا بِاسْمِهَا مَهْلًا ، وَإِذَا أَقْتَحَمَ مَضَاقِفَهَا تَصَرَّفَ فِيهَا مَتَوَقِّفًا مَتَمَهَّلًا ؛ لَا يَخْفِلُ بِأَهْوَالِهَا ، وَلَا يُرَى لِقَارِعَةٍ مِنْ عِظَائِمِ قَوَارِعِهَا وَالْهَلَا ؛ وَحَسْبُكَ فَتَكَاتُهُ فِي طَغَاةِ الْكُفَّارِ ، وَقَصْدُ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ بِالْإِظْهَارِ : فَإِنَّ الْكُفَّارَ حِينَ نَهَدُوا لِلتَّفَاقُ ، وَاجْتَلَبُوا أَشْبَاهَهُمْ مِنْ بَعِيدِ الْآفَاقِ ؛ وَتَهَجَّمُوا عَلَى الْأَعْمَالِ بِغَاهُمْ بَعْزَةً مِنْ عَزَمَاتِهِ أَقَامَتْ رَايَةَ الدِّينِ ، وَجَعَلَتْهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ؛ وَأَفْنَتْ مِنْهُمْ الصَّنَائِدِ ، وَأَضْطَلَمَتْهُمْ بِلَايَا تَرِيدُ عَلَى التَّصْدِيدِ ؛ وَاجْتَحَفَتْهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْأَمْرِ وَالتَّفْرِيقِ ، وَرَمَتْهُمْ بِلَوَاهِ لَا يَصْدِرُ بَسْرَى عَلَى دِفَاعِهَا وَلَا يُطِيقُ ؛ وَلَمَّا أَتَجَأَ طَاغِيَةُ الْكُفْرِ إِلَى الْحَيَرَةِ وَرَكَدَ ، وَرَامَ الْأَعْتَصَامَ بِرُوثِهَا وَاجْتَهَدَ ، وَأَعْتَرَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْجَمْعِ وَكَثْرَةِ الْعَدَدِ ؛ نَهَدَ إِلَيْهِ فِي الْأَبْطَالِ الْأَنْجَادَ ، وَنَهَضَ نَحْوَهُ ثَابِتًا لِلْقِرَاعِ وَالْجِلَادِ ؛ فَازَالَهُ عَنْ جَمْعِهِ ، وَدَعَرَهُ دُعْرًا شَرَّدَهُ عَنْ مَعْلَمِهِ ؛ وَرَمَاهُ بِالْحَرَكَ بِعَدِ السُّكُونِ ، وَالتَّعَبِ الَّذِي قَدَّرَ بِأَقْرَارِهِ أَنَّ مِثْلَهُ لَا يَكُونُ ؛ وَكَمْ لَهُ فَتْكَةٌ فِي أَهْلِ الْعَمُودِ ذَلَّتْ حِمَاهُ ، وَاسْتَلَبَتْ أَرْوَاحَهُمْ ، وَأَعَادَتْ لَيْلًا بِالنَّقْعِ صَبَاحَهُمْ .

وعند تَمَادِي عَتَاةِ الْكُفَّارِ فِي الْإِصْرَارِ، وَجَوَسِهِمْ خِلَالَ الدِّيَارِ؛ وَتَشَبُّهِهِمْ فِي وُجُوهِ
الْأَدَى وَالْإِضْرَارِ، وَطَمَعِهِمْ فِي أَجْتِيَاكِ أَهْلِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْطَارِ - عَوَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي اسْتِصْلَاحِهِمْ عَلَى عَزَمِهِ، وَأَعْتَصَدَ بِذَبِّهِ وَحَسَمِهِ؛ وَجَعَلَ إِلَيْهِ التَّدِيرَ بِالقَاهِرَةِ
الْمَحْرُوسَةِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَدَارُ هِجْرَةِ الْإِمَامِ، وَمَعْقِلُ الْخِلَافَةِ مِنْذُ
غَايِرِ الْأَيَّامِ؛ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي رَبِّ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، وَتَأْمِينِهَا مِنْ بَوَاقِ الْأَوْجَالِ؛ فَبَتَّ
بِالْحِصْرَةِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ مَهَابَتِهِ مَاشَرُو الْأَوْغَارِ، وَسَهَّلَ الْأَمْصَارِ، وَحَقَّقَ الضَّلَالِ،
وَأَذَاقَهُمُ النَّكَالَ؛ فَنَمَّ السُّكُونُ وَالْأَمْنَةُ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى الْأَعْمَالِ السِّيَاسَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ؛
بِفَادَتِ بَنْصَرَةِ الْأَيَّامِ وَصَلَاحِ الْوُجُودِ، وَأَعْتَبَطُوا مِنْ تَدْيِيرِهِ بَصُوعُودَ الْجُدُودِ، وَرَتَمُوا
مِنْ عِنَايَتِهِ فِي عَيْشِ بُضَاهَى عَيْشِ جَنَّاتِ الْخُلُودِ؛ فَالْبَلَاغَاتُ بِأَسْرِهِمْ لَا تَقُومُ بِمَسْحِ
مَا أَوْرَثَ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَلَا يُوَازِي مَجْمُوعَهَا مَقْبَلَةٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي أَرَبَى بِهَا عَلَى الْمُلُوكِ
الْأَوَاخِرِ وَالْأَوَائِلِ؛ وَالتَّخَصُّصُ الْمُلُوكِيُّ يُجَلِّتُهَا فِيهِ جِلَّةٌ وَفِطْرُهُ، وَإِذَا قَبِسَتْ نَادِرَةً
مِنْ نَوَادِرِ فَضْلِهِ بِمَا تَفَرَّقَ فِي جَمِيعِ الْمُلُوكِ كَانَتْ فَضَائِلُهُ بِمِثْلَةِ الْبَحْرِ وَمَجْمُوعُ فَضَائِلِ
الْمُلُوكِ بِمِثْلَةِ الْقَطْرِ؛ وَقَدْ طَرَزَ فَضَائِلُهُ الْبِدِيعَةَ، وَخِلَالَهُ السَّامِيَةُ الرَّقِيعَةُ، مِنْ مَوَالِدِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاحِيهِ دَوْلَتِهِ بِمَا تَكْفُلُ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنِهَايَاتِ مَنَافِعِ
التَّوَابِ الشَّرِيفَةِ الْفَائِخَةِ؛ فَلَيْلُهُ وَنَهَارُهُ مَضْرُوفَانِ إِلَى الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الَّتِي هِيَ دَوْلَةُ التَّوْحِيدِ، وَالْمُخْلِصِ فِيهَا مُعَرَّضٌ لِكُلِّ مَقَامٍ سَعِيدٍ؛ فَمَاسِنُهُ تَرْتِفِعُ عَنْ
قَدْرِ التَّقْرِيزِ وَالْمَدِيحِ، وَلَا تُهَابِلُ إِلَّا بِمَوَالِدِ التَّسْيِيحِ .

وَلَمَّا أَحْمَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَرْثَمَهَا فِي خِدْمَتِهِ، وَشَكَرَ قَصْدَهُمَا فِي دَوْلَتِهِ؛ وَكَانَ السَّيِّدُ
الْأَجَلُ قَدْ بَلَغَ إِرْبَهُ فِي الْخِلَالِ، وَحَلَّ الْمَحَلَّ الَّذِي لَا تَسْتَطَاعُ جَوَاحِجُ الْأَمَالِ؛ وَقَدَرَهُ
يَشْرَفُ عَنْ كُلِّ تَكْرِيمٍ، وَمَوْضِعُهُ يَتَّيْزُ عَنْ كُلِّ مَنْ جَسِيمٍ، وَمِثْرَتُهُ تَسْمُو عَنْ كُلِّ
تَعْظِيمٍ - فَاصْصِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَ الْأَجَلَ أَنْ يُقَرَّرَ لَهُ جَمِيعُ خِدْمَتِهِ، وَيُسَبِّغَ عَلَيْهِ

فالمستأنف أضفى نعمة : فإن محله يرتفع عن محل الخلق الجليله ، ويسمو عن كل تصرف يسمه في الدولة بسمه جميله ؛ ورأى أمير المؤمنين السيد الأجل أن يعلن بإسناد النيابة عن والده في أمور المملكة إليه ، ويشهر أن ذلك معول فيه عليه : ليخفف عن السيد الأجل أمير الجيوش أمر أهوالها ، ويحمل عنه تكليفه بعض أحوالها ؛ ترفها للسيد الأجل عن التعب ، وتخفيفا من كثرة النصب ؛ على أن علو قدره الأجل لم يخله في وقت من الأوقات من مشاركة في التدبير ، ولا صده عن مجازية في مهم كبير ؛ بل ما برحت يده في جميع أحوال الدولة جائله ، وجلالة منصبه تقضى بأن تكون تصرفاته لجميع الأمور شامله ؛ وتوقعاته ماضية في الأموال والرجال ، والجهات والأعمال ؛ وأمير المؤمنين السيد الأجل يستعبدان بأداته ، ويتبعان في كل السياسات ما هو موافق لإراداته : لما خصه الله [به] من الرأى الصائبه ، وللغايد التي السعادة على ما يرد منها مواظبه ، وجبله عليه من المحافظة على حسن المرجع وحيد العاقبه - خرج أمر أمير المؤمنين إلى السيد الأجل بالإيعاز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك : فنقل ما قلده من النيابة عن والدك فيما إليه من أمور مملكته ، وأحوال دولته ؛ معتمدا على تقوى الله التي بها نجاه أهل اليقين ، وفوز سعداء المتقين ؛ لقول الله عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ . وأحيل عن السيد الأجل والدك ما يؤثر أن تحمله عنه من الأفعال ، وتكفل ما يكلفك إياه من الأشغال ؛ ونقد ما يختار أن تنقده ، وأنجز ما يؤثر أن تحجزه ؛ وأض ما يسير إليك بإمضائه من أساليب التوقيعات ، وقنن المهيات ؛ وقم في كل من أمور نيابتك المقام الذي يرضيه ، ويوجه برك ويقضيه ؛

وقد جعلك الله مَيُّونَ الْقِيَّيْبِ ، مَسْعُودَ الضَّرِيْبِ ؛ مُكَلِّمَ الْأَنْوَاتِ ، مَوْهَلًا لَتَرْقَى
الْعَالِيَاتِ ؛ لَا تُكَبِّرُ عَنْ مَبَاشِرَتِكَ كَبِيرَهُ ، وَلَا تَسْتَفِ^(١) عَنْ رُتْبَتِكَ رَتْبَهُ خَطِيرَهُ ؛ وَأَجْرِ
عَلَى عَادَةٍ وَالِدِكَ فِي حَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ ، وَالْإِجَالِ لِلْأَوْلِيَاءِ لِكَأَنَّ كُلَّ صَنِيعٍ
مِنَ الْأُمُورِ وَكَبِيرٍ .

وَالْوَصَايَا مَقْسِمَةُ الْفَنُونِ ، كَثِيرَةُ الشُّجُونِ ؛ وَلَكَ مِنْ مَرِيَّةِ الْكَمَالِ ، وَفَضِيلَةِ
الْجَلَالِ ، وَمُسَاعَدَةِ الْإِقْبَالِ ، وَالنَّبْهَةِ بِالْجِهَاتِ وَالْأَعْمَالِ ، وَطَوَائِفِ الْأَوْلِيَاءِ وَالرَّجَالِ ؛
مَأْبِئُكَ عَلَى اسْتِنَابِ دَقَائِقِهَا ، وَالْعَمَلِ بِحَقَائِقِهَا ، وَمُلُوكِ أَحْسَنِ طَرَائِقِهَا .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحِجَّتُهُ عَلَيْكَ ؛ فَاعْمَلْ بِأَحْكَامِهِ ، وَأَجْرِ أُمُورِكَ عَلَى
نِظَامِهِ ؛ وَبَالِغِ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَجَلِ أَمِيرُ الْجِيُوشِ فِي شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي أَلْهَمَتِ الْمُلُوكَ
إِشَاعَةَ فَضْلِكَ ، وَرَتَّبَتِ الشُّعُودَ عَلَى اكْتِنَافِ عَقْدِكَ وَحَلِّكَ ، وَمَنْحَتِكَ آيَةَ كَلِمِ اللَّهِ
بِفِعْلِكَ لَكَ وَزِيرًا مِنْ أَهْلِكَ ؛ فَاعْمَلْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



وَعَلَى ذَلِكَ كَتَبَ بَعْضُ كُتَّابِهِمْ عَنِ الْعَاضِدِ ، لِرُزَيْكِ بْنِ الصَّالِحِ طَلَّاحِ بْنِ رُزَيْكِ ،
بُولَايَةَ الْمَظَالِمِ وَتَقْدِيمَةَ الْعَسْكَرِ فِي وَزَارَةِ أَبِيهِ ، وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :
مِنْ عِندِ اللَّهِ وَوَلِيهِ فَلَانٍ أَبِي فَلَانَ الْإِمَامِ الْفَلَانِي (يَلْقَبُ بِالْخِلَافَةِ) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِلَى فَلَانٍ (يَلْقَبُهُ وَكُنْيَتُهُ) .

سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(١) فِي الْقَامُوسِ "سَفَّ يَسْفُ شَفَا زَادَ وَقَصَّ" .

أما بعدُ، فالحمد لله الناصر بالطول والفضل، الآمر بالإحسان والعَدْل؛ مُوسِعُ سُبُلِ الصَّلاحِ لبريَّته، ومُسَبِّبُ أسبابِ النِّجاحِ لدينه الخفيف ومُتَمِّعُ وِجَاهِ أَرْبابِ أَوْلِيائِهِ ذَخَائِرَ مُعَدَّةِ نَفْعِ الخَلْقِ، ومُصْطَفِي سَعْدَاءِ أَحِبَّائِهِ لِإِعْلَاءِ مَنَارِ الشَّرْعِ وإِقَامَةِ قِسْطِ الْحَقِّ؛ وَمُيَسِّرِهِمُ لِلنُّهْوضِ بِالأَعْيَاءِ الَّتِي تَتَكَلَّفُ بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ الْعُلْوِيَّةِ وَتَقُومُ، وَتُجَيِّمُهُمُ لِلْفَصْلِ بِمَرْضَاتِهِ فِيمَا يَقْضِي بِإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَإِنْصَافِ الْمَظْلُومِ؛ الَّتِي تَتَقَادُ بِمِثْقَلِ الْأُمُورِ، وَتَتَصَرَّفُ بِإِرَادَتِهِ الشُّهُورِ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّلُورُ؛ وَيَنْدُو فَضْلُهُ عَلَى عِبَادِهِ جِسِيًّا، وَنَزْلًا لَا يَظْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

والحمد لله الذي أَوْضَعَ بِأَنْبِيَائِهِ سُبُلَ الْهُدَى لِلْآثَامِ، وَأَقَدَّ بِإِرْشَادِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ؛ وَأَقَامَ بِاجْتِهَادِهِمْ أَحْكَامَ مَاشَرَعِهِ مِنَ الْمَلَلِ وَالْأَدْيَانِ، وَأَذْهَبَ بِأَنْوَارِهِ مَا عَمَّرَ الْأُمَمَ مِنْ غَيَاهِبِ الظُّلُمِ وَالْعُدْوَانِ؛ وَقَفَّى عَلَى آثَارِهِمْ بِمِنْ لَأْبُوءَ بَعْدَ نُبُوءِهِ، وَلَا تُجْأَةُ أَقْطَعُ مِنْ حُجَّتِهِ؛ وَلَا وَصْلَةٌ أَفْضَلُ مِنْ وَصْلَةٍ ذَخَّرَهَا لِأَمْنِهِ، وَلَا ذَرِيَّةٌ أَقْوَمُ بِحَقِّ اللَّهِ فِي حِفْظِ نِظَامِ الْإِيمَانِ مِنْ عِثْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ مَكَرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَذَنَرَ شَفَاعَتَهُ لِلدَّوَى الْوَلَاءِ فِي يَوْمِ النُّشُورِ وَالْعَرْضِ؛ وَأَوْرَثَهُ خَصَائِصَ مِنْ مَضَى مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى آبَائِهِ، وَأَفْرَدَهُ بِمُعْجِزِ التَّائِيْدِ الَّذِي أَضَاعَتِ الْآفَاقُ بِمُشْرِقِ أَنْبِيَائِهِ؛ وَيَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ أُنْجِدَ دَوْلَتَهُ بِكَفَيْلِ جَنْدٍ جَلْبَابِيَّاهَا، وَظَهِيرِ أَحْكَمِ أَسْبَابِيَّاهَا، وَنَصِيرِ بَلِّغِ بِهَا فِي الْوَلَى وَالْعَدُوِّ مَطَالِبَهَا وَأَرْأَبِيَّاهَا؛ وَاسْتَجَبَ لَهُ مِنْ تَجَلُّهِ خَلِيلًا يَتْلُوهُ فِي الْفَضَائِلِ الْبَارِعَةِ، وَنَاصِرًا يُحَاوِلُ فِي الذَّبِّ عَنْ حَوَزَتِهِ عَزْمًا أَمْضَى مِنَ السُّيُوفِ الْقَاطِعَةِ؛ وَعَضُدًا يَقُومُ لَهُ بِإِرْضَاءِ الْخَلَائِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَمُسْعِدًا لَا يَأْلُو جُهِدًا فِي إِيْصَالِ الْمُسْتَخْفَيْنِ إِلَى مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ

من الحُفُوق . ويسأله أن يصلّى على جدّه محمّدٍ سيّدٍ من بَلّغ عن الله رسالةً وأمرًا ،
وأفضّل من دَعَا إلى توحيد بارئِهِ سرًّا وجهراً ؛ وأكل من جاهد عن دينه حتّى
ظهرت بعد الدُّروسِ جدّته ، وقهرت إثر الخُضُوعِ عزّته ، وانتشرت في المشارق
والمغارب كلمته ودعوته ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمّه أبينا على بن أبي طالب
قسيمه في الشرف والأبوة ، وصديقه الأكبر فيما جاء به من النبوة ، والمكمل بالنص
على إمامته الذين ، وخامس الخمسة الذين سادسهم الروح الأمين ؛ وأبى الأئمة
الأبرار ، والمهازيم بمقرّده كلّ جيش جرّار ؛ وعلى الأئمة من ذُرّيتهما أعلام حجة
المُهدى ، وأنوار سبيل الإيمان التي بأنوارها يُستبصر ويُقتدى ؛ وأدلة منهاج النجاة ،
وكاشفي عُجم الشكّ إذا الظلم دجّاه ؛ وسلّم ومجّد ، وتابع وردّد .

وإن أمير المؤمنين ليأصطفاه الله له من إرث سِرِّ الإمامة المصُونِ المكنُونِ ،
وحقّ بيانه العظيم الذي بالخشوع لجلّاله أفلح المؤمنون ؛ وأختاره [له] من نشر لواء
الحقّ ونصره ، وتأكيّد أحكام الإنصاف ليحظى بعائنتها كافّة أهل زمانه وعصره ؛
وألهمه إياه من تاج خلافة الذي أشرق لبصائر العارفين نورُه الساطع ، وتمجّل لأفهام
المؤمنين برهانه الصادق ودليله القاطع ؛ وأودعه من خفّاء الحكم التي عُدب سلسيلها ،
وبلغ إلى التعم الخالد دليلها وسيلها ؛ ومكّله لأيامه من الإقبال الذي جعلها مواسم
زاهية بهجة النصر المبين ، وأعياد ظفّر تروق بتوالي إبادة العادِلين عن الطاعة
النّاكبين ؛ وأوقاتها سعيدة تُفيد الدين وأولياءه عزًّا واعتلاء ، وتوجب للايمان
وأنصاره اقتدارًا وأستبلاء ، وتُسبِّغ عليهم كيفما تصرّفت بهم الأحوال منّا ضافيةً
وآلاء ؛ ويُسّر له من الإحاطة بكلّ مُغيّب مستور ، وأوجه لأغراضه في كل
ما يرومه من مظاهرة المقدور ؛ ومهّده لحلّوله من أشمخ منازل التطهير والتقديس ،
وشرف به شيمه من كلّ خُلُق نبويّ بارج نفيس ؛ وفضّله به من الكرم الذي لا ترأّل

تُحِبُّهُ يُجُودُ الْأَمُّ سَرَفًا، وَلَا تَتَفَكَّرُ غِيُوهُ يُجِدُّ لِمَنْ مُطَرِّبُهُ عَلَاءً وَشَرَفًا، وَلَا يَرْجُحُ وَابِلُهُ
يَعُمُّ بِاللَّحْمِ النَّزْرُ الْحِطَامُ، وَلَا تَكْتَفُفُ سَيُوبُهُ عَنْ إِفَاضَةِ الْمَنَى الَّتِي عَلَتْ وَغَلَتْ فَلَا
تُسَامِي وَلَا تُسَامِ، وَخُصَّ بِهِ إِحْسَانُهُ مِنَ الْمُنَابَرَةِ عَلَى إِعْظَامِ الْمَنَاسِكِ لِلْمُسْتَوَجِبِينَ،
وَالْحَافِظَةِ عَلَى إِحْزَالِ الْمَوَاهِبِ لِلزَّادِلِينَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَقَرِّينَ - يُجْهَدُ آوَاهُ
فِي آرْتِيَادٍ مِنْ تَضَاعُفٍ لِلْبَرِيَّةِ بِالْإِسْتِعَانَةِ بِكُلِّهِ أَسْبَابُ الْمَصَالِحِ، وَتَأْكُدُ لِلْأَمَّةِ
بِالتَّوَمِيلِ عَلَى بَارِعِ فَضْلِهِ أَحْكَامُ النَّجْحِ وَالْمَنَاجِحِ، وَتَقُومُ الْحُجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْإِعْتِضَادِ
بِهِ فِيمَا يَقْضِي بِنَفْعِ [العباد]، وَيُسَهِّلُ الْإِعْتِدَادَ عَلَى دِيَانَتِهِ بِالنُّصْحِ لِلَّهِ فِي الْحَاضِرِ مِنْ بَرِيَّتِهِ
وَالْبَادِ، وَيَنْطِقُ شَرَفُ خَلْقِهِ بِتَوْفَرِهِ عَلَى إِحْرَازِ مَغَانِمِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَتُقَرَّبُ طَرَائِقُهُ
عَنِ السَّيِّئِ الَّذِي لَا يَقِفُ فِي مَرَضَةِ رَبِّهِ دُونَ بُلُوغِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى، وَتَقْدُلُ أَحْوَالُهُ
عَلَى رِعَايَةِ حَقُوقِ اللَّهِ سَبْعَانَةً فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ، وَتُؤَخَّرُ أَخْبَارُهُ حُسْنُ تَأْتِيهِ
فِي مَصَالِحِ الْأُمَمِ لِمَا يَنْجِزُ عَنْ أَسْتِنْبَاطِهِ رَوَاجِحُ الْعُقُولِ، وَيَقْتَدِحُ نَظَرُهُ أَنْوَارًا يُسْتَضَاءُ
بِهَا فِي طُرُقِ السِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ، وَيَفْتَسِحُ فَكْرُهُ أَبْوَابًا تَضْحِي بِهَا الْخَلِيقَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ
الْكَامِلَةِ وَأَصْلِهِ، وَيَعْتَهُ حُسْنُ جِيلَتِهِ عَلَى أَنْ يَحْتَفِرَ فِي إِعَانَةِ الْبَرَايَا، عِظَائِمِ الْمَشَاقِّ،
وَيَدْعُوهُ كَرَمُ تَحِيَّتِهِ إِلَى أَنْ يَحْنُو عَلَى الرِّعَايَا، حُنُونٌ مَنْ يَتَوَخَّاهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ،
وَيَقْوَى بِإِعَانَتِهِ الْمُسْتَضْعَفُ قُوَّةُ تُحَصِّنُهُ مِنْ عُلُوِّ الْإِعْتِضَامِ، وَيَعِزُّ بِمِلَاحِظَتِهِ
الْمُسْتَذِلُّ عِزَّةً تُخْرِجُهُ عَنْ صُورَةِ الْمَهْجُورِ الْمُسْتَضَامِ، وَيَقْتَنِي الْآثَارَ الصَّالِحِيَّةَ فِي عَدْلِ
الْعُطْبَاعِ وَحُسْنِ الشِّيمِ، وَيَتَّبِعُ السَّنَنَ الْغِيَاثِيَّةَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَيَقْصِدُ
فِي اللَّطْفِ بِالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ قَصْدَهَا، وَيَنْتَحِي نَوَاجِمَ الْبَاطِلِ فَيَتِمِّدُ أَجْنِبَاتِهَا
وَحَصْنَهَا، وَيَكُونُ تَقْوِيصُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ تَوْثِقًا عِنْدَ خَلْقِهِ وَبَارِيهِ، وَآخِطَاطًا
لِنَفْسِهِ فِي أَسْتِنَادِ الْمَهْمَاتِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا يُدَانِيهِ مُدَانٍ وَلَا يُبَارِيهِ، وَتَقِيَمُنَ الْبَوْلَةُ
الْعُلَوِيَّةُ بِمَبَاشَرَتِهِ لِلْأَحْوَالِ تَيْمَنًا يُؤَذِّنُ لَهَا بِإِدْرَاكِ كُلِّ مَطْلَبٍ بَعِيدٍ، وَتَسْتَعْمِدُ بِحُسْنِ

سيرته استسعادا يفضى للناسج بمكين يُبدى فيه وتعيد ؛ وتَحَالُ الأيامُ بما أَجَلَّتُهُ
من جواهر مَفَانِيهِ ، وَتَزْدَانُ الأزمانُ بما تَوَلَّجَتْهُ من مناقبه التي حَقَرَتِ الملوكُ
في أولِ النَّهْرِ وآخره .

وقد أَكْتَفَيْتُكَ أَيُّهَا الأَجَلُ عَنَايَاتُ الله سبحانه وَأَشْمَلْتَ عَلَيْكَ ، وَتَنَابَتْ
موادُ أَصْطِفَائِهِ وَأَجْتَبَاهُ إِلَيْكَ ؛ وَأَنَالَتْكَ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَارِعٍ ، غَايَتُهُ ، وَأُظْهِرْتَ
فِيكَ لِكُلِّ كَمَالٍ رَائِعٍ ، آيَتُهُ ؛ وَجَمَعْتَ لَكَ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْحَاسِنِ مَا لَوْ لَا مُشَاهَدَتُكَ
لَوَجِبَ اسْتِحَالُهُ بَجَمْعِهِ ، وَلَا تُنْكَرُ كُلُّ مَتَدَيِّرٍ صَدْرَ حَدِيثِهِ عَنْ صَدْرِ صَدْرِهِ أَوْ وَرُودِ
شَمْعِهِ ؛ وَيَسَّرْتَ لَكَ تِمَامَ السَّعْدِ وَالْإِقْبَالِ ، التَّرَقَّى إِلَى ذِرْوَةِ الْعُلَى الَّتِي يَتَأَبَّ التَّجَمُّ أَنْ
تَمُتَّ مَلَا حِفْظَهَا مِنْهُ بِيَالٍ ؛ وَتَأَقَّتْ الْحِفْظُوطُ فِي إِعْظَامِ مَا خَوَّلَتْكَ مِنَ الْفَضَائِلِ الْبَاهِرَةِ
فَبَالَتْ وَتَنَاهَتْ ، وَأَغْرَقَتْ فِيمَا أَتَمَحَّفَتْكَ بِهِ مِنَ الْحَاسِنِ النَّادِرَةِ فَشَرَفَتْ بِكَ
وَتَنَابَتْ ؛ حَتَّى غَدَا جَسِيمُ مَا قَدَّمَ شَرُّهُ مِنَ التَّنَاءِ وَذِكْرُهُ ، وَعَظِيمُ مَا وَجِبَ مِنْهُ نَشْرُهُ
فَتَضَوَّعَ أَرْجُهُ وَنَشْرُهُ ، نُفْبَةٌ مِنْ يَحَارِهَا الزَّائِرُهُ ، وَشُدْرَةٌ مِنْ عُقُودِهَا الْفَاحِرُهُ ؛ وَقَلِيلًا
مِنْ كَثِيرِهَا الْجَسِيمِ ، وَضَيْلًا مِنْ جَزِيلِهَا الَّذِي اسْتَكَمَلَ خَصَائِصَ التَّعْظِيمِ .

وَاسْتَمَرَّ فَاثُ الْجَمَاعِ لِمَقَرِّقِ الْفَضَائِلِ الْمُلْكِيَةِ ، وَالْفَارِغُ ذُرَى الْجَلَالِ الَّذِي
أَفْرَدَتْكَ بِهِ الْمَوَاهِبُ الْمُلُوكِيَّةُ ؛ وَالْمُنَوَّجُ أَعْلَى رُتَبِ السِّيَادَةِ السَّارِيَةِ إِلَيْكَ مِنْ أَكْرَمِ
الأَصُولِ ، وَالْمُلَمَّوحُ بِارْتِقَاءِ هَضَابِ التَّجْدِ الَّتِي عَجَزَ مُلُوكُ الْإِتِّفَاقِ عَنْ [الْإِتِّهَابِ] إِلَيْهَا
وَالْوُصُولِ ؛ وَالْأَوْحَدُ الَّذِي بَدَّ الْعِظَاءَ فَعَظُمَ خَطَرُهَا وَقَدَرُهَا ، وَالْإِذْرُوعُ الَّذِي أَتَقَادَتْ لَهُ
الصَّعَابُ فَرَحَّبَ بَأَمَّا وَصَدْرُهَا ، وَالْعَالَمُ بِالْأُمُورِ الَّذِي أَصْبَحَ أَعْلَمُ مُلُوكِ الْأَرْضِ بِأَحْسَنِ
التَّدْيِيرِ وَأَدْرَى ؛ وَالْمُذْنَبُ بِأَنْوَارِ ذِكَاثِهِ فِي عَاتِمِ الثُّوبِ سِرَاجًا وَهَاجًا ، وَالْمُشْمَرُ فِي ذَاتِ
اللهِ فَلَا يُوجَدُ لَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَرْضَاهُ مَعَاجِبًا ، وَالْمُبْتَكِرُ مِنْ غَرَائِبِ السِّيَاسَاتِ مَا لَا تَرَالُ
حَاسِنُهُ عَلَى مَقَرِّقِ الزَّمَنِ تَاجًا ؛ وَالْمُجَبَّدُ اللَّهَجُ بِتَجْدِيدِهِ كُلِّ مَقُولٍ وَلِسَانٍ ، وَالْمُعْجِزُ

كل متعاطٍ وإن كان بليغاً بديع الإحسان ؛ والمنحوخُ المُعْرِقُ في السيادة والملكة ،
والمبتدعُ المكارمُ أنكاراً تحيلُ عن أن يُسايَبه أحدٌ فيها أو يشرَكَه ؛ فَيَأْتُ بِجَدِّكَ
ظاهرةً باهره ، وغُرَّ خلائقك في اختراع المآثرِ وأَفْتَرِاعها مايرَه ؛ وإليك إيماءُ
السعادة وإشاراتها ، والدُّسُوتُ باعتلائك منابِها تُساعى السماءُ أرجاؤها ، ويتحققُ
في البحرِ الأعظمِ بَصْدْرُكَ فيها رجاؤها ؛ فلا كمالَ إِلَّا ما أَصْبَحَ إِلَيْكَ يُنْسَبُ ، ولا جلالَ
إِلَّا ما يُعَدُّ من خصائصك ويُحَسَّبُ ؛ ولم تزلْ لربِّكَ خاضِعاً ، ولشرفِكَ متواضِعاً ؛
وأنوارُ الأمليةِ تُوضِّحُ لك من طُرُقِ الأمانةِ ما يَجِيزُ عن إِذْراكِهِ قُوَى التجريبِ ،
وَتُحْكَمُ لك من أحكامِ السياسةِ ما تُقْصِرُ عن أَقْلِهِ فَطَنُ الحِكماءِ الشَّيبُ ؛ وتُبْدِي لك
أسرارَ الأزمنةِ المتطاولةِ في إقبالِ سِنِّكَ ، وتُليِّنُ بتلطُّفاتِ صَلابةِ الخطوبِ مع نَضارةِ
غُضُنِّكَ ؛ وما يَرِحُ ذِكْرُ أخبارِ صَوْلِكَ ، وحديثُ ما أعظمه الله من قُرُوسِيتِكَ
وتَجاعَلَتِكَ ، يُوقِرُ حُلُومَ الأبطالِ في المَلّاحِ إذا أَطَارَها الدُّعْرُ فطاشتْ ، وَيُسَكِّنُ
نفوسَ الأتجادِ في المَلّاحِ إذا أَطَارَها الدُّعْرُ بفاشتْ ؛ وَيُخَدِّثُ لُجْبائِها جُرْأَةً وإقداماً ،
وَيُجَعِّلُ الكَهَمَ في الحروبِ مُدَلِّقاً حُساماً ؛ نُفَيْلاءُ الأعوجِيةِ زهو ما تُرْقِبُهُ من شَرَفِ
أَمْتائِكَ ، وَصِلِيلُ المَشْرِفةِ تَرْتُمُ بِمُطَرِّبِ قَصَصِكَ وَأُنْبائِكَ ؛ وَأَهْتَرَأُ السُّمَهريَّةِ جَدَلُ
بما كَفَّلَها من إِشادةِ عِلائِكَ ، وَصَحْنَتِها من إِبادةِ أَعْدائِكَ ؛ وليس بغريبٍ أن تُفَضِّلَ
الأُملاكِ ، وَتَقَطَّ أَخامِصُكَ الشَّامِكِ ؛ وَتُخْتَالَ في وَشَى الوصفِ البديعِ ، وتُشْرِقَ أَسْرَةُ
محاسنِكَ فَتُخِيلَ ضَوْءُ الصُّبْحِ الصَّديعِ ؛ وقد أَكْرَمَكَ الله مع فَضْلِ الخليفةِ والفِطْرةِ ،
وَكَلَّالِ الخِصائِصِ التي غَدَا كُلُّ منها في بَدِيعِ المُعْجِزاتِ نَدْرُهُ ، بِبُتُوَةِ مُغِيثِ الأَنامِ ،
وَمُضْلِحِ الأَيَّامِ ، وَكَفِيلِ أميرِ المؤمنين وَكَافِيهِ ، وَمُعَبِّرِ مُلْكِهِ من أسقامِ الحوادثِ
وَشافِيهِ ؛ السَّيِّدِ الأَجَلِّ المَلِكِ (وَنِثْمَةُ النِّعوتِ والدِّعاءِ) الَّذِي أَتَنَضَّاهُ اللهُ لِكَشْفِ
النِّعَمِ ، وَأَرْتَضَّاهُ لِنَدِيرِ الأُمَمِ ، وَفَضَّلَهُ على مُلُوكِ العَرَبِ والعَجَمِ ؛ وَشَفَّعَ عِلادُهُ نَظَّامَنَ

له كل على ودان، وسمت مواطئ أقدامه فتمت منالها مواطئ التيجان، وحاز بالمساعي الفضل الباهر أجمع، واستولى على بواهر الحكم بالنظر الناقب والقلب الأصم^(١)، وأفرد بكليل عز أن تدركه الآمال، أو يكون لاشتطاطها فيه مطمع أو مجال، وغدا النصر المبين تابعا لعذب ألويته، وحسن إقباله في كل موطن كفيل بإدبار العدو وتوليته، وأجاب داعي الله إذ استنصر لآل بيت النبوة واستنصره، ولبي دعاءه تلبية تسطر أخبارها على ممر الزمان وتورخ، وأجل شياطين الضلال وقد تبع في زعيمها الجاحد وثنا، وصلتها بالعزم المرفف عما أصرت عليه من منكر الإلحاد وثنا، وبذلت سطاء جبارة الطغاة من الأوطان بعدا ونحقا، وأمتتهم فككته من الأعداء الوافرة إفتاء ونحقا، وأذاقهم حملا ت جيوشه وبأل أمر من عاصد باطلا وعاند حقا، وجعلتهم سفار سيوفه الباترة في التنايف حصيدا، ورمت بالإرغام والإضرع معاطسهم وخدوهم بعد أن عمروا شيا وصيدا، وقصد بمواضيها أشلائهم ودمائهم فالجم غروبها وسى، وكشف بلوامعها عن الدولة الفاطمية من معزتهم جنحا عالميا وغسقا، وكفل أمورهم فاحسن الإيالة والكفالة، وأعادها إلى أفضل ما تقدم لها من القوة والقمامة والجلالة، ونظر أحوالها فقوم كل معوج وعذل كل مانل، وحبها مليس جمالي تقبح عند بهجته ملايس الخائل.

ولما أباد عصب العناد، عطف على الإجهاد في الجهاد، فحابت بحافله متنايف الأقطار، ونالت من الفتك بالكفرة في أقصى بلادها نهاية الأوطار، وأنتعت منهم الحصون، واستباححت المنع المصون، حتى أصارت جلدتهم المشهور قشلا، وقبض إقدامهم المذكور وشلا، وعمل الأمة بسيرة عرفت بالعدل والإحسان، وأحظلت

الخلاتق بالآمن المديد الظلال؛ وأرضتهم بالعيش الرائي الزلال؛ وأناثتهم من المطالب ما أئسعت لإدراكه خطأ الآمال؛ وجادَ ففَضَحَ التَّأَمُّمَ، وَمَرَّتْ عَلَى ذَوَى الذُّنُوبِ حَتَّى كَادَ يُتَّقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْجَرَائِمِ، وَأَقَالَ عَرَائِ كَبُرَتْ فَلَوْلَا كَرَمُ سَجِيَّتِهِ لَمْ يَرُمْ الْإِفَالَةَ مِنْ خَطَرِهَا رَائِمٌ، وَأَمَدَهُ اللَّهُ مِنْ مَعِجَزَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْيَأْنِ، وَغَرَائِبِ الْحِكْمِ الْبَدِيعَةِ الْإِفْتِنَانِ، مَا يَسْتَحِفُّ الْأَحْلَامَ بِقَرْطِ الطَّرَبِ وَالْإِفْتِنَانِ؛ وَلَمْ يَزَلْ مِنْذُ كَانَ يَجْمَعُ سَرَحَ الدِّينِ، وَيُضْمُّ نَشْرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُدُلُّ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ فِي نُصْرَةِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِذَلِكَ أَكْلِ نَاصِرٍ وَأَفْضَلِ مُعِينٍ؛ وَتَكْبُرُ عِظَائِمُ الْخُطُوبِ فَيَكُونُ عِزُّهُ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ، وَتُرْهِى الْأَيَّامُ بِنُزْهِاتِهِ وَهُوَ لَا يُزْهِى وَلَا يَتَكَبَّرُ؛ فَقَدْ عَزَّ جَانِبُ كَيْلِهِ، عَنْ أَنْ يَنْهَضَهُ جُهْدُ الْمَدِيحِ، وَارْتَفَعَ حُلُّ جَلَالِهِ، فَلَا يُنَالُ تَكْفِيْفُهُ بِإِسَارَةٍ وَلَا تَصْرِيحٍ، وَعَظُمَ قَدْرُ مَفَاخِرِهِ فَلَمْ يَقَابَلْ إِلَّا بِمَوَالِدِ التَّمْجِيدِ خَالِقِهِ وَالتَّسْبِيحِ؛ وَوَجِبَ عَلَى مُتَصَفِّحِ خِصَائِصِهِ الْمَوَالِدُ فِي التَّعْظِيمِ، وَلَزُومُ مَتْنَجِ اسْتِئْدَاجِ لَا يَرِجُ عَنْهُ وَلَا يَرِيمُ، وَمِبَالِغَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى :

(مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) .

فَلْيَعِ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِطَالَةِ مَدَّتِهِ الْآمَالِ، وَأَيْقِ الْمُدَّتِ بِاسْتِمْرَارِ نَظَرِهِ الْخَطِّ وَالْجَمَالِ؛ وَفَتَحْ لَهُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ بِهَمَمِهِ الْعَالِيَةِ وَعِزَائِمِهِ، وَجْعَلْ تَوَاجِمَ الْإِلْحَادِ حَصَائِدَ شِفَارِ صَوَارِمِهِ؛ فَانْقَرِ أَهْلُ الرَّجُلِ بِأَصْلِكَ وَفَرَعِكَ كَيْفَ شِئْتَ، وَأَجْمَعْ بِمَا مُنِحَتْ مِنْهُ وَأَوْتِيَتْ، وَوَالِ شَكَرَ خَالِقِكَ عَلَى مَا حَوَّلْتَ وَأَوَّلَيْتَ؛ فَمَا نَغَرَ بِمَثَلِ نَفْرَكِ مَلِكٍ سَمِيدٍ، وَلَا تَبَاهِ الدَّهْرُ لِأَحَدٍ بِمَثَلِ مَا تَبَاهَى فِي حَقِّكَ وَلَا أَبْدَعُ .

وَلِمَا تَكَامَلَ لَكَ أَهْلُ الْأَجَلِ بُلُوغُ هَذَا الْفَضِيلِ الْجَسِيمِ، وَتَمَّ مَا مُنِحَتْهُ مِنْ الْمَجْدِ الْحَادِثِ وَالْقَدِيمِ، جَدَّدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ شِعَارَ التَّعْظِيمِ، وَكَلَّ لَدَيْكَ الْمَفَاخِرَ تَكْمِيلَ الْعَقْدِ النِّظَامِ؛ وَجَعَلَ الْخَلِيفَ بِإِصْرَتِهِ لَكَ عِيَانًا، وَأَقَامَكَ لِلدَّوْلَةِ الْفَائِزِيَّةِ وَالْمَمْلُوكَةِ

الصالحية برهاناً، وجعلك لكافة المسلمين في أقطار الأرض سلطاناً، وطابق بين ماخصك به من السمات السنية، وبين مامكنه لك من المراتب العلية؛ فأثخنتك لدولته ناصراً وعضداً، وأثخنتك للإسلام نجداً وسنداً، وأحيا بمراقبتك أنصار الدين، وشفى بنظرك صدور المؤمنين، وأستخلصك لنفسه النفيسة حميّاً وخليلاً، وبلغ بك إلى الغاية القصوى إعلاءً وتجيلاً؛ وشرّك بخلعٍ بديمةٍ من أخصّ ملايس الخلاف، تروى محاسنها كلّ النواظر، وتفوق بدائنها ماذيجه زهر الروض الناضر؛ وقلدك سيفاً يؤذن بالتقليد، ويشر بالنصر الدائم المزيّد؛ تتنافس في منته وفرينه الجواهر، ويستولى ناصعها على الباطن منه والظاهر؛ وعزّزها بالشرفات التي اكتسبتها بهجة البهاء، وبلغتها في العلى إلى النفاية التي ليس بعدها انتهاء؛ وآثر أن ينسبط يذك في التدبير، ويصدق بك ما هو عنده بالحلّ الكبير؛ وتجمع لك من أشنات دولته ما لم يعرف لجمع مثله في سالف الزمن نظير، ويسند إلى كمالك ما يعود النفع بصلاحه على المأمور من الأمام والأمير.

فقاوض أيها السيد الأجل الملك الصالح والدك أدام الله قدرته، وأعل كلمته؛ في ذلك معاوضة أفضت إلى وفوق الإجماع على أنك أكل ملوك دهرنا، وأحسهم يقيناً؛ وأشرّفهم نفساً وأخلاقاً، وأكرمهم أصولاً وأعرافاً؛ وأمتّهم طريقةً وأحسنهم سيره، وأتقاهم صدراً وأطهرهم سريره؛ وأشفّهم جوهرها وأزكاهم ضريبة وأتقاهم قه سراً وعظماً، وأولاهم بأن لا يصدر عنه من الأعمال إلا جحلاً حسناً، وأنت أفضل من عدّ أمير المؤمنين بنظره أمر الدنيا والدين، وأمسد إلى ملاحظته أحوال أمراء الدولة ورجالها أجمعين، وفوض مصالح المسلمين منه إلى النبيّ الأمين؛ وأنّ السيد الأجل الملك الصالح أدام الله قدرته لما أخلص محله عند أمير المؤمنين بتتابع الإشادة، وتفرّد باستمرار المضاعفة بإذن الله تعالى والزيادة؛

وَأَسْتَوَى عَلَى الْأَمِدِّ الْأَقْصَى فِي السَّمَوَاتِيهِ وَالتَّعَالَى، وَأَنْخَفَصَتْ عَنْ تَرَاهِ دُرَى أَشْمَخِ
الْمَعَالِي، كَانَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِ فِي الْحَلَالِ وَأَنْتَ ثَانِيهِ، وَالسَّابِقِ فِي الْقَحَارِ
وَأَنْتَ تَالِيهِ؛ وَدَلَّ بِفَضْلِكَ عَلَى فَضْلِهِ دِلَالَةُ الصَّبْحِ عَلَى النَّهَارِ، وَالنَّمَاءِ عَلَى الْإِبْدَارِ،
وَالثَّمَرِ الطَّيِّبِ عَلَى فَضِيلَةِ الْأَصْلِ وَالنَّجَارِ؛ فَبَارِكْ مُوَلَّى الْمَنِّ لِأَوَّلِيَانِهِ وَحِزْبِهِ، الْقَائِلِ
فِي مَحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَرْجُحُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ .

وَقَرَّرَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِشْفَافَ أُمُورِ الْمَظَالِمِ، وَإِنْصَافَ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ،
وَالنَّظَرَ فِي آسَفْهِسَلَارِيَةِ الْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ إِيثَارًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ يَجْعَلُ
لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَيْسَرًا، وَيُثَبِّتَ لَكَ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ حَدِيثًا
حَسَنًا وَأَثَرًا؛ وَرَتَّبَ ذَلِكَ لَكَ تَرْتِيبًا يَصَحِّبُهُ التَّوْفِيقُ وَيَلْزِمُهُ، وَيَكْمَلُهُ السَّعْدُ وَيَتِمُّهُ،
وَيُحِيطُ بِهِ الْيَقِينُ وَالنَّجَاحُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْخَطُّ وَالْفَلَاحُ . فَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
شَاكِرًا لِأَتَمِّهِ، مَتَمِّسًا بِأَسْبَابِ وَلَانِهِ وَعِصْمَتِهِ؛ جَارِيًا عَلَى أَحْسَنِ عَادَاتِكَ فِي مِرَاقِبَةِ
اللَّهِ وَخِيفَتِهِ، مَسْتَمِرًّا عَلَى أَفْضَلِ حَالَاتِكَ فِي خَشْيَتِهِ؛ مُتَّبِعًا أَوَامِرَهُ فِي الْعَمَلِ بِتَقْوَاهُ،
وَزَاجِرًا لِنَفْسِهِ عَمَّا تُؤْذِرُهُ وَتَهْوَاهُ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّهُ أَبَرَّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَظَالِمَ كَثُرَ مِنْ كُنُوزِ الرَّحْمَةِ، وَبَابُ تَبَوُّصِهَا مِنْهُ إِلَى مَصْلَحَةِ الْأُتَمِّهِ،
وَوَسِيلَةُ تَبَوُّسِهَا بِهَا السُّعْدَاءُ إِلَى خَالِقِهِمْ فِي اسْتِبْقَاءِ مَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمَةِ؛
فَاجْلِسْ لَهَا جُلُوسًا عَامًّا تَرْفَعُ فِيهِ الْجَنَابَ، وَتُسِّرُ لِلْوُصُولِ إِلَيْكَ عَنْدهِ الْأَسْبَابَ؛
وَتَأْمُرُ بِتَقَرُّبِ الْمُتَطَلِّبِينَ، وَتُوَعِّزُ بِإِدَانَتِهِمْ لَتَسْمَعَ كَلَامَ الشَّاكِينَ؛ وَتَوْفِّرْ عَلَى الْإِخْذِ
بِيدِ الْمُسْتَخَفِّ الْقَرِيعِ، وَالْحُرْمَةِ الَّتِي لَا يَجِدُ سَبِيلًا لِلْإِنْصَافِ وَلَا تَسْتَطِيعُ؛ وَتَسْقُدُ

بأن تُخَيَّرَ بَيْنَ يَدَيْكَ النَّاسِ فِي الْحُكْمِ الْعَزِيزِ الَّذِي عَلَى قِيَّامِ مَدَارِ أَحْكَامِ الدِّينِ ،
وَمَنْ تَحْتَاجُهُ مِنَ الْمُوقِّعِينَ وَاللَّوَاوِينَ ، وَتَأْمُرُ بِإِحْضَارِ الْقِصَصِ وَعَرْضِهَا ، وَتَأْمُلُ
دَعَاوِيَ الْمُتَظَلِّينَ فِي إِبْرَامِهَا وَتَقْضِيهَا ؛ وَتَوْفَعُ عَلَى كُلِّ مِنْهَا بِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ
وَأَحْكَامُهُ ، وَيُوجِبُهُ الْعَدْلُ وَنِظَامُهُ .

وَأَنْظُرْ فِي مُشْكِكِ الْقِصَصِ نَظْرًا يُزِيلُ إِشْكَالَهَا ، وَيَجْعَلُ إِلَى تَوَازُمِ الشَّرْعِ وَالْحَقِّ
مَأْمَكًا ؛ وَرَاجِعَ أَمْرِ الْمَنَازَعَاتِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَوَائِرِ ، وَلَا يَسْقُ فِيهَا تَأْمُلٌ لِمَتَأْمُلٍ
وَلَا نَظَرٌ لِنَظَرٍ ، وَتُخْرِجُ أَوَامِرَكَ بِإِبْصَالِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ ، وَكَفِّ كُلِّ مُتَعَدٍّ
عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْعُدْوَانِ وَطَرَفِهِ . وَلَيْكِنِ الضَّعِيفُ أَقْوَى الْأَمْوِيَاءِ عِنْدَكَ إِلَى أَنْ يَصِلَ
إِلَى حَقِّهِ مُوَفَّرًا ، وَالْقَوِيُّ أَضْعَفُ الضُّعْفَاءِ حَتَّى يُخْرِجَ مِمَّا عَلَيْهِ طَائِفًا أَوْ مُجْبِرًا ؛ وَالشَّرْعُ
وَالْعَدْلُ فِيمَا قِسْطًا لِسَاءِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَمُعِينَا [نَ عَلَى] الْحَقِّ مِنْ أَرَادَ الْعَمَلَ وَاجِبَ
الْحَقِّ وَفَرَضِهِ ؛ نَحْنُ بَيْنَهُمَا وَأَعْطَيْنَا بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَثَبْنَا أَحْكَامَهُمَا فِيمَا قُرْبٍ وَبُعْدٍ مِنْ
الْبِلَادِ ؛ وَسَاوَيْنَاهُمَا فِي الْحَقُوقِ بَيْنَ الْأَثَامِ ، وَصَرَّفْنَا النِّصْفَةَ بِحُكْمِهِمَا بَيْنَ الْخَوَاصِّ
وَالْعَوَامِّ ، حَتَّى يَنْصِفَ الْمَشْرُوفُ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَالْبَضِيفُ مِنَ ذِي الْقُوَّةِ الْعَنِيفِ ؛
وَالْمَغْمُورُ مِنَ الشَّهِيرِ ، وَالْمَأْمُورُ مِنَ الْأَمِيرِ ، وَالصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ ؛ وَأَسْتَكْبِرُ بِإِغَاثَةِ عِبَادِ
اللَّهِ ذَخَائِرَ الرِّضْوَانِ ، وَأَسْتَفْتَحُ بِقِيَامِكَ بِمُحَقِّقِ اللَّهِ فِيهِمْ أَبْوَابَ الْخِنَانِ ، وَأَعِزُّهُمْ بِسَعِيدِ
نَظَرِكَ وَتَأَمَّنْ بِتَقْدِيرِكَ وَمَلَاحِظَاتِكَ جَمِيعَ صُدُورِ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَكِبَرَاتِهَا ، وَمُقَدِّمِيهَا
الْمُطَوَّقِينَ وَأَسْرَائِهَا ؛ وَمِيزِهَا الْأَعْيَانِ ، وَرَجَالِهَا الظَّاهِرَةَ يَجْلِسُ لَهَا الْعِيَانُ ، وَتَوَخَّ الْجُوهَ
مِنْهُمْ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِتْبَارِ ، وَتَبْلِغِ الْأَغْرَاضَ وَالْأَوْتَارَ ؛ وَالتَّمْيِيزِ الَّذِي يَحْفَظُ نِظَامَ
رُتَبِهِمْ ، وَيُثَبِّتُهُمْ مِنْ حِرَاسَةِ الْمَنَازِلِ غَايَةً أَرَبَهُمْ ؛ وَأَقْهَمُهُمْ مُسْتَبْشِرًا كَمَا دَتَكَ الْحُسْنَى ،
وَأَحْزَنُهُمْ فِي كَرَمِ الْأَخْلَاقِ عَلَى مَتْنَبِكَ الْأَسْنَى ؛ وَعَرَّفَهُمْ بِإِقْبَالِكَ عَلَى مَصَالِحِ
أُمُورِهِمْ ، وَأَتَجَاهَكَ لِمَصَالِحِ شُؤْنِهِمْ ، بِرَكَّةِ أَشْتَمَالِهِمْ بِفَضْلِكَ ، وَالتَّحَافُظِ مِنْ بَطْلَانِكَ ؛

وأفصد مَنْ يَليهم بما يَسطُ آمالهم، ويوسع في التكرمة بحالهم، ويُنكسهم عِزَّةَ الإِدناء والتقريب، ويُنصمهم من إحقاقك بأوفر سَنَم ونصيب، وكأَنَّهُ الرجال فاحفظ نظامهم بحسن التدبير، وأثر فيهم بحِمل النظر أحسن التأثير، وتَوخَّهم بما يُسَدُّ باهتمامك أزرهم، ويُصلح بتفقدك أمرهم، ويقِفْ على الطاعة سِرهم وجهرهم؛ ويُيسِّر لهم أسباب المصالح ويُسهِّلها، ويَنمِّ لمطالبهم أحكام المِأمان ويَجَلِّها؛ وأُصِفْ لجميع ذكركم من سابق في التَّقدِمة مثال، ومُخْلِص في المشايعة ومُوالٍ، متاهِل إحسان أمير المؤمنين الطامية الجمَام، المتعرَّضة مواردها العذبة لأدواء كافَّة الأثام؛ فهم أنصار الدولة وأعوانها، وأبناء الدعوة وخُلصاؤها ونُجَّمان الملكة وقُوسانها؛ وتَجِدُّه خلاصها عند اعتراض الكُروب، وسيُوفها المذتربة الفاطمية الغُروب؛ وأُسِّتْها المتوغَّلة من الأعداء في سُوداء القلوب، وحِزْبُها الذي أذن الله بأنه الغالب غير المغلوب؛ ولكلٍّ منهم منزلة من التقديم، وموضعه من الاشتغال بظلِّ الطول العيم، وعمله من الفناء ومكانته من الكفاية الذي بلغ إليه فسده. فرتب كلًّا من المقدِّمين في الموضع الجدير به اللائق، وأوضح للوقفين أنوار مرشدك ليُلحَق بتهذيبك السَّكِّيت منهم بالسابق.

والوصايا متيسِّمة النِّطاق، متشعبة الإشتقاق؛ ولم يستوعِبْ لك أمير المؤمنين أقسامها، ولا حاول إتمامها: للاستغناء بما لك من المعرفة التي غدت في استنباط حكم السياسات أكبر معين، والفطرة النفسية التي تُملك من كل فضيلة بأغزر معين؛ ولا يزال يُعْنَى لبصيرتك من أنوار السيد الأجلِّ الملك الصالح - أدام الله قدرته -

(١) لله وأصف بجمع من ذكركم من سابق الخ . تأمل .

(٢) في الأصل "أعلاخها" . تأمل .

الى لا تَبَحِّجُ للبصائر لَامَعَه، ولِحَاسِنِ الأفعال وَغُرَرِهَا جامعَه؛ ماتسعين بأصواتها
على الغرض المطلوب من الإصابة وأكثر.

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وإنعامه عليك؛ فقلقه من الشكر بما يكون للزَّيد
سببا مؤكداً، ويضدُّ الإحسان معه مُرتداً مُجُهداً؛ وأبذلُّ جهلك فيما أرضى الله
وأرضى إمامَ العصر، وثابر على الأعمال التي تُناسبُ فضائلك المتجاوزةَ حدَّ الحصر؛
والله يعضدك بالتوفيق، ويُمهد لك إلى السعادة أسهلَّ طريق؛ ويُهف في الحرب
عزائمك، ويُمضي في الأعداء صواريخك؛ ويضاعفُ لك موادَّ النصر والتأييد، ويُخصَّصُ
بناءَ تمجِّدك بالإعلاء والتشديد؛ إن شاء الله . والسلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاته .

قلت : والذي يظهر أن مما كان يكتب في دولتهم على هذه الطريقة سِيَّلاتِ
كبار نياباتهم، حالَ استفعال الدولة في مبادئ أمرها، قبل خُرُوج البلاد السابعة
عنها واستقلالها من أيديهم: كدمشق ومضافاتها من البلاد الشامية قبل خُرُوجها
عنهم لبني أرتق في زمن المستنصر أحد خلفائهم، وكأفريقية وما معها من بلاد
الغرب قبل تغلب المعز بن باديس نائب المستنصر المتقدم ذكره بها وقطع الخطبة
له؛ وبحزيرة صقيلة من جزائر البحر الرومي قبل تغلب رجار أحد ملوك القرمج عليها
وآترائها من أيديهم في زمن المستنصر المذكور أيضاً؛ فإنَّ مَشَقَّ وأفريقية وصقيلة
كانت من أعظم نياباتهم، وأجل ولاياتهم؛ فلا يبعد أن تكون في كتابة السجلات
عندهم من هذه الطبقة .

(١) في الأصل "فاستد" . تأمل .

المرتبة الثانية

(من المنصب الأول من سِجَّلات ولايات الفاطميين أن يُفْتَح السِّجْلُ
 بالصدور، فيقال : « من عبد الله وولَّيه » إلى آخر التَّصْلِيَةِ ، ثم يُقْرَأ بالتَّحْمِيدِ
 مرةً واحدةً ويُقْرَأُ في الباقي بنفسيةً متَّقدِّم ، إلا أنه يَكُونُ أَخْصَرَ
 مما يُقْرَأُ به مع التَّحْمِيدَاتِ الثَّلَاثِ)

ثم هي إما لأرباب السُّيُوفِ أو لأرباب الأَقْلَامِ من أرباب الوظائف الدِّينِيَّةِ
 والوظائف الدِّيوانِيَّةِ .

فاما السِّجَّلاتُ المَكْتَبَةُ لأرباب السُّيُوفِ ، فن ذلك نسخةٌ سِجِّلٌ بولاية القاهرة
 من هذه الرتبة : رِفْعَةٌ قدر متولَّيها حينئذٍ ، وهي :
 من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعدُ ، فالحمد لله رافع الدَّرَجَاتِ ومُعْلِيها ، ومُؤَلِّي الآلَاءِ ومُؤَالِيها ، ومُحْسِنُ الجِزَاءِ
 لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، ومُضَاعِفُ الحَبَاءِ لِلَّذِينَ لَا يَنْتَقُونَ عَنْ طَاعَتِهِ حَوْلًا ، وَمُنِيلُ أَفْضَلِ
 الْمَوَاهِبِ وَمُحَوِّلُهَا ، وَمَتِّمُ النِّعْمَةِ عَلَى الْقَائِمِ بِشُكْرِهَا وَمُكَنِّهَا ، مُنْجِ الْمُنِزِ السَّالِقَةِ
 بِنِظَائِهَا وَأَشْكَالِهَا ، وَالْمُجَاوِزِ عَلَى الْحَسَنَةِ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدِّنا مُحَمَّدٍ
 رَسُولِهِ الَّذِي أَقَامَ عِمَادَ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَرَفَعَهُ ، وَخَفَضَ بِجِهَادِهِ مَنَارَ الْإِلْحَادِ وَوَضَعَهُ ،
 وَأَرْعَمَ عِبْدَةَ الصُّلَيْبِ وَالْأَوْثَانَ ، وَنَشَرَ فِي أَفْطَارِ الْمُلْكَةِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ؛
 وَكَشَفَ غَيَاطَ الضَّلَالِ بِأَنْوَارِ الْهُدَى الْإِلَامَةِ ، وَهَتَكَ حِجَابَ الْكُفْرِ بِرَاهِنِ
 التَّوْحِيدِ الصَّادِمَةِ وَسُيُوفِ النُّصْرَةِ الْقَاطِعَةِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَيْنَا
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، سَيْفِ الْحَقِّ الْمَاضِي الْمَضَارِبِ ، وَبَحْرِ الْعِلْمِ الْعَالِمِ

النجج والعوارب ؛ ومعين الحكمة المذهب المثارع ؛ والمخصوص بكل شرف باسقى
وفضل بارع ؛ وعلى آلهما سادة الأنام ، وحماة سرح الإسلام ؛ وموصى حقائقي
الدين ، وقاهري أحراب الملحدين ؛ وسلم ومجد ، وضاعف وجد .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله من شرف المحمد والتجار ، وتوجه به من تيجان
الإمامة المشرقة الأنوار ، وألقاه إليه من مقاليد الإبرام والنقض ، وأنه إياه من
الخلافة في الأرض ، والشفاعة في يوم العرض ؛ وعده به من إيضاح سبل الهدى
اللامعة ، وهتك حجاب الكفر يرايين التوحيد الصاعدة وسيوف النصر القاطعة ؛
إلى الأنام ، وأطلعه عليه من أسرار الحكمة بمناجاة الإلهام ؛ وأقامه له من إعلاء منار
الملة وتقويم عماد الحق ، وأمد به آراءه من العناية الربانية فيما جل ودق ؛ وأمضاه
له في الأقطار من الأوامر والنواهي ، وأفرده به من الخصائص الشريفة التي يقصر
عن تمديدها إسهاب الواصف المتناهي ؛ ويسره لإرادته من اقتياد كل أبي جامع ،
وحبيه إليه من استعمال السيرة المستدنية من المصالح كل بعيد نازح - يضاعف بهاء
أيامه بأصطفاء ذوي الصفاء ، ويزيد في بهجة زمانه باستكفاء أولى الوقاء ؛ ورفع منازل
المعروفين في الولاء إلى غايات السناء ، وبئيل المخلصين من الحياء ، ما يدل على مواضعهم
الخطيرة من الإحتياج ؛ ويُسند معالي الأمور ، إلى الأعيان الصدور ؛ ويعلق
الولايات الخطيرة ، بمن حُصت منه الآثار والسيره ، وأظهر تغاير الأمور ما هو عليه
من خلوص النية وقائه السيرة ؛ وأستولى على جوامع الفضل وغاياته ، وقصرت همم
الأكفاه عن مماثلته في الفناء ومساواته ؛ وألقت إليه المناقب قياد المستسلم المسلم ،

(١) جمع عارب أو عاربة . يقال ماء عرب كثير ونهر عرب وبئر عربية كثيرة الماء والفعل من كل ذلك

عرب عرباً فهو عارب وعاربة . انظر اللسان ج ٢ ص ٨١ .

(٢) متعلق بإيضاح سبل الهدى فتنبه .

وأعجز تعديد محاسنه البارعة كل ناطق ومنكلم، وسمت همته إلى آكتساب الفخار،
وأستكمل فنون الحماد فحصلت لديه حصول الأقتناء والإدخار؛ وفاز من كل مأثرة
بالنصيب الوافر المثل، وتسوّفت إليه الرتب السنية تشوّف [من] رآته لها دون
الأكفاء أهلاً؛ وكفى المهمات يحنّان ثابت وصدر واسع، وقربت عليه أفعاله
المرضية من الميامين كل بعيد شاسع، ووسم جلائل التصرفات بما خلفه بها من
مستحسن الآثار، وخلصت مشايخته من الأكدار خلّ في أثير عمل من الإيتار،
وجارى المبرزين من أرباب الرياضات فسبق وأبر، وأحرز جميل رأي ولي نعمته
فيها ساء وسر.

ولما كنت أيها الأمير المعني بهذا الوصف الرفيع، المخصوص من مقارحه بكل
رائع بديع، الحال من الإصطفاء في أقرب عمل وأذناه، المرتقى من الرياضة أشفخ
مكاتب وأثناء، الأوحّد في كل فضيلة ومنقبه، الكامل الذي أوجب له الكمال
صعود الجدّ وسمو المرتبة، المصلح مايرد إلى نظره بالتدبير الفائق، الشامل مايمدق به
بحزمه الذي لا تخفى معه البواطن؛ أجمع على شكر خصائصه وخلاله، الفائت جهد
الأعيان الأفاضل بفقو استغلاله، المعتم من المشايعة بالسبب المتين، المتميز على
الأكفاء بآثره الماثورة وفضله المئين؛ وما زالت مساعيك في طاعة أمير المؤمنين
توجب لك منه المزيد، وتستدعي لمزيتك من جميل رأيه مضاعفة التشديد؛
وتخصك من الإجابة بالنصيب الوافر الجزيل، وتبذلك من تسأج النعم ما يوفى على
الرجاء والتأمل.

وقد باشرت جلائل الولايات، وعديك بك أنعم المهمات، فاستعملت السيرة
العادلة، ووسّست السياسة الفاضله؛ وجمعت على محبتك القلوب، وبلغت الرعية

من إفاضة الإنصاف كل مؤثر ومطلوب، وإذا برقت بارقة فلق، ونجم ناجم من مرّدة المراق، كنت الوليّ الوفي، والمخلص الصفي، والمدايع عن الحوزة بجهاذه، والمجاهي عنها بمأضي عزّمه وصادق جلّاده، والباذل مهجته دون ولي نعمته، والجاهد فيما يحظيه بنائل موآته وتأكّد أزمته؛ وتجلي ظلام الخطب الدامس بحسامه، ومزبّل الخطب الكارث برأيه وأعتامه؛ ومواقفك في الحروب، تكشف الكروب، وتروى من دماء الأبطال ظلمات التروب؛ وتورد مسان اللذن العاسل، ويريد الكميّ الباسل، وتحمّك طلب المناصِل، في الهامات والمفاصل؛ وتستبيح من مهج الأقران كلّ مصون، وترميم من قوارع الدمار بضروب تنسعة الفنون، فأتارك في كل الحالات مجوده، وشرائط الأصطفاء فيك فاضلة موجوده. وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووزيره، وكافل ملّكه وظهره؛ السيد الأجل الملك الذي فائى عليك شاء وسع فيه المجال، وخصك من شكره وإحامه بما أفاض عليك حلّ الفخر والجبال؛ وقرر لك الخدمة في ولاية القاهرة المحروسة. فتقلّد مقلدك أمير المؤمنين من ذلك : عاملا بتقوى الله الذي تصير إليه الأمور، ويعلم خائنة الأئمن وما تخفي الصدور؛ قال الله في كتابه المبين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأعلم أنّ هذه المدينة هي التي أسس على التقوى بُنائها، وهما الفضيلة التي ظهر دليلها ووضح برهانها : لأنها خصت بفخر لا يدرك شأوه ولا تدرك آمادها، وذلك أنّ منارها لم يدكر عليها إلا أئمة الهدى آباء أمير المؤمنين وأجداده؛ ثم إنّ الحرم الذي أحضى تهديسه أمرا حتما، وظل ساكنه لا يتخلّف طلب ولا هضا؛ وغدت

النعمة به ممتمة مكّلة ، والأدعية في بيوت العبادات به مرفوعة مقبلة : القُرب من أمير المؤمنين باب الرحمة ومعين الخلافة ، وثمره النوبة وسلالة الرساله ؛ فأشتمل كافة الرعايا بها بالصيانة والعناية ، وعمهم بتأم الحفظ والرعاية ؛ وأبسط عليهم ظل العدل والأمنه ، وسرفهم بالسيرة العادلة الحسنه ؛ وساو في الحق بين الضعيف والقوى ، والرّشيد والقوى ، والمسلّي والذمي ، والفقير والغني ؛ وأعتمد من فيها من الأمراء والمميزين ، والأعيان المقدمين والشهود المعدلين ؛ والأمانيل من الأجناد ، وأرباب الخدم من القوّاد بالإعزاز والإكرام ، وبلغهم نهاية المُرَاد والمَرَام ؛ وأقم حدود الله على من وجبت عليه بمقتضى الكتاب الكريم ، وسنة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتفقّد أمور المتعishين ، وأمنع من البخس في المكاييل والموازين ؛ وحذّر من فساد مدخل على المطاعم والمشارب ، وأنتهج في ذلك سبيل الحق وطريق الواجب ؛ وأحظر أن يخلو رجل بأمرأة ليست له بحرم ، وأقفل في تنظيف الجوامع والمساجد وتزيينها عن الإبتذال بما تمزّ به وتكرم ؛ وأشدّد من أعوان الحكم في قود أباة الخصوم ، وأعتمد من نصرة الحق مانق به النعمة عليك وتكوم ؛ وأوعز إلى المستخدمين بحفظ الشارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ وواصل التطواف في كل ليلة بنفسك في أوفى عتد ، وأظهر عتد ؛ وأنته في ذلك وفيما يماريه إلى ما يشهد بجتهادك ، ويزيد في شكرك وإحادك ؛ والله تعالى يوفّقك ويُرشدك ، ويسدّدك في خدمة أمير المؤمنين ويسعدك ؛ فاعلم ذلك وأعمل به ، وطالب مجلس النظر الأجلي الملّكي بما تحتاج إلى علمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كان يكتب سبيل ولاية الشريعة من أعمال الديار المصرية دون غيرها من سائر الولايات ، إذ كانت هي خاص الخليفة كالجيزية والتنفوطية الآن ، وكان واليها هو أكبر الولاة عندهم لذلك .

وأما الوظائف الدينية .

فنها — ما كَتَبَ به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية قاض :

من عبد الله وولَّيه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى
القاضي المؤمن الأمين ، علم الدين ، خالصه أمير المؤمنين ، وفقه الله لما يرضيه ،
وسنده فيما يدره ويأتيه ، وأعانه على ما عُدق به وولَّيه .

سلامٌ عليك فإن أمير المؤمنين محمدٌ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلِّ
على جده سيد ولد آدم ، وعالم كل عالم ، ومُتْقِن كلمة المتقين على اليقين ، ومُعَلِّ مَنَارِ
الموحدين على المُلْحدين ؛ صلِّ الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وعلى أُمراء المؤمنين ،
صلاةً تتصلُّ في كلِّ بَكْرَةٍ وأصيل ، ويُبْعَثُ أهل الفضل وأهل التحصيل ؛ وإلى
وجتد ، وعظم ومجد ، وكرّر ورتد .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله إياه من نَقَاز حُكْمِهِ وَمَضَاءِ حُكْمِهِ ، وفوضَه إليه
من إمامة أمته ؛ وأفاضه عليه من أنوار كَشَفَتْ غَمَامَةَ كُلِّ عُتْمَةٍ ، وشَرَدَتْ بَعْنَهُ
من بَسْطَةِ ظُلْمٍ وَسَطْوَةِ ظُلْمَةٍ ؛ وأظهره له من حَقِّ نَصَبٍ لِلنَّصْرِ عَلَيْهِ وللهداية
عَلَيْهِ ؛ وأيدَه به من كُلِّ عَزْمَةٍ فَتَكَتْ بِكُلِّ أَزْمَةٍ ، ووَكَّلَ به هِمَمَهُ من إتمام نِعْمَةٍ
وَأَبْتَدَاءِ نِعْمَةٍ ؛ وأطلق به يَدَهُ من مَعْرُوفِ رَوْضِ الآمالِ صَوِّبٌ مِنْوَارِهِ ، وبَدَتْ
على الأحوال آثارُ إِيثارِهِ ؛ وأخذ به انْخِصَابُ مِنَ الْمَحَلِّ ثَارَهُ وَأَسْتَقَالَ به الرِّخَاءُ
من وَهْدَاتِ عِتَارِهِ ؛ وعَضَّدَ به أَفْصَالَهُ من أمور التوفيقِ أَتْبَاعًا وَأَقْنِصَابًا ، وألهمه
من مَوَالِدِهِ الْآلَاءِ الَّتِي لَا تُكْتَسَبُ عَهْدُهَا أَقْنِصَاءٌ وَلَا أَقْنِصَابًا ؛ ويسر له عَزِيمَةَ
من الآراء الَّتِي لَا تُكْتَسَبُ إِلَّا حَمْدًا أَوْ تَوَابًا — يَخْتَصُّ بِإِحْسَانِهِ مِنْ يُنْصَحُ الْإِخْتِبَارِ
على أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْأَخْتِيَارِ ؛ وَتَفِيضِ الْأَحْوَالِ مِنْ حَوَالِي أَوْصَافِهِ مَا يُدِيمُ الْمَطَارَ

في الأوطار، ويُنم على النعمة بإهدائها إلى ذوى الاستنجاب، ويصطنع الصنيعة بإقرارها في مقارن الاستطابة والاستنجاب؛ ويرشح لخدمته من عُرف ذكره بأنه فائح، وعرفه ناصح ناصح، ويؤي جنان إضامه من أحسن عملا، وأستحققت منزلته من الكفاية أن تكون له بدلا، ولم تنف تصرفاته في كل الأحوال عنها حولا؛ ودرجته خصائصه العلية فاقعد صهوات الدرجات العلى، وأستحق بفضل تفضيله أن يؤلى الجليل جملا، وعرضت خلاله على تعيين الاستقاد فاقضاها ولا يتضاها، وزويت مسالك الفناء بصدره قضاها قضاها.

ولما كنت أيها القاضى المشتغل على هذه الخلال أشغال الروض على الأزاهر، والأفق على النجوم الزواهر، والمقود على فاجر الجواهر، والخواطر على خطراتها انخراط، والخواطر على ما تصافح من الأنوار وتباشر؛ المضى من كل وصف حسن، المتبوع الأريب بما فرض من المحاسن ومن الكالى ما تستحفظ بعين كفاية لأبصار أجهلتها ومن الأمين الذى تريه أمانته متاع الدنيا قليلا، وتضعبه ناظرا عن نصارتها قليلا؛ المؤيد دينة على دنياه؛ المطيع الذى لا يسأل العصبة عن هواه، المخلص النية فى الولاء و"لكل أمرئ ما نواه" الناصح الذى يتر ما يلبسه عن لباس الرتب، البعيد عن مظان الظنون فلا تتطلع الأوهام منه على عيب غيب؛ النقي الساحة أن يقرس بها وجهه، النقي الذى لا تمخد يده عن التمسك ما استطاع بجبل عصمه؛ المحتوم الحقوق بأن يستودع دهر الوفاء، المتوسل بموات تؤجب له الإيفاء على الأكفاء؛ المستقيم على مثل الظهيرة كهلا وبافعا، الشافع بنفسه لنفسه وكفى بالاستحقاق شافعا؛ وحسبك أنك حملت الأمانة وهى حفظ الكتاب، وأطلق الله به لسانك فشقيت القلوب من الأوصاب، ووصل به سببك إلى رحمة يوم

تقطع الأسباب ؛ وأصبح محلك في الدارين أهلاً أثيراً ؛ وكنت من قال الله فيه :
﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ ﴾ .

وقد خالطت في موآكب أمير المؤمنين المعقبات التي من بين يديه ومن خلفه ،
وقربت من مجالسه المشتعلة منه على عنوان عناية الله بالبرية ولطفه ، ونوره الذي
كلت الشبوع عن كشفه والحيل عن كشفه ؛ وتهدمت بخدمة الخلفاء الراشدين ،
أمراء المؤمنين ، إلى سوايق سبقت بها في كل مضار ، وجمعت في الخلاصة فيها
بين الإعلان والإخفاء ؛ وسبر التجرب حالك بصانف خبره ، واستمرت بك
الحال في القرب منهم وفي تقلب الأحوال غيره ؛ وتمتجت في عجب القصور ،
وبدت لك الغايات فما كنت عنها ذا قصور ؛ فكانت التقدمة لك مظنونة وبك
مضمونة ، وسررتك على الأسرار المصونة مأمونة ؛ وما أعوجت معالم إلا وكان
تقويمها بتقويمك ، ولا استيقظت حيلة تخاف الحق سبيل غيا بهويك ؛ وإن كل
قائل لا يملك من إصغاء أمير المؤمنين ماتمك بتلاوة الذكر الحكيم ، ولا يملك من قلبه
ماتسلك بمعجز جده العظيم ؛ فانت تحلم أمير المؤمنين بقلبك مواليا ، ولسانك
تاليا ، وبظنك مؤتمنا ، وبيدك مختارنا ؛ لاجرم أنك حصنت مازرعت طيبا ، وسقاك
ما استمطرت صيبا ، وزفت لك الأيادي يثرا وثيبا ، وحلت يقاع المنازل مستأبنا
إذا حل غيرك وهذاتها متيبا .

فأما حرمك التي بؤاتك من الاختصاص حرما ، وجعلتك بين انخواص علما ؛
وتوالى يدك بلبس ما حظي من الملابس بصحبة جسده الطاهر ، وأتمم على زهر
النضار وزهر الجواهر ، فذلك جار مجرى السكة والدعوة في أنها أمانة تم العباد
والبلاد ، وهذه أمانة تحبس النفوس والأجساد ؛ ولك مما في خزائنه وكالة التخير

والتميز ، وعن أغراضه الشريفة سفارة الإفراج والتغير ؛ وهذه موات تجعل سماء
السّاح لك دأمة الدّيم ، وتُسكن آمالك في حرم الكرم ؛ وتقعد بينك وبين السعادة
أوكد الدّيم ، وتتقاضى لك جدود الجدة يقدم الخدم .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ، الذي زهى الزمان به قتاه ؛ ووزيره ، الذي
عزّه به مئنه وسيره ، السيد الأجل أفضل الملوك قدرا ، وأكثرهم قدرة ، وأعظمهم
صبرا ؛ وأدربهم نصرة ، وأفيضهم جودا عمرا ، وأكشفهم لغمة ، وأمضاهم على الهول
صدرا ، وأردعهم لكزه ، وأثبتهم جاشا وصيل السيوف والمقاتل تسمع ، وأوعظهم
في استحقاق المجد حجة شرعتها الزمان الشرع ؛ وأركبهم في طاعة أمير المؤمنين
لمشقه ، وأشدّهم وطاة على من يحمّد نوره وعقّ حقه ؛ فالدينا بمسمة به عن ثور
الشّور ، والملك بكفاته بين ولي منصور وعقد محصور ؛ فاسفرت سفارته عن أنك
من أمثل ودائع الصّنائع وأكفاء الاستكفاء ، وأعيان من يحقّ اختيارهم وفضلهم
العيان ، وأفاضل من هو أهل لإسداء الفواضل ؛ وأن الصنعة ثوب عرك (؟) داره ،
وجار قد عقد بين شركه وبينه جواره ؛ وقرر لك هدية في الحضرة لأنك فارسهم
أسما وفلا ، وأولم حين تتلو وحين تتلى ؛ والنظر على المؤذنين بالقصور الزاهرة ،
والمساجد الجامع ، وبالمشاهد الشريفة : لأنّ الأذان مقدّمة بين يدي القراء ،
وأماره على معالم الإيمان ؛ والنظر في تهويم ما يردّ إلى الخزانة العالية الخاصة والعامة .
من الملابس على اختلاف أصنافها ، والأمتعة على أسلاف أوصافها ؛ ومشافة
خزانة الثّروش ليكمل لك النظر في الكسوات التي تصان لللبوس ، والكسوات التي
تبدّل لللبوس ؛ ونزّن بيت المال الخاص ليكمل لك النظر في الذهب مصوغا
ومرقوما ، ونزّنا وتهويما ؛ وأستصوب أمير المؤمنين ماراه ، وأمضى ما أمضاه ؛
ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء أن يكتب هذا السجلّ لك بذلك .

فأعريف قدر ما عُدَّ بك من أمور دين ودنيا، وخِدم لا تقوى عليها إلا ليلias
التقوى؛ وأنت قد أصبحت لجنات أنتم أمير المؤمنين رضوانا، ويدك للفظ
إحسانه لسانا، وباشر ذلك مستشعرا خشية الله في سرك وجهرك، متحققا أنه
غالب على أمرك؛ مذكرا من الأعمال الصالحة ما سبق عند فناء ذنرك، مستديما
للنعمة بما يقيدك من شكرك، وما يصونها أن تبذل من يشرك؛ علما أن القيمة حيلة
الإيمان، وصحان الأمان، وزاد أهل الحنان إلى الحنان، بقول الله سبحانه في كتابه
العزيز: ﴿ وَتَزِدُّوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ .

وأخلص يتك في خدمة أمير المؤمنين فع الإخلاص الخلاص، وأدله الأمانة
فإن أدامها أطيب القصص يوم القصاص؛ وقم في خدمته المقام المحمود، واستندم
بها صعود ركاب السعد؛ فقد عرفت الله بركة النصيحة وعوايها، وأنجزت لك
الآمال المنبسطة موعدها؛ واستشرف أحوال الفزاء فهم أحق قوم بالتهذيب،
ووزوم أساليب التأديب؛ فمن كان للآيات مرتلا، وللدراسة متبذلا، وبأثواب
الصلاح متمصا، وبخصائص الدين متخصصا؛ ولما في صدره بقلبه لا ليلسانه
حافظا، وعلى آداب ما حفظ محافظا؛ فذلك الذي تُسأفه تلاوته القلوب، وتروض
بأنواء المدامع جُذوب الذنوب؛ ومن كان دائم الإطالة في سفر البطالة، سائرا لأقوار
المعرفة بظلم الجهالة؛ فحق عليك أن تصرفه وشيعه، وتجعل التوبة للعود موعده؛
وكذلك المؤذنون فهم أنساء الأوقات، ومتفاضون دُيون الصلوات؛ ولا يصلح
للتأذين إلا من كلت أوصاف عدالته، وأمنت أوصاف جهالته .

وأما الأمانة في الأموال التي وكلت إلى خزك وختمك، والأمانة التي وكلت
إلى هويك وحكمك؛ فإن تؤدي بسُلوك أخلاقك وهي الأمانة، وأتباع طباعك

وهي الإباء للحيانة؛ وأن تستمر على وتيرتك، ومشكور سيرتك، ومشهور سريرتك،
ومُتبر بصيرتك؛ وأن لا تُؤتى من هوى تبعه، ولا حيف تبعه، ولا قوى تُفقد له،
ولا ضعيف تُفقد له؛ ولا من محابة وإن أحببت، ولا من مُداجة كيفما تَهَلَّتْ؛
وأذكر ما يُنزل من آيات الله في مثلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾
والله يتولى توفيقك وتوفيقك، ويُديم [على] ما يُحببُ تصرُّفك؛ إن شاء الله تعالى .

ومنها - ما كتب به القاضى الفاضل أيضا، وهى :

من عبد الله وولَّه (إلى آخره) .

أما بعد، فإن رتب الولايات متفاوتة الأقدار، متباينة الأخطار، وكل شيء منها
عند أمير المؤمنين بمقدار؛ ولها رجال مشرفو الأقدار، ومَحَامِلُا بحضرته مقدرة تقدير
منازل الأقدار؛ ومَحَامِلُ الأولياء بمقامه محال الأهلّة تنقل بين أول النماء إلى آتئاء
الإبداء؛ ومن أمتها قدرا، وأحقها بأن يكون صدرا، وأن يشرح لمن حلّه صدرا،
وأن يسوق إليه الخطأب من استحقاقه مهرا؛ ولأية مدينة مصر: لأنها المجاورة لمحل
الخلافة، وكل مضر بالنسبة إليها معها بالإضافة؛ وهى خِطّة النيل، وفُرْضة النيل؛
وبها إذا هجمت الخطوب النيل، ومنها من عثرات الأيام المقييل؛ ومنها تؤنس
أنوار الإمامة على أنها تتوَحَّح بنير التأميل وبته التأميل، ولا يؤهل لولايتها إلا كل
حامل لبئها الثقيل؛ ولا تستند الخدمة فيها إلا لكل مؤثر من ذخائر السياسة غير فقير
ولا مقل، ولا يتوقّل رُتبها إلا من تكون به الرتب مُتبرة ومحاسنه لا تملّ محامِل؛
ولا يمتطى صهوتها إلا من لا يبطأطن للأطماع عزة نزاهته ولا يُنذل، ولا يرتقى درجاتها
إلا من يتهدى بأعلام الديانة التى لا تُفصل، ولا يُقرأ بحيلها إلا لمن يعطوي مظالم
الرعية طمّ الكتاب للسير .

ولما كنت أيها الأمير من توقّدت هذه الأوصاف فيه توقّد النار في ذرى عيها ،
وأوجد معاني معاليها وأقنعا من إسار عديها ؛ وأرتقي إلى هضبات الرياسة المنبئة
بما جعل خلاله المسلم فضلها مثل سلمها ، وناولته الدرایة عنائی سيفها وقلمها ؛
وشهدت الأيام بتقدّم قدمه في مراتبها وقديما ، وأمنت الصواب أن ينبع أفعاله
إذا أمضاها بيب (٤) بئما ؛ وكتبته أقلام رماحه سطور الطعن في صدور العدا
مستمدة من دمها ؛ وتجمّش مشقات المألى فآثرته نغى راحة بجسمها ؛ واجتمعت
فيه صفات المحاسن المتفرقة ففضى عليها بتجسيمها ؛ وتصدّر الدرجات المحصنة
من مطالع الحاضر لحظه من رقتها ونسيمها ؛ وتعرضت ذخائر المحامد لما في طبعه
من اقتناصها وتعيمها ؛ وقزت عين المنازل فما زوت وجه إقبالها ولا بسطت راحة
تظلمها ، وأتنت إليه عقائلها المصونة فما ننت دون ديانته عنان تلومها ، وأثرك
في كل ولاية مشكور ، وسعيك في كل غاية غير مقصور ؛ وعناؤك في المهيمات
معدّ مدخور ، ومسايلك عن أيسر ما وصلت إليه مدفوع مدخور ؛ وليل شبّاك
بالكوكب الدرى من صوليك منحور ، وأضالك أفضال من لا يجوز غير محرز كسب
الأجور ، وخلالك خلال من أنتظم في سلك الذين يرجون تجارة لن تبور .

وقد سلفت لك خدم تصرّفت فيها وتدرّجت ، وعُرفت بطهر الذکر من رعيها
وتأرجحت ، وتحوّبت من الأوزار على ما يوقع ذنبك وتحرجت ؛ وجريت على أجل
عاده ، واقتضيت عند آهضاء شأو الإبداء استئناف شأو الإعاده . ومثّل بحضرة
أمير المؤمنين لسان أمره ، وسيف زجره ، السيد الأجل الذى قام بما استكفاه
فاحسن وحسن ، وصان حمى الملك فاحصن وحصن ؛ وجاد بنفسه في سبيل الله
فما ضنّ ، وكان مكان ما أمل عند أصفائه وفوق ما طلق ؛ وسدد قصوده ، فرقت
سهاها وما مرّقت عن طاعته ، وأطلع سموه ، فانارت نجوم لأوليائه ورجوماً لأهل

خلاف خلافته ، وأطلقت أحكام عدل الله في خلق الله أحكام مراماته وسيف
إخافته ؛ فالدينا بين إياته عن ماخذ السراء ، وطلق الجود بما عمله يده من
قبود الإحسان في عداد الأسراء ؛ ورضا أمير المؤمنين عنه كافل له بأن يرضى الله
في الأعداء، وملوك الأرض إن فلت السماء (؟) طيبة أنفسها له بالفداء ؛ والدنيا متأرجة
بطيب خبره ، والعلواء متبرجة بحسن نظره ؛ وبحار التدبير لا تخارق زبد أمواجها
إلا بفانرجوهره ، وقوانين السيادة لا توجد مسندة إلا عن اتباع أثره ؛ ولاحظ
لحاربه إلا سلمه بشاره وتسلمه بعثه ، فأنى عليك بحضرته وإصفا ، وثنى إليك
عنان عنايته عاطفا ، ورأى قلبك ولايتها مغربا باستحقاقك طارفا - خرج أمر
أمير المؤمنين إليه بأن يؤمر إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليدك
ولاية المعونة والحسبة بمدينة مصر والحيزة والقرافة ، إنافة بك عن النظراء ، وإبانة
عمالك من جميل الآراء ، وقطرية لحظك بما حصل به من الإطراء ، ورعاية
لما لك من الانتهاء إلى أقصى غايات الإحسان والإجراء ، وإصافا لما تتوسل به
من العناء ، وذخائر الغناء والإثراء ، وإشادة لقدرك الذي أشاده ما أنت عليه من
الإبواء إلى ظل التزاهة والاستيناء .

فقل ما قلته من هذه الخلمه ، وأرقل بما صفا عليك من ملابس هذه النعمة
وبما صفا لديك من موارد هذه الجمة ؛ وقدم تهوى الله أمامك ، وأتبع وصيتها
التي استعمل الله بها إمامك ؛ فيها النجاة مضمونه ، والرحمة متيقنة لا مظنونه ؛ قال
الله سبحانه في كتابه المكنون : ﴿ وَيُحْيِي اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِحَقِّانِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

وأعتمد المساواة بين الناس فيما هو حكم ، والنظر بالعدل في كل ما هو ظلم ؛
ولا تجعل بين الغنى والفقر في الحق قرعا ، وأسلك فيهم طريقا واحدا فقد ضل

مَنْ سَلَكَ فِيهِمْ طَرَفًا، وَاشْتَمَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِطَمَآنِينَةٍ تَنْتِمِ الْأَخْبَارَ وَتُوقِفُ الْأَشْرَارَ،
وَأَمْنِيَّةً تَسَاوِي فِيهَا بَيْنَ ظِلَامِ اللَّيْلِ وَنُورِ النَّهَارِ: لَتَكُونَ وَلَا يَتُوكَ لَمْ يَمُوتَا، وَمَوَدِّعَا
لُتُغَوِّرَ الْأُمُورَ مَبْسِيًا، وَأَنْصَفَ الْمَظْلُومَ وَأَقْبَعَ الظَّالِمَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ زَعِيمًا بِمَجَانِبِهَا فَالْزَعِيمُ
لَهَا غَارِمٌ، وَأَنَّهُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَحَسْبُكَ
أَنْ تُعْرِفَ بِهِ وَتُذَكِّرَ، وَخُذْ فِي الْحُدُودِ بِالْإِعْتِرَافِ أَوْ الشَّهَادَةِ، وَلَا تَعْتَدْ حُدُودَهَا بِنَقْصٍ
وَلَا زِيَادَةٍ، وَكَمَا تُقِيمُهَا بِالْبَيِّنَاتِ، فَكَذَلِكَ تَدْرُؤُهَا بِالشُّبُهَاتِ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ وَوُجُوهِهَا، وَكُلِّ سَامِي الْأَقْدَارِ نِيْمِيهَا، وَأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ،
وَالْمَعْدُودِينَ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْلَامِ، وَالْمَعْدُلِينَ الَّذِينَ هُمْ مَقَاطِعُ الْأَحْكَامِ، وَالتَّجَارِ
الَّذِينَ هُمْ عَيْنُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالرَّعِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ قِيَامُ الْعَيْشِ فِي الْآيَامِ، مَنْ يَلْزِمُكَ
أَنْ تَكُونَ لَمْ تُكْرِمْ، وَإِلَّا بِالتَّهْمِ مُحْكَمًا، وَمِنْ ظُلْمِهِمْ مَتَجَرِّبًا مَتَأَمَّنًا، وَلِسَانُهُمْ
فِي الشُّكْرِ عَنْ لِسَانِكَ مَتَكَلِّمًا، وَإِلَى قُلُوبِهِمْ بِجَمِيلِ السَّيَرَةِ مَتَحَبِّبًا، وَلَسَاخُطُهُمْ - مَالِمْ
تُخْطِطُ اللَّهُ - مَتَجَنَّبًا. وَأَشَدُّ مِنَ الْمُسْتَخْذِينَ بِيَابِ الْحُكْمِ فِي إِتْخَاصٍ مَنْ يَتَقَاعَدُ
عَنِ الْحُضُورِ مَعَ خَصْمِهِ، وَيَتَّبِعُ حُكْمَ جَهْلِهِ فَيُخْرِجُ عَنْ قَضِيَّةِ الشَّرْعِ وَحُكْمِهِ،
وَأَوْعِزُّ إِلَى أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ بِاطِّلَاعِكَ عَلَى الْخَفَايَا، وَإِبَانَةِ كُلِّ مُسْتَوْرٍ مِنَ الْقَضَايَا،
وَأَنْ يَتَّقُوا لَسَانَاتِ اللَّيْلِ وَغَفَلَاتِ النَّهَارِ، وَخُدُّهُمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا آتَمَرُوهُ مِنَ الْحَرَسِ
مِنْ مَكَايِدِ الْأَلُوصِ وَاللُّوَارِ، وَأَقِظْهُمْ لِأَنْ يَتَّقُوا قُرْبًا أَجْنَى تَعْمَرُ الْأَمْنِ
مِنْ غَرَسِ الْحَذَارِ، وَإِذَا ظَلِمْتَ بِيَمَانٍ قَدْ أَوْقَعَ عَمَلُهُ، وَطَمَحَ إِلَى الْقَسَادِ أَمَلُهُ،
فَأَجْمَعْ لَهُ بَيْنَ التَّنْكِيلِ وَالتَّوَكُّلِ، أَوْذَى رِيَّةٍ إِنْ زَادَ رِيَّةً بِالْجُلُوسِ الطَّوِيلِ،
وَالْإِفْطَالِ بِأَمْرِهِ إِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْقَبِيلِ. وَوَاوِصِلِ التَّطَوُّافَ فِي الْعَدَدِ الْوَافِرِ،
وَالسَّلَاحِ الظَّاهِرِ، فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا، وَعَمِّرْ بَيْرُكَ سَائِرَ أَرْجَائِهَا وَأَكْثَافِهَا.
وَأَنْظُرْ فِي الْحَسْبَةِ نَظْرًا مَنْ يَحْتَسِبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَأَنْقِ وَمَنْ يَرْغَبُ فِي الْأَجْرِ

وَيُفْرِضُ عَنْ شِعَارِ لِبَاسِ التَّوْبَةِ وَاللَّبْسِ . وَأَمْنَعُ أَنْ يَخْلُوَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ
تَحَرِّمٍ : لَتَكُونَ قَدْ سَلِمْتَ وَسَلِمْتَ مِنْ شُبُهَيِّ الْمَطْعَمِ وَالْمَطْعَمِ . وَأَسْتَوْضِحُّ آلاَتِ
الْمَاعَمَلَاتِ ، وَغَيْرَهَا فِيهَا تَخَفُ الْمَوَازِينِ أَوْ تَرَحُّحُ (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتُ) . وَأَعْتَمِدُ فِي تَهْذِيبِهَا وَتَصْوِيبِهَا مَا تُحْسِنُ فِيهِ لِلنَّاسِ وَالْمُحْسِنِ ، لِأَنَّكَ
تُكْفَى أَحَدَهُمَا عَنْ عَمَلِ الْمَتَاهِفَاتِ وَعَنْ الْمُهَوَّبِ الْمُنْعَنِ .

وَتَقْدِمُ بِنَفْسِ الْأَذَى عَنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ ، وَأَنَّهُ أَنْ تَحْمَلَ دَابَّةً أَكْثَرَ مِمَّا تُطِيقُ ؛
وَتَفْقِدُ الْجَوَامِعَ وَالْمَسَاجِدَ بِالنَّظِيفِ إِبَانَةً بِجَمَالِهَا ، وَصِيَانَةً مِنْ أَسْتِذَاهَا ؛ وَلَا تَمَكِّنُ
أَحَدًا أَنْ يَحْضُرَهَا إِلَّا مُؤَذِّيًا لِلْفَرَضِ أَوْ مُنْظِرًا أَوْ مُتَعَلِّقًا ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا
أَوْ مُسْتَعْمِعًا ، فَإِنَّهَا أَسْوَاقُ الْآخِرَةِ ، وَمَنَازِلُ التَّقْوَى الْعَامِرَةِ ، وَأَجْرُ الْأُمُورِ عَلَى عَادَاتِهَا ،
وَأَسْتَرِيشُدْ فِي طَارَاتِهَا وَمُسْكَلاَتِهَا ، فَاعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة بحيل بولاية قاضي بغير الإسكندرية ، من إنشاء القاضي الفاضل ،
من هذه الرتبة ، وهي :
من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعد ، فالحمد لله الذي نَسَرَّ رَايَةَ التَّوْحِيدِ وَأَعَزَّنِي مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَهَدَانِي بِكَرَمِهِ
مِنْ أَتْبَعِ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، رَافِعِ مَنَارَ الشَّرْعِ وَحَافِظِ نِظَامِهِ ، وَمُجْزِلِ الثَّوَابِ
لِمَنْ عَمِلَ بِأَمْرِهِ فِي تَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ ؛ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، وَسَاوَى
بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِيمَا كَانَ حُكْمًا ، وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) . سُبْحَانَهُ مَنْ خَلَقَ لَمْ يَزَلْ رُفُوعًا
بِرَبِّتِهِ ، عَادِلًا فِي أَقْضِيَّتِهِ ، مُضَاعِفًا أَجْرَ مَنْ خَشِيَهِ وَعَمَلَ بِحِفْظِهِ ، مُوَفِّرًا ذَلِكَ لَهُ
يَوْمَ يَوْمِ الْحُكْمِ لَوْ هَتَدَى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ وَمَا حَبَّتْهُ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ .

بمده أمير المؤمنين أن أفاض عليه أنواراً لم يسه، وتعبد البرية بأن جعلها بطاعته مأمورة وعن مخالفته منيية؛ واستخلف منه على الخليفة القوى الأمين، وأتاه مالم يؤت أحدًا من المالكين؛ ويسأله أن يصل على جدته الذي عم إرساله بالرحمة، وكشف ببعثه كل عثم، وجعل شرعه خير شرع وأتمه خير أمه؛ فأحيا من الإيمان ما كان رميا، وهدى بالإسلام صراطا مستقيما، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْكَافِرِينَ خَصِيًّا﴾ وعلى أئمة أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذي وفر الله نصيبه من العلم والحكمة، وجعل خلافته في أرضه لا تخرج عن فريضة الهداية الأئمة؛ وعلى أئمة الأطهار، وعترتهما السادة الأبرار، الذين ولأئمتهم يحظى بالجنة ومحبتهم تجبى من النار، وسلم عليهم أجمعين [سلاما] باقيا إلى يوم الدين.

وإن أمير المؤمنين لما أفرد الله به من المآثر، وتوحد به من المناقب والمقارن، وخصه بشرفه من الإحسان إلى أوليائه بالإتمام إليهم في الدنيا والشفاة لهم في اليوم الآخر - يرتاد لجلالته انخدم من يسار إليه ويؤى، ويختار لتوليها من يكون بأهملها ناهضا وباعبائها قنوما؛ ويسند أمرها إلى من لا يتأخر في سؤده ولا يتخلف في فضله، ويعلق شئونها بمن عُدت الرئاسة به وبأسلافه من قبله؛ فيكون إذا شرف بها عارف منزلتها ومحملها، ووقع الكفاي على التمثل بقوله: ﴿وَكُنُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

ولما كنت أيتها القاضي المكي من البيت الذي أشتهر قدره، وأدفع ذكره، وحلت رتبته، بأوصاف كل من أهله في قوله وفعله؛ وترددت رياسته، في عدد كثير لاعهد للرياسة بالتردد في مثله؛ وكانت لك ولن مضى من أسلافك آثار في الخدم خلدت لكم مجدا يبق، وأقوت من الحديث به مالا يسمو إليه النسيان ولا يرقى؛

فكل ماتولونه متجمل بكم ولا يُريد معكم زياده، وكل ما يُتمد فيه عليكم قد نال مطلوبه وبلغ الغنية والإرادة ؛ والذي يخرج عن نظركم يتلف عليكم حيناً إليكم وأشتاقاً، وإن ردّ إليكم يأل تشبهاً بكم وتمسكاً واعتلافاً.

هذا إلى مالكم من الحرمات المرعيه، والموات التي ليست بتمسيه. والسيد الأجل الأفضل الذي حسبته من المفاتيح قيامه بحق الله لما غفل الملوك عنه وقصدوا، واستيقاظه بمفرده حين ناموا دون استخلاصه مما عراه ورقدوا؛ وإن انتصابه آية أظهرها الله، وحسم بها في رفع منار الدين كلِّ عليه ؛ فإذا أنفقت الأعمار في [بيان] أوصافه كانت جديرةً بذلك حريه، وإذا ذكرت آثاره في الإسلام كان العلم بكرمها لاحقاً بالعلوم الضرورية؛ فما يُنسب المتوسع في التقيظ له إلى تعالى، ولا تقصيص وقت يقضى في أهتام بالثناء على مناقبه وأشتغال - يواصل الثناء عليك والشكر لك، ويتأجج من ذلك ما إذا ذكر اليسير منه شركك وبملاك ؛ ويصف ما كان لأخيك القاضي المكين - رحمه الله - من الاجتهاد في المناصحات، ومن الأفعال الحسنة والأعمال الصالحات، ومن الوجاهة التي أحلته مكاناً متجاوزاً غاية الآمال الطامحات، مارفقه عن طبقات كثير من سادات الناس، وجعل حاسديه في راحة لما شملهم من دعة الياس. وإليك أيها القاضي المكين، الأشرف الأمين؛ قد بلغت مداه في الجلاله، وورثت نجمه لا عن كلاله ؛ وحويت فضله ونفحه، وفقوت أثره وأحييت ذكره ؛ وحزنت خلاله الجميلة وأفضاله الرضييه، وحصلت الفضيلتين الذاتيه والمرضييه ؛ ولذلك تفرزت ثمرتك « القاضي المكين » لاستيجابك فيما تقضى به جزيل الثواب، وتمكن أفعالك في محل الصواب ؛ و « الأشرف الأمين » لشرف نفسك، وكون أمانتك في حاضر يومك على ما كنت في ماضى أمسك ؛ و « تأج الأحكام » لأن ما يصدر منها ساعى المنهاج، وقد أرتفع عمله كما

أرفع على التاج ، و « جمال الحكم » لأنك لما وليت ماؤلوا ، جعلتهم إذفعلت من الواجب فوق ما فعلوا ، و « عمدة الدين » لأن من كان مثلك ركن إلى الله الدين وأستند ، وتوكل على جانبه وأعتد به ، و « عمدة أمير المؤمنين » لأنك ذخيرة لدولته ، ونعم البقية الصالحة لملكته .

ومعلوم أن ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى - الثغر الرفيع المقدار ، الذي هو قوة العين للإسلام وقدة في عيون الكفار ، وعلمه مما تطامن له معاقل التوحيد وحصونه ، وهو مشتغل من الفقهاء والصلحاء والمرابطين وأهل الدين على من لم يزل يحفظه ويصونه ، وإليه تنقل السفار ، وتردد التجار ، وهو المقصود من الأقطار القصية النائية ، ومن البلاد القريبة الدانية ، وما زالت أحواله جارية بنظره على أحسن الأوضاع وأفضلها ، وأوفى القضايا وأكملها ، وما كان أستخدم غيرك فيه إلا ليظهر إشراف شمسك ، وليزول الشك في تبريكك على جنسك ، ولتبين فضل مبادرتك وتوكل على أن ذلك لم يكن مكتما ، ولتحقق أن عقد صلاحه لا يكون بتولى غيرك متسقا ولا متظلا .

وقد رأى أمير المؤمنين إمضاء ماراه السيد الأجل الأفضل من إقرارك على الحكم والقضاء : لأطلاعك من ذلك على سيرة ، وفانك في جميع أميره ، وتوكل به ودربك ، ولا استقلالك ومضائك ومعرفتك ، وإنك إذا استمرت على عادتك ، غيت عن تجديد وصيتك ، قتاد على سنتك ، ولا تخرج عن سبيلك ومحجك ، وأنت تعلم أن الشهود بهم يعطى الحكم ويمنعون ، وأقوالهم يفصلون ويقطعون ، وبشهاداتهم تثبت الظلمات وتبطل ، وعليها يستمد في آتراح الحقوق ممن يدافع ويمطل ، فواجب أن يكونوا من أتقياء الوري ، ومن لا يتبع الهوى ، فاستشف

أحوالهم، وأستوضح أمورهم وأفعالهم؛ فمن كان بهذه الصفة فأجره على عادته في استماع مقالته، ومن كان بخلافه فقف الأمر على عدالته، وأحجم مادة الضرر في قبول شهادته؛ وقد جعل لك ذلك من غير استئذان عليه، ولا اعتراض لك فيه؛ ولا تحزب أحدا من رتبة العدالة، وأرضها بإزالة الأطلاع فيها عن الإهانة والإذالة؛ وأغضض من أضرار المتطلعين إليها، والمتوسلين عليها، بالتطأرح على الجهات، والتماسها بالعنايات التي هي من أقوى الشبهات؛ وإن ورد إليك توقيع وتركية من الباب فأصدره [في] مطالعتك ليحيط العلم به، ويخرج إليك من الأمر ما فعل على حسيه؛ وأفضل في دار الضرب وأحوال المستخدمين والمتصرفين على ما أنت به العالم البصير، والعارف الخبير.

وقد جعل لك إضافة إلى ذلك النظر في أمر جميع هذا الثغر المحروس وأُسند إليك ووكل إلى صائب تديرك، وإلى حسن تهديك، وإلى بركة سياستك، وإلى عملك فيه بمقتضى دياتك؛ وصار جميع المستخدمين به من قبلك متصرفين، ولأوامرك متوكفين، وعند ما تحذو واقفين، ولما سمك متابعين غير مخالفين؛ فمن أحمده منهم وعلمت نهضته فأجره على عادته ورثته، ومن كان بخلاف ذلك فاستبدل به وأخرج من الخدمة ذكر اسمه؛ فلا يد مع يدك، ولا عدول عن مقصديك؛ والاستخدام في هذا الأمر قد أسند إليك ورد، وكونه من جهة غيرك أغلق بابيه وسد؛ فلا تصرف فيه إلا لمن صرته، ولا خدمة إلا لمن استخدمته.

وتأكيد القول عليك لا يزيدك حرصا، والمعرفة بهمتك وتوكلت عليك عن أن توصي؛ والذي تقدم ذكره في هذا السجل لإرهاق لحدك، وإعلاء لحدك، وإطلاع لكوكب سعدك؛ والله يتولى تأييدك وتوقيعك، ويوضح إلى الخير سبيلك وطريقك؛

فاعلم هذا وأعمل به، وطالع مجلس النظر بأمر خدمتك، وما تحتاج إلى عمله في جهتك. إن شاء الله عز وجل.



وأما السجلات المكتبة بالوظائف الديوانية، فكما كتب به بعض كتابهم بولاية ديوان المرتجع:

لَسَنِي الدولة وَجَلَّالِهَا، ذِي الرياستين، أَبِي المنجى سُلَيْمَانُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عِمْرَانَ .
أما بعدُ، فَإِنَّهُ مِنْ حُسْنِ آثارِهِ فِي مناصحات الأئمة الخلفاء، وَأَرْضَعِ عَمَلَهُ
فِي طاعتِهِمْ عَنِ الأَنظارِ والأَمثالِ والأَشْكَاءِ، وَظَهَرَتْ بَرَكَاتُ أفعاله فِيمَا يَتَوَلَّاهُ
ظُهُورَ الشَّمْسِ لَيْسَ بِهَا مِنْ خَفَاءٍ؛ وَبَاهَى بِتَدْيِيرِهِ كُلِّ مَياشِرَةٍ مِنْ أَمْرِ خَطِيرٍ
قَدْرُهُ، وَاسْتَدَعَتْ مِنَ الثَّناءِ والإِطراءِ مَا يَتَأَرْجَى نَشْرُهُ وَيَتَضَرَّعُ ذِكْرُهُ؛ وَتَسَاوَى عِنْدَهُ
الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ وَنَافَسَ فِيهِ الخَيْرُ والخَيْرُ، وَرَبَّهَ مَرَّتَبَهُ مَقْدَمًا عَلَى مَنْ مَضَى مِنْ طَبَقَتِهِ
وَعَبَّرَ، وَوَسَمَّ الأَعْمَالِ بِسِمَاتِ فِي العائِرُ تُضَافُ إِلَيْهِ وَتُنَسَّبُ، وَغَدَتْ الخِدْمَةُ تَرْهِي بِهِ
وَتُعْجَبُ، وَهُوَ لَا يَزْهِي وَلَا يَنْظُرُ وَلَا يُعْجَبُ - كَانَ رَدُّ المِهمَّاتِ إِلَيْهِ حُسْنُ نَظَرٍ لَهَا،
وَإِذَا حُظِرَتْ جَلالَةُ تَوَلَّيْهَا عَلَى غَيْرِهِ أَصْحَى نَفَاذُهُ مَتَبِّحًا لَهُ عَمَلُهَا؛ وَكَانَ التَّنْوِيهُ بِهِ حَقًّا
مِنْ حَقِّهِ وَواجِبًا مِنْ واجِبَاتِهِ، وَالمِبالغةُ فِي تَكْرِيمِهِ وَتَفْخِيمِهِ مِمَّا يَتَعَيَّنُّ الْإِتِّهَادُ فِيهِ
إِلَى أَقْصَى آمادِهِ وَأَبْعَدِ غَايَاتِهِ .

وَلَمَّا كُنْتُ فِي مَتَوَلَّى العَوائِرِ، مَشْهُورَ الشَّانِ وَالْقَدْرِ، وَحَالًا مِنْ مَرَاتِبِ الكُفَّاةِ
المُقَدَّمِينَ، فِي حَقِيقَةِ الصِّدْرِ؛ إِنْ أَتَيْتُمْ عَقْدًا كُنْتُ فِيهِ الوَاسِطَةَ، وَإِنْ قَسَطَ
غَيْرُكَ عَلَى مُعَامَلٍ لَمْ تَكُنْ أَضْلَاكَ قَاسِطُهُ؛ وَلِئِنْ السِّيَاسَةُ الَّتِي ظَلَمْتَ سَاحَتِهَا رِجَابًا؛

والرياسة التي من وصفتك بها فما تملق ولا داجي ولا حابي؛ والصناعة الباردة التي تشهد بها الطروس والبراع؛ والأمانة الوايفة التي أرتفع فيها الخلاف ووقع عليها الإجماع؛ والتصرف في أنواع الكتابة على تباين ضروبها؛ والاستيلاء على ظاهرها ومستورها وإخفيها ومكتومها، والأخذ لها عن أهل بيتك الذين لم يزالوا فيها عريقين، ولم ينفكوا في مداها سابقين غير ملحقين؛ وقد زدت عليهم بما حوته بهمتك، وقلته بقريحتك؛ حتى بلغت منها ذروة شاذة عليه، وحصلت فضيلتين فضيلة ذاتية وفضيلة عرسية؛ وأمنت من يباريك ويساجلك، وكفيت من يناولك ويطاولك؛ وكان الديوان المرتجع عن بهرام وغيره من أجل الدواوين وأوقاها، وأحقها بالتقديم وأولاهها؛ لأنه يشتمل على نواحي غنائه، ويحتوي على ضياع مكتوفة بالهارة؛ وقد زاده ميزة على غيره كونك ناظرًا فيه، وأنت مدبر أمره ومستوفيه.

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ووزيره السيد الأجل الأفضل الذي عر مجسّن سيرته الملك وتضاعف بهاؤه، وصنعت مصالح الأمور تديراته وآراؤه؛ وظلت شؤون الدولة بما يقزره منظمة مستقيمة، وغدت الميامن والسعود نجمة في داره مقيمة، وأثقت على الثناء عليه مخلفات الأقوال، وقضت مهامته بحماية النفوس وصيانة الأموال. وفافوه في أمر هذا الديوان فافاض في وصفك وشكرك، وأطنب في تقريرك وإجمال ذكرك؛ ونبه على الخلف في توليك إياه، وواصل من مدحك بما يتضوق عرفه ويطلب رياه؛ وقزرك من توليه ما يصل سبب الخيرات بسببه، وميزك بما لم يطمع أحد من كافة متولي الدواوين به؛ فلم يحصل فيه يدًا مع يدك، ولا نظرًا إلا لك بمقررك؛ فلا يرفع [أحد] شيئًا إلى غير ديوانك من حساب ما يجري في أعماله، ولا معاملة لبيت المال إلا معك فيما يحل من أمواله. فامض

أمير المؤمنين ذلك وأمر به ، ونخرج أمره الى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الديوان المرتجع المذكور : ثقة بأنك تأتي فيه على الإرادة ، وتنتأى لبُلوغ الفرض وزيادة .

فاستخِر الله تعالى وياشُرْ أموره بِحُكْمِكَ المهود ، وشمر عن ساق عَزَمِكَ المشهود وسعيك الم محمود ؛ وأجرِ على رَتْمِكَ في العمل بما يحفظ أوضاعه ، ويُزِيح أرفضاه ، ويُزِيح عِلَّته ، ويُغْزِر مادته ؛ فاعقِد مواصلة الليل والنهار في مصالحه قَرْضًا إذا اعتقدها غيرك قَفَلًا ، وأجل اجتهداك لاستخراج أمواله وكُنْ عليها إلى أن تَصِلَ إلى بيت المال قَفَلًا ، واستنظف ما فيه من قَاصٍ وبَاقٍ ، وأفصل في تديره ما يُجْرى أموره على الوفاق ؛ واستخدم من الكُتَّاب من تحمده وترتضيه ، ونصهم إلى الأعمال التي تستدعي شكرهم وتقتضيه ؛ ولا تُسَوِّغ لضيامن ولا عامل أن يقصر في العاره ، واعتمد من ذلك ما يكون على كفايتك أو مع دِلالة وأصح أماره .

وقد أمر أمير المؤمنين أن تُجرى الحال على ما كانت عليه من دخول ذلك وبيعهِ بغير مَكْس في جميع الأعمال ؛ وأزاح مع ذلك عِلَّتكَ بِسَطِ يَدِكَ وإفادِ أَمْرِكَ وإمضاء قولك ، وإفرادك بالنظر من غير أن يكون لأحد من متولى الدواوين على اختلافهم نظرٌ مَعَكَ ؛ فَمَتَاد في حُسن تديره على سُنَّتِكَ ، ولا تُخْرِج عن مذهبك وطريقتك ؛ والله يوفقك ويُسِّدك ، ويُسِينك ويعضدك ؛ فاعمل هذا وأعمل به إن شاء الله عز وجل .

المرتبة الثالثة

(من المذهب الأول من مجالات ولايات الفاطميين أن تفتتح بالتصدير أيضا ، وهو « من عبد الله ووليه » إلى آخر النصيلة على النبي صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين على رضى الله عنه ؛ ثم يُؤتى بالبعدية ، لكن من غير تحيد ، بل يقال : « أما بعدُ فإن أولى » أو « إن أحق » ونحو ذلك ؛ ويدكر مناصب المولى ثم يأتى بالصايات)
 وأعلم أن هذه المرتبة من السجلات يشترك فيها أرباب السيوف وأرباب الأقاليم من أصحاب الوظائف الدينية والوظائف الدنيوية .
 فاما سجلات أرباب السيوف فكأصحاب زُوم طوائف الرجال ، يعنى التقدم عليهم والولايات ونحو ذلك ، على ماساى ذكره إن شاء الله تعالى .
 وهذه نسخ ولايات لأرباب السيوف بالحضرة من هذه المرتبة .
 نسخة سجل بزم طائفة ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهى :
 من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعدُ ، فإن أمير المؤمنين يصطنع من يرتضيه لتأليف عيده وشمهم ، ويسترقفه للنظر في تقديم رجال مملكته وزمهم ، ويختار من يحتجبه لإحراز مدحهم بالبعد من موجبات ذمهم ؛ ولا يؤهل لذلك إلا من توسل بالفتاء وتقرّب ، وأسقل بالأعباء وتدرّب ؛ وأطلق حده التوفيق ففضى وتدرّب ، وأودع الإحسان فما زایل محله ولا تقرّب ، ولا بس الأمور ملابسة من قطن وجرب ؛ وقد أيد الله دولته بفناه وأمينه ، وعقده وتمينه ؛ السيد الأجل الذى غلت آراؤه للصالح كوافل ، وأذكى للتدبير عيون حزم غير ملتفات عنه ولا غوافل ؛ وأطلع من السعد نجوما غير غوارب

ولأوَّاهِل ، وقام بفرائض النَّصائح قِيَامَ من لم يُجَوِّزَ فيها رُحَصَ التَّوَاهِل ، وتحدَّثَ بأفْعالِه رِمَاحُه في المحَافِل فإِذا راعت المحَافِل .

ولمَّا مَثَلَ بِحضرة أمير المؤمنين أَجَلَ ذِكْرِكَ وإِطابَه ، وقصَّدَ بك غَرَضَ الإِصْطِناع فأصابه ، وأسْمَطَ لَكَ الإِنعامَ الفَنقِ السَّحابِ فأجابَه ؛ ووَصَفَ ما أنتَ عليه من شَهامةٍ شُهيدتْ وشُهِرتْ ، وصرامةٍ تَظَاهَرَتْ وظَهَرَتْ ؛ وكِفَايةٍ برَعَتْ وفَرَعَتْ ، وزَلاهةٍ أَسْتودِعْتَ الأمانةَ فَرَعَتْ ؛ ومُناصحةٍ أَفَرَدْتَ بوصفها ، وتَحَلَّتْ واسطةً عَقْدَ صَفِّها ؛ وجهادٍ لم يَزَلْ به القُرْآنُ مُغْرِيًا ، والصَّعْبُ المُقَادِ مُدْعَاً وانْطَلَبَ عابِياً (؟) في قِياذِها مَدْعِياً ، وقَرَّرَ لَكَ الإِسْتِخدامَ في زَمِّ الطائِفةِ فامْضِ تَقْرِيرَه ، وأسْتَصَابَ تَكْديرَه ؛ ونَجِّجْ أَمْرَه إِلَيْهِ بأنَّ يُوعِزَ إِلَى دِيوَانِ الإِنشاء بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ وإِيداعِه ما تَهْتَدِ بِهِ ، وتَعَمَلُ بِتَأْديهِه .

فَقَلِّدْ ما قُلَّدْتَهُ من ذلكَ عاملاً بِالتَّيَقُّنِ فإنَّها المَجْمُوعَةُ والمُجَمَّعَةُ ، والجَنَّةُ والجَنَّةُ ؛ والمَدَدُ السَّليم ، والمُرَجُّجُ القَويم ، والنَّعْمَةُ والتَّعِيم ، بقولِ الله سُبْحانَه في كتابِه الحَكيم : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

فانهضْ بِسُروطِ هَذَا الزَّمِّ نُهوضاً يُؤَدِّي عَنْكَ مِنَ النَّصِيحِ مَفْرُوضاً ، ويَجْعَلُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ كَلْبَ شُكْرِ مَقْضُوضاً ؛ وَسُسْ هَذِهِ الطائِفةَ بِما يُؤَلِّمُها دِوَاعِي الوِفاقِ ، وَيُجَمِّعُها من عِوَادِي الإِقْراقِ ؛ وأَجْهَدْ في مَنافِعِها مَجْتَلِياً ، ولَا غِلَافَ دَرَهْماً مُتَحَلِّياً ؛ وَأَنْتَصِبْ لِإِسْتِشفافِ أحوالِهم وتَهْلُها ، ومَلاحِظَةِ أفعالِهم وتَقْصُدا ، فإِنَّ أَلْفِيَّتَهُ إِلَى فرائِضِ الخِدمة مُسْرَعا ، وبنِواظِها مَتَلَوِّعا ، وبِكرَمِه عَمَّا يَسْتَبِينُه مَرْتَفِعاً ؛ شَعَلَتْ بِصَبْرَتِهِ بِالتَّكْرِيمِ ، ورَتَّحَتْ هِمَّتُهُ لِلتَّقْدِيمِ ؛ ومن وَجَدَتْهُ لُتْكَ الصِّفاتِ الزائِنة مُتَحَلِّياً ، ولِلصِّفاتِ الشائِنة مُؤالِفاً ، وَلِنَفْسِهِ عَمَّا يَرِفُّها صَارِفاً ؛ قَوِّمَتْ أودَهَ وَتَهَفَّفَتْ ، وأَشْرَفَتْ به عَلَى مَنَهِجِ الصُّراطِ ووَقَّفَتْه ؛ فاعَلَمْ هَذَا وأَعْمَلْ بِهِ ، إِنْ شاءَ الله تَعَالَى .



وهذه نسخة يَحْيَى بولاية القُسطاط المبرِّع عنها بمصر على نحو ما تَقَمُّم في ولاية القاهرة، وهي :

أما بعدُ ، فإنَّ أمير المؤمنين لِمَا خَصَّ الله به آراءه من التأييد الذي يُسْتَد سِهَامَهَا ، ويُجَزَل من التوفيق سِهَامَهَا ؛ وأُطْلِق به يَدَه من أيادٍ تَسْبِقُ أَمَادَ الآمال وتُكَاثِرُ أَوْهَامَهَا ، وأَلْبَسَ الدِّينَ ببقائه من مَهَابَةِ تَصَيَّرِ قُلُوبِ أَعْدَائِهِ مَهَامَهَا ؛ وَمِزَّ بِهِ عَصْرَهُ من خصائص نُصْرٍ لَا تُطِيلُ الأيامَ أَسْتِفَامَهَا ولا تُخْشِي أَسْتِفَامَهَا ، وَيَسِّرُهُ من نَبْلِ دَعْوَتِهِ التي طَبَّقَتْ أَنْجَادَ الْأَرْضِ وَتِهَامَهَا ، وَرَقَّاهُ من محلِّ أَمَانَةِ الْإِمَامَةِ التي لَا يَظْهَرُ أَرْبَابُ الْاَلْكَابِ عَلَى أَسْرَارِ الله وَلَا آتِهَامَهَا ؛ وَنَاطَهُ بِتَدْيِيرِهِ من إِيَالَةِ الْبَرِيَّةِ وَالْاَعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهَا ، وَأَصَابَهُ من مَرَأَشِدِ الْيَقِينِ التي تَسْخِيءُ الْعُقُولَ بِمَصَابِحِهَا ؛ وَأَتَى بِهِ الْاَنْفُسَ الصَّالِحَةَ من قُوَّاهَا ، وَصَرَفَ بِمَا صَرَفَهُ عَلَى لِسَانِهِ من الْحُكْمِ عَنْهَا مَضَارَ الشُّبْهِ وَطَوَّاهَا ، وَأَلْبَسَهُ من هَدْيِ النُّبُوَّةِ التي قَرَّبَ اللهُ إِمْنَادَ من رَأَاهَا وَفَضَّلَ مِنْ رَوَاهَا - يَسْتَفْزِرُ مَوَادَّ التَّوْفِيقِ من خَالِفِهِ بِنُصْبِهِ في الْخِلَاقِ ، وَيَقْدِمُ الْاَسْتِخَارَةَ بَيْنَ يَدَيْ أَضَالِهِ فَهِيَ بِهِ أَمْلَكُ الْخِلَالِ وَأَخْصُ الْخِلَاقِ ، وَيَسْتَأْمِرُ لِلْقِيَامِ بِتَكْلِيفِ الْاِسْتِخْبَاضِ ، وَيَخْتَارُ لِقَوِيمِ الْمَيَادِنِ أَشْهَرُ بِالْتَدْيِيرِ وَجَبْرُ الْمُنْهَاضِ ؛ وَيُقَدِّمُ لِكِبَارِ الْوِلَايَاتِ وَغَوَالِيهَا ، وَخِصَائِصِ الرُّتَبِ وَغَوَالِيهَا ، مِنْ تَكَافُفَاتٍ فِي اسْتِعْيَابِ الْمَحَاسِنِ خِلَالَهُ ، وَخُطْبِ الْخِدْمِ التَّكَثُّرَةِ لِأَوَّلَى الْخُطُوطِ اسْتِغْلَالَهُ ، وَعِلْمِ اسْتِبْدَادِهِ بِطَبِيعِ الذِّكْرِ وَأَمِنْ اَنْفِصَالِهِ ، وَأَوَى إِلَى جَنَّةِ مَرِيضَةٍ وَجَنَّةِ مَنِيْعَةٍ مِنَ الْوَلَاءِ وَالْحَفَنَةِ ظِلَالَهُ ، وَاسْتَقَامَ عَلَى حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ مِنَ الْخَالِصَةِ وَلَمْ يُخَفْ زَيْنُهُ وَلَا ضَلَالَهُ ، وَمَضَتْ ضَرَائِبُهُ فِي الْمُهَيَّمَاتِ مَضَاءَ الْحُسَامِ الَّذِي لَا يَنْبُو حُدُّهُ وَلَا يَنْتَبِثُ اَنْغِلَالُهُ ، وَصَحَّ بِصِيرَةِ

في المناصحة فما سرّ الأعداء شكك ولا اعتلّاه ، وأعطى انلحم حقوقها من إقامة القوانين ، ونهض بإعبائها المتقلة نهضة المشمرين غير الوانين ، واشتدت وطأة تبادلته على المفسدين والجانين ، وتظاهرت شواهد ميزته بما يكثر له الحساد ويرغم الشائين ؛ وأقضى من فائس المحامد ما يعبده أهل النظر فنية القانين ، وأستبق من جميل الأحدث ما سبق ذكره بعد فناء القانين ؛ ووقفت في الخسمة مصادره وموارده . وأنظمت دُرر الذر بحسن ذكره فألفت قوارده ؛ ونسدت ضوأل الغناء فالتفت عنده غرائبه وشوارده ؛ واختصت مساعيه بالإبرار على الأنظار ، وصحّت خلافه على عيب النقد كما صحّح النار نور الأبصار ؛ ونظر لمن أشتد إليه أمره نظراً يعفيه من تطرقي الأكدار والمضار ؛ ورعى له ما هو متوسل به من آثار حقيقة بالإيتار ، وكفاية تأخذ للعلم من الفخر بالتار .

ولما كنت أيها الأمير المراد بهذا الإيراد ، المطرد إليه هذا الاستطراد ، المعلوم في أمراء الدولة العلوية من الأعيان الأفراد ؛ المخلّى سيقه بين المساعي الجميلة ينتقى منها ما اختار ويصطنع ما أراد ؛ المهادئ الصفات الحسنة فلا جاحد من عدائيه ولا راد ؛ المضطّلع بما يعني حله الحازم المطبق ، المستغفد في أفعاله المشكورة أفعال الواصف المطبق ؛ الواصل بجمود مساعيه إلى غايات السائقين في مهل ؛ الجامع في تدبير المهمات بين رأيي أحتك وحرّم أكتهل ؛ المنظور بعين الحزم بآيات دواعيه ، المترقى إلى أمانيته في درج مساعيه ؛ المحيّب دعوة العزم إذا قام فلم يسمع المقصرون داعيه ، المجتهد في تشييد أركان التدبير إذا أرتقب اضطرابه وخيف تداعيه ، المنثّل وصايا الأدب الصالح فهو قلبه راعيه وبسمعه واعيّه ؛ الشهم الذي ينفذ في الأمور نقاذ الشهم ، الأئمة الذي علا ان يمثّل بما أوتي من بسطة الفهم ؛ المتبوّى من النعمة متزلة شكر لا يرؤم ضيقها أن يريمه ، وصرّح حمد لا يسوم نازله غير

أَنْ يُسَيِّمَهُ ، الْمُبَاشِرَ مِنْ مَأْثُورِ السِّيَاسَةِ مَا اسْتَفَاضَ ذِكْرُهُ فَلَمْ يَسْطَرِّقْ عَلَيْهِ سَبَابُ
الْمَجْدِ ، الْبَالِغَ بِسْمِ الْمَسَاعِي مَاقْصِرَ الْأَكْفَاءُ عَنْهُ وَلَمْ يُقْصِرُوا عَنْ الْجَهْدِ ؛ الْحَالُ
مِنَ التَّقْدِيمَةِ فِي هَضَابِهَا إِذَا نَزَلَ الْأَكْفَاءُ مِنْهَا فِي الْوَهْدِ ، الْحَامِلَ مِنْ أُمَيَّاءِ الْمُشَافَةِ
مَاعِزًا بِهِ مِنَ الْمُؤَفِّينَ عَلَى الْأَنْظَارِ الْمُؤَفِّينَ بِالْمَهْدِ ؛ الْحَقُوقَ مِنَ الْوَسَائِلِ بِأَنْ يُجَوِّدَهَا
النَّجَاحُ بِغَيْرِ رَدِيْعَةٍ وَأَسْقَى عَهْدَ ؛ الْمُؤَدَّى فِيمَا يُسْتَدُّ إِلَيْهِ قُرُوضُ التَّغْوِيضِ ، الْمَلِيَّ
بِأَنْ لَا تَتَوَبَّ فُرْصَةً حَزَمَ إِلَّا كَانَ مَلِيًّا بِالْحَقِّقِ وَالْتَعْوِيضِ ؛ الْمَكْنِيَّ مِنَ وَصَايَا الْحَزَمِ
بِمَا يَقُومُ لَهُ مَقَامُ التَّصْرِيحِ مِنَ التَّعْرِيزِ ، الْمُسْتَوْجِبَ أَنْ تُجَدَّى إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ
وَتُهْدَى بِصَحَابِ الطُّولِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ ؛ الْمُسْتَوْجِبَ شَرَائِطَ الرِّيَاسَةِ بِالْإِسْتِيْلَةِ
عَلَى آدَوَاتِهَا ، الْمَتَّبِعَ مَقَانِ الْخَطُوبِ بِمُفَاجَأَةِ الْفَرَضِ فِي مُدَاوَاتِهَا ؛ الْمُبَرِّزَ عَلَى الْقُرْآنِ
بِجَلَالِ لَا تَطْمَعُ الْحُكْمُ فِي مُسَامَاتِهَا وَلَا مُسَاوَاتِهَا ، الْآخِذَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأَحْسَنِهِ فَأَيُّ
حَسَنَةٍ لَمْ يُؤْتِهَا وَلَمْ يَأْتِهَا ، النَّافِذَ الْآرَاءَ إِذَا الْمَشْكَلاتِ لَمْ يَتَضَعْ لِأَرْبَابِ الْأَلْبَابِ
مُضْمَنَتِ بَيَانِهَا ، الْمُصِيبَ شَوَاكِلَ الضَّرَائِبِ فَسَهَامُ آرَائِهِ مُدْلُولَةٌ عَلَى شَوَاتِهَا ، الْمَتَّبِعَ
الْمُقَاصِدَ لِعِيَانِ الْحَمْدِ إِذَا تَحَفَّزَتِ الْأَفْعَالُ وَوَارَتْ سَوَاتِهَا ، الْمَعْرُوفَ بِثَبُوتِ الْجَنَانِ ،
حِينَ يَتَبَسُّ الشُّجَاعُ بِالْجَبَانِ ، الْمَشْكُورَ فِي مَوَاقِفِ الْحَرْبِ بِأَفْوَاهِ الْحِرَاحِ وَلِسَانِ
السَّنَانِ ، الْمَقْدَمَ حَيْثُ الْأَعْضَاءُ تَرْتَبِلُ وَالْأَقْدَامُ تَتَرَزَّلُ ، الْمَقْتَصِمَ عَمَرَاتِ الْمُهْجَاءِ
وَالْأُرُوحَ عَنْ وِلَايَاتِ الْأَجْسَامِ تُنْزَلُ . وَقَدْ وَلَّيْتُ الْوِلَايَاتِ فَاسْتَقْلَلْتُ بِهَا أَحْسَنَ
اسْتِغْلَالٍ ، وَرُفِعَ لَكَ مَنَارُ الْعَدْلِ فَاسْتَدَلَّتْ مِنْهُ بِأَوْجَعِ اسْتِدْلَالٍ ؛ وَجَعَلْتُهَا عَلَى مَنْ
تُؤَوِّبُهُ حَرَمًا ، وَعَلَى مَنْ يَطْرُقُهَا حِمَى ؛ وَكَنْتُ لِمُجْهَرِ زَمَانِكَ فِي الْمَصَالِحِ وَالنَّصَائِحِ
مُقْسِمًا ، وَلِحُكْمِ التَّقْوَى وَلَوْ ضَمَقَتْ مَشَقَّاتُهَا دُونَ حُكْمِ الْهَوَى مَحْكَمًا .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ووزيره السيد الأجل الذي حلَّ المشكلات
من رأيه ورأياته بالشمس ومُحَاطَاها ، وتعرضت له آية الليل من العدا بجلالها بسُيُوفه

وَحَمَاهَا ؛ وَثَبَّ نِصَابَ الْمَلِكِ الْقَاسِمِيِّ حِينَ أَدَارَتْ الْحَرْبُ عَلَى فَكَاكِهِ رَحَاهَا ،
وَأَقَادَ الْأَعْدَاءَ إِلَى مَصَارِعِهَا بِجَزَائِمٍ مِنَ الْعِزَامِ وَأَعْجَلَهَا وَأَوْسَاهَا ؛ وَقَامَ بَنْصَرُ أُمَمَةٍ
الْمُهْدَى حِينَ قَعَدَ النَّاسُ ، وَرَعَى اللَّهُ عِزْمَتَهُ الصَّابِرَةَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ
الْبِاسِ ، وَخَاطَرَ فِي حِفْظِ الدِّينِ بَنَفِيسٍ تَجْرِي مَحَبَّتُهَا مَعَ الْأَنْفَاسِ ، وَحَلَّ مِنْ مَلُوكِ
الْأَرْضِ حَلَّ الْعَيْنِ مِنَ الرَّاسِ بِلِ الرَّاسِ مِنَ الْحَوَاسِ ؛ وَأَنْتَبَتِ الْأَجْسَامُ هَمُّهُ
الْحِسَامِ ، وَأَعْدَى الزَّمَانَ فَتَسَمَّ جَدَلًا بَدَلَهُ الْبَسَامِ ، وَقَسَمَتِ الْمَطَامِعُ أَمْوَالَهُ لِحِمَى
الْمَجْدِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِقْسَامِ .

فَطَالَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْبَارِكَ بَعْدَ اخْتِبَارِكَ ، وَتَوَسَّلَكَ إِلَى التَّقْدِيمَةِ بِمَرْضَى آتَارِكَ ،
وَمَا أَظْهَرَ الْاِمْتِحَانُ مِنْ تَقَاءِ سِرِّيكَ وَأَسْرَارِكَ ، وَأَسْتَقَامَتِكَ عَلَى مَثَلِ الطَّرِيقَةِ
وَأَسْتَبْصَارِكَ ؛ وَأَنْ وَلَايَةً مَضْرَمٍ مِنْ أَنْفَسِ الْوَلَايَاتِ نَحْلًا ، وَأَثْبِتَهَا عَلَى غَيْرِهَا فَضْلًا ؛
يَحَاوِرُهَا لِتَقَامِ الْكَرِيمِ ، وَحُصُولُهَا مِنْ اسْتِقْلَالِ الرُّكَّابِ الشَّرِيفِ إِلَيْهَا عَلَى الشَّرَفِ
الْعَظِيمِ ، وَاخْتِصَابِهَا مِنْ مَجَالِ الْخِلَافَةِ بِمَا جَمَعَ لَهَا بَيْنَ الْفَخْرِ الْخَالِدِ وَالْقَدِيمِ ؛
وَأَوْجِبَ لَهَا عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ مَرْيَّةً ظَاهِرَةً التَّكْرِيمِ وَالتَّقْدِيمِ ، وَمَا يُمِيتُ بِهِ أَهْلُهَا
مِنْ شَرَفِ الْخَوَارِ الَّذِي لَا مَالَهُمْ بِهِ التَّخْيِيرُ فِي الْإِحْسَانِ وَالتَّحْكِيمِ .

وَمَا رَأَى مِنْ إِسْنَادِ وَلَايَتِهَا إِلَيْكَ عِلْمًا أَنَّكَ عَنْ تَرْكُو لَدِيهِ الصَّنِيعَةِ ، وَتَوْفُقِ
فِي جِدِّ كِفَايَتِهِ قَرَائِدَ الْمَنِّ الْبِضِيعَةِ ، وَسَطَامُنَ لَاسْتِحْقَاقِهِ ذِرْوَةَ كُلِّ مَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ -
نَرْجُ أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ ، بَانَ يُوعِزُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ لَكَ
بِالْوَلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ . فَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ مِنْهَا مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهُ عَلَى كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ ، مُتَبَرِّئًا
إِلَيْهِ مِنْ طَوَّلِ الْحَوْلِ ، مُعَيِّدًا ذَخِيرَتَهَا النَّافِضَةَ لِيَوْمِ الْحَوْلِ ؛ قَالَ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ الْكَلَامِ :
(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ) .

وَأَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْوَلَايَةِ حَاجِكًا بِالْقِسْطِ ، وَسَافِي الْحَقِّ بَيْنَ طَبَقَاتِ النَّاسِ ؛
وَلَا تَمَيِّزُ فِيهِ رَفِيعًا عَلَى حَقِيرٍ ، وَلَا غَنِيًّا عَلَى فَقِيرٍ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ
إِقَافَةٌ يَرْتَدِعُ بِهَا الْمَقْرُورُ ، وَتُسْتَقِيمُ بِهَا الشُّثُونُ وَتَنْتَظِمُ الْأُمُورُ ؛ وَارَاجِ مَنْ بِهِذِهِ الْمَدِينَةُ
الْمَحْرُوسَةُ مِنْ شُهُودِهَا ، وَمَتَمَيِّزِي أَهْلِهَا ، فَفِيهَا الْفُقَهَاءُ وَالْأَتَقِيَاءُ ، وَالْقُرَّاءُ وَالْعُلَمَاءُ ؛
وَالْمَتَمَيِّزُونَ الْأَعْيَانُ الْوُجُوهَ ، وَأَهْلُ السَّلَامَةِ الَّذِينَ يَسْتَوْجِبُ كُلُّ مِنْهُمْ نَيْلَ مَا يَأْمُلُهُ
وَبُلُوغَ مَا يَرْجُوهُ ؛ فَاعْتَمِدْ إِعْزَازَهُمْ ، وَتَوَخَّ تَكْرِيمَهُمْ ؛ وَوَقِّهِمْ مَا يَمِيبُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ،
وَأَلْفَهُمْ بِالْوَجْهِ الْمُسْفِرِ الطَّلُقِ ؛ وَأُمِّرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنُصِّ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَاطِبٌ
عَلَيْهِ ؛ وَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ ، وَحَافِظِ عَلَى إِجْرَائِهَا عَلَى أَحْكَامِ الصُّوَابِ
وَقَضَايَا الْوَاجِبِ ؛ وَاحْظُرْ فِي الْمَكَائِلِ وَالْمَوَازِينِ الْبَحْثَ وَالْتِظَافَ ، وَقَدِّمِ الْإِنْتِزَارَ
فِي ذَلِكَ وَالْتَعَذِيرَ وَالْتَخْوِيفَ ؛ وَأَوْعِزْ بِتَنْظِيفِ الْمَسَالِكِ وَالسَّاحَاتِ ، وَأَمْتَنِعْ مِنْ
تَوَعِيرِ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ؛ وَاعْتَمِدْ كُلَّ لَيْلَةٍ مَوَاصِلَةَ التَّطَوُّافِ عَلَى أَرْجَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
وَأَنْكَافِهَا ، وَمُتَابَعَةِ الْإِطْلَالِ عَلَى نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافِهَا ؛ وَاعْمَلْ فِيمَنْ تَقَفَّرُ بِهِ مِنْ عِلَّتِ
وَعَادَ ، وَمُنْتَهَجِ طَرِيقِ الْفَسَادِ ، مَا يَرْتَدِعُ بِهِ سِوَاهُ ، وَيَجْعَلُهُ مَوْعِظَةً لِمَنْ يَعْدِلُ
عَنِ الصُّوَابِ وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ ؛ وَاشْدُدْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ عَلَى بَابِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ فِي قَوْدِ أَبَاةِ
الْخُصُومِ ، لِيُنْظَرَ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَنْتَصِفُ بِهِ الْمَظْلُومُ مِنَ الظُّلُمِ ؛ وَتَقَدَّمْ بِتَوْقِيرِ الْجَوَامِعِ
وَصِبَايَاهَا ، وَحَافِظِ عَلَى مَاعَادِ يَبْتَغِيهَا وَتَقَاتِيهَا ؛ وَخُذِ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأَرْبَاعِ بَانَ
يَنْقُطُ كُلُّ مِنْهُمْ لِمَا يَحْتَرِي فِي عَمَلِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يَحْتُثُ وَيُنْهَى إِلَيْكَ مِنْ قِبَلِهِ ؛
وَأَنْظُرْ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِي عَمَارِ الْأَسَاطِيلِ الْمَطْفَرَةِ الْمَنْصُورَةِ ؛ وَتَوَقَّرْ عَلَى تَدْيِيرِ
أُمُورِهَا وَالْإِهْتِمَامِ بِشُؤْنِهَا ؛ وَحَفِظِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْخَابِ ، وَالْحَدِيدِ وَالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ
وَالْأَنْشِبِ ؛ وَاعْبَثِ الْمُسْتَخْدِمِينَ عَلَى الْمُنَاصَحَةِ فِيهَا ، وَبَذِلِ الْجُحْدَ فِي قَصْدِ مَصَالِحِهَا
وَتَوَخَّيْهَا ؛ وَأَجْرَأْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ عَلَى مَا يَنْبَغُ بِحُسْنِ أَتْرَاكِ ، وَبِحَمِيلِ ذِكْرِكَ وَطِيبِ

خبرك؛ فاعلم هذا وأعمل به، وطالع مجلس النظر السيدى الأجل بأمور خدمتك، وما يحتاج إليه من جهتك؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سجل بولاية الأعمال القوصية، وهى بعد التصدير :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لمؤضيه من خلافة الله التى أمره إياها، وأناظره نحياها، والإمامة التى أقره ذراها، وناط به عراها، وما وكله إليه من القيام، بحفظ الإسلام، الذى رضىه ديناً، وألبسه بمله تحسينا وبذبه عنه تحسينا؛ وما استودعه إياه من جوامع الحكم، وعدقه بكفالاته من رعاية الأئمة، وعضده بآرائه من التأييد والتوفيق، وأوجبه من فرض طاعته على كل مطيق - يصطفى لمعونه على النهوض بما حمّله الله من أعباء الأمانة، والشكر على ما أختصه به من الوجاهة عنده والمكانة؛ ويستكنفى فيما أمر به من إحسان الإيالة فى بريته، ويتخبط لتفويض أمورهم والسلوك بهم مسالك رافته فى سيرته - من يكون أصطفاؤه لرضا الله عنه مطابقاً، واجتباؤه لشرائط المراد والافتراح موافقاً؛ وانتصابه للهمات أفضل ما يبدئ به وقدم أعتاده، وإسناد الأمر الجسيم إليه أوفى ما عظم بتدبره شأنه ورفيع بنظره عماده؛ وإن ولى ولاية، جعلها بمهابته حرماً آمناً على أهلها من الخافوف، وغدا حسن سيرته برهاناً على فضله يضطر إلى التصديق به المؤلف والمخالف؛ وأعاد حميد أثره محلها ربيعاً مفرحاً، وقرب حسن شأنه من المطالب ما كان بعيداً متمتعاً؛ وإن تدب للبلل، عاد مظفر المقاصد، محفوقاً باليأمن والمساعد؛ ساحياً ذيل الفخر، سائرًا لكونز الأجر؛ مستعيناً بتوحيده على العدد الجم، والعسكر النهم^(١) .

وإن هذه الأوصاف قد أصبحت لك أيها الأمير أسامي لم تردك معرفه، وخواص المهيمات إلى ملاستك إياها متطلعة متشوفة، وأضالك الحميدة قد بنت لك بكل ربح منارا، وجعلت لك في كل مكرمة سيمات وآثارا، وجميل رأى أمير المؤمنين فيك، قد زاد توفيق مساعيك، وضاعف آرتقاء معاليك، وجعل الخيرة مقترنة بمقاصدك وصراميك، وسما بك إلى رتبة من الوجاهة تستدب دونها مطارح الهيم، وأحلك من الثقة بك منزلة لا تفضي إليها خواطر الظن والتهم، وتحقيق من يقينك ومضاء عزيمتك، وعذل سيرتك وصفاء ميريته، ما جعل حظك عنده زائد الثماء، وذركك بحضرته مكنوفا بالشكر والثناء، ووسائلك إليه متقبلة، وقد أدركت في ريق الشباب حرمة الكحول، واستنجحت في مقاصدك بضمير من الولاء مأهول، ولك اليقظة التي كثرت فيه الأجاد والأفاضل، وأحلك في دعة الناس من يخافهم المباري والمناضل، وتساولت في اعتقاد تفضيلهم حالنا السر والجهر، وأصليح بزمهم مظهر من الفساد في البر والبحر، وفئت المطامع بفضيلة هذا النسب وفضيلة النفس، ودلت ما ترك على ما ظهر من خصائصك دلالة الفجر على الشمس.

ولما رآك أمير المؤمنين أهلا للعون على استجابه لطفا لله عنده، وأتماس عوائد صنعه الجميل فيمن فارقه سعيه ونبد عهده - أنتضى منك حساما حيا - للأدواء، معينا في اللأواء، طبيا بتأليف الأهواء؛ لا يئو غراره، ولا يحشى اغتراره؛ ولا يقل حده، ولا يؤويه غمده؛ فانهقت الدماء، وسكنت الدماء، وعم الأمن، وعظم من الله تعالى العلول والمن؛ وأصبح مكان القول فيك ذا سعة فيسجا، ولسان الإحاد لأضالك منطلقا فيصبا، وحصلت من الوجاهة عند أمير المؤمنين بحيث [لأناباك] رتبة خطيره، ولا تنأى عنك بجانبها [منزلة] ربيعة أميره؛ بل عدت خواصها فيك

لاستعجال حفظها من الجمال بك راعيه، ومتمتعها لاستكرام الأكفاء طلبة للإفضال بل خاطبه؛ إذ كان ما يندم التمه بك لا يندم شمتا وأختلا، وما حظي منها بمقاربتك بديه زهوا بك وأختيالا؛ فإذا أراد أمير المؤمنين أن ينظر إلى عمل من أعمال مملكته ويرفع من محله، ويُفيض عليه من محائب راقته ما يكون ماحيا لآثار جذبه ومغله؛ ويمم بالبركات أقطاره، ويبلغ كلا من أهله مآربه من العدل وأوطاره - آسند منك إلى القوى الأمين، والكمال الذي لا يندفع الظن فيه ولا يمين؛ إذا استكنفي أمرا حتى حاه بالماضين : حسامه وأعتامه، وتمسك في حفظ نظامه بالحسنين : طاعة الله وطاعة إمامه .

ولما كانت مدينة قوص وأعمالها أمدى أعمال المملكة مسافة، وأبعدا من دار الخلافه؛ وتشتمل على كثير من أجناس الناس، وأخلط يحتاج فيهم إلى إحسان السياسة والإنسان؛ وطليه معاج المسافرين من كل فج عميق، وإليه يقصد الحجاج إلى بيت الله العتيق - رأى أمير المؤمنين بالله توفيقه أن يرذ ولاية الحرب بها إليك، ويعول في تهيؤ مائدها وضم نشرها عليك؛ وأن يحسم بك داءها؛ ويحسن بنظرك رواءها؛ ويمم أهلها بك رافة ومنا، ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل [لك] بالولاية المذكورة .

فتقلد ما قبلك أمير المؤمنين وأعتد على تقوى الله التي جعلها شرطا للإيمان، وأمر باعتماها في السر والإعلان؛ فقال في كتابه المبين : ﴿ وَأَقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأبسط عدل أمير المؤمنين على البائين والحقير؛ وأقيم الحدود على من وجبت عليه بقتضى الكلب والسنة، وقم بما أمر الله به

من ذلك بِأَعَدَّ عَزْرَهُ وَأَقْوَىٰ مِنْهُ ؛ وَسَاوَىٰ الْحَقَّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَأَسَّسَ بَيْنَ الْعُدُوِّ وَالْوَلِيِّ [وَالذِي] وَالْمَلِي ؛ وَأَجْعَلَ مِنْ تَضَمُّنِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ سَاكِنِينَ فِي كَنْفِ الْوَقَايَةِ ، مَشْمُولِينَ بِالصُّونِ وَالْحِمَايَةِ ؛ وَلِيَكُنْ أَرْبُهُمْ فِي الصَّلَاحِ مِنْ أَرْبِكَ ، فَكُلُّ مِنْهُمْ شَاكِرٌ لِلَّهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ ؛ وَبُثَّ فِي أَفْطَارِهَا مَا يَحْجُزُ الْغُفُوسَ الْمَسَادِيَّةَ عَنْ الظُّلُمِ ، وَيُعِيدُ شِمَتَهُمْ بَعْدَ الْعُنُونِ مَخْلِيَةً إِلَى الْوَادِعِ وَالْتِسَالِمِ ؛ وَمَنْ أَقْدَمَ عَلَى كِبَارِ الْإِجْرَامِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَنِ الدِّمِّ الْحَرَامِ ؛ فَاثْمِلْ فِيهِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ائْتِمُوا بِرِجَالِ الَّذِينَ يُمَارُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَبْتُغُوا أَوْ يَصِلُوا أَوْ تَقْطَعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لِمَ نَعْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وَاعْتَمَدَ الْمُسْتَخْدَمُ فِي الْحُكْمِ الْعَزِيزِ وَاللَّعْوَةِ الْمَسَادِيَّةِ - ثَبَتَهُمَا اللَّهُ - بِمَا يَقْوَىٰ عَزْمُهُ ، وَيَنْفَعُ حُكْمُهُ ؛ وَأُجْزِلَ حَقُّهُ مِنْ إِعْزَازِ الْجَانِبِ ، وَتَيْسِيرِ الْمَطَالِبِ ؛ وَأَحْسِنَ إِلَيْهِ الْعَوْنُ عَلَى صَوْنِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْتِلَابِ الْمُسْتَخْشِينَ . وَالْمُسْتَخْدَمُونَ فِي الْأَمْوَالِ مِنْ مُشَارِفٍ وَعَامِلٍ وَغَيْرِهِمَا فَانْتَبِهْهُمْ فِي عِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَبَلِّغْهُمْ فِي الْمُرَافَعَةِ كُنْهَ الْأَمَالِ ؛ وَأَشْدُدْ مِنْهُمْ فِي صَوْنِ الْأَرْفَاعِ ، وَحِفْظِهِ مِنَ الْإِفْرَاطِ وَالضَّيَاعِ ؛ وَضَافِرْهُمْ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْخُرَاجِ ، وَخُذْهُمْ بِحُلِّ الْمُعَامَلِينَ عَلَى أَعْدَلِ مِنْهَاجِ . وَالرِّجَالُ الْعَسْكَرِيَّةَ الْمُرَكَّبِيَّةَ الْمُسْتَخْدَمُونَ مَعَكَ فَاسْتَخْدِمْهُمْ فِي الْحِدْمِ السَّائِحَةِ ، وَصَرِّفْهُمْ فِي الْمِهْمَاتِ اقْرَبِيَّةِ وَالنَّازِحَةِ ؛ فَمِنْ اسْتِغْنَامٍ عَلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ ، أَجْرَيْتَ أُمُورَهُ عَلَى الْإِتِّعَاطِ وَالْإِسْتِجَابِ ؛ وَمَنْ كَانَ لِلْإِخْلَافِ آلِصًا ، وَلِلْوَجَابِ مُخَالِفًا ، قَوِّمَتْ بِالتَّأْدِيبِ أَوْدَهُ ، وَحَلَّتْهُ عَنْ مَوْرِدِ الْقِسَادِ الَّذِي تَوَرَّدَهُ .

هَذِهِ دُرَرٌ مِنَ الْوَصَايَا فَابْتَثْ (٩) عَلَى إِحْضَارِهِ الثِّقَةَ بِهَدَايَتِكَ إِلَى كُلِّ صَوَابٍ ،

وأعلاقك من الديانة والأمانة بأوتق الأسباب؛ وإحاطة علم أمير المؤمنين باستغنائك بذاتك، وكلال أدواتك، عن الإيقاظ والتنبيه، والإرشاد فيما تنظر فيه؛ والله يوفقك إلى ما يرضيه، ويجعل الخيرة مكتسفة لما تزويه وتُخفيه؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة سجل بولاية الأعمال الغريئية، وهي :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لما فضله الله به من إمامة البشر وشرّفه، وأتاه إياه من الخلافة التي نظم بها عقد الدين الحنيف وألقاه؛ وأمضاه الله له في أقطار البسيطة من الأواصر، ونقله إليه من الخصائص النبوية التي تجلّت بذكرها فروق المنابر، ومكّنه له من السلطان الذي تخضع له الجبابرة وتدّين، وعصّده به من التأييد الذي أرحم المشركين وخفض منار الملّعين؛ وآثره به من مزايا التقديس والتجديد، وألممه إياه من استكمال السيرة التي أصبح الزمنُ بجمالها حاليّ الحيد؛ وأنجده به ملكة من موالاة النصر ومُتابعة الإطفار، وحازّه له من موارث النبوة المتقلّة إليه عن آياته الأطهار؛ وأصطفاه له من إيضاح سُبُل الهدى المعتاد، وألممه إياه من إسباغ ملابس الرحمة على الحاضر من الأئمّ والأبد؛ ووَفّر عليه أجهاده من استثناء المصالح وأجتلابها، وصرف إليه همّه من تمهيد مسالك الأمانة وقّح أبوابها. يتصفّح أمور دولته تصفّح العاني بتزييب أحوالها، ويتفقد أعمال مملكته تفقداً يُزيل شُمها ويُؤمّن من أختلاها؛ ويصدق المهمّات الخطيرة بالصُدور الأفاضل من أصفياه، ويزيد في رفع منازل أوليائه إلى الغاية التي تشهد بجلالة مواضعهم من جيل آرائه؛ ويخصّص عليهم من أنوار سعادته ما يظهر سناه للأبصار، ويمنّحهم من أمطفائه ما لا يزال دائم الثبات والاستقرار؛ ويؤوّل في صيانة الرعايا من المصاير؛ وحراسة الأعمال المتميّزة من عيث المفسدين والدّعار، على من تزوّع مهابته ضواري

الآساد، وتكفل عزائمه بقطع دابر الفساد؛ ويؤدع في السياسة الفاضلة ويؤرب،
 وتوجب أنباؤه في حسن التدبير وتطريب؛ ويعمُّ الرعايا بضروب الدعة والسكون،
 ويشملهم من الأمانة والطمانينة بأنواع وفئون؛ وهوم كفايته بسد الخلل وتقويم
 الأود، ويبلغ في تيمنه في اكتساب المحامد إلى أقصى غاية وأبعد أمد؛ ويعنى
 بحفظ التواميس وإقامة القوانين، ويدأب في استعمال السيرة الشاهدة له باستكمال
 الفضل المبين؛ ولا يألو جهداً في تهريب الصلاح وأسديتائه، ويقصد من الأفعال
 الجميلة ما تلهم به الألسن بإطابة شأنه.

ولما كنت أيتها الأمير تجمعا من نجوم الدين المضيئة المشرفة، وثمرة من ثمرات
 دوحة اللآء الزكية المورقة؛ وقدأ في الفضائل البديعة، وفردا في المحاسن التي لم تقف
 بنظير ذكرها أذن سمعته؛ وسبقا يحسم داء الفساد حداده، وكافيا لاتباعه الإقتراح
 ولا يتعمده؛ وماجدا حاز المقائير عن أهل بيته كايّا عن كايّر، وعلميا في المآثر يهتدى
 به الأعيان الأكابر؛ وهما مآ تملأ مهابة القلوب، وماضيا تلوذ بمصائبه الأعمال
 الخطيرة وتثوب؛ وصدرا تهزله الرؤساء بارتخاع المتزله، ومهدبا أغرته شيمه الرضية
 ببت الإنصاف وبسط المعيلة؛ وحازما لا يخشى أخذاعه وأغتراره، وعازما لا يكهم
 عزمه ولا يكل غراره. وقد ألفت إليك المناقب قيادها مطيعه، وأحتك الرئاسة
 في أتمخ ذروة رفيعه؛ وتألفت عندك الفضائل تألف الجواهر في المقود، وتكفلت
 لك مساميك المحمود بتضاعف المآمن وترادف السعود؛ وتكاملت فيك الخلال
 المطابقة لكرم أعراقك، وأسست على الأفعال الشاهدة بمبالفتك في ولأه أتمتكت
 وإغراقك؛ وحصل لك من الائتماء إلى البيت الصالحى الكريم ما كسبك غفرا
 لا يرح ولا يريم؛ وخصك في كل زمن بمضاعفة التفعيم والتقديم؛ وأتالك من الإقبال
 غاية الرجاء، وجعل وجهتك فسيحة الفناء؛ وسعة الأرجاء. ولك المهابة التي تفي

غناء الجيوش المتكاثرة السدد ، والشجاعة التي تُسلط قوارع الدمار على من كفر
وعند ، والعزم الذي استمدت السيوف الباترة من مضائه ، وعن جانب التوحيد
بأنتضائه لجهاد أعداء الله وأرتضائه ، والإقدام الذي تلوذ منه أسود الوقائع بالفرار ،
والباس الذي لا يعصم منه الحرب ولا يجنى من بؤادره الحقدار .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فناء ووزيره ، وصائئ ملكه وظهيره ، السيد الأجل
الذي ^(١) فائئ عليك ثناء طال وطاب ، وحرر في ذكر مناقبك ومحاسنك
القول والخطاب ؛ وذكر مالك [من الأعمال] في الأعمال الغريبة ، التي أعادت
الأمنة على الرعية ؛ وما استعملت فيهم من السيرة العادلة ، والسياسات الفاضلة ؛
وقرر لك الخدمة في ولاية أعمال الغريبة ؛ - نفرج أمر أمير المؤمنين إليه بأن يؤعز
إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بالولاية المذكورة .

فنفذ ما قلده عاملاً بتقوى الله سبحانه الذي إليه تصير الأمور ، ويعلم خائفة
الأمين وما تخفى الصدور ؛ وقال الله جل من قائل في كتابه المكنون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فاعلم بالعدل من تشتمل عليه هذه الولاية ، وأنته
في حياتهم وكلامهم إلى الغاية ؛ وصنهم من كل أذى يلج بساحتهم ، وتوفر على ما عاد
باستقبال مصلحتهم ؛ وأخصص أهل السر والسلامة بما يصلح أحوالهم ، ويشرح
صدورهم ويسط أمالهم ؛ وقابل الأشرار منهم بما يدقخ شرهم ، ويكف عن ذوى
الخير مضرتهم ؛ وأشد وطأتك على الدعار وأهل العناد ، وتطلبهم حيث كانوا
من البلاد ؛ وأقصد حماية السبل والطرق ، وصنهم من غوائل المفسدين على ممر
الأوقات ؛ ومن ظفرت به من المجرمين فاجعله مُزديراً لأمثاله ، وموعظة لمن
يسلك مسلك ضلاله ؛ والمفدومون على سفك الدم الحرام ، والمرتكبون لكبار الذنوب

والإجرام، فاستبَلَّ فيهم ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، إذ يقول : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لِمَ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وأَجْرِلْ حَظَّ الثَّوَابِ فِي الْحُكْمِ الْعَزِيزِ مِنْ عِنَايَتِكَ ، وَاجْعَلْ لَهُمْ نَصِيبًا وَافِرًا مِنْ أَهْمَاتِكَ وَرِعَايَتِكَ ؛ وَعَاضْهُمْ عَلَى إِقَامَةِ مَنَاسِكَ الشَّرْعِ ، وَأَجْرِ أَوْحَالِهِمْ عَلَى أَجْلِ قَضِيَّةٍ وَأَحْسِنِ وَضْعَ . وَالْمُسْتَخْدَمُونَ فِي الْأَمْوَالِ ، تُشَدُّ مِنْهُمْ شَدًّا يَلْتَفِعُهُمُ الْآمَالُ ، وَيَقْضَى بِتَرْجِيَةِ الْأَرْضِ وَتَقْيِيرِ الْإِسْتِغْلَالِ ؛ وَعَاضْهُمْ عَلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ ، وَوَارِزِهِمْ عَلَى مَا تَكُونُ بِهِ أَوْحَالُهَا جَارِيَةً عَلَى الْإِطْرَادِ . وَالرِّجَالُ الْمُرَكَّبِيَّةُ وَالْمُجَرَّدُونَ فَاسْتَنْهَهِمْ فِي الْمِهْمَاتِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ ، وَخُذْهُمْ بِزُورِمِ الْمَنَاسِكِ الْمُسْتَقِيمَةِ السَّيِّدَةِ ، وَقَابِلِ النَّاهِضِ مِنْهُمْ بِمَا يَسْتَوْجِبُهُ تَهْنِئَتُهُ ، وَقَوْمِ الْمُقْصِرِ بِمَا يُوزَعُ مِنْ يَسْلُوكِ مَسَلَكِهِ وَيَقْتَضِي طَرِيقَتَهُ ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ وَطَالِمَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة سجل بولاية نهر الإسكندرية، كُتِبَ به لابن مصل، من إنشاء القاضي الفاضل، وهي :

أما بعدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ الْمُنْتَصِبِ وَالنَّصَابِ ، وَأَجَارِ الْعِبَادِ بِآيَاتِهِ الطَّاهِرِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْصَابِ ؛ وَأَوْرَدَهُمْ مِنْ مَوَارِدِ حِكْمِهِ إِلَى كُلِّ صَادِقٍ عَنْ رِيِّ قَلْبِهِ مِنْهَا صَادٌ ، وَتَحَنَّنَهُ بِأَمْرِهِ مِنْ رِيَّاحِ الصَّوَابِ الَّتِي تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ؛ وَأَضْمَى بِسَهَامِ عَزَائِمِهِ ، مِنْ مَقَاتِلِ الْبَاطِلِ ، وَحَلَّى بِأَوَارِ مَكَايِمِهِ ، مِنْ أَجْيَادِ الْأَمَانِيِّ الْعَوَاطِلِ ، وَأَنْجَزَهُ عَلَى يَدِ أَيْدِيهِ مِنْ وُعُودِ سُعُودِ تَظَلُّ السُّعْبِ الْمَوَاطِرُ بِمِثْلِهَا هَوَاطِلُ ؛ وَتَوَحَّدَهُ بِهِ مِنَ الْإِمَامَةِ الَّتِي أَعَزَّ بِهَا

أحزاب التوحيد، وأجراه من بركاته التي لا تحصى الآمال لها هل من مزيد، وأوراه من فتحاته التي لا تحصى الآجال هل من تحيد، وأجذبه من إرادته لأزمة الأيام فهي بين إقامه وإسقامه تفيد وتفيد ؛ وأحدثه له من محجزات التأييد التي تملك أحاديثها ريق التأييد، وشرى به قدره في ملكوت السموات والأرض والملائكة له أنصار والملوك له عيسد ؛ وألهمه من إيداع جلي صنائمه حيث لا ينكر المقلد ولا يستغرب التقليد ، وأطلق به لسان كرمه من بدائع إحسان تروى بين التريد والتوليد - ينظر بنور الله فيمن ينظر به للجمهور، ويحلو عقائل المكارم على من هو ماهر في تقديم المهور؛ ويرى الذين يرجون بولائه تجارة لن تبور، ويقتدح الأنوار المؤدعة في سواد الشباب كما يودع في سواد العين بياض الثور؛ ويرفع رتب الأعيان حتى إذا تعاطاها سواهم ضرب بينه وبينها سور، وتعود أباذيه إلى بيوت النعم فكل بيت تولاه كاليبث المعمور؛ ويهدى المروء بهم إلى صدور الثور، والإيسام إلى ثغور الصدور؛ ويرى أنهم يستوجبون فواضله ميراثا، وإذا سلمت إليهم أئنة الولايات كانت لم ثراثا، وإذا تبوءوا الرتب العلية كانت الرئاسة لم دارا والسياسة أمانا؛ لا سيما الصدر الذي عرفته السعادة لدولة أمير المؤمنين واحدا يجمع فضل سلفه، وتذبا ماعرضت عليه جواهر الدنيا فضلا عن أعراضها إلا ولأها عطف زاهته وظلفه؛ وألميا تتأثر معاني المال من شمائله كما تنثر من غصن القلم نمارأخرقه، وكفا للصدور من أنهضه بها بنص تكلفه أنهضه بها فضل كلفه؛ وقواما بالأمور يمتضى عليها مضاه النعم في بحر حنيسه لا السهم في بحر هدفة، وملاكا للثغور إذا حل منها في إسكندريتها فهو على الحقيقة نجم حل برج شرفة؛ وطودا للوقار يعتري الحلم منه إلى أقومه لا إلى أخفه، وشرطا للاختيار، يكفي مصطفيه منه معرفه ومثونة معفه؛ ومعنى للفخار، لم يتصف فيه من لسان

واصفه تَسْمَعُ تَسْتَوْصِفُه ، وعلَّما للأنظار ، يبدو لمَ مَنَّا إشرافه وينحى عليهم
منال شرفه .

ولما كنت أيتها الأمير واسطة عقد هذه الأوصاف الحسنى ، ومنجد ألفاظها
من الحقيقة بالمعنى الأسمى ؛ التوحد من الرئاسة باسم لا يجمع بعده ولا يثنى ،
الجارى إلى غاية من المجد لا يرد عنها عتاه ولا يثنى ؛ الجدير إذا ولى أن يسكن
الريّة اليوم عدلا لا تسكنه في غد عدنا ؛ ويُمجِّز فهم وعد الله الصادق في قوله :
(وَلَيُبدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) . المستبد بالحمد حتى استقرّ فيا يفعل واستقرى
فيما يُكنى ؛ أثبت الذى لا تفرغ الأحوال صفاته ، التنب الذى لا تبلغ الأحوال
صفاته ، الولى الذى لا تكدر الأحوال مصافاته ؛ الجامع بين فضل السوابق وفضل
اللاحقين ، المتجلى في سماء الرئاسة نيرا لا تهضمه صروف الليالي المواق ؛ المشكور
الفعال لا باليسنة الحقائق بل باليسنة الحقائق ، المستبد بالهمم الجلائل المدلولة
على المحاسن الدقائق ؛ المستمد صوب الصواب من خاطر غير خاطل ، المستجد
ثوب الثواب يسعى ينصر الحق على الباطل ؛ المستعد لعقب الأيام بأقران من الخزم
تثنى على الأعقاب ، المسترد بمساعيه فوارط محاسن كانت مطوية في ضمائر الأحقاب ؛
السامى بهيمته ، إلى حيث تتفاصر النواظر السوامى ، المقرطس بعزيمته ، حيث لا تبلغ
الأيدى للرؤى ؛ المستقل بقط نواجم الخطوب وحسمها ، المستقر في النفوس أنه
يقوم في ظلمها مقام نجمها ؛ المطلق وجهها فلا غرو أن تُجلى به الجلى ، المطلق وصفا
حسا فلا يعرض له لولا ولا إلّا ؛ المؤيد العزمات ، في صون ما يفوض إليه ويليه ،
المتقى الثبات ، بمن يجاوره من الأعداء ويليه ؛ المنجي بسمعه ماشاده أوّوه ، والمتوصحة
فيه نصوص المجد الذى كانوا تأولوه ؛ والآوى إلى بيت تناسقت في عقوده الرؤساء
إجله ، والطالع منه في سماء إذا غربت منها البدور أشرقت فيها الأهله .

ولقد زِدَتْ عليهم وما قَصَّروا زيادةً أبيض الفجر على أزرَقِهِ ، وكنتَ شاهدٌ من
يُروى مناقِبَهُم البديع ، ودليلٌ من أدعى أن المكَّارمَ لكم مَلَكَةٌ وعند سِوَاكم وديع ؛
وقيلَ وصاياهم في العاليِ فكانما كانتْ لديكم شَريعته ، ونَصَرتم النولة العلوية فكنتم
لها أمثال أولياء وأخصَّ شيعه ؛ وتجلَّتْ أنسابكم باصطناعها وكفاكم إن عُدِتم
لصنائع الله صَنِيعه ، وأباحكم من أصطفاتها كلَّ درجة على تماطلي الأطلع عليه منيعه ؛
وقد تمَّتْ جيشَ برّها وبحرها ، وكان منكم سيفُ جهادها ونجمُ ليها وفارسُ كرها ؛
وصالتْ بكم على أعدائها كلَّ مَصال ، وأغرِبتْ من يَليها إلا إذا استقرَّتْ
في داركم إلى مَصال ؛ وحينَ خرجتْ منها خائفًا تترقب ، وأبقيتْ فيها حافياتِ عَقَب ؛
كنتَ الذهبَ المشهور ، الذي ما يَهْزجه الرِّغام ، والحَرْفَ المجهور ، الذي ما أدْرجه
الإدغام ؛ وكنتَ وإن كنتَ بين الكُفَّار ، عنهم شديدُ النَّار ، وحلَّتْ فيهم
عملُ مؤمن آلِ فرعونَ يدْعوهم إلى النجاة وإن دَعَوْهُ إلى النار ؛ وعُدَّتْ إلى باب
أمير المؤمنين عودَ الغائب إلى رَحله ، والآيب إلى أهله ؛ واستقرَّتْ به استقْرار
الجوهر في فصله ، والفرع في أصله ؛ وأبانَ الاستشفافُ عن جوهر كِ الشَّفاف ،
ونجستْ من تلك الهَفَوَات خروجَ الرياح لأخروج الكِفاف ؛ وأعرِبتْ السعادةُ
إذ حِينَك بمشيِّب أسود ، وتبيحَ الأماجدُ عُبارَكَ الذي يُرتفع من طريق السُّودد ؛
وأعظفتْ بمرورة الحِلَّة ، فَلَسْتَ من تد ولا منك تد ، وضربتْ قلبَ العيش الأصفى
بعد العيش الأثَنَد ؛ لاجرم أن أمير المؤمنين أنساك سيئةً أمْسَكَ بحسنة يومك ،
وسَمَّا بك إلى أعلى رُتب الأولياء وأغناك عن تعرُّض سَومك ، وأتمَّ بك على قوم
ما عَرَفُوا إلا رياسة قومك .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين أمين مملكته ، ويمين فُكَّته ؛ السيدُ الأجل الذي أتى
الله به سَهْمًا إلى مَصْر وهي كُتَاتُهُ ؛ وأفرده بمزية السبق فلا حظَّ لمُساجله إلا أن

تَدْمِي بَنَاتِهِ ، ورعى الرعية منه ناظرٌ لا تِلْمُ بناظره مَرَاوِدُ الْمُجُود ، وقام بالملك منه قائمٌ لا يَزَالُ يُورِدُهُ مَوَارِدُ الْجُود ؛ وأَغْتَنَى الْغَلَابُ عَنْ لِسَانِ الْجَلَاب ، ونال نَادِرَةَ الْأَمَلِ فِي نَادِرَةِ الطَّلَاب ؛ وَجَعَتْ فَتَكَاتُهُ مِنَ الْمَرَمِينَ إِلَى الْحَرَمِينَ ، وَصَرَفَ الرَّجَحَ تَصْرِيفَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ يُصَوِّلُ وَيَصِلُ بِقَلَمَيْنِ ؛ وَرَدَّ اللَّهُ بِهِ الْعُدُوَّ مُنْخَذِلًا ، وَطَالَمَا لَقِيَهُ فَأَقَامَ مُنْجِدِلًا ؛ وَأَخْصَى بِهِ ذَيْلَ النِّعْمَةِ مَنَسَحِبًا وَسِرَّ الْأَمْنَةِ مُنْشِدِلًا ، وَدَبَّرَ الْأُمُورَ فَاسْكَمَهَا حَازِمًا وَعَقَلَهَا مُتَوَكِّلًا - فَأَنهَى مَالِيفَتِكَ عِنْدَ الْأَتَمَةِ الْخُلَفَاءَ مِنْ مَرِيَّةِ الْأَكْمِطَفَاءِ ، وَمَا لَكَ فِي نَفْسِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي مَا بَرَحْتَ بَارِعَةً أَخْلَفَاءَ ، وَمَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِكَ الَّتِي مَا أَسْلَمْتَ بِمَنْقَبِهِ ، وَأَفْصَاكَ الَّتِي مَا تَفَارَيْتِ فِي يَوْمِ ذِي نِعْمَةٍ وَلَا يَوْمِ ذِي مَسْغَبَةٍ ؛ وَمَا لَكَ مِنْ وَثَائِقِ الْعُقُودِ ، وَمَا فِكَ مِنْ الْأَوْصَافِ الْمُؤَكَّدَةِ لِعَلَّائِقِ السُّعُودِ ؛ وَقَرَّرَ لَكَ الْخِدْمَةَ فِي كَذَا وَكَذَا - نَاجِجٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ بَانَ يُوعِزُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ لَكَ بِالْجِدْمِ الْمَذْكُورَةِ وَهِيَ الَّتِي فُرِّقَتْ لَسَلَفِكَ وَجُمِعَتْ لَدَيْكَ ، كَمَا أَنَّ مُحَاسِنَهُمُ الْمَفْرَقَةَ مَتَّظِمَةُ الْعُقُودِ عَلَيْكَ : لِيُكَمِّلَ لَكَ وَلَا يَنْقُصَ الثَّرْوَةَ وَالسِّيَادَةَ فِي حَالٍ ، وَلِيُسَدَّ بِكَ ثَغْرَ الْجِهَادِ وَثَغْرَ الْإِحْمَالِ ، وَلِتَقُومَ [فِي هَذَا] مَقَامَ الْمُجَفَّلِ الْجُرَّارِ فِي ذَلِكَ مَقَامَ الْحَيَاةِ الْهَطَّالِ . وَتَكُونُ فَرَاغَةُ الْإِحْمَالِ عِنْدَكَ تُوَامًا ، وَلِيَجْعَلَ أَبْتَدَاءَ تَصَرُّفِكَ لِفَيْدِكَ تَمَامًا ، وَلِيَخْتَصِرَ لَكَ طَرِيقَ الْكَمَالِ ، وَلِيَجْعَلَ بِكَ فِي مِيزَانِ الشُّكْرِ طَلِيقَ الْأَمَالِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدَتْهُ مِنْهَا عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ مُصَالِحُ الْأَعْمَالِ ، وَمِيزَانُ الْإِحْتِفَافِ وَالْإِحْجَالِ ، وَسَبَبُ النِّجَاحِ فِي الْإِبْتَدَاءِ وَعِنْدَ الْمَالِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ .

(١) جمع تروام - قال الأزهري ومثله غم ويا بواب وإبل غوار وهو من الجمع العزيز - انظر اللسان ج ١٤ ص ٣٣٨ .

وأبسط المدل على من يتحويه هذا الثغر الذى هو ثغر الثغور الباسم، وأولاهما بأن تكون أيامه بأوامر الله وأمر أمير المؤمنين موسى، ففيه من صدور المحافل، وقلوب الجحافل، وعيون المدارس، وأعيان الفوارس، وتجار الدنيا والآخرة، وأخبار الأمة المقيمة والمسافرة، ووُفُور مكارم عدل أمير المؤمنين التى هى بالرجاء واردة وبالرضا صادرة، من يؤثر أن يكون فضل السكون لهم شاملا، ورداء الأمن عليهم سائلا، وتحاب الإنعام عليهم هائلا، وحلم في الأساق لا متغيرا ولا حائلا. وسوا في الحق بين أئمتهم وأقرّبهم، ومقيمهم ومتزّهم، وأعمدّتهم من تقدم ذكره بما يعرف في الطاعة خاطره ويُشجّده، ويصونه من تحيف الأيدي الجائرة ويُثبّده، وأخصّص العلماء بكرامة تُعينهم على التلخيص، والأعيان بجزية تُوضح لهم ما لهم من مزية التقديم، وأكثف عوادي أهل الشرّ والشر، وأقع غلواء من أعتر بغير الله وأقرّب، وتوخّم بإقامة المهابة وبسطها، وكفّ الشوكة وقطّعا، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر، وأقم الحدود إقامة من يُتاب عليها ويُؤجر، وتفقدها على حدّها غير داخل في الأهل ولا خارج إلى الأكثر، وأذلك العيون على من يلج بسواحل الثغر من أسطول العدو اللعين ومراكبه، وأحمز بالبقلة بينه وبين تلصيص مطالبه، وأمر أهله بأخذ الأسلحة التى يُمزّ الله بها جانيه، ويُذلّ مجانيه، وتبلغ العدو اللعين من ذكرها ما يبعثها وهى فى أيديهم موقرة، ويبثّها فى مقاتلتهم ويؤتّم بها معمره، قال الله سبحانه فى آياته المتلوة : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ .

وأعتمد للأعمال البحرية مثل ما تقدم شرّحه من تأمين الأخيار وترويع الأشرار، وتبشيع كل مُريب مستخيف بالليل وسارب بالنهار، ومن ظفرت به قد حارب الله فى أرضه، وصار قتله من فرضه، فنقذ حكم الله فيه فى آية السيف وأمضه وأدغ إلى عمارة بلادها وتحقّرها، ونقذ المصالح بها وتكثّرها، وإطابة أنفس المزارعين

بما تحفظه عنهم من وطأة كانت ثقيله ، وثقله عنهم من مَمارِم لم تكن قليلة ؛ فما عَمَرَت البلاد بمثل التزاهة التي هي شِمتك المعناده ، والمعللة التي هي من خِلالك مستفاده ؛ وأعتدَّ كُلًّا من النَّائب في الحكم العزيز والناظر في الدعوة الهادية والمُشارف بالنظر والعمال برعاية تحفظ مَرايهم ، وتلحظ مطالبهم ، وتنفذ الأحكام ، وتبلغ بما ينظرون فيه من المصالح غايات التَّام ، وتُتميز طائفة الإيمان ، وتُظهر عليهم أثر الإحسان ؛ وتستدرُّ حَلَب الأموال ، وتستدبُّ عمارة الأعمال ؛ وتفضي بمواصلة الجمول وتحصيل الغلال ، وتعودُّ بها عليك عوائد الأجر والجمال ؛ ومثلك أشتاراً أيتها الأمير من وُلَّى فلم تطل له الوصايا التي يحتاج إلى إطلاتها سواء ؛ ويوثق بما يذكرك من عُيون حزم غير غَوَافِل ولا سَوَاه ؛ ويحقق أن تقواه رقيب سِرِّه ونجواه ، وأن أمير ورعه يحكم على أمير هواه ؛ والله سبحانه يجعل نعمة أمير المؤمنين لديك مأمولة الدوام موصولة الخيل ، ويُمثها عليك كما أتمها على أبويك من قبل ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كانت سائر ولايات أعمال الديار المصرية ، فكانت تكتب على نظير ذلك في الوجه القبلي - ولاية الجيزة ، وولاية الإطفيحية ، وولاية البهنساوية ، وولاية البوصيرية ، وولاية الأشمونين والطحاوية ، وولاية السيوطية ، وولاية الإنجيميّة ، وولاية الفيوم ، وولاية واج البهنسا ، وولاية الواح الداخلة ، وولاية الواح الخارجة . ومن الوجه البحري ولاية القليوبية ، وولاية منية تردى وهي منية عَمَر ، وولاية المرناحية ، وولاية الدقهلية ، وولاية مدينة تيس - وبها كانت دار الطراز - وولاية المنوفية ، وولاية جزيرة بني نصر وربما أضيفت إلى المنوفية وعبر عنها بالمنوفيتين ، وولاية جزيرة قوسينا ، وولاية البحيرة ، وولاية نهر رشيد المحروس ، وولاية نهر أستراره ، وولاية نهر ديباط ، وولاية القراما ، بساحل الشامى فيما دون العريش .

وأما البلاد الشامية فقد تقدم أنها كانت خرجت عنهم وتملكت الفرنج غالب سواحل الشام ، ولم يبقَ معهم إلا ساحل عسقلان ومقاربته وكان مقر الولاية بها في عسقلان .

وهذه نسخة سجل ولايتها ، وهي :

أما بعد ، فإن أولى ما قرأه أمير المؤمنين حفظه من العناية والامتنان ، واعتقد العكوف على مصالحه من أشرف القربات وأفضل الأعمال ؛ وأسند أمره إلى من يستظهر على الأسباب المعنية بحسن صبره ، وعدق النظر فيه بمن لا يشكّل عليه أمر لمضائه وتقائه ومعرفة خبره ، ما كان حرجاً للراطين ومعتقلاً ، ومتحداً للجاهدين ومؤيلاً ، وموجباً لكلّ مجتهد أن يكون لدرجات الثواب مرتباً متوقفاً ؛ عملاً بالخطوة للإسلام الذي جعله الله في كفائته وشماته ، وتمادياً على سياسته التي أقر بفضلها إقرار الضرورة كافة ملوك زمانه ؛ وحرصاً على الأعمال التي لم يرزق مقصوداً فيها بالطفاء الله تعالى وتوفيقه ، ويتبلاً للأمور التي أرشده الله سبحانه في تديرها إلى منتهج الصواب وطريقه ، ومضاعفة من الحسنات عند أوليائه أهل الحق وحزبه وفريقه .

ولما كانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - غرة في بهم الضلال والكفر ، وحما يمتاز عن البلاد التي كتمها الشرك بالناب والطفر ؛ وهو من أشرف الثغور والحصون ، وأهله أنصار الدين القيم المحفوظ المصون ؛ وكنت أيها الأمير من أعيان أمراء الدولة وكبرائهم ، ووجوه أفاضلهم ورؤسائهم ؛ ولك في الطاعة استرسال الأمن في مواطن الخاوف ، وفي الذب عنها وحمايتها مواقف كريمة لا توازي بالمواقف ؛ وقد وصلت في ولائها القديم بالحليت والسائد بالطريف ؛ وحين وليت مهمات

أَسْتَجِدُّ فِيهَا بِزَمِّكَ ، وَأَسْتَعِينُ عَلَيْهَا بِجَزَمِكَ ؛ تَهَيَّبَ الْأَعْدَاءَ فِيهَا ذِكْرَ آسَمِكَ ، وَكَانَ مِنْ آتَارِكَ فِيهَا مَأْشِيرُ غُفْلَتِهَا ^(١) بِوَسْمِكَ ؛ فَلَا يُبَارِكُ مُبَارِ إِلَّا أُرْبَتَ عَلَيْهِ وَزِدَتْ ، وَلَا يُتَاوَكُّ مُتَاوٍ إِلَّا أُنْسِيَتْ ذِكْرُهُ أَوْ كُنَتْ ؛ فَكَمْ لَكَ مِنْ مَقَامٍ مَجْمُودٍ يَسِيرُ شَأُوهُ وَوَصْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرِ جَمِيلٍ يُفَوِّحُ أَرْجَاهُ وَيَتَضَوَّقُ عَرَفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ جَمَالٍ فِي الْمَشَاطِمِ لَا يَقْصُرُ أَمْدُهُ وَلَا يَكْجُو طَرَفُهُ ؛ وَالسَّيِّدُ الْأَجَلُ الْأَفْضَلُ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ قُدْرَهُ وَرَفَعَ جَمْعَهُ ، وَجَعَلَهُ فِي الْفَضْلِ لُتُوحِيده دُونَ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ أُمَّةً وَحِدَةً ، وَأَلْهَمَهُ التَّجَرُّدَ لِنُصْرَةِ الْإِيمَانِ قَامَ بِحَقِّ اللَّهِ لَمَّا غَفَلَ الْمُلُوكُ وَقَعَدُوا ، وَأَمَدَهُ بِمَوَازِدِ السَّعَدِ فَاسْتَيْقِظَ بِمُفْرَدِهِ حِينَ نَامُوا عَنْ اسْتِخْلَاصِهِ مِمَّا عَرَّاهُ وَرَقَدُوا ؛ وَأَضْحَى أَنْتِصَابُهُ آيَةً أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِلَّهِ ، وَغَدَا أَنْتِصَارُهُ مُعْجِزَةً حَسَمَ بِهَا فِي رُفْعِ مَنَارِ الدِّينِ كُلِّ عَلَيْهِ ؛ فِهْمَتُهُ مَصْرُوفَةٌ عَلَى مَا يُعِزُّ الشَّرِيعَةَ الْحَنِيفِيَّةَ ، وَعَزَمَتُهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهَا بِأَطْرَافِ الدُّوَابِلِ وَحَدِّ الْمُشْرِفَةِ ؛ فَبَلَّغَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا يَحَاوِلُهُ مَا يُضَاعَفُ نَفْرَهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَهْدُمُهُ لِمَعَادِهِ وَيَجْعَلُهُ فِي الْآخِرَةِ دُخْرَهُ ؛ بِجَوْلِهِ وَمَنْعِهِ ، وَطَوْلِهِ وَفَضْلِهِ .

فَلَا يَزَالُ هَذَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ يُثْنِي عَلَيْكَ ثَنَاءً يَحْتَدُّ لَكَ وَلَعَلَّكَ بِحُجَّتٍ بَاقِيًا ، وَيَحْبُوكُ مِنَ الْوَصْفِ وَالْإِطْرَاءِ بِمَا يَحْمِلُكَ فِي مَرَاتِبِ الْوَجَاهَةِ وَالنَّبَاهَةِ سَامِيًا رَاقِيًا ؛ وَيُرْتَحِّكُ مِنْ الْخِلْدَمِ لِأَجْلِهَا قَدْرًا ، وَيُطْلِعُ مِنْكَ فِي آفَاقِ سَمَائِهَا بَدْرًا ، وَيَعْمَلُ لَكَ بِمَا يُوْهِلُّكَ لَهُ صَيْتًا وَيُسِيرُ لَكَ ذِكْرًا ؛ وَحِينَ جَدَّدَ شُكْرَكَ ، وَأَوْصَلَ عَلَى عَادَتِهِ مَا يُسَيِّدُ أَمْرَكَ ؛ قَرَّرَ لَكَ وَلَايَةً «تَمْرَ عَسْقَلَانٍ» - حَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - الَّذِي هُوَ قُرَى الدِّينِ ، وَكَانَهُ الْمُوَحِّدِينَ ؛ وَوَزَّرَ الْأَخْيَارَ الْمُجَاهِدِينَ ، وَغَيَّبَ فِي صُدُورِ الْكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ ؛ فَامْضِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَاهُ مِنْ هَذَا التَّقْرِيرِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرَكَةَ مَضْمُونَةٌ فِيمَا يَتَكَلَّفُهُ مِنَ التَّدْيِيرِ

(١) الْغُفْلُ بِالضَّمِّ مَا لَا عَلَامَةَ فِيهِ مِنَ الْقِدَاحِ وَالطَّرِيقِ وَغَيْرِهَا وَمَا لَمْ يَتَّخِذْ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِ . انظر القاموس .

ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ولاية هذا الثغر
المهرس وعمله ، وما هو منتظم معه من سهله وجبله .

فاغترف قدر هذه النعمة التي رفعتك على جميع الأمراء ، وأغناك فيها حسن رأى
أمير المؤمنين ووزيره السيد الأجل الأفضل عن الوسائط والسفراء ، وأحلتك أعلى
مراتب الرفعة والسمو ، وأحفظتك مع بعد الدار بمنزلة القرب من قلوبهما والذود .

فتقلد ما قللك أمير المؤمنين من هذه الولاية الشاخصة المحل ، التي غدا محطورها
على غيرك من المباح لك المحل ، وتلقها من الشكر بما يحلها إليك آويه ، ولديك
مقيمة ثاويه ، وأعمل فيها بتقوى الله التي إذا أطلبت الخطوب طلعت في ليلها
بحرا ، قال الله عز من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيُغْنِهِ اللَّهُ مِنْ فَتْرِهِ ﴾ .

وأشمل أهل هذه الولاية بالمأئنة بينهم فيما كان حقا ، ولا تجعل بين الشريف
والمشروف في الواجب قرقا ، وأمر بالمعروف وأبى عليه ، وأنه عن المنكر وأمتنع
من الإجراء إليه ، وأقم الحدود مستعزا في إقامتها على العادة ، ومتوقفا من نقص
ما يؤمر به منها أوزياده ، وأصرف النصب الأجل ، الأوفر الأكل ، إلى الاستيقاظ
للعمو المخدول المجاور لك والبحث عن أخباره وعمل المكابد له ، ومواصلته بما
يديم محاقته ووجهه ، وأغزه في عقرداره ، وأقصده بما يقضى بتقص مناره ،
ولا تهمل تسير السرايا إليه ، وإطلاع الطلائع بالمكاريه عليه ، وأعتمه بما يشترد
عنه لذيد منامه ، وأزرع في قلبه خوفا يهابك به في يقظته وفي أحلامه . وأفضل
في أمر من يجرؤ إليك من عسكر البذل المنصور في تقرير ثوب المنكر ، ولتخير لمن
كل متوئب على الإقدام متجاسر ، ما تقتضيه الحال بما أنت [أ] أقوم لمعرفته ، وأهدئ
الناس في ميوله ومحجته . ووفر حظ القاضي المكين متولى الحكم والمشاركة من

إعزازك وإكرامك ، وأشمالك وأهتمالك ؛ ورعايتك ومعايذك ، والعمل في ذلك بما هو معروف من سياستك ، ومشهور من رياستك ؛ وكذلك المستخديم في الدعوة الهادية بمقتضى الله تعالى ، فاعتمده بما يُعز أمره ، ويسيطر أمّله ويشرح صدره . وضافر على أمر المال ، ووَقُور الاستقلال ؛ والعمل من ذلك بما فيه أكبر حفظ للديوان . وأجر على ما هو مشهور عنك في ولايتك من حُسن السياسة ، والعمل بقضايا المصلحة ، والتبذل لما تستقيم به أمور الخدمة ، وحفظ أهل السلامة وأرباب الدين ، وإعمال السيف في مستوجبيه من المفسدين والمتمردين ، مما أنت أُنشدُ الولاء فيه ، وأعلمهم بما يوجبهُ الصواب ويقتضيه ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر بما تجب المطالبة بمثله ؛ إن شاء الله تعالى ^(١) .

المذهب الثاني^(٢)

(أن يفتح ما يُكتب في الولاية بلفظ « هذا ماعهد عبد الله ووليه فلان أبو فلان ، الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، لفلان الفلاني حين ولّاه كَيْتَ وَكَيْتَ » من غير تعرض لتحميد في أول ما يُكتب ولا في أشائه ؛ ثم يقال : « أمره بكذا وأمره بكذا » على قاعدة ما كان يكتب في اليهود بديوان الخلافة ببغداد ، وهو قليل الاستعمال عندهم للناية القُصوى ، ولم أظفر منه بغير هذا العهد)

وهذه نسخة عهد على هذه الطريقة ، كُتِب به عن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، للمحسن بن علي بن النعمان ، بقضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب ، مضافاً إلى ذلك النظر في دور الضرب والعيار وأمر الجوامع والمساجد ، وهو :

(١) في بعض النسخ هنا زيادة نصها « وأما الوظائف الدينية فنها » ثم ترك يماناً بقدر نصف صفحة .

(٢) وقع في الأصول الضرب الثاني وهو سهو من النسخ .

هذا ما عهد عبده الله ووليه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للقاضي حسين بن علي بن الثمان حين ولّاه الحكم بالمعزّة القاهرة ومصر، والإسكندرية وأعمالها، والحرمين حرسهما الله تعالى، وأجناد الشام، وأعمال المغرب، وإعلاء المنابر، وأئمة المساجد الجامعة، والقومة عليها والمؤذنين بها، وسائر المتصرفين فيها وفي غيرها من المساجد، والنظر في مصالحها جميعا، ومشاركة دار القرب وعيار الذهب والفضة، مع ما اعتمده أمير المؤمنين وأتقاه، وقصده وتوخاه: من اقتفاهه لأتاه، وأتاهته إلى إيثاره، في كلّ عليّة للدولة ينشرها ويُنحّيها، ودنيّة من أهل القبلة يذُرّها ويُبقيها، وما التوفيق إلا بالله وليّ أمير المؤمنين عليه توكله في الخيرة له ولسائر المسلمين فيما قلده إياه، من أمورهم وولّاه .

أمره أن يتقي الله عز وجل حقّ التقوى، في السر والظهر والتجوى؛ ويعتصم بالثبات واليقين والنهي، وينقص من الشبهات والشكوك والهووى: فإن تقوى الله تبارك وتعالى مؤتّل لمن وآل إليها حصين، ومُعقل لمن اقتفاهها أمين، ومُعول لمن عول عليها مكين، ووصيّة الله التي أشاد بفضلها، وزاد في سناها بما عهد أنه من أهلها، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ .

وأمره أن لا يترل ما ولّاه أمير المؤمنين [إياه] من الأحكام في السماء والأشعار والأبشار، والقروج والأموال، [عن] مترلته العظمى من حقوق الله المحترمة، وُمرماته المعظّمة، وبيّناته المبيّنة في آياته المحكّمة؛ وأن يجعل كتاب الله عز وجل وسنة جدنا محمد خاتم الأنبياء، والمأثور عن أئمتنا على سيّد الأوصياء، وأبائنا الآتمة العجباء - صلى الله على رسوله وعليهم - قبلّة لوجّهه إليها يتوجّه، وعليها يكون المتجّه . فيحكم

(١) في الأصل «إلى يتوجه وعليها لا يكون متجه» وهو غير مستقيم - تأمل .

بالحق ويقضى بالقسط، ولا يُحْكَمُ الهوى على العقل، ولا القسط على العدل، إنا را
لأمر الله عز وجل حيث يقول : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ
يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ : ﴿ وَلَا يَحْزِنَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَأَهْوَأُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

وأمره أن يُقَابِلَ مَارِسَةَ أمير المؤمنين وحده لقائه برجوان، من إعزازه والشدة
على يده، وتفضيد أحكامه وأفضيته، والقصر من عنان كل متطاوِل على الحكم،
والقبض من شكائهم، بالحق المفترض لله جل وعز ولأمر المؤمنين عليه : من ترك
المجاملة فيه، والمحاباة لذي رحم وقربى، وولى للدولة أو مولى، فالحكم لله وخليفته
في أرضه، والمستكين له حكم الله وحكم وليه يستكين، والمتطاوِل عليه، والمباين
للإجابة إليه، حقيق بالإنذالة والنهوض؛ فليتيق الله أن يستحي من أحد في حق له :
﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ .

وأمره أن يجعل جلوسه للحكم في المواضع الضاحية للحاكين ويرفع عنهم حجاب،
ويفتح لهم أبوابه، ويحسن لهم انتصابه، ويقسم بينهم لحظه ولفظه قسمة لا يُحَايِ
فيها قويا لقوته، ولا يُرْدِي فيها ضعيفا لضعفه؛ بل يميل مع الحق ويمنح إلى جهته،
ولا يكون إلا مع الحق وفي كفته، ويذكر بموقف الخصوم وعمايتهم بين يديه موقفه
وعمايتهم بين يدي الحكم العدل الديان : ﴿ يَوْمَ يُعَذِّبُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا
وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ .

وأمره أن يُنِيعَ النظر في الشهود الذين إليهم يرجع وبهم يقطع من مفايد القضايا
ومقاطع الأحكام، ويستشف أحوالهم استشفافا شافيا، ويتعرف دخالهم

تعرّفا كافيا؛ ويسأل عن مذاهبهم وتقليداتهم في سرهم وجهريهم، والجلّي والخلفيّ من أمورهم؛ فمن وجده منهم في العدالة والأمانة، والترّاحة والصّيانة؛ وتعمّري الصّدق، والشهادة بالحق، على الشّيمة الحسنى، والطريقة المثلى، [أباه] وإلا كان بالإسقاط للشهادة أوّل. وأن يُطالعَ حضرة أمير المؤمنين بما يؤوله فيمن يعتله أو يردّ شهادته ولا يقبله: ليكون في الأمرين على ما يحلّه ويمثله، ويأمن فيها هذه سبيله كلّ خلل يدخله؛ إذ كانت الشهادة أسّ الأحكام، وإليها يرجع الحكم، والنظر فيمن يؤهل لها أحقّ شيء بالإحكام؛ قال الله تفتست أسماؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْقَوْمِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

وأمره أن يعمل بأمثلة أمير المؤمنين له فيمن يلي أموال الأيتام والوصايا وأولى الخلل في عقولهم، والعجز عن القيام بأموالهم؛ حتى يجوز أمرها على ما رضى الله ووليّه: من حياتها وصيانتها من الأمانة عليها، وحفظهم لها، ولقظهم لما يحرم ولا يخلّ أكله منها؛ فيقبوا عند الله بعدا ومقتا، آكل الحرام والموكل له مُحتا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

وأمره أن يُشارف أئمة المساجد والقومة عليها، والخطباء بها والمؤذنين فيها، وسائر المتصرّفين في مصالحها؛ مشاركة لا يدخل معها خلل في شيء يلزم مثله: من تطهير ساحتها وأفتيتها، والاستبدال بما تبدّل من حصرها في أحيائها، وعمارتها بالمصاييح

في أوقاتها، والإنذارِ بالصَّلواتِ في ساعاتها، وإقامتها لأوقاتها، وتوفيتها حتى رُكوعها ومُجودها، مع المحافظة على رُسومها وحدودها، من غير اختراع ولا اختلاع لشيء منها : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يَرعى دَارَ الضُّربِ وِعَارَ الذهبِ والفضةِ بثقاتٍ يَحْتَاطُونَ عليهما من كلِّ لئسٍ، ولا يَمَكِّنُونَ المتصرفينَ فيهما من سببٍ يَدْخُلُ على المُعَامَلِينَ بهما شَيْئًا من الوَكْسِ؛ إذْ كَانَ بِالْعَيْنِ وَالْوَرَى تَتَنَاوَلُ الرَّبَاعُ، وَالْقَبِياعُ وَالْمَتَاعُ؛ وَيُتَبَاعُ الرِّقِيقُ، وَيَتَعَقَّدُ الْمَنَاحُخُ وَيَتَقَاضَى الْحَقُوقُ؛ فَدُخُولُ الْغَنَى وَالِدَّخَلُ فِيهَا هَذِهِ سَبِيلُهُ جُرْحَةٌ لِلدِّينِ، وَضَرْهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ يَتَبَرَّأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

وأمره أن يَسْتَعِينَ عَلَى أَعْمَالِ الْأَمْصَارِ التي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسَاهِدَهَا بِأَفْضَلٍ وَأَعْلَمَ وَأَرْشَدَ وَأَعْمَدٍ مِنْ مُمَكِّنَةِ الْأَمَانَةِ بِهِ عَلَى مَا طَوَّقَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي آسْتِمَالِهِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

هذا مَاعِيَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَوْفِ بِهِدَهُ، تَهْتِدْ بِهِدِيهِ، وَتَرُشِدْ بِرُشْدِهِ؛ وَهَذَا أَوَّلُ أَمْرَةٍ أَمَرَهَا لَكَ فَأَعْمَلْ بِهَا، وَحَاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ حَسَابِهَا، وَلَا تَدْعُ مِنْ عَاجِلِ النَّظَرِ لَهَا أَنْ تَنْظُرَ لِمَا بَهَا : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَادِلًا عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَاعِيلًا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وكتب في يوم الأحد لسبع ليال بقين من صفر سنة ٣٨٩ .

المذهب الثالث

من مذاهب كُتِّب الدولة الفاطمية

(أن يُفتتح ما يُكتب في الولايات بخطبة مبتدأة بالحمد لله كما يكتب في أعلى الولايات في زماننا ، ويقال : « يحمد أمير المؤمنين على كذا وكذا ، ويسأله أن يصل على عهد وآله ، وعلى جدته على بن أبي طالب » ثم يقال : « وإن أمير المؤمنين لم يزل ينظر فيمن يصلح لهذه الولاية ، وإنه لم يجد من هو كفو لها غير المولى ، وإنه ولأه تلك الوظيفة » ثم يوصى بما يليق به من الوصية ؛ ثم يقال : « هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ، فأعمل به » أو نحو ذلك مما يعطى هذا المعنى)

وقد أورد على بن خلف من إنشائه في كتابه " مواد البيان " المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدة تقاليد لأرباب السيوف .

منها — تقليد في رسم ما يكتب للوزير ، [وهو] :

الحمد لله المنفرد بالملكوت والسلطان ، المستغنى عن الوزراء والأعوان ؛ خالق الخلق بلا ظهير ، ومصورهم في أحسن تصوير ؛ الذي دبر فاعن التدبير ، وعلا عن المكلف والمشير ؛ المأث على عباده بأن جعلهم بالتوازر إخوانا ، وبالنظائر أعوانا ؛ وأقر بعضهم إلى بعض في انتظام أمورهم ، وصلاح جمهورهم .

يحمد أمير المؤمنين أن استخلفه في الأرض ، وناط به أسباب البرم والنقض ؛ وأسترعه على بريته ، وأستخلصه لخلافته ؛ وقبضه لإعزاز الإسلام ، وحياطة الأئام ، وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام ؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ؛ المؤيد بأفضل الظهور ، وأكل الوزراء ؛ على بن أبي طالب المتكفل في حياته ، بنصره وإظهار شريعته ، والقائم بعد وفاته ، مقامه في أمته ؛

صلى الله عليهما، وعلى الأئمة من ذريتهما، مفاتيح الحقائق، ومصابيح الخلائق؛ وسلم، وشرف وكرم.

وإن الله تعالى نظر خلقه بعين رحمته، وخصَّ كُلًّا منهم بضرب من ضرب نعمته، وأقدّرهم بالتعاضد، على انتظام أمورهم الوجودية، وأوجد لهم السبل بالترافد، إلى استقامة شئونهم الدنيوية : لتنجس عيون المعاون بتوازيهم، وتندّ أخلاق المرافق بتظافرهم.

وأولى الناس بالتخاذ الوزراء، واستخلاص الظهراء، من جعله الله تعالى إلى حقّه داعياً، وخلقّه راعياً؛ ولدار الإسلام حامياً، وعن جمّاه مُرامياً؛ واستخلفه على الدنيا وكلفه سياسة المسلمين والمُعاهدين، ولذلك سأل موسى عليه السلام وهو القوى الأمين، في استخلاص أخيه هارون لوزارته، وشذّ أزره بموازرته، فقال : (وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَنِّي أَشَدُّ بِهِ أَزْرًى)، واستوزر محمد صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ابن عمه علياً سيد الأوصياء؛ بدليل قوله له : « أَنْتَ مِنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » لأن الإمام لو تولى كل ما قرب وبُعد بنفسه، وعوّل في حيطته على حواسه؛ لنص ذلك بتطرق الخلل، ودخول الوهن والشلل؛ وإنما تستعين الأئمة على ما كفلها الله بكفأة الأعوان، وأهل النصرة في الأديان؛ وذوى الاستقلال والتشمير، والمعرفة بوجوه السياسة والتدبير؛ والخبرة ببحار الأعمال، وأبواب الأموال، ومصالح الرجال.

وإن أمير المؤمنين لم يزل يرتاد لوزارته حقيقةً بها مستحقاً نعتها بجامعين الكفاية والنفاء، والمناصحة والولاء، والأبوة والإخصاص، والطاعة والإخلاص؛ والنصرة والعزم، وأصالة الرأي والحزم؛ ونفاة السياسة والتدبير، والنظر بالمصلحة في الصغير والكبير؛ والاحتياط والتأديب، وملازمة الأيام والتجريب؛ والإلتناء

إلى كريم المناجب، بضمير المتكصب؛ ويكرّر في الاختيار تهليله^(١)، ويحيل في الاستقاء تأمله وتدبره. وكلما عرّضت له غيلةً فمن توافق إشارته، أخلف نوعها، وكلما لاحث له بارقة تطابق اختياره، خبا ضوعها؛ حتى آتته رويته إليك، وأوقفه آرتياده عليك؛ فراك لها من بينهم أهلاً، وبتقص سرها لها أولى؛ وبلاستبداد بإمرتها أحق وأحرى: لكشمالك على أعيان الخصائص التي كان زياد [لها] جامعاً، وحلولك في أعيان المناقب التي لم تزل ترومها متعلّياً بفرائدها، وماشهرت به من إفاضة العدل والإفراط، وإفاضة الجور والإشطاط؛ وإنالة الحق والإنصاف، وإزالة الظلم والإجحاف؛ ومراعاة النصيح بأفسانك شاهداً، ومناجاته بمحذارك جاهدًا؛ ولنهوضك بالخطب إذا ألمّ وأشكل، والحديث إذا أتم وأعضل؛ وتقرّرك بالمساعي الصالحة، والآثار الواضحة، والطرائق الحميدة، والمذاهب السديدة؛ والتحلّ بالتراعة والظلف، والعطل من الطبع والتطف؛ وفضيل السيرة، وصديق السيرة؛ ومحبة الخاصة والعامة، والمعرفة بقدر الأمانة؛ والإضطلاع بالصنيعه، والحفظ للوديعه.

فراى أمير المؤمنين براهه فيما يرّيه، ويقضى له بالصلاح فيما يعزم عليه ويخفيه ويسدّ مراميّه ومسايعه؛ ويتعهده في جميع مقاصده بلطف تحلوّ ثماره، وتحسّن عليه وعلى الكافة آثاره؛ أن قد ولّك النظر في مملكته، وأعمال دولته: برّها وبحرّها، وسهلها ووعرها، وبنوها وحضرها؛ وردّ إليك سياسة رجالها وأجنّاحها، وكنايتها وعرفاتها، ورعيّتها ودواوينها، وأرتفاعها ووجوه جباياتها وأموالها، وعقدك بك البسط والقبض، والبرم والنقض؛ والحطّ والرفع، والمطاء والمنع، والإنعام والودع، والتصريف والصرف؛ هبة بأن الصواب منوط بما تُسدى وتُجِم، وتُفيض وتنظّم، وتتقّض وتُبرم؛ وتُصدر وتُورد، وتُقرّر وتأتى وتُدر.

فَلَقَبْنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ مِمَّا بَلَّسَهَا ، سَاوِيًا فِي قَبَسِهَا ، وَلَقَّبَهَا مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَسْتَرْهِنُهَا
وَيُخَلِّدُهَا ، وَيُقَرِّزُهَا عَلَيْكَ وَيُؤَيِّدُهَا ؛ وَأَعْرِفْ مَا أَلْهَكَ لَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ
الْأَثِيرِ ، وَالْمَحَلِّ الْخَطِيرِ ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِفَضْلِ حَصَانِكَ ، وَهَقَابَةِ فِطْرَتِكَ ، وَحُسْنِ دِيَانَتِكَ ،
وَوَثَاقَةِ تَجَرُّبَتِكَ - عَنِ الْبَصِيرِ ، مُسْتَفْنِيًا عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَزِيدَكَ مِنْ مَرَّاشِدِهِ ، مَا يَهْدِيكَ عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ وَمَقَاصِدِهِ ، وَهُوَ
يَأْمُرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، وَاسْتِشْعَارِ خَشْيَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ ؛ وَاللَّهُ قَدْ
جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ عَجْرًا مِنْ ضَيْقِ أَمْرِهِ وَحَرَجِهِ ، وَنَصَبَ لَهُ أَعْلَامًا عَلَى مَنَاحِيحِ قَرَجِهِ .
وَأَنْ تَسْتَعْمَلَ الْإِنْصَافَ وَالْعَدْلَ ، وَتُسَبِّحَ الْإِحْسَانَ وَالْفَضْلَ ، وَتُكَلِّمَ كَنَفَكَ ، وَتُظْهِرَ
لِقَلْبِكَ ، وَتُحْسِنَ سِرِّكَ ، وَتُقَيِّصَ رِيكَ ؛ وَتَصْفَحَ وَتَحْلُمَ ، وَتَعْفُو وَتَكْرُمَ ؛ وَتُبَصِّرَ
مَنْ تَرْجُو صَلَاحَهُ وَتَهْمَمَهُ ، وَتُصَيِّفَ مَنْ أَفْرَطَ جِمَاحَهُ وَتُقَوِّمَهُ ؛ وَتَأْخُذَ بِوَثَاقِ
الْحَزْمِ ، وَجَوَابِ الْمَزْمِ ؛ وَالْفَلْظَةِ وَالشَّدَةِ عَلَى مَنْ طَفَى وَلَجٌّ فِي غِيٍّ وَعَنَاءٍ ؛ وَبَارَكَ اللَّهُ
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ ، وَالْإِنْخِرَافِ وَالنِّقَاقِ ، مُسْتَعْمِلًا فَاضِلَ التَّدِيرِ عِنْدَ
الْمُؤَادَعَةِ ، وَفَاضِلَ الْمُكَالَفَةِ عِنْدَ الْمُقَارَعَةِ ؛ مُصْلِحًا لِلْفَاسِدِ ، مُشَدِّدًا لِلشَّارِدِ ؛ مَكْرُمًا
لِلْأَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَخُلَصَائِهَا ، وَحَاصِدًا لِبُقَاتِهَا وَأَعْدَائِهَا ؛ وَاعْظَمًا مَذَكَّرًا لِلْفَاقِلِ ، مُؤَمِّنًا
لِلظُلُومِ الْخِلَافِ ، غَنِيًّا لِلظَّالِمِ الْخَافِ ؛ مُسْتَصْلِحًا لِلْيَسِيطِينَ ، مَذَكَّرًا بِإِحْسَانِ الْحَسِينِينَ ؛
مُسْتَجِرًّا لِمَنْ الْجَزَاءُ عَلَى بِلَاقِهِمْ فِي الطَّاعَةِ وَأَتَارِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ . وَأَنْ تَنْظُرَ فِي رِجَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى
أَخْتِلَافِهِمْ نَظْرًا يَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ السَّدَادِ ، وَيُخْرِجُ أُمُورَهُمْ عَلَى أَفْضَلِ الْعُرْفِ الْمَعْتَادِ .
فَأَمَّا الْأُمَامُ وَالْأُمَرَاءُ ، وَالْأَعْيَانُ وَالرُّؤَسَاءُ ، فَتَحَفَّظْ عَلَى مَنْ أُجِدَّتْ طَرِيقَتُهُ ،
وَعُرِفَ إِخْلَاصُهُ وَطَاعَتُهُ ، شِعَارَ رِيَاسَتِهِ ، وَزَيْدٌ فِي تَكْرِمَتِهِ ، وَتَنْهَى بِهِ إِلَى مَا تَخْرَأَى
إِلَيْهِ مَوَاضِي هِمَّتِهِ .

وأما طوائف الأجناد فقُرِّم على مرَّاتهم في ديوان الجيش المنصور، وتخصَّصهم من عنايتك بالنصيب الموقور، وتسخيلهم في سدِّ الثغور وتشديد الأمور؛ وتُراعى وُصول أطاعهم إليهم، أوقات الاستحقاق إليهم؛ وانفاقهم نصاب الوجوب منهم .

وأما الكتَّاب المستخدمون منهم في استخراج الأموال، وِعمارة الأعمال، فتخصَّص كفاتهم بما تقتضيه كفايتهم، وأمناعهم بما توجبه أماناتهم؛ وتُسبَدُّ بالباجر الخبيث الطغمة، والطَّبع المستشعرِ شعار المذمة: ليتحفَّظ التَّره المأمون بزائمه وأمانته، ويُقْلِع الدُّنس الخثون عن دنسه وخيائته؛ وتأمَّر من تختاره لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يَسِيرُوا بالسَّير الفاضله، ويعملوا على الرُّسوم العادلة؛ فلا يَضَيُّعُوا حقَّ لبيت مال المسلمين، ولا يُخَيِّفُوا أحداً من المماثلين .

وأما الرِّعيَّة، فيأمرُك أن تحكِّم بينها بالسَّوية، وتعتدِّلها بعَدْل القضيَّة؛ وترَفِّع عنها نَبْر الجور، وتحميها من وُلاة الظلم؛ وتُسوِّمها بالفضل والرافة متى استقامت على الطاعة، وتادَّبَت في التَّباعه؛ وتَقوِّمها متى أبحَثَ إلى المنازح والإفتتان، وأصرمت على مَقْضِيَّة السلطان .

وأما الأموال وهي المُنَّة التي تُرَفِّف عزائم الأولياء، وتَقْض من نواظر الأعداء؛ فتستخرجها من حَقِّها، وتَضَعُها في مستحقِّها؛ وتجتهد في وفورها، وتوقِّر على ما عاود بَدْرورها؛ وأن تطالِّح أمير المؤمنين بذِّره وجِلَّة، وعقد أمرك وحلَّه؛ وتُنْهِي إليه كل ما تعرِّم على إِنْهائه، وترجع فيه إلى رايه: ليكرِّمك من موادِّ تبصيره وتعرفه، ويزيدك من هدايته وتوقيفه؛ بما يُقْضى بك إلى جادة الخير وسبيله، ويوضح لك مَلَم النَّجاح ودليله .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك : وقد أودعه من تلويح الإشارة ، ما يكفي به عن تصريح العبارة ، تمهيداً بآتي الأريب الأملئ ، والفطن اللودئ ، الذي تنهى به متون التذكير إلى أطرافه وحواشيه ، وتقضى به هودى القول إلى أعجازه وتواليه .

فقد ما قلدك أمير المؤمنين ، وكُن عند حسن ظنه في فضلك ، وصدق بحيلته في كمالك ، والله تعالى يعترف أمير المؤمنين وجه الخيرة في تصير أمره إليك ، وتقويه في مهماته عليك ، ويوفقك لشكر المؤهبة في استخلاصك ، والمنحة في اجتياك ، ويُنهضك بما حلك من أعباء مظاهريته ، وجسمك من أقال دولته ، ويُسدك إلى ما يُدر عليك أخلاق [نعمته] ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



ومنها - ما أورده في رسم تقليد زم الأقارب : وهو التقديم على أقارب الخليفة ، وهذه نسخته :

الحمد لله الذى ابتدأ بنعمته ابتداءً وأفضاباً ، وأعادها جزاءً وثواباً ، وميز من أخصه بهداية خلقه ، وأستخلصه لإظهار حقه ، بأضفاها عطاها ، وأصفها نطقاً ، وأحسنها شماراً ، وأجلها آثاراً ، وأستخرجهم من أطيب البرية أعراقاً ، وأظهرها شياً وأخلاقاً ، وأقدمها مؤدداً ومجداً ، وأكرمها أباً وجداً ، وتوحد بأفضل ذلك وأعلاه ، وأكمل وأسنه ، محمداً صفوته من خلصاته ، وخيرته من أنبيائه ، فأظهره من المنجب الكريم ، والمنعم الصميم ، واللوح الطاهر عنصراً ، الشريف جوهرها ، المحلوم كرمها ، ورشح من أختاره من عترته لسياسة بريته ، والدعاء إلى توحيده وطاعته .

يُجَدُّهُ أمير المؤمنين أَنْ شَرَفَهُ بِمِيرَاثِ النُّوَّةِ ، وَفَضَّلَهُ بِأَكْرَمِ الْوَلَادَةِ وَالْأَثْوَى ؛ وَأَحَلَّهُ فِي الثَّرْوَةِ الْعَالِيَةِ مِنْ الْخِلَافَةِ ، وَنَاطَ بِهِ أُمُورَ الْكَافَةِ ؛ وَيَسَّأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا .

وإِنْ أمير المؤمنين رَأَى أَنَّ مِنْ أَشْرَفِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ مَوْفِعًا ، وَالطَّيْفَ مَوَاهِبِهِ لَدَيْهِ مُوضِعًا ؛ تَوَفَّقَهُ لِلْحَافِظَةِ عَلَى مَنْ يُوَاتِجُهُ فِي كَرِيمِ نَسَبِهِ ، وَبِمَازِجِهِ فِي صَحِيمِ حَسَبِهِ ؛ وَيُدَانِيهِ فِي طَاهِرِ مَوْلَدِهِ ، وَيُقَارِبُهُ فِي طَيِّبِ مَحْتَدِهِ ؛ وَتَقْرِيلَ كُلِّ ذِي تَمِيزٍ مِنْهُمْ فِي دِينٍ وَعِلْمٍ ، وَدِرَايَةِ وَفَهْمٍ ، وَإِحْلَالِهِ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي يَسْتَوْجِبُهَا بِفَاضِلِ نَسَبِهِ ، وَفَضْلِ مَكْتَسَبِهِ ؛ وَيَمِثُّ أَظْهَارَهُ عَلَى التَّحَلِّيِ بِخِصَالِهِ ، وَالتَّرْتِيزِ بِخِلَالِهِ : لِيَحْصُلَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْخِلَاقِ وَالْآدَابِ ، مَا يُضَاهِي الْحَاصِلَ لَهُمْ مِنْ عِرَاقَةِ الْمُنَاجِبِ وَالْأَنْسَابِ ؛ وَلِذَلِكَ لَا يَزَالُ يَنْوُكُ أُمُورَهُمْ ، وَيَكُلُّ تَدِيرَهُمْ ، إِلَى أَعْيَانِ دَوْلَتِهِ ، وَأُمَائِلِ خَاصَّتِهِ ؛ الَّذِينَ يَتَأَدُّونَ حَضْرَتَهُ وَيَرَاوَحُونَهَا ، وَيَطَالِعُونَهُ بِمَحَافِظِ أَحْوَالِهِمْ وَيُنْهَوْنَ بِهَا ؛ وَيَسْتَخْرِجُونَ أَمْرَهُ مِنْ مَصَالِحِهِمْ بِمَا يَدُلُّ لَهُمْ قُطُوفَ إِحْسَانِهِ وَطَوْلِهِ ، وَيُعْذِبُ لَهُمْ مَشَارِعَ رَهْ وَفَضْلِهِ ؛ وَمَا تَوَفَّقُ أمير المؤمنين إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَتِيَّبُ .

فَإِنْ كَانَ الْمَهْدُ إِلَى خَادِمٍ ، قَالَ :

وَمَا كُنْتُ بِمُحْضَرَةِ أمير المؤمنين مُعْدُودًا فِي أَوَّلِي النَّبَاهِ ، الْمُرْتَحِّينَ لِلِاسْتِقْلَالِ بِأَعْيَاءِ دَوْلَتِهِ وَدَوَى الْوَجَاهَةِ ، الْمُسْتَخْلَصِينَ لِمُسْتَكْفَاءِ جَلَالِ مَمْلَكَتِهِ : لَمَّا أَجْتَمَعَ فِيكَ مِنْ إِبَاءِ النَّفْسِ وَعِزَّتِهَا ، وَوَقَافَةِ الدِّيَانَةِ وَحَصَافَتِهَا ، وَسَدَادِ السَّيْرِ وَأَسْتِقَامَتِهَا ، وَنَقَاءِ السَّرِيرَةِ وَطَهَارَتِهَا ؛ وَتَقَبُّلِكَ مِنْهُجِ أمير المؤمنين وَمَذْهَبِهِ ، وَتَمَثُّلِكَ بِهَدْيِهِ وَأَدَبِهِ ؛ وَنَشِيطِكَ فِي قُصُورِ خِلَافَتِهِ ، وَأَرْتَضَاعِكَ دَرَجَاتِ طَاعَتِهِ - رَأَى - وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْزِمُ لَهُ عَلَى الْخَيْرِ فِي آرَائِهِ ، وَيُوَفِّقُهُ لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِي أَمْعَانِهِ - أَنَّ قَلْبَكَ زَمَّ بِخِيَمَةِ

الأشراف الإسماعيليين ثقةً بسياسيتك وحيدٍ طريقك ، وإثافةً لثروتك وإعزاًبا
عن أمير مكاتك .

وإن كان العهد إلى شريف قبل بدلاً من هذا الفصل :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين ممن زين شريف تحته ، بمنيف سؤده ،
وطاهر مولده ، بظاهر تحته ؛ وكرم تالده بنفيس طارفه ، وجليل سالفه ، بنيل
آفه ، مقتنياً سنن أولئك ، مفرعاً على أصول توحك ضارباً بالسهم المثل في الدين
والعلم ، حائزاً خصل السبق في الرجاحة والفهم - رأى أمير المؤمنين أن قللك نقابة
بني عمه الأشراف الفلانيين : حجةً بأنك تعرف ما يحجمهم وإياك من الأرحام الواجبة ،
والأواصر المتنازجة ؛ وتحسن السيرة بهم ، والتمهد لهم والتوفر عليهم .

ثم يوصل الكلام بأى الخطاين قُتم فيقال :

فقلد ما قللك أمير المؤمنين مستشعراً هوى الله وطاعته ، معتقداً خيفته
ومراقبته ؛ سائراً فيمن ولأك أمير المؤمنين بسيرته ، مستناً بسنته ؛ متادباً بأدابه ،
مقتنياً مناهج صوابه ؛ وإكراماً هذه الأسرة [التى] خصها الله تعالى بكرامته ، وفرض
موقتها على أهل طاعته ؛ وزمها عن الأدناس ، وطهرها من الأرجاس ؛ فقال جل
قائلاً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأعيرف لهم حق مراتبهم الدانية من أمير المؤمنين ، وزلم بحيث زلم الله من
الدنيا والدين ؛ وأعتمد تعظيم مشايخهم وتوقيرهم ، وسياسة شُبَّانهم وتذيرهم ، وتقوم
أخلاقهم وتقيهم ؛ وحذم بلزوم الطرائق الحميدة ، والمذاهب السديده ؛ التى تليق
بأصولهم الطاهرة ، وفروعهم الثميرة ؛ ومتاحتهم الصميحة ، ومتاجهم الكريمة ؛
وتفقد منشاها ومراتبهم ، وخطاهم وقرباهم ؛ فمن تارك أعراقه ، وأخلاقه ،

وأنسابه، وآدابه، بالفت في تنبيهه وتعرضه، فإن تَجَّع ذلك فيه وإلا بسطت يدك إلى تهذيبه، وإصلاحه وتأديبه : لَيْسَ يَقِظَ مِنْ مَنَامَةِ غِرَّتِهِ ، ويرجع إلى اللائق بِشَرَفِ ولادته ، وأنظر فيما أوقف عليهم من الأملاك والمستغلات، والضَّياع والإقطاعات، والرُّسوم والصَّلَات، وأنْذِبْ لتوَلَّى ذلك مَنْ تَسْكُنُ إِلَى قِتَّةِ وأمانته من الكُتَّاب؛ وراعى سيرته في عَمَلاته ، وطريقته في تَتْمِيمِ مَالِهِ وزيادته ؛ فإن أَلْقَيْتَهُ كافيًا أمينًا أقررتَه ، وإن وجدته عاجزًا خُشُونًا صَرَفْتَهُ ؛ وأسْتَبَدَلْتُ بِهِ مَنْ يُحْسِنُ حَبْرَكَ ، وَيُطِيبُ أَثَرَكَ ؛ وأجر الأَمْرِ في قسمته بين دُكُورِهِم وإنايهم على الرسوم التي يشهد بها دِيُونُهُم ؛ وَأَكْتُبُ الرِّقَاعَ عَنْهُمْ إِلَى الحَضْرَةِ في أَقْتِضَاءِ رُسُومِهِمْ ، وما يَعرِضُ مِنْ مِهْمَاتِ أُمُورِهِمْ ، وتنتجز كل ما يتعلق بِهِم وتوبُّ عَنْهُمْ فيه : لتستقيم شُؤْنُهُمْ بِسِيَاسَتِكَ ، وتتنظِّمَ أحوالهم بِحُسْنِ سَيَرَتِكَ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاعمل به وأنته إلى متضمنه، إن شاء الله تعالى :



ومنها — ما أورده في رَسْمِ تَقْلِيدِ بِقَابَةِ الْعُلُوِّينَ ، وهو :

الحمد لله الذي آنجبَ من أَسْرَارِ عِبَادِهِ قَادَةَ جَلَلِهِمْ لِمَصَالِحِهِمْ نِظَامًا ، وَأَنْتَجَبَ مِنْ أَخْيَارِ خَلْقِهِ سَادَةَ صَبْرِهِمْ لِأُمُورِهِمْ قَوَامًا ؛ وَعَدَّقَ بِهِمْ هِدَايَةَ مَنْ ضَلَّ ، وَتَقَوَّيَ مِنْ دَلٍّ ، وَتَعَلَّمَ مِنْ جَهْلٍ ، وَتَذَكَّرَ مِنْ غَفْلٍ ؛ وَنَصَبَهُمْ أَعْلَامًا عَلَى طُرُقِ الرِّشَادِ ، وَأَدْلَةً عَلَى سُبُلِ السَّدَادِ .

يحمده أمير المؤمنين أن اختصه بأثرة الخلافة والإمامة ، وميزه بمزية الولاية على الأمة والزعامه ؛ وأنهضه بما كلفه من سياسة بريته وتزليلهم منازلهم من اختصاصه وإيثاره ، وإحلالهم في محالهم من استخلاصه واختياره ؛ ويسأله الصلاة على أشرف

الأئمَّ نَحَارًا وَأَطِيبِهِمْ عُنُصْرًا، وَأَعْظَمَهُمْ مَفَخَّرًا؛ سَيِّدَنَا عَجِدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَخِيهِ
وَأَبْنِ عَمِّهِ، وَبَابُ حِكْمَتِهِ وَعِلْمُهُ؛ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الرَّابِعُ فِي تَسْبِيهِ،
الْمُنَانِيُّ [لَهُ] فِي حَسْبِهِ؛ سَيْفُهُ الْبَاتِرُ، وَمُعْجِزُهُ الْبَاهِرُ، وَمُكَانِفُهُ الْمُنْظَاهِرُ؛ وَعَلَى
الْأُتَمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الْمُهَدِّدِينَ، وَمُسْلِمَ تَسْلِيمًا .

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا حَصَّهَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَرَفِ الْمَنْجَمِ وَالْمَوْلِدِ، وَكَرَمِ الْخَيْدِ
وَقَوْلِهِ مِنْ مَنَاصِبِ الْخُلَفَاءِ وَالْأُتَمَّةِ، وَطَاطَبِهِ مِنْ إِمَامَةِ الْأُتَمَّةِ - يَرَى أَنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ
الَّتِي يَحِبُّ التَّحَدُّثُ بِشُكْرِهَا، وَيَحِقُّ الْإِفَاضَةُ فِي نَشْرِهَا، تَوْفِيقَهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ
دَوَى مُنْمَتِهِ، وَأَوَّلَى مُنَاسَبَتِهِ؛ الْمُوَاسِّعِينَ لَهُ فِي أَرْوَمَتِهِ، الْمُعْتَرِينَ إِلَى كَرَمِ وِلَادَتِهِ؛
وَتَوْحِيهِمْ بِمَا يُرْفَلُهُمْ فِي مَلَابِسِ الْجَمَالِ، وَيُوقَلُّهُمْ فِي هَضْبَاتِ الْجَلَالِ؛ وَيُرْتَبِّهِمْ
فِي الرُّتَبِ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَهَا [وَيُرَاهَا] أَوَّلَى بِغَارِهُمْ وَأَنْسَابِهِمْ، وَمَأْسَاً بِأَنْفُسِهِمْ وَأَدَابِهِمْ؛
وَلِذَلِكَ يَصْرِفُ أَهْمَاتِهِ إِلَى مَا يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ شَرَفِ الْأَعْرَاقِ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ؛ وَطَهَارَةِ
الْعُنَاصِرِ وَالْأَوَاصِرِ، وَحَيَازَةِ الْمُنَاقِبِ وَالْمَأَثَرِ .

وَمَا كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جِلَّتِهِمُ الْعُلَمَاءِ، وَطَهَرَتِهِمُ الْأَزْكَيَاءُ؛
وَأَبْرَارِهِمُ الصُّلَحَاءُ، وَخِيَارِهِمُ الْقُضَلَاءُ، الَّذِينَ تَضَارَعَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَأَعْرَافُهُمْ،
وَتَقَارَعَتْ أَنْسَابُهُمْ وَأَدَابُهُمْ؛ وَتَشَاكَهَتْ مَوَارِدُهُمْ وَمَصَادِرُهُمْ، وَتَشَابَهَتْ أَوَائِلُهُمْ
وَأَوَاخِرُهُمْ، وَأَتَّفَقَتْ جُوبُهُمْ وَدَخَائِلُهُمْ، وَتَوَصَّحَتْ عَنِ الدِّينِ وَالْخَيْرِ غَايِلُهُمْ .
هَذَا مَعَ مَا رَاعَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرِيمِ مَسَالِكِ فِي خِدْمَتِهِ، وَإِحْصَاءِ مَرَامِكِ
فِي طَاعَتِهِ، وَأَعْتَمَادِكِ بِجَبَلِ مُتَابَعَتِهِ، وَتَهْوِضِكِ بِمَحْفُوقِ مَا أَسْبَغَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَتِهِ -
رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْضِي لَهُ فِي آرَائِهِ بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ، وَبِمِدَّةِ بِالْعَوْنِ
وَالْتَّيِيدِ فِي مَجَارِي الْأَقْدَارِ - أَنَّ قَلْبَكَ التَّنَاقُبَ عَلَى الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ أَجْمَعِينَ، الْمُقِيمِينَ

بالخضرة وسائر أعمال المملكة شرقاً وغرباً ، وبُعداً وقرباً ؛ فَعَقَّةً بِأَنَّكَ تَصَدِّقُ حَاجَتَهُ
فِيكَ وَاعْتِقَادَهُ ، وَتَسْتَدْعِي بِكَفَايَةِ مَا اسْتَكْفَاكَ شُكْرُهُ وَإِحَادَهُ ؛ وَتَسْتَدْرِكُ بِالْإِسْتِقْلَالِ
وَالْعَنَاءِ أَخْلَافَ إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ ، وَتَعْتَرِي بِالْأَضْطِلَاعِ بِمُضْلِعِ الْأَهْمَالِ فَائْتَضَّ أَمْتَانِهِ
وَطَوْلُهُ .

فَقُلْتُ مَا قَلْبُكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، مُسْتَشْعِرًا لِحَاجَتِهِ
وَمُرَاقِبَةً ؛ وَأَحْسِنَ رِعَايَةً مِنْ عَدَقَ بِكَ رِعَايَتَهُ ، وَسِيَاسَةً مِنْ وَكَّلَ إِلَيْكَ سِيَاسَتَهُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ مَيَّزَكَ عَلَى كَافَّةِ أَهْلِ نَسَبِكَ ، وَجَمِيعِ مِنْ يُؤَابِحُكَ
فِي حَسَبِكَ ؛ وَجَعَلَكَ عَلَيْهِمْ رَئِيسًا وَلَمْ سَائِسًا ؛ فَاعْرِفْ لِمَ حَقَّ الْقَرَابَةِ وَالْمَشَابَكَةِ ،
وَتَسَاجُرِ الْأَسَابِ وَالْمُشَارَكَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وَهُمْ جَمِيعًا بِالتَّوْقِيرِ وَالْإِكْرَامِ ، وَالتَّقَدُّدِ وَالْإِهْتِمَامِ ؛ وَأَتَّخِذُ
شَيْخَهُمْ أَبًا ، وَكَهْلَهُمْ أَخًا ، وَطِفْلَهُمْ وَلَدًا ؛ وَأَفْرِضْ لَهُمْ مِنَ الْحَنَانِ ، وَالْإِشْفَاقِ
وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ ، مَا تَقْتَضِيهِ الرَّحْمَةُ الدَّانِيَةِ ، وَالْأَوَاصِرُ الْمُتَقَارِبَةِ ؛ وَكُنْ مَعَ ذَلِكَ
مَتَّقِدًا لِأَحْوَالِهِمْ ، مَطَالِعًا لِسَيْرِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ؛ فَمِنْ أَلْفَيْتِهِ سَالِكًا لِأَقْصَدِ الطَّرَاقِ ، مَتَخَلِّقًا
بِأَجْمَلِ الْخَلَائِقِ ؛ حَارِسًا لَشَرَفِهِ ، مَتَشَبِّهًا بِسَلَفِهِ ، فِزْدَهُ فِي الْأَثَرَةِ زِيَادَةً تُرَغَّبُ أَمْتَالُهُ
فِي أَقْفَاءِ مَدَنِيهِ ، وَتَبَعْتُهُ عَلَى التَّأْدُّبِ بِأَدَبِهِ ؛ وَمِنْ وَجَدْتُهُ مُسْتَحْسِنًا مَا لَا يَلِيقُ بِصَرِيحِ
عِرْفِهِ ، رَاكِبًا مَا لَيْسَ مِنْ طَرَفِهِ ، فَانْقِطِعْ بِنَافِعِ الْوَعْظِ ، وَذَكَّرْهُ بِنَافِعِ الْكَلَفِ ؛ فَإِنْ
اسْتَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ، وَرَجَعَ إِلَى الْأَجْدَرِ وَالْأَوَّلَى ، عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ ،
وَفَرَضْتَ لَهُ مَا تَقَرَّرَ لَصُلَحَاءِ أَهْلِهِ : فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ ، وَوَعَدَ بِإِقَالَةِ
أَهْلِ الْإِنَابَةِ ؛ وَمِنْ أَنْصَرَفَ عَنِ التَّذَكُّرِ ، وَأَنْصَرَفَ عَنِ التَّبَصُّرِ ؛ وَأَصْرَّ وَتَمَادَى ،
وَأَرْتَكَبَ مَا يُوجِبُ حُدًّا ، أَمْتَلْتَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، وَأَقَمْتَ الْحَدَّ عَلَيْهِ ؛ غَيْرَ مُضْعٍ

إلى شَفَاعِهِ ، ولا مُوجب لحق دَرِيَسِهِ : فإن أمير المؤمنين يَصِلُ من ذَوِي أَنْسابِهِ ،
 من وَكَّدَهَا بِأَسْبَابِهِ ؛ ويقطَع من أوجب الحقِّ قطيعَتَهُ ، ولا يراعى رِجَّةَ وقرَابَتِهِ .
 ووَكَّلَ بِهِم من يَرَوِي إِلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ ، ويكشِفُ لك آثَارَهُمْ : ليعلموا أَنَّهُم بِيَالِ
 مَنْ مَطَالَعَتِكَ ، وبينَ مَنْ أَهْتَمَّ بِكَ ومشارَفَتِكَ ؛ فيَكْبُحُ ذلك جاعِعُهُم عن العِثَارِ
 والسَّقَطِ ، ويمنع طامِعُهُم من الزَّلَلِ والْفَلْطِ . وتَوَخَّهُمْ في خطابِكَ بالإِكْرَامِ ، وميزَهُم
 عن محاورَةِ العَوَامِ ؛ ولا تَهَابِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِيَدَاءٍ ولا مَسَبٍّ ، ولا قَدَحٍ في أمٍّ ولا أبٍ ؛
 فإنَّهُم فروغُ دوحَةِ أمير المؤمنين وعِترَتُهُ الذين طهرَهُم اللهُ مِنَ الأَرْبَاسِ ، وفَرَضَ قِرَامَهُمْ
 عَلَى النَّاسِ . ووَقَّرَ أَهْتَمَّكَ عَلَى صِيَانَةِ النَّسَبِ مِنَ الوُكُوسِ ، وحِياطَتِهِ مِنَ اللِّسِّ ؛
 فإنه نَسَبُ الرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يتصل يَوْمَ أَهْطَاعِ الأَنْسَابِ ، وسَبَبُهُ
 الذي يَتَشَجُّعُ يَوْمَ أَنْفِرَاطِ الأَسْبَابِ ؛ وَأَثَبْتَ أَسْمَاءَ كَأَفَى من يَمْتَرِي إلى هذا اليَتِ
 منسوبةً إلى أَسْوَاحِهَا : لتَأْمَنَ من دَخِيلٍ مُلْصَقٍ يَتَرَوَّرُ عَلَيْهَا ، ومُغْتَلِقٍ مُلْمَعٍ يَنْضُمُ
 إِلَيْهَا . وإن عَرَفَ مَدَّعٍ نَسَبًا لَاحِجَةً لَهُ فِيهِ ، ولا يَبْتَغِي عَنْدَهُ عَلَيْهِ ؛ فَعَلَّظَ لَهُ الْعِقَابَ ،
 وَأَشْهَرَهُ شُهْرَةً تَحْجِزُهُ عَنِ مَعَاوِدَةِ الكَذَابِ ؛ وَأَحْتَطَّ في أَمْرِ المَنَافِعِ وَصُنْهَا عَنِ
 الْعَوَامِ ، ووَقَّرَ كَرَامَتَهُمْ أَهْلَ الْيَتِ عَنِ مُلَابَسَةِ اللَّثَامِ ؛ وَإِنْ أَدْعَى أَحَدٌ مِنَ الرِّعْيَةِ حَقًّا
 عَلَى شَرِيفٍ فَاحْمِلْهَا عَلَى السُّوِيَّةِ وَعِدِهِ بِإِنْصَافٍ خَصِمِهِ ، وَأَمْنَتِهِ مِنْ ظُلْمِهِ ؛ وَإِنْ
 ثَبِتَ أَيْضًا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ حَقٌّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَشْرَافِ فَاتَّزِعْهُ مِنْهُ [وول] ^(١) عَلَى
 مِنْ فِي الْبِلَادِ ، أَهْلَ السَّدَادِ مِنْهُمْ وَالرَّشَادِ ؛ وَمُرَّهْمُ بِثَقِيلٍ مِنْهُمْ ، وَقَتْلُ أَهْلِكَ ؛
 وَأَصْرِفْ أَهْتَمَّكَ إِلَى حِفْظِ أَوْقَاتِهِمْ وَأَمْلَاكِهِمْ وَمُسْتَفْلَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ ،
 وَحُطَّهَا مِنَ التَّفَاءِ وَالْإِضْمِلَالِ ؛ وَتَوَقَّرْ عَلَى تَنْهِيهِ أَرْتِفَاعِهَا ، وَتَرْجِيَةِ مَالِهَا ؛

وَأَسْتَعِمْ لَضَبُطِ حَاصِلِهَا ، وَجِهَاتِ مُنْفَقِهَا ، مِنْ تَسْكُنَ إِلَى قَعْتِهِ ، وَتَتَّقِ بَهْضَتِهِ ؛
وَوَزَّعَ مَا يَرْفَعُ مِنْ أَسْتَغْلَالِهَا بَيْنَهُمْ عَلَى رُتَبِهِمُ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا دِيَوَانُهُمْ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَاتَّهِ إِلَيْهِ مُنْتَهَبًا لِمِثْلِهِ ؛ مَعْتَمِدًا بِدَلِيلِهِ ؛ وَطَالِعَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَتَيْتَسَ عَلَيْكَ وَأَنْهَمُ ، وَأَشْكَلُ وَأَسْتَعِمْ : لِيَقْفِكَ عَلَى وَاضِحِ السَّنَنِ ،
وَيُرِيْشَكَ إِلَى أَحْسَنِ السَّنَنِ ؛ وَأَسْتَعِمْ بِاللَّهِ يَهْدِيكَ لِمَوْتِهِ ، وَأَسْتَعِمْ يَهْدِيكَ بِهَدَايَتِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بزم طوائف الرجال .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَدِيعِ تَقْدِيرُهُ ، الْحَكِيمِ تَكْوِينُهُ ؛ الَّذِي أَثَقَّنَ مَاصِنَعَهُ وَأَحْكَمَهُ ، وَكَلَّمَ مَا لَمْ يَدْعُ
وَعَمَّه ؛ وَأَعْطَى كُلَّ مَصْلُحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ نِظَامًا ، وَكُلَّ مَرَقٍ مِنْ مَرَاقٍ
خَلَقَهُ قِيَامًا ؛ فَلَا يُقَارَبُ فِيهَا خَلْقٌ وَصُورٌ ، وَلَا يُشَاكَلُ فِيهَا قَدَرٌ وَدَرٌّ ؛ وَرَأَى تَلَمَّ بِرَبِّهِ
بِمَنْ أَسْتَخْلَصَهُ مِنْ خَاصَّتِهَا ، لِسِيَاسَةِ عَامَّتِهَا ؛ وَأَتَّقِيهِ مِنْ أَشْرَافِهَا ، لَتَسْدِيدِ أَطْرَافِهَا ؛
وِإِقَامَةِ مَنْ سَادَهَا لِإِصْلَاحِ فَاسِدِهَا ، وَتَقْوِيمِ مَائِدِهَا ؛ وَتَوْقِيفِهَا عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ ،
وَتَعْرِيفِهَا بِجَاهِسِ الْأَدَابِ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحَلَّهُ فِي الْمَثَلَةِ الْعَلِيَّةِ : مِنْ أَصْطِفَائِهِ وَأَسْتَخْلَاصِهِ ، وَالْقُرَّةِ
السَّيِّئَةِ : مِنْ أَجْتَابِهِ وَأَخْتِصَاصِهِ ؛ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ تَرْيَلِ الرِّبِّ وَتَحْوِيلِهَا ، وَإِقْرَارَ
الْمَنَازِلِ وَتَحْوِيلِهَا ، وَنَاطَ بِهِ الْبَرِّمَ وَالنَّقْصَ ، وَالزُّعْ وَالنَّقْصَ ؛ وَالزُّعْ وَالنَّقْصَ ،
وَالزُّيَادَةَ وَالنَّقْصَ ؛ وَسَوَّغَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَوَاهِبِهِ السَّابِقِ عَطَافُهَا ، الْفَسِيحَةِ أَكْثَافُهَا ،
الْبُعِيدَةِ أَطْرَافُهَا ؛ وَ[يَسْأَلُهُ] أَنْ يَصِلَى عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَمُفِيدِ الْحِكْمَةِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ

الرَّسُلَ ، وَمُوتِحَ السُّبُلِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ ، وَخَلِيفَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ وَقَوْمِهِ : عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَوْلَى الْمَسَامِينِ ؛ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الطَّاهِرِينَ .

وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا فَوَّضَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ حِمَايَةِ الْأَمَامِ ، وَالْمُرَامَةِ عَنْ دَارِ الْإِسْلَامِ ؛ وَكَفَلَهُ مِنْ غَضِّ نَوَاطِرِ أَهْلِ الْعِتَادِ ، وَتَكْيِيسِ رُؤُوسِ رُؤَسَاءِ الْإِلْحَادِ ؛ لَا يَزَالُ يَنْظُرُ فِي مَصَالِحِ عَيْبِهِ ، وَتَوَفُّرِ سِيَاسَةِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ وَجُنُودِهِ ؛ الَّذِينَ هُمْ حَزْبُ اللهِ الْعَالِيُونَ ، وَجُنْدُهُ الْمَنْصُورُونَ ؛ وَيُرِيدُ النَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ ، وَالتَّقَدُّمَ عَلَيْهِمْ ؛ وَزَمَّ طَوَائِفَهُمْ إِلَى الْخَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَأَعْيَانَ مَمْلَكَتِهِ ، الَّذِينَ بَلَاطَرَاتِهِمْ ، وَحَمْدَ خَلَاتِهِمْ : مِنْ الْقَنَاءِ وَالْكَفَايَةِ ، وَالسَّدَادِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ ؛ وَقَفَّلَهُمْ فِي الْخِدْمِ فَاسْتَقَلُّوا بِأَعْيَانِهَا وَأَتَمَّهَا ، وَنَهَضُوا بِنَاهِضِ أَعْمَالِهَا ؛ وَمَضَتْ عَزَائِمُهُمْ فِي حِيَاطَةِ الْبَيْضَةِ ، وَأَشْتَدَّتْ صَرَائِمُهُمْ فِي تَحْصِينِ الْحُوزَةِ ، وَصَدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ فِي الْمُرَامَةِ عَنِ الْمَلِكِ ، وَالْمَحَامَةِ عَنِ الدَّعْوَةِ وَالنُّوَلِ .

وَلَمَّا كُنْتَ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَدِّاً لِمِهْمَاتِهِ ، مَعْدُوداً فِي أُمَائِلِ كُفَّاتِهِ ، مَشْهُوراً بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ لِمَا تُورِدُهُ وَتُصِدرُهُ ، مَعْرُوفاً بِفَضْلِ السَّيْرِ فِيهَا تَأْتِيهِ وَتَكْدِرُهُ رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَاللهُ يُرْشِدُهُ لِأَعْوَدِ الْأَرَاءِ بِالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَأَدْنَاهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّجَاحِ - أَنَّ قَلْدَكَ زَمَامَ طَائِفَةِ الرِّجَالِ الْفَلَائِينِ (وَيُوصَفُونَ بِمَا تَقْتَضِيهِ مَكَاتِهِمْ مِنَ الدَّوَلَةِ وَحُسْنِ سَيْرِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ) لِمَنَاقَةِ بَقْدَرِكَ ، وَإِبَانَةِ عَنْ خَطَرِكَ ، وَتَوَيْسَا بِذِكْرِكَ ، وَتَضَخُّيماً لِأَمْرِكَ .

وَهُوَ بِأَمْرِكَ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ ، وَاسْتِشْعَارِ مِرَاقِبَتِهِ ؛ وَرِيَاضَةِ خَلَاتِكَ عَلَى عَجَةِ الْعَدْلِ ، وَإِيثارِ الْفَضْلِ ؛ وَأَتْبَاعِ الْإِلْطَافِ ، وَاجْتِنَابِ الْعَسْفِ ؛ وَتَوَيْسَا

الإنصاف، وبسط الهيبة من غير إجحاف؛ وأن تحص هذه الطائفة من النظر في أمورها، وتعهّد صغيرها وكبيرها، بما يستند أحوالها، ويحقق آمالها، وتأخذها بأحسن الآداب اللاتقة بأمثالها، وسلوك الطريقة المعهودة من أعيانها وأمثالها؛ وتُسعرها من أمير المؤمنين بما يشرّح صدرها في خدمته، ويُقرّ عينها في طاعته؛ والمسارة إلى مكافئة أعدائه، والتميز في نُصرة أوليائه؛ وتطالع بحال من يستحقّ الاحترام، ويستوجب إفاضة الإنعام؛ وتكتب الرّقاّع عنها (مستنداً للرباطات، في الأطماع والعاجزين شاملاً في التعميد والتأثير والتقيب والولايات قاصداً في ذلك ما يُفسّح آمالها في الآجال، ويوقّظها بدُرور الأمثال)؛ فإنهم أمراء الحروب، وكُفّاة الخطوب، الذين يجاهدون عن الحوزة، ويؤمنون عن الدولة؛ وأقرض لهم من الإكرام، وتأمّ الإهتمام؛ ما تقتضيه مكاتبتهم في الدولة، وموضعهم من الخلد؛ وتكفل أوساطهم بالرّعاية، وأصريف إليهم شطراً موفوراً من العنايه؛ وألحق من برز منهم وتقدّم، ونهض وخدم، بنظرائه وأمثاله، وساو بينه وبين أشكاله؛ وتعهّد أطرافهم بملاحفتك، وتقنّدهم بسياسيتك؛ وخنّهم بزوم السير الحميده، والمذاهب السديده؛ والتوفّر على ما يُرهف عنائهم، ويؤيد أيديهم؛ ولا تُفسّح لأحد من هذه المذاهب في مخالطة العوام ولا مشاركة التجار والإحتراف، ووكّل بهم من الثّقباء من يتلى سيرهم، وينهى إليك أخبارهم؛ فمن علمته قد آجرت إلى نسخ المذهب، فتناوله باليد الأدب؛ وأحضضهم على الإذمان في قتل السلاح، والضرب بالسيف، والمطاعنة بالرمح، والإرماء عن القوس؛ وميز من مهر وأستقل، وقصّر بين صحيح وأخل، فهم كالجوارح التي ينفعها التعليم والإجراء، ويضرها الإهمال والإبقاء؛ وفي صرفك الإهتمام إليهم ما يزيد في رغبة ذى الهمة العليه، ويبعث المعروف

في النفس الدنيء، وأن تطلبهم بالاستعداد، وأرباط الحؤول الحياذ، والاستكثار من السلاح الشاك والخنن . وليكن ما تطلبهم بإعداده من هذه الأصناف على حسب القروض من العطاء، ولا ترخص لأحد في الاقتناع بما لا يليق بمنزله، والرضا بما يقع دون ما يعتد أمائيل طبقته . ومن مات من هذه الطائفة وخلف ولدا يتيماً فضمه إلى أمثاله، وأنظر في حاله؛ ووكل به من يفقه في دينه، ويعلمه ما لا غنى به عن تعليمه من كتاب الله وسنته، ومن يهذه في الخدمة ويعلمه العمل بالآلتها، والتنقل في حالاتها؛ ويطلق له من إتمام أمير المؤمنين ما يقوم بكلفتها ولو أزمها، وخذ كل من تقدمهم بخدمة والجرى على عادتها في النهوض بما يستنص به، ولا يفسح لها في التناقل عنه؛ وسو بينهم في الاستخدام؛ ولا تحصى قوماً دون قوم بالترفيه والإجماع؛ فإن في ذلك إرهافاً لعزائمهم، وتقوية لمنينهم، وإفاضة العدل عليهم .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، قد وكّد به المحبة عليك؛ فتأمل له ناظراً، وراجعه متدبراً؛ وأنته إلى مصاريه ومراشده، وأعمل على رؤسومه وحدوده، يوفقني الله مقاصدك، ويسعد مصالحك ويتوَلّاك، إن شاء الله تعالى .

ورُسوم هذه العهود يتفاضل الخطاب فيها بحسب تفاضل الطوائف ومن يولى عليها . وهذا الأئودج متوسط يمكن الزيادة عليه والتقص منه .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بإمارة الحج، وهذه نسخته :

الحمد لله الذي طهر بيته من الأرجاس، وجعله مثابة للناس؛ وآمن من حله وزله، وأوجب أجر من هاجر إليه ووصله .

يحمده أمير المؤمنين أنت خَصَّهُ بِمِجَازَةِ الْبَيْتِ الْأَعْظَمِ ، وَالْمَجَرِّ الْمَكْرَمِ ، وَالْحَظِيمِ
وَزَمَرَمٍ ، وَأَضَى إِلَيْهِ مِيرَاتِ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَثَرَاتِ الْخِلَافَةِ وَالزَّعَامَةِ ، وَجَعَلَهُ
لِقَرَضِهِ مَوْفِيًا ، وَلِحَقْوَقِهِ مُؤَدِّيًا ، وَلِحُدُودِهِ حَافِظًا ، وَلِشَرَائِطِهِ مَلَا حِظًا ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَ
عَلَى مَنْ أَمَرَهُ بِالتَّائِذِينَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ لِشَهَادَةِ مَنَافِعِهِمْ ، وَتَأْدِيَةِ
مَنَاسِكِهِمْ ، وَقَضَاءِ نَفْسِهِمْ ، وَوَقَاءِ نَذْرِهِمْ ، وَذِكْرِ خَالِقِهِمْ ، وَالطَّوَافِ بِحَرَمِهِ ، وَالشُّكْرِ
عَلَى نِعَمِهِ : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَصِيهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَبَابِ مَدِينَةِ
عَلَيْهِ وَحُكْمِهِ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
الطَّاهِرِينَ .

وَإِنْ أَوْلَى مَا صَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ هِمَّتَهُ ، وَوَقَّرَ عَلَيْهِ رِعَايَتَهُ ، مُتَابِرًا عَلَيْهِ ،
وَنَاهِضًا لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ رُقَى الْحَجِيجِ الشَّائِخَةِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،
وَزِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَرَدَّهُ إِلَى مَنْ حَلَّ حَقَّكَ مِنَ الدِّينِ ،
وَتَمَيَّزَ بِمَا تَمَيَّزَ بِهِ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ : مِنَ الْعِلْمِ ، وَرَجَاحَةِ الْحِلْمِ ، وَتَقَاذِ الْبَصِيرَةِ ، وَحُسْنِ
السَّرِيرَةِ ، وَعَدْلِ السَّيْرِ ؛ وَلِذَلِكَ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ قَلَّدَكَ أَمْرَ رُقَى الْحَجِيجِ
الْمُتَوَجِّهِةِ مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا إِلَى الْحَرَمَيْنِ الْمَحْرُوسَيْنِ ، وَلَوْلَاكَ الْحَرْبُ وَالْأَحْدَاثُ بِهَا :
وَأَتَمَّا بِاسْتِقْلَالِكَ وَغَنَائِكَ ، وَسَدَادِكَ وَإِسَابَةِ آرَائِكَ ، فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَزْمٍ ثَابِتٍ ، وَرَأْيٍ صَابِتٍ ؛ وَهِمَّةٍ مَاضِيَةٍ ، وَنَفْسٍ سَامِيَةٍ ؛ وَتَمَرَّ فِيهِ تَشْمِيرُ يُغْرِبُ
عَنْ حَقِّكَ مِنَ الْإِضْطِلَاعِ ، وَيُدُلُّ عَلَى اسْتِقْلَالِكَ بِحَقِّ الْإِضْطِلَاعِ ؛ وَخُصَّ الْحُجَّاجُ
بِأَتَمِّ الْأَحْظِ ، وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِمْ عَلَى تَيْقُظٍ ؛ وَاعْتَمِدْ تَرْقِيَهُمْ فِي الْمَسِيرِ ، وَسُوِّ
فِي رِعَايَتِهِمْ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ؛ فَانْهَمِ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ مُتَوَجِّهُونَ ، وَإِلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ
قَاصِدُونَ ، وَعَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدُونَ ؛ قَدْ اسْتَقَرُّوا بِعَيْدِ الشُّعْهِ ،

وَأَسْتَمْتُمْوْا حَسَنَ الْمَشَقَّةِ ، رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَعَقْوَهِ ، وَالتَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ وَسَطْوِهِ ؛ وَتَهَرَّبُوا إِلَيْهِ بِإِرْسَامِ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَإِيْحَابِا لِلْهَرَمَةِ بِالْحُلُولِ فِي عِرَاصِ بَيْتِهِ وَأَفْنِيَتِهِ ؛ فَرَأَفَتُهُمْ وَاجِبِهِ ، وَمَسَاعِدَتُهُمْ لِإِزِيهِ ؛ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ وَقَدْ شَمِلَتْهُمُ السَّلَامَةُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالْأَمْنَةُ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ : مُتَوَجِّهِينَ وَقَارِزِينَ وَقَافِلِينَ ، بَعْدَ أَنْ يَشْهَدُوا مَنَافِعَهُمْ ، وَيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَعْمَلُوا بِمَا حَدَّ لَهُمْ . وَرُدُّهُمْ فِي سَبِيلِهِمْ عَنْ الْإِزْدِحَامِ ، وَرَتَّبَهُمْ عَلَى الْإِتِّظَامِ ؛ وَرَاعَاهُمْ فِي وُرُودِ الْمَنَاسِلِ ، وَأَمَنَتِهِمْ مِنَ التَّحَادُّثِ عَلَيْهَا وَالتَّكَاثُرِ فِيهَا ؛ حَتَّى لَا يَنْفَصِلُوا مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْإِرْتَوَاءِ ، وَوُقُوعِ النَّسَاوِي وَالْإِكْفَاءِ ؛ وَقَدَّمَ أَمَامَهُمْ مِنْ يَمْنَتِهِمْ مِنَ التَّسَرُّعِ ، وَآخَّرَ وَرَاءَهُمْ مِنْ يَحْفَظُهُمْ مِنَ التَّقَطُّعِ ، وَرَتَّبَ سَاقَتَهُمْ ، وَلَا يُحِيلُ بِحَفَظِهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ؛ وَطَالَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَثَرٍ تَتَرَلَّهُ وَمَحَلٍّ خُلِّعَ بِحَقِيقَةِ أَمْرِكَ لِيَقِفَ عَلَيْهَا ، وَيُمَثِّكَ بِمَا يُنْهَضُكَ فِيهَا .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَتَدَبَّرْهُ عَامِلًا عَلَيْهِ ؛ مُتَبَصِّرًا بِمَا فِيهِ ، عَامِلًا بِمَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ لَكَ ، وَيَزِيدُكَ مِنْ رِضَا اللَّهِ وَثَوَابِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومنها — ما أوردته في رسم تقليد الإمارة على الجهاد ، وهذه نسخته :

الحمد لله الصَّادِقِ وَوَعْدِهِ ، الْغَالِبِ جُنْدَهُ ؛ نَاصِرِ الْحَقِّ وَمُذِيلِهِ ، وَخَازِلِ الْبَاطِلِ وَمُذِيلِهِ ؛ حَمِلَ التَّكْبَرَ بَيْنَ أَنْصَرَفَ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَمُتَرَلِّ الْعِقَابِ بَيْنَ تَحَرُّفَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ الَّذِي اخْتَارَ دِينَ الْإِسْلَامِ فَاعْلَى مَنَارَهُ ، وَوَضَعَ أَنْوَارَهُ ؛ وَأَسْتَخْلَصَ لَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَعْضَادًا لَا تَأَخُّدُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لِائِيْمٍ ، وَلَا يُشْمِضُونَ عَنْ الْمَكَالِفَةِ كُتُوبَهُ جَفْنٌ حَالِمٌ ؛

وجرائم على سعيهم في نصرتهم جزاء فيه يتنافس المتنافسون ، ولما غايته يرتجى بالهمم المحذون ؛ قصداً من الله تعالى في إعزاز دينه ، وإنجاز ما وعد به خلفاءه من إظهاره وتمكينه ؛ وقطاً لشوكة أهل العناد ، وتغية لآثار ذوى الفساد ؛ وتوفيراً لأحاطى من بكل الاجتهاد ، من سعداء عبادته في الجهاد .

يحده أمير المؤمنين أن آخضه بلطيف الصنع فيما استرعا ، ووقفه للعمل بما يرضيه فيما ولّاه ، وأعان على المراماة عن دار المسلمين ، والمحاماة عن ديار الدين ؛ وبجاهدة [من] ندعنها صادقا ، ونكب عن سيلهما متصرفا ؛ وإبادة من عند عن طاعته وأخذ معه إلى آخر لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يقول المشركون علوا كبيرا ؛ واستزالم من صياصيم قهرا وأقتسارا ، وإخراجهم عن بيوتهم عزرا وأقتدرا ، وإذاقهم وبأل أمرهم [و] عاقبة كفرهم ، أتباعا لقول الله تعالى إذ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ويسأله أن يصلى على أشهر الخلق نورا وفضلا ، وأظهر البرية قرعا وأصلا ؛ وأرشد الأنبياء دليلا ، وأقصي الرسل سبيلا : محمد رسول الله الذى آتته وقد نوحى طريق الحق غايبا ، وتوز نور الهدى خافيا ؛ والناس يستكفون في حنادس القمرات ، ويتوطلون في مهاوى الملكات ؛ لا يعرفون أنهم ضلال فيستهدون ، ولا عنى فيستبصرون ؛ فأبده وعضده ، ووقفه وسدده ؛ ونصره وأظهره ، وأعانته وآزره ؛ وأتقن له من صفوة خلقه ، أولياء كاهنوه على ظهور حقه ، سمحوا بالأنفس العزيزة ، والأموال الحريزة ؛ وجاهدوا معه بأيد باسطة ماضيه ، وعزائم متكافئة متوافية ؛ وقلوب على الكفار قسيه قاسيه ؛ وعلى المؤمنين روعة حانية . فلما صدقوا ما عهدوا الله عليه ، وأرتموا أمره وأتهوا إليه ، شركهم معه في الوصف والثناء ،

وأضاهتهم إليه في المدح والإطراء ؛ فقال جل قائلًا : ﴿ هَدَىٰ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ . صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سيف الله الفايصل ، وسنانه العامل ؛ ومُعِزُّ رُسُلِهِ الباهر ، ووزير المظاهر ؛ مُبِيدُ الشُّجْعَانِ ، ومُبِيرُ الْأَقْرَانِ ؛ وَمُقَطِّرُ الْفُرْسَانِ ، ومُكَسِّرُ الصُّلْبَانِ ؛ وَمُنْكَسِرُ الْأَوْتَانِ ، ومُعِزُّ الْإِيمَانِ ، الذي سبق الناس إلى الإسلام ، وتقدّمهم في الصلاة والصَّيَامِ ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الميامين : البررة الطاهرين ، وسلم تسليما .

وإن أمير المؤمنين بما كلفه الله تعالى من [أمر] دينه ، ووعده من إظهاره وتمكينه ؛ يرى أن أفضل مارآة إليه بَصَرٌ بِصِيرَتِهِ ، وروحى تحويه بطاميح حمته ، ما شملت الدين والدنيا بركته ، وعمت الإسلام والمسلمين عائدته ؛ وحلَّ محل الغيث إذا تدفَّقَ وحمَّع ، والنهار إذا تألَّقَ ولمَّع . ولا شيء أعودُ على الأمة ، وأدعى إلى سُبُوغ النعمه ، من علو كلمتهم ، وأرتفاع رأيهم ؛ وتحصين حوزتهم ، وإيمان منصتهم ؛ وتأدية الفريضة في مجاهدة أعدائهم ، وصرفهم عن غلوائهم ؛ وأقتيادهم بالإذلال والصَّغَارَ ، وكبحهم بشكاكيم الإهوان والافتسار ؛ ومواصلتهم بغزو الديار ، وتقوية الآثَارِ ؛ وإبداع الرعب في صدورهم ، وتكذيب أمانى غرورهم ؛ ووعظهم بالسنة القواضب ، ومكاتبهم على أيدي الكتائب : لما في ذلك من ذلِّ الشُّرْكِ وثُبُورِهِ ، وعِزِّ التَّوْحِيدِ وظُهورِهِ ؛ ووُضُوحِ حجة أولياء الله تعالى على أعدائه بما يُتْرَكُ عليهم من نصره ومعاونته ، ويؤيدهم به من تأييده وعنايته ؛ لا جرم أن أمير المؤمنين مضروب العزيمة ، موقوف الهمة ، على تنفيذ البُعُوثِ والسَّرايا ، والمواصلة بالجيوش والعربا ؛ وتجهيز المرتبة من أولياء الدولة ، وحضَّ المطوعة من أهل الله ، على ما أمر الله تعالى به من غزو المشركين ، وجهاد الملحدين ؛ نافعا في ذلك بنفسه ، وبأذلا فيه

عزَّزَ مَهْجَتَهُ ، عندَ تَسَهُّلِ السَّبِيلِ إِلَى الْبَيْتَةِ ، وَوَجُودِ الشُّسْعَةِ ، وَمَعُولَا فِيهِ عِنْدَ التَّعَدُّرِ عَلَى أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالرَّاحَةِ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ أَقْبَنَتْ خِثَامُهُمْ ، وَخَلَصَتْ بَصَائِرُهُمْ ، وَرَغِبُوا فِي عَاجِلِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ ، وَأَجَلَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخْرِجَهُ فِيمَا يُصْدِرُ وَيُورِدُ ، عَلَى أَفْضَلِ مَا لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّى وَيُعَوِّدُ : مِنَ التَّوْفِيقِ فِي رَأْيِهِ وَعَزْمِهِ ، وَالتَّسْلِيدِ فِي تَدْيِيرِهِ وَحَزْمِهِ ، وَيُؤْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلَ مَا آتَاهُ وَلِيًّا أَسْتَخْلَفَهُ ، وَأَمِينًا كَفَّلَهُ عِبَادَهُ وَكَلَّفَهُ ، وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ .

وَلَمَّا كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ يُسَيْفِهِ لِحُلَائِلِ مِهْمَاتِهِ ، وَيَعْلَمُهُ مِنْ أَعْيَانِ كُفَّاتِهِ ، وَرَأَاهُ سِدَادًا لِحَقْلٍ ، وَعِمَادًا فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ ، وَسَهْمًا فِي كِتَابَتِهِ صَانِبًا ، وَشِبَاهًا فِي سَمَاءِ دَوْلَتِهِ نَاقِيًا ، وَسَيْفًا بِيَدِ الدِّينِ قَاطِعًا ، وَجَمًّا عَنِ الْحَوَظَةِ دَافِعًا - رَأَيْتُ - وَبَالَهُ التَّوْفِيقُ - أَنْ يُقَدِّمَكَ عَلَى جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُحَوِّثَهُمُ الشَّاخِصَةَ إِلَى جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ، فَعَلَّدَكَ الْحَرْبَ وَالْأَحْدَاثَ بِهَا ، وَعَقَّدَ لَكَ لَوَاءَ بِيَدِهِ يَلْوِي إِلَيْكَ الْأَعْنَاقَ ، وَيُنْكَسُ لَكَ رُعُوسَ أَهْلِ الشَّقَاقِ ، وَشَرَفَكَ بِفَاخِرِ مَلَابِسِهِ وَحُلَانِهِ ، وَضَاعَفَ لَدَيْكَ مَوَادَّ إِحْسَانِهِ ، وَحَبَّاكَ بِطُوقِ مِنَ التَّبَرِّ ، مَرَصِّعَ بِفَاخِرِ الدَّرِّ ، عَادِقًا هَذِهِ الْخِدْمَةَ مِنْكَ بِالنَّصِيحِ الْمَأْمُونِ ، وَالتَّجِيجِ الْمَيْمُونِ ، الَّذِي تَتَوَخَّعُ فِيهِ أَنْوَارُ الْبَلَاءِ ، وَتُلَوِّجُ عَلَيْهِ آثَارُ النَّجَابَةِ ، وَاتَّقَا بِمَا تَتَطَوَّى عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالْوَلَايَةِ ، وَتَحْمِلُ بِهِ مِنَ الْقَنَاءِ وَالْكَفَايَةِ ، وَتَعْتَزُّ بِهِ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى صَتْنِ الطَّاعَةِ ، وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى سُنَنِ الْإِقْتِيَادِ وَالتَّبَاعَةِ ، وَتُوجِّهَ مِنْ مَنَاصِحِهِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّشْمِيرِ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ .

فَعَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَشْعِرًا نَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ ، مَعْتَقِدًا خِيَفَتَهُ وَمِرَاقَبَتَهُ فِي الْإِظْهَارِ وَالْإِبْطَانِ ، مَخْلِصَ الْقَلْبَ ، رَابِطًا اللَّبَّ ، وَاهْتِمَامًا

بنصر الله الذي يُسَبِّحُه على خَلْقائه ، ويُفَرِّغُه على أوليائه ؛ أَخَذًا بَوَائِقِ الْحَزْمِ ،
مَتَشَكًا بِعَلَائِقِ الزَّمَمِ ؛ نَاطِرًا مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، مَتَفَرِّسًا فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ ؛
مَقْلَصًا مُجْبُوفِ الآرَاءِ بِإِضْفَاءِ غِيَارِ التَّدِيرِ ، مُمَرًّا مَرَاثِرِ التَّقَرُّرِ ؛ مُوَعِّلًا فِي الْخَاتَلِ
وَالْمُكَايِدِ ، حَارَسًا لِلطَّالِعِ وَالْمَرَاصِدِ ؛ يَقْظَانِ النَّفْسَ وَالنَّاطِرَ ، مَتَحَزِّزًا فِي مَوْقِفِ الْوَانِي
وَالْمُخَاطِرِ . وَأَنْ تَوَجَّهْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ ، وَيُؤْمِنْ تَأْيِيدَهُ ؛ بَعْدَ أَنْ
تَتَسَلَّمَ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ جَرَائِدَ بَعْدَةِ رِجَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّائِرِينَ تَحْتَ رَايَتِكَ ،
الْمُنَوِّطِينَ بِسِيَاسَتِكَ ؛ وَتَعْرِضَهُمْ عَلَيْهَا ، فَتَخَيَّرْ مِنْ شُهُرَتِ بَسَائِلِهِ وَكِفَاحِهِ ، وَعَتَقَ
جَوَادَهُ وَكُلَّ سِلَاحِهِ ؛ وَعُرِفَ بِصِدْقِ الْعَزِيمَةِ فِي مُقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَحُسْنِ الطَّوِيَّةِ
فِي الْإِخْلَاصِ وَالْوَلَاءِ ؛ وَتَسْتَبْدِلُ بِالْوَرَعِ الْجَبَانَ ، وَالرَّعْدِيدِ الضَّعِيفَ الْجَنَانَ ؛
الْقَاصِصَ السُّدَّةِ ، الْمُقْصِرَ التَّجْدَةِ ؛ الْمُدْخُولَ النَّيَّةِ ، النَّفْلَ الطَّوِيَّةَ ^(١) ؛ فَإِذَا كَلِمَتِ الْعِدَّةُ
مِنْ أَهْلِ الْجَلَدِ وَالشَّهَامَةِ ، وَأَوَّلَى الْجَسَاسَةِ وَالصَّرَامَةِ ؛ اسْتَدْعَيْتَ مِنْ بَيْتِ
الْمَالِ مَا يُنْفِقُ فِيهِمْ مِنْ مَسْتَحَقِّ أَطْعَامِهِمْ ، وَمَعُونَةِ طَرِيقِهِمْ ؛ وَأَجْرَتِ النِّفَقَةِ فِيهِمْ
عَلَى أَيْدِي عَارِضِيهِمْ وَكُتْلَبِهِمْ ؛ فَإِذَا أَرْحَتَ عَلَيْهِمْ فَاسْتَصَحَبَ مِنَ الْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ
وَالْحِمَى وَالْأَزْوَادِ وَالْأَمْوَالِ مَا يُرْهِبُ الْأَعْدَاءَ ، وَيُنْهَضُ الْأَوْلِيَاءَ ؛ وَأَذَّنَ فِي مَطْوَعَةِ
الْمُسْلِمِينَ ، بِجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ؛ فِي [كُلِّ] بَلَدَةٍ تَنْزِلُهَا ، وَمَحَلَّةٍ تَحُلُّهَا ؛ وَأَبْدَلَ لَهْمَ الظُّهْرِ
وَالْمِيعَةِ وَالْمَعُونَةَ بِالسَّلَاحِ وَمَا يَسْتَدْعُونَهُ ؛ وَأَرْهَفَ عِزَانَهُمْ فِي غَزْوِ الْكُفَّارِ ،
وِإِجْلَاسِهِمْ عَنِ الْأَطْطَانِ وَالْدِّيَارِ ؛ وَأَسْلَكَ الطَّرِيقَ الْقَاصِدَ ، وَلَا تَفَارِقَ أَهْلَ الْمَنَاهِلِ
وَالْمَوَارِدِ ؛ وَلَا تَنْفِذَ السَّيْرِ إِغْدَانًا تَقْطِيعُ لَهُ الرِّجَالُ وَتَتَأَخَّرُهُ الْأَزْوَادُ ، وَلَا تَتَوَلَّمُ
فِي الْمَنَازِلِ تَلَوَّمًا تَتَهَرَّمُ فِيهِ الْآمَادُ ؛ وَيُوجِدُ الْمُشْرِكِينَ مَهْلَةً لِلِإِحْتِيَالِ وَالِاسْتِعْدَادِ ؛
وَرَاعَ جَيْشَكَ عِنْدَ الْحُلِّ وَالتَّرْحَالِ ، وَلِاتِّبَاعِهِ بَيْنَ مَضَارِيهِمْ إِذَا نَزَلُوا ، وَلَا تَمَكَّنَهُمْ

(١) فِي الْأَمْوَالِ الْمَهْرُوفِ الطَّوِيَّةِ وَلَمْ يَحْدِثْ هَذِهِ الْمَادَّةُ .

من التفرّد إذا أَرَعَلُوا ؛ وَخُدَّهم بِالْإِجْتِمَاعِ وَالْإِلْتِمَامِ ، وَالتَّأَلُّفِ وَالِاتِّظَامِ ؛ وَلَا سِيَّامَا إِذَا حَصَلُوا فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ فَإِنَّهُمْ رُبَّمَا أَهْتَلُوا الْفُرْصَةَ فِي الْمَسِيرِ الْمَتَسَرِّعِ ، وَالْمَدِيَةِ الْمُتَفَرِّدِ ، وَنَالُوا مِنْهُ مَا تُوسِّمُ بِهِ الْحُصِيْمَةُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

وَإِذَا دَانِيَتِ الْقُومَ فَأَعِطِ الْحَزَامَةَ حَقَّهَا ، مُسْتَعِمِلًا نَارَ الدَّهَاءِ وَالْخِدَاعِ ، وَأُخْرَى لِقَاءِ الْقِرَاعِ ؛ فَرُبَّمَا أَغْنَتْ أُلْسَانَهُ ، عَنْ الْمُكَاشَرَةِ ؛ وَنَابَتْ تَحَايِلُ التَّلَطُّفِ ، عَنْ مَدَاخِلِ التَّعَسُّفِ ؛ وَكَفَتْ غَوَائِلُ الْمَخَادَعَةِ ، عَنْ مَوَاقِفِ الْمَخَاصَةِ ؛ وَقَدْ قَالَ إِمَامُ الْحَرْبِ ؛ وَزَعِيمُ الطَّمَنِ وَالضَّرْبِ : "الْحَرْبُ خَدْعَةٌ" .

وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْمَصَاعِ وَالْمُنَاسَفَةِ ، وَالِإِيقَاعِ وَالْمُكَالَفَةِ ، فَبُتْ مِنْ سَرْعَانِ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ لَا تُشْكُ فِي مَحْضِ نَصَحِهِمْ ، وَلَا تَرْتَابُ بِصَدْقِ نِيَّاتِهِمْ ، تَطْلُعَ تَطْلُوكَ عَلَى الْأَخْبَارِ ، وَعِيُونًا تَكْشِفُ لَكَ حَقَائِقَ الْأَنَارِ ، وَتَنْقُضُ الطَّرْفَ عَنْ مَجَاوِرَى الدِّيَارِ ؛ وَمَنْ مَنْ تَقَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ بَأَنَ لَا يَقْتَحِمَ خَطَرًا ، وَلَا يَرْكَبُ غَرَرًا ؛ وَلِيَكُنْ مَنْ تَقِفْهُ فِي ذَلِكَ [مِنْ] أَهْلِ الْخَبْرَةِ بِالطَّرِيقِ وَالسَّاحَاتِ ، وَالِدُخْلَاتِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْفَجَوَاتِ ؛ حَتَّى لَا يَتِمَّ لِلْعَدُوِّ فِيهِمْ حِيلُهُ ، وَلَا يَنَالَهُمْ مِنْهُ غِيْلُهُ ؛ فَإِذَا أَتَوَكَ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ ، وَأَقْبَسُوكَ قَبَسَ النُّورِ الْمُبِينِ ، بَدَأْتَ الْحَرْبَ مُسْتَخِيرًا لِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، مُقَدِّمًا أَمَامَكَ الْأَسْتِجَابَ بِهِ ، وَاسْتَزَالَ النُّصْرَ مِنْ عِنْدِهِ ، مَرَّتَيْنَا لِلْمُكَاتَبِ ، مَعِيًّا لِلصُّفُوفِ وَالْمَقَاتِبِ ؛ زَاحِقًا بِالرَّاجِلِ مَحْصَنًا بِالْفَارَسِ وَالرَّاهِي مُجْتَمِعًا بِالنَّارِ ؛ وَأَتَحَقَّنَ الْقَلْبَ وَالْجَنَاحَيْنِ الشَّجْمَانِ الْمُسْتَبِقَيْنِ ، وَالْأَبْطَالَ الْحَلَاسِينَ ؛ وَأُنْزِلَ إِلَى رُحَى الْحَرْبِ مَنْ خَفَّ رُكْبُهُ مِنَ الْإِنْجَادِ الرَّاعِيْنَ فِي عُقُوِّ الصَّيِّتِ وَالذِّكْرِ ، الطَّالِبِينَ الْقَوْرَ بِالنَّوَابِ وَالْأَجْرِ ؛ وَأَجْعَلَ رِوَاهِمَ رِدْءِهِ ، وَأَعْتَلَّهُمْ مَدَدًا يُوَازِرُونَهُمْ إِنْ يَجْتَهُمَ مَا لَا يَطِيقُونَهُ وَيَجِينُ (١) ، وَيُطَايِرُونَهُمْ عَلَى

(١) أَيِ اخْتَنَسُوا الْقُرْعَةَ الْخُلُوعَ .

ما خلص إليهم وادعين، وقف من التأخير والإقدام، والنشؤ والإنجام، موقفاً تُعطى الحزامة فيه حظها، والروية قسطها؛ مصمماً ما كانت التصميم أدنى لانتهاز الفرصة، وأهتبال الغزاة؛ متلوّماً ما كان التلوم أحد للعاقبة، وأسلم للغبّة .

وأعلم أنّ ربح النصر قد تهبّ للكافرين على المسلمين، فلا يكتنّ ذلك قادماً منك في الدين . فإن الله تعالى يستدرج بسنة الباطل لأبسة الإظفار، ويُرهم الإقدار في تحايل الأقدار؛ حتى إذا قرّحوا بما أوتوا أوردتهم كواذب أمانتهم موارد الهلكة، وأخذوا بقسّة، ودالت دولة الحق لأوليائها مرفوعة الأعلام، أخذت بنواصي العداة والأقدام؛ وتحقق أنّ الأمور بنجواتيها، والأعمال بتأميمها، وأنه وليّ [المؤمنين] .

ما جمع موقف فتى شكّ ويقين، وكفر ودين؛ إلا كان الفلج والنصر لأهل التقيّ والدين، والتسارّة والبوراء على الشاكين الكافرين، تصديقاً لوعده تعالى إذ يقول : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) .

وتحفظ بنفسك ولا تلقها في المهالك متهوراً، ولا ترم بها في المتألف مخاطراً؛ ولا تساعدها على مطاوعة الحبة والنخوة، وتحزّز قبل السقطة والقفوة؛ فإنك - وإن كنت واحداً من الجيش - أوحدهم الذين يتبادرون إليه، ويعتمدون في السياسة عليه؛ وما دمت محفوظاً ملحوظاً فالجبة عاليه، والعين ساميه؛ وإن ألم بك هوائه يصمك - خطب، أو نالك - والله يكفيك - ريب، توجه الخلل، وأرهف حدّ الوهن والشلل . وإن دعوتك نفسك إلى الجهاد، وحملك تصرفك على الكفاح والجلاد؛ فليكنّ ذلك عند الإجماع، وتزلزل الأقدام : فإنّ ذلك يشحذ عزائم المسلمين، ويقوّى شكائم المتأخرين؛ خير مضجّع للهدّ، في الورد والصدر؛ وكذلك فاحرس أمثال القواد، ووجوه الأجناد، الذين تُشغى صلور الكفار بمصاريعهم ،

وَتَتَعَّ غُلَّتْهُم بِمَضَائِعِهِمْ ؛ وَحَامَ عَنْهُمْ حِمَاةَ الْجُفُونِ عَنِ الْمُقَلِّ ، وَصُنَّتْهُم صِيَانَةُ الصُّوَارِمِ
مِنَ الْخَلَلِ ، وَدَافَعَ عَنْ كَافَةِ [جند] الْمَسَامِينِ الْمُرْتَرِقِينَ وَالْمُتَطَوِّصِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
كَافَى بَيْنَ دِيْمَانِهِمْ ، وَسَوَّى بَيْنَ ضُعْفَانِهِمْ وَأَقْوِيَانِهِمْ ؛ عَلَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَدْ وَعَدَهُمْ عَنِ
بَذْلِ الْأَنْفُسِ فِي مَجَاهِدَةِ الْمُؤَلِّحِدِينَ ، وَإِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ ، الْجَزَاءَ الْجَسِيمَ ، وَالنَّعِيمَ الْمَقِيمَ ؛
وَالْبَقَاءَ الَّذِي لَا يَمُتُّوهُ فَنَاءً ، وَالْجَلَدَ الَّذِي لَا يَمُتُّهُ أَنْقِضَاءُ .

وَقَدَّمَ عَلَى الْأَسَاطِيلِ وَالْمَرَاكِبِ الْحَرْبِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا وَرِجَالِ الْبَحْرِ مِنْ تَخْنَاهُ لِنَدَاكَ
مِنْ أَمَاثِلِ الْأَمْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّدَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْبَصَارَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْخُبْرَةِ بِسُقَّةِ
الْبَحْرِ وَالْقِتَالِ فِيهِ ؛ وَزَمَّرَهُ بِالتَّسْجِيلِ وَمِلَازِمَةِ السَّيْفِ وَالْإِرْسَاءِ مِنَ الشُّطُوطِ بِحَيْثُ
يَتَأَمَّلُ مَضَارِبَكَ ، لِيَكُونَ مَائِحِلٌ عَلَيْهَا مِنْ مِيعَةٍ وَعُدَّةٌ قَرِيبًا مِنْكَ ؛ فَإِنَّ نَازِلَتَ تَغْرَا
مِنْ غُفُورِ السَّاحِلِ فَاغْلَا بِالْخِلِ مِنْ بَرٍّ ، وَبِالسَّفَانِ مِنْ بَحْرٍ ؛ وَاسْتَخْدِمْ لِحِفْظِ مَا فِيهَا
مِنَ الْأَزْوَادِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْمُدِّ وَالنَّفْطِ وَدُهْنِ الْبَلَّاسِ وَالْحِمَالِ وَالْعَرَادَاتِ وَضِيهَا مِنْ
الْآلَاتِ مَنْ يَتَّقِ بِأَمَانَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ . وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمْ بِالْحَوِطَةِ عَلَى مَا يَخْرُجُونَهُ مِنَ الْعَوَارِي
وَأَسْتَرْجَاعِهِ بَعْدَ الْغَنَى عَنْهُ ؛ وَاسْتَظْهِرْ بِذَلِكَ اسْتَظْهَارًا يُحْمَدُ مَوْقِعُهُ لَكَ ، وَيَعْرِفُ بِهِ
رَضِيئُ رَأْيِكَ ؛ وَسَدِيدُ مَذْهَبِكَ . وَاسْتَظْهِرْ لِمَجَالِسَتِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَصَالَةِ وَالْحَزْمِ ،
وَالرَّجَاحَةِ وَالْقَهْمِ ، وَالذَّرَايَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالتَّجَارِبِ فِي مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَمَلَابَسَةِ
الْجُلُوبِ ، مَنْ تَرْجِعُ إِلَى رَأْيِهِ فِيمَا أَشْكَلُ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى تَجْرِبَتِهِ فِيمَا أَعْضَلُ ؛
وَلَا تَسْتَبِدْ بِرَأْيِكَ فَإِنَّ الْأَسْتِبْدَادَ يَحْتَمِي الْمَرَاشِدَ ، وَيُهَيِّمُ الْمَقَاصِدَ .

وَلَمَّا كَانَتِ الشُّورَى لِقَاحَ الْأَفْهَامِ ، وَالْكَاشِفَةُ لِنَوَاشِي الْإِنْهَامِ ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
بِهَاجَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وَلَا تُسَاورُ جَبَانًا وَلَا مُتَبَطِّلًا عَنْ آتِهَازِ الْفُرْصَةِ الْمَكْنَةِ، وَلَا مَتَهَوِّرًا بِمِلْكٍ عَلَى الْفِرَةِ الْمُهْلِكَةِ؛ وَتَأَنُّ فِي الْآرَاءِ فَإِنَّ التَّائِيَّ يُجِئُ الْأَثَابَ، وَيُخْلُو وَجْهَ الصَّوَابِ، وَيَقْلُصُ تُخُوفُ الْإِرْتِيَابِ؛ وَأَضْرِبْ بَعْضَ الْآرَاءِ بِبَعْضٍ وَتَحِلَّهَا، وَأَجِلْ فِكْرَكَ فِيهَا وَتَأْمَلْهَا؛ فَإِذَا صَرَحْتَ عَنْ رُبُوبَتِهَا، وَأَنْشَقَّتْ أَكْبَامُهَا عَنْ تَمَرَّتِهَا، فَأَمِضْ صَحِيحَتَهَا، وَأَعْتَمِدْ تَحِيحَتَهَا؛ وَإِذَا اسْتَوَى بِكَ بِالْعَدُوِّ مَرَحُ الْحَرْبِ خَرَقَهُمْ بِنَارِ الطَّلَنِّ، وَأَذْنَبَهُمْ وَبَالَ أَهْرِيهِمْ، وَعَاقِبَةُ كُفْرِهِمْ؛ وَلَا تَرَقِّ لَمْ؛ وَاتَّبِعْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْفَلْظَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. فَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ وَالْمُؤَادَعَةِ مَصَانِينِ، فَاقْبَلْ بِالْقَبُولِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاغْنُجْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وَأَبْذِلِ الْأَمَانَ لِمَنْ طَلَبَهُ، وَأَعْرِضْهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ، وَفِي مَنْ تُعَاهِدُهُ بِتَهْدِهِ، وَاتَّبَعْتَ لِمَنْ تُعَاقِدُهُ عَلَى عَقْدِهِ؛ وَلَا تَجْعَلْ مَا تُفْرِطُهُ مِنْ ذَلِكَ دَرِيْعَةً، إِلَى الْخُلْدِيَةِ، وَلَا وَسِيلَةً، إِلَى الْغِيلَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «النَّاسُ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ» وَإِذَا أَطَاعَكَ اللَّهُ عَلَى افْتِتَاحِ مَغِيلٍ مِنْ مَعَاوِلِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَسْتَضَافَتِهِ إِلَى مَا بِيَدِي الْمُسْلِمِينَ، فَارْتَحِ السَّيْفَ عَنْ قَاطِنِيهِ، وَاعْتَمِدِ اللَّطْفَ بِالْمُقِيمِينَ فِيهِ؛ وَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ مِنْ كَرِيمِ الْمَقَامِ؛ فَمَنْ أَجَابَكَ إِلَى اسْتِشْعَارِ ظِلِّهِ، وَالْإِعْتَصَامِ بِمَجْلِهِ؛ فَافْرِضْ لَهُ مَا تُفْرِضُهُ لِإِخْوَانِكَ فِي الدِّينِ، وَأَخْصِمُ إِلَيْهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُصَرِّمُ وَيُرْشِدُهُمْ، وَيُثَقِّقُهُمْ وَيَسُدُّهُمْ، وَخَيْرٌ مِنْ آخِرِ الْمَقَامِ عَلَى دِينِهِ بَيْنَ تَأْدِيَةِ الْجَزْيَةِ، وَالْإِسْتِعْبَادِ وَالْمُلْكَةِ؛ فَإِنْ آذَوْا الْجَزْيَةَ فَاجْرِمُ حُرْمَى أَهْلِ الذِّمَّةِ

المعاهدین، وخصّهم من الرّعاية بما أمر به في الدين؛ وإن أبوا ذلك فإن الله تعالى قد أباح دماء رجالهم، واستعباد ذراريتهم ونسائهم؛ وأبى بالمعقل مسجدا جامعاً يجمع فيه بالمسلمين، ويحطاب على منبره لأمر المؤمنين؛ وأرفع منارته حتى تعلو على كنائس المشركين؛ وأنصب فيه إماماً يؤدى الصلوة في أوقاتها، وخطيباً مصقفاً يخطب الناس ويعظهم، ومكبرين يدعون إلى الصلوات، وينبّهون على حقائق الأوقات؛ وقواماً وحذاماً يتولّون توير مصابيحهم، وتعهد تنظيفه وفرشه؛ وأطلق لهم من الأزواق والحراريات ما يبتغون على ملازمته ويؤمنهم على خدمته؛ وأحتط على من يحصل في يدك من أسرى المشركين، لتقدى بهم من في قبضتهم من أسراء المسلمين؛ وإذا عرضوا عليك الفداء فاحذر من خديعة تتم فيه، أو حيلة تتوجه في أفكاك معروف منهم يجهول من أهل الإسلام؛ وإن كاتب الله تعالى قد فضل أذنياء المسلمين على عظماء الملّعين، ولم يسو بينهم في دنيا ولا آخرة ولا دين؛ إلا أن هذا مما يوجب الحزم الحوطّة فيه. وإن ظفرت بنسب لطاغيتهم المتملك عليهم أو خصيص به فاحمله إلى حضرة أمير المؤمنين، ليقرّبها رهينة على من قبلهم من المأسورين، وسبيلا إلى أتراع ما يبدّلونه في فدايته من المعادل والحصون. وقد أمضى لك أمير المؤمنين أن تعقد المدة معهم إذا رغبوا فيها على الشرائط التي تعود ببلو كلمة الله، وتجمع الخواطر والاستظهار للدولة؛ فاقدم محتاطا، واشترط عليهم مشطاً، وتحرز في العقد مما يوجب تأولا، ويدخل وهنا، ويطرق وهيا. وتحفظ بيجوال المعاهدین والأموال المقبوضة في يداء الفلّات والفنائم وسبي المشركين حتى يُنجل ذلك إلى بيت مال المسلمين؛ فينظر أمير المؤمنين في تفرقه على مستحقه، وإيصاله

(١) اشتر هذا الباء على الألسنة وفي رسائل الأفاضل ولكن لم نجده في كتب اللغة وإنما الذي فيها

هذا المعنى «فلان يخاص فلان أى خاص به وله به خصية» فامل.

إلى مستوجبِهِ ، وَأَخْفَضَ عَنْ أَحْوَالِ الْمُسْتَأْمِنِينَ إِلَيْكَ تَفْخِصًا يَكْشِفُ ضَمَانَهُمْ ، وَيُلْوِ سِرَّائِهِمْ ، وَتَحْزَنُ مِنْهُمْ تَحْزَنًا يُؤْمِنُكَ مَكَايِلُهُمْ وَجِلَّتُهُمْ ، وَخَدَائِعُهُمْ وَغِلَّتُهُمْ ؛ وَإِذَا نَازَلْتَ حِصْنًا مِنْ حُصُونِ الْكُفَّارِ ، فَكُنْ عَلَى يَقْظَةٍ مِنْ مَخَائِلِهِمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَانْصِبِ الْحَرَسَ وَالْأَرْصَادَ ، وَأَحْذَرِ الْعِزَّةَ وَلَا تُهْمِلِ الْإِعْتِدَادَ : لِتَعْرِفَ أَعْدَاءَ اللَّهِ أَنْ طَرَفَكَ سَاهِدٌ ، وَجَنَّتْكَ رَاصِدٌ ، وَتَقَعْدُ أَمْرَ الْجَيْشِ وَأُزِخَ عِلَّةَ مَنْ تَرْبِيهِ فِي الْأَطَاعِ وَالْمَوَاتَكَاتِ ، وَمُطَوَّعَتِهِ فِي الْمَعَاوِنِ وَالْجِرَائِمَاتِ ؛ وَلَا تَغْفُلْ عَنْهُمْ غَفْلَةً تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِنْفِلَالِ ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْفِصَالِ ؛ وَأُحْسِنْ إِلَى مَنْ حَسُنَ فِي الْكَفَاحِ أَثَرُهُ ، وَطَاطَبَ فِي الْإِبْلَاءِ خَبَرُهُ ؛ وَعِندَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَبَاءِ الْجَزِيلِ ، وَالْعَطَاءِ وَالتَّنْوِيلِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قَادِحٌ لِعِزَائِمِ الْأَوْلِيَاءِ ، بَاعَثَ لَهُمْ عَلَى التَّصْمِيمِ فِي اللَّقَاءِ ؛ فَإِذَا أَنْتَ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - شَفِيتَ الصُّدُورَ ، وَآخَذْتَ الْمَأْمُورَ ، وَأَعَزَّزْتَ الدِّينَ ، وَذَلَّلْتَ الْمُعِيدِينَ ؛ وَدَوَّخْتَ الْبِلَادَ ، وَنَكَّسْتَ رُءُوسَ أَهْلِ الْعِتَادِ ، فَأَقْلَبَ بِسَاكِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُطَوَّعَةِ الْمَسَامِينِ ، إِلَى حَضْرَتِهِ وَاتَّقَا بِجَمِيلِ جَزَائِهِ ، وَجَلِيلِ جَبَانِهِ ؛ وَطَالِعَ فِي مَوْرِدِكَ وَمَصْدَرِكَ ، بِمَا يَحْتَدُّهُ اللَّهُ لَكَ وَيَفْتَحُهُ عَلَى يَدِكَ ؛ وَأَذْكُرُ مَا أَشْكَلُ عَلَيْكَ لِمَدَّتْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّبَصُّيرِ وَالتَّوْقِيفِ ، وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّعْرِيفِ ؛ وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ فَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ نِعْمَ الْوَكِيلُ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، فَأَعْمَلْ بِهِ وَأَنْتَ إِلَيْهِ يَسُدُّ اللَّهُ مَسَافِكَ ، وَيَصُوبُ مَرَامِيكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وَأُورِدَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنْ تَقَالِيدِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ جُمْلَةٌ أَسْقَطَ مِنْ صِدْرِهَا التَّحْمِيدَاتُ .

مَا أُوْرِدَهُ فِي رِسْمِ تَقْلِيدِ الْإِمَارَةِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْبَيْتِ أَنْ يُقَالَ بَعْدَ التَّحْمِيدِ مَا مَثَلَهُ :

وإن الله تعالى أوجب طاعة أولى الأمر على كافة المؤمنين . وأكّد فرضها على جميع المسلمين . فقال جل قائلًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . علمنا منه تعالى بأن الطاعة ملاك الأمر ونظامه . وميساك الجمهور وقوامه ، وأنه لا يتم سياسة مع الشقاق والانحراف . وأمر سبحانه باستجابة من ألقى العصمة من يده ، ونبذ الطاعة وراء ظهره ، بشاق المواقف والتبصير . ونافع التنبيه والتذكير ، فإن أفلح وتاب . ورجع وأتاب . وإلا جُهِد وقُوتل ، وقُوتل بالردع حتى يُقْبِل ويعتصم بالطاعة ، وينتظم في سلك الجماعة ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ . وقال : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَبِغِي حَتَّى تَبْغِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ . وإن الغلاة فارقوا اجتباع المسلمين ، وأسلبوا من طاعة أمير المؤمنين ، ناذرين ليعتبه . شائين بطل دعوته ، وشقوا عصا الإسلام ، واستحقوا محل الحرام ، واستوطئوا مرتكب السيئات والآثام ، وعرجوا عن قويم السنن ، وسموا بأراذل البدع أفاضل السنن ، وسعوا في الأرض بالفساد ، وجأهروا بالعصيان والعناد ، وكأبهم أمير المؤمنين مبصرًا ، ومُعْذِرًا مُنْذِرًا وَخَوْفًا مُخْذِرًا ، ودعاهم إلى التي هي أصلح في الأولى والأخرى ، وأريج في البدء والعقب ، وأعلمهم أن الله تعالى لا يقبل صلاحهم ولا صيانتهم ، ولا تحجهم ولا زكاتهم ، ولا يمضي قضايهم ولا حكوماتهم ، ولا عقودهم ومناكحتهم . ماداموا على معصية إمامهم ، ومفارقة ولي أمرهم ، الذي أوجب عليهم طاعته ، وفرض في عناقهم تباعته ، وتابع في ذلك مواصلا ، ووالاه مكاتب ومُرَاسِلًا ، فاصروا على العقوق ، واستمروا على أطراح الحقوق ، ودعوا إلى الأسوأ لها من إقدام الجيوش عليهم ، وقتل السالكين لهم ، ومقابلتهم بما يقوم أودهم ، ويصلح فاسدهم ، ويرزع جاهلهم ، ويوظف غافلهم .

(١) في الأصل الغلاب وليس بواضح المعنى والمراد البناة .

وإنَّ أمير المؤمنين تخيَّرَكَ للتَّعَمُّدِ عَلَى الجَيْشِ الهَانِفِ تَحَوُّمٍ : لما يَعْلَمُهُ مِنْ شَهَامَتِكَ وَصَرَامَتِكَ ، وَسَدَائِكَ وَسِيَّاسَتِكَ ، وَإِخْلَاصِكَ وَوَفَائِكَ ، وَكِفَايَتِكَ وَغَنَائِكَ ، (وَيُوصَفُ بِمَا تَقْتَضِيهِ مَقَرَّتُهُ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي هُوَ أَهْلٌ لَهُ) .

وهو يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْدِمَ النُّفُوزَ إِلَيْهِمْ ، مُسْتَجِيبًا دَعَاءَ أمير المؤمنين ، مُسْتَعِزًّا لَصُرُوفِ الغَالِبِينَ ، مُسْتَشِيرًا لِبَاسِ التَّقْوَى ، فِي الإِعْلَانِ وَالنَّجْوَى ، فَإِذَا نَازَلْتَهُمْ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ، فَأَذِقْهُمْ بِالْمُضَايِقَةِ وَبِآلِ أَمْرِهِمْ ، وَأَسْلُكْ بِهِمْ سَبِيلَ أمير المؤمنين وَأَفْتِحْهُمْ بِالْإِرْشَادِ ، وَخُصِّمْهُمْ عَلَى مَا يَقْضِي بِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَالْمَعَادِ ، فَإِنْ أَسْتَقَامُوا وَتَصَلَّوْا وَرَاجِعُوا وَرَجِعُوا فَأَعْطِهِمُ الْأَمَانَ ، وَأَقْضُ عَلَيْهِمْ ظِلَّ الْإِحْسَانِ . وَإِنْ أَصْرُوا وَتَرَدَّدُوا ، وَجَاهَدُوا وَاعْتَدُوا ، فَشَرِّ الْمَنَازِلَتِهِمْ ، وَصَمِّمْ فِي مَقَاتِلَتِهِمْ ، وَاتَّقِ أَنْ يَنْتَهِيَ اللهُ تَعَالَى قَدْ قَضَى بِالْغَلَبَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ . وَإِنْ خَلَدُوا لَأَعْدَائِهِمْ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ بِإِبَانَةٍ بِذَلِكَ عَنْ تَأْيِيدِهِ لِمَنْ أَعْتَصَمَ بِحَبْلِهِ ، وَدَفْعِهِ لِمَنْ أَسْلَخَ مِنْ ظِلِّهِ ، وَتُجَبَّ بِالْغَنَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ ، وَمَوْعِظَةً شَافِيَةً لِمَنْ أَسْتَحَفَّ بِتَحْمِلِ مَعْصِيَتِهِ ، فَإِنْ مَلَكَكَ اللهُ تَعَالَى الْبِلَادَ ، وَطَهَّرَهَا مِنْ أَهْلِ الْفُسَادِ ، وَشَرَّدَ عَنْهَا الدُّعَارَ وَالْأَشْرَارَ ، إِلَى أَقْصَى أُنْدِيَارِهِ فَاجْجُبْ نَوَاقِصَ الْفِتْنَةِ وَالضَّلَالَةِ ، وَعَقِّبْ آثَارَ ذَوِي النِّيِّ وَالْجَهَالَةِ ، وَأَسْخِغِ الْأَمْنَ عَلَى أَهْلِ السَّلَامَةِ ، وَأَفْرِغِ الْعَدْلَ عَلَى مَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَأُجِرِ الْأَمْرَ فِي الْخُطْبَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الرَّسْمِ الْمُحْسَنِ ، وَالْمَنْتَجِعِ الْمَعْهُودِ ، وَطَالِعِهِ بِمَا أَتَمَّيْتَ إِلَيْهِ ، لِيَكُنَّ بِكَ بِمَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ .

وَيُضْمَنُ هَذَا الْعَهْدُ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ شُرُوطِ الْعَهْدِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَيُؤَمَّرُ أَنْ لَا يَسْتَصْحَبَ مِنَ الْجُنْدِ إِلَّا مَنْ يَتَّقِي بِإِخْلَاصِهِ وَصِفَائِهِ ، وَيَسْكُنُ إِلَى أَمَانَتِهِ وَوَفَائِهِ ، وَأَنْ يُرْفَضَ الْمَدْخُولُ النَّيِّ ، الْبَغْلُ الطَّوِيَّةُ ، فَإِنَّهُ لَا نَشَىءَ أَضَرُّ عَلَى الْحَارِبَةِ مِنْ لَهَاءِ عَدُوٍّ يَجِيئُشِ

مُخْلِصِينَ، وَجَدْتُمَا كَرِيمًا، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْعَسَاكِرِ مَنْ يُدَاهِنُ وَيُظْهِرُ الْخِدْمَةَ وَهُوَ فِي مِثْلِ الْعَدُوِّ : إِمَّا لَأَنَّ بَيْنَهُمَا سَالِفَ وِدَادٍ وَوَلَايَةٍ قَدْ تَأَصَّلَتْ بِاطِّمَاعٍ وَإِفْسَادٍ ، أَوْ يَكُونُ لِسُلْطَانِهِ قَلِيلَ الْإِحْسَادِ . وَهَذَا الَّذِي أوردناه ليس بمثال جامع وإنما هو الذي يُمَيِّزُ بِهِ هَذَا الْعَهْدُ عَمَّا تَقَدَّمَ، وَالكَاتِبُ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَى اسْتِمَالِهِ رَبَّيْهِ وَقَدَّمَ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ، وَأَخَّرَ مَا يَجِبُ تَأْخِيرُهُ [أَضَافَ إِلَيْهِ مَا يَجِبُ] إِضَافَتَهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مجل بولاية مصر . وهي :

الحمد لله، الموفق إلى دواعي رضاه . المحمدين المومنين على ما أوجب المزيد من إفضاله وأقتضاه ؛ المشي على ما هدى إليه من طاعته ، القابل عمل من استغفد في الشكر أقصى طاقته ؛ المتكفل بمصالح عبادِهِ ، المولى من مواهبه ما تنجز الخواطر والألسنة عن تعدادِهِ ؛ وصلى الله على جدنا محمد الذي جعل أتباعه سبيلاً إلى سكن جنات الخلود ، وآلت بهداه نار الكفر إلى الهُمود والنُمود ؛ وأتقذ من مهاوى الضلال ، ووَسَمَ مَنْ حَادَهُ وَحَادَ عَنْ سَبِيلِهِ بِالضَّغَارِ وَالْإِذْلالِ ؛ وَخَلَفَ فِي أُمَّةِ الثَّقَلَيْنِ كَلَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِهِ ، وَأَبْقَى بَهِمَا فَيُفْهِمُ آيَتَهُ وَهَدَايَتَهُ ؛ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنَى عَمِّهِ أَبْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُبْرِمِ أَسْبَابِ الشَّرِيعَةِ وَمُحْكِمِهَا ، وَمُطْلِقِ سِيوفِهِ فِي نَفُوسِ أَعْدَاءِ الْمَلَّةِ وَمُحْكِمِهَا ؛ وَبَابِ مَدِينَةِ عِلْمِ النُّبُوَّةِ الَّتِي لَا يُدْخَلُ إِلَيْهَا إِلَّا مِنْهُ ، وَسَيِّدِ مِنْ عَتَاهِمِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۖ ﴾ . وَعَلَى أَلْهَا الْأُئِمَّةِ الْهُدَاةِ قُرَّامِ الْإِسْلَامِ ، وَمَاسِيَةِ الْأَنْامِ ؛ وَخُلَفَاءِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالْمُؤَفِّينَ بِهِدِهِ وَالْأَمْرِينَ بِإِدَاءِ سُنَّتِهِ وَفَرْضِهِ ؛ وَرُكْنِي الْعَصْمَةِ الَّذِي مَنْ لَحَا إِلَيْهِ نَجَّى ، وَالْحِصْنِ الَّذِي مَا خَلَبَ مِنْ أَمَّةٍ قَرَبًا مِنْهُ قَرَبًا ؛ وَسَلَّمْ وَعَقْلْ ، وَوَالِي وَكْرَمْ .

وإنَّ أمير المؤمنين لما أودعه الله إياه من أسرار الحكمة، وأجنباه له من إمامة الأمة؛ وأختاره له من كَلالة الخليفة وإباليها، وحفظ حوزتها من المخاوف ورعايتها؛ وما خصه به من بُنوة النبوة والرَّسالة، وأفرد به رأيه من الجزالة والأصالة؛ وأكتف به أنعماءه من التوفيق الذي لا يصدف عن غرض الإصابة ولا يبيد، وعضده به من التأييد القاضى لزمائمه ببلوغ الغرض في نُصرة التوحيد؛ وأستودعه إياه من الإقبال الذي يجعل المستحيل مُراداً إمكاناً، والتأييد الذي أوضح به إمامته بُرْهانا؛ وتوحده به من العِصمة التي تُصيب بها مَرَاميه مَوَاقِع الرِّشاد، وتضمن الخيرة لما يُعانيه من الأمور مما سَدَّ وساد - يُعَمِّل خواطره فيما يَكْفُل للنفس رِضاها، ويُخْزِل للذين والدنيا به حِطَّاهَا؛ وتُظَاهِرُ به ضروبُ الصِّلاح على الأمة، وتحيا به سُنن الخيرات وتتم النعمة؛ وينظر لمن أَسْتودعه الله إياهم من بريته نظر المؤدَّى الأمانة إلى مؤتمنه، المستودع فيما يُتَقَرَّب به إليه من البرِّ شُكْر سوايَج مَناعِهِ وَمِنَّة؛ ويُقَرَّب على الأمة متأل الخير باصطفائه من يكون لأفاضل الشَّيَم مستكلاً، وإلى ما أزلقه إلى الله سبحانه من طاعة أمير المؤمنين متوصلاً، ولشَواذِّ البناء بافضل سيرته متعلِّياً، وللتسَّمُح في قوانين السياسة مجتنباً؛ ولما علم [رَغْبَةَ] الرعية فيه متصباً، وفيما بلغهم أقصى الآمال متسبباً؛ وبمراقبة الله فيما يأتى ويذر متديناً، وبحُسن الجزاء على العمل بِمَرْضاتِهِ متيقناً؛ ليكون أمير المؤمنين قد قضى [ما أوجبه عليه] مستضله باجتماعه وأصطفائه، وأستحْد إليه بإسناد جلائل الخدم إليه وأستكفائه؛ وأتى ما تكون السلامة مضمونة في مبادئه وعواقبه، وأخطى بنيل المُراد في جميع جهاته وجوانبه؛ مستديماً نَمَّ الله التي أسداها إليه وأولاهها، مُواصلاً حمده على منته التي ظاهرها عليه وآلاها؛ ويستعينه على تَوَازُم عَوَافِره التي من أجَلَّها خَطَرًا، وأحدها في البرية أَمْرًا، وأجمعها لَمَنَافِع الخاص والعام، وأعودها بحماية حوزة الإسلام؛ وأشهدها

ببراهين الأئمة ، وأدلتها على عناية الله بهذه الأئمة ، ما منحته أمير المؤمنين من موازنة قناه ووزيره ، ومعينه على المصالح وظهيره ، السيد الأجل العادل أمير الجيوش أبي الحسين على الظافرى ، - والدعاء - الذى أظهر الله به لأمير المؤمنين آيات حقوقه ، واستأصل بئاسه شافة من تتابع في مرؤفه وبالغ في عقوقه ؛ وكسا الدهر بزيائته ملايس الجمال ، وقسح بفاضل سيرته مجال الآمال ؛ وبذل من الجهاد غاية الاجتهاد ، ووالى من عمارة البلاد ما أنطق بحمده الجماد ؛ واستخلص نخائل الصدور بلطف سياسته ووسع عدله ، ورغبت غرائب الآمال في الإيواء إلى سايح فضله ؛ وتبارت الليالى والأيام في خدمة أغراضه في أعاديه ، وأسترق قلوب الأولياء بما يؤاليه من يبيض أياديه ؛ ووضع الأشياء في مواضعها غير محاب ولا مرخص ، ولم يحفظ بإمامه النيرة غير الطائع الخالص ؛ ولم يتفق للباطل سوق ، وأنت سيرته بما يرضى الخالق والمخلوق ؛ فانه تعالى يجعل مدته غير متناهية إلى مدى ، والنصر والتوفيق لأرائه مددا ؛ ويحلل أبدا سعده ، ويحجز لأمير المؤمنين على يده وعده .

ولما كانت منزلته عند أمير المؤمنين المنزل التى تتطامن دونها المنازل والزئب ، وجلت أن ينالها أحد ممن بعد أو قرب ؛ وأفضاله قدوة يبتدى بأمثالها في الشكوك ، وسيرته قد عظمى عن أن تتماطى مائلتها هم الملوك ؛ ومحلّه عنده من الكمال بحيث تستحكم الثقة باختياره ، ويرجع في عقد الأمور وحلها إلى اتباع آثاره ومواقفة إيتاره ؛ وكانت مراتب الأولياء عند أمير المؤمنين بحسب مراتبهم من قربه ، وموضعهم من رضاه مضاهيا لموضعهم من قلبه ؛ ومكانهم من الخطوة لديه مناسبا لمكانهم من الزلقة عنده ، وأحقهم بسناء الزئب من أقبحه زئنه وكساه مجده ، ولا سيما من لم يخرج منه عن حكم الولد ، وحل منه محل القلب من الكيد ؛ ونشأ في دوحته غصنا نصيرا ، وطلع في سماء جلالة قرا منيرا ؛ وأعلى مجده ، وقطع بحمده ، وتظاهرت

شواهد سنده في مهده ؛ وكنت أيها الأمير الحاوي لهذا الفضل المبين ، المتعلق من ولائ أمير المؤمنين بالحبل المتين ؛ الذي نشأ متوقلاً في درج المعالي ، وغدا متقيلاً في ظلال الصوارم والعمالي ؛ وأخذت بمرآشد السيد الأجل العادل فزدت عن الظنون وأوفيت ، ووعدتك عنك فصدت عن ضمانها ووفيت ؛ ومازلت بعين الإجلال والتعظيم مئموها ، وبأفضل خلال الرؤساء ممنوها ؛ ولجلائل المراتب مؤهلاً ، ولسان الإجماع مفضلاً ؛ ولما أعيان أدواء التفاق حاسماً ، وفي مواقف المخاوف رابط الجأش حازماً ؛ ولما بعد الأماجد له مذخور المضاء ، وفيما تعانیه وتلايسه موفق الآراء ؛ وقد اكتنفتك من أتباعك هدى السيد الأجل العادل - أدام الله قدرته وولاه - ناصر الدين ، الأجل المظفر المتقدم الأمين ؛ سيف الإمام ، ركن الإسلام ، شريف الأتنام ؛ نغز الملوك ، مقدم الجيوش ، ذى الفضائل ، خليل أمير المؤمنين ؛ أبى الفضائل عباس الظافرى - العادل - أدام الله به الإمتاع ، وعصده وأحسن عنه الدفاع ، الذى هو نغز الملوك ونجلهم ، وأثرهم من المفاخر وأجلهم ؛ وأقدمهم فى الرئاسة قدما وأعزهم ، وأطيبهم أريج نساء وأعبقهم - ماجمك أعلى الأعيان مفخراً ، وأكرم الجواهر عنصراً ؛ وأولاهم بالآله أمير المؤمنين وعطائه ، وأسبقهم فى مضاير اختياره وأجبتائه ؛ وأثبتهم عنده مكانه ، وأحرام فى خدمه بتادية الأمانة ؛ وقد عرف من موافقت المشهود ، ومقاماتك المحموده ؛ ما كان منك فى توبة ابن مصال وجموع ضلاله ، وما استفاض من كونك سبب انهزامه وأنفلاله ؛ وأتقلا ب تديره عليه وأنصكاه ، والتفريق بين جسده ورايه ؛ وحصل لك بذلك من إحماد أمير المؤمنين ما لا يبلغ الوصف مداه ، إذ كان قد جرد سيف نصر والدك الأجل المظفر وأنت حذاه - رأى أمير المؤمنين - وبالله توفيقه - أن لا يضيع ما فيك من جوهر مكنون ، ولا يرجع فى أمر نبأتهك إلى ما تئدل عليه السنون ؛ إذ كنت للكمال مع فتاء السن

حائرا، وبمزية أصطناع أمير المؤمنين وأختياره إياك فاترا، وفاوض السيد الأجل العادل - أدام الله قدرته - في تشريفك بولاية يكشف بها شُغُوف جوهرك، ويوضح لكافة البرية بمباشرتك إياها ما استقرّ عنده من جميل مُختبرك، ووقع التمين على تقليدك ولاية مصر وما مع ذلك من الصنائع وغيرها من حقوقهما . فامضى أمير المؤمنين ذلك لما لهذه الولاية من الخطوة بالقرب والدُّو، وليوفّر على الإيثار على أن يبلغ نظرك إلى غايات المُلوّ والسمو؛ ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الخدمة المذكورة : علما بانتظام شُؤونها بإيالتك، وحياطة حوزتها بسطاك ومهايتك، وتحققا أنّ سياستك تُعْمها المصالح، وتظاهر عليها الميامن والمناسج، وتظهر لها الحجة في الاقتضار، على سائر الأمصار، وتسانف بمقارنتك من الميزة ما لم تحظ به فيما سلف من الأعصار، ويتضح بك البرهان لمن بالغ في تفضيلها، وتأل من فائض العدل بسيرتك ما تكاد تفتى به عن نيلها .

فتقلّد ما قلّدك أمير المؤمنين من ذلك : معتمدا على تقوى الله الذى إليه تصير الأمور . ويعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور؛ قال الله تعالى في حكم كتابه المبين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) . وأجعل من تحويه هذه المدينة بالعدل مشمولين، وعلى أجل السيرة والرسوم محولين؛ وسائر الحكيمين الشريف والدنى . وآس في المقدار بين الملى والدنى؛ وأقم الحدود على من يجب عليه بمقتضى الكتاب وصحيح الآثار، ولا تهملها بإقلايل ولا إكثار . وفي هذه المدينة من ذوى الأنساب، وأعيان الأجناد ومتميزى الكُتاب، وأماثل الشهود : فاعتمد تمييزهم والاختفاء بهم، ومعوّتهم على مطالبهم ومحابهم؛ وكذلك من تضمنت هذه الولاية من التجار والرعية . وتوخهم بما يسكن جاشهم، وزيل أستيحاتهم؛ ويفسح لهم في الرجاء والأمل، وييسرهم على صالح العمل . وتقدم بحفظ الجامع العتيق وصونه

وتوفيره ، على مايلقُ به وتوقيره ؛ وأمتع من أبداله في غير ما جُعل له ، ونُصب له ، من الإعلان بذكره فيه وأهله ؛ وورث تآم العنايه ، وشامل الرعايه ؛ على من به من الفقهاء والعلماء ، والمنصّدرين والقراء ؛ وحُضهم بالكرمة على المبالغة في طلب العلوم ، والترقّد من صالح الأعمال ليوم الوقت المعلوم ؛ وخُذ جميع المستخدمين معك بلزوم الطرائق الحميدة ، والمقاصد المستوفقة السديده ؛ فمن أَسَمَرَ على مارضاه من آجتهاده ، وتستوفقه من صواب اعتياده ، أجرته على رَسمه في الرعايه ، وتوخّيته بالصون والحمايه ؛ ومن كان بالخدم مُخلًا ، وسلوكه عما يلزمه ضالًا مضلًا ؛ فأوعز بتأديبه ، وما يقضى بتقويمه وتهذيبه ؛ والثقة بوفور حظك من الصواب ، وإجرائك على مايناط بك على الاستنباب ، أغنى عن الإطالة لك في الوصايا والإسهاب ؛ والله تعالى يقرّر الخير بما تنظر فيه ، ويجعل التوفيق مضمونًا فيما تدره وتأتيه ؛ ويُنيلك من رُتب السعادة ما أنت له أهل . ويُثِم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ، فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن السجلات بالوظائف الدينية على هذه الطريقة ما كُتب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية بعض القضاة ، وهو :

الحمد لله الواسعة عطاياه ، الوازعة قضاياه ؛ المشتغلة على أقسام الخلق قسّمه ، المبرور في سؤالم يوم فصل القضاء قسّمه ؛ المسطور في كتابه الذي مآقرط فيه من شيء محلل الشرع ومحرمه ؛ المتمثل فيه لمن مثله مطاع الأمر ومسأله ؛ الكريم الذي لا يضيع ثواب العاملين ، ولا يقطع أسباب الآمين ، ولا يمنع طلاب السائلين ؛ العدل الذي قامت حجته على التاكبين والسادلين ، والحق الذي يقضى بالحق وهو خير

الفاصلين ؛ مُصَنَّفِي مَشَارِعِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَعْرَاضِ الْكَدَرِ ، وَحَامِي مَعَاqِلِ الْمِلَّةِ
 مِنْ انْتِقَاضِ الْمَدَرِ ، وَمَتَرَهُ أَوْلِيَائِهِ مِنْ مَحَاسِنِهَا فِي رِيَاضِ الْفِكْرِ ، وَمَعْرِفِهِمْ بِمَا عَرَضَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْقَاطِهَا لِأَرْتِيَاضِ النَّظَرِ ، وَأَرْتِكَاضِ الْفِطَنِ وَالْفِطْرِ ؛ جَاعِلِ الْحُكْمِ سُلْطَانَهُ
 الَّذِي يَأْوِي إِلَهِيَّ إِلَى ظِلِّهِ ، وَحِمَاهُ الَّذِي يُلْجَأُ الضَّعِيفُ إِلَى عِزِّهِ ؛ وَمَقَرَّعِ
 الرَّائِعِ الَّذِي يَقِفُ الْمَشْرُوفُ وَالشَّرِيفُ عِنْدَ فَضْلِهِ ، وَشِفَاءِ الْعِلَلِ الَّذِي يَذْهَبُ
 بِكُلِّ [مَآلٍ] صَدْرٍ مِنْ عِلَّةٍ ؛ وَمُشَرِّعِ الْإِنْصَافِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الظُّلْمِ فَيُضْ سَجَلَهُ ،
 وَمَوْعِدِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تُطَوَّى السَّمَاءُ كَهَيِّ سَجَلِهِ ، وَمُظْهِرِ لِيُظْهِرَهُ هَذَا الدِّينُ عَلَى
 الَّذِينَ كُفَّهَ ؛ وَالْأَمْرِ فِيمَا أَشْكَلَ مِنْهُ بِالْتَّمَرِجِ إِلَى مَسْتَنْطِهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجَاعِلِ الْأَعْمَةِ
 الْهَادِيَةِ الْمُجْجَعِ عَلَى مَنْ رَجَعَ إِلَى قِيَاسِ عَقْلِهِ أَوْ تَقْلِيدِ جَهْلِهِ ؛ وَأَحَدِ الثَّقَلَيْنِ الَّذِي
 يَخَفُّ عَنْ كُلِّ غَارِبٍ كُلِّ ثِقَلِهِ ، وَأَخُوهُ الْكَتَابُ فَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا الْحَوْضَ يَوْمَ
 نَهْلِهِ وَعِلَّةٍ ؛ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي مِنْ أَتَى الْيَوْمَ فِيهَا بَرْزَخًا رَأَى أَتَى غَدًا بَرْزَخًا فِعْلُهُ ،
 وَمَنَارَ الْأَنْوَارِ الْمَضْرُوبَ عَلَى طُرُقِ السَّارَى فِي لَيْلِ الضَّلَالِ وَسُبُلِهِ ، وَسَبَبَ الْعِصْمَةِ
 الَّتِي أَشَارَ فِيهَا إِلَى الْإِعْتَصَامِ بِحَبْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدِّنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَظَّمَ بِهِ جَدَّنَا ،
 وَأَعْتَلَّقَ بِسَبَبِهِ تَجَدُّدَنَا ؛ وَوَجَبَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ وَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدُنَا ، وَأَوْرَثَنَا مِنْ
 عِلْمِهِ مَا حَازَ لَنَا شَرَفَ الدِّينِ وَالْدُّنَا ؛ وَحَلَمَ بِهِ نَجِيرٍ مِنْ ضَاقَتْ بِهِ الْمَذَاهِبُ فَرَجًا
 فَرَجًا ، وَحَكَمَ الْمَشْرُوكُونَ فِيمَا يَجْتَرِبُونَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ بِمَا قَضَى حَرْجًا ؛ وَعَلَى
 أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ ، الْقَائِمِ مَقَامَهُ بِفَضْلِ حِكْمِهِ وَفَضْلِ عِلْمِهِ ؛ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ
 أَبِي طَالِبٍ الَّذِي حُرِّزَ لَهُ مِنَ الْمُكْرَمَاتِ لُبُّهَا ، وَطَابَتْ بِقُبَارِ حُلُمِهِ إِقَامَةُ الْأَلْبَابِ
 وَإِلَابُهَا ، وَمِيزَهُ عَلَى الْكَافَّةِ بِقَوْلِهِ : ” أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَى بَابِهَا “ وَشَهِدَ طَوْرًا بِأَنَّهُ

أَنَّهُمْ ، فَلَمَّا أَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ بِهِ شَيْئًا وَفِي مَدَى الْفَضْلِ أَقْصَاهُمْ ، وَعَلَى الْأَمَّةِ مِنْ ذَرِيَّتَيْهَا
الَّذِينَ أَمَّوْا فَأَجْرَلَوْا ، وَحَكَمُوا فَصَدَلُوا ، وَكَمَلُوا تَقَلُّ الْأَمَانَةِ لِحَمَلُوا ، وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَكَلُوا بِمَا فَعَلُوا ، وَاسْتَوْجَبُوا الْحَمْدَ بِمَا أَوَّلُوا وَالْأَجْرَ بِمَا وَلَّوْا ، صَلَاةُ
مَامُونَةٍ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، مَتَوَصَّحَةُ الشَّيَاتِ .

ولما كان حُكْمُ الصَّوَابِ فِي الْحُكْمِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُنْتَخَرَ مَنْ بَانَ صَوَابُهُ وَأَنْفَضَحَ ،
وَبَانَ عَنْهُ حُكْمُ الْهَوَى الَّذِي فَضَحَ ، وَأَصْفَى صَمِيرَهُ إِلَى لِسَانِ الْحَقِّ الَّذِي فَصَحَ ،
وَعَرَضَ جَوْهَرُهُ عَلَى حَكِّ التَّقْدِ فَصَحَ ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّجَالِ فَفَضَّلَ وَزَنَا وَرَجَّحَ ،
وَأَحْتَجَّ بِهِ الْإِسْلَامُ عَلَى مَنْ نَوَى مُنَاوَاةَ فَتَحَجَّ ، وَوَلَّى الْأَحْكَامَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَصْلَحَ
وَصَلَحَ ، وَتَسَمَّحَ إِذَا كَانَتْ الْحَقُّ لَهُ وَإِذَا مَا كَانَ فِيهِ فَمَا أَسْمَحَ وَلَا تَسَمَّحَ ، وَجَدَّ
جِدَّهُ مِنَ مَعَالِمِ الْعُلُومِ مَا تَمَّحَ رَسْمُهُ وَأَتَمَّ ، وَأَطْلَعَتْهُ عَلَى خَفَايَا الْمَشْكَلاتِ بِبَيِّنَةٍ فَكَّرَهُ
لَمَّا لَمَحَ ، وَمَلَكَ عَيْنَ هَوَاهُ رَأْيَهُ فَجَنَحَ إِلَى هَوَاهُ وَمَا جَمَعَ . وَشَرَحَ صَدْرَ الْأَخْتِيَارِ
بِمَا مَلَأَ الْأَخْيَارَ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَشَرَحَ ، وَتَعَالَى الْأَقْتِرَاحُ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ فَكَانَ وَفَّقَ مَا أَرَادَ
وَفَوْقَ مَا اقْتَرَحَ ، وَتَنَبَّهَتْ بَعِينَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتَمَسَّكَ . وَتَفَرَّغَ عَنْ دَاءٍ يَلَازِمُهَا
وَأَعْرَاضُ تَسْنِيئِهَا وَتَمَسَّكَ ، وَكَثُرَ الْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ فَلَمَّا صَدَعَ بِالْحَقِّ وَإِمَّا أَمْسَكَ ،
وَأَعْدَى فَضْلَهُ وَفَضَّلَهُ عَلَى مَنْ شَكَا أَوْ شَكَّ ، وَغَضَّ عَيْنَيْهِ عَمَّا أُعْطِيَ سِوَاهُ وَمَتَّعَ بِهِ ،
وَأَشْتَرَى طُولَ رَاحَتِهِ بِنَصْبِهِ الْآنَ مِنْ نَصْبِهِ ، وَحَسَرَهُ (١) النِّعْمَةُ مِنْ تَعْبِهِ ، وَأَيْسَرَ
الظَّالِمُ مِنْ مُمَالَاةِ وَمُبَالَاةِ ، وَطَمِعَ الْمَظْلُومُ بِقُرْبِ إِعَانَتِهِ وَبُعْدِ إِعَانَتِهِ ، وَوَرَّ مَرُّ
الدَّهْرِ وَحَلَا حُلُوهُ فَلَمْ يَشْهَدْ بِاسْتِمَالَاتِهِ عَنْ حَالَاتِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَحَدُهُ حُكْمَ صَرَفِ
دَهْرِ يَجْرِي بِأَذَانِهِ ، وَلَا كَشَفَتْ مِنْهُ التَّجَارِبُ إِلَّا عَنِ الْبَصَائِرِ الَّتِي تَرَوُّقُ السَّمَاعِ

(١) أَيْ فَاِئْتَادَ وَلَا نَ وَلَا مَعَ أَيُّ جَادَ وَمَحَا .

(٢) أَيْ دُرُسَ وَغَفَا . انْظُرِ السَّادَ .

والتُّغَارَ، والحَسَنَاتِ الَّتِي قَصَّتْ بِصَافِرِهَا بِقَضَاءِ مَنَاطِرَةِ الْأَنْظَارِ، وَالدَّيَانَةِ الَّتِي عَمَرَتْ
الْمَحَارِبَ فِي اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَالْأَمَانَةِ الَّتِي آسَمَسَكَ عَقْدُهَا فَمَا خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ
يَتَدَاعَى وَلَا أَنْ يَنْهَارَ، وَالصَّبَابَةِ الَّتِي آسَوَى فَوْقَ مَرْكَبِهَا خَلَّتْ بِمِحْنَاتِ عَدْنٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الْقَاضِي مُلْتَقًى هَذِهِ الْأَوْصَافَ وَطَيَّعَهَا، وَمَشَرَّقَ نَحْرَهَا وَمَطْلَعَهَا،
وَمُلْتَقًى عَصَا أَرْتِيَادِهَا وَمَنْجَعَهَا، وَمَوْرِدَ قَرِطِ تِلْكَ الْأُمُودِ وَمَشَرَّعَهَا، وَمُرَادَ هَذِهِ
السَّمَاتِ الَّتِي تَقَعُ مِنْكَ مَوْقِعَهَا، وَتَأَلَّفَ عِنْدَكَ مَوْضِعَهَا، وَأَصَلَ هَذِهِ الْمَهَادِ الَّتِي إِنْ
آسَمَعْتُكَ بِسَوَاهِ فَتَنَ قَرَعَهَا، وَقَارَعَ صِفَاةَ هَذِهِ الذَّرْوَةِ الَّتِي مَا كَانَ لغيرِهِ أَنْ يَقْرَعَها .
وَمِنْ تَعَدُّهُ الْخَنَاصِرُ أَنْفَى كُفَاةِ الرَّبِّ وَأَوْرَعَهَا، وَأَبْلَجَ أَبَاةِ الرَّبِّ وَأَرْدَعَهَا، وَأَشَدَّهَا
قِيَامًا وَمَقَامًا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَطْوَعَهَا، وَأَمْضَاهَا حَذًّا إِذَا كُفَّ الْبَاطِلُ
الْفُرُوبَ، وَأَشْرَفَهَا شَمْسًا لَا تَوَارِي بِحِجَابِ الْفُرُوبِ؛ وَأَقْوَاهَا سَبْلَةً فِي تَفْذِيزِ حَكِيمٍ
حَقٍّ إِذَا ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ، وَأَتَقَاهَا صَحِيفَةً بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ نُورِ الْعَمَلِ
الْمَكْتُوبِ، وَأَبْدَاهَا زُهْدًا فِي دُنْيَاهُ إِذَا أُنْمُوا بِوَعْدِهَا الْكَاذِبِ أَمَلٌ لِيَتَأْتِيهَا الْمَكْذُوبُ .
وَأَدْوَمَهَا مَصَاحِبَةً لَشُكْرٍ لَا يَسْتَقِيلُ بِهِ رَفِيقُهَا الْمَصْحُوبُ، وَأَقْوَمَهَا طَرِيقَةً فِي الْحَسَنَاتِ
فَمَا طَرِيقُهُ إِلَى الْحُبِّ بِالْحُبِّ، وَأَقْوَاهَا طُمَأْنِينَةً قَلْبٍ إِلَى ذِكْرِ الَّذِي تَقَطُّعُنَّ بِهِ
الْقُلُوبُ؛ وَأَنْهَضَهَا عَزْمًا بِمَا أَعْيَا الْحِمْمَ مِنْ تَكَالُيفِ الطَّاعَةِ وَأَدَّ بِسَمْعٍ وَبَصَرٍ وَفَوَادٍ،
وَأَقْدَرَهَا عَلَى مُجَاهِدَةِ الشَّهَوَاتِ أَشَدَّ الْجِهَادِ؛ وَأَنْظَرَهَا لِنَفْسِهِ فِي تَحْصِيلِ عَمَلٍ يَشْهَدُ
لَهُ يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَأَمَهَّدَهَا لِحَبْنِهِ وَذَخَائِرِ التَّقْوَى نِعَمَ الْمِهَادِ .

وَالْيَقِينِ الَّذِي ظَهَرَتْ شَوَاهِدُهُ . وَالْعَمَلِ الَّذِي جُمِعَتْ إِلَيْكَ شَوَارِدُهُ ؛
وَالَّذِينَ صَفَّتْ إِلَيْكَ مَوَارِدُهُ، وَالْعِلْمِ الَّذِي هَبَّتْ بِمَذَاكِرِ تِلْكَ رَوَاكِدِهِ، وَالْفَهْمِ

الذى تظاهرت بمناظرتك مرأشده؛ والنظر الذى ألقى قرآن الحدال بالحدالة،
والأثر الذى يقضى به عليك بالعدالة؛ والمحاماة عن الحق بما يقضى لمخالفته بالإذالة
ولؤالفة بالإدالة، والإرشاد الذى ما بدا لفهم الشاك إلا بداهة؛ والفتيا التى ضربت
تيج الباطل بسببها، وحلت مسماع المستفدين بسنوفها؛ والجلالة التى لا يمل
مسموع أوصافها، والعدالة التى لا يمل (٥) مشروع إنصافها؛ وكل ليلة أعمدت ظلامها
فى نور التهجد والناس مجود، وسكنت جفون مناقبها بيقظات السجود، وأنشأت
الخشية غمامها فاطفأت بماء الدمع النار ذات الوقود؛ وبلغت رياضة الجوارح
التي تريد ورياض القلب التى ترود؛ فأسفر الصبح منك عن سائر واقف، وأسمر
لك القبول عن أنس خائف؛ وتأرجت أنفاس الأمحار باستنفارك، وتم عنوان
السجود بأسرارك، وأبيضت شية الليل بحل آثارك؛ واكتفتك الطهارة حتى كأنك
مصحف، وارهفتك الديانة حتى كأنك مرهف؛ وحالفتك الركابة وكأنك مع
سلامة الخلق أحف، وتفتت السن فابقت منك ما بقت من سنان المثقف؛
وعرفتكم الأحكام بأنك ماض على الحقائق عند الشبهة توقف، وألفتكم التزاهة
فشهد عدول أن نكرة المطامع عندك لا تتعرف؛ وصرفتكم التزاهة عن دُنيا إن كانت
عراسها تُرف فندا مواردها تُترف، وأسرفتكم المنازل التى لا تزال بأعناق الأشراف
تُستشرف؛ وما رأست، حتى درست؛ ولا تبنت، حتى تفقت؛ ولا أقيت
حتى أقيت المحارب، ولا تصدوت حتى تصبوت على كلف قلب الصابر؛ فما
حباك من حباك، ولا قدمك حتى علم أن سواك ما سواك؛ فرياستك لم تكن قلته،
وأسقراط وجه الرياضة لك لم يكن قلته؛ بل ثقلت متدرجا، وأعنى عليك لسان
حقيقة ما كان متعابجا؛ ولو أقصدك حسبك أو أباك، لقبلك المجد وما أباك؛

فكيف ولك نفس بَتَتْ لك الشَّرَفَ الخالد ، وجمعت الطريف منه إلى التاليد ،
ولم تمنع بما ورثت من ثراثِ رياسةِ الوالد .

والسيد الأجل الذي أعاد إلى الدولة رونقَ نصارتها ، بعد رونقِ إضارتها ،
وأفاضت عليه حياَ إشارتها ، وأضافت إليه نصَّ إشارتها ، وأعطته السعادةَ أفضل
إمارتها ، بما أعطته من فضلِ وزارتها ، وأشملت معاني التَّجاع من صَفحةِ بشره
التي تجللك الآمالَ بِشارتها ، وأقرت حركته انطلاقةَ في دارها والأوارقِ دارتها ؛
وفصرت مهابته أيدي الأعداء بعد استطالها ، وأحمدت نارهم بعد استيطارها .
وذلت رياضته الأسودَ فلم ترعِ الأسماعَ بزأرها ولا العيونَ بزيارتها - يعلِّك للصُّدور
صدرا ، ويعدك بما يرفع دوى الأقدار قذرا ، ويذكرك بما يعلِّب به نَشرا ،
ويحسنُ ملبوسه بشرا ، ويرالك أولى من أقام الحقَ لازماَ جواده ، وأقعد الباطلَ
حاسماَ مَوَادَه ؛ ويصفك بالعدل الذي يتألم عليه الأضداد ، والسداد الذي
لا يضربُ بينك وبينه بالأُسداد ؛ والتزاهة المتزهة عن التصنع بالرياء ، والسرية
الطيبة النُشر والسيرة الحسنة الرواء .

ولما قررتك النيابة عنه في الصلاة والخطابة والقضاء والمظالم والإشراف
على الجوامع والمساجد ودارِ ضرب العين والورق والسكَّة بالحقرة وسائر أعمال
الملكمة ، أمضى أمير المؤمنين ماقُور ، وتخير لهذه العظيمة من تخير ، سكوناَ إلى أمانتك
التي حلت نوقها ، وركوناَ إلى ديانتك التي أوجبت تطلعَ هذه الرتبة إليك وسوقها ؛
وعلمنا أنك فارسها الذي أوسع ميدانه ، وواحدُها الذي ربحَ ميزانه ، وكفوها الذي
تمكَّن مكانه .

فقلِّد ما قلِّدت من ذلك عاملا بتقوى الله التي يفوز العامل بها في مواقف
الإصطفا ، ويحوز بها السالك متالِف الصراط ، ويحوز بها الآملُ معارف الإحتياط ؛

قال الله في فرقانه الذى نزل على عبده ليكون للعالمين نذيرا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ ثَوْرًا) .

والحكم فهو عقد اللباس دُنْيَا وَدِينَا ، وسبيل الحق الذى يسلكه مَنْ جَرَى شِمَالًا وَسَلَكَ يَمِينًا ؛ وبه كَفَّ الله الأيدي المتعديّة ، وأَقَدَّ من النار النفوس المترديّة ؛ وأقام حدودَ كُلِّ مَنْ أَسْتَحَقَّهَا ولم يَتَوَقَّهَا ، وأوجبِ قِصاصَ الدماء على مَنْ أَرَأَقَهَا وَأَسْتَبَاحَ رِقَّهَا ؛ وبه يَفْقُ القوَى والضعيفُ مَوْقِفًا واحدًا ، وَيَظْهَرُ أولو عدلِ الله لمن كان بعين قلبه مُشَاهِدًا ؛ وبه تَبَيَّنَ مواضعُ التحليل والتحرّيم ، وفيه تُتَعَيَّنُ مقاطعُ الحُكْمِ بالحُكْمِ ، وتَحَالِيهِ الوقارُ فهى جَنَّةٌ لَا تَقْوُ فيها وَلَا تَأْتِي ، والظالمُ فيه وإن ظَفِرَ فَإِنَّمَا ظَفِيرٌ بما يُقْطَعُ له من نارِ الجحيم . ولا يحمل بين المتعاضدين إليك من فرق ، وسواهُ من الحكم بين كافة الخلق ؛ وَلَا تُحْكَمُ بِحُجَّةِ أَحَدِ الخصمين وإن كان لها السبق : بِرَأْسِ حُكْمٍ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللهُ وَلَا تَقْبَلُ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ؛ . وَلَا تَقْطَعْ بِأَمْرِكَ وإن كنتَ عالمًا ، وَلَا تَبَالٍ فى الله أَنْ تُغْضِبَ ظالِمًا وَيَرْضَى مَظْلُومًا ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَظَرِكَ وَإِصْرِكَ بَيْنَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْكَ مَقْسُومًا ، فَلَا تَحْقِرْ خَطَا الحُكْمِ وَتَجْتَنِبْ مِنْهُ بَيْنَهُمَا مَا تَجِدُهُ [عند] الله عَظِيمًا ؛ وَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللهُ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَائِثِينَ خِصِيًا . وَتَجَلِّبْ بِالْوَقَارِ الذى يَبَيِّنُ فَضْلَ الْمَلِكِ ، وَيَشْهَدُ لِلْكَفْرِ بِاللَّهِ ، وَيُلْهِسُ نَفَرَ السَّوَادِ الْجَلَّةِ ؛ وَلَا يَمْتَنِعْ مَذْمُومُ الْكِبَرِ ، عَنْ مَجْدِ التَّدْبِيرِ ، وَلَا جَبَرُ لَكُمُ التَّجَبُّرِ ، وَلَا خَيْرٌ فِيمَنْ لَا يُهْمَلُ رُويَةٌ التَّحِيرِ فَالْعَجَلَةُ تَضَيِّقُ مِيزَانَ التَّخْيِيرِ ؛ وَإِذَا أَوْضَحَ الْمُتَبَيَّنُ لِقَهْمِكَ ، وَعَزَّ الْقَطْعُ بِفَصْلِ حُكْمِكَ ؛ فَأَنْهَمُ الظَّالِمَ مَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ لِنَصْرِهِ ، قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ لَأَمِنْ طَرِيقِ ظُلْمِهِ ؛ وَلَعَلَّهُ لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ بَيْنَ قُوَّتِ مَرَادِهِ وَبَقَاءِ إِيْمَةٍ ؛ وَذَاكَ الْمُقْدِمِينَ عَلَى الْيَمِينِ ، بِمَا عَلَى مَنْ يَمِينُ ؛ وَأَنْ كَاذِبَهَا يَدْعُ الدِّيَارَ

بَلَّاقِعَ ، وَأَنْ تَخْرُقَ الْجُرْعَةَ عَلَى اللَّهِ مَالَهُ مِنْ رَاقِعٍ ، وَصَرَعَةَ الْفَاجِرِ مَا لَهَا مِنْ مَزِيلٍ
وَلَا رَافِعٍ ؛ وَمَنْ قَطَعَهُ الْحَصْرَ عَنِ الْإِفْصَاحِ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ عَنِ الْإِبْصَاحِ ، فَاسْتَعْمِلَ
مَعَهُ أَنَاةً تَوْضَعُ مَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَرِقْفًا يُفْصِحُ مَا يَخْتَلِجُ فِي فِكْرِهِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” إِنَّكُمْ لَتَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنَ
بِحُجَّتِهِ مِنَ الْآخِرِ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ “ وَلَدْخُولِ الْمَجَالِسِ دَهْشَةً تُورِثُ اللِّسَانَ
عُقْلَهُ ، وَلِمُفَاجَأَةِ الْحَافِلِ حَيْرَةً تُغَيِّبُ الْبَيَانَ مُهْلَهُ ؛ فَوَاجِبُ عَلَيْكَ مِنْ تَقْلَهُ أَنْ تَقْلَهُ ،
وَمِنْ يُسَدُّهُ أَنْ تُسَدَّهُ : لِنَقِضِ بِمَا تَقْضِي ، وَنُمِضِ الْحَكْمَ بِحَقِيقَةِ تَمِضِي ؛ وَإِنْ
تَحْجَزَتْ قَضِيَّةٌ قَدْ قَرَطْتَ ، وَتَدْبَرْتَ نَوْبَةً قَدْ أَفْرَطْتَ ؛ فَبَادِرْ بِاسْتِدْرَاكِهَا ، قَبْلَ
وُقُوعِهَا فِي أَذْرَاكِهَا ، وَتَعَذُّرِهَا عَنْ إِدْرَاكِهَا ؛ وَلَسْتَ مَعْصُومًا مِنَ الْمَغَالِطِ ، وَلَا مَوْصُومًا
بِالْخَطِ الْفَارِطِ ، وَلَا مُلَوَّمًا [إِلَّا] إِذَا أَقَتَ عَلَى مَا اللَّهُ مِنْهُ سَاخِطٌ ؛ فَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ
أَتَى الْخِلَافَةَ وَلَمْ يَتَّقِ الْخِلَاقَ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ” يَسْتَحْفُوفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُوفُونَ
مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ “ .

وَكَلَّمَ اللَّهُ وَسَنَّهُ رَسُولُهُ السَّرَاجَانَ اللَّذَانِ مَا ضَلَّ هُدَاهُمَا ، وَالْمِهَادَانِ اللَّذَانِ
مَا أَوْصَحَهُمَا إِلَيْهِ وَأَبْدَاهُمَا ؛ وَقَدْ أَغْنَتْ نَصُوصُهُمَا عَنِ الْأَقْيَاسِ ، وَأَوْضَحَ خُصُوصُهُمَا
عَامَّةَ الْأُمُورِ الْمُتَلَقِّيسِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا قَرُّنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وَقَالَ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ؛ وَإِنْ أَشْكَلَتْ نَازِلَةٌ غَيْرُ
مُسْطَوْرَةٍ ، وَأَعْصَلَتْ وَاقِعَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ ؛ فَاسْتَشِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهَا ، وَقِفْ
عَلَى بَحَارِ عَلَيْهِ فَلَنْ تَعْدَمَ سَبِيحَ دَرَاهِمِهَا ؛ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عِنْدَ التَّنَازُعِ أَنْ
يُزَادَ [إِلَيْهِ] مَا أُعْصِلَ ، وَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ لَلِاسْتِنْبَاطِ [الْإِمِينِ] ^(١) الَّذِينَ حَكَّمَ اللَّهُ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِمْ
مَا أَشْكَلَ .

(١) زيدا هاتين الكلمتين على ما في الأصل لأن الكلام يدور في زيادتهما لا فيهم . تأمل .

والشهادة فلهذا أمر الله بإقامتها وكفى بالله شهيدا، وكفى بذلك جلاله وتعجيبا، ولا تتخذ إلا السدول المقامح، ولا تسمع منهم إلا لمن هو لأمر الله سامع، فهم الأعوان التي تدفع بها نار جهنم، والجئن التي يتقي بها الحاكم سهام الأتام فيما حلل وحرّم، وإلى علمهم انتهت مقاطع الحقوق التي الله بها أعلم، وما سرى حكم إلا بعد أن تبيد أقواله دليلا، ولك السمع ولم البصر وكل أولئك كان عنه مسئولا، واستشفت أمورهم فمن ألفتهم ألفا لمحبة الصواب، عاتقا لمصلحة الأرياب، لأيماف بالإغضاب، ولا يئاف بالإرهاب، ولا يحسب حسابا إلا ليوم الحساب، فاسمع مقالتيه، وأقر عدائته. ومن كان عن السبيل ناكيا، وللهوى راكبا، فأرجله عن ظهر العدالة، وتبع زلله بالإزالة، وواصل فيهم ألسنة حكك، وأوجه علمك، فلا تستنب إلا من تعلم أن خطئه عليك وصوابه لك، ولا تقول إلا على من لا ينجيل نفسك ولا يذم تعويلك.

وكانت قلبه لسانك، ولسانه ترجمانك، إن وقع إليك تنسب مواقع توقيعه، وإن وصل حكما بسطوره فقدارك مسطور من مسموعة، فلا ترض بالدون فما يدون، ولا تقول إلا على كل من تصور وتصون.

وحاجبك فهو عينك وإن سمي حاجبا، ووجهك الذي تلقى به إذا كنت غائبا، فاحتر من يكون متخيرا في المقال، متحليا بحسن الفعال، مجربا في جميع الأحوال، لا يلتفت إلى دنيا ديسه، ولا يخونك أمانته ولا تمتد يمينه، ولا يقول عنك ولا عن نفسه إلا ما يزيدك ويزينه، ولا يخف إلى ما يخف به موازينه.

والخطباء قرسان المنابر، وألسنة المحاضر، وتراجم الشعائر، وأئمة المجامع، وسقراء القلوب بوساطة المسامع لقماءها الرافع، وميرها الفارع من القلوب على دائها، وتدحر

حره شياطين الأمم عند اعتدائها؛ ويُعرب عن الهداية ويبلغ بلاغته في إهدائها؛ ويتقن غارح الحروف مُحسناً في أدائها وإبدائها، وتُحُلُّ موعظته عن العيون الجامدة عُقْدَ وكائنها، وينادى القلوب الصّديّة فيكون صداه صوب بكائها، ويستشعر أُرديّة الوقار فتشهد المنابر له بارتدائها؛ وتغذى النفوس مواعظه إذا قصدته باستنصارها على القلوب وأستعدائها .

والأيتام فانت لم والد ، وأجرُ نفقتك عليهم في الصحيفة وإرد؛ وهم ودائع الله لديك، وذخائر الآباء [1] لا أنهم في يدك؛ فأحسن بهم السياسة بالشّفقه، وأحسن لهم التدبير بالثّققه؛ ومن آنست رُشدّه، فأدفع ماله إليه ، ومن لم تسترشدّ قصده، فأنفق منه عليه ؛ قال الله تبيهاً وتحذيراً : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ .

والمساجد بيوت الله التي يُسجّ له فيها بالقدوة والآصال، ومظانّ العبادة التي يعمرها أهل الإعتلاق بمعروفه والإفضال؛ ومصاعد الكليم الطيب والعمل الصالح، وأسواق الآخرة التي يُوجب فيها المشترون صفقة البيع الراجح؛ فعبد الطريق إلى زيارتها، وأشرح قلوب المتطهرين بطهارتها، وأنس القائمين بالليل والمستغفرين بالأشجار بآنارتها .

والمضروبُ بدار الضرب فهو عينٌ مانجب عليه الزكّوات، ونفسٌ مأنحاز [به] المستملكات؛ ومدارُ ما تشتمل عليه المعاملات، وقيمٌ مأنحقن به الدماء في الديّات، ومتهى مأنوق به الصّدقات؛ وتوصى به الصدقات؛ فنول أخذ عيابه، ومباشرة تصفية دِرهمه وديناره، وأخلصه لتنجو من النار بلقعات ناره؛ وأحفظ شكله الذي ينقش خاتم جوازه؛ والأسماء المسطرة عليه وسيلة امتيازته على بقية الأحجار وإعزازه .

والوكالة على باب الحكم فهي كِفَاح المتاضلين، وسِلَاح المتاصلين؛ ومن يتفع بها لا يُعزَل من الخطاب، كما لا يَنْصَب بها من يَفْتَح له الباطل الأبواب؛ فلا تُوعى إلا لمن حسنته الدُّربة، في السرعة من القُرْب، وتدبر قول الله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ خَلْقٍ حَبِيبٍ﴾ ممن يُؤْمِن على النساء والرجال، ولا يُعْجِب إرسال لسانه في الحلال، ولا يُبْطِل الحق إذا أطلق لسانه في سَمَةِ الْحَبَال.

والمُتَصَرِّفون الذين هم أيدي الشريعة التي تُشَيِّص الخُصوم، ويُسْتَعَان بهم على قَنع الظُّلوم ونَقع المظلوم؛ فتُخَيَّر أن يكون أكبرهم من أهل طبقته، وأمتهم تحسبنا لِسْمَعته وتحسبنا لأمانته.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاحْتَدِ بهْذِهِ، وقُمْ بفرض رَغِيهِ وَحَقِّ وَغِيهِ؛ وكريم سعى الآخرة أَحْسَنَ سَعْيِهِ، وتصَرَّف بين أمر الحق ونهيهِ؛ والله سبحانه يُلْفِك من مناجح أَسْرِك، مالا تُبْلَغُهُ بِمَطَاحِ فِكْرِكَ؛ ويسر لك من بديهة الإرشاد، ما تُعْجِز عنه روية الأرتياد؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورثته، وأعمل بموجبِهِ وَحُكْمِهِ؛ إن شاء الله تعالى.



ومن ذلك ما أورده على بن خلف الكاتب في كتابه "مواد البيان" في مجلِّ بالدعوة للدولة والمشايع لها، والموافقة على منتهبها، وهو:

الحمد لله خالق ما وقع تحت القياس والحواس، والمتعالى عن أن تُدْرِكهُ البصائر بالاستدلال والأبصار بالإيناس؛ الذي اختار الإسلام فاطهره وعظمه، وأستخلص الإيمان فاعززه وأكْرَمَهُ؛ وأوجب بهما المحجة على الخلائق، وهدهم بأنوارهما إلى أَقْصَدِ الطرائق، وحاططهما بأولياته الراشدين كُفُوس الحقائق؛ الذين نصَّبهم في أرضه

أعلاما، وجعلهم بين عبادِه حُكَّامًا؛ فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أنِ أمْطَفَاهُ خِلَافَتِهِ ، وَخَصَّهُ بِطَانَفِ حِكْمَتِهِ ، وَأَقَامَهُ دَلِيلًا عَلَى مَنَاجِحِ هِدَايَتِهِ ، وَدَاعِيًا إِلَى سَبِيلِ رَحْمَتِهِ ، وَيَسْأَلُهُ الصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الَّذِي أَبْتَعَتْهُ رَحْمَةُ الْعَالَمِينَ ، فَأَوْضَحَ مَعَالِمَ الدِّينِ ، وَشَرَعَ ظَوَاهِرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ وَأَوْدَعَ بِوَاطِنِهِ لَوْصِيَهُ سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ : عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ هِدَايَةَ الْمُسْتَجِيبِينَ ، وَالتَّالِيفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَفَجَّرَ بِنَايِغِ الرِّشَادِ ، وَغَوَّرَ ضَلَالَاتِ الْإِلْهَادِ ؛ وَقَاتَلَ عَلَى التَّوَلُّدِ كَمَا قَاتَلَ عَلَى الرِّسْلِ ، حَتَّى أُنَارَ وَأُورِثَ السُّبُلُ ، وَحَسَرَ نِقَابَ الْيَانِ ، وَأُطْلِعَ شَمْسَ الْبِرْهَانِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، وَعَلَى الْأُتَمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتَيْهِمَا ؛ مَصَابِيحَ الْأَدْيَانِ ، وَأَعْلَامَ الْإِيمَانِ ، وَخُلَفَاءَ الرَّحْمَنِ ؛ وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ مَا تَعَابَى الْمَلَوَانِ ، وَتَرَادَفَ الْجَلِيدَانِ .

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَرَفِ الْحِكْمَةِ ، وَأُورِنَهُ مِنْ مَنَاصِبِ الْإِمَامَةِ وَالْأُتَمَّةِ ؛ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْقِيفِ عَلَى حُدُودِ الدِّينِ ، وَتَبْصِيرِ مَنْ أَعْتَصَمَ بِجِهْلِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَنْوِيرِ بَصَائِرِ مَنْ أَسْتَمْسَكَ بِعُرْوَتِهِ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ - يُعَلِّنُ بِإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ ، وَتُسْبُوحِ ظُلُمَاتِهَا عَلَى أَشْيَاعِهِ وَخُلَصَائِهِ ؛ وَتَغْذِيَةِ أَنْهَامِهِمْ بِلَبَانِهَا ، وَإِرْهَافِ عُقُولِهِمْ بِلَيَانِهَا ؛ وَتَهْذِيبِ أَفْكَارِهِمْ بِطَاقَتِهَا ، وَإِتْقَانِهِمْ مِنْ حَبِئَةِ الشُّكُوكِ بِمَارْفَعِهَا ؛ وَتَوْقِيفِهِمْ مِنْ عُلُومِهَا عَلَى مَا يَلْتَحِبُّ لِمِ سَبِيلِ الرِّضْوَانِ ، وَيُقْضَى بِهِمْ إِلَى رُوحِ الْخِنَانِ وَرِيحِ الْخَنَانِ ، وَالْخُلُودِ السَّرْمَدِيِّ فِي جَوَارِ الْجَوَادِ الْمُنَانِ - مَا يَزَالُ نَظَرُهُ مَصْرُوفًا إِلَى تَوَطُّطِهَا بِنَاشِئٍ فِي حِجْرِهَا ، مُعْتَذِرًا بِدَرَّهَا سَائِرَ فِي نُورِهَا ؛ عَالِمٌ بِسَرَائِرِهَا الْمُدْثَوْنَةِ ، وَغَوَامِضِهَا الْمَكْنُونَةِ ؛ مُوقِرًا عَلَى ذَلِكَ اخْتِيَارِهِ ، وَقَاصِيَةً اتَّقَادِهِ وَاخْتِيَارِهِ ؛ حَتَّى أَذَاهُ الْاجْتِهَادُ إِلَيْكَ ، وَوَقَّصَهُ الْاِرْتِيَادُ عَلَيْكَ ؛ فَاسْتَنْعَا مِنْكَ إِلَى

كفيتها وكافيا ، ومِدرِها المبرِّزِ فيها ، ولسانها المترجم عن حقائقها الخفية ، ودقائقها المطوية ؛ ثمة بوثاقة دينك ، وصحة يقينك ؛ وشهود هديك ، وهُدَاك ، وفضل سيرتك في كل ماوَلَاك ؛ ومحض إخلاصك ، وقديم اختصاصك ؛ وأجراك على رَسْم هذه الخدمة في التشريف والمُجلان ، والتنويه ومُضاعفة الإحسان .

فقلِّد ما قلِّدك أمير المؤمنين مستشعرا للتقوى ، عادلا عن الهوى ، سالكا سبيل الهدى ؛ فإنَّ التقوى أحصن الجن ، وأزین الزین ، و (أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) . فإن الله تعالى يقول : (وَمَنْ يَأْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) . وحض على ذلك فقال سبحانه : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) .

وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشُدَّ العقد على كل مُنقاد ظاهر ، من يظهر لك إخلاصه ويقينه ، ويصحُّ عندك عفافه ودينه ، وحضهم على الوفاء بما تُعاهدُهم عليه ، فإن الله تعالى يقول : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) . ويقول جل من قائل : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) . و [كف] كافة أهل الخلاف والعداء ، وجادلهم باللطف والسداد ، وأقبل منهم من أقبل إليك بالطوع والإقباد ؛ ولا تُكرِه أحدا على متابعتك والدخول في بيعتك ، وإن حملتك على ذلك الشفقة والرأفة والحسان والمعاطفة ؛ فإنَّ الله تعالى يقول لمن بعثه داعيا إليه بإذنه : عهدي صلى الله عليه وسلم : (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) .

ولا تُلقِ الوديسة إلا لحفاظ الودائع ، ولا تُلقِ الحب إلا في مَرَزعة لا تُكْدى على الزارع ؛ وتوخَّ لغرسك أجل المقارس ، وتوردُهم مشارع ماء الحياة الممين ،

وَقَرَّبَهُمْ بِقُرْبَانِ الْخَلِصِينَ ؛ وَتَخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ ، إِلَى نُورِ الْبَرَاهِينِ
وَالْآيَاتِ ؛ وَأَتْلُ بِمَجَالِسِ الْحِكْمِ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي الْحَضْرَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ؛
وَالْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُسْتَجِيبَاتِ ، فِي قُصُورِ الْخِلَافَةِ الزَّاهِرَةِ ، وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْمُعْزِزَةِ
الْقَاهِرَةِ ؛ وَصُنْ أَسْرَارَ الْحِكْمِ إِلَّا عَنْ أَهْلِهَا ، وَلَا تَبْدُلْهَا إِلَّا لِمُسْتَحَقِّهَا ؛ وَلَا تَكْشِفْ
لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مَا يَعْجِزُونَ عَنْ تَحْمِلِهِ ، وَلَا تَسْتَقِلْ أَفْهَامَهُمْ بِتَقَبُّلِهِ ؛ وَاجْمَعْ مِنَ التَّبَصُّرِ
بَيْنَ أَدْلَةِ الشَّرَائِعِ وَالْعُقُولِ ، وَدُلْ عَلَى اتِّصَالِ الْمَثَلِ بِالْمَثْنُونِ ؛ فَإِنَّ الظُّوَاهِرَ أَجْسَامُ
وَالْبَوَاطِنَ أَشْبَاحُهَا ، وَالْبَوَاطِنَ أَنْفُسُ وَالظُّوَاهِرَ أَرْوَاحُهَا ؛ وَإِنَّهُ لَا قِيَامَ لِلْأَشْبَاحِ
إِلَّا بِالْأَرْوَاحِ ، وَلَا قِيَامَ لِلْأَرْوَاحِ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا بِالْأَشْبَاحِ ، وَلَوْ أَقْرَبَقَا لَقَسَدَ النَّظَامُ ،
وَأَنْتَسَخَ الْإِبْحَادُ بِالْإِعْدَامِ . وَأَقْصِرْ مِنَ الْبَيَانِ ، عَلَى مَا يَجْرُسُ فِي النُّفُوسِ صُورَ الْإِيمَانِ ،
وَيَصُونُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْإِفْتِنَانِ ؛ وَأَنْهَهُمْ عَنِ الْإِثْمِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وَكَائِنِهِ
وَعَالِنِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ .

وَأَتَّخِذْ كِتَابَ اللَّهِ يَصْبَاحًا تَقْتَبِسُ أَنْوَارَهُ ، وَدَلِيلًا تَقْنِي آثَارَهُ ؛ وَأَتْلُهُ مُتَبَصِّرًا ،
وَرَدَّدَهُ مُتَذَكِّرًا ، وَتَأَمَّلَهُ مُتَفَكِّرًا ؛ وَتَدَبَّرْ غَوَامِضَ مَعَانِيهِ ، وَأَشْرَ مَا طَوَى مِنَ الْحِكْمِ
فِيهِ ؛ وَتَصَرَّفْ مَعَ مَا حَلَّه وَحَرَّمَهُ ، وَتَقَضَّ وَأَبْرَمَهُ ، فَقَدْ فَصَّلَهُ اللَّهُ وَأَحْكَمَهُ ؛ وَاجْعَلْ
شَرْعَهُ الْقَوِيمَ الَّذِي خَصَّ بِهِ ذَوِي الْأَلْسَابِ ، وَأَوْدَعَهُ جَوَامِعَ الصَّلَوَاتِ وَمَحَاسِنَ
الْآدَابِ ، سَبِيلًا تَتَّبِعُ جَادَّةً ، وَتَبْلُغُ فِي الْاِحْتِجَاجِ حُجَّتَهُ ، وَتَمْسُكُ بِظَاهِرِهِ وَتَأْوِيلِهِ
وَمُؤَلَّهُ ، وَلَا تَعْدِلْ عَنْ مَنَهْجِهِ وَسُبُلِهِ ؛ وَأَخْتِمْ تَشَرُّقَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْتَجِيبِينَ ،
وَأَرْشُدْهُمْ إِلَى طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَسَوْ يَنْتَهَمُ فِي الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَقُولُ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ : ﴿ سَوَاءٌ أَلْمَا كُفٌ فِيهِ وَالْبَادُ ﴾ . وَزِدْهُمْ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَادِّ
عَلَى حَسَبِ قُوَّاهُمْ مِنَ الْقَبُولِ ، وَمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ جُودَةِ الْمُحْصُولِ ؛ وَدَرِّجْهُمْ بِالْعِلْمِ
وَوَفِّ الْمُؤْمِنَ حَقَّهُ مِنَ الْأَحْقَامِ ، وَلَا تُقَدِّمِ الْجَاهِلَ عِنْدَكَ قَوْلًا سَلَامًا كَمَا عَلَّمَ رَبُّ

السلام . وتوخَّ رعاية المؤمنين ، وحماية المعاهدين ، وميزهم من العامة بما ميزهم الله من فضل الإيمان والدين ؛ وإلنَّ لهم جانبك وأخُنَّ عليهم وألطفَ ، وأبسطَ لهم وجهك وأقبلَ إليهم وأعطفَ ؛ فقد سمعتَ قولَ الله تعالى لسيد المرسلين :

((وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) . ولا تُفَسِّحْ لأحد منهم في التناول بالدين ، ولا الإضرار بأحد من المعاهدين والذَّمتين ، وميزهم بالتواضع الذي هو حيلة المؤمنين ؛ وإذا ألتبسَ عليك أمرٌ وأشكَلَ ، وصُعبَ لديك مرأىٌ وأعْضَلَ ، فأنه إلى حضرة الإمامية متبعا قول الله تعالى : ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) . وقوله : ((فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) : ليخرج إليك من بصائر توقيفها ، ومرآشده تعريفها ، ما يقيك على مناجح الحقيقة ، ويذهب [بك] في لاجب الطريقه ؛ وأقبض ما يملكه المؤمنون لك من الزكاة والخزى والأخماس والقربات وما يعجز هذا المجرى ؛ وتقدم إلى كاتب الدعوة بإثبات أسماء أربابه ، وأحمله إلى أمير المؤمنين ليتنفع مغرجوه بتقليله له ووُصوله إليه ، وتبرأ ذمتهم عند الله منه . واستنبِ عنك في أعمال الدعوة من شيوخ علم الحكمة ومن يتق يدِياتِه ، وتسكنُ فيه إلى وفور صناعته ؛ وأعهد إليهم كما عهد إليك ، وخُذْ عليهم كما أخذَ عليك ؛ وأستطلق لهم من فضل أمير المؤمنين ما يعينهم على خدمته ، ويجعل قَلَمهم عن أهل دعوته ؛ وأستخدم كتابا دينا أمينا مؤمنا بصيرا عارفا ، حقيقا بالإطلاع على أسرار الحكمة التي أمر الله بصياتها وكتمانها عن غير أهلها ، قبا حصيفا لطيفا ، يُترلم في مجلسك بحسب مراتبهم من العلم والدين والفضل .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فتدبره متبصرا، وراجعته متدبرا، وبه الوصايا تهدي
وئسدد، وتوفى وترشد؛ وأستعين بالله بمثلك بمؤنته، ويؤم حظك من هدايته؛
إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا سائر السجلات من هذا النوع . وقد أورد في "مواد اليان"
سجلات غير هذه حذف منها التعميد وأقتصر على مقاصدها، وفيما ذكر من ذلك مقتع .

المذهب الرابع

(مما كان يكتب لأرباب الولايات بالتولية الفاطمية

مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأقلام)

وليس لهذه الرتبة صبغ محصورة في الإفتاح، بل تفتتح بلفظ : «إن أمير المؤمنين
لما آتاه الله [من] كذا يفعل كذا وكذا ولما كنت بصفة كذا ، وحضر بحضوره
أمير المؤمنين فتاه ووزيره فلان وأشار بكذا، فترك أمير المؤمنين في كذا » أو يقال :
«إن أولى» أو «إن أحق» أو «إن أجدر» أو «أقن» أو «من حسنت طريقته»
أو «من كان متصفا بكذا كان خليقا بكذا» أو «ولما كان كذا» أو «منشور مقدم
بكتبه فلان » ونحو ذلك .

فمن المكتتب عن الخليفة من هذه المرتبة لأرباب السيوف نسخة سيجل بزم .

إن أمير المؤمنين لما آتاه الله من المحل الأرفع ، وجعله اليوم الأمر المطاع وعدا
الشفيع المشفع، يتعهد عيده بهاد كرمه ، ويخير من حجر النواب من يحاول ظل^(١)

(١) الهجير والهيبة والمهر والمهابة نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر وقيل في كل ذلك انه

حرمه ، وقبّل وسيلة من كانت التجانبه أقوى وسائله وذمه ، ويؤمّنه من الحلف
حوادث الدهر به ولمه ؛ فلا زال يأمرهم غانيا ، وبكلام شيمته عن رفع مسائلهم
غانيا ؛ لاسيّما من حسن في الخدمة أثرا وطاب خبرا ، ونشرت أوصافه في أيدي الثناء
فكانت برودا وجبرا ، وتبين له الإحسان في كل زمان أن يأتي مستحيلا لامعتدرا ،
وعُدفت به بحار الحماسة فما أخرجت منه إلا جوهرا ، وغرس مقدمات المخالصة
وكان لسانح الإنعام مستثمرا ، وصقل التعريب صفيحة طبعه وكان لضريبة
الحزم مستأصرا ، وأستبد بموجبات الحماد مؤثرا لها ومستأثرا ، وجعلت لديه أسباب
الاستقلال التي قلت عند سواه فظلّ منها مهيدا (٤) متكثرا .

ولما كنت أيها الأمير ممن قام له هذا الوصف مقام الاسم [من] المسعى ،
وتوجّهت نحوّه به فلم يكن من اللغز المعنى ؛ وقام يقرر من الخدمة مستحلا ،
وأستقل بشرائط التعويل مستحلا ، وأدرك غايات المحاسن محلا متحلا^(١) ، وضمنت له
الشيبة أن يعلو كاهل الرياسة متحلا ، وأشتهر بالتقدم فلم تعرف به أوضاع الصنائع
غفلا ولا تجهلا ، وأستوجب أن لا يزال في أفق الإنعام متحلا عليه يُعادر لديه غديرا
ومنهلا ، وأستحق أن يملأ يديه من^(٢) ناظره متأملا ، وأدنى فريضة النصيحة
كافلا متكفلا ومُعَمَلا لامتعلا ، ونهض بتكاليف الخدمة متحلا فيها مالم يزل
متحلا .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فناء الذي أفاض التوفيق باستيراره ، ووليه الذي
جَمَّ به مورد السعد بعد استناره : السيد الأجل سيف نصره المهند بأسه ،

(١) التهلّ التقدّم وتمهل في الأمر تتقدم فيه . انظر اللسان .

(٢) يياض بقدر كلمة .

وليث حربه والسنان نأب ، ومحأب الرحمة إلى الإسلام بها حصل ربحى خضر
الجَنَاب ، ومتعب الرايح فى غيّه حتى عَزَب فى سُهوب الإِسْهَاب بأطناب
الإطناب ، ومستحق المدائح التى يُعْطَرُهَا الجَنَاب ، ويُعْطَلُهَا الرِّكَاب ، والملِكُ
الذى خدمه الملوِكُ لارْتَبَةِ الفَنَاء عنه بل لُرُتْبَةِ المَنَاب ؛ فذَكَرَكَ بِمَا بَعَلَكَ ، واستمطرَ
لك من الإحسان ما جَمَّ لك ، واستوفى فى مُناحِجَةِ الدولة عَمَلَكَ ، وقَرَّبَتْ عليك
بِسْفَارَتِهِ بحضرة أمير المؤمنين أَمَلَكَ ؛ وقررك لخدمته بِالزَّمِّ الفلانى إخلاداً إلى
ما تَطَوَّى عليه بِجُحُكْ ، واعتاداً على ما تميز به كَلَمَتُكَ ؛ فأجابه أمير المؤمنين إلى ما أجابَكَ
إليه ، وتقدّم أمرُهُ باستخدامك فيما عيَّنَ عليه ؛ ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء
بِكُتُبِ هذا السجل بتقليدك ذلك .

فَقَلَّدَ مَأْقَلَدَتِهِ مستشيراً لباس التقوى ، ناهياً للنفس عن الهوى ؛ سالِكاً الطريفة
المثلى ؛ قال الله سبحانه : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ . وهذه الخدمة من أمراء قبائل
العرب ، وهى المنع وسواها القرب ، وما فيها من يُدْعَى إلى خدمة إلا طَبَّقَ المِفْصَلُ
وَأَتَى على الأَرَب ؛ نَقَدَهَا بالمرسوم لما تُتَدَبُّ لَهُ من المِهْمَاتِ السانحةِ والعوارض ؛
والتخوف إليها بالأسلحةِ الروائعِ والخيلِ التواهِضِ ؛ وألزم رجالها أن تحفَظَ من
الطُرُقاتِ ما يُصَاقِبُهَا ، وأن تُسَوِّقَ كُلَّ نفسٍ يحنأيتها إلى من يفوقها أو يعاقبها ؛
وقدم الرِّضَ الذى يُسْتَدَلُّ به على مَنْ كان بالوفاء ساقطاً ، وعن أعمالِ الملكةِ
ساخِطاً ؛ ليسترجع الدِّوَانُ ما كان بيده ، ويُنْتَضَحَ من كانت الحِيَاثَةُ سريرةً
مَقْصُودَةً ؛ فاعلَمَ هذا وأعملَ به .



ومن ذلك نسخة سجل بولاية ثغر، وهي :

إِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ رَقَاهُ إِنْعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحُلِّ الْبَقَاعِ، وَشَقَعَتْ فِيهِ وَسَائِلُ
فَضَائِلِهِ فَفَنِيَ عَنِ الْإِسْتِشْفَاعِ ؛ وَعَظُمَ لَهُ النِّفْعُ لِمَا بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْإِنْتِفَاعِ، وَجَرَدَتْهُ
يَدُ الْإِخْتِيَارِ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ النَّبِّ عَنِ الْمَلَّةِ وَالِدَفَاعِ؛ وَأَسْتَقَرَّ فِي الرُّتَبِ الَّتِي لَأُسْتَقَلَّ
إِلَّا إِلَى الزَّيَادَةِ وَلَا تُغَيَّرُ إِلَّا إِلَى الْإِرْتِفَاعِ، وَجُلِّتْ عَلَيْهِ وَجْهُ النِّعَاهِ وَاضِحَةُ النَّامِ
وَاضِعَةُ اللَّفَاعِ، وَنِيطَتْ مِنْهُ وَصَايَا الْحَزْمِ بِحَافِظِ لَهَا وَاعٍ، وَتَوَقَّرَتْ عَلَيْهِ بَوَاعِثُ
الصَّنَاعِ وَدَعَتْ إِلَيْهِ دَوَاعٍ - مَنْ تَرَجَّعَ بِالْإِسْتِحْقَاقِ لِلرُّتَبِ السَّنِيَّةِ وَتَاهَلَّ، وَسَبَقَ
الْمُجَارِينَ فِي حَلَّةِ الْإِخْلَاصِ عَلَى أَنَّهُمْ جَاهِدُوا وَتَمَهَّلَّ ؛ وَأَسْتَوْجِبَ آمْنَاءُ كُلِّهِ
الرِّيَاسَةَ بِالْفَتْكَ الَّذِي شَبَّ وَالرَّأْيَ الَّذِي تَكَهَّلَّ، وَثَبَّتَ جَائِشُهُ فِي الْمَقَامَاتِ الَّتِي يُرَاعُ
لَهَا كُلُّ رُوعٍ وَيَدَّهَلُّ، وَمَتَعَتْ مَهَابَتُهُ الْعَدُوَّ أَنْ يَحْتَمِلَ عَلَيْهِ وَأَبَتْ لَهُ حَصَانَتُهُ أَنْ
يَحْتَمِلَ، وَغَرِيثُ هِمَّتِهِ بِالْمَطْلَبِ الْأَصْعَبِ مِنَ الْعَلَاءِ وَأُنْفِتَ مِنَ الْمَطْلَبِ الْأَسْهَلِ ؛
وَوَلَّى الْوَلَايَاتِ الْجَلِيلَةَ فَظَلَّتِ الرِّعَايَا تَعْلُ مِنْ مَوَارِدِ عَدْلِهِ وَتَهْتَلُّ، وَنَشَأَتْ لَهُمْ
مُحِبُّ الرُّكَّابِ الَّتِي بَرَفُهَا يَهْتَلُّ وَعَارُضُهَا يَهْتَلُّ .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ النَّاهِضَ بِحُقُوقِ هَذِهِ السَّمَاتِ، الْبَعِيدَ الْقَدْرَ مِنَ الْمُسَاوَاةِ
وَالْمُسَامَاتِ ؛ الْمُنْتَقَلَ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمَةِ وَالْكَرَامَاتِ، الْمُنْفَرِجَةَ عَنْ أَنْوَارِ فَتَكَاتِهِ
ظُلُمَاتِ الْمَقَامَاتِ، الْمُعَدَّةَ تَجْدَةً لِمَوَاقِفِ الْبِأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالرَّادِّ عَلَى أَعْقَابِ الْأَبْطَالِ
الْمُعْلَمَةِ بِالْفَتَكَاتِ الْمُعْلَمَاتِ، الدَّائِمِ الْفَرَامِ بِمَقَامَاتِ الرِّيَاسَةِ وَإِنْ كَانَتْ عَظِيمَةً الْمُؤْنِ
جَسِيمَةً الْفَرَامَاتِ، الْقَائِمِ بِمَا تُوجِبُهُ عَلَيْهِ صَنَائِعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُقُوقِ الْمُدَافَعَةِ
عَنِ الْحَوَازَةِ وَفُرُوضِ الْمُرَامَاتِ، الْمُنْتَظَاهِرَةَ فِيهِ شَوَاهِدُ الْفَضَائِلِ بِأَصْدَقِ الْأَعْدَارِ

وأوضح العلامات ؛ المشهور المقامات ، إذا جرت من متون الصفاح جداول وآهت
من غصون الرماح قامات ؛ الآخذ بالأرصاد على العدا بسيف ترطب الرقاب وتهم
في الهامات ؛ الكافي الذي تنقل في الخلد فكان من الشكر مفرى الأثر ، وأنتدب
في المهمات فكان مثاب التواء مسير السفر ؛ المعروف في تصرفاته باتهاز النجع
وقصر البجع ، والمعول على أن تصفه أفعاله بشرح لصدر الاختيار به شرح ، المحدود
يوم الرّوع من كفاة الخطب وحماء السرح ، الملقى الخلد إذا كان السيف لدم
الضارب مشقه الخلد بالصنح ؛ وقدم فعل الاستقلال ، وأمرسؤال الاستقلال ،
وأسكنه من الخالصة إلى دار يبلوغ الآمال علال ، وأرقت كاهل المجد بسى
مخطورها به استغلال ؛ وسهلت إلى الطاعة كل متعاص من المطالب ، وغدا
الاستحقاق بمرادك نعم الكفيل وبأملك نعم الطالب ، وأشتهرت بخلال أفضت
الرغبة فيما أفضته إليك من الرغائب ، وعظم النفع بك حتى لا تقع مع غيبتك بمحاضر
ولا ضرر مع حضورك بغائب . ومثل بحضرة أمير المؤمنين قاه ووليّه وأمينه السيد
الأجل ، الذى سارت أوصافه مسير الشمس وأنارت إمارتها ، وسقت مكارمه سقى
الغبوث وأمارت إمارتها ؛ وسرت خيوله مسرى طيف الخيال وإن كره الأعداء
زيارتها ، وقامت مهابتها مقامها فى البلاد وأغارّت على القلوب إغارتها ، ونازع الأقمار
بعلو القدر دارها وما حبسوا الدست له دارتها ، وأشارت له السعادة العلوية
وأضى التلطف إشارتها وأحسن به شارتها ؛ وطالع بما أنت عليه من طاعة تبدل
فيها الطاعة ، وكفاية إذا تعاطاها الوصف المتيسع ضيق عنها التلطف نطاقه ؛ وذلك
فى سرعان الأولياء إذا رتب سواك فى الساقه ، وأحتسب بما لك من حسنات نظمها
نظم السباقه . وبما قرره لك من الخيمة إلى ولاية كذا مخرج أمر أمير المؤمنين بأن
يؤمن إلى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل لك بالخيمة المذكورة ، سكونا إلى

مُناصِحَةٍ الَّتِي سَكَنَتْ ضَمِيرَكَ ، وَرَكُونًا إِلَى مَوَالِكَ الَّتِي حَقَّقَتْ أَمْلَكَ وَتَهْدِيرَكَ ،
وَإِرَادًا لَكَ إِلَى الْمَوَارِدِ الَّتِي تُوجِبُ تَهْدِيمَكَ وَتَهْدِيرَكَ .

فَقَلَّدَ مَا قَلَّدَتْهُ مِنْهَا بِإِدْنٍ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي إِنْ جَعَلَتْهَا جُنَّتَكَ كَانَتْ جُنَّتَكَ ، وَإِنْ
اسْتَشْعَرَتْهَا عَمِدَتَكَ أَنْجَزَتْ فِي الدَّارَيْنِ مِنَ السَّعَادَتَيْنِ عِدَّتَكَ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
الْمُكْنُونِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَيُحِبُّ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وَأَبْدَأَ فِي هَذَا
النَّعْرِ الْجَلِيلِ قَدْرَهُ ، الْمَصَاقِبِ لِمَا بِهِ حُلُّ السَّعْدِ وَمَقَرُّهُ ، الْمِيسَرَةِ لِكُلِّ حَامِلٍ
ثَوَابِهِ وَأَجْرُهُ ، الْمَحْضُوضِ عَلَى رِبَاطِهِ لِمَنْ تَوَفَّرَ حِفْظُهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْآخِرَةِ فَأَحْسَنَ
ذُخْرُمَ بَدَلِ الْقَضَايَا ، وَصَوْنِ الرِّيَاسَاتِ ، وَبَثِّ السَّرَّايَا ، وَتَرْوِجِ الْعَدُوِّ مِنْ جَمِيعِ الْمَطَالِعِ
وَالثَّنَائَا ، وَإِعْدَاءِ الْمَنَآيَا إِلَيْهِ فِي الْغُدُواتِ وَالْعَشَايَا ، وَالتَّطَلُّعِ عَلَى مَا يُجْنِيهِ مِنَ الْمَكَايِدِ
وَالْخَفَايَا ، وَكَفَايَةِ أَوْسَاطِ الصِّفَاحِ مَصَاحِفَةَ أَطْرَافِ الرِّيحِ تَحَايَا ، وَلَا تَخْلِيهِ أَنْ يُجْهَزَ
فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهِ رَايَةٌ أَوْ تُفَقِّذَ فِيهِ رَايَا ، وَأَنْ تَسْتَرْزِقَ اللَّهُ أُمُوالَهُ مَغَايِمَ وَحَرِيمَهُ
سَبَايَا ، وَتُطْلِعَ عَلَيْهِمْ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ طُلُوعَ الْمَنَآيَا وَقَوَارِعَ الرِّزَايَا ؛ حَتَّى لَا تَلُوحَ
فُرْجَةٌ إِلَّا أَقْتَحَمَتْهَا ، وَلَا تَعِنَ فُرْصَةٌ إِلَّا أَغْتَمَتْهَا ، وَأَمَدُّ عَلَى مَنْ يَهَذَا النَّعْرِ جَنَاحَ
الرِّيَاطَةِ وَالذَّبِّ ، وَمَهَّدَ لِمَنْ جَانِبَ الْعَدْلِ لِيَتَبَوَّعُوا فِيهِ آمْنِي السَّرِّ وَالسَّرْبِ ؛ وَصُنْهُمْ
صَيَانَةً تَرَفِّعَ عَنْهُمْ عَوَادِي الْمَضَارِّ ، وَتُوَطِّدَ لِمَنْ أَكْثَفَ السُّكُونِ وَالِاسْتِقْرَارِ ،
وَأَعْتَمَدَ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَطْلُقُ فِيكَ أَلْسِنَةَ الْمَادِحِينَ ،
وَيَنْظُمُكَ فِي سَبِيلِكَ مِنْ تَحَاهِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وأقم الحدَّ على مَنْ وجب عليه إقامة لا تمتدِّي فيها الواجب ، ولا تخارق بها منهج الحقِّ الألاحِب ؛ وتوخَّ متولَّى الحكم بإعزاز ينقذُ حُكْمَه ، وإكرام يُسَدِّدُ في الحقِّ عَزمَه ، ويردِّعُ الظالمَ ويمنعُ ظُلْمَه ؛ وكذلك المستخدِّمُ في الدعوة الهاديَّة عامله بما يَشُدُّ أزره ، ويشرحُ في دعاء المسجيين صدره ؛ وبالِغْ في عَضْدِ المستخدمين مبالغةً تُدْرِجُها الأموال ، وتُوجِدُ بها السبيلَ إلى توفير عطيات الرجال ، وتوسِّعْ عليهم فيها المجال ؛ وأمنعْ من يتعرَّضُ لكسبِ الضرائب ، والإخلالِ بالزام الواجب ؛ وشورِ الاقلاَب ، وقصدِ سرحِ المالِ بالتَّباب ؛ وأقمِ للسُّور شطراً من أهتمامك تعمُرْ أبراجه وأبدانه ، وتستخدمْ حُرَّاسه وأعوانه ؛ وترتَّبْ عليه الوقُودَ في الليالي المُظلمة ، وتُعيِّزْ [عن] مثاله المطاميعَ الميسورة والأيدى المتسنِّمة ؛ وواصلْ من عمارته ما يتلافى الخللَ قبلَ أنْ يَفْراجَه ، ويُعيدَ مبدأ الفارة على أنْ يَفْراجَه ؛ فالقليلُ بالنفلة يستدعي كثرة الإهتمام ، وربما لم تُصَبْ فيه المرمى ولم يَجْعَ المَرَامُ .

ومراكِبُ الأسطول المنصورة قولها مَنْ ترضى سُهوَصَه ، ومن يقوم بشرائط الجهادِ المفروضة ؛ وإذا آتتْ فرصة لم يعترضها التفويت ، وإذا نزل به القرنُ ناداه بعزمِ المستميت ، وإذا عرَا المجتمع عرَّضَ جمعه للتشتيت ؛ وأحطْ على حواصل هذه المراكِبِ فيها قوَّةُ الإسلام على عدُوِّه ، ومددُ استظهاره وعُوْده ؛ وأقمِ من الرؤساء من له حيلةٌ في الأسفار ، وخبرةٌ بمكايد الفارات والحصار ، ومُشابةٌ يقتدر بها على فتح أبواب المنافع ومسدِّدٌ أبواب المضار ؛ ولك من البصيرة الجامعة ، والألمعية اللامعة ، ما أنت به جديرٌ بأن تكونَ لك الذِّكرى نافعة ؛ فاعلمْ هذا وأعملْ به ؛ إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب في الدولة الفاطمية بالديار المصرية

ما كان يكتب عن الوزير)

وقد علمت في الكلام على " المسالك والممالك " أنَّ الوزير إذ ذاك كان في منزلة
السلطان الآن، وكان الشأن فيما يكتب فيه أن يفتتح بما يفتتح به المنصب الثالث^(١)
مما كان يكتب عن الخليفة . وهو أن يفتتح ما يكتب بلفظ : « إنَّ أُولَى »
أو « إنَّ أَحَقَّ » أو « إنَّ أَجْدَر » أو « إنَّ أَقْبَن » أو « من حُسِنَتْ طَرِيقَتُهُ »
أو « مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِكَذَا كَانَ خَلِيقًا بِكَذَا » و « بَلَسَا كَانَ فُلَان » أو « لَسَا كُنْتُ »
على نحو ما تقدم .

ثم ما يكتب عن الوزير : تارة يكتب بأمر الخليفة ، وتارة يصدر عن الوزير
استقلالاً، فيبينه الكاتب في كتابته . وهي : إما لصاحب سيف ، أو قلم .

فمن المكتتب عن الوزير في الدولة الفاطمية لأصحاب السيوف نسخة سجيل
بولاية الاسكندرية من إنشاء القاضي الفاضل رحمه الله ، وهي :

مَنْ عَدَّ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْأَمَائِلَ ، وَوُجِدَ عِنْدَ الْإِسْتِقْدَادِ قَلِيلُ الْمَائِلِ ؛ وَتَوَسَّلَ بِالْحَسَنَاتِ
الَّتِي يُقْبَلُ عِنْدَهَا مِنْهَا تَسْفِيعُ الْوَسَائِلِ ، وَتُقْبَلُ السَّفَارَةُ لَهُ الشَّامِلَةُ الْإِسْتِحْقَاقِ الَّذِي
يُنْبَغِي عَنْ الْمَسَائِلِ ؛ وَلَطُفَ فِكْرُهُ لِإِقْتِنَاءِ الشِّمِّ الْمَوْجِبَةِ لِرُقْيَاءِ الدَّرَجَاتِ الْجَلَّالَةِ ،
وَأَلْقَى الرَّتَبَ قِنَاعَهَا لَهُ عِنْدَ الْكُفَّةِ الَّذِي يُهْدَمُ لَهَا أَفْضَلُ مَهْوَرِ الْحَلَّالِ ،
وَأَسْفَرَتْ مَوَاقِفُ الْفَنَاءِ مِنْهُ عَنِ الْهَزَبِ الشَّهْمِ وَاللُّوْذِيِّ الْحَلَّاحِ ، وَأَفْرَجَ لَهُ الْكُفَاةُ

(١) لعل الصواب « المقرب الرابع » .

عن صدور المنازل الرقيقة فلم يكن بينه وبينها حائل ، وأستقلَّ عظيم ما يُفَوَّض
إليه فلم يحمل الأثوم ما هو حامل ، وأوسع مجال كفايته في كلِّ أمرٍ يضيق بالباشر
ضيق كفة الحابل ، وتبع آثار الخليل بعزماته تتبع الغيث آثار الديار الموائل -
كانت الولايات الجليلات له من المَعْد المدخر ، وقربت عليه منازل الآثار التي
يُجَعَّل بها ويُفْتَحَر .

ولما كان الأمير جامعاً لما أفيض فيه من هذه الصفه ، وموصوفاً بها من كلِّ
لسانٍ صادق ونية منصفه ، جارية على غيره مجرى النكة ومستندة إليه استناد
المعرفه ، مشتملاً على خلال كغرائب المكارم مستوفية مثاقفه ، كلفاً بالشيم الحميدة
إذا اتفصحت بها الشيم المتكلفه ، قنا أن يوقى فيقرض سعيه إذا اقترضت المساعي
المتسلفه ، تهاضاً بالمصاعب عند ما تخلف في إعطائها العزائم المتخلفه ؛ أويماً من رجاحته
إلى التعقل الحرير والحصن الحصين ، حاوياً لفضائل حسنة منها الفتك الجري
والرأى الرصين ، مقدماً على الأهوال إذا تطلعت وجوهها غرا ، مُصرّاً على الخطرات
حتى يظنه الغمر غمراً ، مصاحفاً للرماح ، إذا بدت أأمل الأيسنه ، مبشراً للصفاح ، إذا
دعرت لها النفس المطمئنه ، جديراً أن يرد الخيل المفيرة تدعى نحوورها ، وتمدحك
وتتمها الجراح التي أشتملت عليها ظهورها ، وسمّاً للأعداء سيوفك فنندك غمورها
وفهم صدورها - رأينا بما آتاه الله من رأى لا يستأخر أن يستخير ، ونظير يستمر أن
يتمسح من موارد الرشد ويستير ، ما خرج به أمرنا من ولايتك لتفر الإسكندرية
بعد أن طالعنا مولانا صلوات الله عليه بما رأينا ، وأسترشدنا بيمان إماميه
ما مضى ؛ وفأوضناه فيما فوضناه إليك وأفضينا ، وقضينا حق الحلمة فيما استمطرنا
من صوب وأفضينا ؛ إذ كان الله قد خصَّ خلالَه بمواتة الأقدار ، ووقف
الميامن على ما يُمضيهِ ويوقفه من أعنة الإراد والإصدار ، وجعل الحيرة فيما

يختار، والحق داتراً حيث دار، وأخلص للأولياء المستشيرين بولائه بخالصة ذكركم الدار، وجعل رأيه قطبا في سماء الخلافة عليه في مصالح خلق الله المدار، فصَحَّح ما عرضناه على مقام خلافته وصوبه، وناجَّته بديهة الإلهام بما أغتته عما صعد فيه المستشير وصوبه، ونخرج الينا بأن يمضى لك هذا الأمر، ويُفوض إليك هذا الثغر.

فلتقابل هذه النعمة بشكر يوجب استيفاء باقيها، واعتداد يمهّد درجات مرافقها، متنجّزا وعد الله لمستوفيه بإيلاء المزيد، الجدير باحاطته من حالة التقليد إلى حالة التخليد، جاعلا تقوى الله حجتة فيما يقطعُه ويصله، وعمدة فيما يمنعه ويثله. قال الله سبحانه في كتابه الذي فضله على كل كتاب: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي حُكْمِكَ مِنَ الْخُسَافَةِ فِرْقًا وَإِنْ عَدِلَ أَحَدُهُمَا ، وَلَكِنْ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي لَا مُقَاضَاةَ فِيهِ مَقْعُدُهُمَا عِنْدَكَ وَمَوْرِدُهُمَا ، وَاتَّصِفْ لِلظُّلُمِ مِنَ الظَّالِمِ ، وَأَعْمَلْ فِي ذَلِكَ عَمَلٌ مِنْ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَأَقِمِ الْحُدُودَ مَحَرِّبًا ، وَأَمِضْهَا إِمْضَاءً مِنْ لَا يَزَالُ بَيْنَ طَاعَةِ اللَّهِ مَتَحَلِّيًا ، وَفَقْذُهَا غَيْرَ مُكْثَرٍ وَلَا مُقَلٍّ ، فَإِنَّ الْمُكْثَرَ مَتَعَدٌّ وَالْمُقَلُّ مُخِلٌّ .

وقد علمت ما للفاضل من التقدمة الشهيرة، والرغبة الأثيرة، والمساعي التي هي بالسنة الحميد مأثورة، والأقوال التي هي في صحائف حسن الذكر مسطوره، والمحرمات التي شهدت بها الأيام والليالي، والموات التي انتظمت في سلوك التصرفات انتظام الآلاتي، والصفات التي زهت بها أجياد المحامد الحوالى، وله الخبرة بقوانين هذا الثغر وأحكامه، والمادة التي لا خلاف أنها لمصالح ما يباشره وإحكامه، وأنت مقدم أرباب السيوف في الثغر وهو مقدم أرباب أقلامه، فأعريف له منزله

في الحِلْمِ المَنُوطَةِ بِكَفَالَتِهِ ، والأُمُورِ المَحْوَطَةِ بِإِيَّائِهِ ؛ وَوَقَّهَ مِنْ أَثَرِ الإِجْكَارِ حَقَّهُ ،
وَيَسَّرَ فِيهَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مَعُونَتِكَ طُرُقَهُ ؛ وَأَعْيَنَ الدَّاعِيَ عَلَى مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الإِرْشَادِ ،
وَقَمَّ فِي إِعْلَاءِ مَنَازِلِهِ قِيَامَ المَغْرَمِ الشَّادِ .

والأُمُوالُ أُولَى مَا صَرَفْتَ إِلَيْهَا هَمُّكَ ، وَوَقَّعْتَ عَلَيْهَا عَزَمَكَ ؛ فَاسْتَنْهَضِ
المُسْتَعْدِمِينَ فِيهَا يُسْتَدَى ، وَلَا تَحْكُمْهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا رُشْمًا وَلَا يُسْقِطُوا مُعْتَادًا ؛ وَلَا بَذْ
مِنَ المَقَامِ بِظَاهِرِ البَحْرِ مَدَّةَ أَفْتِنَاتِهِ ، وَتَفْقُدِ الأَسْطُولَ المَقِيمَ بِالمِينَاءِ تَحْفَظُنَا يَسْتَوِجِبُ
أَسْبَابَ إِصْلَاحِهِ ؛ وَأَذْكَ العُيُونِ عَلَى سَوَاحِلِهِ فَلَمْ يَحُلْ أَمْرُ العَدُوِّ مِنْ طَارِقٍ لَيْلِ
وَخَاطِفِ نَهَارٍ ، وَذُدَّ عَنْ بَقَاتِ جُحُومِهِمْ بِمَا يُلْقِنُهُمْ عَنْكَ مِنْ دَوَامِ التَّيَقُّظِ
وَالِإِسْتِظْهَارِ ؛ وَاسْتَنْهَضِ الرِّجَالَ فِي نَوَائِبِ الحِلْمِ وَحَوَادِثِهَا ، وَصَرَّفْهُمْ عَلَى مَوَاجِبِ
المُتَجَلِّدَاتِ وَبَوَاعِثِهَا .

وهَذَا التَّنْفِيزُ مِنْ أَرْبَابِ الزَّوَايَا العَاكِفِينَ عَلَى الْعِبَادَاتِ ، وَالْعَالَمِيَّ الدَّاعِينَ
النَّاسَ إِلَى الإِفَادَاتِ ، مَنْ لَا يُدْنِرُ الإِكْرَامَ إِلَّا لِأَن يُوَدَّى إِلَى اسْتِحْقَاقِهِمْ ، وَلَا يُصَالُ
المَالُ إِلَّا لِأَن يُبَدَّلَ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ ؛ فَأَوْصِلِ إِلَيْهِمْ مَا هُوَ مَقَرَّرٌ لَهُمْ لِإِصْلَاحِهِنَّ ،
وَأَعِظْهُمْ مِنْ مَثُونَةِ المَزِّ وَسَاقِطِ عَلَيْهِمْ رُطْبًا جَنِيًّا ؛ وَاسْتَنْهَضِ لَنَا دَعَوَاتِهِمْ فَلِنَهَا أَسْئَمُ
الْإِمْحَارِ ، وَاسْتَخْلَصْ لَنَا نِيَّاتِهِمْ فَهَمَّ لَنَا جُنْدُ اللَّيْلِ وَغَيْرُهُمْ لَنَا جُنْدُ النَّهَارِ ، وَالسَّلَامُ .



وَمِنْ ذَلِكَ نَسْخَةُ سَجِيلٍ بِحِمَايَةِ الرَّيَاحِ ، وَهِيَ :

مَنْ كَانَ فِيهَا يَتَوَلَّاهُ مَشْكُورَ السَّعْيِ مَحْمُودَ الْآخِرِ ؛ مُسْتَعْمِلًا مِنَ النَّصِيحِ وَبَدَلُ الجُهْدِ
مَا يَزِيدُ الْخُبْرَ فِيهِ عَلَى طَلِبِ الْخَبَرِ ؛ مُعْتَمِدًا مَا يَدُلُّ عَلَى دِرَايَةِ وَثِقَةٍ وَدُرْبَةٍ ، مُتَوَخِّيًا

(١) لِمَا لَا يَسْتَجِيبُهُمْ .

ما يجعل الختم إذا ما رُدَّت إليه لم تحلَّ في دار غربة - استحق أن يُورَى زنته،
ويُرَهَف حنَّه، وتُقَوَّى منته، وتُسَمَّد قريحته .

ولما كنتَ أيُّها الأميرُ من عُرف نَفَاذه وأُحْمِلتِ خِلَالَهُ ، وشَكِرتَ طرائقه
وأَرْتَضيت أفضاله ؛ وظهرَ فيما يَأسره غَنَاؤه وأَسْتَقْلَالُهُ ؛ وجمعَ إلى الكِفَايَةِ نَزَاهَهُ ،
وإلى الأَمَانَةِ نَبَاهَهُ ؛ وإلى اليَقْظَةِ عَفَافًا وسَدَادًا ، وإلى التَهْضَةِ حَرَامَةً لا يَجِدُ الطَّالِبُ
عليها مَسْتَرَادًا - تَقَدَّمَ قَتَى مولانا وسيدنا بِاسْتِخْدَامِكَ في حَمايَةِ الرِّبَاعِ السُّلْطَانِيَةِ بِالْمَعْرِزَةِ
القَاهِرَةِ المَحْرُوسَةِ : سَكُونًا إلى جَنِّكَ وتَشْمِيرِكَ ، وتَمْوِيلًا على تَأْتِيكِ وتَدْيِيرِكَ ؛
فاسْتَخْرِقَهُ وبَاشِرًا مَارِدًا إِلَيْكَ من هَذِهِ الحِمَايَةِ بِعَزْمٍ لا يُمَازِجُهُ قُورٌ ، وَحَرَمَ لِابْصَاحِهِ
قُصُورٌ ؛ وَاكْشَفَ أَحْوَالَ هَذِهِ الرِّبَاعِ كَشْفًا يُعْرِفُ بِهِ حَالَهَا ، وَيَعْلَمُ مِنْهُ أَسْتِقَامَتَهَا
وَإِخْلَافَهَا ؛ وَأَنْتَصَبَ لِاسْتِخْرَاجِ مَا لَهَا مِنَ السُّكَّانِ ، وَأَسْتَعْمَلَ فِي أَسْتِيدَانِهِ غَايَةَ
الْإِسْطَاعَةِ وَالْإِمْكَانِ .

وَمِلَاكُ الْأَمْرِ فِيهَا أَنْ تَتَمَهَّدَ بِالطَّوَافِ فِيهَا ، وَأَنْ تَحَافِظَ عَلَى حِرَاسَةِ غَيْرِهَا ،
وَتَتَوَلَّى أَجْرَهَا ؛ وَرَمَّ مَا لَمْ يَسْتَرْمْ مِنْهَا وَيَتَشَبَّثْ ، وَالْعُكُوفِ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَتَوَقَّفُ
فِيهِ أَمْرٌ وَلَا يَتَرَيَّبُ ؛ وَحَلَّ مَالِ أَرْضَاعِهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمُعْمُورِ بَعْدَ مَا يُصْرِفُ
فِي مَصَالِحِهَا ، وَيُطْلَقُ فِيمَا يَنْتَبِثُ بِهِ عَلَيْهَا ؛ وَلَكِ مِنَ الْأُمُورِ مَنْ يُعِينُكَ وَيُجِدِّدُكَ ،
وَيُلِيَّ دَعْوَتَكَ وَيَعْضِدُكَ ؛ وَيَقْلَافُكَ عَلَى أَنْتِظَامِ شُؤْنِكَ وَمَقْصِدِكَ : مِنَ الْإِسْتِمَالِ
بِمَا يَزِيدُ عَلَى تَأْمِيلِكَ ؛ فَاجْعَلْ عَلَيْهِ أَعْيَادَكَ ، وَبِهِ فِي الْحُلِّ وَالْعَقْدِ اسْتِرْشَادَكَ ؛ فَاعْلَمْ
هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومن الوظائف المكتتبة عن الوزير لأرباب الوظائف الدينية نسخة يحيل بالحكم بقُوص ومشاركة أعمال الصعيد، وهي :

من تقدمت لأسلافه خِدم ومناجات، وكانوا مشهورين بأن طرائقهم في السداد مستقيمت وأصاحت، وعُرف جميعهم بالصيانة والدِّيانة، والثقة والأمانة؛ والمحافظة على ما يُعظمهم عند ولي نعمتهم، والعمل بما يقضى بطيب ذكركم وحسن سُمعتهم، كان ذلك ذريعة له ووسيلة، ومائة يتال بها المواهب الجزيلة .

ولما كنت أيا القاضى على القضية المرضية من ولاء الدولة وطاعتها، والحريص على الإخلاص لها ومشايستها، والتحلُّ بالعلم والتمييز في أربابه، والتعلق بفعل الخير والتسكُّ بأسبابه، والعمل بما يفْعَلُك في عاجلك وأجلِك، والاجتهاد فيما يبعثُ على وُفُور حطِّك من الإِنعام وزِيادتك؛ وكانت لك دُرْبَةٌ فيما تُمانيه ودرايه، وصَوْلَةٌ في حُسْنِ التَّائِي إلى أُمِدٍ بعيدٍ وغايه؛ وقد تقدمت لأخيك القاضى الرشيد - رحمه الله - خدمةً أبانت عن حرصه ومناجحته، وأُعرِبت عن وُفُور نصيحه من النُهي ورجاحته؛ فأتى ذلك إلى بلوغه من رَبِّ أمثاله أقصاها، وإلى أن استقرت خِدمته عليه وألقت عنده عصاها، وهذه نصيبك إذا آفقتها فقد عرقت مفضاها، وإذا عكفت عليها نالك من الإحسان على حَسَبِها ومقتضاها - تقدم قى مولانا وسيدنا باستخدامك في النيابة في الحكم بمدينة قُوص والمشاركة بأعمال الصعيد الأعلى :
تويها بك وتكريما لك، وتمهيدا لمكان الإِصطِناع الذى رَتِّك فيه وأحلَّك به فأُعرِف قدر هذه النعمة، وقابلها ببذل الطاقة في التَّصَحُّح في الخِدمة، وبالغ في الشكر الذى يُبَيِّنُها عندك ويُديها لك، وأحرص على القيام بحَقِّها حرصاً تُبَدُّ به

نظراؤه وأمثالك؛ وأعمل في ذلك بما تضمنته التقليد المكتتب لك من مجلس القاضى الأعز الماجد أدام الله تمكينه ، وما أودعه من وصايا مُرشده ، وهدايات إلى الصواب مُقرِّبه وعن الخطأ مُبَعِّده ؛ وأفضل في أمر المشاركة ما اشتملت عليه التذكرة المعمولة من الذبوان فإنه يُوضِّح لك منهج الصَّلاح ، ويأتيك منه بما يُريد على البغية والاقتراح ؛ وانتصب للعمارة والاستثمار من الزراعة بالمعدلة على المُعاملين ، والاستخراج لحقوق بيت المال على أحسن القوانين ؛ وواصل من الحؤول ، ما يكون محققا للظنون فيك والمأمول ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالتيابة في الحكم والأجاس والحوالى بتغريدنياط ، وهى :
أحق من كانت المواهب عنده مُحلَّده ، والمنافع إليه متواصله متجدده ؛ والعارف تفد عليه فتخيم في مناه وتقيم ، والقواضل تأتي نحوه فتستقر في منواه ولا تريم ؛ والنعم الشئ لا تشكو في مواطنه استيجاشا ولا اغترابا ، والمِنَّن إذا حجب بها كان تيله لها استحفاقا منه لها واستيجابا - من كُرمَت أعرافه ومخاتده ، وشهرت أوصافه ومخاميده ؛ وصفت في الخالصه مصادره وموارده ، وكثرت في تفریطه غرائب الثناء وشوارده ؛ وشيد منار أسلافه بالتخلق بخلائقهم ، وأبقى الحديث عنهم باتهاج سبلهم وطرائقهم ؛ وأحسن ريمهم ، في الاقتفاء لآثرهم والاكتفاء بهتهم ، وإحياء ذكرهم ، بالعمل بما كانوا عليه في عودهم وبشئهم .

ولما كنت أيها القاضى لهذه الخلال جامعا ، وإلى المرآشد مُضغيا سامعا ، ولبلوغ ماناله أسلافك بالمناجحات راجيا طامعا ؛ ولك فيما يسند إليك نظريئيل

على صواب آرائك ؛ وفيما يُرَدُّ إلى توليك كفاية تميزك على نظرائك ؛ ولما تُدبَّت
للأحكام الشرعية، أبنت عن الديانة والألمعية ؛ وحين باشرت الأعمال الدنيوية،
نصحت وأجهدت وأخلصت النية ؛ والذي بيدك يتمسك بك، ويتعلق بسبك ؛
لأنك لما استكفيت نهضت وأحسنت، فلذلك يأتى أن يكلفه غيرك وأن
لا يتكلفه إلا أنت - تقدم فتى مولانا سيدنا بكتب هذا المنشور بتجديد نظرك فيما
هو بيدك من النيابة في الحكم العزيز بشفر ديماط - حماه الله تعالى - والمشاركة على
الأعباس به ، وعلى مستخرج الجوالى فيه ، تقوية لعزمك ، وإمضاء لحكمك،
وشدًا لأزرك، وتأكيذا لأمرك ، وإنفاذا لقولك ، وبسطة ليدك ، وإيضاحا
لميزتك ، وإظهارا لتكريمك، وإبانة عن حسن النية وإعرابا عن جميل الرأى فيك ؛
فاجر على رسمك وعادتك، وأستغنى بما أودعته تقاليدك من الوصايا ، وأستمر على
نهجك الذى أفضى بك إلى أحمد الأفعال وأجل القضايا ؛ وأرتبط النعمة عندك
بمجاديك على عادتك، وتوسل بمشكور السقى إلى نمو حظك ووفور زيادتك ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة بجمل بالحكم بالأعمال الغريبة، وهى :

مَنْ كَانَ بِالْمَعْلُومِ الدِّينِيَّةِ قُتُومًا، وَفِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّنْ يَشَارُ إِلَيْهِ وَيُؤَمِّى، وَظَلَّ
مِمَّنْ يُخَارِبُهُ مِنْ طَبَقَتِهِ قَلِيلًا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛ وَعُلِمَ نَفَاذُهُ الَّذِي سَلِمَ مِنَ الْمُنَاقَضَةِ
فِيهِ وَالْإِخْتِلَافِ، وَعُرِفَ أَعْتَادُهُ الْوَاجِبُ مِنْ غَيْرِمِثْلٍ عَنْهُ وَلَا أَنْحِرَافِ ؛ وَكَانَ
لشَمْلِ الدِّينَانَةِ وَالْأَمَانَةِ مَوْثِقًا جَامِعًا ، وَعَدَا الْوَصْفُ بِجَمِيلِ الْحُلَالِ وَحَمِيدِ الْأَفْصَالِ
عَنْهُ مَسْمُوعًا دَائِمًا ؛ وَأَثَارُهُ فِي كُلِّ مَا يَتَوَلَّاهُ مُنَادَاهُ وَخُطْبَاؤُهُ ، وَسَفَرَاؤُهُ فِي الرُّتَبِ

الجليلة زاهته وظلّف نفسه وإياؤه - صارت الأحكام بنظره مزهّؤه، وأضحت الحِلْمُ الخطيرةُ تتوّق بإسنادها إليه استظهاراً وقوّه ؛ فهي تتشوّف إلى أن يوليها حظاً من محاسنه يكتسبها نضرة وبهاء ، وتتصدى من نظره فيها لما يضمن لها إدراكاً للإرادة وبلوغاً إليها وأنتهاء .

ولما كنت أيتها القاضي حائزاً لهذه الصفات ، محيطاً بما أشتملت عليه من الأنوار ؛ سالكاً عدلَ طريق في الأمور إذا أشكلت ، عاملاً بقضايا الواجب إذا أعمدت الإقبال عليك وأتكلت ؛ ولك الخِلمة السنية ، التي لا تطمح إليها كل أمنيّة ، والرتب الرفيعة التي لا ينالها إلا من كان عمله موافقاً لصديق النية ؛ وكل ما تباشره يفتيط بك ويأسي على فراقك ، وكل ما حُظر على غيرك مباح لك لاستيجابك له وأستحقاقك ؛ فمن العدل أن تكون كفايتك على الأعمال مقسّمه ، وأن تكون آثارك في كل ما تسانيه من أمور المملكة علامة لك عليها وسمه ؛ وكانت الخدمة في الحكم بالقرية من التصرفات الوافية المقدار ، السامية الأخطار ؛ التي لا يسمو كل أمل إليها ، ولا يحمى كل أحد نفسه بتوليها ؛ وقد أشتهرت خبرتك بالأحكام ، وحفظك فيها للنظام ؛ وبثّك للقصاص المشكّله ، ورفعك للنوب المعضّله - فرأينا استخدامك نائباً عن القاضي الأعزّ المساجد في الصلاة والخطابة والقضاء بالأعمال القرية المقدم ذكرهما ؛ إذ كنت تعدل في أحكامك ، ولا تخرج عن قضايا الصواب في قضاك وإبرامك ؛ ولا تحاي في الحق ذا مترله ، ولا تنفك معتمداً ما يقضي لك بالمليّة المأثمة والرتبة الماثلة ؛ وأمرنا بكتب هذا المسطور شداً لأزرك ، وتشيداً لأمرك ؛ وإبراءً لزنّدك وتقويةً لمزّمك ؛ وضمنناه ما تقدم ذكره من وصفك وشكرك ، ونهريظك وإجمال ذكرك ؛ والثناء على علمك ، والإبانة عن قضيتك في قضائك وحكّك .

فاعمل بما أشقّل عليه التقليد المكتتب لك من مجلس الحكم العزيز وأنتبه إلى ما أودع من فصوله، وكنّ حاملاً بضمونه متبهاً لدليله ؛ والله يوفّقك ويرشدك ، ويميّتك ويُسدّدك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم والمشارفة بنفر عَسَقَلَان من سواحل الشام ، وهى :

الذى منّنا الله من المفانير الدالّة على محلّنا عنده ، والمآثر التى أوصلنا بها من الشرف إلى أمد لا غاية بسدّه ، والقضايا العادلة التى أبانت عمّا أجراه الله لنا من اللطائف ، والسياسة الفاضلة التى تشهد لنا بياض الصخائف ، قد ضاعف حفظنا من التأييد فيما نراه ونُعْضيه ، وضمن لنا الهداية فى حق الله تعالى إلى ما يُرضيه ؛ وأجزل قِسْطنا من التوفيق فى اجْتِباء من نَحْتِيه ، وجبّب لنا إسناء المواهب لمن كان قليل النظر والثّيبه ؛ ووقف أهتمامنا على التنبيه (*) على كلّ مشكور المساعى ، وصرف أَعْرَمانا إلى التّفقّد للقاصد التى هى على الإصطفاء من أقوى الدّواعى ؛ ووفّر ألتفاتنا إلى تأمل الإخلاص الذى صفت موارده ، وصحّت مرآته ، وأحكمت معاقده ، وأحصلت مرآته ، وتوكّل لصاحبه فى بلوغ المطالب البعيدة المطارح ، وتبّتل لمن وُقّق له فى سُبُوغ العوارف المُخْصِبة المسارح ؛ وجعلنا لا نَفْعل عن بَدَل فى الطاعة مُهَجّته ، وأظهر بدوّه وأنتصابه دليله على الولاء المُخِصّ وَجْهته ؛ وأبان عن تقواه وحسن إيمانه ، وتقرب باستِغْراغ وُسْعه إلى الله تعالى وإلى سلطانه ؛ وعمل فيما أَوْثَمين عليه ما استوجب به جزيل الأجر ، وكان له من رأيه فى أعداء المِلّة ما يُقوم مقام العسكر الحَرْبى ؛ وعلم أنّ تجارته فى المخالصة نافعة مُرْجّحه ، وأن مرايمه فى المناصحة صائبة مُنْجّحه ؛ وتيقّن أناجده الله لألْحَيِّب أملا ، ولا نُضِيع أجر من أحسن عملا .

ولما كنت أيها القاضي المكيين المرتضى همة الإمام جلال الملك وعماده
 ذو المعالي صفى أمير المؤمنين، مستولياً على هذه الللال، التي تكفلت لك بإعلاء
 القدر، وعتيوياً على هذه الخصال، التي رتبتك على نظرائك في الصدر؛ ولك من
 الحرمات سواي لأقطع فيها لمعاك، ومن الموات شوائع تجعل جسامي النعم وفقاً
 لأستحقاقك؛ وقد عرفت بالحدة والتشهير، وأشتهرت بصادق العزم وصائب
 التدبير؛ وجعلت مؤهلاً لكل أمر خطير ومهم كبير، واستقر أنك إذا استكفيت
 جسيماً فقد وكل منك إلى الأمن الخبير: لأنك لك الرئاسة التي لا تُجاري فيها
 ولا تُبارى، والكفاية التي لا يُختلف فيها ولا يُتجارى، والفضائل التي تشهد بها
 أعداؤك وحسادك اضطراباً، وما زالت أفعالك في كل مانتولاه من الخدم الجليلة
 دالة على كرم طباعك، وأثارك معرفة عن سعة ذرعتك في الخير وأمتداد باعك،
 وأخبارك ناطقة ببائت عن الباطل وأقتضائك الحق وأتباعك؛ ولما نظرت في القضاء
 تهلل بفكر وجه الشرع، وأبنت عن اضطلاعك من علمه بالأصل والقرع؛
 وعدلت في أحكامك، ولم تبدل عن الواجب في قضيتك وإبرامك؛ وفعلت ما أقر
 عين الله، وأرييت على من تقدمك من القضاة الجلالة، وأعتمدت من الإنصاف
 ما برزت به السلة وأزحت به كل علة؛ ووفيت هذه الخدمة جميع شروطها،
 وفسخت في توليك أمانى المظلومين بعد ضيقها وقنوطها، وقت في ذلك المقام الذي
 يقضى بنبوت النعمة عندك وخلودها، وبالنت في ارتباطها بالشكر لعلك أن شرونها
 بكنودها. فاما الإشراف فإنك أتيت فيه مادل على حسن المعرفة، واستقبلت
 في وجهه كل صفة؛ وأوضح أن كل من باشره لم يبلغ مذكاً، ولا جرى تجراك؛
 ولا وصل إلى غايك، بل ما طمع بمدانك ولا مقاربتك؛ وكل ما صدق بكفايتك فقد
 أتيت بحمد الله فيه على الأغراض، لأجرم أنه مستدع لزيادتك ومطالب ومتقاض؛

فحينَ اجتمعت لك هذه الأسباب استوجبت من إيماننا ما يتزعم كرمنا عن توقيه ،
ومن جزيل إحساننا ما يكون تعجيله حقاً من حقوقه ؛ فشرفتك بتجديد ما هو بيدك
من الحكم العزیز والمشارفة بنصر عسقلان حماه الله تعالى ، وجعلنا النيابة في الحكم عنا
تنوياً بك ورفقاً لشانك ، وتبييناً لموضعك عندنا ومكين مكانك .

فأعمل بتقوى الله التي أمر بها في كتابه الذي به يتسدى المؤمنون فقال عز من
قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وأجر على عادتك فيما حسن أترك ، وأطاب خبرك ؛ معتمدا
على ماتصمته عهدك ، واشتملت عليه تقاليدك : من المساواة بين القوى والضعيف
في الحق ، وإجراء الشريف والمشروف في المحاكاة مجرى واحدا من غير فرق ؛
والنظر فيمن قبلك من الشهود ، وحمليهم على القانون المألوف المهود : من إقرار
من ترخصه ، والمطالبة بحال من تأباه لما توجه طريقته وتقتضيه ؛ والمحافظة
على أن لا يتعلق بشيء من أمور الحكم إلا من أحمده فعله ، وحصل له من التركة
ما يزكى به مثله ؛ إلى غير ذلك مما أودع فيها ، وأحاطت بها الوصايا التي لم يزل
يستوعبها ويستوفيها .

وأستقيم على سبيلك في ضبط المال وحفظه وصونه ، وأستعين على بلوغ المراد
في ذلك بتأييد الله وتوقيه وعونه ؛ وتمسك على سبيلك في النظر في أحوال الثغر
المحروس والانتصاب لمصلحه ، والتوفر على منافع ، والاجتهاد في الجهاد بأرائك ،
والاستمرار في ذلك على سيد أئمتك ، والله ولي عونك وإرشادك ، والمائن قبيلتك
فيا أنت فيه أقصى مرادك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة بحبل بتدريس، وهي :

أمير المؤمنين لما منحه الله من الخصائص التي جعلته لئنه حافظاً ، ولصالح أمور المسلمين ملاحظاً ، ولما عاد بشمول المنافع لهم مواتراً ، وبما أحظاهم عنده تبارك وتعالى موعيناً وعليه متباركاً ، لا يزال يؤليهم إحساناً وقضلاً ومناً ، ويُسيخ عليهم إنعاماً لم يزل قسم (؟) همهم إلى أن تمتقي ، وقد يسر الله تعالى خلقاته ودولته ، ووهب لإمامته ومملكته ، من السيد الأجل الأفاضل ، أكرم ولي ضاعف تقواه وإيمانه ، وأكل صفى وقف أهتاه وأعتزاه على ما يرضيه سبحانه ، وأعدلى وزير لم يرص فى تدبير الكفاية بدون الرتبة العليا ، وأفضل ظهير آتقى فيما آناه الله الدار الآخرة ولم ينس نصيبه من الدنيا ؛ فهو يظافر أمير المؤمنين على ما يحم صلاحه عموم الهواء ، ويهاوض حضرته فيما يستخلص الضائر بما يرفع فيه من صالح الدعاء .

ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة نثر الإسكندرية - حماه الله تعالى - على غيره من الثغور ، فإنه خلى بناية تامة لا تزال تُجيد عنده وتغور : لأنه من أوقى الحصون والمعاقل ، والحديث عن فضله وخطير عمله لاثمة فيه للراوى والنال ؛ وهو يشمل على الفراء والفقهاء ، والمرابطين والصلحاء ؛ وأن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه ، والطائرين عليه ، متشتتو الشمل ، متفرقو الجمع - أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلذذين ، ولم يرص لهم أن يتقوا متبذبين متبذدين ، وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بإشارع المحجة منا عليهم وإنعاماً ، ومستقراً لهم ومقاماً ، ومنوى لجميعهم ووطناً ، وعلاً لكافتهم وسكناً ؛ بفقد السيد الأجل الأفاضل أدام الله قدرته الرغبة إلى أمير المؤمنين فى أن يكون ما يتصرف إلى مؤونة

كل منهم والقيام بأوده، وإعائته على ما هو بسبيله وبصلته: من عين وغلة، مطلقاً من ديوانه، وأستقرّد أمير المؤمنين المتوبة في ذلك فأجابه جرباً على عادة إحسانه؛ وأستقرت التقدمة في هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد جمال الفقهاء أبا الطاهر: لتأذك وأطلاعك، وقوتك في الفقه وأستضلائك؛ ولأنك الصدر في علوم الشريعة، والحال منها في المترلة الرفيعة؛ والمشتغل الذي أجمع له الأصول والفروع، ومن إذا أخيف في المسائل والنوازل كان إليه فيها الرجوع؛ هذا مع ما أنت عليه من الورع والتقوى، وأن مجاريك لا يكون إلا ناكصاً على عقبه مخففاً؛ وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين، وتعلم ما عليك الله إياه لمن يريد ذلك من المؤمنين والطالبين؛ ونرج أمره بكتب هذا المنشور بذلك شدا لأذك، وتقوية لأمرك ورفعا لذكرك .

فأخلص في طاعة الله سرّاً وجهراً، فإنه تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً يُخْرِجْهُ مِنْهُ رِزْقاً كَثِيراً وَكَفَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝ ﴾ . وأعتمد توزيع المطلق عليهم ، وتقسيمه فيهم على حسب ما يؤدى اجتهدك إليه، ويوفقك نظرك عليه؛ وقرب من أرتضيت طريقته، وأبعد من أنكرت قضيته؛ فقد وكل ذلك إليك، وعقد بك من غير اعتراض فيه عليك؛ فمن قرأه أو قرئ عليه من الأمير المظفر والقاضي المكي - أدام الله تأييدهما - وكافة الحماة والمتصرفين ، والعلماء والمستخدمين ؛ فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن أحتوت عليه من الطلبة وإعزازهم ، والاشتغال عليهم، والاهتمام بمصالحهم، والتوخي على منافعهم؛ وليل هذا المنشور على كافة المسجد الجامع، وليخلد بهذه المدرسة حجة بما تضمنته، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك مجل بولاية الحسبة من إنشاء انقاض الفاضل ، وهي :

مَنْ شَكَرْتَ خَلَّاهُ ، وَتَهَدَّيْتُ طَرِيقَهُ ، وَأَمِنْتُ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ بِوَالِدِهِ ، وَنَيْطَتْ
بِعُرَى الصَّوَابِ عِلَاقَتَهُ ، وَفَرِحْتُ بِسَدَادِهِ مَسَالِكُ الْإِشْكَالِ وَمَضَائِقَهُ ، وَأَسْتَحْوَى
مِنَ الْأَمَانَةِ قَرِينًا فِي التَّصَرُّفَاتِ يَرِاقُهُ وَلَا يُفَارِقُهُ ، وَنَهَضَ إِلَى الْاِسْتِحْقَاقِ وَلَمْ تَقَعْهُ
دُونَهُ عَوَاقِبُهُ ، وَأَمْنَى عَلَيْهِ لِسَانُ الْاِخْتِبَارِ وَهُوَ صَحِيحُ الْقَوْلِ صَادِقُهُ - اسْتَوْجِبَ أَنْ
يُخَصَّصَ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ بِأَجْمَلِهِ ، وَأَنْ يُعَانَ عَلَى تَيْسِلِ رَجَائِهِ وَبُلُوغِ أَمَلِهِ ؛ وَأَنْ يُقْتَدَحَ
زَنْدُ نَيْتِهِ لِيُرَى نُورُ عَمَلِهِ ، وَيُسَّرَ إِلَى النِّجَاحِ مَتَوَعَّرَاتِ طُرُقِهِ وَمَشْكَالَاتُ سُبُلِهِ ؛
وَأَنْ يُقَابَلَ جَرَيَانُهُ فِي الْوِلَايَةِ قَبْلَهُ فَيُظْهِرَ عَلَيْهِ أَثْرَ الْإِحْسَانِ فَيَكُونَ الشُّكْرُ مِنْ قَبْلِ
الْإِحْسَانِ لَأَمِنْ قَبْلَهُ ؛ وَيُورَدَ مِنْ مَوَارِدِ الْبَحْرِ مَا يَتَكْفَّلُ لَهُ بِالرِّى - مِنْ غُلَّةٍ ، وَيُوسَمَ
مِنْ مَيَاسِمِ الْأَصْطِنَاعِ مَا يَكُونُ حَلِيَّةً أَوْصَالِهِ وَيُسْقَعُ سَدَادُ خِلَالِهِ فِي سَدِّ خَلَلِهِ .

ولما كنت أياها الشيخ المشتمل على ما تقدم ذكره ، المستكمل من الوصف
ما يجب شكره ؛ الْآوَى إِلَى حَرْزٍ مِنَ الصَّبَانَةِ حَرِيرِزٍ ، الْمُسْتَغْنَى عَنْ غَنَائِهِ عَنِ الْاِسْتَظْهَارِ
بِعِزَّةِ الْعَزِيزِ ، الْمُسْتَوْجِبِ إِلَى أَنْ يُعَدَّ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ الْمُسْتَوْجِبِ
مِنَ الْاِخْلَالِ الْجَمِيلَةِ مَا لَا يَهْتَضِيهِ الْقَوْلُ الْوَجِيزُ ؛ الْمَخْرَجُ مِنْ قَضَايَا الدُّنَايَا فَمَا يَسْتَبِيحُ
مَحْرَمَهَا وَلَا يَسْتَجِيزُ الْمُدَّحُ فِي خَدَمِ كُلِّهَا أَخْلَصَتْهُ خَلَاصُ الذَّهَبِ الْإِيرِيزِ ؛ وَكَانَتْ لَهُ
مَضَارًا تَشْهَدُ لَهُ أَفْصَالُهُ [فِيهَا] بِالسَّبْقِ وَالتَّبَرُّزِ ، الْمُتَوَسِّلَ بِأَمَانَةٍ عَزَبَهَا جَنَابُهُ عَنْ
الشُّبُهَةِ وَوَجَدَتْهَا فِي النَّاسِ عَزِيزٌ - تَقْدَمُ قَتَى مَوْلَانَا السَّيِّدَ الْأَجَلَ بِاسْتِخْدَامِكَ عَلَى

(١) العزوة بالكسر الاعتزاء . أى انه غنى بشفعه عن الاستظهار بالاعتزاء الى أحد . وفي الأصل بمرودة
بالامال . تأمل .

الحسبة بمدينة كذا : فباشر أمرها مباشرة من يئذل في التقوى جهداً، فلا يرى غيرها على ظلمي وردا؛ ولا يراه الله حيث نهاء، ولا يأمره أبداً ويتهاه إلا نهاء، ولا يرى ما كسفته إلا وهو عالم أن الله يراه؛ وأنته فيها إلى ما يتهيأ إليه من يئذل غايةً وسعة، ومن لا يرتد عن جرركه من عموم قعقه؛ ومن يئذل بهذيب طباع الناس على طهارة طبعه، ومن يستجزل حسن صنيع الله لديه بحسن صنعه، ومن يستدعي منه يئذل فضله يحظر مأمر يحظره ومنعه. وأسلك فيما تستعمله من أمرها المنهّب القصد والمنهج الأقوم، واجتهد فيها أجهاد معتصم بحبل التقوى المتين وسبيلها المبرم. وأمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم. واستوخ أحوال المطالم والمشارب، وقوم كل من يخرج في شيء منها عن السنن الواجب. وعير المكاييل والموازين فهي آلات معاملات الناس، واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الإلباس والأدناس؛ وحذر أن تحمل دابة ما لا يطيق حملها، وأدب من يجرى إلى ذلك يتوخى فعله؛ وأوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتتبر بالنظافة مسالكها، كما تتبر بالإضاءة حواليكها؛ ففي ذلك إظهار لهجتها وجمالها، وإيتار لصياتها عن إخلاق تضرتها وأبتذالها؛ ولا تمكن أحداً أن يحضرها إلا لصلاة أو ذكر، قاطماً لسان الخصام وموقظاً لعين الفكر؛ فاما من يعملها سوقاً للتجارة، فقد حصل بهذه الجسارة على الخساره؛ فهي ميادين الضمر، وموازين الرشح في الظاهر من أعمالهم والمضمّر، وما أحق لياليها أن تقوم بها المجدد لا السمر، وهل أئذ الله أن ترفع لغير اسمه أو تسمّر؛ وأحظر أن يحضر الطرقات ما يمنع السلوك أو يورعه، وأفضل في هذا الأمر ما يردع العابت ويزجره. وحذ النصاري واليهود والمخالفين بئس الغيار وشد الزنار، ففي ذلك إظهار لما في الإسلام من العزة وفي المخالفة من الصغار؛ وإبانة بالشد للثأب للسير إلى النار، وتفريق بين المؤمنين والكفار؛ وأدب من يكبل

مطلقاً، أو يَرِنَ متحيفاً، أدباً يكون لمعاملته مَرِيئاً، وله من معاودة علي فعله زاجراً
ومخوفاً، فاعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى .



ومن المكتتب عن الوزير لأرباب الوظائف الديوانية مجلّ بمشارفة الجوالى
بالصعيد الأدنى والأثمنين، وهى :

مَنْ حُسِنَتْ آثارُهُ فيما يَتَوَلَّاهُ ، وَأَسْتَعْمَلَ من الإِجْتِهَاد ما يُدِلُّ على معرفته بقدر
ماتَوَلَّاهُ ؛ كَانَ اعْتِمَادُهُ بما يُؤَكِّدُ سَبِيهَهُ وَيُجَيِّحُ قَصْدَهُ وَيُسْطِيطُهُ ، وَيُرِيهِفُ حَذَاهُ
فيما يَضْمَنُ مصالحَ خِدْمَتِهِ ، وَيُنْظِمُ أَمْرَهَا في سِلْكِ إِيثارِهِ وَبُغْيَتِهِ .

ولما كُنْتُ ^(١) لما نُدِبْتُ إلى مشارفة الجوالى بالصعيد الأدنى
والأثمنين قد أَبْنَيْتَ عن الخُبْرَةِ والدَّرْيَةِ ، والأَمَانَةِ والكِفَايَةِ ، والإِتِّصَابِ
للاِسْتِخْرَاجِ والحِبَابَةِ ؛ والأَجْتِهَادِ في الوَفَاءِ بما كُتِبَ به خَطُّكَ ، والحِرْصِ على
ما يُخْزِلُ نصيبَكَ من جميلِ الرأى وقِسْطِكَ - تَقَدَّمَ قَتِي مولانا وسيدنا بكتب هذا
المنشور مضمناً شكرك وإحمادك ، ومودعاً ما يُلْفُظُ في الخدمة بُيُوتِكَ ومِرادك ؛
وتجديدَ نظرك وتقويةَ يدِكَ ، وإعزازَ جانبِكَ ؛ وتوخُّيكَ بما يَشْرَحُ صدرَكَ ،
ويُسَدِّدُ أَرْزَاقَكَ ، ويرفعُ موضِعَكَ ويُزِيحُ عِلْلاًكَ ؛ ويقمِ هَيْبَتَكَ وَيُفْسِحُ مجالَكَ ،
ويسلِّطُكَ آمالَكَ .

فاجر على رَشْمِكَ في هذه المشارفة وأستمر على عادة دُعُوبِكَ ، وأجعل التقرب
بالنصيحة غايةً مطلُوبَكَ ؛ وواصل الإِتِّصَابَ لاِسْتِخْرَاجِ مالِ هذه الجوالى

(١) يياض بالأصل . ومراده "أما الأمير" أو نحوه .

وَأَمْتِنَ ضَاغَهُ وَأَسْتَفَاهَهُ ، وَتَمَادَ فِي ذَلِكَ عَلَى سِتِّكَ الْحَمِيدَةِ ، وَطَرِيقَتِكَ
السَّيِّدَةِ ؛ وَتَقَى بِأَنَّ ذَلِكَ يُسْفِرُكَ عَنْ بُلُوغِ أَرَاخِيكَ ، وَيَضَاعِفُ سَهْمَكَ مِنْ حَسَنِ
الرَّأْيِ فِيكَ ؛ فَلْيَعْتَمِدِ الْأَمِيرَانِ مَعَاضِدَةَ الْمَذْكُورِ وَمُؤَاوَزَتَهُ ، وَإِعَانَتَهُ وَمُطَاقَرَتَهُ ؛
وَإِجَابَةَ نِدَائِهِ ، وَتَلْيِيَةَ دَعَائِهِ ؛ وَالشَّدَّ مِنْهُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْبَوَاقِ مَعَ الْمَالِ الْحَاضِرِ :
لِيَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى الْوَفَاءِ بِمَا شَرَطَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَكُتِبَ خَطُّهُ بِهِ ؛ وَالمُبَالَغَةُ فِي ذَلِكَ
مُبَالَغَةٌ يَسُودُ نَقْمُهَا عَلَى الدِّيْوَانِ ، وَيَشْهَدُ لَهَا بِبُذْلِ الطَّاقَةِ وَالْإِمْكَانِ ؛ فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ
وَلْيَعْمَلْ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .



وَمِنْ ذَلِكَ سَجَلٌ بِاسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ الْقَبْلِيَّةِ ، وَهُوَ :

مِنْ كَرَمِ أَصْلِهِ وَتَحَنُّنِهِ ، وَحُسْنِ فِي الْوَلَاءِ ظَاهِرُهُ وَمَعْتَقَدُهُ ؛ وَلَقَدْ الْخَالَصَةَ
عَنِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسْلَافِهِ ، وَلَزِمَ فِي الْمُنَاصَحَةِ مَنَهِجًا لَمْ يَحْدِلْ عَنْهُ إِلَى خِلَافِهِ ، وَتَقَلَّ
فِي جَلَائِلِ الْخِدْمِ بِكَثْرَةِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّحْمِيدِ لِأَوْصَافِهِ ؛ وَكَانَ فِي كُلِّ مَا يَبَاشِرُهُ عَلَى
قَضِيَّةٍ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ ، وَتَدُلُّ مِنْ عَمَاسِ الْخِلَالِ عَلَى مَا لَا يَجْتَمِعُ إِلَّا فِي مِثْلِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ
قَلِيلُ النَّظَرَاءِ وَالْأَكْفَاءِ ، كَلَّفَ بِالْاِقْتِسَادِ بِمَكَارِمِ الْأَصَالِ وَالْإِتْبَاعِ لَهَا وَالْاِكْتِفَاءِ -
أَسْتَوْجِبُ أَنْ يُرْفَعَ مَكَانُهُ وَمَحَلُّهُ ، وَأَسْتَحِقُّ أَنْ يُجَمَّلَ مِنْ أَعْيَادِ الْمَهْمَاتِ مَا لَا يَنْهَضُ بِهِ
[إِلَّا] مِثْلُهُ ؛ وَصَلَحَ أَنْ يُجْعَلَ لَهَا يَرَاغِي أَمْرَهُ سَهْمًا مِنْ نَظَرِهِ فِيهِ ، وَأَنْ يَبْرَزَ مِنْ
تَوَلِيَّتِهِ إِيَّاهُ فِي مَلْبَسِ جَمَالٍ يُسَيِّغُهُ حَسَنُ التَّدِيرِ عَلَيْهِ وَيُضْفِيهِ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الشَّرِيفُ ، نَائِجُ الْخِلَافَةِ ، عَضُدُ الْمَلِكِ ، صَنِيعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
مِنْ جِلَّةِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْمَوْفُورَى الْخَطِّ مِنَ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ؛ وَلَكِ مَعَ تَسَنُّكِ
الشَّرِيفِ مِيزَةَ بَيْتِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْعُلُويَّةِ - خَلَدَ اللَّهُ مَلَكُهَا - وَتَقَدَّمَ ، وَأَسْتَغْنِيكَ

بِقُوَّةٍ مِنَ السَّاءِ لِإِضْيَاقِهِ أَحَدٌ مِنْ طَبَقَتِكَ فِيهَا وَلَا يَزَحُّهُ ؛ وَقَدْ تَوَلَّيْتَ أُمُورًا جَلِيلَةً فَكُنْتَ عَلَيْهَا الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، وَأَهْلَتْ لِمَنَازِلَ سَيِّئَةٍ فَأَوْصَحْتَ لَكَ الْإِحْرَاسَ وَأَظْهَرْتَ مِنْكَ الْجَوْهَرَ الثَّمِينُ ؛ وَلَمْ تَتَّقِلْ قَطُّ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّاهُ ، إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا تُسْتَحْفَظُهُ وَتُسْتَكْفَاهُ ، إِلَّا كَانَ الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَتَلَهَّفُ ، وَالثَّانِي إِلَيْكَ يَتَطَلَّعُ وَيَحْوَكُ يَتَشَوَّفُ ؛ وَمَا بَرِحْتَ مَتَمِّسًا مِنَ الرَّبِّ الْخَطِيرَةِ غُطُوبًا : لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي غَدَتْ فِي غَيْرِكَ مَشْتَمَةٌ مَفْرُوقَةٌ ، قَدْ أَقْلَيْتَ عِنْدَكَ مَجْتَمِعَةً مُتَأَلِّفَةً مُتَسِقَةً ؛ فَلَكَ التَّزَاهُ السَّابِقَةُ بِكَ كُلِّ مِنْ يَحَارِيكَ ، وَالْوِجَاهَةُ الرَّاضِيَةُ قَدْرَكَ عَلَى مِنْ يُنَاوِيكَ ، وَالْأَمَانَةُ الَّتِي يَشْهَدُ لَكَ بِهَا مِنْ لَا يُخَايِيكَ ، وَالِدَيَانَةُ الَّتِي حُرِّبَتْهَا عَنِ الشَّرِيفِ عَضِيدِ الدَّوْلَةِ أَبِيكَ - تَقْدُمُ فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا بِالتَّوْمِيلِ عَلَيْكَ فِي تَوَلَّى دِيْوَانَ الْإِسْتِيفَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْقَبْلِيَّةِ وَمَا جُمِعَ إِلَيْهِ ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ الدَّوَاوِينِ قَدْرًا ، وَأَنْبَهِيهَا ذِكْرًا ، وَأَرْفَعُهَا شَانًا ، وَأَشْمِخُهَا مَكَانًا ؛ وَنَرَجُ أَمْرُهُ بِكَتَبِ هَذَا التَّقْلِيدِ لَكَ ؛ فَبَاشِرْ ذَلِكَ مُتَقِيًّا اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ، جَارِيًا عَلَى مَرَاقِيَةِ عَادَتِكَ الَّتِي تُزَلِّفُ فَاعِلَهَا وَتُحْفِظُهُ ؛ فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ إِرْشَادًا لِتَبَادِهِ وَنَهْجًا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .

وَيَنْبَسِلُ إِلَى عِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَتَرْجِيَةِ الْأَرْتِفَاعِ وَاسْتِخْرَاجِ الْأُمُورِ ؛ وَأَعْتَمِدْ مُوَاصِلَةَ الْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ ، وَأَعْكُفْ عَلَى الْأَجْتِهَادِ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِقَلَّةِ الشَّيْبِ وَعَدَمِ النَّظِيرِ ؛ وَاسْتَنْظِفِ الْبَوَاقَ مِنْ كُلِّ الْجَهَاتِ وَالْأَمَّاكِنِ ، وَكُنْ عَلَى ضَبْطِ مَا اسْتِخْرَجَ وَصَوْنِهِ أَحْفَظَ لَهُ مِنْ الْخِزَائِنِ ؛ وَأَنْظُرْ فِي أَمْرِ الْكُتَّابِ نَظْرًا مِنْ يَكْشِفُ عَنْ جَمِيعِ أَسْبَابِهِمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ الْمَخَاطَبُ عَلَى خَطِّهِمْ وَصَوَابِهِمْ ؛ وَخُذْهُمْ بِمَلَاذِمَةِ الْأَشْغَالِ ، وَالْمَوَاطَبَةِ عَلَى التَّنْفِيزِ وَعَلَى اسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ ؛ وَلَا تُسَوِّغْ لِمُضَامِنٍ وَلَا عَامِلٍ أَنْ يُضْجِعَ فِي الْمَارَةِ ، وَلَا أَنْ يَمَاطِلَ بِهَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَإِنَّ فَاتَتْ ذَلِكَ لَا يُلْحَقُ ،

وفارطه لا يُدرك ؛ وقد أُرِيحت عُنُكُك يَسْط يدك وإِفاذ قولك وإِمْضاء حَكَمك ؛
فَتَباد على سُنُكِ وأَسْتَمَرَّ على رَمَكِ ؛ وأَعْلَمَ هذا وأَعْمَلُ به ، وطالِع بما نَحْتَاجُ إلى
المطالعة بِمِثْلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



سَجَل بِمِباشرة الأَعْنَامِ والمَطالِحِ .

لَمَّا كَانَتِ الأَمَانَةُ كَافِلَةً بِالتَّوْبَةِ لأَرْبابِهَا ، والكُفَايَةُ سَافِرَةً فِي التَّيْزِلِ يَنْتَاقِ
بِأَسْبَابِهَا ، وَالْخَبْرَةُ خَلَّةً لَا يَلِيقُ التَّصَرُّفُ وَلَا يَحْسُنُ إِلَّا بِهَا ؛ وَكُنْتَ أَيْهَا التَّحَاضِي
مَشْهُورَ التَّغَاذِي وَالْمَعْرِفَةِ ، خَلِيقًا إِذَا ذَكَرَ الْمُرْتَمِّحُونَ لِلْهَمَاتِ بِأَجَلِ صِفَةٍ ؛ وَقد عَلِمْتُ
نَبَاهَتُكَ ، وَأَسْتَقَرَّتْ زَهَابَتُكَ ؛ وَحُسْنٌ فِيَا تَتَوَلَّاهُ أَتْرَكَ ، وَطالِبٌ فِيَا تَبَاشِرُهُ خَبْرُكَ .
وَحينَ عُدِدْتُ بِكَ انْخِلَدمَ فِيَا يَسْتَدْعِي وَيُتَنَاجَى مِنَ الأَعْنَامِ بِرِسمِ المَطَالِحِ السَّعِيدَةِ
وَمَا يُنْفَقُ وَيُطْلَقُ مِنْهَا ، مُتَصَرِّقًا فِي ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيِ المَخْلُصِ السَّيِّدِ صَفَى المَلِكِ
مَامُونِ الدَّوْلَةِ أَبِي الحَسَنِ : فَرُوجُ الحَافِظِي أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ ؛ فَشَكَرَ سَمِيكَ ، وَأَاحَدُ
قَصْدِكَ ، وَرَضِيَ أَجْتِهَادَكَ ، وَأَسْتَوْقَّ أَعْتَادَكَ - هَدَمَ فَنِيْ مُولانا وَسَيِّدنا فِلانَ
بِكَتَبِ هَذَا المَشْهُورِ لَكَ ، مُضْمِنًا مَا يَقْضِي بِشِدِّ أَزْرِكَ ، وَشرحَ صَدْرِكَ ، وَتَقْوِيَةَ
مُتَّكَ ، وَإِرْهَافَ عَزَمِكَ فِي خِدْمَتِكَ ؛ وَأَعْتَادَكَ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى أَسْتِقَامَةِ الأَمْرِ
فِيَا عِدْقُ بِكَ ، وَمُسَاعَدَتِكَ وَمُعَاوَدَتِكَ وَمَعُونَتِكَ فِي أَسْبَابِكَ ؛ وَتَبْلِيغِكَ أَقْصَى
طِلَابِكَ ، والأَمِيرانَ يَتِمَدِّدانَ رِعايَتِكَ ، وَالشَّدَّ مِنْكَ وَإِعَانَتَكَ ، وَالْحَافِظَةَ عَلَى مِصَالِحِ
أَمْرِكَ وَالتَّالِيَةَ لِدَعْوَتِكَ ، وَتَوْفِيرَ حَظِّكَ مِنَ المَلاحِظَةِ لَشُؤْنِكَ . فَتَعْلَمُ هَذَا
وَلَتَعْمَلُ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



ومن ذلك نسخة منشور بمشارفة المواريث الحشرية ، والفروض الحُكْمِيَّة ، وهي :

منشورٌ ختم بكتبه قتي' مولانا وسيدنا السيدُ الأجل الأفضل لك أيها القاضي الرشيد ، سيد الدولة ، أبو الفتح محمد بن القاضي السعيد عين الدولة أبي محمد عبد الله بن أبي عقيل - أدام الله عزك - لما أشتهرت كفايتك أشتارَ الشمس ، وأمنت أمانتُك دخولَ الشبهة واللبس ، وسلكتَ مذهبَ أسلافك في العقاف والزاهة وظلّفتَ النفس ؛ وظلّت آثارُك فيما تولاه شاهدةً بديانتك ، وأفعالك فيما تُستكفاه معربةٌ عن نباهتك ؛ وسيرتك فيما تتكفاه منبهةٌ بك إلى أقصى أمد الاحتياط مُفضية ، وقد أضفى سبيلَ تقديمك مُعبداً مثلاً ، وضدوتَ لما يُناسب كريمَ بيتك مرتجماً مؤهلاً ؛ وإنما إيقاظُك على ما بيدك لتكفلَ إصلاحه وتهنيه ، وتُتمّ تنقيفه وترتيبه ؛ ولذلك كتب هذا المنشورُ مقصوداً على إقرارك على ما أنت متولّيه من الخلمة في مشارفة المواريث الحشرية ، وتقرير الفروض الحُكْمِيَّة .

فاجر على ربحك وعادتك ، واستمر على منّجك في بذل استطاعتك ؛ وأزكم المعهود منك فإنه مُغني عن الاستراذه ، وتماد على ما آتيت فيه على البُغية والإرادة ؛ وأكتف بما تضمّنته التذكرة الديوانية المعمولة لهذه الخلمة ، وحافظ من الاجتهاد على ما يحدّد لك كلّ وقت ملبس نعمه ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وليُنسخ هذا المنشور بحيث يُنسخ مثله ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بمقالة، وهي :

عند ما وصفت به من اجتهد ومناحه ، وأمانة ليس فيها مساهلة ولا مسامحة ،
ومخالصة استمرت فيها القضية المستقيمة الواضحة ، وكفاية تمسكت منها بالسبب
الوثيق وحصلت على الصفة الرابعة ، ومعاملة تحررت فيها نهج من حُبب إليه
الأعمال الصالحة ، وكفاية إذا باشرت الدهمة الكالحة أبدلتها بالفرحة الواضحة ، وشمعة
ما برحت الألسن لذخائر ثنائها مبيحة ولسرائر أسبابها بانحة ، وإنك إذا أهلت لخدمة
جعلتها لشركك لسانا ، وليكتاب كفايتك عنوانا ، ومن كان بها ملما (٤) إذا رأته
دواءه كان مستعارا بك أحيانا .

فأعتمد في هذه الخدمة ما يحقق بك ظنا ، ويقيم لك وزنا ، ويُسَدِّد بك رُكْنا
ويضاعف لديك منا ، ويُبَيِّن لك من الإحسان ما تفتي ، ويُبَيِّن لك من الزيادة
والحسن ، ويتوكل في اقتضاء الحظ الجزيل الأسنى ، وأسْتَرْفِع (٥) الحُسنات التي
ما يلزم رُفْعُها ، ويُحَفِّظ به شرط الكفاية ووضعها ، وأَكْشِف ولا تُبْقِ ممكنا حتى
تَكْشِفَه ثم أَسْتَطْلِقَه ، وحاصل به أصله ثم تجله ، وحافق الجهاد على ما نرجت به
البراءات ، ورُفِعَتْ به الختمات ، ولا تُحْمِلُ وُصولا ، من أن تكون بخطك موصولا ،
وأستخرج حقوق الديوان على ما مضت به مواضي سُفْته ، وخُذ من كل شيء
في خدمتك بأحسنه ، وأزل نفسك من شئون السنة بأمنع ظل وأحصنه ،
وأحمل الثَّجَار والسَّفَار على عوائد العدل وشرائطه ، وقضايا الصواب وحوائطه ،
وشواهد الديوان وضرائبه ، ولا تَعُدْ فيهم مألوف مطالبه ، وأنظر في الأملاك

السلطانية نظراً بصلح معتلها، ويصحح معتلها؛ ويؤقر أجرها، ويُرزق غيرها؛ وكذلك الأجاس والأحكام والموارث : حافظ على حفظ استقلالها، وكف كَف من يرى باستباحة أمر الحرمة واستحلالها؛ وقد وردت لك من الديوان تذكرة فاهتد بمنظومها، وأقصد بمسومها ؛ ولك من الآراء ما يشهد عزمك، وينفذ حكمك، ويثنى موردك، وعلى يدك؛ ويمثل الرعاية فيك، ويقيم على أن تكفى الديوان بما يكفيك؛ والسلام .

تم الجزء العاشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الحادى عشر

دأوه الفصل الثالث

(من الباب الرابع من المقالة الخامسة)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

Bibliotheca Alexandrina



0424189